

(١٣١٨)

المعنى الآخر

ما ذكر المفسرون أن فيه معنى آخر
من مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"وقال الزجاج: معناه: سفه في نفسه [فلما] حذفت في، [انتصب الاسم] بنزع الخافض، كقوله تعالى: (أن تسترضغوا أولادكم) أي: لأولادكم، (ولا تعزموا عقدة النكاح) أي عليها.

وقال الشاعر:

١٢٨ - نغالي اللحم للأضياف نيئا ... ونبدره إذا نضج القدور

أي باللحم.

وأصوب هذه الأقاويل وأمثالها، أن سفه نفسه بمعني جهلها؛ لأن الفعل إذا كان **بمعنى آخر**، تتسع العرب فتوقع أحدهما موقع الآخر. كما قال الله تعالى: (بطرت معيشتها) أي سخطتها؛ لأن البطر ساخط للنعمة يتعرض لزوالها، ألا ترى إلى [إجراء] المصدر على غير فعل إذا كان في معناه.." [1]

"وإنما يحسن الالتفات في الكلام؛ لأنه خروج عن معنى كنت فيه إلى غيره. وتصرف من القول على وجوهه، كما قال جرير أيضا:

٥٠٦ - متى كان الخيام بذي طلوح ... سقيت الغيث أيتها الخيام

٥٠٧ - أتنسى يوم تصقل [عارضيها] ... بفرع بشامة سقي البشام

فانصرف عن [الخبر] إلي **معنى آخر**، وهو الدعاء فجاء به أرق من الماء [و] ألطف من الهواء.

وأما [جمع ضمير]، الفلك في الآية وتوحيده في قوله:

(الفلك المشحون)." [2]

"منه. ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام، وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصد إلى **معنى آخر**، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها. الثانية- قوله تعالى: (واشتعل الرأس شيبا) أدغم السين في الشين أبو عمرو. وهذا من أحسن الاستعارة في كلام العرب. والاشتعال انتشار شعاع النار، شبه به انتشار الشيب في الرأس، يقول: شخت وضعفت، وأضاف الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس. ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا عليه السلام. و" شيبا" في نصبه وجهان: أحدهما- أنه مصدر لأن معنى اشتعل شاب، وهذا قول الأخفش. وقال الزجاج: وهو منصوب على التمييز. النحاس: قول الأخفش أولى

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ١٤٢/١

(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٦٣٣/١

لأنه مشتق من فعل فالمصدر أولى به. والشيب مخالطة الشعر الأبيض الأسود. الثالثة- قال العلماء: يستحب للمرء أن يذكر في دعائه نعم الله تعالى عليه وما يليق بالخضوع، لأن قوله تعالى:" وهن العظم مني" إظهار للخضوع. وقوله: (ولم أكن بدعائك رب شقيا) إظهار لعادات تفضله في إجابته أدعيته، أي لم أكن بدعائي إياك شقيا، أي لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك، أي إنك عودتني الإجابة فيما مضى. يقال: شقي بكذا أي تعب فيه ولم يحصل مقصوده. وعن بعضهم: أن محتاجا سأله وقال: أنا الذي أحسنت إليه في وقت كذا، فقال: مرحبا بمن توسل بنا إلينا، وقضى حاجته. قوله تعالى: (وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا) فيه سبع مسائل: الأولى- قوله تعالى:" وإني خفت الموالي" قرأ عثمان بن عفان ومحمد بن علي وعلي ابن الحسين ويحيى بن يعمر رضي الله تعالى عنهم:" خفت" بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء وسكون الياء من" الموالي" لأنه في رفع ب" خفت" ومعناه انقطعت [أي «١»] بالموت. وقرأ الباقون" خفت" بكسر الخاء وسكون الفاء وضم التاء ونصب الياء من" الموالي" لأنه

---

(١). من ج وك.." (١)

"لوى عنقه مرحا وتعظما. **والمعنى الآخر**: وهو قول الفراء: أن التقدير: ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ثاني عطفه، أي معرضا عن الذكر، ذكره النحاس. وقال مجاهد وقتادة: لاويا عنقه كفرا. ابن عباس: معرضا عما يدعى إليه كفرا. والمعنى واحد. وروى الأوزاعي عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن ابن عباس في قوله عز وجل:" ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله" قال: هو صاحب البدعة. المبرد: العطف ما انثنى من العنق. وقال المفضل: والعطف الجانب، ومنه قولهم: فلان ينظر في أعطافه، أي في جوانبه. وعطفا الرجل من لدن رأسه إلى وركه. وكذلك عطفا كل شي جانباه. ويقال: ثنى فلان عني عطفه إذا أعرض عنك. فالمعنى: أي هو معرض عن الحق في جداله ومول عن النظر في كلامه، وهو كقوله تعالى:" ولى مستكبرا كأن لم يسمعها" «١» [لقمان: ٧]. وقوله تعالى:" لووا رؤسهم" «٢» [المنافقون: ٥]. وقوله:" أعرض ونأى بجانبه" «٣» [الاسراء: ٨٣]. وقوله:" ذهب إلى أهله يتمطى" «٤» [القيامة: ٣٣]. (ليضل عن سبيل الله) أي عن طاعة الله تعالى. وقرى" ليضل" بفتح الياء. واللام لام العاقبة، أي يجادل فيضل، كقوله تعالى:" ليكون لهم عدوا وحزنا" «٥» [القصص: ٨]. أي فكان لهم كذلك. ونظيره"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧٧/١١

إذا فريق منكم بربهم يشركون. ليكفروا" «٦» [النحل: ٥٥ - ٥٤]. (له في الدنيا خزي) أي هوان وذل بما يجري له من الذكر القبيح على ألسنة المؤمنين إلى يوم القيامة، كما قال:" ولا تطع كل حلاف مهين ١٠" «٧» [القلم: ١٠] الآية. وقوله تعالى:" تبت يدا أبي لهب وتب" «٨» [المسد: ١]. وقيل: الخزي هاهنا القتل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قتل النضر بن الحارث يوم بدر صبرا، كما تقدم في آخر الأنفال. (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي نار جهنم. (ذلك بما قدمت يداك) ١٠ أي يقال له في الآخرة إذا دخل النار: ذلك العذاب بما قدمت يداك من المعاصي والكفر. وعبر باليد عن الجملة، لأن اليد التي تفعل وتبطش للجملة. و" ذلك" بمعنى هذا، كما تقدم في أول البقرة «٩».

---

(١). راجع ج ١٤ ص ٥٧.

(٢). راجع ج ١٨ ص ١٢٦ فما بعد وص ٢٣١.

(٣). راجع ج ١٠ ص ٣٢١ وص ١١٤.

(٤). راجع ج ١٩ ص ١١١ فما بعد وص ٢٣١.

(٥). راجع ج ١٣ ص ٢٥٠.

(٦). راجع ج ١٠ ص ٣٢١ وص ١١٤.

(٧). راجع ج ١٩ ص ١١١ فما بعد وص ٢٣١. [.....]

(٨). راجع ج ٢٠ ص ٢٣٤.

(٩). راجع ج ١ ص ١٥٧.." [١]

"مجاز، وهو في صفة الله حقيقة محضة، إذ هو الذي أبدع الموجودات وخلق العقل نورا هاديا، لأن ظهور الموجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات، تبارك وتعالى لا رب غيره. قال معناه مجاهد والزهري وغيرهما. قال ابن عرفة: أي منور السموات والأرض. وكذا قال الضحاك والقرظي. كما يقولون: فلان غياثنا، أي مغيثنا. وفلان زادي، أي مزودي. قال جرير:

وأنت لنا نور وغيث وعصمة ... ونبت لمن يرجو نداك وريق

أي ذو ورق. وقال مجاهد: مدبر الا امور في السموات والأرض. أبي بن كعب والحسن وأبو العالية: مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين. وقال ابن عباس وأنس:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦/١٢

المعنى الله هادي أهل السموات والأرض. والأول أعم للمعاني وأصح مع التأويل. أي صفة دلائله التي يقذفها في قلب المؤمن، والدلائل تسمى نورا. وقد سمى الله تعالى كتابه نورا فقال:" وأنزلنا إليكم نورا مبينا" [النساء: ١٧٤] «١» وسمى نبيه نورا فقال:" قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" [المائدة: ١٥]. وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين، وكذلك الرسول. ووجه الإضافة إلى الله تعالى أنه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها. وتحتمل الآية **معنى آخر** ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل به، بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة، وذلك أن يريد مثل نور الله الذي هو هداه وإتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة، كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة، التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس، فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر. والمشكاة: الكوة في الحائط غير النافذة، قال ابن جبير وجمهور المفسرين، وهي أجمع للضوء، والمصباح فيها أكثر إنارة منه في غيرها، وأصلها الوعاء يجعل فيه الشيء. والمشكاة وعاء من أدم كالدلو يبرد فيها الماء، وهو على وزن مفعلة كالمقراة «٢» والمصفاة. قال الشاعر

---

(١). راجع ج ٦ ص ٢٧ وص ١١٧ [.....]

(٢). المقراة: القصعة التي يقرى الضيف فيها." [1]

"النار، وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العقاب وهو شر مرجع. والفرق بين المنقلب والمرجع أن المنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه، والمرجع العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا، وليس كل منقلب مرجعا، والله أعلم، ذكره الماوردي. و" أي" منصوب ب" ينقلبون" وهو بمعنى المصدر، ولا يجوز أن يكون منصوبا ب" سيعلم" لأن أيا وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها فيما ذكر النحويون، قال النحاس: وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى وما قبله **معنى آخر** فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض.

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم مكية كلها في قول الجميع، وهي ثلاث وتسعون آية. وقيل: أربع وتسعون آية.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٥٧/١٢

[سورة النمل (٢٧): الآيات ١ الى ٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (١) هدى وبشرى للمؤمنين (٢) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (٣) إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (٤)

أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون (٥) وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم (٦)

قوله تعالى:: (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) مضى الكلام في الحروف المقطعة في" البقرة" وغيرها. و" تلك" بمعنى هذه، أي هذه السورة آيات القرآن وآيات كتاب مبين. وذكر القرآن المعرفة، وقال:" وكتاب مبين" بلفظ النكرة وهما في معنى المعرفة، كما تقول: فلان رجل عاقل وفلان الرجل العاقل. والكتاب هو القرآن، فجمع له بين الصفتين: بأنه قرآن وأنه كتاب، لأنه ما يظهر بالكتابة، ويظهر بالقراءة. وقد مضى." (١)

"أي جعلكم أزواجا فيتزوج الذكر بالأنثى فيتناسلان بعلم الله، فلا يكون حمل ولا وضع إلا والله عالم به، فلا يخرج شي عن تدبيره. عمره إلا في كتاب) سماه معمرا بما هو صائر إليه. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس:" وما يعمر من معمر" إلا كتب عمره، كم هو سنة كم هو شهرا كم هو يوما كم هو ساعة ثم يكتب في كتاب آخر: نقص من عمره يوم، نقص شهر، نقص سنة، حتى يستوفي أجله. وقال سعيد بن جبير أيضا، قال: فما مضى من أجله فهو النقصان، وما يستقبل فهو الذي يعمره، فالهاء على هذا للمعمر. وعن سعيد أيضا: يكتب عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، حتى يأتي على آخره. وعن قتادة: المعمر من بلغ ستين سنة، والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة. ويذهب الفراء في معنى" وما يعمر من معمر" أي ما يكون من عمره" ولا ينقص من عمره" **بمعنى آخر**، أي ولا ينقص الآخر من عمره إلا في كتاب. فالكناية في" عمره" ترجع إلى آخر غير الأول. وكنى عنه بالهاء كأنه الأول، ومثله قولك: عندي درهم ونصفه، أي نصف آخر. وقيل: إن الله كتب عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع، وتسعين إن عصى، فأيهما بلغ فهو في كتاب. وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام: (من أحب أن يبسط له في زرقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) أي أنه يكتب في اللوح المحفوظ: عمر فلان كذا سنة، فإن وصل رحمه زيد في عمره كذا سنة. فبين ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ، أنه سيصل رحمه

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٥٤

فمن اطلع على الأول دون الثاني ظن أنه زيادة أو نقصان وقد مضى هذا المعنى عند قوله تعالى:" يمحوا الله ما يشاء ويثبت" [الرعد: ٣٩] والكناية على هذا ترجع إلى العمر. وقيل: المعنى وما يعمر من معمر أي هرم، ولا ينقص آخر من عمر الهرم إلا في كتاب، أي بقضاء من الله جل وعز. روي معناه عن الضحاك واختاره النحاس، قال: وهو أشبهها بظاهر التنزيل. وروي نحوه عن ابن عباس. فالہاء على هذا يجوز أن تكون للمعمر، ويجوز أن تكون لغير." (١)

"مقام الرسول عليه الصلاة والسلام. وفي قول آخر له: يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر، يقدم الأهم فالأهم، وهذا في أربعة أخماس الفيء. فأما السهم الذي كان له من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف، كما قال عليه الصلاة والسلام: (ليس لي من غنائمكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم). وقد مضى القول فيه في سورة" الأنفال" «١». وكذلك ما خلفه من المال غير موروث، بل هو صدقة يصرف عنه إلى مصالح المسلمين، كما قال عليه السلام: (إنا لا نورث ما تركناه صدقة). وقيل: كان مال الفيء لنبيه صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى: ما أفاء الله على رسوله فأضافه إليه، غير أنه كان لا يتأثل «٢» مالا، إنما كان يأخذ بقدر حاجة عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين. قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا إشكال أنها ثلاثة معان في ثلاث آيا ت، أما الآية الأولى فهي قوله: هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر [الحشر: ٢] ثم قال تعالى: وما أفاء الله على رسوله منهم يعني من أهل الكتاب معطوفا عليهم. (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) يريد كما بينا، فلا حق لكم فيه، ولذلك قال عمر: إنها كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني بني النضير وما كان مثلها. فهذه آية واحدة ومعنى متحد. الآية الثانية: قوله تعالى: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول وهذا كلام مبتدأ غير الأول لمستحق غير الأول. وسمى الآية الثالثة آية الغنيمة، ولا شك في أنه **معنى آخر** باستحقاق ثان لمستحق آخر، بيد أن الآية الأولى والثانية، اشتركتا في أن كل واحدة منهما تضمنت شيئا أفاءه الله على رسوله، واقتضت الآية الأولى أنه حاصل بغير قتال، واقتضت آية الأنفال أنه حاصل بقتال، وعريت الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى عن

ذكر حصوله بقتال أو بغير قتال، فنشأ الخلاف من هاهنا، فمن طائفة قالت: هي ملحقة بالأولى، وهو مال الصلح كله ونحوه.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٣٣٣

(١). راجع ج ٨ ص ١١.

(٢). المتأثل: الجامع.." [١]

"أي مخوف، وخص الإنذار بمن يخشى، لأنهم المنتفعون به، وإن كان منذرا لكل مكلف، وهو كقوله تعالى: إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب [يس: ١١]. وقراءة العامة منذر بالإضافة غير منون، طلب التخفيف، وإلا فأصله التنوين، لأنه للمستقبل وإنما لا ينون في الماضي. قال الفراء: يجوز التنوين وتركه، كقوله تعالى: بالغ أمره [الطلاق: ٣]، وبالغ أمره وموهن كيد الكافرين [الأنفال: ١٨] وموهن كيد الكافرين والتنوين هو الأصل، وبه قرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج وابن محيصن وحميد وعياش عن أبي عمرو (منذر) منونا، وتكون في موضع نصب، والمعنى نصب، إنما ينتفع بإنذارك من يخشى الساعة. وقال أبو علي: يجوز أن تكون الإضافة للماضي، نحو ضارب زيد أمس، لأنه قد فعل الإنذار، الآية رد على من قال: أحوال الآخرة غير محسوسة، وإنما هي راحة الروح أو تألمها من غير حس. كأنهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا أي في دنياهم، إلا عشية أي قدر عشية أو ضحاها أي أو قدر الضحا الذي يلي تلك العشية، والمراد تقليل مدة الدنيا، كما قال تعالى: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار [الأحقاف: ٣٥]. وروى الضحاك عن ابن عباس: كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا يوما واحدا. وقيل: لم يلبثوا في قبورهم إلا عشية أو ضحاها، وذلك أنهم استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول. وقال الفراء: يقول القائل: وهل للعشية ضحا؟ وإنما الضحا لصدر النهار، ولكن أضيف الضحا إلى العشية، وهو اليوم الذي يكون فيه على عادة العرب، يقولون: آتيك الغداة أو عشيتها، وآتيك العشية أو غداتها، فتكون العشية في معنى آخر النهار، والغداة في معنى أول النهار، قال: وأنشدني بعض بني عقيل:

نحن صبحنا عامرا في دارها ... جردا تعادى طرفي نهارها

عشية الهلال أو سرارها

أراد: عشية الهلال، أو سرار العشية، فهو أشد من آتيك الغداة أو عشيها.." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٨

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٠/١٩

"ونظيره:" ألم يعلم بأن الله يرى " «١» [العلق: ١٤]. وقال المبرد:" بأيديكم" أي بأنفسكم، فعبر بالبعض عن الكل، كقوله:" فبما كسبت أيديكم" «٢»، [الشورى: ٣٠]،" بما قدمت يداك" «٣» [الحج: ١٠]. وقيل: هذا ضرب مثل، تقول: فلان ألقى بيده في أمر كذا إذا استسلم، لأن المستسلم في القتال يلقي سلاحه بيديه، فكذلك فعل كل عاجز في أي فعل كان، ومنه قول عبد المطلب: [والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت لعجز) «٤» وقال قوم: التقدير لا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما تقول: لا تفسد حالك برأيك. والتهلكة (بضم اللام) مصدر من هلك يهلك هلاكا وهلكا وتهلكة، أي لا تأخذوا فيما يهلككم، قاله الزجاج وغيره. أي إن لم تنفقوا عصيتم الله وهلكتم. وقيل: إن معنى الآية لا تمسكوا أموالكم فيرثها منكم غيركم، فتهلكوا بحرمان منفعة أموالكم. **ومعنى آخر**: ولا تمسكوا فيذهب عنكم الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة. ويقال:" لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" يعني لا تنفقوا من حرام فيرد عليكم فتهلكوا. ونحوه عن عكرمة قال:" ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" قال:" ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون" [البقرة: ٢٦٧]. وقال الطبري: قوله" ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" عام في جميع ما ذكر لدخوله فيه، إذ اللفظ يحتمله. الثانية- اختلف العلماء في اقتحام الرجل في الحرب وحمله على العدو وحده، فقال القاسم بن مخيمرة والقاسم بن محمد وعبد الملك من علمائنا: لا بأس أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة، وكان لله بنية خالصة، فإن لم تكن فيه قوة فذلك من التهلكة. وقيل: إذا طلب الشهادة وخلصت النية فليحمل، لأن مقصوده واحد منهم، وذلك بين في قوله تعالى:" ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله" «٥» [البقرة: ٢٠٧]. وقال ابن خويز منداد: فأما أن يحمل الرجل على مائة أو على جملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج فلذلك حالتان: إن علم وغلب على ظنه أن سيقتل من حمل عليه وينجو فحسن، وكذلك لو علم وغلب على ظنه أن يقتل ولكن سينكى نكاية أو سيبلى أو يؤثر أثرا ينتفع به المسلمون فجائز أيضا. وقد بلغني أن عسكر المسلمين لما لقي الفرس نفرت خيل المسلمين من

---

(١). راجع ج ٢٠ ص ١٢٤. [.....]

(٢). راجع ج ١٦ ص ٣٠.

(٣). في نسخ الأصل:" بما كسبت". راجع ج ١٢ ص ١٦.

(٤). عبارة عبد المطلب كما أوردها ابن هشام في سيرته عند الكلام على حفر زمزم:" والله إن إلقاءنا

بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ونبتغي لأنفسنا لعجز ... " إلخ.

(٥). راجع ج ٣ ص ٢٠.." (١)

"يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه [. الثالث: أنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها، أو ترام مماستها، كما يحمي الأسد عرينه، ومثله قول النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقي صولة المستأسد الحامي

الرابع- أنها حامية حمي غيظ وغضب، مبالغة في شدة الانتقام. ولم يرد حمي جرم وذات، كما يقال: قد حمي فلان: إذا اغتاظ وغضب عند إرادة الانتقام. وقد بين الله تعالى بقوله هذا المعنى فقال: تكاد تميز من الغيظ «١» [الملك: ٨].

[سورة الغاشية (٨٨): آية ٥]

تسقى من عين آنية (٥)

الآني: الذي قد انتهى حره، من الإيناء «٢»، بمعنى التأخير. ومنه (آنيت وآذيت) «٣». وآناه يؤنيه إيناء، أي أخره وحبسه وأبطأه. ومنه يطوفون بينها وبين حميم آن «٤» [الرحمن: ٤٤]. وفي التفاسير من عين آنية أي تناهى حرها، فلو وقعت نقطة منها على جبال الدنيا لذابت. وقال الحسن: آنية أي حرها أدرك، أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها وردا عطاشا. وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: بلغت أناها، وحان شربها.

[سورة الغاشية (٨٨): آية ٦]

ليس لهم طعام إلا من ضريع (٦)

قوله تعالى: ليس لهم أي لأهل النار. طعام إلا من ضريع لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم. قال عكرمة ومجاهد: الضريع: نبت ذو شوك لاصق بالأرض، تسميه قريش الشبرق إذا كان رطبا، فإذا يبس فهو الضريع، لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه، وهو سم قاتل، وهو أخبث الطعام وأشنعه، على هذا عامة المفسرين. إلا أن الضحاك روى عن ابن عباس قال: هو شي يرمي به البحر، يسمى الضريع، من أقوات الانعام

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٦٣/٢

(١). آية ٨ سورة الملك.

(٢). آنية: متناهية في شدة الحر، من أنى يأني، كرمى يرمى، وليس من (الايناء) مصدر آنى **بمعنى آخر** قال الطبري في تفسير الآية: (تسقى أصحاب هذه الوجوه من شراب عين قد أنى حرها، وبلغ غايته في شدة الحر.

(٣). أي في الحديث في صلاة الجمعة، إذ أنه قال لرجل جاء يوم الجمعة يتطئ رقاب الناس: لقد آنيت وآنيت. ومعنى (آنيت): أخرت المجيء وأبطأت. و (آذيت) أي آذيت الناس بتخطئك.

(٤). آية ٤٤ سورة الرحمن.." [١]

"ولا استثناء له وإذا قال الرجل لامرأته أنت طالق إن شاء الله فله استثناؤه ولا طلاق عليه". حدثنا محمد بن موسى بن علي حدثنا حميد بن الربيع حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا إسماعيل بن عياش بإسناده نحوه. قال حميد قال لي يزيد بن هارون: وأي حديث لو كان حميد ابن مالك اللخمي معروفا! قلت: هو جدي! قال يزيد: سررتني، الآن صار حديثا! ". قال ابن المنذر: وممن رأى الاستثناء في الطلاق طاوس وحماد والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي. ولا يجوز الاستثناء في الطلاق في قول مالك والأوزاعي، وهو قول الحسن وقتادة في الطلاق خاصة. قال: وبالقول الأول أقول. الرابعة- قوله تعالى: (فإمساك بمعروف) ابتداء، والخبر أمثل أو أحسن، ويصح أن يرتفع على خبر ابتداء محذوف، أي فعليكم إمساك بمعروف، أو فالواجب عليكم إمساك بما يعرف أنه الحق. ويجوز في غير القرآن" فإمساكا" على المصدر. ومعنى" بإحسان" أي لا يظلمها شيئا من حقها، ولا يتعدى في قول. والإمساك: خلاف الإطلاق. والتسريح: إرسال الشيء، ومنه تسريح الشعر، ليخلص البعض من البعض. وسرح الماشية: أرسلها. والتسريح يحتمل لفظه معنيين: أحدهما- تركها حتى تتم العدة من الطلقة الثانية، وتكون أملك لنفسها، وهذا قول السدي والضحاك. **والمعنى الآخر** أن يطلقها ثالثة فيسرحها، هذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما، وهو أصح لوجوه ثلاثة: أحدها- ما رواه الدارقطني عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله، قال الله تعالى:" الطلاق مرتان" فلم صار ثلاثا؟ قال:" فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان- في رواية- هي الثالثة". ذكره ابن المنذر. الثاني- إن التسريح من ألفاظ الطلاق، ألا ترى أنه قد قرئ" إن عزموا السراح". الثالثة- أن فعل تفعيلا يعطي أنه أحدث فعلا مكررا على الطلقة الثانية، وليس في الترك إحداث فعل يعبر عنه بالتفعيل، قال أبو عمر: وأجمع العلماء على أن قوله تعالى:" أو تسريح بإحسان" هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين، وإياها عنى بقوله تعالى:"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٩/٢٠

فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره". وأجمعوا على أن من طلق امرأته طلقة أو طلقتين فله." (١)

"من الصحف وغيرها، لأنه قال لأولئك:" وما أوتيتم من العلم إلا قليلا «١» ". وسمى هذا خيرا كثيرا، لأن هذا هو جوامع الكلم. وقال بعض الحكماء: من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم، فإنما أعطي أفضل ما أعطي أصحاب الدنيا، لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعا قليلا فقال:" قل متاع الدنيا قليل" «٢» وسمى العلم والقرآن" خيرا كثيرا". وقرأ الجمهور" ومن يؤت" على بناء الفعل للمفعول. وقرأ الزهري ويعقوب" ومن يؤت" بكسر التاء على معنى ومن يؤت الله الحكمة، فالفاعل اسم الله عز وجل. و" من" مفعول أول مقدم، والحكمة مفعول ثان. والألباب: العقول، واحدها لب وقد تقدم «٣».

[سورة البقرة (٢): آية ٢٧٠]

وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار (٢٧٠)

شرط وجوابه، وكانت النذور من سيرة العرب تكثر منها، فذكر الله تعالى النوعين، ما يفعله المرء متبرعا، وما يفعله بعد إلزامه لنفسه. وفي الآية معنى الوعد والوعيد، أي من كان خالص النية فهو مثاب، ومن أنفق رياء أو **لمعنى آخر** مما يكسبه المن والأذى ونحو ذلك فهو ظالم، يذهب فعله باطلا ولا يجد له ناصرا فيه. ومعنى" يعلمه" يحصيه، قاله مجاهد. ووحد الضمير وقد ذكر شيئين، فقال النحاس: التقدير (وما أنفقتم من نفقة) فإن الله يعلمها، (أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) ثم حذف. ويجوز أن يكون التقدير: وما أنفقتم فإن الله يعلمه وتعود الهاء على" ما" كما أنشد سيبويه [لامرئ القيس «٤»]:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل «٥»

ويكون" أو نذرتم من نذر" معطوفا عليه. قال ابن عطية: ووحد الضمير في" يعلمه" وقد ذكر شيئين من حيث أراد ما ذكر أو نص.

---

(١). راجع ج ١٠ ص ٣٢٣.

(٢). راجع ج ٥ ص ٢٨١.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢٧/٣

(٣). راجع المسألة الرابعة عشرة ج ٢ ص ٤١٢.

(٤). الزيادة في ب.

) ٥ (. وتوضح والمقراة: موضعان، وهما عطف على" حومل" في البيت قبلة.." [١]

"(على هؤلاء) إلى كفار قريش وغيرهم من الكفار، وإنما خص كفار قريش بالذكر لأن وظيفة العذاب أشد عليهم منها على غيرهم، لعنادهم عند رؤية المعجزات، وما أظهره الله على يديه من خوارق العادات. والمعنى فكيف يكون حال هؤلاء الكفار يوم القيامة (إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) أمعذبين أم منعمين؟ وهذا استفهام معناه التوبيخ. وقيل: الإشارة إلى جميع أمته. ذكر ابن المبارك أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال ابن عمرو حدثه أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ليس من يوم إلا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم، يقول الله تبارك وتعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) يعني بنبيها (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا). وموضع (فكيف) نصب بفعل مضمر، التقدير فكيف يكون حالهم، كما ذكرنا. والفعل المضمر قد يسد مسد (إذا)، والعامل في (إذا) (جِئنا). و (شهيدا) حال. وفي الحديث من الفقه جواز قراءة الطالب على الشيخ والعرض عليه، ويجوز عكسه. وسيأتي بيانه في حديث أبي في سورة (لم يكن «١»)، إن شاء الله تعالى. [و (شهيدا) نصب على الحال «٢»].

[سورة النساء (٤): آية ٤٢]

يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا (٤٢)

ضمت الواو في (عصوا) لالتقاء الساكنين، ويجوز كسرها. وقرأ نافع وابن عامر (تسوى) بفتح التاء والتشديد في السين. وحمزة والكسائي كذلك إلا أنهما خففا السين. والباقون ضموا التاء وخففوا السين، مبنيا للمفعول والفاعل غير مسمى. والمعنى لو يسوي الله بهم الأرض. أي يجعلهم والأرض سواء. **ومعنى آخر**: تمنوا لو لم يبعثهم الله وكانت الأرض مستوية عليهم، لأنهم من التراب نقلوا. وعلى القراءة الأولى والثانية فالأرض فاعلة، والمعنى تمنوا لو انفتحت لهم الأرض فساخوا فيها، قاله قتادة. وقيل: الباء بمعنى على، أي لو تسوى عليهم أي تنشق فتسوى عليهم، عن الحسن. فقراءة التشديد على الإدغام، والتخفيف على

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣١/٣

(١). راجع ج ٢٠ ص ١٤٢ ولم يأت بشيء.

(٢). هذه الزيادة من ج ود وى.." [١]

"كثير من الولاة والحكام. وقوله:" بالباطل" يجمع ذلك كله. (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون أهل دينهم عن الدخول في دين الإسلام، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم. الثانية- قوله تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة) الكنز أصله في اللغة الضم والجمع ولا يختص ذلك بالذهب والفضة. ألا ترى قوله عليه السلام: (ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة). أي يضمه لنفسه ويجمعه. قال:

ولم تزود من جميع الكنز ... غير خيوط ورثيث بز «١»

وقال آخر:

لا در دري إن أطعمت جائعهم ... قرف الحتي وعندي البر مكنوز

قرف الحتي هو سويق المقل «٢». يقول: إنه نزل بقوم فكان قراه عندهم سويق المقل، وهو الحتي، فلما نزلوا به قال هو: لا در دري ... البيت. وخص الذهب والفضة بالذكر لأنه مما لا يطلع عليه، بخلاف سائر الأموال. قال الطبري: الكنز كل شي مجموع بعضه إلى بعض، في بطن الأرض كان أو على ظهرها. وسمي الذهب ذهبا لأنه يذهب، والفضة لأنها تنفض فتتفرق، ومنه قوله تعالى:" انفضوا إليها" «٣» [الجمعة: ١١]-" لانفضوا من حولك" «٤» [آل عمران: ١٥٩] وقد مضى هذا المعنى في [آل عمران] الثالثة- واختلفت الصحابة «٥» في المراد بهذه الآية، فذهب معاوية إلى أن المراد بها أهل الكتاب وإليه ذهب الأصم لأن قوله:" والذين يكنزون" مذكور بعد قوله:" إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل". وقال أبو ذر وغيره: المراد بها أهل الكتاب وغير هم من المسلمين. وهو الصحيح، لأنه لو أراد أهل الكتاب خاصة لقال: ويكنزون، بغير والذين. فلما قال:" والذين" فقد استأنف **معنى آخر** يبين أنه عطف جملة على جملة. فالذين يكنزون كلام مستأنف، وهو رفع على الابتداء. قال السدي: عنى أهل القبلة. فهذه ثلاثة أقوال. وعلى قول الصحابة فيه دليل على أن الكفار عند هم

---

(١). الرثيث: البالي، والبز: نوع من الثياب

(٢). المقل ثمر شجر الدوم ينضج ويؤكل

(٣). راجع ج ١٨ ص ١٠٩.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩٨/٥

(٤). راجع ج ٤ ص ٢٤٩.

(٥). في ج وز: من؟. [.....]." [١]

"(كأنما أغشيت) أي ألبست. (وجوههم قطعا) جمع قطعة، وعلى هذا يكون" مظلما" حال من" الليل" أي أغشيت وجوههم قطعا من الليل في حال ظلمته. وقرأ الكسائي وابن كثير" قطعا" بإسكان الطاء، ف"- مظلما" على هذا نعت، ويجوز أن يكون حالا من الليل. والقطع اسم ما قطع فسقط. وقال ابن السكيت: القطع طائفة من الليل، وسيأتي في" هود" «١» إن شاء الله تعالى.

[سورة يونس (١٠): آية ٢٨]

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون (٢٨)

قوله تعالى: (ويوم نحشرهم) أي نجمعهم، والحشر الجمع." جميعا" حال. (ثم نقول للذين أشركوا) " أي اتخذوا مع الله شريكا. (مكانكم) أي الزموا واثبتوا مكانكم، وقفوا مواضعكم. (أنتم وشركاؤكم) وهذا وعيد. (فزيلنا بينهم) أي فرقنا وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا، يقال: زيلته فتزيل، أي فرقته فتفرق، وهو فعلت. لأنك تقول في مصدره تزييلا، ولو كان فيعلت لقلت زيلة. والمزايلة المفارقة، يقال: زايله الله مزايلة وزيالا إذا فارقه. والتزايل التباين. قال الفراء: وقرأ بعضهم" فزايلنا بينهم"، يقال: لا أزايل فلانا، أي لا أفارقه، فإن قلت: لا أزاوله فهو **بمعنى آخر**، معناه لا أخاتله. (وقال شركاؤهم) عني بالشركاء الملائكة. وقيل: الشياطين، وقيل: الأصنام، فينطقها الله تعالى فتكون بينهم هذه المحاورة. وذلك أنهم ادعوا على الشياطين الذين أطاعوهم والأصنام التي عبد وها أنهم أمروهم بعبادتهم ويقولون ما عبدناكم حتى أمرتمونا. قال مجاهد: ينطق الله الأوثان فتقول ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون، وما أمرناكم بعبادتنا. وإن حمل الشركاء على الشياطين فالمعنى أنهم يقولون ذلك دهشا، أو يقولون كذبا واحتيالا للخلاص، وقد يجري مثل هذا غدا، وإن صارت المعارف ضرورية.

[سورة يونس (١٠): آية ٢٩]

فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين (٢٩)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢٣/٨

---

(١). راجع ج ٩ ص ٨٣ فما بعد.." [1]

"وقيل: هو لغة هوازن، أي أفلم يعلم، عن ابن عباس ومجاهد والحسن. وقال أبو عبيدة: أفلم يعلموا ويتبينوا، وأنشد في ذلك أبو عبيدة لمالك بن عوف النصري «١»:

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ييسرونني من الميسر، وقد تقدم في" البقرة" «٢» ويروى يأسرونني من الأسر. وقال رباح بن عدي:

ألم ييأس الأقوام أني [أنا] «٣» ابنه ... وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا

في كتاب الرد" أني أنا ابنه" وكذا ذكره الغزنوي: ألم يعلم، والمعنى على هذا: أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا من غير أن يشاهدوا الآيات. وقيل: هو من اليأس المعروف، أي أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الكفار، لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم، لأن المؤمنين تمنوا نزول الآيات طمعا في إيمان الكفار. وقرأ علي وابن عباس:" أفلم يتبين الذين آمنوا" من البيان. قال القشيري: وقيل لابن عباس المكتوب" أفلم ييأس" قال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس، أي زاد بعض الحروف حتى صار" ييأس". قال أبو بكر الأنباري: روي عن عكرمة عن ابن أبي نجيح أنه قرأ-" أفلم يتبين الذين آمنوا" وبها احتج من زعم أنه الصواب في التلاوة، وهو باطل عن بن عباس، لأن مجاهدا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس، على ما هو في المصحف بقراءة أبي عمرو وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس، ثم إن معناه: أفلم يتبين، فإن كان مراد الله تحت اللفظة التي خالفوا بها الإجماع فقراءتنا تقع عليها، وتأتي بتأويلها، وإن أراد الله **المعنى الآخر** الذي اليأس فيه ليس من طريق العلم فقد سقط مما أوردوا،

---

(١). ذكر في" لسان العرب" أن قائل البيت هو سحيم بن وثيل اليربوعي،: وذكر بعض العلماء أنه قال لولده جابر ابن سحيم بدليل قوله فيه:" أنى ابن فارس زهدم" وزهدم: فرس سحيم. وقوله: ييسروننى من أيسار الجزور، أي يجتزروننى ويقتسمونني، وذكر ذلك لأنه كان قد وقع عليه سباء فضربوا عليه بالميسر يتحاسبون على قسمة فدائه.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣٣/٨

(٢). راجع ج ٣ ص ٥٣.

(٣). من البحر لأبى حيان، وكتاب الرد.." [١]

"قال ابن عرفة: هذا أحد القولين فيها، وفيها قول آخر بأن الفعل المتعدي إذا ضمن المجرور الذي بعده معنى آخر تصح نيابته مناب المفعول. و «في» هنا يتضمنه معنى كقولك: أكلت من الرغيف.

قوله تعالى: ﴿وفي الأخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾.

ضعف الشيخ أبو حيان العطف هنا للفصل. وأجاب بعض الطلبة بأن «حسنة» مفعول صريح وفي الآخيرة مجرور مؤخر في المعنى، فتقديمه يصيره فاصلا.

فقال ابن عرفة: لا يضر ذلك عندهم. وأنا فيه عندي أنه نعت نكرة تقدم عليها فصار حالا والحال صفة في المعنى، وإذا كان صفة فالفصل (به) جائز لأنه جزء من الموصوف أو كالجزء. ونظيره (من) الآية التي مثل بها. قال: (وما يجيء) (تمثيل) الفصل إلا بقوله تعالى ﴿فبشرناها بإسحاق ومن ورآء إسحاق يعقوب﴾ بالنصب على قراءة حمزة وأما قوله تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ فالفصل هنالك بالظرف (وهي) جملة معطوفة على جملة.

قوله تعالى: ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا ... ﴾.

راجع للفريقين فمن طلب الدنيا لها وكذلك الآخرة.

قوله تعالى: ﴿والله سريع الحساب﴾.

قال ابن عطية: قيل لعلي كيف يحاسب الله العباد في يوم؟ فقال (كما يرزقهم في يوم).

قل ابن عرفة: كما يفهم أن العرض لا يبقى زمنين والقدرة صالحة إلى الإمداد بعرض آخر فكذلك القدرة صالحة (لأن)

يخلق لله في نفس كل واحد الإخبار بما له وما عليه (فيخبرون) بذلك في زمن واحد. وهذا أمر خارق للعادة ولا يمكن قياسه على الشاهد.

قوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات ... ﴾.

الأمر إما خاص (بالحاج) أو عام لأن سائر الناس أيضا يكبرون في تلك الأيام غير أن الحجاج يكبرون في

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٣٢٠

كل النهار وغيرهم يكبر دبر (كل) صلاة فقط، وقد كان عمر يرفع صوته بالتكبير في (خبائه) فيكبر من خلفه ثم يكبر الناس كلهم حتى (يسمع)." (١)

"وردوا عليه بأن ذلك إنما هو في الفعل المتعدي لواحد إذا ضعف يريد به التضعيف معنى التفريق، مثل: (غلقت الأبواب) لأن غلق يتعدى غير متضاعف، وأما الغير متعدي فإن التضعيف إنما هو للتعدية كالهمزة كأنه يكسبه **معنى آخر**.

قال ابن عطية: الباء إما للحال فالحق فيه ثابت أو للسبب، أي بسبب الحق، أي باستحقاق إن لم يزل ثم تحرك عن مذهب المعتزلة، فقال: وذلك تفضلا منه لا على أنه واجب عليه أن يفعل.

قوله تعالى: (مصدقا).

قال ابن عطية: حال مؤكدة؛ لأنه لا يمكن أن يكون غير مصدقا لما بين يديه من الكتب. قيل لابن عرفة: عادتكم تردون عليه بأن المراد أنه حق في نفسه ثابت، والحق الثابت في نفسه يمكن أن يصدق غيره، ويمكن أن لا يصدق ولا يكذب، فقال: كان يجيب بأن يقول: إن اعتبرنا الحق في نفسه فيجيء ما قلتم، وإن اعتبرناه من حيث رجوعه إلى الكتب وارتباطه به فلا بد أن يكون مصدقا لما بين يديه، ومعنى تصديقه لها تصديقه لأصوله لما فيها من الشرائع والأحكام؛ لأنه مصدق لاستحقاق تلك الأحكام وجريانها بل هو ناسخ لها، أو المراد بتصديقه لها دلالة على صحة كونها منزله من عند الله.

قوله تعالى: ﴿وأنزل التوراة والإنجيل (٣)﴾ من قبل هدى للناس).

قيل لابن عرفة: ما الفائدة في قوله: (من قبل) ولو أسقط لم يختل المعنى؛ لأنه معلوم أن إنزالها قبل، وأنها هدى للناس من قبل؟ فأجاب: بأنكم جعلتم (من قبل) متعلق بأنزل أو بالتوراة، وإنما يجعله متعلقا بهدى، فتقول: تضمنت الآية أن هداية التوراة والإنجيل كان للناس من قبل وذلك غير معلوم، إنما كان المعلوم أن إنزالها قبل الثاني، اقتضت من أول أزمنة القبلية إشارة إلى أن هذا أمر معهود فيما سبق، وأنه ليس بأول ما نزل بل تقدمت كتب قبله واستدام حكمها إلى أزمنة القبلية، وقال هنا: (هدى للناس)، وفي البقرة (هدى للمتقين)، فقيل: للتشريف، وقيل: إن الهداية يراد بها الإيمان، قال تعالى: (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) ويطلق بمعنى التوفيق والإرشاد إلى طريق الحق.." (٢)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١/٢٤٧

(٢) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١/٣٤٦

"أشد من المعصية القاصرة، وأجاب ابن عرفة بأن العطف أفاد التسوية في الاستغفار بين جمع معصيته مع ما انفرد بالمعصية الخاصة به القاصرة عليه، وإن الله غفور رحيم لهما معا والعطف بـ ثم إما للتراخي حقيقة فإن كانت التوبة من الذنب على الفور، قلنا: ذلك في الأمر بها لا في الإخبار عنها، فأفاد الخبر أنها مقبولة ولو تراخت على فعل المعصية أو ليكون لبعد من له المعصية ممن له الاستغفار.

قوله تعالى: ﴿ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه ... (١١١)﴾
الكسب هنا هو نفس فعل المعصية بالإخبار، والكسب عند أهل أصول الدين في تفسيره اضطراب، فإن قلت: هذا مصادم لحديث "من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة"، قلنا: عوقب الأول بإحداثه المعصية وإنما عوقب بفعله.

قوله تعالى: ﴿فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا (١١٢)﴾
وصف الإثم بالمبين، ولم يصف به البهتان؛ لأن البهتان كله م بين بخلاف الإثم.

قوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته ... (١١٣)﴾
الفضل راجع لصفة الإرادة، والرحمة لصفة الفعل ويحتمل أن يكونا بمعنى واحد.
قوله تعالى: (لهمت طائفة منهم أن يضلوك).
ابن عطية: هذا يدل على أن اللفظ عام في غير أهل النازلة، وإلا فأهل التعصب [لبني أبيرق قد وقع همم وثبت*] فالمعنى: ولولا عصمة الله لك لكان في الناس من يشتغل بإضلالك ويجعله همه كما يقول هؤلاء، ابن عرفة: وتقدم لنا فيها **معنى آخر** وهو أن المراد: لهمت طائفة بإضلالك الهم الصادق الرافع معلقة وهؤلاء إنما هموا هما غير صادق إذ لا يتم لهم غرض، قلت: قال تعالى: (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا) قال: والإضلال على قسمين: فالضلال في الظاهر كمن يأتي للقاضي ببينة يعلم إنها زور ويهدي له هدية فيقبل منهم شهادتهم ويحكم لهم، والإضلال في الباطن كمن يأتي ببينة هم في الظاه ر ويزوروا كلاما ويفعل ما يريهم أنه على الحق فيحكم له القاضي بذلك ظانا أنه على الحق وهو على الباطل، فأما الأول فلا يدخل في هذه الآية وإنما المراد: ولولا عصمة الله لك لأضلك بعض

الناس بتزويرهم الأمور وإتيانهم بها على صورة الحق فتحكم لهم بها وهي على الباطل لحديث: "إنما أمرت أن أحكم بالظاهر." (١)

"قيل لابن عرفة: وكذلك من كفر قبل ذلك ضل عن مطلق السبيل لا عن سواء السبيل؛ لأنه كفر قبل ظهور الدليل والمعجزات.

قوله تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم ... (١٣)﴾

ابن عرفة: ما زائدة للتأكيد، والزائد في القرآن كله لمعنى فهي نائبة مناب تكثير اللفظ أي فبنقضهم ميثاقهم.

قوله تعالى: (لعناهم).

قال الزمخشري: أي طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا، وقيل: مسخناهم، وقيل: ضربنا عليهم الجزية. ابن عرفة: قوله: (مسخناهم) بأنه معنى يرجع إلى معنى الظرف ويكون المسخ في القرآن أي بسبب تعذيبهم في السبت، قال الله تعالى (فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وليس سببه نقضهم الميثاق.

قوله تعالى: (قاسية يحرفون الكلم).

ابن عرفة: فيها دليل لأهل الظاهر، وأجيب بأنا لا نخرج اللفظ عن ظاهره إلا بدليل فلم يحرفه عن مواضعه، وإنما فيها رد على الباطنية، قالوا: وفيها رد على الصوفية الذين يحملون الألفاظ على خلاف غير ظاهرها، وأجيب بأنهم لا يخرجونها عن الظاهر بالكلية بل يبقونها على ظاهرها ويريدون لها **معنى آخر**، يقولون: يحتمل أن يراد بها كذا، قالوا: وفيها دليل للمرجئة الذين أخذوا بظاهر حديث: من قال." (٢)

"تارة يقصد به مجرد الرحمة له والشفقة عليه، وكذلك الزوجة [فهذا*] ممكن هنا عقلا فيصح دخول النفي الشرعي عليه.

وتارة بقصد التلذذ به وبالزوجة، فهذا محال هنا عقلا، فلا يصح نفيه إذ لا فائدة فيه.

قال ابن عرفة: وهذا الأولى أنهم ذكروه لما قلناه: لكن هو المناسب بسبب نزول الآية، لأنهم ادعوا نسبة الولد والزوجة إلى الله تعالى بدليل قوله في الآية: (ولكم الويل مما تصفون).

قال ابن عرفة: وكان بعضهم يفسر هذه الآية **بمعنى آخر** وهو أن الإقبال على ما لا فائدة فيه، إن كان لقصد شغل البال به عن شيء آخر فهم [لهو*] وإلا فهو لعب، فأتت الآية [ترد على المعتزلة*]، في إيجابهم

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/٥٤

(٢) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/١٠٠

مراعاة الأصلح عقلا، فقال الله تعالى (لو أردنا أن) نخلق شيئا لتحصيل منفعة أو لدرء مفسدة عنكم، لفعلنا ذلك في أنفسنا [من جهة قدرتنا*] [بعيدا*] عما [يجلب*] المصلحة ويدرأ المفسدة، لكن من عادتنا ربط الأسباب بمسبباتها [وإننا لم نخلق شيئا عبثا*] بل [خلقنا*] كل نوع من النبات والحيوانات والجماد لمنفعة ومصلحة علمها من علمها وجعلها من جعلها فحصل من هذا نفي التحسين والتقبيح عقلا بهذه الشرطية وأسلم به سمعا، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: [(وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين) *]، ولذلك لاتخذناه من لدنا في أنفسنا لاستغنينا عن جلب المصالح ودرء المفاسد.

فإن قلت: ما أفاد قوله تعالى: (إن كنا فاعلين)، وأنت لا يجوز لك أن تقول: قم إن قمت، ولا تقول أو أردت القيام قم إن قمت،؛ لأن الشرط عين الجزاء فلا فائدة في الجزاء، قال: قلت: إن لازم الشرطية الأولى منفي فلذلك دخل عليه الشرط في الثانية.

قوله تعالى: ﴿فيدمغه ... (١٨)﴾

هذا تشبيه أمر [معقول*] للمحسوس.

قوله تعالى: ﴿وله من في السماوات والأرض ... (١٩)﴾." (١)

"ولم يعطف السجود بالواو كما عطف ما قبله؛ فالجواب: أن الركوع يستلزم السجود إذ لا يوجد ركوع إلا ويعقبه سجود بخلاف العكس مكانهما شيء واحد، فلذلك لم يعطفهما؛ لأن العطف يقتضي المغايرة.

فإن قلت: [لم جمع*] الطائفين والقائمين جمع سلامة، وجمع الركع السجود جمع تكسير؟ فالجواب: أن القيام أول أجزاء الصلاة، ولا بد فيه النية، وجمع السلامة إنما يصدق على العاقل [فلذا يجمع*] جمع سلامة، والركوع والسجود في أثناء الصلاة لا يحتاج فيه [إلى تجديد نية*] لأجل انسحاب حكم النية الأولى عليه [فأشبه*] جمعه غير العاقل الذي [**لا نية ولا منكر]، قلت: أو يجاب بأن الطائفين والقائمين في الصلاة أقل من الركع السجود، وأما الطواف فظاهر؛ لأن الحجاج في الناس أقل من غيرهم، وأما القيام في الصلاة فلأنه إنما كلف به الصحيح، وأما المريض لم يكلف به بخلاف السجود والركوع، فإن العاجز عن القيام يركع ويسجد.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١٦١/٣

قوله تعالى: ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ... (٢٨)﴾
قال ابن عرفة: على هنا للتعليل، أي لأجل ما رزقهم حسبما قاله ابن مالك.
قوله تعالى: (وأطعموا البائس الفقير).
والمذهب على أنه يطعم منها من انفرد بأحد الوصفين، كما يطعم من اجتمع فيه الوصفان، قال: والجواب بالفرق بين الواحد بالنوع، والواحد الشخص.
فإن قلت: هذا الحب للحيوان الطائر والناطق فهو صحيح لإمكان اجتماع الأمرين فيه بكون المائي والحيواني باعتبار نوعه، وأنه منوع للطائر، وإلى ناطق باعتبار شخصه بالتكليف هنا فإطعام الإنسان باعتبار نوعه المقسم إلى إنسان انفرد بأحدهما.

قوله تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له ... (٣٠)﴾
قال ابن عرفة: أشار بذلك احتراس من جهة أن قوله تعالى: (وليطوفوا بالبيت العتيق)، تعظيم له [فاحترس*] من ذلك ونبه على أنه ينبغي لهم أن يعتقدوا أن الطواف بها لا بذاتها بل لكونها من شعائر الله فتعظيمها تعظيم لله.
قال الزمخشري: (ذلك) خبر المبتدأ، أي الأمر والشأن ذلك كما [يقدم الكاتب*] جملة من [كتابه*] في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا، وقد كان كذا.." (١)
"ابن عطية: [ولم يبح*] في هذا المعنى إلا ما تدعو الضرورة إليه من تجريح [في الشهود*]، [وفي التعريف لمن استنصح في الخطاب ونحوهم*]، انتهى، ولما عرف عياض في المدارك بالشيخ العابد أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي السجستاني، قال: قال أبو الحسن القابسي: لما خرجنا عنه هربت من يد صبي دابة كان يمسكها لنا، فقلت: أعطيتموها لصبي لم [يقم*] لها فضاعت، فقال لي أبو إسحاق: قد [اغتبته*]؟ فقلت له: وصفته بحاله، وفي السنة ما يبيح ذلك، وهو قوله عليه السلام للتي شاورته في النكاح: "أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له"، فقال لي: لا حجة فيها لأن المستشار مؤتمن، وأيضا فإنما شاورته لتنكح في أنه يدخلها في النكاح أو يصرفها عنه، ومسلما ليست كذلك؛ بل في السنة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتاه طبيبان وكانا نصرانيين فلما خرجا، قال: "لولا أن يكون غيبة لأخبرتكم أيهما أطب".

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١٨٧/٣

قال أبو الحسن: ولم أكن أعرف أنهما نصرانيين قبل ذلك، ثم قال لي: أرأيت هذا الصبي لو سمعك لكان توجهه نفسه، وإنما كان أحب إليك [تجده*] في صحيفتك أولا، فقلت: له صدقت، انتهى.

قال شيخنا ابن عرفة: يحتمل أن يكون معنى الحديث في الطبيبين أنهما استويا في القدر المجزئ منهما المحتمل [للفرض*]، وزاد أحدهما بأمور تكميلية لا يضر تركها ولا ينقص من معرفة العلاج والمعاناة، فزاد بعلم الطبيعيات، فحينئذ يكون تفضيل أحدهما على الآخر غيبة، وأما حيث يكون المرجوح منهما لا يحصل المقصود منه في التطبيب، فالظاهر أن التعريف بذلك ليس بغيبة.

قوله تعالى: (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا).

الهمزة للإنكار على غير المخاطبين؛ لأن المخاطبين لم يفعلوا ذلك، وهذا من [**الخطاب الشعري]. الفخر، وفيه **معنى آخر** وهو أن [الاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا، ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي الميت فلا يأكل لحم الآدمي، فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب*]، انتهى. لو أريد هذا المعنى لقيل: أيأكل أحدكم، والذي في الآية إنما هو: (أيحب أحدكم أن يأكل) والمضطر يأكل الميتة وهو كاره لها غير محب لها، فصدق نفي المحبة مطلقا مع الاختيار والاضطرار. الفخر، (ميتا) حال [عن اللحم أو عن*] الأخ.." (١)

"محتملا؛ لأن يكونوا أرادوا السلام حقيقة، أو **معنى آخر** يقاربه، وعلى تقدير أن يريدوه فهو سلام لمجرد [...] فأزال المصدر الاحتمال الأول وبقي الثاني، قلت: التأكيد بالمصدر يزيل الشك عن الحديث فقط، والأمر أن يصيره كلام إبراهيم ويقوم مقام الثبوت فيه، فلما كان أبلغ فلا جواب عنه إلا ما قلنا، وتقدم في سورة هود تمام الكلام في هذا. الفخر في سورة براءة عند قوله تعالى: (وصل عليهم) في قول الرجل لغيره: (سلام عليك) لطائف، قال: ذكرتها وإن كان لا يناسب ذكرنا هذا الموضع خشية أن تضيع.

قال: قوله: (سلام) نكرة فيها معنى التعظيم الابتداء به؛ لأن في الكلام حذف صفتها، أي سلام تام كامل والخبر عليكم، أو هو صفة لسلام والخبر مقدر أي [كائن*]، وقد يترجح حذف الخبر لقصد التهويل والتعظيم، وجوابه وعليكم السلام على عكس الترتيب الأول، وسببه قول سيبويه: إنهم يقدمون الاسم وأيضا فلدلالة على الحصر في كون الجواب أبلغ، لقوله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها)، وأما [مقول الرجل لغيره السلام عليك معرفا*]، فالسلام لفظ مفرد يحلى بالألف واللام لا يفيد إلا أصل الماهية ولا إشارة له بالأحوال العارضة لها، فإذا كان التنكير أبلغ، وكذلك حيث ما جاء لفظ السلام من الله تعالى

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤٣/٤

ورد منكرا، وإنما ورد معرفا من قول [عيسى*] صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم: (والسلام علي يوم ولدت)، وكذا اختار الشافعي في التشهد تنكير السلام، قال: وسبب مشروعية السلام بين المتلاقيين ليحصل به لكل واحد منهما اعتقاد سلامته من الآخر؛ لأن الأصل في طبع الجيران الشر على الصحيح، ودفع الشر أهم وآكد من جلب الخير، قلت: ومنه قول المتنبي:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة [فلعلة*] لا يظلم

قال: وقوله: (عليكم) تقتضي مخاطبة جماعة، وذلك أن الإنسان لا يخلو عن الحفظة من الملائكة وأرواح مجانسة له.

قوله تعالى: ﴿فجاء بعجل سمين (٢٦)﴾

يدل على أن هذا العجل كان مشويا [...] منه أهله، وأنه كان من عادته تهيئة الطعام [**برسم] من يرد عليه، أو أتاهم بما كان معدا لأهله.

قوله تعالى: ﴿فأوجس منهم خيفة ... (٢٨)﴾." (١)

"قوله تعالى: (فذلك الذي يدع اليتيم).

الفاء إما جواب شرط مقدر، أي إذ لم تعرفه بهذه المقالة فاعرفه بدعه اليتيم، وإما عاطفة عطف الجمل، أو عطف المفردات.

قال الزمخشري: وذلك إما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة والموصوف محذوف، والتقدير: أرأيت الإنسان الذي يكذب بالدين، فذلك الإنسان الذي يدع اليتيم، وإن كان من عطف الذوات كان التقدير: أرأيت الشخصين اللذين أحدهما يكذب بالدين، والآخر يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، وتعقبه أبو حيان بأن ذلك معربة عن الشخص الذي يدع اليتيم، فكيف يشار به إلى الشخص الآخر المكذب بالدين، وهو غيره، فيتعين أن يكون الذي يدع اليتيم هو الذي يكذب بالدين، وأجاب شيخنا ابن عرفة عن الزمخشري بأن الإشارة هنا إلى لفظ الاسم دون معناه لا يعود الضمير على اللفظ دون المعنى، مثل: عندي درهم ونقود.

قال النابغة:

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٦٨/٤

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا ونصفه فقد

وأنشد سيبويه:

[أرى كل قوم قاربوا قيد فحلهم ... ونحن خلعنا قيده فهو سارب*]

جعل ابن عصفور ذلك كله عائدا على اللفظ فقط، أي عندي درهم آخر فاستقدم أو وانتقد الناس عليه، قال: ويحتمل أن يريد ونصف مثله، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فيحتمل أن يكون أشار إلى لفظ الإنسان المكذب بالدين والمراد إنسان آخر.

قال ابن عرفة: وفي الآية **معنى آخر** حسن وهو أن الإنسان له ثلاثة أشياء يحمد على استخدامها في أعمال البر والرشاد، ويؤمر على استخلاصها في ضد ذلك وهي: العلم، والقول، والفعل؛ فالعلم يوصل إلى التصديق بوحدانية الله تعالى، وأنه ليس في مكان ولا زمان، وغير ذلك مما يجب له ويستحيل عليه، وإن من ذلك جنة ونارا، وثوابا وعقابا، فهذا معلوم بالفعل أو بالعقل.

والفعل أن يفعل الخيرات، والقول بأن يأمر بها ويحض عليها، وقد وضعوا في الآية بعكس الأمور الثلاثة، فكذبوا بالحساب والعقاب والثواب فهذا ودع اليتيم فعل؛ لأنه [الدفع*] بعنف، ولم يحض على طعام المسكين فهذا القول؛ يقرأ الحسن بفتح الدال وتخفيف العين، ابن عرفة: وهذا أبلغ من الذم؛ لأنهم إذا ذموا على ترك اليتيم." (١)

"(٣) – الزمخشري: (نزل): تقتضي التنجيم، و (وأنزل) تقتضى الجمعية. وقال في أول كتابه: الحمد لله الذي أنزل الفرقان كلاما مؤلفا منظما، ونزله بحسب المصالح منجما.

ورد هذا ابن عطية بقوله تعالى: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب). وعادتهم يردون على الزمخشري بما هو أبين من رد ابن عطية، وهو قوله تعالى: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة).

وأجيب: بأن ذلك حيث يؤتى باللفظ مطلقا غير مقيد، وهنا قيده بقوله: (جملة واحدة).

وأجاب الزمخشري هتاك: بأن (نزل) بمعنى (أنزل) وردوا عليه بأن ذلك إنما هو في الفعل المتعدي لواحد إذا أضعف يكسبه التضعيف معنى التفريق مثل (وغلقت الأبواب)؛ لأن " غلق " – يتعدى غير مضاعف – وأما غير المتعدي فإن التضعيف فيه إنما هو " للتعدية "كالهمزة لا أنه يكسبه **معنى آخر**." (٢)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٤٨/٤

(٢) التقييد الكبير للبسيلي، البسيلي ص/٤٤٣

"التاسع عشر: والموفى والحادي والعشرون قوله (إياك نعبد) فإن تقديم الضمير معمولا للفعل الذي بعده يفيد اختصاص العبادة به، ومن اختص بالعبادة فهو الحقيق بإخلاص توحيده، ثم مادة هذا الفعل أعني لفظ نعبد تفيد **معنى آخر**، ثم المجيء بنون الجماعة الموجبة لكون هذا الكلام صادرا عن كل من تقوم به العبادة من العابدين كذلك، فكانت الدلالات في هذه الجملة ثلاثا (الأولى) في (إياك) مع النظر إلى الفعل الواقع بعده (الثانية) ما تفيده مادة نعبد مع ملاحظة كونها واقعة لمن ذلك الضمير عبارة عنه وإشارة إليه (الثالثة) ما تفيده النون مع ملاحظة الأمرين المذكورين ولا تزاحم بين المقتضيات.

الثاني والعشرون والثالث والعشرون والرابع والعشرون: قوله (وإياك نستعين) فإن تقديم الضمير معمولا لهذا الفعل له معنى، ثم مادة هذا الفعل لها **معنى آخر** فإن من كان لا يستعان بغيره لا ينبغي أن يكون له شريك، بل يجب إفراده بالعبادة وإخلاص توحيده إذ وجود من لا يستعان به كعدمه. وتقرير الكلام في الثلاث الدلالات كتقريره في إياك نعبد فلا نعيده. الخامس والعشرون والسادس والعشرون والسابع والعشرون: قوله: (اهدنا الصراط المستقيم) فإن طلب الهداية منه وحده باعتبار كون هذا الفعل واقعا بعد الفعلين اللذين تقدم معمولهما فكان له حكمهما وإن كان قد تغير أسلوب الكلام في الجملة، حيث لم يقل نستهدي أو نطلب الهداية حتى يصح أن يكون ذلك الضمير المتقدم المنصوب معمولا له تقديرا، لكن مع بقاء المخاطبة وعدم الخروج عما يقتضيه لم يقطع النظر عن ذلك الضمير الواقع على تلك الصورة لتوسطه بين هذا الفعل؛ أعني اهدنا وبين من أسند اليه، ثم في ضمير الجماعة معنى يشير إلى استحقاقه سبحانه إخلاص التوحيد على الوجه الذي قدمناه في الفعلين السابقين. ثم في كون هذه الهداية هي هداية الصراط المستقيم التي هي الهداية بالحقيقة، ولا اعتبار بهداية إلى صراط لا استقامة فيه معنى ثالث يشير إلى ذلك المدلول.." (١)

"قال الجمهور (أو على سفر) أي مستعليا على السفر ومتمكنا منه بأن كان متلبسا به وقت طلوع الفجر.

واختلف أهل العلم في السفر المبيح للإفطار فقيل مسافة قصر الصلاة، والخلاف في قدرها معروف، وبه قال الجمهور، وقال غيرهم بمقادير لا دليل عليها، والحق أن ما صدق عليه مسمى السفر فهو الذي يباح عنده الفطر، وهكذا ما صدق عليه مسمى المرض فهو الذي يباح عنده الفطر، وقد وقع الإجماع على الفطر في سفر الطاعة، واختلفوا في الأسفار المباحة، والحق أن الرخصة ثابتة فيه وكذا اختلفوا في سفر

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/٥٩

المعصية.

(فعدة من أيام أخر) أي فعليه عدة ما أفطر من أيام أخر بصومها بدله، وأخر جمع أخرى تأنيث أخر بفتح الخاء أو جمع أخرى **بمعنى آخره** تأنيث آخر بكسر الخاء، وفيه الوصف والعدل، واختلف النحاة في كيفية العدل فيه على أقوال، والعدة فعلة من العدد، وهو بمعنى المعدود أي فعلمه عدة أو فالحكم عدة أو فالواجب عدة من غير أيام مرضه وسفره، وإليه ذهب الظاهرية، وبه قال أبو هريرة، وليس في الآية ما يدل على وجوب التتابع في القضاء.

(وعلى الذين) لا (يطيقونه) لكبر أو مرض لا يرجى برؤه، وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فقيل إنها منسوخة، وإنما كانت رخصة عند ابتداء فرض الصيام، لأنه شق عليهم، وكان من أطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم وهو يطيقه ثم نسخ ذلك وهو قول الجمهور، وروي عن بعض أهل العلم أنها لم تنسخ، وأنها رخصة للشيوخ والعجائز خاصة إذا كانوا لا يطيقون الصيام إلا بمشقة، وهذا يناسب قراءة التشديد، وهو يطوقونه أي يكلفونه والناسخ لهذه الآية عند الجمهور قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (فدية طعام مسكين) وقرىء مساكين، والفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الإنسان يقي به نفسه من تقصير وقع منه." (١)

"صحيح، فتعين المصير إلى الاستئناف والجزم بأن قوله (والراسخون في العلم) مبتدأ خبره يقولون.

قال البغوي وهذا أقيس بالعربية وأشبه بظاهر الآية.

ومن جملة ما استدل به القائلون بالعطف أن الله سبحانه مدحهم بالرسوخ في العلم فكيف يمدحهم وهم لا يعلمون ذلك، ويجاب عن هذا بأن تركهم لطلب علم ما لم يأذن الله به ولا جعل لخلقه إلى علمه سبيلا هو من رسوخهم، لأنهم علموا أن ذلك مما استأثر الله بعلمه، وأن الذين يتبعونه هم الذين في قلوبهم زيغ، وناهيك بهذا من رسوخ.

وأصل الرسوخ في لغة العرب الثبوت في الشيء، وكل ثابت راسخ وأصله في الأجرام أن يرسخ الجبل أو الشجر في الأرض، فهؤلاء ثبتوا في امتثال ما جاءهم من الله من ترك اتباع المتشابه وإرجاع علمه إلى الله سبحانه.

ومن أهل العلم من توسط بين المقالين فقال التأويل يطلق ويراد به في القرآن شيئان (أحدهما) التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤل أمره إليه ومنه قوله (هذا تأويل رؤياي) ومنه قوله (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/٣٦٤

تأويله) أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمها إلا الله عز وجل، ويكون قوله (والراسخون في العلم) مبتدأ، ويقولون آمنا به خبره.

وأما إن أريد بالتأويل **المعنى الآخر** وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله (نبئنا بتأويله) أي تفسيره فالوقف على (والراسخون في العلم) لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون (يقولون آمنا به) حالا منهم.

ورجح ابن فورك أن الراسخين يعلمون تأويله، وأطنب في ذلك، وهكذا جماعة من محققي المفسرين رجحوا ذلك.." (١)

"الشيء محتملا لأمرين احتمالا لا يترجح أحدهما على الآخر باعتبار ذلك الشيء في نفسه، وذلك كالألفاظ المشتركة مع عدم ورود ما يبين المراد من معنى ذلك المشترك من الأمور الخارجة، وكذلك ورود دليلين متعارضين تعارضا كليا بحيث لا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر باعتبار نفسه ولا باعتبار أمر آخر يرجحه.

وأما ما كان واضح المعنى باعتبار نفسه بأن يكون معروفا في لغة العرب أو في عرف الشرع أو باعتبار غيره وذلك كالأمور المجملة التي ورد بيانهما في موضع آخر في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة، والأمور التي تعارضت دلالتها ثم ورد ما يبين راجحها من مرجوحها في موضع آخر من الكتاب أو السنة أو سائر المرجحات المعروفة عند أهل الأصول المقبولة عند أهل الإنصاف، فلا شك ولا ريب أن هذه من الحكم لا من المتشابه، ومن زعم أنها من المتشابه فقد اشتبه عليه الصواب.

فاشدد يديك على هذا فإنك تنجو به من مضايق ومزالق وقعت للناس في هذا المقام، حتى صارت كل طائفة تسمى ما دل على ما تذهب إليه محكما، وما دل على ما يذهب إليه ما يخالفها متشابها، سيما أهل علم الكلام، ومن أنكر هذا فعليه بمؤلفاتهم.

واعلم أنه قد ورد في الكتاب العزيز ما يدل على أنه جميعه محكم، لكن لا بهذا المعنى الوارد في الآية هذه بل **بمعنى آخر**، ومن ذلك قوله تعالى (كتاب أحكمت آياته) وقوله (تلك آيات الكتاب الحكيم) والمراد بالمحكم بهذا المعنى أنه صحيح الألفاظ قويم المعنى، فائق في البلاغة والفصاحة على كل كلام.

وورد أيضا ما يدل على أنه جميعه متشابه لكن لا بهذا المعنى الوارد في هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها،

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢/١٨٦

بل **بمعنى آخر**، ومنه قوله (كتابا متشابها) والمراد بالمتشابه بهذا المعنى أنه يشبه بعضه بعضا في الصحة والفصاحة والحسن والبلاغة." (١)

"كتابة أو إخدام طويل، فإن كان يطأ إحداهما ثم وثب على الأخرى دون أن يحرم الأولى وقف عنهما ولم يجز له قرب إحداهما حتى يحرم الأخرى، ولم يوكل ذلك إلى أمانته لأنه متهم (١).

قال القرطبي: وقد أجمع العلماء على أن الرجل إذا طلق زوجته طلاقا يملك رجعتها أنه ليس له أن ينكح أختها حتى تنقضي عدة المطلقة، واختلفوا إذا طلقها لا يملك رجعتها فقالت طائفة ليس له أن ينكح أختها ولا رابعة حتى تنقضي عدة التي طلقها روي ذلك عن علي وزيد بن ثابت ومجاهد وعطاء والنخعي والثوري وأحمد بن حنبل وأصحاب الرأي.

وقالت طائفة: له أن ينكح أختها، وينكح الرابعة لمن كان تحته أربع وطلق واحدة منهن طلاقا بائنا، وروي ذلك عن سعيد بن المسيب والحسن والقاسم وعروة بن الزبير وابن أبي ليلى والشافعي وأبي ثور وأبي عبيد، قال ابن المنذر: ولا أحسبه إلا قول مالك، وهو أيضا إحدى الروايتين عن زيد بن ثابت وعطاء.

وقوله (إلا ما قد سلف) يحتمل أن يكون معناه ما تقدم من قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف) ويحتمل **معنى آخر** وهو جواز ما سلف، وأنه إذا جرى الجمع في الجاهلية كان النكاح صحيحا وإذا جرى في الإسلام خير بين الأختين، والصواب الإحتمال الأول (وإن الله كان غفورا) لما سلف منكم قبل النهي (رحيما) بكم في ذلك.

---

(١) وقد روى فيروز الديلمي قال: أسلمت وعندي أختان فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: " طلق إحداهما " رواه ٤/ ٢٣٢ وأبو داود ٣/ ١٥٨ والترمذي ٣/ ٤٣٦ وابن ماجة ١/ ٦٢٧. وفي رواية " اختر أيتهما شئت ".." (٢)

"إن لي خادما قال فأنت من الملوك، وقال مجاهد جعل لهم أزواجا وخدما وبيوتا (١).

وقد ثبت في الحديث الصحيح " من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " (٢) والظاهر أن المراد بالآية الملك الحقيقي، ولو كان **بمعنى آخر** لما كان للامتنان به كثير معنى.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨٨/٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧٨/٣

فإن قلت: قد جعل غيرهم ملوكا كما جعلهم، قلت قد كثر الملوك فيهم كما كثر الأنبياء، فهذا وجه الامتنان. (وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين) أي من المن والسلوى والحجر والغمام وكثرة الأنبياء وكثرة الملوك وفلق البحر وإهلاك عدوكم وغير ذلك، والمراد عالمي زمانهم أو الأمم الخالية إلى زمانهم.

وقيل: إن الخطاب ههنا لأمة محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو عدول عن الظاهر لغير موجب والصواب ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أنه من كلام موسى لقومه، وخاطبهم بهذا الخطاب توطئة وتمهيدا لما بعده من أمره لهم بدخول الأرض المقدسة.

---

(١) ابن كثير ٢/ ٣٦.

(٢) صحيح الجامع ٥٩١٨.." [١]

"(ذلك) أي الأمر ذلك، وهذا وأمثاله يطلق ويذكر للفصل بين الكلامين أو بين طرفي كلام واحد كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في **معنى آخر** قال هذا، وقد كان كذا، قاله أبو حيان في البحر، أو المعنى. افعلوا ذلك، والمشار إليه هو ما سبق من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) جمع حرمة، وهي ما لا يحل انتهاكه.." [٢]

"وقيل المعنى ما يعبأ بكم أي بمغفرة ذنوبكم لولا دعاؤكم الآلهة معه وممن قال إن الدعاء مضاف إلى الفاعل القتيبي والفارسي، قالا والأصل لولا دعاؤكم آلهة من دونه، وجواب لولا محذوف أي لولا دعاؤكم لم يعذبكم، قال أبو السعود: أمر رسوله بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما عدد من محاسنهم، ولولاها لم يعتد بهم أصلا، يعني إنما اكترث بأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم لأجل عبادتهم وحدها لا **لمعنى آخر**، ولولا عبادتهم لم يكترث بهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالي به قاله الزمخشري.

ثم خص الكفار منهم فقال (فقد كذبتم) وقرأ ابن الزبير فقد كذب الكافرون وبه قرأ ابن عباس وابن مسعود كما حكاه ابن جني وفي هذه القراءة دليل بين على أن الخطاب لجميع الناس ويكون معنى فقد كذبتم على الأول فقد كذبتم ما دعيتم إليه وعلى الوجه الثاني فقد كذبتم بالتوحيد، ثم قال سبحانه (فسوف يكون لزاما) أي يكون جزاء التكليف لازما لكم، وجمهور المفسرين على أن المراد باللزام هنا ما لزم المشركين يوم

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣/٣٨٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٩/٤٣

بدر، وبه قال ابن مسعود وقالت طائفة هو عذاب الآخرة، قال أبو عبيد: لزاما فيصلا بينكم وبين المؤمنين، وقال الزجاج: يكون تكذيبكم لزاما يلزمكم فلا تعطون التوبة، وجمهور القراء على كسرة اللام من لزاما قال ابن جرير: لزاما عذابا دائما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم بعضا، وقرأ أبو السماك لزاما بفتح اللام قال أبو جعفر: يكون مصدر لزم والكسر أولى قال ابن عباس: لزاما موتا وقيل وبالا.

وفي الصحيحين عنه قال: " قد مضين " أي خمس علامات دالات (١) على قيام الساعة الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام.

---

(١) مسلم ٢٧٩٨ – البخاري ٥٧٠.." [1]

"تكون استفهامية، وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة، بل هما قسمان كل منهما قسم برأسه و (أي) تنقسم إلى أقسام كثيرة. قال النحاس وحقيقة القول في ذلك الاستفهام معنى، وما قبله **معنى آخر**، فلو عمل فيه ما قبلها لدخل بعض المعاني في بعض، والله أعلم.

وقال القرطبي: معناه أي مصير يصيرون؟ وأي مرجع يرجعون؟ لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العذاب، وهو شر مرجع. والفرق بين المنقلب والمرجع أن المنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه؛ والمرجع العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها، فصار كل مرجع منقلبا، وليس كل منقلب مرجعا ذكره الماوردي.

والمعنى عند الحسن وابن عباس أن الظالمين يطمعون في الانقلاب من عذاب الله، والانفكاك منه، ولا يقدرون على ذلك. وعن فضالة بن عبيد في الآية قال هؤلاء الذين يخربون البيت. والحمد لله رب العالمين." (٢)

"سالم، واختارها أبو عبيد، قال لأن السالم الخالص ضد المشترك والسلم ضد الحرب، ولا موضع للحرب ههنا، وأجيب عنه بأن الحرف إذا كان له معنيان لم يحمل إلا على أولالهما، فالسلم وإن كان ضد الحرب فله **معنى آخر** بمعنى سالم من سلم له كذا إذا خلص له، وأيضا يلزمه في سالم ما ألزم به لأنه يقال شيء سالم أي لا عاهة به، واختار أبو حاتم القراءة الأولى، والحاصل أن قراءة الجمهور هي على الوصف بالمصدر للمبالغة أو على حذف مضاف، أي ذا سلم، ومثلها قراءة سعيد بن جبير ومن معه، قال ابن

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٥٨/٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٣٣/٩

عباس، رجلا سلما أي ليس لأحد فيه شيء، ثم جاء سبحانه بما يدل على التفاوت بين الرجلين فقال: (هل يستويان مثلا) وهذا الاستفهام للإنكار والاستبعاد، والمعنى هل يستوي هذا الذي يخدم جماعة شركاء؟ أخلاقهم مختلفة، ونياتهم متباينة، يستخدمه كل واحد منهم فيتعب وينصب، مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمته، وهذا الذي يخدم واحدا لا ينازعه غيره إذا أطاعه رضي عنه، وإذا عصاه عفا عنه؟ فإن بين هذين من الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل أن يتفوه باستوائهما لأن أحدهما في أعلى المنازل، والآخر في أدناها، وانتصاب مثلا على التمييز المحول عن الفاعل لأن الأصل هل يستوي مثلهما؟ أي حالهما وصفتهما؟ وأفرد التمييز ولم يثنه لأن الأصل في التمييز الإفراد لكونه مبنيا للجنس، وقال السمين وأفرد التمييز لأنه مقتصر عليه أولا في قوله ضرب الله مثلا، وقرىء مثلين فطابق حالي الرجلين.

وجملة (الحمد لله) مقررة لما قبلها من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وللإيذان للموحدين بما في توحيدهم لله من النعمة العظيمة المستحقة لتخصيص الحمد به، أي الحمد لله على عدم استواء هذين الرجلين، وقيل: الجملة اعتراضية فإن قوله (بل أكثرهم لا يعلمون) إضراب انتقالي من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس، وهم المشركون، فإنهم لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ووضوحه." (١)

"(لله ملك السموات والأرض) أي له التصرف فيهما بما يريد لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، والملك بالضم الاستيلاء على الشيء والتمكن من التصرف فيه، وفي المصباح وملك على الناس أمرهم ملكا من باب ضرب إذا تولى السلطنة فهو ملك والاسم الملك بضم الميم.

(يخلق ما يشاء) من الخلق (يهب لمن يشاء إناثا) بدل مفصل من مجمل أي لا ذكور معهن، قاله مجاهد والحسن والضحاك وأبو مالك وأبو عبيدة وقال ابن عباس يريد لوطا وشعيبا لأنهما لم يكن لهما إلا البنات. (ويهب لمن يشاء الذكور) أي لا إناث معهم، يريد إبراهيم لأنه لم يكن له إلا الذكور، قاله ابن عباس، قيل: وتعريف الذكور بالألف واللام للدلالة على شرفهم على الإناث، ويمكن أن يقال إن التقديم للإناث قد عارض ذلك فلا دلالة في الآية على المفاضلة، بل هي مسوقة لمعنى آخر، وقد دل على شرف الذكور قوله سبحانه:

(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله) وغير ذلك من الأدلة الدالة على شرف الذكور على الإناث،

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١١/١٢

وقيل: تقديم الإناث لكثرتهن بالنسبة إلى الذكور. وقيل: لتطيب قلوب آبائهن، وقيل لغير ذلك مما لا حاجة إلى." (١)

"(وترى كل أمة) الخطاب لكل من يصلح له أو للنبي صلى الله عليه وسلم، والأمة الملة والرؤية بصرية أو علمية، وفيه بعد ومعنى قوله: (جاثية) مستوفزة والمستوفز الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبتاه، وأطراف أنامله قال الضحاك: وذلك عند الحساب، وقيل معنى جاثية مجتمعة، قال ابن عباس، وقال الفراء: المعنى وترى أهل كل دين مجتمعين، وقال عكرمة متميزة عن غيرها، وقال مؤرج: معناه بلغة قريش خاضعة، وقال الحسن باركة على الركب والجثو الجلوس على الركب تقول: جثا يجثو ويجثي جثوا.

وجثيا إذا جلس على ركبتيه، والأول أولى، ولا ينافيه ورود هذا اللفظ **لمعنى آخر** في لسان العرب، وقد ورد إطلاق الجثوة على الجماعة من كل شيء في لغة العرب.

وعن عبد الله بن بأبأه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كأني أراكم بالكوم دون جهنم جاثين "، ثم قرأ سفيان هذه الآية أخرجه البيهقي في البعث، وعبد الله ابن أحمد في زوائد الزهد، وابن أبي حاتم وسعيد بن منصور.

وعن ابن عمر في الآية قال: "كل أمة مع نبيها حتى يجيء رسول الله." (٢)

"والمعاصي، الموجبة لدخول النار والتحريف والتبديل، قال الزمخشري: ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل، إلا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد في (ولن يتمنوه)، ومرة بغير لفظه في (ولا يتمنونه) قال أبو حيان: وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو أن لن تقتضي النفي على التأبيد إلى مذهب الجماعة، وهو أنها لا تقتضيه، قلت: ليس فيه رجوع، غاية ما فيه أنه سكت عنه، وتشريكه بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص لن **بمعنى آخر**.

(والله عليم بالظالمين) يعني على العموم، وهؤلاء اليهود داخلون فيهم دخولا أوليا، ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يقول لهم: إن الفرار من الموت لا ينجيهم، وأنه نازل بهم فقال:." (٣)

"(كأنهم) أي كفار قريش (يوم يرونها) أي يوم يرون الساعة ويعاينوها (لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أي يستقصرون مدة لبثهم ويزعمون أنهم لم يلبثوا إلا قدر آخر نهار أو أوله، أو قدر الضحى الذي يلي تلك

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١٩/١٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٣٢/١٢

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣٥/١٤

العشية، والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال لم يلبثوا إلا ساعة من نهار، وقيل لم يلبثوا في قبورهم.

قال الفراء والزجاج: المراد بإضافة الضحى إلى العشية إضافته إلى يوم العشية على عادة العرب يقولون آتيك الغداة أو عشيتها، وآتيك العشية أو غداتها فتكون العشية في **معنى آخر** النهار، والغداة في معنى أول النهار، وزاد زاده أن الضحى والعشية لما كانتا من يوم واحد كان بينهما ملابسة مصححة لإضافة إحداهما إلى الأخرى.

قال المحلي: وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة أي من الفواصل.

والجملة تقرير لما يدل عليه الإنذار من سرعة مجيء المنذر به، والعشية هي من الزوال إلى غروب الشمس، والضحى هو البكرة إلى الزوا ل.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (من جاء بالحسنة فله خير منها)

قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ [القصص:٨٤].

﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ [القصص:٨٤] كما قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام:١٦٠].

أي: من جاء بالحسنة جزي عنها بعشر إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله.

﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ [الأنعام:١٦٠] أي: سيئة بسيئة، وقد يغفرها الله ويرحم مرتكبها إن كان موحدا ثم تاب منها.

والحسنة هنا: هي كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله، ولا شيء أعلى وأخير من (لا إله إلا الله) إلا رؤية الله في الآخرة، فمن مات موحدا يعتقد أن لا إله إلا الله بالجنان ونطق بها اللسان وعملت بها الأركان، يكرمه الله يوم القيامة بدخول الجنان، وبرؤية الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣]، عليها نضرة النعيم، وفيها جمال النعمة، وراحة النعمة، ثم تكرم بالنظر إلى وجه الله الكريم.

ومعنى آخر للحسنة أنها بعشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى ولا يكافأ ولا يعاقب ولا يقابل إلا بما عمله، أي: سيئة بسيئة إذا لم يغفرها الله، ولا تغفر السيئة إن كانت كفرا أو شركا.." (٢)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧٢/١٥

(٢) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٧/١٥٦

"صفة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين

قال تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا﴾ [الأحزاب:٥٦].

أي: كما أن الله جلت رفعته وعز مقامه يصلي على نبيه ويشيد به ويثني عليه في الملأ الأعلى، ويرحمه دواما واستمرارا، وبما أن الملائكة الكرام يدعون لنبينا عليه الصلاة والسلام في كل زمن وحين وإلى يوم القيامة، فأنتم كذلك يا هؤلاء الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

وصلاتنا كصلاة الملائكة أي: ندعو له برفع مقامه وعلو درجته في الفردوس الأعلى، ونسلم عليه تسليما.

وتسليما: مفعول مطلق، أي: نسلم عليه كثيرا ودواما عند زيارته في المسجد النبوي وفي البعد وحيث كنا من أرض الله تعالى.

عندما نزلت هذه الآية جاء الأصحاب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا له: (يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، وأما الصلاة فكيف نصلي عليك؟) أي: أن السلام تعلموه من التحيات حيث كان يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من على المنبر كما يعلمهم السورة من القرآن، وفي التحيات (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته).

فهم علموا معنى السلام، ولكن الصلاة في لغة العرب: هي الدعاء، فجاء الاصطلاح وغير هذا المعنى إلى اصطلاح شرعي، فكانت الصلاة هي الصلاة المعروفة عندنا بالتكبير مع الطهارة واستقبال القبلة، مع قراءة الفاتحة والسورة، مع الركوع والسجود والارتفاع من الركوع ومن السجود، إلى ركعات معدودة اثنتين وأربعا وأربعا وثلاثا وأربعا، جهرية وسرية.

فهم قد علموا أن الصلاة انتقلت من مصطلحها اللغوي في العبادة إلى اصطلاحها الشرعي، فعندما قيل لهم: صلوا، فلم يدروا الصلاة على رسول الله كيف هي، هل سيصلون عليه هذه الصلاة بمفهومها الشرعي؟ فهم يعلمون أن الله وحده المعبود، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عبد لله وتلك أشرف صفاته وأسماها وأعلاها.

إن التحية هي: السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وقد ألغى الله سلام العرب في الجاهلية، وألغى سلام الأمم الأخرى في الجابهلية، وقد كانوا يقولون: عم صباحا وعم مساء، والمسلمون اليوم تركوا السلام الإسلامي وصاروا يقولون: صباح الخير، مساء الخير، وهذه تحية جاهلية، وليست تحية إسلامية، وكانوا يسلمون على الأمراء في الجاهلية ويقولون: أبيت اللعن، أي: أبيت وامتنعت عما يوجب اللعن، فألغى الله تعالى هذه التحية أيضا، فجعل التحية بيننا: السلام عليكم، نقولها لرسول الله حيا وميتا، ويقولها لنا رسول

الله عندما كان حيا عليه الصلاة والسلام، ونسلم على بعضنا كذلك، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ [النساء:٨٦].

فإذا قال المسلم: السلام عليكم، فرد السلام واجب وجوب كفاية، فتقول له: وعليكم السلام، وإن زدت وقلت: وعليكم السلامة ورحمة الله فحسن.

فإن قال هو ابتداء: السلام عليكم ورحمة الله، فزد أنت: وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته، ولا زيادة على قولك وبركاته.

فإذا سلم المسلم وقال: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، فرد التحية بهذا اللفظ ولا زيادة.

فالصحابة قالوا: (يا رسول الله، أما السلام عليك فقد علمناه فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد)، والحديث رواه الجماعة: البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، ومالك في موطئه، وأحمد في مسنده، والشافعي في مسنده، وأصحاب السنن الأربعة في سننهم وهم: أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، فهذه تسمى الصلاة الإبراهيمية، ولها ألفاظ أشملها وأعمها هذا اللفظ.

وفي بعض الروايات: (اللهم صل على محمد و أزواجه وذريته) وذكر الذرية بعد الزوجات ينفي المعنى الذي يقوله من لا يعلم: إن الآل هم جميع المسلمين، وليس الأمر كذلك، بل الآل هم أزواج رسول الله وذريته، ولا ذرية لرسول الله إلا من بنته فاطمة.

فكان السلام على الآل سلاما على الأزواج، وهن من خاطبهن الله بقوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب:٣٣] فكان الخطاب لأمهات المؤمنين، وعندما نزلت الآية في بيت أم سلمة نادى ابنته فاطمة وزوجها عليا وابنيهما الحسن والحسين عليهما السلام، وكان عليه كساء أسود فلفهم به وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا).

وهو ما فسره الحديث الصحيح الذي رواه الجماعة: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد).

وقوله: (اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته) وذكر الذرية لا يبقي مجالا **لمعنى آخر**." (١)

"تفسير قوله تعالى: (يس)

يس هما حرفان ياء وسين، وكثير من المفسرين يحلو لهم أن يأتوا إلى بعض المفردات فيقولون: هي حبشية

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٤/٢١٠

أو رومية، وذلك كلام لا معنى له ولا وجود له، فالقرآن بكل مفرداته عربي مبين، قال ذلك ربنا في قوله: ﴿قرآنا عربيا﴾ [يوسف:٢].

وورد ذلك في العشرات من الآيات والسور، وقد تحمس لهذا المعنى الإمام الشافعي إمام المجتهدين واللغويين، فقد كان الشافعي إماما في اللغة وفي الأدب وفي النحو وفي البلاغة والبيان والبديع، وأعلم بذلك من غيره من الأئمة، فذكر في كتابه الرسالة وهي مطبوعة أكثر من مرة -وأكملها وأصحها مع تخريج الأحاديث الطبعة التي طبعها آخر محدثي مصر: أحمد شاكر رحمه الله-: أنه ليس في القرآن كلمة ليست بعربية، وقد قال: كل ما ذكر الناس من العلماء أو المفسرين فإنما هو كلام من كلامهم، وقولا من أقاويلهم، وليس على ذلك دليل لا من لغة ولا من حق ولا من تاريخ.

ويس قالوا عنها كذلك، وليس قولهم بصحيح، فياء إحدى حروف الهجاء العربية، وسين حرف من حروف الهجاء العربية كذلك، فأين الحبشية والرومية؟ وقد اختلفوا في يس ما معناها؟ فقالوا: من الحروف المقطعة كالمر والم وكهيعص.

واختلفوا في معناها إن لم تكن كذلك، فقال قوم: إن يس اسم من أسماء الله، قال ذلك مالك وأكده، فحرم على الإنسان أن يسمى بيس، قال: لأننا لا نعلم ما معناها، وقد تكون من بعض المعاني التي اختص الله بها، كما أن اسم الجلالة (الله) لا يجوز لمخلوق أن يسمى به، كذلك يس لا نعلم معناها، فإن سمينا بها يوشك أن يكون معناها مختصا بالله، فلا يجوز لأحد أن يسمى بها، وإن كان الإنسان قد يسمى ببعض أسماء الله كمالك ومريد وقادر، وهي أسماء نسبية، والله هو القادر المطلق، فهو مالك الملك وملك الملوك، وهو الذي يفعل ما يريد، ولكن إن سمي بذلك أحد الناس فهي أشياء نسبية كما أقول: رزقت أهلي وأولادي، ورزقت المساكين، فهو اسم نسبي، وإلا فالله هو الرازق الذي رزقني ورزقهم، وليس ما أعطيتهم إلا من مال الله، قال تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ [النور:٣٣].

وقال بعضهم: (يس) معناها: يا إنسان! وقال بعضهم: معناها: أيها السيد! وقال بعضهم: معناها: يا سيد البشر! وفي هذه الحالة تكون اسما من أسماء رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقال بعضهم: معناها: هي اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورووا في ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: (أنا عند الله وفي كتابه اسمي محمد وأحمد وطه ويس).

وهكذا اختلف في معناها بين أن تكون اسما لله أو اسما لرسوله صلى الله عليه وسلم، أو يا إنسان! أو يا رجل! أو يا سيد! أو يا سيد البشر! أو يا محمد! وليس في هذا شيء يمكن أن يصار إليه؛ لأن هذا يحتاج

إلى دليل، والحديث الذي رووه ليس صحيحا حتى يعتمد دليلا، ولو صح لأجمعوا عليه، ولما ذكروا لـ (يس) **معنى آخر**.

وقال الجمهور: هي كلمتان من كلمات الحروف الهجائية العربية كالم وطه، وهذه المعاني التي لا نستطيع أن نجزم بمعناها.

وعلى كل فهي آية من آيات الله، وإن كانت اسما لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقول كثيرون فهي منقبة كبيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان معناها: يا سيد البشر! فتكون أعظم وأكمل وأكرم، وليس سيد البشر إلا النبي عليه الصلاة والسلام، فهو الذي قال الله عنه: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ [البقرة:٢٥٣].

قال المفسرون: الذي رفع درجات عن بقية الأنبياء هو محمد العربي سيد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وهو الذي أكرمه الله باليوم الموعود وباليوم العظيم، يوم الشفاعة العظمى، وهو الذي قال عن نفسه: (أنا سيد ولد آدم) عليه الصلاة والسلام، وهو الذي صلى بالأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى ليلة الإسراء أعاده الله للإسلام، وسحق اليهود وطردهم بفضله وكرمه فقد صلى بهم إماما؛ دلالة على أنه إمامهم وكبيرهم وسيدهم، وهذا موضع إجماع المسلمين لا يختلفون فيه.

وقد حاول الزمخشري في تفسيره أن يفضل جبريل على نبينا عليه الصلاة والسلام، فرد عليه المفسرون عن قوس واحدة ووبخوه ولاموه، وقالوا: قد أتى بما لا دليل عليه، فلم يرد في جبريل لا في كتاب الله ولا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته ما يشير إلى أفضليته لا من قريب ولا من بعيد، ولكنها زلة من زلات العلماء.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة)

قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت:٣٤ - ٣٥].

يقول ربنا وهو يوازن ويقارن بين الخير والشر، وبين الرحمن والشيطان، وبين الكفران والإيمان: ((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة)).

أي: لا يكونان سواء في رتبة واحدة ومنزلة واحدة، فالحسنة في معناها الأعم هي الإسلام، والسيئة في معناها الأعم الكفر بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن كتابا.

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٣/٢٣٧

قال تعالى: ((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن)) وكان هذا في مكة، والآية مكية، وأما في المدينة فلم يدفعوا بالحسنة ولا بالمعروف، فإنهم لما حوربوا ظلما وعدوانا في عقيدتهم وفي أوطانهم وفي أخلاقهم دفعوا ذلك بالسيف والقوة، وكل قوة بحسب عصرها، وكما قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [الأنفال:٦٠].

ولما كان السيف والرمح والمنجنيق والجواد هي القوة استعملها السلف الصالح؛ لأنها هي قوة الزمان، وأما إذا أصبحت القوة هي الصاروخ والطائرة والدبابة وأنواع التدمير والتخريب إلى القنبلة الذرية وغيرها فسيأمرنا الله أن نفعل ذلك، وأن نتقوى بذلك ونتسلح به، ويدخل ذلك في عموم قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [الأنفال:٦٠]، وهذه الأشياء لا تريد أكثر من دراسة سنوات من الشباب وما يشترى به ذلك ويصنع به، ومع هذا ما لا يزال المسلمون مقصرين فيه، ويذهبون متسولين إلى دول شرقية وغربية؛ لعلها تتكرم عليهم وتجود لهم بشيء من الأسلحة، ولا تكاد تجود إلا بما أتى عليه الزمان وأصبح لا يصلح لشيء ولا يتم إلا بهم؛ ليبقوا المسيطرين، وتبقى أسرارنا وسلاحنا وجيوشنا وقوتنا بأيديهم، وهذا البلاء هو الذي فتت وحدتنا وأضاع قوتنا وشتت دولتنا وغلب علينا اليهود إخوان القردة والخنازير وعبدة الطاغوت.

((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن)) ويبقى معناها كذلك: ادفع بالتي هي أحسن من معنى آخر، ويصلح هذا ادفع بالتي هي أحسن أي: من سابك فلا تسبه، ومن هجرك من المؤمنين فلا تهجره، ومن قاطعك فلا تقاطعه، ومن جهل عليك فلا تجهل عليه، كما قال تعالى في سورة أخرى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف:١٩٩].

هذا المعنى الثاني للآية، وهو الذي قاله جمهور المفسرين للآية: ((ادفع بالتي هي أحسن))، أي: ادفع بالخصلة التي هي أحسن من عملهم ومن خصلتهم وأكرم من فعالهم ومن إيذائهم وظلمهم.

قوله: ((ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم))، أي: إذا دافعت قريبا أو صديقا، والكلام هنا بين المسلمين لا بين المؤمن والكافر، بل الكافر لا بد من حربه وردعه، ولا بد من قتاله وإذلاله؛ لأن في قتاله نصرا للإسلام وفي إذلاله عزا للإسلام، ومن خالف ذلك وخرج عنه كان كمن اشترى الذل والهوان ورضيه لنفسه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (المؤمن لا يذل نفسه).

ويقول الله جل جلاله: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [المنافقون:٨].

ويقول: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران:١٣٩].

فنحن الذين نزعم الإيمان والإسلام الأعلون، فلا يليق باثني عشر ألفا من المسلمين أن يقبلوا الدنية، فكيف

إذا كنا اثني عشر مليونا؟ وكيف إذا كنا مليارا من الخلق -ألف مليون من البشر- في شمال الدنيا وجنوبها وفي مشارقها ومغاربها؟ ولكن حقت علينا كلمة العذاب عندما تركنا كتاب الله وراءنا ظهريا وتركنا قائدنا صلى الله عليه وسلم وعصيناه وخالفناه، فأصبحنا كما قال عنا في حياته: (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! أمن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ينزع الرعب من قلوب عدوكم ويلقى الوهن في قلوبكم؛ لحبكم الدنيا وكراهيتكم للموت).

وقديما قال أبو بكر رضي الله عنه في أول معركة إسلامية بين الكفر والإيمان بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أرسل خالد بن الوليد قائدا عاما لقتال المرتدين ومانعي الزكاة: يا خالد! اطلب الموت توهب لك الحياة، ولو طلبت الحياة لأعطيت الموت، والأنفاس والأرزاق معدودة محصية لا تزيد ولا تنقص، فلا الحرص يزيدها طولا ولا الأمل والطمع ينقصها، فالأعمار قد جفت بها الأقلام ورفعت بها الصحف، وكان ما كان في اللوح المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يبدل القول فيه لدى ربنا سبحانه وتعالى.

إذا: فقوله تعالى: ((ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة)) هذا مع الإخوة المسلمين، ادفع بالكلمة الأحسن وبالكلمة الطيبة، ((فإذا الذي بينك وبينه عداوة)).

وسواء كان من أقاربك أو من إخوانك المسلمين، فإذا شتمك فاصبر له، وإذا قاطعك فلا تقطعه، وخاصة إذا كان هذا القريب والحميم زوجة أو زوجا أو أخا أو أختا أو عما أو عمة أو ذا صلة بك مثل صلة الدم والقرابة، فعامل سوءهم بإحسانك، وقطيعتهم بإكرامك وشدتهم بلينك وتحملهم.

قال تعالى: ((فإذا الذي بينك وبينه عداوة))، أي: فإذا من كان عدوا لك حريصا على إيذائك والقضاء عليك وإذلالك ينقلب وليا حميما وصديقا قريبا ذا صداقة وأخوة حارتين ويعود حريصا على قربك وعلى الإحسان لك ويندم على ما صدر منه وبدر.

قال ابن عباس: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف:١٩٩].

وفي الآية التي عقب هذه الآية يأمرنا الله أن نلتزم مع المسلمين والسماحة والمغفرة والتغاضي عن الذنوب وعن الإساءة؛ سواء كانت بالقول أو بالفعل أو بأخذ المال وعلى أي طريقة كانت، كما قال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ [الأعراف:١٩٩]، أي: ما تعارف عليه الناس من أخلاق وصلاة ومعاملة، ﴿وأعرض

عن الجاهلين﴾ [الأعراف:١٩٩] والجاهلون هم الذين جهلوا مقامك وجهلوا الأخلاق الفاضلة والسنة النبوية، وجهلوا ما يجب عليهم أن يفعلوه مع إخوانهم المسلمين، فأعرض عنهم، فإذا أنت صنعت ذلك إذا بالعدو يصبح أخا حميما كريما وصديقا محبا.." (١)

"﴿ولو شآء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ : يعني من إيمان أو كفر ، قال معناه الضحاك ، وهو قول أهل السنة ، وذلك تسلية للرسول. كما كان يقاسيه من كفر قومه ، وتوقيف على أن ذلك راجع إلى مشيئته ، ولكن من سبقت له السعادة أدخله في رحمته. وقال الزمخشري : ﴿لجعلهم أمة واحدة﴾ : أي مؤمنين كلهم على القسر والإكراه ، كقوله : ﴿ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها﴾ ، وقوله : ﴿ولو شآء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا ﴾ . والدليل على أن المعنى هو الإيحاء إلى الإيمان قوله : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ، وذكر ما ظنه استدلالا على ذلك ، وهو على طريق الاعتزال. وقال أنس بن مالك : ﴿فى رحمتها﴾ : في دين الإسلام. ﴿أم اتخذوا من دونها أوليآء﴾ ، أم بمعنى بل ، للانتقال من كلام إلى كلام ، والهمزة للإنكار عليهم اتخاذ أولياء من دون الله. وقيل : أم بمعنى الهمزة فقط ، وتقدم الكلام على مثل هذا ، حيث جاءت أم المنقطعة ، والمعنى : اتخذوا أولياء دون الله ، وليسوا بأولياء حقيقة ، فالله هو الولي ، والذي يجب أن يتولى وحده ، لا ما لا يضر ولا ينفع من أوليائهم. ولما أخبر أنه هو الولي ، عطف عليه هذا الفعل الغريب الذي لا يقدر عليه غيره ، وهو إحياء الموتى. ولما ذكر هذا الوصف ، ذكر قدرته على كل شيء تتعلق إرادته به. وقال الزمخشري : في قوله : ﴿فالله هو الولى﴾ ، والفاء في قوله : ﴿فالله هو الولى﴾ جواب شرط مقدر ، كأنه قيل : بعد إنكار كل ولي سواه ، وإن أراد وأوليا بحق ، فالله هو الولي بالحق ، لا ولي سواه. انتهى. ولا حاجة إلى تقدير شرط محذوف ، والكلام يتم بدونه.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠٦

﴿وما اختلفتم فيه من شىء﴾ : هذا حكاية لقول الرسول ، أي ما اختلفتم فيه أيها الناس من تكذيب أو تصديق وإيمان وكفر وغير ذلك ، فالحكم فيه والمجازاة عليه ليس ذلك إلا إلى الله ، لا إلي ، ولفظة من شيء تدل على العموم. وقيل : من شيء من الخصومات ، فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره ، كقوله : ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾ . وقيل : ﴿من شىء﴾ : من تأويل آية واشتبه عليكم ، فارجعوا في بيانه إلى آي المحكم من كتاب الله ، والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل : ما وقع منكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٣/٣٠٤

بتكليفكم ، ولا طريق لكم إلى علمه ، فقولوا : الله أعلم ، كمعرفة الروح. وقال الزمخشري : أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمور الدين ، فحكم ذلك المختلف فيه مفوض إلى الله ، وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاتبة المبطلين. ﴿ذالكم﴾ : الحكم بينكم هو ﴿ربى عليه توكلت﴾ في رد كيد أعداء الدين ، وإليه أرجع في كفاية شرهم. انتهى. وقرأ الجمهور : ﴿فاطر﴾ بالرفع ، أي هو فاطر ، أو خبر بعد خبر كقوله : ﴿ذالكم﴾ . وقرأ زيد بن علي : فاطر بالجر ، صفة لقوله : ﴿إلى الله﴾ ، والجملة بعدها اعتراض بين الصفة والموصوف.

﴿جعل لكم من أنفسكم﴾ : أي من جنس أنفسكم ، أي

٥٠٩

آدميات ، ﴿أزواجا﴾ : إناثا ، أو جعل الخلق لأبينا آدم من ضلعه حواء زوجا له خلقا لنا ، ﴿ومن الانعام أزواجا ﴾ : أي أنواعا كثيرة ، ذكورا وإناثا ، أو أزواجا إناثا. ﴿يذرؤكم فيه﴾ ، قال ابن عباس : أي يجعل لكم فيه معيشية تعيشون بها. وقال ابن زيد : يرزقكم فيه ، وهو قريب من القول قبله. وقال مجاهد : يخلقكم في بطون الإناث. وقال ابن زيد أيضا : نذرأكم فيما خلق من السموات والأرض. وقال الزجاج : يكثركم به ، أي فيه ، أي يكثركم في خلقكم أزواجا. وقال علي بن سليمان : ينقلكم من حال إلى حال. وقال ابن عطية : الضمير في فيه للجعل ، أي يخلقكم ويكثركم في الجعل ، كما تقول : كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه ، قال : ولفظة ذرأ تزيد على لفظة خلق **معنى آخر** ليس في خلق ، وهو توالي الطبقات على مر الزمان.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠٦

". (١)

"أي الناس الكرام ، وجوزوا أن تكون خائنة مصدرا ، كالعافية والعاقبة ، أي يعلم خيانة الأعين. ولما كانت الأفعال التي يقصد بها التكتم بدنية ، فأخفاها خائنة الأعين من كسر جفن وغمز ونظر يفهم معنى ويريد صاحب **معنى آخر** وقلب ، وهو ما تحتوي عليه الضمائر ، قسم ما ينكتم به إلى هذين القسمين ، وذكر أن علمه متعلق بهما التعلق التام. وقال الزمخشري : ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين ، لأن قوله : ﴿وما تخفى الصدور﴾ لا يساعد عليه. انتهى ، يعني أنه لا يناسب أن يكون مقابل المعنى إلا المعنى ، وتقدم أن الظاهر أن يكون التقدير الأعين الخائنة ، والظاهر أن قوله : يعلم خائنة الأعين الآية متصل بما

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

قبله ، لما أمر بإنكاره يوم الآزفة ، وما يعرض فيه من شدة الكرب والغم ، وأن الظالم لا يجد من يحميه من ذلك ، ولا من يشفع له.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٤

ذكر اطلاعه تعالى على جميع ما يصدر من العبد ، و أنه مجازي بما عمل ، ليكون على حذر من ذلك اليوم إذا علم أن الله مطلع على أعماله. وقال ابن عطية : يعلم خائنة الأعين متصل بقوله : ﴿سريع الحساب﴾ ، لأن سرعة حسابه للخلق إنما هي بعلمه الذي لا يحتاج معه إلى روية وفكر ، ولا لشيء مما يحتاجه المحاسبون. وقالت فرقة : يعلم متصل بقوله : لا يخفي على الله منهم شيء ، وهذا قول حسن ، يقويه تناسب المعنيين ، ويضعفه بعد الآية من الآية وكثرة الحائل. انتهى. وقال الزمخشري : فإن قلت : فإن قلت : بم اتصل قوله : يعلم خائنة الاعين ؟قلت : هو خبر من أخبار هو في قوله : ﴿هو الذى يريكم البرق﴾ ، مثل : ﴿يلقى الروح﴾ ، ولكن من يلقي الروح قد علل بقوله : ﴿لينذر يوم التلاق﴾ ، ثم أسقط وتذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله : ﴿ولا شفيع يطاع﴾ ، فبعد لذلك عن إخوانه. انتهى. وفي بعض الكتب المنزلة ، انا مرصاد الهمم ، انا العالم بحال الفكر وكسر العيون. وقال مجاهد : خائنة الأعين : مسارقة النظر إلى ما لا يجوز ؛ ومثل المفسرون خائنة الأعين بالنظر الثاني إلى حرمة غير الناظر ، وما تحفي الصدور بالنظر الأول الذي لا يمكن رفعه.

﴿والله يقضى بالحق﴾ : هذا يوجب عظيم الخوف ، لأن الحاكم إذا كان عالما بجميع الأحوال لا يقضي إلا بالحق في ما دق وجل خافه الخلق غاية. ﴿والذين يدعون من دونها لا يقضون بشىء ﴾ : هذا قدح في أصنامهم وتهكم بهم ، لأن ما لا يوصف بالقدرة ، لا يقال فيه يقضي ولا يقضي. وقرأ الجمهور : ﴿يدعون﴾ بياء الغيبة لتناسب الضمائر الغائبة قبل. وقرأ أبو جعفر ، وشيبة ، ونافع : بخلاف عنه ؛ وهشام : تدعون بتاء الخطاب ، أي قل لهم يا محمد. ﴿إن الله هو السميع البصير﴾ : تقرير لقوله : ﴿يعلم خآئنة الاعين وما تخفى الصدور﴾ ، وعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعلمون وتعريض بأصنامهم أنها لا تسمع ولا تبصر. ﴿أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾ : أحال قريشا على الاعتبار بالسير ، وجاز أن يكون فينظروا مجزوما عطفا على يسيروا وأن يكون منصوبا على جواب النفي ، كما قال :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٤

ألم تسأل فتخبرك الرسوم

وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة ، وحمل الزمخشري هم على أن يكون فصلا ولا يتعين ، إذ يجوز أن يكون هم توكيدا لضمير كانوا. وقرأ الجمهور : منهم بضمير الغيبة ؛ وابن عامر : منكم بضمير الخطاب على سبيل الالتفات. ﴿أولم يسيروا فى﴾ : معطوف على قوة ، أي مبانيهم وحصونهم وعددهم كانت في غاية الشدة. ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا﴾ . وقال الزمخشري : أو أرادوا أكثر آثارا لقوله :

متقلدا سيفا ورمحا

٤٥٧

انتهى. أي : ومعتقلا رمحا ، ولا حاجة إلى ادعاء الحذف مع صحة المعنى بدونه. ﴿من واق﴾ : أي وما كان لهم من عذاب الله من ساتر بمنعهم منعه. ﴿ذالك﴾ : أي الأخذ ، وتقدم تفسير نظير ذلك.

﴿ولقد أرسلنا موسى باايااتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب * فلما جآءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبنآء الذين ءامنوا معه واستحيوا نسآءهم وما كيد الكافرين إلا فى ضلال * وقال﴾ .

ابتدأ تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام ، ووعيد القريش أن يحل بهم ما حل بفرعون وقومه من نقمات الله ،

٤٥٨

". (١)

"مما سمعوا من تذكير وموعظة ، فعلي هذا الخطاب في جاؤوكم للرسول ، وقيل : للمؤمنين الذين كانوا بحضرة الرسول. وهاتان الجملتان حالان ، وبالكفر وبه حالان أيضا أي : ملتبسين. ولذلك دخلت قد تقريبا لها من زمان الحال **ولمعنى آخر** وهو : أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لإظهار ما تكتمونه ، فدخل حرف التوقع وخالف بين جملتي الحال اتساعا في الكلام. وقال ابن عطية : وقوله : وهم ، تخليص من احتمال العبارة أن يدخل قوم بالكفر وهم قد خرجوا به ، فأزال الاحتمال قوله تعالى : وهم قد خرجوا به ، أي هم بأعيانهم انتهى. والعامل في الحالين آمنا أي : قالوا ذلك وهذه حالهم. وقيل : معنى هم للتأكيد في إضافة الكفر إليهم ، ونفى أن يكون من الرسول ما يوجب كفرهم من سوء معاملته لهم ، بل كان يلطف بهم ويعاملهم بأحسن معاملة. فالمعنى : أنهم هم الذين خرجوا بالكفر باخ‍تيار أنفسهم ، لا أنك أنت الذي تسببت لبقائهم في الكفر. والذي نقول : إن الجملة

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

الإسمية الواقعة حالا المصدرة بضمير ذي الحال المخبر عنها بفعل أو اسم يتحمل ضمير ذي الحال آكد من الجملة الفعلية ، من جهة أنه يتكرر فيها المسند إليه فيصير نظير : قام زيد زيد. ولما كانوا حين جاءوا الرسول أو المؤمنين قالوا : آمنا ملتبسين بالكفر ، كان ينبغي لهم أن لا يخرجوا بالكفر ، لأن رؤيته صلى الله عليه وسلم كافية في الإيمان. ألا ترى إلى قول بعضهم حين رأى الرسول : علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، مع ما يظهر لهم من خوارق الآيات وباهر الدلالات ، فكان المناسب أنهم وإن كانوا دخلوا بالكفر أن لا يخرجوا به ، بل يخرجون بالرسول مؤمنين ظاهرا وباطنا. فأكد وصفهم بالكفر بأن. كرر المسند إليه تنهبيا على تحققهم بالكفر وتماديهم عليه ، وأن رؤية الرسول م تجد عنهم ، ولم يتأثروا لها. وكذلك إن كان ضمير الخطاب فـي : وإذا جاءوكم قالوا آمنا ، كان ينبغي لهم أن يؤمنوا ظاهرا وباطنا لما يرون من اختلاف المؤمنين وتصديقهم للرسول ، والاعتماد على الله تعالى والرغبة في الآخرة ، والزهد في الدنيا ، وهذه حال من ينبغي موافقته. وكان ينبغي إذ شاهدوهم أن يتبعوهم على دينهم ، وأن يكون إيمانهم بالقول موافقا لاعتقاد قلوبهم. وفي الآية دليل على جواز مجيء حالين لذي حال واحد ، إن كانت الواو في : وهم ، واو حال ، لا واو عطف ، خلافا لمن منع ذلك إلا في أفعل التفضيل. والظاهر أن الدخول والخروج حقيقة. وقيل : هما استعارة ، والمعنى : تقلبوا في الكفر أي دخلوا في أحوالهم مضمرين الكفر وخرجوا به إلى أحوال أخر مضمرين له ، وهذا هو التقلب. والحقيقة في الدخول انفصال بالبدن من خارج مكان إلى داخله ، وفي الخروج انفصال بالبدن من داخله إلى خارجة.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٥

﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ أي من كفرهم ونفاقهم. وقيل من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وفي هذا مبالغة في إفشاء ما كانوا يكتمونه من المكر بالمسلمين والكيد والعداوة.

﴿وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحتا لبئس ما كانوا يعملون﴾ يحتمل ترى أن تكون بصرية ، فيكون يسارعون صفة : وأن تكون علمية ، فيكون مفعولا ثانيا. والمسارعة : الشروع بسرعة. والإثم الكذب. والعدوان الظلم. يدل قوله عن قولهم الإثم على ذلك ، وليس حقيقة الإثم الكذب ، إذ الإثم هو المتعلق بصاحب المعصية ، أو الإثم ما يختص بهم ، والعدوان ما يتعدى بهم إلى غيرهم. أو الإثم الكفر ، والعدوان الاعتداء. أو الإثم ما كتموه من الإيمان ، والعدوان ما يتعدى فيها. وقيل : العدوان تعديهم حدود الله أقوال خمسة. والجمهور على أن السحت هو الرشا ، وقيل : هو الربا ، وقيل : هو الرشا وسائر مكسبهم الخبيث. وعلق الرؤية بالكثير منهم ، لأن بعصهم كان لا يتعاطى ذلك المجموع أو بعضه ، وأكثر

استعمال المسارعة في الخير فكأن هذه

٥٢١

المعاصي عندهم من قبيل الطاعات ، فلذلك يسارعون فيها. والإثم يتناول كل معصية يترتب عليها العقاب ، فجرد من ذلك العدوان وأكل السحت ، وخصا بالذكر تعظيما لهاتين المعصيتين وهما : ظلم غيرهم ، والمطعم الخبيث الذي ينشأ عنه عدم قبول الأعمال الصالحة. وقرأ أبو حيوة : العدوان بكسر ضمة العين ، وتقدم الكلام في ما بعد بئس في قوله : ﴿بئسما اشتروا بها﴾ .

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٥

." (١)

"﴿ذوا عدل منكم أو ءاخران من غيركم﴾ ﴿ذوا عدل﴾ صفة لقوله ﴿اثنان﴾ و﴿منكم﴾ صفة أخرى و﴿من غيركم﴾ صفة لآخران ، قال الزمخشري ﴿منكم﴾ من أقاربكم و﴿من غيركم﴾ من الأجانب ﴿إن أنتم ضربتم فى الارض﴾ يعني أن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح ، وقيل ﴿منكم﴾ من المسلمين وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر ، وعن مكحول نسخها قوله : ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ انتهى. وما اختاره الزمخشري وبدأ به أولا هو قول ابن عباس وعكرمة والحسن والزهري قالوا أمر الله بإشهاد عدلين من القرابة إذ هم أحق بحال الوصية وأدرى بصورة العدل فيها فإن كان الأمر في سفر ولم تحضر قرابة أسندها إلى غيرهما من المسلمين الأجانب وهذا القول مخالف لما ذكره الزمخشري وغيره من المفسرين حتى ابن عطية قال لا نعلم خلافا أن سبب هذه الآية أن تميما الداري وعدي بن زياد كانا نصرانيين وساقا الحديث المذكور أولا فهذا القول مخالف لسبب النزول وأما القول الثاني الذي حكاه الزمخشري هو مذهب أبي موسى وابن المسيب ويحيى بن يعمر وابن جبير وأبي مجلز وابراهيم وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وقتادة

٤٠

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٨

والسدي ، وروي ذلك عن ابن عباس وبه قال الثوري ومال إليه أبو عبيد واختاره أحمد قالوا : معنى قوله : ﴿منكم﴾ من المؤمنين ومعنى ﴿من غيركم﴾ من الكفار ، قال بعضهم وذلك أن الآية نزلت ولا يؤمن إلا

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤١٧/٣

بالمدينة وكانوا يسافرون بالتجارة صحبة أهل الكتاب وعبدة الأوثان وأنواع الكفار ومذهب أبي موسى وشريح وغيرهما أن الآية محكمة ، قال أحمد : شهادة أهل الذمة جائزة على المسلمين في السفر عند عدم المسلمين ورجح أبو عبد الله الرازي هذا القول قال : قوله : ﴿ذلك بأن الذين كفروا ﴾ خطاب لجميع المؤمنين فلما قال : ﴿يا أيها الذين ءامنوا شهادة﴾ كان من غير المؤمنين لا محالة وبأنه لو كان الآخران مسلمين لم يكن جواز الاستشهاد بهما مشروطا بالسفر لأن المسلم جائز استشهاده في الحضر والسفر وبأنه دلت الآية على وجوب الحلف من بعد الصلاة وأجمع المسلمون على أن الشاهد لا يجب تحليفه فعلمنا أنهما ليسا من المسلمين وبسبب النزول وهو شهادة النصرانيين على بديل وكان مسلما وبأن أبا موسى قضى بشهادة يهوديين بعد أن حلفهما وما أنكر عليه أحد من الصحابة فكان ذلك إجماعا وباتفاق أكثر الأمة على أن سورة المائدة من آخر ما نزل وليس فيها منسوخ ، وقال أبو جعفر النحاس ناصرا للقول الأول : هذا ينبني على معنى غامض في العربية وذلك أن **معنى آخر** في العربية من جنس الأول تقول مررت بكريم وكريم آخر فقوله آخر يدل على أنه من جنس الأول ولا يجوز عند أهل العربية مررت بكريم وخسيس آخر ولا مررت برجل وحمار آخر فوجب من هذا أن يكون معنى قوله أو آخران من غيركم أي عدلان والكفار لا يكونون عدولا انتهى ، وما ذكره في المثل صحيح إلا أن الذي في الآية مخالف للمثل التي ذكرها النحاس في التركيب لأنه مثل بآخر وجعله صفة لغير جنس الأول. وأما الآية فمن قبيل ما تقدم فيه آخر على الوصف واندرج آخر في الجنس الذي قبله ولا يعتبر جنس وصف الأول تقول : جاءني رجل مسلم وآخر كافر ومررت برجل قائم وآخر قاعد واشتريت فرسا سابقا وآخر مبطئا فلو أخرت آخر في هذه المثل لم تجز المسألة لو قلت : جاءني رجل مسلم وكافر آخر ومررت برجل قائم وقاعد آخر واشتريت فرسا سابقا ومبطئا آخر لم يجز وليست الآية من هذا القبيل إلا أن التركيب فيها جاء ﴿اثنان ذوا عدل منكم أو ءاخران من غيركم﴾ فآخران من جنس قوله ﴿اثنان﴾ ولا سيما إذا قدرته رجلان اثنان فآخران هما من جنس قولك رجلان اثنان ولا يعتبر وصف قوله ﴿ذوا عدل منكم﴾ وإن كان مغايرا لقوله من غيركم كما لا يعتبر وصف الجنس في قولك عندي رجلان اثنان مسلمان وآخران كافران إذ ليس

٤١

من شرط آخر إذا تقدم أن يكون من جنس الأول بعيد وصفه وهو على ما ذكرته هو لسان العرب قال الشاعر :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٨

كانوا فريقين يصغون الزجاج علىقعس الكواهل في أشداقها ضخم

وآخرين على الماذي فوقهم

من نسج داود أو ما أورثت إرم

(١) ".

"﴿ونقلب أفادتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا بها أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ الظاهر أن قوله : ﴿ونقلب﴾ جملة استئنافية أخبر تعالى أنه يفعل بهم ذلك وهي إشارة إلى الحيرة والتردد وصرف الشيء عن وجهه. والمعنى أنه تعالى يحولهم عن الهدى ويتركهم في الضلال والكفر. وكما للتعليل أي يفعل بهم ذلك لكونهم لم يؤمنوا به أول وقت جاءهم هدى الله كما قال تعالى : ﴿وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ ويؤكد هذا **المعنى آخر** الآية ﴿ونذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ أي ونتركهم في تغمطهم في الشر والإفراط فيه يتحيرون ، وهذا كله إخبار من الله تعالى بفعله بهم في الدنيا. وقالت فرقة : هذا الإخبار هو على تقدير : أنه لو جاءت الآية التي اقترحوها صنعنا بهم ذلك. ولذلك قال الزمخشري ﴿ونقلب أفادتهم﴾ ﴿ونذرهم﴾ عطف على ﴿لا يؤمنون﴾ داخل في حكم ﴿وما يشعركم﴾ بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون ﴿وما يشعركم﴾ إنا ﴿ونقلب أفادتهم وأبصارهم﴾ أي فنطبع على أبصارهم وقلوبهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها ، لكونهم ﴿وما يشعركم﴾ إنا ﴿ويمدهم في طغيانهم﴾ أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم ونصرفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه انتهى.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٨٣

وهذا معنى ما قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد قالوا : لو أتيناهم بآية كما سألوا لقلبنا أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها ، وحلنا بينهم وبين الهدى فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها ، عقوبة لهم على ذلك. والفرق بين هذا القول والذي بدأنا به أولا أن ذلك استئناف إخبار بما يفعل بهم تعالى في الدنيا. وهذا إخبار على تقدير مجيء الآية المقترحة فذلك واقع وهذا غير واقع ، لأن الآية المقترحة لم تقع فلم يقع ما رتب عليها.

وقال مقاتل : نقلب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان وعن الآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات.

وقيل : تقليبها بإزعاج نفوسهم هما وغما.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٢/٤

وقال الكرماني : مغناه أنا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الأعين منهم انتهى.
ولا يستقيم هذا التفسير لقوله : ﴿كما لم يؤمنوا بها أول مرة﴾ لا على التعليل ولا على التشبيه إلا أن جعل متعلقا بقوله ﴿إذا جآءت لا يؤمنون﴾ أي ﴿كما لم يؤمنوا بها أول مرة﴾ فيصح على بعد في تفسير التقليب بإحاطة العلم.
وقال الكعبي : المراد أنا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والألطاف من حيث أخرجوا أنفسهم عن الهداية بسبب الكفر انتهى.
وهو على طريقة الاعتزالي ومعنى تقليب القلب والبصر ما ينشأ عن القلب والبصر من الدواعي إلى الحيرة والضلال ، لأن القلب والبصر يتقلبان بأنفسهما فنسبة التقليب إليهما مجاز. وقدمت الأفئدة لأن موضع الدواعي والصوارف هو القلب فإذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر إليه شاء أم أبى ، وإذا حصلت الصوارف في القلب انصرف البصر عنه وإن كان تحدق النظر إليه ظاهرا وهذه التفاسير على أن ذلك في الدنيا.
وقالت فرقة : إن ذلك إخبار من الله تعالى يفعل بهم ذلك في الآخرة.
فروي عن ابن عباس أنه جواب لسؤالهم
٢٠٣
في الآخرة الرجوع إلى الدنيا. والمعنى لو ردوا لحلنا بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا انتهى. وهذا ينبو عنه تركيب الكلام.
وقيل : تقليبها في النار في جهنم على لهيبها وجمرها ليعذبوا ﴿كما لم يؤمنوا بها أول مرة﴾ يعني في الدنيا وقاله الجبائي.
وقال أبو الهذيل : تقليب أفئدتهم بلوغها الحناجر كما قال تعالى : ﴿وأنذرهم يوم الازفة﴾ .
جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٨٣
وقيل : تقليب أبصارهم إلى الزرقة وحمل ذلك على أنه في الآخرة ضعيف قلق النظم ، لأن التقليب في الآخرة وتركهم في الطغيان في الدنيا ، فيختلف الظرفان من غير دليل على اختلافهما ، بل الظاهر أن ذلك إخبار مستأنف كما قررناه أولا ، والكاف في كما ذكرنا أنها للتعليل ، وهو واضح فيها وإن كان استعمالها فيه قليلا. وقالت فرقة كما : هي بمعنى المجازاة أي لما ﴿لم يؤمنوا بها أول مرة﴾ نجاريهم بأن ﴿ولا أفادتهم﴾ عن الهدى ونطيع على قلوبهم. فكأنه قال : ونحن نقلب أفئدتهم وأبصارهم جزاء لما ﴿لم يؤمنوا

بها أول مرة﴾ بما دعوا إليه من الشرع. قاله ابن عطية ، وهو معنى التعليل الذي ذكرناه إلا أن تسمية ذلك بمعنى المجازاة غريبة ، لا يعهد في كلام النحويين أن الكاف للمجازاة.قيل : للتشبه
." (١)

"﴿قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار﴾ . أي يقول الله لهم أي لكفار العرب وهم المفترون الكذب والمكذبون بالآيات وذلك يوم القيامة وعبر بالماضي لتحقق وقوعه وقوله ذلك على لسان الملائكة ويتعلق ﴿فى أمم﴾ في الظاهر بادخلوا والمعنى في جملة أمم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف فيكون في موضع الحال و﴿قد خلت من قبلكم﴾ أي تقدمتكم في الحياة الدنيا أو تقدمتكم أي تقدم ذخولها في النار وقدم الجن لأنهم الأصل في الإغواء والإضلال ودل ذلك على أن عصاة الجن يدخلون النار ، وفي النار متعلق بخلت على أن المعنى تقدم دخولها أو بمحذوف وهو صفة لأمم أي في أمم سابقة في الزمان كائنة من الجن والإنس كائنة في النار أو بادخلوا على تقدير أن تكون في بمعنى مع وقد قاله بعض المفسرين فاختلف مدلول في إذ الأولى تفيد الصحبة والثانية تفيد الظرفية وإذا اختلف مدلول الحرف جاز أن يتعلق اللفظان بفعل واحد ويكون إذ ذاك ﴿أدخلوا ﴾ قد تعدى إلى الظرف المختص بفي وهو الأصل وإن كان قد تعدى في موضع آخر بنفسه لا بوساطة في كقوله ﴿وقيل ادخلا النار﴾ ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ ويجوز أن تكون في باقية على مدلولها من الظرفية و﴿فى النار﴾ كذلك ويتعلقان بلفظ ﴿أدخلوا ﴾ وذلك على أن يكون ﴿فى النار﴾ بدل اشتمال كقوله قتل أصحاب الأخدود النار ويجوز أن يتعدى الفعل إلى حرفي جر بمعنى واحد على طريقة البدل. ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ ﴿كلمآ﴾ للتكرار ولا يستوي ذلك في الأمة الأولى فاللاحقة تلعن السابقة أو يلعن بعض الأمة الداخلة بعضها ومعنى ﴿أختها ﴾ أي في الدين والمعنى كلما دخلت أمة من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان وغيرهم من الكفار ، وقال الزمخشري : ﴿أختها ﴾ التي ضلت بالاقتداء بها انتهى ، والمعنى أن أهل النار يلعن بعضهم بعضا ويعادي بعضهم بعضا ويكفر بعضهم ببعض ، كما جاء في آيات أخر.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٨٥

﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار﴾ ﴿حتى ﴾ غاية لما قبلها والمعنى أنهم يدخلون فوجا ففوجا لاعنا بعضهم بعضا إلى انتهاء تداركهم وتلاحقهم في النار واجتماعهم فيها وأصل ﴿اداركوا ﴾ تداركوا أدغمت التاء في الدال فاجتلبت همزة الوصل ، قال ابن

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٦٣/٤

عطية ، وقرأ أبو عمرو بقطع ألف الوصل ، قال أبو الفتح : هذا مشكل ولا يسوغ أن يقطعها ارتجالا فذلك إنما يجيء شاذا في ضرورة الشعر في الاسم أيضا لكنه وقف مثل وقفة المستنكر ثم ابتدأ فقطع ، وقرأ مجاهد بقطع الألف وسكون الدال وفتح الراء بمعنى أدرك بعضهم بعضا ، وقرأ حميد أدركوا بضم الهمزة وكسر الراء أي ادخلوا في إدراكها ، وقال مكي في قراءة مجاهد : إنها ادركوا بشد الدال المفتوحة وفتح الراء قال وأصلها ادتركوا وزنها افتعلوا ، وقرأ ابن مسعود والأعمش تداركوا ورويت عن أبي عمر انتهى ، وقال أبو البقاء ، وقرىء إذا ﴿إذا اداركوا ﴾ بألف واحدة ساكنة والدال بعدها مشددة وهو جمع بين ساكنين وجاز في المنفصل كما جاز في المتصل ، وقد قال : بعضهم اثنا عشر بإثبات الألف وسكون العين انتهى ويعني بقوله كما جاز في المتصل نحو الضالين وجان و﴿أخراهم﴾ الأمة الأخيرة في الزمان التي وجدت ضلالات مقررة مستعملة ﴿لاولاهم﴾ التي شرعت ذلك وافترت وسلكت سبيل الضلال ابتداء أو ﴿أخراهم﴾ منزلة ورتبة وهم الأتباع والسفلة ﴿لاولاهم﴾ منزلة ورتبة وهم القادة المتبوعون ، أو ﴿أخراهم﴾ في الدخول إلى النار وهم ﴿أخراهم لاولاهم﴾ دخولا وهم القادة أقوال آخرها لمقاتل ، وقال ابن عباس : آخر أمة لأول أمة وأخرى هنا **بمعنى آخرة** مؤنث آخر فمقابل أول لا مؤنث له آخر بمعنى غير لقوله ﴿وزر أخرى ﴾ واللام في ﴿لاولاهم﴾ لام السبب أي لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم ﴿أضلونا﴾ شرعوا لنا الضلال أو جعلونا نضل وحملونا عليه ضعفا زائدا على عذابنا إذ هم كافرون ومسببو كفرنا.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٨٥

". (١)

"﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط﴾ هذا نفي مغيا بمستحيل والولوج التقحم في الشيء وذكر الجمل لأنه أعظم الحيوان المزاول للإنسان جنة فلا يلج إلا في باب واسع كما قال ، لقد عظم البعير بغير لب ، وقال : جسم الجمال وأحلام العصافير ، وذكر ﴿سم الخياط﴾ لأنه يضرب به المثل في ضيق المسلك يقال : أضيق من خرت الإبرة ، وقيل : للدليل خريت لاهتدائه في المضايق تشبيها بإخرات الإبرة والمعنى أنهم لا يدخلون الجنة أبدا ، وقرأ ابن عباس فيما روى عنه شهره بن حوشب ومجاهد وابن يعمر وأبو مجلز والشعبي ومالك بن الشخير وأبو رجاء وأبو رزين وابن محيصن وإبان عن عاصم الجمل بضم الجيم وفتح الميم مشددة وفسر بالفلس الغليظ وهو حبل السفينة تجمع حبال وتفتل وتصير حبلا واحدا ، وقيل : هو الحبل الغليظ من القنب ، وقيل : الحبل الذي يصعد به في النخل ، وروي عن ابن

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٢٤١

عباس ولعله لا يصح أن الله أحسن تشبيء١ من أن يشبه بالجمل يعني أنه لا يناسب والحبل يناسب الخيط الذي يسلك به في خرم الإبرة ، وعن الكسائي أن الذي روى ﴿الجمل﴾ عن ابن عباس كان أعجميا فشدد الجيم لعجمته ، قال ابن عطية : وهذا ضعيف لكثرة أصحاب ابن عباس على القراءة المذكورة انتهى ، ولكثرة القراء بها غير ابن عباس ، وقرأ ابن عباس أيضا في رواية مجاهد وابن جبير وقتادة وسالم الأفطي بضم الجيم وفتح الميم مخففة ، وقرأ ابن عباس في رواية عطاء والضحاك والجحدري بضم الجيم والميم مخففة ، وقرأ عكرمة وابن جبير في رواية بضم الجيم وسكون الميم الجمل ، وقرأ المتوكل وأبو الجوزاء بفتح الجيم وسكون الميم ومعناه في هذه القراءات الفلس الغليظ وهو حبل السفينة وقراءة الجمهور ﴿الجمل﴾ بفتح الجيم والميم أوقع لأن سم الإبرة يضرب بها المثل في الضيق والجمل وهو هذا الحيوان المعروف يضرب به المثل في عظم الجثة كما ذكرنا ، وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال روح الناقة وذلك منه استجهال للسائل ومنع منه أن يتكلف له **معنى آخر** ، وقرأ عبد الله وقتادة وأبو رزين وابن مصرف وطلحة بضم سين ﴿سم﴾ ، وقرأ أبو عمران الحوفي وأبو نهيك والأصمعي عن نافع بكسر السين﴿سم﴾ ، وقرأ عبد الله وأبور رزين وأبو مجلز

٢٩٧

المخيط بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء ، وقرأ طلحة بفتح الميم.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٨٥

﴿وكذالك نجزى المجرمين﴾ أي مثل ذلك الجزاء ﴿نجازى ﴾ أهل الجرائم ، وقال الزمخشري ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل وأن كل من أجرم عوقب ثم كرره تعال فقال ﴿وكذالك نجزى الظالمين﴾ لأن كل مجرم ظالم لنفسه انتهى ، وفيه دسيسة الاعتزال. ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواشا وكذالك نجزى الظالمين﴾ هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب كما قال لهم ﴿من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ والغواشي جميع غاشية ، قال ابن عباس والقرظي وابن زيد : هي ا للحف ، وقال عكرمة : يغشاهم الدخان من فوقهم ، وقال الزجاج : غاشية من النار ، وقال الضحاك : المهاد الفرش والغواشي اللحف والتنوين في ﴿غواش﴾ تنوين صرف أو تنوين عوض قولان وتنوين عوض من الياء أو من الحركة قولان كل ذلك مقرر في علم النحو ، وقرىء ﴿غواش﴾ بالرفع كقراءة عبد الله ﴿وله الجوار المنشاات﴾ .

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٨٥

". (١)

"تستعمل لفظة الذات على أنها لزيمة ما يضاف إليه وإن لم يكن نفسه وعينه وذلك في قوله ﴿عليما بذات الصدور﴾ م و﴿ذات الشوكة﴾ ويحتمل ذات البين أن تكون هذه وقد يقال الذات أيضا **بمعنى آخر** وإن كان يقرب من هذا وهو قولهم فعلت كذا ذات يوم ومنه قول الشاعر :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٥٤

لا ينبح الكلب فيها غير واحدةذات العشاء ولا تسري أفاعيها

وذكر الطبري عن بعضهم أنه قال ذات بينكم الحال التي بينكم كما ذات العشاء الساعة التي فيها العشاء ووجهه الطبري ، وهو قول بين الانتقاض انتهى وتلخص أن البين يطلق على الفراق ويطلق على الوصل وهو قول الزجاج هنا قال ومثله لقد تقطع بينكم ويكون ظرفا بمعنى وسط ، ويحتمل ذات أن تضاف لكل واحد من هذه المعاني وإنما اخترنا في أنه بمعنى الفراق لأن استعماله فيه أشهر من استعماله في الوصل ولأن إضافة ذات إليه أكثر من إضافة ذات إلى بين الظرفية لأنها ليست كثيرة التصرف بل تصرفها كتصرف أمام وخلف وهو تصرف متوسط ليس بكثير ، وأمر تعالى أولا بالتقوى لأنها أصل للطاعات ثم بإصلاح ذات البين لأن ذلك أهم نتائج التقوى في ذلك الوقت الذي تشاجروا فيه ، ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله فيما أمركم به من التقوى والإصلاح وغير ذلك ومعنى إن كنت مؤمنين أي كنتم كاملي الإيمان ، وتسنن هنا الزمخشري واضطرب فقال : وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها ومعنى إن كنتم مؤمنين إن كنتم كاملي الإيمان. قال ابن عطية : كما يقول الرجل إن كنت رجلا فافعل كذا أي إن كنت كامل الرجولية ، قال : وجواب تلشرط في قوله المتقدم وأطيعوا هذا مذهب سيبويه ومذهب أبي العباس أن الجواب محذوف متخر يدل عليه المتقدم تقديره إن كنتم مؤمنين أطيعوا ومذهبه في هذا أن لا يتقدم الجواب على الشرط انتهى. والذي مخالف لكلام النحاة فإنهم يقولون إن مذهب سيبويه أن الجواب محذوف وأن مذهب أبي العباس وأبي زيد الأنصاري والكوفيين جواز تقديم جواب الشرط عليه وهذا النقل هو الصحيح.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٥٤

﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم ءاياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٤٣/٤

قرىء وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرأ ابن مسعود فرقت ، وقرأ أبي فزعت وينبغي أن تحمل هاتان القراءتان على التفسير ولما كان معنى ، إن كنتم مؤمنين ، قال : إنما المؤمنون أي الكاملو الإيمان ، ثم أخبر عنهم بموصول وصل بثلاث مقامات عظيمة مقام الخوف ، ومقام زيادة الإيمان ، ومقام التوكل ، ويحتمل قوله إذا ذكر الله أن يذكر اسمه ويلفظ به تفزع قلوبهم لذكره استعظاما له وتهيبا وإجلالا ويكون هذا الذكر مخالفا للذكر في قوله ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ لأن ذكر الله هنالك رأفته ورحمته وثوابه ويحتمل أن يكون ذكر الله على حذف مضاف أي ذكرت عظمة الله وقدرته وما خوف به من عصاه قاله الزجاج ، وقال السدي : هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيفزع عنها وفي الحديث في السبع الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب فقال إني أخاف الله ، ومعنى زادتهم إيمانا أي يقينا وتثبيتا لأن تظاهر الأدلة وتظافرها أقوى على الطمأنينة المدلول عليه وأرسخ لقدمه. وقيل المعنى أنه إذا كان لم يسمع حكما من أحكام القرآن منزل للنبي

٤٥٧

صلى الله عليه وسلم فآمن به زاد إيمانا إلى سائر ما قد آمن به إذ لكل حكم تصديق خاص ، ولهذا قال مجاهد عبر بزيادة الإيمان عن زيادة العلم وأحكامه. وقيل زيادة الإيمان كناية عن زيادة العمل ، وعن عمر بن عبد العزيز أن للإيمان سنة وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ، وقيل هذا في الظالم يوعظ فيقال له اتق الله فيقلع فيزيده ذلك إيمانا والظاهر أن قوله ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ داخل في صلة الذين كما قلنا قبل ، وقيل هو مستأنف وترتيب هذه المقامات أحسن ترتيب فبدأ بمقام الخوف إما خوف الإجلال والهيبة وإما خوف العقاب ، ثم ثانيا بالإيمان بالتكاليف الواردة ، ثم ثالثا بالتفويض إلى الله والانقطاع إليه ورخص ما سواه.

." (١)

"الظاهرة والمدة المديدة ، وحسن ذلك لأنه طال مكث النبي صلى الله عليه وسلم معه ، وكثر منه التحذير عن معصية الله والترغيب في طاعة الله. قال بعضهم : المحادة المخالفة ، حاددته خالفته ، واشتقاقه من الحد أي كان على حد غير حادة كقولك : شاقة ، كان في شق غير شقه. وقال أبو مسلم : المحادة مأخوذة من الحديد ، حديد السلاح. والمحادة هنا ، قال ابن عباس : المخالفة. وقيل : المحاربة. وقيل : المعاندة. وقيل : المعادة. وقيل : مجاوزة الحد في المخالفة. وهذه أقوال متقاربة. وقرأ الجمهور

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٧٢/٤

فإن له بالفتح ، والفاء جواب الشرط. فتقتضي جملة وإن له مفرد في موضع رفع على الابتداء ، وخبره محذوف قدره الزمخشري : مقدما نكرة أي : فحق أن يكون وقدره غيره : متأخرا أي فإن له نار جهنم واجب ، قاله : الأخفش ، ورد عليه بأن أن لا يبتدأ بها متقدمة على الخبر ، وهذا مذهب سيبويه والجمهور. وأجاز الأخفش والفراء وأبو حاتم الابتداء بها متقدمة على الخبر ، فالأخفش خرج ذلك على أصله. أو في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي : فالواجب أن له النار. قال علي بن سليمان : وقال الجرمي والمبرد : إن الثانية مكررة للتوكيد ، كان التقدير : فله نار جهنم ، وكرر أن توكيدا. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون فإن له معطوفا على أنه ، على أن جواب من محذوف تقديره : ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فإن له نار جهنم انتهى ، فيكون فإن له نار جهنم في موضع نصب. وهذا الذي قدره لا يصح ، لأنهم نصوا على أنه إذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا في اللفظ ، أو مضارعا مجزوما بلم ، فمن كلامهم : أنت ظالم إن فعلت ، ولا يجوز أن تفعل ، وهنا حذف جواب الشرط ، وفعل الشرط ليس ماضي اللفظ ولا مضارعا مقرونا بلم ، وذلك إن جاء في كلامهم فمخصوص بالضرورة. وأيضا فتجد الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب. ونقلوا عن سيبويه أن أن بدل من أنه. قال ابن عطية : وهذا معترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى. والأولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد أن لم يتم جواب الشرط ، وتلك الجملة هي الخبر. وأيضا فإن الفاء مانع البدل وأيضا ، فهي معنى آخر غير الأول ، فيقلق البدل. وإذا تلطف للبدل فهو بدل اشتمال انتهى. وقال أبو البقاء : وهذا يعني البدل ضعيف لوجهين : أحدهما : أن الفاء التي معها تمنع من ذلك ، والحكم بزيادتها ضعيف. والثاني : أن جعلها بدلا يوجب سقوط جواب الكلام انتهى. وقيل : هو على إسقاط اللام أي : فلأن له نار جهنم ، فالفاء جواب الشرط ، ويحتاج إلى إضمار ما يتم به جواب الشرط جملة أي : فمحادته لأن له نار جهنم. وقرأ ابن أبي عبلة : فإن له بالكسر في الهمزة حكاها عنه أبو عمرو الداني ، وهي قراءة محبوب عن الحسن ، ورواية أبي عبيدة عن أبي عمرو ، ووجهه في العربية قوي لأن الفاء تقتضي ال ا ستئناف ، والكسر مختار لأنه لا يحتاج إلى إضمار ، بخلاف الفتح. وقال الشاعر :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٦١

فمن يك سائلا عني فإنيوجروة لا ترود ولا تعار

وعلى هذا يجوز في أن بعد فاء الجزاء وجهان : الفتح ، والكسر. ذلك لأن كينونة النار له خالدا فيها هو الهوان العظيم كما قال : ﴿ربنآ إنك من تدخل النار فقد أخزيتها﴾ .

﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ :
كان المنافقون يعيبون الرسول
٦٥
ويقولون : عسى الله أن لا يفشي سرنا فنزلت ، قاله مجاهد. وقال السدي : قال بعضهم : وددت أني جلدت مائة ولا ينزل فيناشيء يفضحنا ، فنزلت. وقال ابن كيسان : وقف جماعة منهم للرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به فأخبره جبريل عليه السلام فنزلت. وقيل قالوا في غزوة تبوك : أيرجو هذا الرجل أن يفتح له قصور الشام وحصونها : هيهات هيهات فأنزل الله قل استهزؤوا. والظاهر أن يحذر خبر ، ويدل عليه أن الله مخرج ما تحذرون. فقيل : هو واقع منهم حقيقة لما شاهدوا الرسوليخبرهم بما يكتمونه ، وقع الحذر والخوف في قلوبهم. وقال الأصم : كانوا يعرفونه رسولا من عند الله فكفروا حسدا ، واستبعد القاضي في العالم بالله ورسوله وصحة دينه أن يكون محادا لهما وليس ببعيد ، فإنه إذا استحكم الحسد نازع الحاسد في المحسوسات. وقيل : هو حذر أظهروه على وجه الاستهزاء حين رأوا الرسول يذكر أشياء وأنها عن الوحي وكانوا يكذبون بذلك ، فأخبر الله رسوله بذلك ، وأعلم أنه مظهر سرهم ، ويدل عليه قوله : قل استهزؤوا. وقال الزجاج وغيره ممن ذهب إلى التحرز من أن يكون كفرهم عنادا : هو مضارع في معنى الأمر أي : ليحذر المنافقون ، ويبعده مخرج ما تحذرون ، وأن تنزل مفعول يحذر ، وهو متعد. قال الشاعر :
حذر أمورا لا تضر وآمنا ليس ينجيه من ال أقدار
(١) ".

"من قبل معناه من قبل العذاب ، وهذا القول فيه بعد. وقيل : الضمير في كذبوا عائد على قوم نوح أي : فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ، يعني : أن شنشنتهم واحدة في التكذيب. قال ابن عطية ، ويحتمل اللفظ عندي معنى آخر وهو : أن تكون ما مصدرية ، والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل أي : من سببه ومن جرائه ، ويؤيد هذا التأويل كذلك نطبع انتهى. والظاهر أن ما موصولة ، ولذلك عاد الضمير عليها في قوله : بما كذبوا به. ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائد على مذكور ، فتحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير. وقرأ الجمهور : نطبع بالنون ، والعباس بن الفضل بالياء ، والكاف للتشبيه أي : مثل ذلك الطبع المحكم الذي يمتنع زواله نطبع على

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٥٢

قلوب المعتدين المجاوزين طورهم والمبالغين في الكفر.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٧٨

﴿ثم بعثنا منا بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملايها باايايتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * فلما جآءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين * قال موسى أتقولون للحق لما جآءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون﴾ أي : من بعد أولئك الرسل بآياتنا وهي المعجزات التي ظهرت على يديه ، ولا يخص قوله : وملائه بالإشراف ، بل هي عامة لقوم فرعون شريفهم ومسروفهم. فاستكبروا تعاظموا عن قبولها ، وأعظم الكبر أن يتعاظم العبيد عن قبول رسالة ربهم بعد تبينها واستيضاحها ، وباجترامهم الآثام العظيمة استكبروا واجترؤوا على ردها. والحق هو العصا واليد قالوا لحبهم الشهوات : إن هذا لسحر مبين ، وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويها وباطلا ، ولم يقولوا إن هذا لسحر مبين إلا عند معاينة العصا وانقلابها ، واليد وخروجها بيضاء ، ولم يتعاطوا إلا مقاومة العصا وهي معجزة موسى الذي وقع فيها عجز المعارض. وقرأ مجاهد ، وابن جبير ، والأعمش : لساحر مبين ، جعل خبر إن اسم فاعل لا مصدرا كقراءة الجماعة. ولما كابروا موسى فيما جاء به من الحق أخبروا على جهة الجزم بأن ما جاء به سحر مبين فقال لهم موسى : أتقولون ؟ مستفهما على جهة الإنكار والتوبيخ ، حيث جعلوا الحق سحرا ، أسحر هذا أي : مثل هذا الحق لا يدعى أنه سحر. وأخبر أنه لا يفلح من كان ساحرا لقوله تعالى : ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ والظاهر أن معمول أتقولون محذوف تقديره : ما تقدم ذكره وهو أن هذا لسحر ، ويجوز أن يحذف معمول القول للدلالة عليه نحو قول الشاعر :

لنحن الألى قلتم فإني ملتئمبرؤيتنا قبل اهتمام بكم رعبا

ومسألة الكتاب متى رأيت ، أو قلت زيدا منطلقا. وقيل : معمول أتقولون هو أسحر هذا إلى آخره ، كأنهم قالوا : أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ، ولا يفلح الساحرون. كما قال موسى للسحرة : ما جئتم به السحر إن الله سيبطله. والذين قالوا : بأن الجملة وأن الاستفهام هي محكية لقول اختلفوا فقال بعضهم : قالوا ذلك على سبيل التعظيم للسحر الذي رأوه بزعمهم ، كما تقول لفرس تراه يجيد الجري : أفرس هذا على سبيل التعجيب والاستغراب ، وأنت قد علمت أنه فرس ، فهو استفهام معناه التعجيب والتعظيم. وقال بعضهم : قال ذلك منهم كل جاهل بالأمر ، فهو يسأل أهو سحر ؟ لقول بعضهم : إن هذا لسحر ، وأجاز الزمخشري أن يكون معنى قوله : أتقولون للحق ، أتعيبونه وتطعنون فيه ، فكان عليكم أن تدعنوا له وتعظموه ، قال : من قولهم فلان يخاف القالة ، وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوء ، ونحو القول

الذكر في قوله : سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه.

١٨١

وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم. فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون. فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسديn. ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ : أجئتنا خطاب لموسى وحده ، لأنه هو الذي ظهرت على يديه معجزة العصا واليد. لتصرفنا وتلوينا عن ما وجدنا عليه آباءنا كامن عبادة غير الله ، واتخاذ إله دونه. والكبرياء مصدر. قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وأكثر المتأولين : المراد به هنا الملك ، إذ الملوك موصوفون بالكبر ، ولذلك قيل للملك الجبار ، ووصف بالصد والشرس. وقال ابن الرقيات في مصعب بن الزبير :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٧٨

ملكه ملك رأفة ليس فيهجبروت منه ولا كبرياء

يعني ما عليه الملوك من ذلك. وقال ابن الرقاع :

سؤدد غير فاحش لا يدانيه تحبارة ولا كبرياء

." (١)

"وقرأ الجمهور : فإن تولوا أي تتولوا مضارع تولى. وقرأ الأعرج وعيسى الثقفي : تولوا بضم التاء ، واللام مضارع ولي ، وقيل : تولوا ماض ويحتاج في الجواب إلى إضمار قول ، أي : فقل لهم فقد أبلغتكم ، ولا حاجة تدعو إلى جعله ماضيا وإضمار القول. وقال ابن عطية : ويحتمل أن يكون تولوا فعلا ماضيا ، ويكون في الكلام رجوع من غيبة إلى خطاب أي : فقد أبلغتكم انتهى. فلا يحتاج إلى إضمار ، والظاهر أن الضمير في تولوا عائد على قوم هود ، وخطاب لهم من تمام الجمل المقولة قبل. وقال التبريزي : هو عائد على كفار قريش ، وهو من تلوين الخطاب ، انتقل من خطاب قوم هود إلى الإخبار عمن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكأنه قيل : أخبرهم عن قصة قوم هود ، وادعهم إلى الإيمان بالله لئلا يصيبهم كما أصاب قوم هود ، فإن تولوا فقل لهم : قد أبلغتكم. وجواب الشرط هو قوله : فق أبلغتكم ، وصح أن يكون جوابا ، لأن فـي إبلاغه إليهم رسالته تضمن ما يحل بهم من العذاب المستأصل ، فكأنه قيل : فإن تتولوا استؤصلتم بالعذاب. ويدل على ذلك الجملة الخبرية وهي قوله : ويستخلف ربي قوما غيركم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٢٣

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ (دار الفكر)، ١٤٧/٥

وقال الزمخشري : (فإن قلت) : الإبلاغ كان قبل التولي ، فكيف وقع جزاء للشرط ؟ (قلت) : معناه فإن تولوا لم أعاقب على تفريط في الإبلاغ ، فإن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول. وقال ابن عطية : المعنى أنه ما علي كبيرهم منكم إن توليتم فقد برئت ساحتي بالتبليغ ، وأنتم أصحاب الذنب في الإعراض عن الإيمان. وقرأ الجمهور : ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر المستأنف أي : يهلككم ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم. وقرأ حفص في رواية هبيرة : بجزمها عطفا على موضع الجزاء ، وقرأ عبد الله كذلك ، وبجزم ولا تضروه ، وقرأ الجمهور : ولا تضرونه أي شيئا من الضرر بتوليتكم ، لأنه تعالى لا تجوز عليه المضار والمنافع. قال ابن عطية : يحتمل من المعنى وجهين : أحدهما : ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيئا أي : لا ينقص ملكه ، ولا يختل أمره ، وعلى هذا
٢٣٤
المعنى قرأ عبد الله بن مسعود ولا تنقصونه شيئا. **والمعنى الآخر** : ولا تضرونه أي : ولا تقدرون إذا أهلككم على إضراره بشيء ، ولا على انتصار منه ، ولا تقابلون فعله بشيء يضره انتهى. وهذا فعل منفي ومدلوله نكرة ، فينتفي جميع وجوه الضرر ، ولا يتعين واحد منها. ومعنى حفيظ رقيب محيط بالأشياء علما لا يخفى عليه أعمالكم ، ولا يغفل عن مؤاخذتكم ، وهو يحفظني مما تكيدونني به.

﴿ولما جآء أمرنا نجينا هودا والذين ءامنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ * وتلك عادا جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد * وأتبعوا فى هاذه الدنيا لعنة ويوم القيامةا ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود﴾ : الأمر واحد الأمور ، فيكون كناية عن العذاب ، أو عن القضاء بهلاكهم. أو مصدر أمر أي أمرنا للريح أو لخزنتها. والذين آمنوا معه قيل : كانوا أربعة آلاف ، قيل : ثلاثة آلاف. والظاهر تعلق برحمة منا بقوله : نجينا أي ، نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم ، لا بأعمالهم الصالحة. أو كنى بالرحمة عن أعمالهم الصالحة ، إذ توفيقهم لها إنما هو بسبب رحمته تعالى إياهم. ويحتمل أن يكون متعلقا بآمنوا أي : أن إيمانهم بالله وبتصديق رسوله إنما هو برحمة الله تعالى إياهم ، إذ وفقهم لذلك. وتكررت التنجية على سبيل التوكيد ، ولفلق من لو لاصقت منا فأعيدت التنجية وهي الأولى ، أو تكون هذه النتيجة هي من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه ، فأعيدت لأجل اختلاف متعلقيها.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٢٣
". (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٥/١٩٤

"﴿ويزيدهم﴾ أي ما تلي عليهم ﴿خشوعا ﴾ أي تواضعا. وقال عبد الأعلى التيمي : من أوتي من العلم ما لا يبكيه خليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه لأن تعالى نعت العلماء فقال : ﴿إن الذين أوتوا العلم﴾ الآية. وقال ابن عطية : ويتوجه في هذه الآية **معنى آخر** ، وهو أن يكون قوله ﴿قل ءامنوا بها أو لا تؤمنوا ﴾ مخلصا للوعيد دون التحقير ، المعنى فسترون ما تجازون به ، ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من أهل الكتاب أي إن الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر بل كان الذين أوتوا التوراة والإنجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة إذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا انتهى. وقد تقدمت الإشارة إلى طرف من هذا.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦٧

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمـانا أيا ما تدعوا فله الاسمآء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذالك سبيلا * وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذلا وكبره تكبيرا ﴾

قال ابن عباس : تهجد الرسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده : "يا رحمان يا رحيم". فقال المشركون : كان محمد يدعو إلها واحدا فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن ، ما الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت قاله في التحرير. ونقل ابن عطية نحوا منه عن مكحول. وقال عن ابن عباس : سمعه المشركون يدعو يا ألله يا رحمن ، فقالوا : كان يدعو إلها واحدا وهو يدعو إلهين فنزلت. وقال ميمون بن مهران : كان عليه السلام يكتب : باسمك اللهم حتى نزلت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها فقال مشركوا العرب : هذا الرحيم نعرفه ، فما الرحمن ؟ فنزلت. وقال الضحاك : قال أهل الكتاب للرسول صلى الله عليه وسلم : إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم ، فنزلت لما لجوا في إنكار القرآن أن يكون الله نزله على رسوله عليه السلام وعجزوا عن معارضته ،

٨٩

وكان عليه الصلاة والسلام قد جاءهم بتوحيد الله والرفض لآلهتهم عدلوا إلى رميه عليه الصلاة والسلام بأن ما نهاهم عنه رجع هو إليه ، فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿قل ادعوا الله﴾ الآية. والظاهر من أسباب النزول أن الدعاء هنا قوله يا رحمن يا رحيم أو يا الله يا رحمن فهو من الدعاء بمعنى النداء ، والمعنى إن دعوتم الله فهو اسمه وإن دعوتم الرحمن فهو صفته. قال الزمخشري : والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو

يتعدى إلى مفعولين ، تقول : دعوته زيدا ثم تترك أحدهما استغناء عنه ، فتقول : دعوت زيدا انتهى. ودعوت هذه من الأفعال التي تتعدي إلى اثنين ثانيهما بحرف جر ، تقول : دعوت والدي بزيد ثم تتسع فتحذف الباء. وقال الشاعر في دعا هذه :
دعتني أخاها أم عمرو ولم أكنأخاها ولم أرضع لها بلبان وهي أفعال تتعدى إلى واحد بنفسها و إلى الآخر بحرف الجر ، يحفظ ويقتصر فيها على السماع وعلى ما قال الزمخشري يكون الثاني لقوله ﴿ادعوا ﴾ لفظ الجلالة ، ولفظ ﴿الرحمان﴾ وهو الذي دخل عليه الباء ثم حذف وكأن التقدير ﴿ادعوا ﴾ معبودكم بالله أو ادعوه بالرحمن ولهذا قال الزمخشري : المراد بهما اسم المسمى وأو للتخيير ، فمعنى ﴿ادعوا الله أو ادعوا الرحمان﴾ سموا بهذا الاسم أو بهذا ، واذكروا إما هذا وإما هذا انتهى. وكذا قال ابن عطية هما اسمان لمسمى واحد ، فإن دعوتموه بالله فهو ذاك ، وإن دعوتموه بالرحمن فهو ذاك وأي هنا شرطية. والتنوين قيل عوض من المضاف و﴿مآ﴾ زائدة مؤكدة. وقيل : ﴿مآ﴾ شرط ودخل شرط على شرط. وقرأ طلحة بن مصروف. ﴿أيا﴾ من ﴿تدعوا ﴾ فاحتمل أن تكون من زائدة على مذهب الكسائي إذ قد ادعي زيادتها في قوله :
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦٧
واحتمل أن يكون جمع بين أداتي شرط على وجه الشذوذ كما جمع بين حرفي جر نحو قول الشاعر :
فأصبحن لا يسألنني عن بما به
وذلك لاختلاف اللفظ. والضمير في ﴿فلها﴾ عائد على مسمى الأسمين وهو واحد ، أي فلمسماهما ﴿الاسمآء الحسنى ﴾ ، وتقدم الكلام على قوله ﴿الاسمآء الحسنى ﴾ في الأعراف.
." (١)

"﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من ءاياتنا عجبا * إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنآ ءاتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا * فضربنا على ءاذانهم فى الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا * نحن نقص عليك نبأهم بالحقا إنهم فتية ءامنوا بربهم وزدناهم هدى * وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والارض لن ندعوا من دونها إلاها لقد قلنآ إذا شططا﴾ .
﴿أم﴾ هنا هي المنقطعة فتتقدر ببل والهمزة. قيل : للإضراب عن الكلام الأول بمعنى الانتقال من كلام

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/٦٦

إلى آخر لا بمعنى الإبطال ، والهمزة للإستفهام. وزعم بعض النحويين أن ﴿أم﴾ هنا بمعنى الهمزة فقط ، والظاهر في ﴿أم حسبت﴾ أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم. فقال مجاهد : لم ينهه عن التعجب ١٠٠

وإنما أراد كل آياتنا كذلك. وقال قتادة : لا يتعجب منها فالعجائب في خلق السموات والأرض أكثر. وقال ابن عباس : سألوك عن ذلك ليجعلوا جوابك علامة لصدقك وكذبك ، وسائر آيات القرآن أبلغ وأعجب وأدل على صدقك. وقال الطبري : تقرير له عليه السلام على حسبانه ﴿أن أصحاب الكهف﴾ كانوا ﴿عجبا﴾ بمعنى إنكار ذلك عليه أن لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة ، فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم. قال : وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحاق. وقال الزهراوي : يحتمل معنى آخر وهو أن يكون استفهاما له هل علم ﴿أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من ءاياتنا عجبا﴾ بمعنى إثبات أنهم عجب ، ويكون فائدة تقريره جمع نفسه للأمر لأن جوابه أن يقول لم أحسب ولا علمته ، فيقال له وصفهم عند ذلك والتجوز في هذا التأويل هو في لفظة حسبت انتهى. وقال غيره : معناه أعلمت أي لم تعلمه حتى أعلمتك.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٩١

وقال الزمخشري : ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها ، وإزالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال : ﴿أم حسبت﴾ يعني ﴿ءان﴾ ذلك من قصة أهل الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة انتهى. وقيل : أي أم علمت أي فاعلم أنهم ﴿كانوا ﴾ ﴿عجبا﴾ كما تقول : أعلمت أن فلانا فعل كذا أي قد فعل فاعلمه. وقيل : الخطاب للسامع ، والمراد المشركون أي قل لهم ﴿أم حسبتم﴾ الآية. والظن قد يقام مقام العلم ، فكذلك حسبت بمعنى علمت والكهف تقدم تفسيره في المفردات. وعن أنس : الكهف الجبل. قال القاضي : وهذا غير مشهور في اللغة. وقال مجاهد : تفريج بين الجبلين ، والظاهر ﴿أن أصحاب الكهف والرقيم﴾ هم الفتية المذكورون هنا. وعن ابن المسيب أنهم قوم كان حالهم كأصحاب الكهف. فقال الضحاك بلدة بالروم فيها غار فيه أحد وعشرون نفسا أموات كلهم نيام على هيئة ﴿أن أصحاب الكهف﴾ . وقيل : هم أصحاب الغار ففي الحديث عن النعمان بن بشير أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال : "إن ثلاثة نفر أصابتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة من الجبل فانطبقت على باب الكهف". وذكر الحديث وهو حديث المستأجر والعفيف وبار والديه ، وفيما أورده فيه زيادة ألفاظ على ما في الصحيح. ومن قال إنهم طائفتان قال : أخبر الله عن ﴿أصحاب الكهف﴾

ولم يخبر عن أصحاب بشيء ، ومن قال : بأنهم طائفة واحدة اختلفوا في شرح فعن ابن عباس : إن لا يدري ما أكتاب أم بنيان ، وعنه أنه كتاب كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين المسيح عليه السلام. وقيل : من دين قبل عيسى ، وعن ابن عباس ووهب أنه اسم قريتهم. وقيل : لوح من ذهب تحت الجدار أقامه الخضر عليه السلام. وقيل : كتب فيه أسماؤهم وقصتهم وسبب خروجهم. وقيل : لوح من رصاص كتب فيه شأن الفتية ووضع في تابوت من نحاس في فم الكهف. وقيل : صخرة كتب فيها أسماؤهم وجعلت في سور المدينة. وقيل : اسم كلبهم وتقدم بيت أمية قاله أنس والشعبي وابن جبير ، وعن الحسن : الجبل الذي به الكهف وعن عكرمة اسم الدواة بالرومية. وقيل : اسم للوادي الذي فيه الكهف. وقيل : رقم الناس حديثهم نقرا في الجبل.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٩١

." (١)

"كم معشر سلموا لم يؤذهم سبعوما نرى بشرا لم يؤذهم بشر فالملك يعتصم برأيه ويلتجيء إليه في أموره. وقال الأصمعي : هو من المؤازرة وهي المعاونة والمساعدة ، والقياس أزير وكذا قال الزمخشري : قال وكان القياس أزير فقلبت الهمزة إلى الواو ووجه قلبها أن فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيأ صالحا كعشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم ، فلما قلب في أخيه قلبت فيه ، وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز. ونظرا إلى يوازر وأخواته وإلى الموازرة انتهى ولا حاجة إلى ادعاء قلب الهمزة واوا لأن لنا اشتقاقا واضحا وهو الوزر ، وأما قلبها في يؤازر فلأجل

٢٣٩

ضمة ما قبل الواو وهو أيضا إبدال غير لازم ، وجوزوا أن يكون ﴿لى وزيرا﴾ مفعولين لاجعل و﴿هارون﴾ بدل أو عطف بيان ، وأن يكون ﴿وزيرا﴾ و﴿هارون﴾ مفعولية ، وقدم الثاني اعتناء بأمر الوزارة و﴿أخى﴾ بدل من ﴿هارون﴾ في هذين الوجهين.

قال الزمخشري : وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن انتهى. ويبعد فيه عطف البيان لأن الأكثر في عطف البيان أن يكون الأول دونه في الشهرة ، والأمر هنا بالعكس. وجوزوا أن يكون ﴿وزيرا من أهلى﴾ هما المفعولان و﴿لى ﴾ مثل قوله ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ يعنون أنه به يتم المعنى. و﴿هارون﴾ على ما تقدم. وجوزوا أن ينتصب ﴿هارون﴾ بفعل محذوف أي اضم إلي هارون وهذا لا حاجة إليه لأن الكلام تام

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٧٣/٦

بدون هذا المحذوف.

وقرأ الحسن وزيد بن علي وابن عامر ﴿اشدد﴾ بفتح الهمزة ﴿وأشركه﴾ بضمها فعلا مضارعا مجزوما على جواب الأمر وعطف عليه ﴿وأشركه﴾ . وقال صاحب اللوامح عن الحسن أنه قرأ أشدد به مضارع شدد للتكثير ، والتكرير أي كلما حزنني أمر شددت ﴿بها أزرى﴾ . وقرأ الجمهور ﴿اشدد﴾ ﴿وأشركه﴾ على معنى الدعاء في شد الأزر وتشريك هارون في النبوة ، وكان الأمر في قراءة ابن عامر لا يريد به النبوة بل يريد تدبيره ومساعدته لأنه ليس لموسى أن يشرك في النبوة أحدا. وفي مصحف عبد الله أخي وأشدد.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢١

وقال الزمخشري : ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل ﴿أخى﴾ مرفوعا على الابتداء ﴿واشدد﴾ خبره ويوقف على ﴿هارون﴾ انتهى. وهو خلاف الظاهر فلا يصار إليه لغير حاجة ، وكان هارون أكبر من موسى بأربعة أعوام ، وجعل موسى ما رغب فيه وطلبه من نعم سببا تلزم منه العبادة والاجتهاد في أمر الله والتظافر على العبادة والتعاون فيها مثير للرغبة والتزيد من الخير.

﴿كى نسبحك﴾ ننزهك عما لا يليق بك ﴿ونذكرك﴾ بالدعاء والثناء عليك وقدم التسبيح لأنه تنزيهه تعالى في ذاته وصفاته وبراءته عن النقائص ، ومحل ذلك القلب والذكر والثناء على الله بصفات الكمال ومحله اللسان ، فلذلك قدم ما محله القلب على ما محله اللسان. و﴿كثيرا﴾ نعت لمصدر محذوف أو منصوب على الحال ، أي نسبحك التسبيح في حال كثرتهم على ما ذهب إليه سيبويه ﴿إنك كنت بنا بصيرا﴾ عالما بأحوالنا. والسؤل فعل بمعنى المسؤل كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول ، والمعنى أعطيت طلبتك وما سألته من شرح الصدر وتيسر الأمر وحل العقدة ، وجعل أخيك وزيرا وذلك من المنة عليه.

ثم ذكره تعالى تقديم منته عليه على سبيل التوقيف ليعظم اجتهاده وتقوي بصيرته و﴿مرة﴾ معناه منة و﴿أخرى ﴾ تأنيث آخر بمعنى غير أي منة غير هذه المنة ، وليست ﴿أخرى ﴾ هنا بمعنى آخرة فتكون مقابلة للأولى ، وتخيل ذلك بعضهم فقال : سماها ﴿أخرى ﴾ وهي أولى لأنها ﴿أخرى ﴾ في الذكر والأخرى لفظ مشترك يكون تأنيث الآخر بفتح الخاء وتأنيث الآخر بمعنى آخره فهذه يلحظ فيها معنى التأخر. والمعنى أني قد حفظتك وأنت طفل رضيع فكيف لا أحفظك وقد أهلتك للرسالة. وفي قوله ﴿مرة أخرى ﴾ إجمال يفسره قوله ﴿إذ أوحينآ إلى أمك﴾ . قال الجمهور : هي وحي إلهام كقوله ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ . وقيل : وحي إعلام إما بإراءة ذلك في منام ، وإما ببعث ملك إليها لا على جهة النبوة كما بعث إلى مريم وهذا والظاهر لظاهر قوله ﴿يأخذه عدو لى وعدو لها﴾ ولظاهر آية القصص ﴿ائتنا بما تعدنآ إن

كنت من المرسلين﴾ ويبعد ما صدر به الزمخشري قوله : من يرد يده إما أن يكون على لسان نبي في وقتها كقوله ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريان﴾ لأنه لم ينقل أنه كان في زمن فرعون ، وكان في زمن الحواريين زكريا ويحيى. وفي قوله ﴿ما يوحى ﴾ إبهام وإجمال كقوله ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ وفيه تهويل وقد فسر هنا بقوله ﴿أن اقذفيه فى التابوت﴾ .
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢١
قال الزمخشري :
٢٤٠
." (١)

"والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر ، فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز وتقدم الخلاف في مدلول ﴿بهيمة الانعام﴾ في أول المائدة ، والظاهر وجوب الأكل والإطعام. وقيل : باستحبابهما. وقيل : باستحباب الأكل ووجوب الإطعام. و﴿البآس﴾ الذي أصابه بؤس أي شدة. والتفث : ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعثه ونحوه من إقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث ، وفي ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه إذ لا يقضي التفث إلا بعد ذلك. وقال ابن عمر : التفث ما عيهم من الحج وعنه المناسك كلها ، والنذور هنا ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم. وقيل : المراد الخروج عما وجب عليهم نذروا أو لم ينذروا. وقرأ شعبة عن عاصم ﴿وليوفوا ﴾ مشددا والجمهور مخففا ﴿وليطوفوا ﴾ هو طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ، وبه تمام التحلل. وقيل : هو طواف الصدر وهو طواف الوداع. وقال الطبري : لا خلاف بين المتأولين أنه طواف الإفاضة. قال ابن عطية : ويحتمل بحسب الترتيب أن يكون طواف الوداع انتهى.
و﴿العتيق﴾ القديم قاله الحسن وابن زيد ، أو المعتق من الجبابرة قاله ابن الزبير وابن أبي نجيح وقتادة ، كم جبار سار إليه فأهلكه الله قصده تبع ليهدمه فأصابه الفالج ، فأشار الأخيار عليه أن يكف عنه وقالوا له : رب يمنعه فتركه وكساه وهو أول من كساه ، وقصده أبرهة فأصابه ما أصابه وأما الحجاج فلم يقصد التسليط على البيت لكن تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه أو المحرر لم يملك موضعه قط قاله مجاهد ، أو المعتق من الطوفان قاله مجاهد أيضا وابن جبير ، أو الجيد من قولهم : عتاق الخيل وعتاق الطير أو الذي يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب. قال ابن عطية : وهذا يرده التصريف انتهى. ولا يرده التصريف

(١) تفسير البحر المحيط ـ (دار الفكر)، ١٧٥/٦

لأنه فسره تفسير معنى ، وأما من حيث الإعراب فلأن ﴿العتيق﴾ فعيل بمعنى مفعل أي معتق رقاب المذنبين ، ونسب الإعتاق إليه مجازا إذ بزيارته والطواف به يحصل الإعتاق ، وينشأ عن كونه معتقا أن يقال فيه : يعتق فيه رقاب المذنبين.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٤٥

﴿ذالك﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره ابن عطية فرضكم ﴿ذالك﴾ أو الواجب ﴿ذالك﴾ وقدره الزمخشري الأمر أو الشأن ﴿ذالك﴾ قال كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال : هذا وقد كان كذا انتهى. وقيل : مبتدأ محذوف الخبر أي ﴿ذالك﴾ الأمر الذي ذكرته. وقيل في موضع نصب تقديره امتثلوا ﴿ذالك﴾ ونظير هذه الإشارة البليغة قول زهير وقد تقدم له جمل في وصف هرم :

٣٦٥

هذا وليس كمن يعيا بخطبتهوسط الندى إذا ما ناطق نطقا وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة ، ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة فكأنه قال : هذا خلقه وليس كمن يعيا بخطبته ، والحرمات ما لا يحل هتكه وجميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمه ، والظاهر عمومه في جميع التكاليف ، ويحتمل الخصوص مبا يتعلق بالحج وقاله الكلبي قال : ما أمر به من المناسك ، وعن ابن عباس هي جميع المناهي في الحج : فسوق وجدال وجماع وصيد. وعن ابن زيد هي خمس المشعر الحرام ، والمسجد الحرام ، والبيت الحرام ، والشهر الحرام ، والمحرم حتى يحل. وضمير ﴿فهو﴾ عائد على المصدر المفهوم من قوله ﴿ومن يعظم﴾ أي فالتعظيم ﴿خير له عند ربها﴾ أي قربة منه وزيادة في طاعته يثيبه عليها ، والظاهر أن خيرا هنا ليس أفعل تفضيل.

﴿وأحلت لكم الانعام﴾ دفعا لما كانت عليه من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة ، ويعني بقوله ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ ما نص في كتابه على تحريمه ، والمعنى ﴿ما يتلى عليكم﴾ آية تحريمه.

ولما حث على تعظيم حرمات الله وذكر أن تعظيمها خير لمعظمها عند الله أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات ، وجمعا في قران واحد لأن الشرك من باب الزور لأن المشرك يزعم أن الوثن يستحق العبادة فكأنه قال ﴿فاجتنبوا ﴾ عبادة ﴿الاوثان﴾ التي هي رأس الزور ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ كله. و﴿من﴾ في ﴿من الاوثان﴾ لبيان الجنس ، ويقدر بالموصول عندهم أي الرجس الذي هو الأوثان ، ومن أنكر أن تكون ﴿من﴾ لبيان الجنس جعل ﴿من﴾ لابتداء الغاية

فكأنه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبدأه الذي منه يلحقهم إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس ، وعلى القول الأول يكون النهي عن سائر الأرجاس من موضع غير هذا.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٤٥
." (١)

"المرية : الشك. والضمير في ﴿الكتاب منه﴾ قيل : عائد على القرآن. وقيل : على الرسول. وقيل : ما ألقى الشيطان ، ولما ذكر حال الكافرين أولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد إلى شرح حال الكافرين ، والظاهر أن ﴿الساعة﴾ يوم القيامة. قيل : واليوم العقيم يوم بدر. وقيل : ساعة موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر ، واليوم العقيم يوم القيامة.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٧٠
وقال الزمخشري : اليوم العقيم يوم بدر ، وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن ، أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز.
وقيل : هو الذي لا خير فيه يقال : ريح عقيم إذا لم تنشىء مطرا ولم تلقح شجرا. وقيل : لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وعن الضحاك : إنه يوم القيامة وإن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة و﴿يوم عقيم﴾ يوم القيامة كأنه قيل ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ أو يأتيهم عذابها فوضع ﴿يوم عقيم﴾ موضع الضمير انتهى. وقال ابن عطية : وسمى يوم القيامة أو يوم الاستئصال عقيما لأنه لا ليلة بعده ولا يوم ، والأيام كلها نتائج يجيء واحد أثر واحد ، وكان آخر يوم قد عقم وهذه استعارة ، وجملة هذه الآية توعد انتهى. و﴿حتى ﴾ غاية لاستمرار مريتهم ، فالمعنى ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ ﴿أو عذاب أليم﴾ فتزول مريتهم ويشاهدون الأمر عيانا.
والتنوين في ﴿يومإذ﴾ تنوين العوض ، والجملة المعوض منها هذا التنوين هو الذي حذف بعد الغاية أي ﴿الملك﴾ يوم تزول مريتهم وقدره الزمخشري أولا يوم يؤمنون وهو لازم لزوال المرية ، فإنه إذا زالت المرية آمنوا ، وقدر ثانيا كما قدرنا وهو الأولى. والظاهر أن هذا اليوم هو يوم القيامة من حيث أنه لا ملك فيه لأحد من ملوك الدنيا كما قال تعالى ﴿لمن الملك اليوم﴾ ويساعد هذا التقسيم بعده ، ومن قال إنه يوم بدر ونحوه فمن حيث ينفذ قضاء الله وحده ويبطل ما سواه ويمضي حكمه فيمن أراد تعذيبه ، ويكون

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/٢٦٦

التقسيم إخبارا متركبا على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الإيمان والكفر وألفاظ التقسيم ومعانيها واضحة لا تحتاج إلى شرح. وقابل النعيم بالعذاب ووصفه بالمهين مبالغة فيه.

﴿والذين هاجروا ﴾ الآية هذا ابتداء **معنى آخر** ، وذلك أنه لما مات عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس : من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه ، فنزلت مسوية بينهم في أن الله يرزقهم ﴿رزقا حسنا﴾ وظاهر ﴿والذين هاجروا ﴾ العموم. وقال مجاهد : نزلت في طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون وقاتلوهم. وروي أن طوائف من الصحابة قالوا : يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا ، فما لنا إن متنا معك ؟ فأنزل الله هاتين الآيتين.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٧٠

وقال الزمخشري : لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد أن يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل فضلا منه وإحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم ، حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه انتهى. وفي قوله : ومراتب استحقاقهم دسيسة الاعتزال ، والتسوية في الوعد بالرزق لا تدل على تفضيل في قدر المعطى ، ولا تسوية فإن يكن تفضيل فمن دليل آخر وظاهر الشريعة أن المقتول أفضل. وقيل : المقتول

٣٨٣

والميت في سبيل الله شهيدان.

والرزق الحسن يحتمل أن يراد به رزق الشهداء في البرزخ ، ويحتمل أنه بعد يوم القيامة في الجنة وهو النعيم فيها. وقال الكلبي : هو الغنيمة. وقال الأصلم : هو العلم والفهم كقول شعيب ﴿ورزقنى منه رزقا حسنا ﴾ وضعف هذان القولان لأنه تعالى جعل الرزق الحسن جزاء على قتلهم في سبيل الله أو موتهم بعد هجرتهم ، وبعد ذلك لا يكون الرزق في الدنيا. والظاهر أن ﴿خير الرازقين﴾ أفعل تفضيل ، والتفاوت أنه تعالى مختص بأن يرزق بما لا يقدر عليه غيره تعالى ، وبأنه الأصل في الرزق وغيره إنما يرزق بماله من الرزق من جهة الله.

ولما ذكر الرزق ذكر المسكن فقال ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونها﴾ وهو الجنة يرضونه يختارونه إذ فيه رضاهم كما قال ﴿لا يبغون عنها حولا﴾ وتقدم الخلاف في القراءة بضم الميم أو فتحها في النساء ، والأولى أن

يكون يراد بالمدخل مكان الدخول أو مكان الإدخال ، ويحتمل أن يكون مصدرا.

". (١)

١٤٨"

هذه الآية بالآية التي بعدها وهكذا قال القتبي وهكذا روي عن سلمة بن الأكوع أنه قال لما نزلت هذه الآية " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين " من أراد أن يفطر ويفدي فعل حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " وقال الشعبي لما نزلت هذه الآية " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين " كان الأغنياء يطعمون ويفطرون ولا يصومون وصار الصوم على الفقراء فنسختها هذه الآية " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " فوجب الصوم على الغني والفقير وقال بعضهم ليست بمنسوخة وإنما نزلت في الشيخ الكبير وروي عن عائشة أنها كانت تقرأ وعلى الذين يطوقونه يعني يكلفون فلا يطيقونه وروي عطاء عن ابن عباس أنه قال ليست بمنسوخة وإنما هي الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة اللذان لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان كل يوم مسكينا

قرأ نافع وابن عامر " فدية طعام مسكين " بضم الهاء وكسر الميم بألف على الإضافة وقرأ الباقون بتنوين الهاء " فدية طعام " بضم الميم " مسكين " بغير ألف

قوله تعالى " شهر رمضان " قرأ بعضهم " شهر رمضان " قرأ عاصم في رواية حفص " شهر " بفتح الراء وقرأ الباقون " شهر " بالضم وإنما صار رفعا لمعنيين أحدهما أنه مفعول ما لم يسم فاعله يقول كتب عليكم شهر رمضان ومعنى آخر أنه خبر الابتداء يعني هذا شهر رمضان ويقال إنه لنزع الخافض أي في شهر رمضان ومن قرأ بالنصب احتمل أنه صار نصبا لوقوع الفعل عليه أي صوموا شهر رمضان ويقال إنه لنزع الخافض أي في شهر رمضان ويحتمل عليكم شهر رمضان كقوله " صبغة الله " البقرة ١٣٨

وقوله تعالى " الذي أنزل فيه القرآن " قرأ ابن كثير " القران " بالتخفيف وقرأ الباقون بالهمزة وقال ابن عباس في معنى قوله " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن " يعني أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة في سماء الدنيا ثم أنزل به جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما أي الآية والآيتين في أوقات مختلفة أنزل عليه في إحدى وعشرين سنة وقال مقاتل أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ كل عام في ليلة القدر إلى سماء الدنيا نزل إلى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين شهرا ونزل فيه جبريل في عشرين سنة

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٧٨/٦

حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا فارس بن مردويه قال حدثنا الفضل بن دكين عن سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة قال (أنزلت التوراة في ثنتي عشرة ليلة مضت من رمضان والإنجيل في ثمانية عشرة والقرآن في أربعة وعشرين

قال الفقيه حدثنا إسحاق بن إبراهيم القطان قال حدثنا محمد بن صالح الترمذي قال." (١)

"١٥٥

يقول لا سبيل ولا حجة عليكم في القتل " إلا على الظالمين " الذين يبدؤونكم بالقتال وقال القتبي أصل العدوان الظلم يعني لا جزاء للظلم إلا على الظالمين

فساق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الهدايا فدخلوا مكة وطافوا بالبيت ونحروا الهدي وأقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم انصرفوا فنزل قوله تعالى " الشهر الحرام بالشهر الحرام " يعني الشهر الحرام الذي دخلت فيه الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم عنه يعني العام الأول وهو ذو القعدة " والحرمات قصاص " أي ما اقتصصت لكم في ذي القعدة كما صدوكم ويقال إذا قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في الشهر الحرام " والحرمات قصاص " يعني قتالكم يكون بقتالهم قصاصا فكما تركوا الحرمة فأنتم تتركون أيضا ذلك

ويقال إن سبب نزول هذه الآية أن المشركين سألوا المسلمين فقالوا في أي شهر يحرم عليكم القتال وأرادوا أن يقفوا على ذلك حتى يقاتلوهم في الشهر الذي حرم القتال على المؤمنين فنزل قوله " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه " يعني في أي وقت قاتلكم المشركون حل لكم قتالهم

ثم قال تعالى " فمن اعتدى عليكم " يعني قاتلكم في الشهر الحرام " فاعتدوا عليه " أي قاتلوهم فيه وإنما سمي الثاني اعتداء لأنه مجازاة الاعتداء فسمي بمثل اسمه وهذا كقوله عز وجل " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به " النحل ١٢٦ ثم صارت هذه الآية حكما في جميع الجنايات أن من جنى على إنسان أو في ماله فله أن يجازيه بمثل ذلك بظاهر هذه الآية " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم "

ثم قال " واتقوا الله " عن الاعتداء قبل إن يعتدوا عليكم " واعلموا أن الله مع المتقين " يعني يعين من اتقى الاعتداء

سورة البقرة آية ١٩٥

قوله تعالى " وأنفقوا في سبيل الله " يعني في طاعة الله قال ابن عباس وذلك أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) بحر العلوم. موافق للمطبوع، ١٤٨/١

وسلم لما أمر الناس بالخروج إلى الجهاد قام إليه ناس من الأعراب حاضري المدينة فقالوا بماذا نتجهز فو الله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد فنزل في قوله تعالى (وانفقوا في سبيل الله) يعني تصدقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله يعني في طاعة الله " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " يعني ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا وهكذا قال مقاتل ومعنى قول ابن عباس ولا تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا أي لا تمسكوا عن النفقة والعون للضعفاء فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلب عليكم العدو فتهلكوا **ومعنى آخر** ولا تمسكوا فيرث منكم غيركم فتهلكوا بحرمان منفعة أموالكم **معنى آخر** ولا تمسكوا فيذهب عنكم الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة." (١)

١٥٩"

المشركين كانوا يحجون عامين في ذي القعدة وعامين في ذي الحجة فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث أبا بكر ليحج بالناس فوافق ذلك آخر عام ذي القعدة فلما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق ذلك أول عامي ذي الحجة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا إن الزمان قد استدار كهيئتة يوم خلق الله السموات والأرض يعني رجع أمر الحج إلى ذي الحجة كما كان فنزل قوله " ذو لا جدال في الحج "

ثم قال تعالى " وما تفعلوا من خير " يعني من ترك الفسوق والمرأة والجدال " يعلمه الله " يعني يقبله الله فيجازيكم به

ثم قال عز وجل " وتزودوا " في سفركم للحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسألة " فإن خير الزاد التقوى " وقال مقاتل وذلك أن أناسا من أهل اليمن كانوا يخرجون بغير زاد ويصيبون من أهل الطريق ظلما فنزلت في شأنهم " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى " وقال بعضهم معناه تزودوا لسفر الدنيا بالطعام وتزودوا لسفر الآخرة بالتقوى " فإن خير الزاد التقوى " ويقال " خير الزاد " هو التوكل على الله وأن لا يؤذي أحد لأجل الزاد والطعام ثم قال تعالى " واتقون يا أولي الألباب " يعني اطيعوني يا ذوي العقول فيما أمرتكم به

سورة البقرة الآيات ١٩٨ - ٢٠٠

ثم قال تعالى " ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم " وذلك أنهم كانوا إذا حجوا كفوا عن التجارة وطلب المعيشة في الحج فلم يشتروا ولم يبيعوا حتى تمضي أيام حجهم فجعل الله تعالى لهم رخصة في ذلك فقال " ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم " أي لا مانع عليكم أن تطلبوا رزقا من ربكم من

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ١/١٥٥

التجارة في أيام الحج وقال مقاتل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سوق عكاظ وسوق منى وذي المجاز في الجاهلية كنا نقوم في التجارة قبل الحج وبعد الحج فهل يصلح لنا البيع والشراء في أيام حجنا فنزلت هذه الآية **ومعنى آخر** ما روي عن عبد الله بن عمر أن رجلا سأله فقال إني رجل أكري الإبل إلى مكة." (١)

"٢٤٢

الذود فقال " من أنصاري إلى الله " أي مع الله " قال الحواريون نحن أنصار الله " قال الكلبي الحواريون هم أصفياء عيسى عليه السلام وكانوا اثني عشر رجلا وقال مقاتل كانوا قصارين فمر بهم عيسى عليه السلام وقال من أنصاري إلى الله أي مع الله " قالوا نحن أنصار الله " ويقال إنه مر بهم وهم يغسلون الثياب فقال لهم إيش تصنعون قالوا نطهر الثياب فقال ألا أدلكم بقصارة أنفع من هذا قالوا نعم فقال تعالوا حتى نطهر أنفسنا من هذه الذنوب فبايعوه ويقال إنهم كانوا صيادين فمر بهم وقال ألا أدلكم على اصطياد أنفع لكم من هذا قالوا نعم فقال تعالوا حتى نصطاد أنفسنا من شر إبليس فبايعوه وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال إنما سموا حواريين لبياض ثيابهم وكانوا صيادين

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي يعني به الخالص فهذا يكون دليلا لقول الكلبي إنهم خواصه وأصفياؤه **ومعنى آخر** " نحن أنصار الله " يعني أنصار دين الله (آمنا بالله) يعني صدقنا بتوحيد الله " واشهد بأنا مسلمون " يعني أشهدناك على ذلك فاشهد يا عيسى بأنا مسلمون

ثم قالوا " ربنا آمنا بما أنزلت " من الإنجيل على عيسى " واتبعنا الرسول " يعني عيسى عليه السلام على دينه " فاكتبنا مع الشاهدين " يعني اجعلنا مع من أسلم قبلنا وشهدوا بوحدانيتك

سورة آل عمران ٥٤

ثم قال تعالى حكاية عن كفار قومه فقال " ومكروا " يعني أرادوا قتل عيسى عليه السلام " ومكر الله " يعني جازاهم جزاء المكر " والله خير الماكرين " لأن مكرهم جور ومكر الله عدل قال الكلبي وذلك ان اليهود اجتمعوا على قتل عيسى فدخل عيسى عليه السلام البيت هاربا منهم فرفعه جبريل عليه السلام من الكوة إلى السماء كما قال في آية أخرى " وأيدنه بروح القدس " البقرة ٨٧ - ٢٥٣ فقال ملكهم لرجل خبيث يقال له يهوذا ادخل عليه فاقتله فدخل الرجل الخوخة فلم يجد هناك عيسى وألقى الله عليه شبه

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ١/١٥٩

عيسى فلما خرج رأوه على شبه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم قتال فقتل بعضهم بعضا فذلك قوله " ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين " قال الضحاك وكانت القصة أن اليهود لما أرادوا قتل عيسى عليه السلام اجتمع الحواريون في غرفة وهم أثنا." (١)

"٣٩٧

" وأرجلكم " بكسر اللام وقرأ الباقون بالنصب فمن قرأ بالنصب فإنه جعله مفعولا نصبا لوقوع الفعل عليه وهو الغسل يعني واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين ومن قرأ بالكسر جعله كسرا لدخول حرف الخفض عليه وهو الباء فكأنه قال وامسحوا برؤوسكم وبأرجلكم يعني إذا كان عليه خفان وقد ثبت ذلك بالسنة ويقال صار كسرا بالمجاورة كما قال في آية أخرى " وحور عين " الواقعة ٢٢ قرأ بعضهم بالكسر بالمجاورة فهذه الأربعة التي ذكرت في الآية من فرائض الوضوء وما سوى ذلك آداب وسنن فإن قيل الآية إذا قرئت بقراءتين فالله تعالى قال بهما جميعا أو بإحداهما قيل له هذا على وجهين إن كان لكل قراءة معنى غير **المعنى الآخر** فالله تعالى قال بهما جميعا وصارت القراءتان بمنزلة الآيتين وإن كانت القراءتان معناهما واحد فالله تعالى قال بأحداهما ولكنه رخص بأن يقرأ بالقراءتين جميعا

ثم قال تعالى " وإن كنتم جنبا فاطهروا " قال القتبي قد يوصف الجمع بصفة الواحد كقوله " وإن كنتم جنبا " وكقوله " والملائكة بعد ذلك ظهير " التحريم ٤ قوله " فاطهروا " معناه فتطهروا إلا أن التاء أدغمت في الطاء لأنهما من مكان واحد فإذا أدغمت فيها سكن أول الكلمة وزيدت ألف الوصل للابتداء

ثم قال تعالى " وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه " يعني من الصعيد وقد ذكرناه

ثم قال " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج " يقول لا يكلفكم في دينكم من ضيق " ولكن يريد ليطهركم " يعني يطهركم من الأحداث والجنابة " وليتم نعمته عليكم " بما أنعم عليكم من الرخص " لعلكم تشكرون " أي لكي تشكروا الله لما رخص لكم ولم يضيق عليكم

قوله تعالى " واذكروا نعمة الله عليكم " يقول احفظوا منة الله عليكم بإقراركم بوحدانية الله تعالى " وميثاقه الذي واثقكم به " يعني يوم الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم عليه السلام وقال " ألست بربكم قالوا بلى " الأعراف ١٧٢ هكذا قال في رواية الكلبي ومقاتل والضحاك وقال بعضهم هو ميثاق الجبلة والإدراك

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٢٤٢/١

فكل من أدرك فقد أخذ عليه الميثاق وشهدت له خلقته وجبلته فصار ذلك كالإقرار منه ثم قال " إذ قلتم سمعنا وأطعنا " يوم الميثاق قلتم سمعنا قولك يا ربنا وأطعنا أمرك ثم قال " واتقوا الله " في نقص العهد والميثاق " إن الله عليم بذات الصدور " يعني عالم بسرائركم

سورة المائدة ٨ - ١٠." (١)

٤١٣"

سورة المائدة ٤٠ - ٤١

ثم قال عز وجل " ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض " يعني خزائن السموات المطر وخزائن الأرض النبات ويقال " له ملك السموات والأرض " يحكم فيها ما يشاء " يعذب من يشاء " إذا أصر على ذنوبه " ويغفر لمن يشاء " إذا تاب ورجع ومعناه أن السارق إذا تاب ورد المال لا يقطع ويتجاوز عنه وإن لم يتب قطعت يده ألا ترى أن الله تعالى قال " له ملك السموات والأرض يعذب " إذا لم يتب ويتجاوز إذا تاب فافعلوا أنتم مثل ذلك لأن الله تعالى مع قدرته يتجاوز عن عباده وهو قوله " والله على كل شيء قدير " من المغفرة والعذاب

قوله تعالى " يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر " نزلت في شأن أبي لبابة بن عبد المنذر وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاصر بني قريظة فأشار إليهم أبو لبابة وكان حليفا لهم إنكم إن نزلتم من حصونكم قتلكم فلا تنزلوا فنزلت هذه الآية " يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر " أي يبادرون ويقعون في الكفر " من الذين قالوا آمنا بأفواههم " يعني يقولون ذلك بألسنتهم " ولم تؤمن قلوبهم " في السر وقال الضحاك نزلت الآية في شأن المنافقين كانت علانيتهم تصديقا وسرائرهم تكذيبا قوله تعالى " ومن الذين هادوا سماعون للكذب " يعني قوالون للكذب وقال القتبي " سماعون " أي قابلون للكذب لأن الرجل يسمع الحق والباطل ولكن يقال لا تسمع من فلان أي لا تقبل **ومعنى آخر** إنهم يسمعون منك ليكذبوا عليك لأنهم إنما جالسوه لكي يقولوا سمعنا منه كذا وكذا وإنما صار " سماعون " رفعا لأن معناه هم " سماعون لقوم آخرين " يعني أهل خيبر وذلك أن رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا فكرهوا رجمهما فكتبوا إلى يهود بني قريظة أن يذهبوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن حكم بالجلد رضوا عنه بحكمه وإن حكم بالرجم لم يقبلوا منه وروى نافع عن ابن عمر أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ٣٩٧/١

صلى الله عليه وسلم وذكروا له أن رجلا وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا يحممان ويجلدان يعني تسود وجوههما فقال عبد الله بن سلام كذبتم." (١)

"تتقون " يعني تجتنبون الأهواء المختلفة

٥١٣

سورة الأنعام ١٥٤ - ١٥٧

قوله تعالى " ثم آتينا موسى الكتاب " يعني التوراة ويقال الألواح التي كتبت له حين انطلق إلى الجبل ويقال معناه ثم أتل عليكم ما قال الله تعالى " ثم آتينا موسى الكتاب " ويقال " ثم " بمعنى الواو يعني وآتينا موسى الكتاب " تماما على الذي أحسن " قال القتبي أي تماما على المحسنين كما يقول ثلث مالي لمن غزا أي للغزاة والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون و " على " بمعنى اللام كما نقول في الكلام أتم الله عليه النعمة بمعنى أتم له قال ومعنى الآية والله أعلم وآتينا موسى الكتاب تماما على ما أحسن من العلم والحكمة أي مع ما كان له من العلم والحكمة وكتب المتقدمين أعطيناه زيادة على ذلك ويكون " الذي " بمعنى ما قال ومعنى آخر آتينا موسى الكتاب تتميما منا للمحسنين يعني الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين " وتفصيلا " منا " ل كل شيء " يعني بيانا لكل شيء قال ويجوز معنى آخر وآتينا موسى الكتاب إتماما منا للإحسان من أحسن تفصيلا لكل شيء " وهدى " من الضلالة " ورحمة " يعني ونعمة ورحمة من العذاب " لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون " يعني لكي يصدقوا بالبعث

ثم قال تعالى " وهذا كتاب أنزلناه مبارك " يعني القرآن فيه بركة لمن آمن به وفيه مغفرة للذنوب " فاتبعوه " يعني اقتدوا به ويقال اعملوا بما فيه من الأمر والنهي " واتقوا " يعني واجتنبوا ولا تتخذوا إماما غير القرآن " لعلكم ترحمون " يعني لكي ترحموا ولا تعذبوا " أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا " يعني أنزلنا هذا القرآن لكي لا تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى ويقال " أن تقولوا " يعني لكراهة أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وذلك أن كفار مكة قالوا قاتل الله اليهود كيف كذبوا أنبياءهم والله لو جاءنا نذير أو كتاب لكنا أهدى منهم فأنزل الله تعالى القرآن حجة عليهم

ثم قال " وإن كنا عن دراستهم لغافلين " يعني عن قراءتهم الكتاب لغافلين عما فيه " أو تقولوا " يعني لكي

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٤١٣/١

لا تقولوا " لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم " يعني أصوب

". (١)

"٣٠٥

" ومن ضل " أي ومن تغافل حتى ضل " فإنما يضل عليها " أي إثمه عليها " ولا تزر وازرة وزر أخرى " أي لا تؤخذ نفس بذنب نفس أخرى

وقال " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " حجة عليهم مع علمه أنهم لا يطيعون وينذرهم على ما هم عليه من المعصية فإن أجابوا وإلا عذبوا

سورة الإسراء ١٦ - ١٩

قوله تعالى " وإذا أردنا أن نهلك قرية " أي أهل قرية " أمرنا مترفيها " أي أكثرنا جبابرتها يقال أمر إذا أكثر وآمر إذا أكثر وهما لغتان وروي عن زينب بنت جحش أنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق إبهامه بالتي تليها قالت قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث ويقال أمر وآمر مثل فعل وأفعل بمعنى أكثر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خير المال مهرة مأمورة أي خيل كثير النتاج قرأ أبو عمرو في إحدى الروايتين وابن كثير في إحدى الروايتين ونافع في إحدى الروايتين أمرنا بالتشديد بغير مد وفي إحدى الروايتين عن ابن كثير ونافع آمرنا بالمد والتخفيف فمن قرأ بالمد يعني أكثرنا جبابرتها وقرأ الباقون بالتخفيف بغير مد فمن قرأ بالتشديد فمعناه سلطنا جبابرتها ومن قرأ بالتخفيف له معنيان أحدهما أكثرنا جبابرتها وأشرافها وورؤساءها " ففسقوا فيها " أي فعصوا فيها **ومعنى آخر** أمرناهم بالطاعة وخذلناهم حتى تركوا الأمر وعصوا الله تعالى " فحق عليها القول " أي وجب عليها السخط بالعذاب " فدمرناها تدميرا " أي أهلكناها بالعذاب إهلاكا

قوله عز وجل " وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا " يعني إن الله تعالى عالم بذنوبهم قادر على أخذهم ومجازاتهم فيه تهديد لهذه الأمة لكي يطيعوا الله ولا يعصوه فيصيبهم مثل ما أصابهم

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٥١٣/١

قوله عز وجل " من كان يريد العاجلة " أي من كان يريد بـعمله الذي افترض الله عليه ثواب الدنيا " عجلنا له " أي أعطينا له " فيها ما نشاء " من عرض الدنيا " لمن نريد " أن نهلكه." (١)

"٤٩٤

سورة النور

مدنية وهي ستون وأربع آيات

سورة النور ١ - ٢

قوله سبحانه وتعالى " سورة أنزلناها " قرأ بعضهم " سورة " بنصب الهاء وقراءة العامة بالضم فمن قرأ بالضم فمعناه هذه سورة أنزلناها ومن قرأ بالنصب فمعناه أنزلنا سورة ويقال إقرأ سورة وقد قرئت " سورة " بالهمزة وبغير همز فمن قرأ بالهمز جعلها من أسأرت يعني أفضلت كأنها قطعة من القرآن ومن لم يهمز جعلها من سور المدينة سورا أي منزلة بعد منزلة ويقال السورة أصلها الرفعة ولهذا سمي سور المدينة وقال النابغة للنعمان بن المنذر

(ألم تر أن الله أعطاك سورة ٪ ترى كل ملك دونها يتذبذب)

وإنما خص هذه السورة بذكر السورة لما فيها من الأحكام فذلك كله يرجع إلى أمر واحد وهو أمر النساء ثم قال تعالى " وفرضناها " يعني بينا حلالها وحرامها وقال القتبي أصل الفريضة الوجوب وها هنا يجوز أن يكون بمعنى بيناها وقد يجوز أوجبنا العمل بما فيها وقال بعض أهل اللغة أصل الفرض هو القطع ولهذا سمي ما يقطع من حافة النهر فرضة ويسمى الموضع الذي يقطع من السواك أي ليشد فيه الخيط فرض ولهذا يسمى الميراث فريضة لأن كل واحد قطع له نصيب معلوم قرأ إبن كثير وأبو عمرو " وفرضناها " بتشديد الراء وقرأ الباقون بالتخفيف فمن قرأ بالتخفيف فمعناه ألزمناكم العمل بما فرض فيها ومن قرأ بالتشديد فهو على وجهين أحدهما على معنى التكثير أي إنا فرضنا فيها فروضا **ومعنى آخر** وبينا وفصلنا فيها من الحلال والحرام

ثم قال " وأنزلنا فيها " يعني في السورة " آيات بينات " يعني الحدود والفرائض والأمر والنهي ويقال الآيات يعني العلامات والعبرات ويقال يعني آيات القرآن " لعلكم تذكرون " يعني تتعظون فلا تعطلون الأحكام والحدود." (٢)

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٢/٣٠٥

(٢) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٢/٤٩٤

"٢٥٣

سورة الزخرف ٨٥

ثم نزه نفسه فقال " سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون " يعني عما يقولون إن لله ولدا " فذرهم " يعني كفار مكة حين كذبوا بالعذاب " يخوضوا ويلعبوا " في أباطيلهم ويستهزئوا " حتى يلاقوا " يعني حتى يعاينوا " يومهم الذي يوعدون " وهو يوم القيامة

قوله تعالى " وهو الذي في السماء إله " يعبد " وفي الأرض إله " يعبد ويقال يوحد في السماء ويوحد في الأرض " وهو الحكيم " في أمره " العليم " بخلقه وبمقالتهم

ثم عظم نفسه فقال تعالى " وتبارك الذي " يعني تعالى عما وصفوه الذي " له ملك السموات " يعني خزائن السماوات المطر " والأرض " النبات " وما بينهما " من الخلق ويقال الذي له نفاذ الأمر في السماوات والأرض وما بينهما " وعنده علم الساعة " يعني علم قيام الساعة " وإليه ترجعون " قرأ أبو عمرو ونافع وعاصم (ترجعون) بالتاء على معنى المخاطبة

وقرأ الباقون بالياء على معنى الخبر عنهم

سورة الزخرف ٨٦ - ٨٩

قوله تعالى " ولا يملك الذين يدعون " يعني لا يقدر الذين يعبدون " من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق " يعني بلا إله إلا الله مخلصا " وهم يعلمون " أنه الحق حين شهدوا بها من قبل أنفسهم وأنهم يشفعون لهؤلاء

قوله تعالى " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله " يعني كفار قريش " فأنى يؤفكون " يعني أنى يصرفون بعد التصديق

ثم قال " وقيله يا رب " يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم " وقيله " بمعنى وقوله

قرأ عاصم وحمزة " قيله " بكسر اللام والباقون بالنصب

وقرئ في الشاذ (وقيله) بضم اللام

فمن قرأ بالنصب فنصبه من وجهين أحدهما على العطف على قوله " أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم " [الزخرف ٨٠] (وقيله) ومعنى آخر وعنده علم الساعة ويعلم " قيله " يعني علم الغيب ويعلم قوله ومن قرأ بالكسر معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب

ومن قرأ بالرفع فمعناه وقيله قول يا رب " إن هؤلاء قوم لا يؤمنون " يعني لا يصدقون " فاصفح عنهم " يعني

أعرض عنهم وهذا قبل أن يؤمر بالقتال " وقل سلام " يعني سدادا من القول " فسوف يعلمون " وهذا وعيد منه

قرأ نافع وابن عامر (فسوف تعلمون) بالتاء على معنى المخاطبة لهم والباقون بالياء على معنى الخبر عنهم والله أعلم." (١)

" ٣٨٠

ثم قال " يحيي ويميت " يعني " يحيي " للبعث " ويميت " في الدنيا " وهو على كل شيء قدير " من الإحياء والإماتة

ثم قال عز وجل " هو الأول " يعني الأول قبل كل أحد " والآخر " بعد كل أحد " والظاهر " يعني الغالب على كل شيء " والباطن " يعني العالم بكل شيء

ويقال " هو الأول " يعني مؤول كل شيء " والآخر " يعني مؤخر كل شيء " والظاهر " يعني المظهر " والباطن " يعني المبطن

ويقال هو " الأول " يعني خالق الأولين " والآخر " يعني خالق الآخرين " والظاهر " يعني خالق الآدميين وهم ظاهرون

" والباطن " يعني خالق الجن والشياطين الذين لا يظهرون

ويقال " هو الأول " يعني خالق الدنيا " والآخر " يعني خالق الآخرة

" والظاهر والباطن " يعني عالم بالظاهر والباطن

ويقال " هو الأول " بلا ابتداء " والآخر " بلا انتهاء

" والظاهر والباطن " يعني منه نعمة ظاهرة باطنة

ويقال هو " الأول والآخر والظاهر والباطن " يعني هو الرب الواحد

ثم قال " وهو بكل شيء عليم " يعني من أمر الدنيا والآخرة

قوله عز وجل " هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش " قد سبق ذكره " يعلم ما يلج في الأرض " يعني ما يدخل في الأرض من الماء والكنوز والموات " وما يخرج منها " من النبات والكنوز والأموات " وما ينزل من السماء " وهو المطر والثلج والرزق والملائكة " وما يعرج فيها " يعني ما يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد والأرواح " وهو معكم أينما كنتم " يعني عالما بكم وبأعمالكم أينما

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ٣/٢٥٣

كنتم في الأرض " والله بما تعملون بصير " فيجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا

ثم قال عز وجل " له ملك السموات والأرض " وقد ذكرناه " وإلى الله ترجع الأمور " يعني إليه عواقب الأمور

ثم قال عز وجل " يولج الليل في النهار " يعني يدخل الليل في النهار يعني إذا جاء الليل ذهب النهار " ويولج النهار في الليل " يعني يدخل النهار في الليل فإذا جاء النهار ذهب الليل

ومعنى آخر يعني يدخل زيادة الليل في النهار حتى يصير النهار أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والليل أقصر ما يكون تسع ساعات

ويدخل زيادة النهار في الليل حتى يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة والنهار أقصر ما يكون تسع ساعات والليل والنهار أبدا أربع وعشرون ساعة

ثم قال عز وجل " وهو عليم بذات الصدور " يعني بما في القلوب من الخير والشر

سورة الحديد ٧." (١)

"صفحة رقم ٤٠

ولو لم يترجح للمجتهد أحد الحكمين ، ولا غلب في نفسه أحد المعنيين

لتكافؤ الأمارات عنده ، فقيه للعلماء مذهبان :

أحدهما : أن يكون مخيرا ، للعمل في العمل على أيهما شاء .

والضرب الثاني : أن يأخذ بأغلظ المذهبين حكما .

والضرب الثاني من اختلاف المعنيين : ألا يتنافيا ويمكن الجمع بينهما فهذا على ضربين :

أحدهما : أن يتساويا ، ولا يترجح أحدهما على الآخر بدليل ، فيكون

المعنيان معا مرادين ، لأن الله تعالى لو أراد أحدهما النصب على مراده منهما

دليلا ، وإن جاز أن يريد كل واحد من المعنيين بلفظين متغايرين لعدم التنافي

بينهما ، جاز أن يريدهما بلف واحد ، يشتمل عليهما ، ويكون ذلك أبلغ في

الإعجاز والفصاحة .

والضرب الثاني : أن يترجح أحدهما على الآخر بدليل ، وهو على ضربين :

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ٣/٣٨٠

أحدهما : أن يكون دليلا على بطلان أحد المعنيين ، فيسقط حكمهن ويصير
المعنى الآخر هو المراد ، وحكمه هو الثابت .
والضرب الثاني : أن يكون دليلا على صحة أحد المعنيين فيثبت حكمه
ويكون مرادا ولا يقتضي سقوط المعنى الآخر ، ويجوز أن يكون مرادا ، وإن لم
يكن عليه دليل ، لأن موجب لفظه دليل ، فاستويا في حكم اللفظ ، وإن ترجح
أحدهما بدليل ، فصارا مرادين معا .
وذهب بعض أهل العلم إلى أن المعنى الذي يرجح بدليل أثبت حكما من
المعنى الذي تجرد عنه ولقوته بالدليل الذي ترجح به ، فهذا أصل يعتبر [من]
وجود التفسير ، ليكون ما احتمله ألفاظ القرآن من اختلاف المعاني محمولا عليه ،
فيعلم ما يؤخذ به ويعدل عنه .
فإن قيل : فقد ورد الخبر بما يخالف هذا الأصل المقرر ، وهو ما روي عن
النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " ما نزل القرآن من آية إلا لها ظهر وبطن ولكل حرف." [1]
"النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك حذاق الأئمة على أن السنة تنسخ بالقرآن وذلك موجود في القبلة
فإن الصلاة إلى الشام لم تكن قط في كتاب الله وفي قوله تعالى " فلا ترجعوهن إلى الكفار " الممتحنة
١٠ فإن رجوعهن إنما كان يصلح النبي صلى الله عليه وسلم لقريش والحذاق على تجويز نسخ القرآن بخبر
الواحد عقلا واختلفوا هل وقع شرعا فذهب أبو المعالي وغيره إلى وقوعه في نازلة مسجد قباء في التحول
إلى القبلة وأبى ذلك قوم ولا يصح نسخ نص بقياس إذ من شروط القياس أن لا يخالف نصا وهذا كله في
مدة النبي صلى الله عليه وسلم وأما بعد موته واستقرار الشرع فأجمعت الأمة أنه لا نسخ
ولهذا كان الإجماع لا ينسخ ولا ينسخ لأنه إنما ينعقد بعد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا وجدنا إجماعا
يخالف نصا فنعلم أن الإجماع استند إلى نص ناسخ لا نعلمه نحن
وقال بعض المتكلمين النسخ الثابت متقرر في جهة كل أحد علم الناسخ أو لم يعلمه والذي عليه الحذاق
أنه من لم يبلغه الناسخ فهو متعبد بالحكم الأول فإذا بلغه الناسخ طرأ عليه حكم النسخ والحذاق على جواز
نسخ الحكم قبل فعله وهو موجود في كتاب الله تعالى في قصة الذبيح
١٩٢

(١) النكت والعيون ـ موافق للمطبوع، ١/ ٤٠

وقرأ جمهور الناس ما ننسخ بفتح النون من نسخ وقرأت طائفة ننسخ بضم النون من أنسخ وبها قرأ ابن عامر و حده من السبعة قال أبو علي الفارسي ليست لغة لأنه لا يقال نسخ وأنسخ بمعنى ولا هي لتعدية لأن المعنى يجيء ما نكتب من آية أي ما ننزل فيجيء القرآن كله على هذا منسوخا وليس الأمر كذلك فلم يبق إلا أن يكون المعنى ما نجده منسوخا كما تقول أحمدت الرجل وأبخلته بمعنى وجدته محمودا أو بخيلا

قال أبو علي وليس نجده منسوخا إلا بأن ننسخه فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رحمه الله وقد خرج قرأة هذه القراءة المعنى على وجهين أحدهما أن يكون المعنى ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ أو ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله أي ذلك فعلنا فإنا نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله فيجيء الضميران في " منها " و " مثلها " عائدين على الضمير في " ننسها " **والمعنى الآخر** أن يكون " ننسخ " من النسخ بمعنى الإزالة ويكون التقدير ما ننسخك أي نبيح لك نسخة كأنه لما نسخها الله أباح لنبيه تركها بذلك النسخ فسمى تلك الإباحة إنساخا و " ما " شرطية وهي مفعولة ب " ننسخ " و " ننسخ " جزم بالشرط

". (١)

"ولا ذاكر الله إلا قليلا) " المتقارب "

والألف في قوله " أولو " للاستفهام والواو لعطف جملة كلام على جملة لأن غاية الفساد في الالتزام أن يقولوا نتبع آباءنا ولو كانوا لا يعقلون فقرروا على التزامهم هذا إذ هذه حال آبائهم

وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد وأجمعت الأمة على إبطاله في العقائد

وقوله تعالى " ومثل الذين كفروا " الآية المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ولا تفقه ما يقول هكذا فسر ابن عباس وعكرمة والسدي وسيبويه

قال القاضي أبو محمد فذكر بعض هذه الجملة وترك البعض ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الإيجاز

النعيق زجر الغنم والصياح بها قال الأخطل

(انعق بضأنك يا جرير فإنما

منتك نفسك في الخلاء ضلالا) " الكامل "

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ١٧٦/١

وقال قوم إنما وقع هذا التشبيه براعي الضأن لأنها من أبلد الحيوان فهي تحمق راعيها وفي المثل أحمق من راعي ضأن ثمانين وقد قال دريد لمالك بن عوف في يوم هوازن راعي ضأن والله وقال الشاعر

(أصبحت هزءا لراعي الضأن يهزأ بي

ماذا يريبك مني راعي الضان) " البسيط "

فمعنى الآية أن هؤلاء الكفرة يمر الدعاء على آذانهم صفحا يسمعونه ولا يفقهونه إذ لا ينتفعون بفقهه وقال ابن زيد المعنى في الآية ومثل الذين كفروا في اتباعهم آلهتهم وعبادتهم إياها كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه شيئا إلا دويا غير مفيد يعني ذلك الصدى الذي

يستجيب من الجبال ووجه الطبري في الآية **معنى آخر** وهو أن المراد ومثل الكافرين في عبادتهم آلهتهم كمثل الذي ينعق بشيء بعيد منه فهو لا يسمع من أجل البعد فليس للناعق من ذلك إلا النداء الذي يتعبه ويصبه فإنما شبه في هذين التأويلين الكفار بالناعق والأصنام بالمنعوق به وشبهوا في الصم والبكم والعمى بمن لا حاسة له لما لم ينتفعوا بحواسهم ولا صرفوها في إدراك ما ينبغي ومنه قول الشاعر

(أصم عما ساءه سميع

) " الرجز "

ولما تقرر فقدهم لهذه الحواس قضى بأنهم " لا يعقلون " إذ العقل كما قال أبو المعالي وغيره علوم

٢٣٩

ضرورية تعطيها هذه الحواس أو لا بد في كسبها من الحواس وتأمل

سورة البقرة ١٧٢ - ١٧٤

الطيب هنا يجمع الحلال المستلذ والآية تشير بتبعيض " من " إلى الحرام رزق وحض تعالى على الشكر والمعنى في كل حالة و " إن " شرط والمراد بهذا الشرط التثبيت وهز النفس كما تقول افعل كذا إن كنت رجلا

". (١)

"وقال القاضي أبو محمد وهذا إن صح عنه ضعيف لا يقتضيه لفظ الآية ولا معناها وإذا تأملت هذه الوجوه التي ذكر المفسرون فيجيء من مجموعها درجة تقتضي التفضيل و " عزيز " لا يعجزه أحد و " حكيم " فيما ينفذه من الأحكام والأمور

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ١/٢٢٤

سورة البقرة ٢٢٩
قال عروة بن الزبير وقتادة وابن زيد وغيرهم نزلت هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه أن يرتجع دون تجديد مهر وولي وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يطلقون ويرتجعون إلى غير غاية فقال رجل لامرأته على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا أؤويك ولا أدعك تحلين قالت وكيف قال أطلقك فإذا دنا مضي عدتك راجعتك فشكت ذلك فنزلت الآية

وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم المراد بالآية التعريف بسنة الطلاق أي من طلق اثنتين فليتق الله في الثالثة فإما تركها غير مظلومة شيئا من حقها وإما أمسكها محسنا عشرتها

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه والآية تتضمن هذين المعنيين والإمساك بالمعروف هو الارتجاع بعد الثانية إلى حسن العشرة والتزام حقوق الزوجية

والتسريح يحتمل لفظه معنيين أحدهما تركها تتم العدة من الثانية وتكون أملك بنفسها وهذا قول السدي والضحاك **والمعنى الآخر** أن يطلقها ثالثة فيسرحها بذلك وهذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما ويقوى عندي هذا القول من ثلاثة وجوه أولها أنه روي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هذا ذكر الطلقتين فأين الثالثة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي قوله " أو تسريح بإحسان " والوجه الثاني أن التسريح من ألفاظ الطلاق ألا ترى أنه قد قرىء " وإن عزموا السراح "

البقرة ٢٢٧ والوجه الثالث أن فعل تفعيلا بهذا التضعيف يعطي أنه أحدث فعلا مكررا على الطلقة الثانية وليس في الترك إحداث فعل يعبر عنه بالتفعيل و " إمساك " مرتفع بالابتداء والخبر أمثل أو أحسن ويصح أن يرتفع على خبر ابتداء تقديره فالواجب إمساك وقوله " بإحسان " معناه أن لا يظلمها شيئا من حقها ولا يتعدى في قول

وقوله تعالى " ولا يحل لكم أن تأخذوا " الآية خطاب للأزواج نهاهم به أن يأخذوا من أزواجهم شيئا على وجه المضارة وهذا هو الخلع الذي لا يصح إلا بأن لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما آتى الأزواج نساءهم لأن العرف من الناس أن يطلب الرجل عند الشقاق والفساد ما خرج عن يده هذا وكدهم في الأغلب فلذلك خص

٣٠٧

بالذكر

". (١)

"وقال مالك رحمه الله في المدونة وجميع أصحابه والشعبي أيضا والزهري والضحاك وجماعة من العلماء المراد بقوله " مثل ذلك " أن لا يضار وأما الرزق والكسوة فلا شيء عليه منه وروى ابن القاسم عن مالك أن الآية تضمنت أن الرزق والكسوة على الوارث ثم نسخ ذلك

قال القاضي أبو محمد فالإجماع من الأمة في أن لا يضار الوارث والخلاف هل عليه رزق وكسوة أم لا وقرأ يحيى بن يعمر " وعلى الورثة مثل ذلك " بالجمع

سورة البقرة ٢٣٣

٣١٣

الضمير في " أرادا " للوالدين و " فصالا " معناه فطاما عن الرضاع ولا يقع التشاور ولا يجوز التراضي إلا بما لا ضرر فيه على المولود فإذا ظهر من حاله الاستغناء عن اللبن قبل تمام الحولين فلا جناع على الأبوين في فصله هذا معنى الآية وقاله مجاهد وقتادة وابن زيد وسفيان وغيرهم وقال ابن عباس لا جناح مع التراضي في فصله قبل الحولين وبعدهما

قال القاضي أبو محمد وتحرير القول في هذا أن فصله قبل الحولين لا يصح إلا بتراضيهما وأن لا يكون على المولود ضرر وأما بعد تمامهما فمن دعا إلى الفصل فذلك له إلا أن يكون في ذلك على الصبي ضرر وقوله تعالى " وإن أردتم أن تسترضعوا " مخاطبة لجميع الناس تجمع الآباء والأمهات أي لهم اتخاذ الظئر مع الاتفاق إلى ذلك وأما قوله تعالى " إذا أسلمتم " فمخاطبة للرجال خاصة إلا على أحد التأويلين في قراءة من قرأ " أتيتم " وقرأ الستة من السبعة " آتيتم " بالمد المعنى أعطيتم وقرأ ابن كثير " أتيتم " بمعنى ما جئتم وفعلتم كما قال زهير

(وما كان من خير أتوه فإنما

توارثه آباء آبائهم قبل) " الطويل "

قال أبو علي المعنى إذا سلمتم ما أتيتم نقده أو إعطاءه أو سوقه فحذف المضاف وأقيم الضمير مقامه فكان التقدير ما أتيتموه ثم حذف الضمير من الصلة

قال القاضي أبو محمد ويحتمل اللفظ **معنى آخر** قاله قتادة وهو إذا سلمتم ما أتيتم من إرادة الاسترضاع

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ١/٢٩٥

أي سلم كل واحد من الأبوين ورضي وكان ذلك عن اتفاق منهما وقصد خير وإرادة معروف من الأمر وعلى هذا الاحتمال فيدخل في الخطاب ب " سلمتم " الرجال والنساء وعلى التأويل الذي ذكره أبو علي وغيره فالخطاب للرجال لأنهم الذين يعطون أجر الرضاع قال أبو علي ويحتمل أن تكون " ما " مصدرية أي إذا سلمتم الإتيان والمعنى كالأول لكن يستغنى عن الصنعة من حذف المضاف ثم حذف الضمير قال مجاهد المعنى إذا سلمتم إلى الأمهات أجرهن بحساب ما أرضعن إلى وقت إرادة الاسترضاع وقال سفيان المعنى إذا سلمتم إلى المسترضعة وهي الظئر أجرها بالمعروف

وباقي الآية أمر بالتقوى وتوقيف على أن الله تعالى بصير بكل عمل وفي هذا وعيد وتحذير أي فهو مجاز بحسب عملكم

(١) ".

"يؤته الحكمة وقرأ الربيع بن خيثم تؤتي الحكمة من تشاء بالتاء في تؤتي وتشاء منقوطة من فوق ومن يؤت الحكمة بالياء وباقي الآية تذكرة بينة وإقامة لهمم الغفلة والألباب العقول واحدها لب

سورة البقرة ٢٧٠ - ٢٧١

كانت النذر من سيرة العرب تكثر منها فذكر تعالى ا زكلنوعين ما يفعله المرء متبرعا وما يفعله بعد إلزامه لنفسه ويقال نذر الرجل كذا إذا التزم فعله ينذر بضم الذال وينذر بكسرها وقوله تعالى " فإن الله يعلمه " قال مجاهد معناه يحصيه وفي الآية وعد ووعيد أي من كان خالص النية فهو مثاب ومن أنفق رئاء أو **لمعنى آخر** مما يكشفه المن والأذى ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله باطلا ولا يجد ناصرا فيه ووحد الضمير في " يعلمه " وقد ذكر شيئين من حيث أراد ما ذكر أو نص وقوله تعالى " إن تبدوا الصدقات " الآية ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية هي في صدقة التطوع قال ابن عباس جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها يقال بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا قال وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه ويقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (صلاة الرجل في بيته أفضل من صلاته في المسجد إلا المكتوبة وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عرضة لذلك) وقال سفيان الثوري هذه الآية في التطوع وقال يزيد بن أبي حبيب إنما أنزلت هذه الآية في الصدقة على اليهود والنصارى وكان يأمر بقسم الزكاة في السر وهذا مردود لا سيما عند السلف الصالح فقد قال الطبري

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ١/٣٠٣

أجمع الناس على أن إظهار الواجب أفضل قال المهدوي وقيل المراد بالآية فرض الزكاة وما تطوع به فكان الإخفاء فيهما أفضل في مدة النبي صلى الله عليه وسلم ثم ساءت ظنون الناس بعد ذلك فاستحسن العلماء إظهار الفرض لئلا يظن بأحد المنع قال أبو محمد وهذا القول مخالف للآثار ويشبه في زمننا أن يحسن التستر

بصدقة الفرض فقد كثر المانع لها وصار إخراجها عرضة للرياء وقال النقاش إن هذه الآية نسخها قوله تعالى " الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية " البقرة ٢٧٤ وقوله " فنعما هي " ثناء على إبداء الصدقة ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء واختلف القراء في قوله " فنعما هي " فقرأ نافع في غير رواية ورش وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل فنعما بكسر النون وسكون فنعما بكسر النون والعين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي فنعما بفتح النون وكسر العين وكلهم شدد الميم قال أبو علي من قرأ بسكون العين لم يستقم قوله لأنه جمع بين ساكنين الأول منهما ليس بحرف مد ولين وإنما يجوز ذلك عند النحويين إذا كان الأول حرف

٣٦٦

." (١)

"وتأول في هذه الآية أنهم هم حابسو أنفسهم بربقة الدين وقصد الجهاد وخوف العدو إذا أحاط بهم الكفر فصار خوف العدو عذرا أحصروا به

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه هذا متجه كأن هذه الأعذار أحصرتهم أي جعلتهم ذوي حصر كما قالوا قبره أدخله في قبره وأقبره جعله ذا قبر فالعدو وكل محيط يحصر والأعذار المانعة " تحصر " بضم التاء وكسر الصاد أي تجعل المرء كالمحاط به وقوله " في سبيل الله " يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول في الإسلام واللفظ يتناولها والضرب في الأرض هو التصرف في التجارة وضرب الأرض هو المشي إلى حاجة الإنسان في البراز وكانوا لا يستطيعون الضرب في الأرض لكون البلاد كلها كفرا مطبقا وهذا في صدر الهجرة فقلتم تمنع من الاكتساب بالجهاد

وإنكار الكفار عليهم إسلامهم

٣٦٩

يمنع من التصرف في التجارة

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٣٦٢/١

فبقوا فقراء إلا أنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله بحيث " يحسبهم ،لجاهل " بباطن أحوالهم " أغنياء " و " التعفف " تفعل وهو بناء مبالغة من عف عن الشيء إذا أمسك عنه وتنزه عن طلبه
وبهذا المعنى فسر قتادة وغيره وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي يحسبهم بكسر السين
وكذلك هذا الفعل في كل القرآن وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يحسبهم بفتح السين في كل القرآن وهما لغتان في يحسب كعهد ويعهد بفتح الهاء وكسرها في حروف كثيرة أتت كذلك قال أبو علي فتح السين في يحسب أقيس لأن العين من الماضي مكسورة فبابها أن تأتي في المضارع مفتوحة والقراءة بالكسر حسنة بمجيء السمع به وإن كان شاذا عن القياس و " من " في قوله " من التعفف " لابتداء الغاية أي من تعففهم ابتدأت محسبته وليست لبيان الجنس لأن الجاهل بهم لا يحسبهم أغنياء غناء تعفف وانما يحسبهم أغنياء غناء مال ومحسبته من التعفف ناشئة وهذا على أنهم متعففون عفة تامة عن المسألة وهو الذي عليه جمهور المفسرين لأنهم قالوا في تفسير قوله تعالى " لا يسألون الناس إلحافا " المعنى لا يسألون البتة
وتحتمل الآية معنى آخر من فيه لبيان الجنس سنذكره بعد والسيما مقصورة العلامة
وبعض العرب يقول السيمياء بزيادة ياء وبالمد ومنه قول الشاعر
(له سيمياء لا تشق على البصر
) " الطويل "
واختلف المفسرون في تعيين هذه السيما التي يعرف بها هؤلاء المتعففون فقال مجاهد هي التخشع والتواضع وقال السدي والربيع هي جهد الحاجة وقصف الفقر في وجوههم وقلة النعمة وقال ابن زيد هي رثة الثياب
وقال قوم وحكاه مكي هي أثر السجود
". (١)

"المخلوقين ثم أخبر عن تصويره للبشر في أرحام الأمهات وهذا أمر لا ينكره عاقل ولا ينكر أن عيسى وسائر البشر لا يقدرون عليه ولا ينكر أن عيسى عليه السلام من المصورين في الأرحام فهذه الآية تعظيم لله تعالى في ضمنها الرد على نصارى نجران وفي قوله " إن الله لا يخفى عليه شيء " وعيد ما لهم فسر بنحو هذا محمد بن جعفر بن الزبير والربيع وفي قوله " هو الذي يصوركم " رد على أهل الطبيعة إذ يجعلونها فاعلة مستبدة وشرح النبي صلى الله عليه وسلم كيفية التصوير في الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره أن النطفة إذا وقعت في الرحم مكثت نطفة أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٣٦٦/١

الله إليها ملكا فيقول يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد الحديث بطوله على اختلاف ألفاظه وفي مسند ابن سنجر حديث إن الله يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل ولحمه وشحمه وسائر ذلك من مني المرأة وصور بناء مبالغة من صار يصور إذا أمال وثنى إلى حال ما فلما كان التصوير إمالة إلى حال وإثباتا فيها جاء بناؤه على المبالغة والرحم موضع نشأة الجنين و "كيف يشاء " يعني من طول وقصر ولون وسلامة وعاهة وغير ذلك من الاختلافات و " العزيز " الغالب و " الحكيم " ذو الحكمة أو المحكم في مخلوقاته وهذا أخص بما ذكر من التصوير

و " الكتاب " في هذه الآية القرآن بإجماع من المتأولين والمحكمات المفصلات المبينات الثابتات الأحكام والمتشابهات هي التي فيها نظر وتحتاج إلى تأويل ويظهر فيها ببادىء النظر إما تعارض مع أخرى أو مع العقل إلى غير ذلك من أنواع التشابه فهذا الشبه الذي من أجله توصف ب " متشابهات " إنما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها أهل الزيغ ومن لم يمعن النظر وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات أي يكون الشيء حراما في نفسه فيشبه عند من لم يمعن النظر شيئا حلالا وكذلك

الآية يكون لها في نفسها معنى صحيح فتشبه عند من لم يمعن النظر أو عند الزائغ **معنى آخر** فاسدا فربما أراد الاعتراض به على كتاب الله هذا عندي معنى الإحكام والتشابه في هذه الآية ألا ترى أن نصارى نجران قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أليس في كتابك أن عيسى كلمة وروح منه قال نعم قالوا فحسبنا إذا ". (١)

"وروي ذلك عن ابن كثير و " نعمة الله " هنا اسم الجنس ثم عدد عيون تلك النعم والأنبياء الذين جعل فيهم أمرهم مشهور من لدن إسرائيل إلى زمان عيسى عليه السلام والأنبياء حاطة ومنقذون من النار وشرف في الدنيا والآخرة

وقوله " وجعلكم ملوكا " يحتمل معاني أحدها أن يعدد عليهم ملك من ملك من بني إسرائيل لأن الملوك شرف في الدنيا وحاطة من نوائبها **والمعنى الآخر** أن يريد استنقذكم من القبط الذين كانوا يستخدمونكم فصرتم أحرارا تملكون ولا تملكون فهم ملوك بهذا الوجه وبنحو هذا فسر السدي وغيره

وقال قتادة إنما قال " وجعلكم ملوكا " لأنا كنا نتحدث أنهم أول من خدمه أحد من بني آدم

قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف لأن القبط كانوا يستخدمون بني إسرائيل

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ١/٤٠٠

وظاهر أمر بني آدم أن بعضهم كان يسخر بعضا مذ تناسلوا وكثروا وإنما اختلفت الأمم في معنى التملك فقط

وقال عبد الله ابن عمرو بن العاصي والحسن بن أبي الحسن وجماعة من أهل العلم من كان له مسكن وامرأة وخادم فهو ملك وقيل من له مسكن لا يدخل عليه فيه إلا بإذن فهو ملك وقوله تعالى " وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين " قال فيه أبو مالك وسعيد بن جبير الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ضعيف وقال

جمهور المفسرين الخطاب هو من موسى عليه السلام لقومه ثم اختلف المفسرون ماذا الذي أوتوا ولم يؤت أحد مثله فقال مجاهد المن والسلوى والحجر والغمام وقال غيره كثرة الأنبياء

قال القاضي أبو محمد وعلى هذا في كثرة الأنبياء فالعالمون على العموم والإطلاق وعلى القول بأن المؤتي هو آيات موسى فالعالمون مقيدون بالزمان الذي كانوا فيه لأن أمة محمد قد أوتيت من آيات محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك قد ظلل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغمامة قبل مبعثه وكلمته الحجارة والبهائم وأقبلت إليه الشجرة وحن الجذع ونبع الماء من بين أصابعه وشبع كثير من الناس من

١٧٤

قليل الطعام ببركته وانشق له القمر وعاد العود سيفا ورجع الحجر المعترض في الخندق رملا مهيلا

قال القاضي أبو محمد وهذه المقالة من موسى توطئة لنفوسهم حتى يتعزز ويأخذ الأمر بدخول أرض الجبارين بقوة وتنفذ في ذلك نفوذ من أعزه الله ورفع شأنه و " المقدسة " معناه المطهرة وقال مجاهد المباركة

قال القاضي أبو محمد والبركة تطهير من القحوط والجوع ونحوه

واختلف الناس في تعيينها فقال ابن عباس ومجاهد هي الطور وما حوله وقال قتادة هي الشام وقال ابن زيد هي أريحاء وقاله السدي وابن عباس أيضا وقال قوم هي الغوطة وفلسطين وبعض الأردن قال الطبري ولا يختلف أنها بين الفرات وعريش مصر

." (١)

"قال القاضي أبو محمد فعلى هذا تجيء الضمائر كلها للمؤمنين وذكره المهدوي وذكر عن الحسن أنه من حساب عملهم كما قال الجمهور و " من " الأولى للتبعيض والثانية زائدة مؤكدة وقوله " فتطردهم "

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٢٠٢/٢

جواب النفي في قوله " ما عليك " وقوله " فتكون " جواب النهي في قوله " ما عليك " وقوله " فتكون " جواب النهي في قوله " ولا تطرد " و " من الظالمين " معناه يضعون الشيء غير مواضعه وقوله تعالى " وكذلك فتنا بعضهم ببعض " الآية " فتنا " معناه في هذه الآية ابتلينا فابتلاء المؤمنين بالمشركين هو ما يلقون منهم من الأذى وابتلاء المشركين بالمؤمنين هو أن يرى الرجل الشريف من المشركين قوما لا شرف لهم قد عظمهم هذا الدين وجعل لهم عند نبيه قدرا ومنزلة والإشارة بذلك إلى ما ذكر من طلبهم أن يطرد الضعفة و " ليقولوا " معناه ليصير بحكم القدر أمرهم إلى أن يقولوا فهي لام الصيرورة كما قال تعالى " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا " أي ليصير مثاله أن يكون لهم عدوا وقول المشركين على هذا التأويل " أهؤلاء من الله عليهم من بيننا " هو على جهة الاستخفاف والهزء ويحتمل الكلام **معنى آخر** وهو أن تكون اللام في " ليقولوا " على بابها في لام كي وتكون المقالة منهم استفهاما لأنفسهم ومباحثة لها وتكون سبب إيمان من سبق إيمانه منهم فمعنى الآية على هذا التأويل وكذلك ابتلينا أشراف الكفار بضعفاء المؤمنين ليتعجبوا في نفوسهم من ذلك ويكون سبب نظر لمن هدي

قال القاضي أبو محمد والتأويل الأول أسبق والثاني يتخرج ومن على كلا التأويلين إنما هي على معتقد المؤمنين أي هؤلاء من الله عليهم بزعمهم أن دينهم منة وقوله " أليس الله بأعلم بالشاكرين " أي يا أيها المستخفون أو المتعجبون على التأويل الآخر ليس الأمر أمر استخفاف ولا تعجب فالله أعلم بمن يشكر نعمته والمواضع التي ينبغي أن يوضع فيها فجاء إعلامهم بذلك في لفظ التقدير إذ ذلك بين لا تمكنهم فيه معاندة

قوله عز وجل

سورة الأنعام ٥٤ ٥٥

قال جمهور المفسرين " الذين " يراد بهم القوم الذين كان عرض طردهم فنهى الله عز وجل عن طردهم وشفع ذلك بأن أمر بأن يسلم النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ويؤنسهم وقال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد " الذين " يراد بهم القوم من المؤمنين الذين صوبوا رأي أبي طالب في طرد الضعفة فأمر الله نبيه أن يسلم عليهم ويعلمهم أن الله يغفر لهم مع توبتهم من ذلك السوء وغيره وأسند الطبري عن ماهان أنه قال نزلت الآية في قوم من المؤمنين استفتوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذنوب سلفت منهم فنزلت الآية بسببهم

قال القاضي أبو محمد وهي على هذا تعم جميع المؤمنين دون أن تشير إلى فرقة وقال الفضيل بن

٢٩٧

." (١)

"وقوله تعالى " اليوم تجزون عذاب الهون " الآية هذه حكاية عن قول الملائكة للكفرة عند قبض أرواحهم و " الهون " الهوان ومنه قول ذي الأصبع

(إليك عني فما ألمي براعية

ترعى المخاض ولا أفضى على الهون) " البسيط " وقرأ عبد الله بن مسعود وعكرمة عذاب الهوان بالألف وقوله تعالى " تقولون على الله غير الحق " لفظ جامع لكل نوع من الكفر ولكنه يظهر منه ومن قوله " وكنتم عن آياته تستكبرون " الإنحاء على من قرب ذكره من هؤلاء الذين ادعوا الوحي وأن ينزلوا مثل ما أنزل الله فإنها أفعال بين فيها قول غير الحق على الله وبين فيها الاستكبار

قوله عز وجل

سورة الأنعام ٩٤

٣٢٤

سورة الأنعام ٩٤

هذه حكاية عما يقال لهم بعد قبض أرواحهم فإما عند خروجها من الأجساد وإما يوم القيامة كل ذلك محتمل و " فرادى " معناه فردا فردا والألف في آخره ألف تأنيث ومنه قول الشاعر ابن مقبل

(ترى النعرات الزرق تحت لبانه

فرادى ومثنى أصعقتها صواهله)

وقرأ أبو حيوة فرادى منونا على زون فعال وهي لغة تميم و " فرادى " قيل هو جمع فرد بفتح الراء وقيل جمع فرد بإسكان الراء والمقصد في الآية توقيف الكفار على انفرادهم وقلة النصير واحتياجهم إلى الله عز وجل بفقد الخول والشفعاء فيكون قوله "كما خلقناكم أول مرة " تشبيها بالانفراد الأول في وقت الخلقة ويتوجه معنى آخر وهو أن يتضمن قوله "كما خلقناكم " زيادة معان على الانفراد كأنه قال ولقد جئتمونا فرادى وبأحوال كذا والإشارة على هذا بقوله كما هي إلى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في صفة من يحشر أنهم يحشرون حفاة عراة عرلا و " خولناكم " معناه أعطيناكم وكان أبو عمرو بن العلاء ينشد بيت زهير

(هنالك إن يستخولوا المال يخولوا

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٣٤٩/٢

وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا) " الطويل " " وراء ظهوركم " إشارة إلى الدنيا لأنهم يتركون ذلك موجودا

وقوله تعالى " وما نرى م عكم شفعاءكم " الآية توقيف على الخطأ في عبادة الأصنام وتعظيمها قال الطبري

وروي أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث لأنه قال سوف تشفع له اللات والعزى

قال القاضي أبو محمد ومن كان من العرب يعتقد أنها تشفع وتقرب إلى الله زلفى ويرى شركتها بهذا الوجه فمخاطبته بالآية متمكن وهكذا كان الأكثر ومن كان منهم لا يقر بإله غيرها فليس هو في هذه الآية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة بينكم بالرفع وقرأ نافع والكساء بينكم بالنصب أما الرفع فعلى وجوه أولاها أنه الظرف استعمل اسما وأسند إليه الفعل كما قد استعملوه اسما في قوله تعالى " من بيننا وبينك حجاب " وكقولهم فيما حكى سيبويه أحمر بن

". (١)

"ومنه قوله تعالى " حتى عاد كالعرجون القديم " على أن هذه محتملة فقوله في الآية أو " لتعودن " و " شعيب " عليه السلام لم يكن قط كافرا يقتضي أنها بمعنى صار وأما في جهة المؤمنين بعد كفرهم فيترتب المعنى الآخر ويخرج عنه شعيب إلا أن يريدوا عودته إلى حال سكوته قبل أن يبعث وقوله " أو لو كنا كارهين " توقيف منه لهم على شنعة المعصية وطلب أن يقروا بألسنتهم بإكراه المؤمنين بالله على الإخراج ظلما وغشما

والظاهر في قوله " قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم " أنه خبر منه أي لقد كنا نواقع عظيما ونفتري على الله الكذب في الرجوع إلى الكفر ويحتمل أن يكون على جهة القسم الذي هو في صيغة الدعاء مثل قول الشاعر بقيت وفري

وكما تقول افتريت على الله إن كلمت فلانا و " افترينا " معناه شققنا بالقول واختلفنا

ومنه قول عائشة من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ونجاة شعيب من ملتهم كانت منذ أول أمره ونجاة من آمن معه كانت بعد مواقعة الكفر وقوله " إلا أن يشاء الله " يحتمل أن يريد إلا أن يسبق علينا من الله في ذلك سابق وسوء وينفذ منه قضاء لا يرد

قال القاضي أبو محمد والمؤمنون هم المجوزون لذلك وشعيب قد عصمته النبوة وهذا أظهر ما يحتمل القول ويحتمل أن يريد استثناء ما يمكن أن يتعبد الله به المؤمنين مما يفعله الكفار من القربات فلما قال لهم

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٣٨٢/٢

إنا لا نعود في ملتكم ثم خشي أن يتعبد الله بشيء من أفعال الكفرة فيعارض ملحد بذلك ويقول هذه عودة إلى ملتنا استثنى مشيئة الله تعالى فيما يمكن أن يتعبد به ويحتمل أن يريد بذلك معنى الاستبعاد كما تقول لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط وقد علم امتناع ذلك فهو إحالة على مستحيل

قال القاضي أبو محمد وهذا تأويل إنما هو للمعتزلة الذين من مذهبهم أن الكفر والإيمان ليسا

٤٢٩

بمشيئة مِن الله تعالى فلا يترتب هذا التأويل إلا عندهم وهذا تأويل حكاه المفسرون ولم يشعروا بما فيه

وقيل إن هذا الاستثناء إنما هو تستر وتأدب

قال القاضي أبو محمد ويقلق هذا التأويل من جهة استقبال الاستثناء ولو كان في الكلام إن شاء الله قوى هذا التأويل وقوله " وسع ربنا كل شيء علما " معناه وسع علم ربنا كل شيء كما تقول تصبب زيد عرقا أي تصبب عرق زيد و " وسع " بمعنى أحاط وقوله " افتح " معناه أحكم والفاتح والفتاح القاضي بلغة حمير وقيل بلغة مراد وقال بعضهم

(ألا أبلغ بني عصم رسولا

فإني عن فتاحتكم غني) " الوافر "

." (١)

"وقرأ جمهور الناس تنقم بكسر القاف وقرأ أبو حيوة وأبو البرهسم وابن أبي عبلة والحسن بن أبي الحسن تنقم بفتحها وهما لغتان قال أبو حاتم الوحه في القراءة كسر القاف وكل العلماء أنشد بيت ابن الرقيات ما نقموا من بني أمية بفتح القاف ومعناه وما تعد علينا ذنبا وتؤاخذنا به وقولهم " أفرغ علينا صبرا " معناه عمنا كما يعم الماء من أفرغ عليه وهي هنا مستعارة وقال ابن عباس لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل وحكى النقاش عن مقاتل أنه قال مكث موسى بمصر بعد إيمان السحرة عاما أو نحوه يريهم الآيات

وقول ملأ فرعون " أتذر موسى وقومه " مقالة تتضمن إغراء فرعون بموسى وقومه وتحريضه على قتلهم أو تغيير ما بهم حتى لا يكون لهم خروج عن دين فرعون ومعنى " أتذر موسى " أتترك وقرأ جمهور الناس ويذرك بفتح الراء ونصبه على معنيين أحدهما أن يقدر وأن يذرك فهي واو الصرف فكأنهم قالوا أتذره وأن

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٢/٤٩٥

يذرك أي أتتركه وتركك **والمعنى الآخر** أن يعطف على قوله " ليفسدوا " وقرأ نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف عنه ويذرك بالرفع عطفا على قولهم " أتذر " وقرأ الأشهب العقيلي ويذرك بإسكان الراء وهذا على التخقيق من يذرك وقرأ أنس بن مالك وينذرك بالنون ورفع الفعل على معنى توعد منهم أو على معنى إخبار أن الأمر يؤول إلى هذا وقرأ أبي بن كعب وعبد الله في الأرض وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك قال أبو حاتم وقرأ الأعمش وقد تركك وآلهتك وقرأ السبعة وجمهور من العلماء وآلهتك على الجمع

قال القاضي أبو محمد وهذا على ما روي أن فرعون كان في زمنه للناس آلهة من بقر وأصنام وغير ذلك وكان فرعون قد شرع ذلك وجعل نفسه الإله الأعلى فقوله على هذا أنا ربكم الأعلى إنما هو بمناسبة بينه وبين سواه من المعبودات

وقيل إن فرعون كان يعبد حجرا كان يعلقه في صدره كياقوتة أو نحوها قال

الحسن كان لفرعون حنانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها وقال سليمان التيمي بلغني أنه كان يعبد البقر ذكره أبو حاتم وقرأ ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأنس بن مالك وجماعة وغيرهم " وآلهتك " أي وعبادتك والتذلل لك وزعمت هذه الفرقة أن فرعون لم يبح عبادة شيء سواه وأنه في قوله الأعلى إنما أراد الأعظم والأكبر دون مناسبة قال ابن عباس كان فرعون يعبد ولا يعبد وقرأ ابن كثير سنقتل بالتخفيف ويقتلون بالتشديد وخففهما جميعا نافع وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يقتلون وسنقتل بالتشديد على المبالغة والمعنى سنستمر على ما كنا عليه من تعذيبهم وقطعهم

وقوله تعالى " وإنا فوقهم قاهرون " يريد في المنزلة والتمكن من الدنيا و " قاهرون " يقتضي تحقير أمرهم أي هم أقل من أن يهتم بهم

٤٤٢

قوله عز وجل

". (١)

"قال القاضي أبو محمد وإنما هذا القول لأنه رأى جمهور هذه الطائفة قد اتفق أن هلكت غرقا فاعتقد أن الإشارة هنا بالأجل إنما هي إلى الغرق وهذا ليس بلازم لأنه لا بد أنه مات منهم قبل الغرق عالم وهم ممن أخر وكشف عنهم العذاب إلى أجل بلغه ودخل في هذه الآية فأين الغرق من هؤلاء وأين هو

٤٤٦

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٢/٥٠٨

ممن بقي بمصر ولم يغرق وذكر بعض الناس أن معنى الكلام فلما كشفنا عنهم الرجز المؤجل إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ومحصول هذا التأويل أن العذاب كان مؤجلا والمعنى الأول أفصح لأنه تضمن توعدا ما وقرأ أبو البرهسم وأبو حيوة ينكثون بكسر الكاف والنكث نقض ما أبرم ويستعمل في الأجسام وفي المعاني وقرأ ابن محيصن ومجاهد وابن جبير الرجز بضم الراء في جميع القرآن قال أبو حاتم إلا أن ابن محيصن كسر حرفين رجز الشيطان والرجز فاهجر

قال القاضي أبو محمد رآهما **بمعنى آخر** بمثابة الرجز والنتن الذي يجب التطهر منه

و " اليم " البحر ومنه قول ذي الرمة

(ذوية ودجا ليل كأنهما

يم تراطن في حافاته الروم)

والباء في قوله " بأنهم " باء التسبيب ووصف الكفار بالغفلة وهم قد كذبوا وردوا في صدر الآيات من حيث غفلوا عما تتضمنه الآيات من الهدى والنجاة فعن ذلك غفلوا

قوله عز وجل

سورة الأعراف ١٣٧ ١٣٨

قوله " الذين كانوا يستضعفون " كناية عن بني إسرائيل لاستعباد فرعون لهم وغلبته عليهم وقوله " مشارق الأرض ومغاربها " قال الحسن وقتادة وغيرهما يريد أرض الشام وقال أبو جعفر النحاس وقيل يراد أرض مصر وهو قول الحسن في كتاب النقاش وقالت فرقة يريد الأرض كلها

قال القاضي أبو محمد وهذا يتجه إما على المجاز لأنه ملكهم بلادا كثيرة وإما على الحقيقة في أنه ملك ذريتهم وهو سليمان بن داود ولكن الذي يليق بمعنى الآية وروي فيها هو أنه ملك أبناء المستضعفين بأعيانهم مشارق الأرض ومغاربها لا سيما بوصفه الأرض بأنها التي بـارك فيها ولا يتصف بهذه الصفة وينفرد بها أكثر من غيرها إلا أرض الشام لما بها من الماء والشجر والنعم والفوائد وحكى الطبري عن قائل لم يسمه وذكر الزهراوي أنه الفراء أن " مشارق الأرض ومغاربها " نصب على الظرف أي يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها وأن قوله " التي باركنا فيها " معمول ل " أورثنا " وضعفه الطبري وكذلك هو قول غير متجه و " التي " في موضع خفض نعت ل " الأرض " ويجوز أن يكون في موضع نصب نعت لمشارق ومغارب وقوله " وتمت كلمة ربك الحسنى " أي ما سبق لهم في علمه وكلامه في الأزل من النجاة من عدوهم والظهور عليه قاله مجاهد وقال المهدوي وهي قوله " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض

" وقيل هي قوله " عسى ربكم أن يهلك عدوكم "
٤٤٧
(١) ".

"قال القاضي أبو محمد هذا على القول إن أفعل في التفضيل لا يقال إلا لما لهما اشتراك في المفضل فيه وأما على القول الآخر فقد يراد بالأحسن المأمور به بالإضافة للمنهي عنه لأنه أحسن منه وكذلك الناسخ بالإضافة إلى المنسوخ ونحو هذا وذهب إلى هذا المعنى الطبري

قال القاضي أبو محمد ويؤيد هذا التأويل أنه تدخل فيه الفرائض وهي لا تدخل في التأويل الأول وقد يمكن أن يتصور اشتراك في حسن من المأمور به والمنهي عنه ولو بحسب الملاذ وشهوات النفس الأمارة **والمعنى الآخر** الذي يحتمله قوله " بأحسنها " أن يريد بأحسن وصف الشريعة بجملتها فكأنه قال قد جعلنا لكم شريعة هي أحسن كما تقول الله أكبر دون مقايسة ثم قال فمرهم يأخذوا بأحسنها الذي شرعناه لهم وفي هذا التأويل اعتراضات وقرأ جمهور الناس " سأوريكم " وقرأ الحسن بن أبي الحسن سأوريكم قال أبو الفتح ظاهر هذه القراءة مردود وهو أبو سعيد المأثور فصاحته فوجهها أن المراد أريكم ثم أشبعت ضمة الهمزة ومطلت حتى نشأت عنها واو ويحسن احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فمكن الصوت فيه

وقرأ قسامة بن زهير سأورثكم قاله أبو حاتم ونسبها المهدوي إلى ابن عباس وثبتت الواو في خط المصحف فلذلك أشكل هذا الاختلاف مع أنا لا نتأول إلا أنها مرويات فأما من قرأها سأوريكم فالمعنى عنده سأعرض عليكم وأجعلكم تخشون لتعتبروا حال دار الفاسقين والرؤية هنا رؤية العين إلا أن المعنى يتضمن الوعد للمؤمنين والوعيد للفاسقين ويدل على أنها رؤية العين تعدى فعلها وقد عدي بالهمزة إلى مفعولينولو كان من رؤية القلب لتعدى بالهمزة إلى ثلاثة مفاعيل ولو قال قائل المفعول الثالث يتضمنه المعنى فهو مقدر أي مدمرة أو خربة مسعرة على قول من قال هي جهنم قيل له ولا يجوز حذف هذا

المفعول والاقتصار دونه أنها داخلة على الابتداء والخبر ولو جوز لكان على قبح في اللسان لا يليق بكتاب الله عز وجل وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومقاتل وقتادة في كتاب النقاش " دار الفاسقين " مصر والمراد آل فرعون وقال قتادة أيضا دار الفاسقين الشام والمراد العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم وقال مجاهد والحسن دار الفاسقين جهنم والمراد الكفرة بموسى عامة وقال النقاش عن الكلبي " دار

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٥١٣/٢

الفاسقين " دور ثمود وعاد والأمم الخالية أي سنقصها عليكم فترونها

قوله عز وجل

سورة الأعراف ١٤٦

٤٥٤

سورة الأعراف ١٤٧

المعنى سأمنع وأصد وقال سفيان بن عيينة الآيات هنا كل كتاب منزل

قال القاضي أبو محمد فالمعنى عن فهمها وتصديقها وقال ابن جريج الآيات العلامات المنصوبة الدالة على الوحدانية

". (١)

"وطول الجرجاني في هذه المسألة ومدار كلامه على أن المسح وإخراج الذرية من أظهر آدم حسب الحديث وقيل في الآية أخذ من ظهورهم إذ الإخراج من ظهر آدم الذي هو الأصل إخراج من ظهور بنيه الذين هم الفرع إذ الفرع والأصل شيء واحد إلى كلام كثير لا يثبت للنقد وقال غيره إن جميع ما في الحديث من مسح بيمينه وضرب منكبه ونحو هذا إنما هي عبارة عن إيجاد ذلك النسم منه واليمين عبارة عن القدرة أو يكون الماسح ملكا بأمر الله عز وجل فتضمن الحديث صدر القصة وإيجاد النسم من آدم وهذه زيادة على ما في الآية ثم تضمنت الآية ما جرى بعد هذا من أخذ العهد والنسم حضور موجودون هي تحتمل معنيين أحدهما أن يكون أخذ عاملا في عهد أو ميثاق تقدره بعد قوله " ذرياتهم " ويكون قوله " من ظهورهم " لبيان جنس النبوة إذ المراد من الجميع التناسل ويشركه في لفظة بني آدم بنوه لصلبه وبنوه بالحنان والشفقة ويكون قوله " من ذرياتهم " بدلا من " بني آدم " **والمعنى الآخر** أنه لما كانت كل نسمة هنالك لها نسبة إلى التي هي من ظهرها كأن تعيين تلك النسبة أخذ من الظهر إذ ستخرج منه فهي المستأنف فالمعنى وإذ عينوا بهذه النسبة وعرفوا بها فذلك أخذ ما و " أخذ " على هذا عامل في " ذرياتهم " وليس بمعنى مسح وأوجد بل قد تقدم إيجادهم كما تقدم الحديث المذكور فالحديث يزيد معنى على الآية وهو ذكر آدم وأول إيجاد النسم كيف كان

وقال الطرطوشي إن هذا العهد يلزم البشر وإن

كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة كما يلزم الطلاق من شهد عليه به وهو قد نسيه إلى غير هذا مما ليس

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٥٢١/٢

بتفسير ولا من طريقه
وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ذرياتهم جمع جمع وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ذريتهم والإفراد هنا جمع وقد تقدم القول على لفظ الذرية في سورة آل عمران
وروي في قصص هذه الآية أن الأنبياء عليهم السلام كانوا بين تلك النسم أمثال السرج و أن آدم عليه السلام رأى داود فأعجبه فقال من هذا فقيل نبي من ذريتك فقال كم عمره فقيل ستون سنة فقال زيدوه من عمري أربعين سنة فزيدت قال وكان عمر آدم ألفا فلما أكمل تسعمائة وستين جاء ملك الموت فقال له آدم بقي لي أربعون سنة فرجع ملك الموت إلى ربه فأخبره فقال له قل له إنك أعطيتها لابنك داود فتوفي عليه السلام بعد أن خاصم في الأربعين قال الضحاك بن مزاحم من مات صغيرا فهو على العهد الأول ومن بلغ فقد أخذه العهد الثاني يعني الذي في هذه الحياة المعقولة الآن وحكى الزجاج عن قوم أنهم قالوا إن هذه الآية عبارة عن أن كل نسمة إذا ولدت وبلغت فنظرها في الأدلة المنصوبة عهد عليها في أن تؤمن وتعرف الله وقد تقدم ذكر هذا القول وهو قول ضعيف منكب عن الأحاديث المأثورة مطرح لها
٤٧٦
". (١)

"قال القاضي أبو محمد وإذا قال الإمام من قتل قتيلا فله سلبه فقتل ذمي قتيلا فالمشهور أن لا شيء له وعلى قول أشهب يرضخ أهل الذمة من الغنيمة يلزم أن يعطى السلب وإن قتل الإمام بيده بعد هذه المقالة قتيلا فله سلبه
قال القاضي أبو محمد وأما الصفي فكان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
٥٠٠
" فاتقوا الله " معناها في الكلام اجعل بينك وبين المحذور وقاية وقوله " وأصلحوا ذات بينكم " تصريح بأنه شجر بينهم اختلاف ومالت النفوس إلى التشاح و " ذات " في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته والذي يفهم من " بينكم " هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات وذات ذلك هي المأمور بإصلاحها أي نفسه وعينه فحض الله عز وجل على إصلاح تلك الأجزاء فإذا صلحت تلك حصل إصلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم وقد تستعمل لفظة الذات على أنها لزيمة ما تضاف إليه وإن لم تكن عينه ونفسه وذلك في قوله " عليم بذات الصدور " و " ذات الشوكة " فإنها هاهنا مؤنثة قولهم الذئب

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٥٤٥/٢

مغبوط بذي بطنه وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه إنما هو ذو بطن بنت خارجة ويحتمل ذات البين أن تكون هذه وقد تقال الذات أيضا بمعنى آخر وإن كان يقرب من هذا وهو قولهم فعلت كذا ذات يوم ومنه قول الشاعر

(لا ينبح الكلب فيها غير واحدة

ذات العشاء ولا تسري أفاعيها) " البسيط "

وذكر الطبري عن بعضهم أنه قال " ذات بينكم " الحال التي لبينكم كما ذات العشاء الساعة التي فيها العشاء

قال القاضي أبو محمد ورجحه الطبري وهو قول بين الانتقاض وقال الزجاج البين ها هنا الوصل ومثله قوله عز وجل " لقد تقطع بينكم "

قال القاضي أبو محمد وفي هذا كله نظر وقوله " وأطيعوا الله ورسوله " لفظ عام وسببه الأمر بالوقوف عندما ينفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنائم وقوله " إن كنتم مؤمنين " أي كاملي الإيمان كما تقول لرجل إن كنت رجلا فافعل كذا أي إن كنت كامل الرجولة وجواب الشرط في قوله المتقدم " وأطيعوا " هذا عند سيبويه ومذهب أبي العباس أن الجواب محذوف متأخر يدل عليه المتقدم تقديره إن كنتم مؤمنين أطيعوا ومذهبه في هذا أن لا يتقدم الجواب الشرط

قوله عز وجل

سورة الأنفال ٢ ٣ ٤

" إنما " لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع ويصلح مع ذلك للحصر فإذا دخل في ". (١)

"وقوله " إن كانوا مؤمنين " أي على قولهم ودعواهم وقوله " ألم يعلموا " الآية قوله " ألم " تقرير ووعيد وفي مصحف أبي بن كعب ألم تعلم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو وعيد لهم وقرأ الأعرج والحسن ألم تعلموا بالتاء و " يحادد " معناه يخالف ويشاق وهو أن يعطي هذا حده وهذا حده لهذا وقال الزجاج هو أن يكون هذا في حد وهذا في حد وقوله " فإن " مذهب سيبويه أنها بدل من الأولى وهذا معترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى والأولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد إذ لم يتم جواب الشرط وتلك الجملة هي الخبر وأيضا فإن الفاء تمانع البدل وأيضا فهي في معنى آخر غير الأول فيقلق

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٢/٥٧٢

البدل وإذا تلطف للبدل فهو بدل الاشتمال وقال غير سيبويه هي مجردة لتأكيد الأولى وقالت فرقة من النحاة هي في موضع خبر ابتداء تقديره فواجب أن له وقيل المعنى فله أن له وقالت فرقة هي ابتداء والخبر مضمر تقديره فإن له ن١ر جهنم واجب وهذا مردود لأن الابتداء بأن لا يجوز مع إضمار الخبر قاله المبرد وحكي عن أبي علي الفارسي قول يقرب معناه من معنى القول الثالث من هذه التي ذكرنا لا أقف الآن على لفظه وجميع القراء على فتح أن الثانية وحكى الطبري عن بعض نحويي البصرة أنه اختار في قراءتها كسر الألف وذكر أبو عمرو الداني أنها قراءة ابن أبي عبلة ووجهه في العربية قوي لأن الفاء تقتضي القطع ولااستئناف ولأنه يصلح في موضعها الاسم ويصلح الفعل وإذا كانت كذلك وجب كسرها

قوله عز وجل

سورة التوبة ٦٤ - ٦٦

قوله " يحذر " خبر عن حال قلوبهم وحذرهم إنما هو أن تتلى سورة ومعتقدهم هل تنزل أم لا ليس بنص في الآية لكنه ظاهر فإن حمل على مقتضى نفاقهم واعتقادهم أن ذلك ليس من عند الله فوجه بين وإن قيل إنهم يعتقدون نزول ذلك من عند الله وهم ينافقون مع ذلك فهذا كفر عناد وقال الزجاج وبعض من ذهب إلى التحرز من هذا الاحتمال مءنى يحذر الأمر وإن كان لفظه لفظ الخبر كأنه يقول

ليحذر وقرأ أبو عمرو وجماعة معه أن تنزل ساكنة النون خفيفة الزاي وقرا بفتح النون مشددة الزاي الحسن والأعرج وعاصم والأعمش و " أن " من قوله " أن تنزل " مذهب سيبويه أن " يحذر " عامل فهي مفعوله وقال غيره حذر إنما هي من هيئات النفس التي لا تتعدى مثل فزع وإنما التقدير يحذر المنافقون من أن تنزل عليهم سورة وقوله " قل استهزئوا " لفظه الأمر ومعناه التهديد ثم ابتدأ الإخبار عن أنه يخرج لهم إلى حيز الوجود ما يحذرونه وفعل ذلك تبارك وتعالى في سورة براءة فهي تسمى الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وقال الطبري كان المنافقون إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا شيئا من أمره قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فنزلت الآية في ذلك

٥٥

(١) ".

"قال القاضي أبو محمد وفي هذا القول بعد ويحتمل اللفظ عندي **معنى آخر** وهو أن تكون ما مصدرية والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل أي من سببه

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٦١/٣

ومن جراه ويؤيد هذا التأويل قوله "كذلك نطبع " وقال بعض العلماء عقوبة التكذيب الطبع على القلوب وقرأ جمهور الناس يطبع بالنون وقرأ العباس بن الفضل بطبع بالياء وقوله "كذلك " أي هذا فعلنا بهؤلاء ثم ابتدأ "كذلك نطبع " أي كفعلنا هذا و " المعتدين " هم الذين تجاوزوا طورهم

١٣٤

واجترحوا ما لا يجوز لهم وهي ها هنا في الكفر والضمير في " بعدهم " عائد على الرسل والضمير في " ملئه " عائد على " فرعون " والملأ الجماعة من قبيلة وأهل مدينة ثم يقال للأشراف والأعيان من القبيلة أو البلد ملأ أي هم يقومون مقام الملأ وعلى هذا الحد هي في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريش بدر أولئك الملأ وكذلك هي في قوله تعالى " إن الملأ يأتمرون بك "

وأما في هذه الآية فهي عامة لأن بعثة موسى وهارون كانت إلى فرعون وجميع قومه من شريف ومشروف وقد مضى في " المص " ذكر ما بعث إليهم فيه والآيات البراهين والمعجزات وما في معناها وقوله " فاستكبروا " أي تعظموا وكفروا بها و " مجرمين " معناه يرتكبون ما لم يبح الله ويجسرون من ذلك على الخطر الصعب .

قوله عز وجل

يونس ٧٦ - ٧٨

يريد ب " الحق " آيتي العصا واليد ويدل على ذلك قولهم عندهما هذا سحر ولم يقولوا ذلك إلا عندهما ولا تعاطوا إلا مقاومة العصا فهي معجزة موسى عليه السلام التي وقع فيها عجز المعارض وقرأ جمهور الناس لسحر مبين وقرأ سعيد بن جبير والأعمش لساحر مبين ثم حكي عن موسى أنه وقفهم ووبخهم بقوله " أتقولون للحق لما جاءكم " ثم اختلف المتأولون في قوله " أسحر هذا " فقالت فرقة هو حكاية من موسى عنهم على معنى أن قولهم كان " أسحر هذا " ثم اختلف في معنى قول قوم فرعون " أسحر هذا " فقال بعضهم قالها منهم كل مستفهم جاهل بالأمر فهو يسأل عنه .

قال القاضي أبو محمد وهذا التأويل يضعفه ما ذكر الله قبل عنهم من أنهم صمموا على أنه سحر بقولهم " إن هذا لسحر مبين " وقال بعضهم بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذي رأوه بزعمهم كما تقول لفرس تراه يجيد الجري أفرس هذا على معنى التعجيب منه والإستغراب وأنت قد علمت أنه فرس وقالت فرقة غير هاتين ليس ذلك حكاية من موسى عنهم بل القول الذي حكاه عنهم مقدر تقديره أتقولون للحق لما جاءكم سحر .

قال القاضي أبو

". (١)

"وقوله " إن ربي على صراط مستقيم " يريد أن أفعال الله عز وجل هي في غاية الإحكام وقوله الصدق ووعده الحق فجاءت الإستقامة في كل ما ينضاف إليه عز وجل .

فعبر عن ذلك بقوله " إن ربي على صراط مستقيم " على تقدير مضاف .

قوله عز وجل

سورة هود ٥٧ - ٦٠

١٨٢

قرأ الجمهور تولوا بفتح اللام والتاء على معنى تتولوا وقرأ عيسى الثقفي والأعرج تولوا بضم التاء واللام و " إن " شرط والجواب في الفاء وما بعدها من قوله " فقد أبلغتكم " والمعنى أنه ما علي كبير هم منكم إن توليتم فقد برئت ساحتي بالتبليغ وأنتم أصحاب الذنب في الإعراض عن الإيمان .

ويحتمل أن يكون " تولوا " فعلا ماضيا ويجيء في الكلام رجوع من غيبة إلى خطاب أي فقل قد أبلغكم

.

وقرأ جمهور ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر بذلك وقرأ عاصم فيما روى هبيرة عن حفص عنه ويستخلف بالجزم عطفا على موضع الفاء من قوله " فقد " .

وقوله " ولا تضرونه شيئا " يحتمل من المعنى وجهين

أحدهما ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيئا أي لا ينتقص ملكه ولا يختل أمره وعلى هذا المعنى قرأ عبد الله بن مسعود ولا تنقصونه شيئا .

والمعنى الآخر " ولا تضرونه " أي ولا تقدرون إذا أهلككم على إضراره بشيء ولا على الإنتصار منه ولا تقابلون فعله بكم بشيء يضره .

ثم أخبرهم أن ربه " حفيظ " على كل شيء عالم به وفي ترديد هذه الصفات ونحوها تنبيه وتذكير والأمر واحد الأمور ويحتمل أن يكون مصدر أمر يأمر أي أمرنا للريح أو لخزنتها ونحو ذلك وقوله " برحمة " إما أن يكون إخبارا مجردا عن رحمة من الله لحقتهم وإما أن يكون قصدا إلى الإعلام أن النجاة إنما كملت بمجرد رحمة الله لا بأعماله فتكون الآية على هذا في معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ١٥٠/٣

أحد الجنة بعمله .

قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمته .

وقوله " ونجيناهم من عذاب غليظ " يحتمل أن يريد عذاب الآخرة ويحتمل أن يريد وكانت النجاة المتقدمة من عذاب غليظ يريد الريح فيكون المقصود على هذا تعديد النعمة ومشهور عذابهم بالريح هو أنها كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفها وتحمل الظعينة كما هي ونحو هذا .

وحكى الزجاج أنها كانت تدخل في أبدانهم وتخرج من

أدبارهم وتقطعهم عضوا عضوا .

وتعدى " جحدوا " بحرف جر لما نزل منزلة كفروا وانعكس ذلك في الآية بعد هذا وقوله " وعصوا رسله " شنعة عليهم وذلك أن في تكذيب رسول واحد تكذيب سائر الرسل وعصيانهم إذ النبوات كلها مجمعة على الإيمان بالله والإقرار بربوبيته ويحتمل أن يراد هود .

وآدم ونوح والعنيد فعيل من عند إذا عتا .

ومنه قول الشاعر

(إني كبير لا أطيق العندا

) " الرجز "

." (١)

"بظلمهم في كفرهم ومعاصيهم لكان ذلك العقاب يهلك منه جميع ما يدب على الأرض من حيوان فكأنه بالقحوط أو بأمر يصيبهم من الله تعالى وعلى هذا التأويل قال بعض العلماء كاد الجعل أن يهلك بذنوب بني آدم ذكره الطبري وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى ليهزل الحوت في الماء والطير في الهواء بذنوب العصاة وسمع أبو هريرة رجلا يقول إن الظالم لا يهلك إلا نفسه فقال أبو هريرة بلى إن الله ليهلك الحبارى في وكرها هزلا بذنوب الظلمة وقد نطقت الشريعة في أخبارها بأن الله تعالى أهلك الأمم بريها وعاصيها بذنوب العصاة منهم وقالت فرقة قوله " من دابة " يريد من أولئك الظلمة فقط ويدل على هذا التخصيص أن الله لا يعاقب أحدا بذنب أحد واحتجت بقول الله تعالى " ولا تزر وازرة وزر أخرى " وهذا معنى آخر وذلك أن الله تعالى لا يجعل العقوبة تقصد أحدا بسبب إذناب غيره ولكن إذا أرسل عذابا على أمة عاصية لم يمكن البري التخليص من ذلك العذاب فأصابه العذاب لا بأنه له

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ١٩٧/٣

مجازاة ونحو هذا قوله " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث ثم لا بد من تعلق ظلم ما بالأبرياء وذلك بترك التغيير ومداهنة أهل الظلم ومداومة جوارهم والأجل المسمى في هذه الآية هو بحسب شخص شخص وفي معنى الآية مع أمائرها اختصار وإيجاز وقوله " ما يكرهون " يريد البنات و " ما " في هذا الموضع تقع لمن يعقل من حيث هو صنف وقرأ الحسن ألسنتهم الكذب بسكون النون كراهية توالي الحركات وقرأ الجمهور الكذب بكسر الذال ف " أن " بدل منه وقرأ معاذ بن جبل وبعض أهل الشام الكذب بضم الكاف والذال والباء على صفة الألسنة و " أن لهم " مفعول ب " تصف " و " الحسنى " قال مجاهد وقتادة الذكور من الأولاد وهو الأسبق من معنى الآية وقالت فرقة يريد الجنة .

قال القاضي أبو محمد ويؤيد هذا قوله " لا جرم أن لهم

". (١)

"فهذا هو المرح فنهي الإنسان في هذه الآية أن يكون مشيه في الأرض على هذا الوجه ثم قيل له إنك لن تقطع الأرض وتمسحها بمشيك ولن تبلغ أطوال الجبال فتنالها طولا فإذا كنت لا تستوي في الأرض بمشيك فقصرك نفسك على ما يوجبه الحق من المشي والتصرف أولى وأحق وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية والمراد الناس كلهم .

قال القاضي أبو محمد وإقبال الناس على الصيد ونحوه تنزها دون حاجة إلى ذلك داخل في هذه الآية وأما الرجل يستريح في اليوم النادر أو الساعة من يومه يجم بها نفسه في التفرج والراحة ليستعين بذلك على شغل من البر كقراءة علم أو صلاة فليس ذلك بداخل في هذه الآية وقرأت فرقة فيما حكى يعقوب مرحا بكسر الراء على بناء اسم الفاعل وهذا المعنى يترتب على هذه القراءة ولكن يحسن معها **معنى آخر** ذكره الطبري مع القراءة الأولى وهو بهذه القراءة أليق وهو أن قوله " لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا " أراد به أنك أيها المرح المختال الفخور لا تخرق الأرض ولا تطاول الجبال بفخرك وكبرك وذهب بالألفاظ إلى هذا المعنى ويحسن ذلك مع القراءة بكسر الراء من المرح لأن الإنسان نهي حينئذ عن التخلق بالمرح في كل أوقاته إذ المشي في الأرض لا يفارقه فلم ينه إلا عن يكون مرحا وعلى القراءة الأخرى إنما نهى من ليس بمرح عن أن يمشي في بعض أوقاته مرحا فيترتب في المرح بكسر الراء أن يؤخذ بمعنى المتكبر المختال وخرق الأرض قطعها والخرق الواسع من الأرض ومنه قول الشاعر

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٣/٤٠٤

(وخرق تجاوزت مجهوله

بوجناء خرق تشكى الكلالا) " المتقارب "

ويقال لثقب الأرض وليس هذا المعنى في الآية ومنه قول رؤبة بن العجاج

(وقاتم الأعماق خاوي المخترق

)

وقرأ الجراح الأعرابي تخرق بضم الراء وقال أبو حاتم لا تعرف هذه اللغة وقوله تعالى "كل ذلك كان سيئة " الآية قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو جعفر والأعرج سيئة وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي والحسن

ومسروق سيئه على إضافة سيئ إلى الضمير والإشارة على القراءة الأولى إلى ما تقدم ذكره مما نهي عنه كقول أف وقذف الناس والمرح وغير ذلك والإشارة على القراءة الثانية إلى جميع ما ذكر في هذه الآيات من بر ومعصية ثم اختص ذكر السيء منه بأنه مكروه عند الله تعالى فأما من قرأ سيئه بالإضافة إلى الضمير فإعراب قراءته بين وسيئ اسم "كان " و " مكروها " خبرها وأما من قرأ سيئة فهي الخبر ل "كان " واختلف الناس في إعراب قوله " مكروها " فقالت فرقة هو خبر ثان "كان " حمله على لفظ كل وسيئة محمول على المعنى في جميع هذه الأشياء المذكورة قبل وقال بعضهم هو نعت " سيئة " لأنه لما كان تأنيثها غير حقيقي جاز أن توصف بمذكر .

". (١)

"هذه الآية تحتمل معنيين أحدهما أن الله تعالى أخبر نبيه أنه يحميه من الكفرة أهل مكة الذي كانوا يؤذونه في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد ويريدون مد اليد إليه وأحوالهم في هذا المعنى مشهورة مروية **والمعنى الآخر** أنه أعلمه انه يجعل بين الكفرة وبين فهم ما يقرأه محمد صلى الله عليه وسلم حجابا فالآية على هذا التأويل في معنى التي بعدها وعلى التأويل الأول هما آيتان لمعنيين وقوله " مستورا " أظهر ما فيه أن يكون نعتا للحجاب أي مستورا عن أعين الخلق لا يدركه أحد برؤية كسائر الحجب وإنما هو من قدرة الله وكفايته وإضلاله بحسب التأويلين المذكورين وقل التقدير مستورا به على حذف العائد وقال الأخفش " مستورا " بمعنى ساتر كمشؤوم وميمون فإنهما بمعنى شائم ويامن .

قال القاضي أبو محمد وهذا لغير داعية إليه تكلف وليس مثاله بمسلم وقيل هو على جهة المبالغة كما قالوا

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٣/٤٧٠

شعر شاعر وهذا معترض بأن ا لمبالغة أبدا إنما تكون باسم الفاعل ومن اللفظ الأول فلو قال حجابا حاجبا لكان التنظير صحيحا وقوله " وجعلنا على قلوبهم أكنة " الآية الأكنة جمع كنان وهو ما غطى الشيء ومنه كنانة النبل والوقر الثقل في الأذن المانع من السمع وهذه كلها استعارات للإضلال الذي حفهم الله به فعبر عن كثرة ذلك وعظمه بأنهم بمثابة من

غطى قلبه وصمت أذنه وقوله " وإذا ذكرت " الآية يريد إذا جاءت مواضع التوحيد في القرآن أثناء قراءتك فر كفار مكة من سماع ذلك إنكارا له واستبشاعا إذ فيه رفض آلهتهم واطراحها وقال بعض العلماء إن ملأ قريش دخلوا على أبي طالب يزورونه فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ومر بالتوحيد ثم قال يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا ونفروا فنزلت الآية وأن تكون الآية وصف حال الفارين عنه في وقت توحيده في قراءته أبين وأجرى مع اللفظ وقوله " نفورا " يصح أن يكون مصدرا في موضع الحال ويصح أن يكون جمع نافر كشاهد وشهود لأن فعولا من أبنية فاعل في

٤٦١

الصفات ونصبه على الحال أي نافرين وقوله " أن يفقهوه " " أن " نصب على المفعول أي كراهة أن أو منع أن والضمير في " يفقهوه " عائد على " القرآن " وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت إنما عنى بقوله " ولوا على أدبارهم نفورا " الشياطين وأنهم يفرون من قراءة القرآن يريد أن المعنى يدل عليهم وإن لم يجر لهم ذكر في اللفظ وهذا نظير قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له خصاص .

". (١)

"و " إن " في قوله " إن كان " هي عند سيبويه المخففة من الثقيلة واللام بعدها لام التوكيد وهي عند الفراء النافية واللام بمعنى إلا ويتوجه في هذه الآية معنى آخر وهو أن يكون قوله " آمنوا به أو لا تؤمنوا " مخلصا للوعيد دون التحقير والمعنى فسترون ما تجازون به ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من اهل الكتاب أي أن الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر بل الذين أوتوا التوراة والإنجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة " إذا يتلى عليهم " ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا .

قوله عز وجل

٤٩٢

سورة الإسراء ١٠٩ - ١١١

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤٧٤/٣

هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحض لكل من ترسم بالعلم وحصل منه شيئا أن يجري أى هذه الرتبة وحكى الطبري عن التميمي أنه قال إن من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق أن يكون أوتي علما ينفعه لأن الله تعالى نعت العلماء ثم تلا هذه الآية كلها وقوله " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " سبب نزول هذه الآية أن المشركين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا يا الله يا الرحمن فقالوا كان محمد أمرنا بدعاء إله واحد وهو يدعو إلهين قاله ابن عباس وقال مكحول تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال في دعائه يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين وكان باليمامة رجل يسمى الرحمن فقال ذلك السامع ما بال محمد يدعو رحمن اليمامة فنزلت مبينة أنها لمسمى واحد فإن دعوتموه بالله فهو ذلك وإن دعوتموه بالرحمن فهو ذلك وقرا طلحة بن مصرف أيا ما تدعوا فله الأسماء أي وله سائر الأسماء الحسنى أي التي تقتضي أفضل الأوصاف وهي بتوقيف لا يصح وضع اسم الله بنظر إلا بتوقيف من القرآن أو الحديث وقد روي أن لله تسعة وتسعين اسما الحديث ونصها كلها الترمذي وغيره بسند وتقدير الآية أي الأسماء تدعوا به فأنت مصيب له الأسماء الحسنى ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجهر بصلاته وأن لا يخافت بها وهو الإسرار الذي لا يسمعه المتكلم به هذه هي حقيقته ولكنه في الآية عبارة عن خفض الصوت وإن لم ينته إلى ما ذكرناه واختلف المتأولون في الصلاة ما هي فقال ابن عباس وعائشة وجماعة هي الدعاء وقال ابن عباس أيضا هي قراءة القرآن في الصلاة فهذا على حذف مضاف التقدير " ولا تجهر " بقراءة صلاتك قال والسبب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن فسمعه المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوسط ليسمع أصحابه المصلون معه ويذهب عنه أذى المشركين قال ابن سيرين كان الأعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت
". (١)

"وقتادة وابن إسحاق وذكر الزهراوي أن الآية تحتمل **معنى آخر** وهو أن تكون استفهاما له هل علم أصحاب الكهف عجبا بمعنى إثبات أنهم عجب وتكون فائدة تقريره جمع نفسه للام لأن جوابه أن يقول لم أحسب ولا علمته فيقال له وصفهم عند ذلك والتجوز في هذا التأويل هو في لفظه حسبت فتأمله و " الكهف " النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار وحكى النحاس عن انس بن مالك أنه قال " الكهف " الجبل وهذا غير شهير في اللغة واختلف الناس في " الرقيم " فقال كعب " الرقيم " القرية التي كانت بإزاء " الكهف " وقال ابن عباس وقتادة " الرقيم " الوادي الذي كان بإزائه وهو واد بين عصبان وأيلة

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٥١٢/٣

دون فلسطين وقال ابن عباس أيضا هو الجبل الذي فيه " الكهف " وقال السدي " الرقيم " الصخرة التي كانت على " الكهف " وقال ابن عباس " الرقيم "كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى وقيل من دين قبل عيسى وقال ابن زيد كتاب عمى الله علينا أمره ولم يشرح لنا قصته وقالت فرقة " الرقيم "كتاب في لوح نحاس وقال ابن عباس في لوح رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخا لهم ذكروا وقت فقدهم وكم كانوا وبني من كانوا وقال سعيد بن جبير " الرقيم " لوح من حجارة كتبوا فيه قصة " أصحاب الكهف " ووضعوه على باب الكهف ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قوما مؤرخين للحوادث وذلك من

٤٩٨

قبل المملكة وهو أمر مفيد وهذه الأقوال مأخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم ومنه الأرقم لتخطيطه ومنه رقمة الوادي أي مكان جري الماء وانعطافه يقال عليك بالرقمة وخل الضفة وقال النقاش عن قتادة " الرقيم " دراهمهم وقال أنس بن مالك والشعبي " الرقيم " الكلب وقال عكرمة " الرقيم " الدواة وقال فرقة " الرقيم " كان لفتية آخرين في السراة جرى لهم ما جرى ل " أصحاب الكهف " وروي عن ابن عباس أنه قال ما أدري ما " الرقيم " أكتاب أم بنيان وروي أنه قال كل بالقرآن أعلمه إلا الحنان والأواه والرقيم .

قوله عز وجل

الكهف ١٠ - ١٢

" (١).

"ربك وقال ابن عباس وقتادة فيما روي وما أراه صحيحا عنهما ما بين الأيدي هي الآخرة وما خلف هو الدنيا وهذا مختل المعنى إلا على التشبيه بالمكان لأن ما بين اليد إنما هو ما تقدم وجوده في الزمن بمثابة التوراة والإنجيل من القرآن وقول أبي العالية إنما يتصور في بني آدم وهذه المقالة هي للملائكة فتأمله وقوله " وما كان ربك نسيا " أي ممن يلحقه نسيان بعثنا إليكم في وقت المصلحة به فإنما ذلك عن قدر له أي فلا تطلب أنت يا محمد الزيارة أكثر مما شاء الله هذا ما تقتضيه قوة الكلام على التأويل الواحد أو فلا تهتم يا محمد بتأخيري ولا تلفت لفرح المشركين بذلك على التأويل الثاني و " نسيا " فعيل من النسيان والذهول عن الأمور وقالت فرقة " نسيا " هنا معناه تاركا ع وفي هذا ضعف لأنه إنما نفي النسيان مطلقا فيتمكن ذلك في النسيان الذي هو نقص وأما الترك فلا ينتفي مطلقا ألا ترى قوله تعالى " وتركهم في

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٥١٨/٣

ظلمات " وقوله " وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض " فلو قال نسيك أو نحوه من التقييد لصح حمله على الترك ولا حاجة بنا أن نقول إن التقييد في النية لأن **المعنى الآخر** أظهر وقرأ ابن مسعود وما بين ذلك وما نسيك ربك وروى أبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهي عافيته فاقبلوا ثم تلا هذه الآية وقوله " رب " بدل من قوله " وما كان ربك " وقوله " فاعبده واصطبر لعبادته " أمر بحمل تكاليف الشرع وإشعار ما بصعوبتها كالجهاد

٢٥

والحج والصدقات فهي شريعة تحتاج إلى اصطبار أعاننا الله عليها بمنه وقرأ الجمهور هل تعلم بإظهار اللام وقرأ علي بن نصر عن أبي عمرو بإدغام اللام في التاء وهي قراءة عيسى والأعمش والحسن وابن محيصن قال أبو علي سيبويه يجيز إدغام اللام في الطاء والتاء والدال والثاء والضاد والزاي والسين وقرأ أبو عمرو وهل ثوب بإدغامها في الثاء وإدغامها في التاء أحق لأنها أدخل معها في الفم ومن إدغامها في التاء ما روي من قول مزاحم العقيلي " الطويل " .

(فذر ذا ولكن هل تعين متيما

على ضوء برق آخر الليل ناصب)

". (١)

"فأما القراءتان المهموزتان فهما من رؤية العين الرئي اسم المرئي والظاهر للعين كالطحن والسقي قال ابن عباس الرئي المنظر قال الحسن وريا معناه صورا وأما المشددة الياء فقيل هي بمعنى المهموزة إلا أن الهمزة خففت لتستوي رؤوس الآي وذكر منذر بن سعيد عن بعض أهل العلم أنه من الري في السقي كأنه أراد أنهم خير منهم بلادا وأطيب أرضا وأكثر نعما إذ جملة النعم إنما هي من الري والمطر وأما القراءة المخففة الياء فضعيفة الوجه وقد قيل هي لحن وقرأ سعيد بن جبير ويزيد البربري وابن عباس ايضا وزيا بالزاي وهو بمعنى الملبس وهيئته تقول زييت بمعنى زينت وأما قوله " قل من كان في الضلالة " الآية فقول يحتمل معنيين أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء والابتهال كأنه يقول الأضل منا أو منكم مد الله له أي أملى له حتى يؤول ذلك إلى عذابه **والمعنى الآخر** أن يكون بمعنى الخبر كأنه يقول من كان ضالا من الأمم فعادة الله فيه أنه يمد له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك إلى عذابه في الآخرة فاللام في قوله " فليمدد " على المعنى الأول لام رغبة في صيغة الأمر وعلىالمعنى الثاني لام أمر دخلت في معنى الخبر ليكون أوكد وأقوى

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٤/ ٣٠

وهذا موجود في كلام العرب وفصاحتها .

قوله عز وجل

سورة مريم الآية ٧٥٨٠

" حتى " في هذه الآية حرف

ابتداء دخلت على جملة وفيها معنى الغاية و " إذا " شرط وجوابها في قوله " فسيعلمون " والرؤية رؤية العين و " العذاب " و " الساعة " بدل من " ما " التي وقعت عليها

٣٠

". (١)

"واختلف المتأولون في السبب الذي من أجله أمر بخلع النعلين فقالت فرقة كانتا من جلد حمار ميت فأمر بطرح النجاسة وقالت فرقة بل كانت نعلاه من جلد بقرة ذكي لكن أمر بخلعها لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربة الوادي وتحتمل الآية **معنى آخر** هو الأليق بها عندي وذلك أن الله تعالى أمره أن يتواضع لعظم الحال التي حصل فيها والعرف عند الملوك أن تخلع النعلان ويبلغ الإنسان إلى غاية تواضعه فكأن موسى عليه السلام أمر بذلك على هذا الوجه ولا نبالي كانت نعلاه من ميتة أو غيرها و " المقدس " معناه المطهر و " طوى " معناه مرتين مرتين فقالت فرقة معناه قدس مرتين وقالت فرقة معناه طويته أنت أي سرت به أي طويت لك الأرض مرتين من طيك وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي طوى بالتنوين على أنه أسم المكان وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو طوى على أنه اسم البقعة دون تنوين وقرأ هؤلاء كلهم بضم الطاء وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسر الطاء وقرأت فرقة طاوي وقالت فرقة هو اسم الوادي و طوى على التأويل الأول بمنزلة قولهم ثني وثنى أي مثنيا وقرأ السبعة غير حمزة وأنا اخترتك ويؤيد هذه القراءة تناسبها مع قوله " أنا ربك " وفي مصحف أبي بن كعب وأني اخترتك وقرأ حمزة وأنا اخترناك بالجمع وفتح الهمزة وشد النون والآية على هذا بمنزلة قوله " سبحان الذي أسرى بعبده " ثم قال " وآتينا " الإراء فخرج من إفراد إلى جمع وقرأت فرقة وإنا اخترناك بكسر الألف .

قال القاضي أبو محمد وحدثني أبي رضي الله عنه قال سمعت أبا الفضل بن الجوهري يقول لما قيل لموسى " فاستمع " وقف على حجر واستند إلى حجر ووضع يمينه على شماله وألقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا وقرأت فرقة بالواد المقدس طاوي وقوله "

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٣٧/٤

وأقم الصلاة لذكري " يحتمل أن يريد لتذكيري فيها أو يريد لأذكرك في عليين بها فالمصدر على هذا يحتمل الإضافة إلى الفاعل أو إلى المفعول واللام لام السبب وقالت فرقة معنى قوله " لذكري " أي عند ذكري إذا ذكرتني وأمري لك بها فاللام على هذا بمنزلتها في قوله " أقم الصلاة لدلوك الشمس " وقرأ فرقة للذكرى وقرأت فرقة لذكرى بغير تعريف وقرأت فرقة للذكر .

قوله عز وجل

سورة طه الآية ١٥ ١٨

في قوله " إن الساعة آتية " تحذير ووعيد أي اعبدني فإن عقابي وثوابي بالمرصاد و " الساعة " في

٤٠

هذه الآية القيامة بلا خلاف وقرأ ابن كثير والحسن وعاصم أكاد أخفيها بفتح الهمزة بمعنى أظهرها أي أنها من صحة وقوعها وتيقن كونه تكاد تظهر لكن تنحجب إلى الأجل المعلوم والعرب تقول خفيت الشيء بمعنى أظهرته ومنه قول امرىء القيس " الطويل "

(خفاهن من أنفاقهن كأنما

خفاهن ودق من سحاب مجلب)

." (١)

"الذي غير سهل وشبهه المهدوي بقوله تعالى " وما تلك بيمينك يا موسى " وقد يظهر في الآية أن يكون قوله " يدعو " متصلا بما قبله ويكون فيه معنى التوبيخ كأنه قال " يدعو " من لا يضر ولا ينفع ثم كرر " يدعو " على جهة التوبيخ غير معدى إذ عدي أول الكلام ثم ابتدأ الإخبار بقوله " لمن ضره " واللام مؤذنة بمجيء القسم والثانية التي في " لبئس " لام القسم وإن كان أبو علي مال إلى أنها لام الابتداء والثانية لام اليمين ويظهر ايضا في الآية أن يكون المراد يدعو من ضره ثم علق الفعل بالام وصح أن يقدر هذا الفعل من الأفعال التي تعلق وهي أفعال النفس كظننت وخشيت وأشار أبو علي إلى هذا ورد عليه و " العشير " القريب المعاشر في الأمور وذهب الطبري إلى أن المراد بالمولى والعشير هو الإنسان الذي يعبد الله على حرف ويدعو الأصنام والظاهر أن المراد ب " المولى " و " العشير " هو الوثن الذي ضره أقرب من نفعه وهو قول مجاهد والله أعلم .

١١١

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤٩/٤

قوله عز وجل

سورة الحج الآية ١٤ ١٧

\

لما ذكر تبارك وتعالى حالة من يعبده " على حرف " وسفه رأيهم وتوعدهم بخسارة الآخرة عقب ذلك بذكر مخالفيهم من أهل الإيمان وذكر ما وعدهم به من إدخاله إياهم الجنة ثم أخذت الآية في توبيخ أولئك الأولين وإسلامهم إلى رأيهم وإحالتهم على مافي عنتهم وليس فيه راحتهم كأنه يقول هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا أن الله تبارك وتعالى لن ينصر محمدا وأتباعه ونحن إنما أمرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك " فليمدد بسبب " وليختنق ولينظر هل يذهب بذلك غيظه قال هذا المعنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر قولهم دونك الحبل فاختنق يقال ذلك للذي يريد من الأمر ما لا يمكنه والسبب الحبل والنصر معروف إلا أن أبا عبيدة ذهب به إلى معنى الرزق كما قالوا أرض منصورة أي ممطورة وكما قال الشاعر " الطويل "

(وإنك لا تعطي أمرا فوق حقه

ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره)

وقال وقف بنا سائل من بني أبي بكر فقال من ينصرني ينصره الله و " السماء " على هذه الأقوال الهواء علوا فكأنه أراد سقفا أو شجرة أو نحوه وقال ابن زيد " السماء " هي المعروفة وذهب إلى **معنى آخر** كأنه قيل لمن يظن أن الله تعالى لا ينصر محمدا إن كنت تظن ذلك فامدد " بسبب إلى السماء " واقطعه إن كنت تقدر على ذلك فإن عجزت فكذلك لا تقدر على قطع سبب محمد صلى الله عليه وسلم إذ نصرته من هنالك والوحي الذي يأتيه .

". (١)

"قال القاضي أبو محمد والقطع على هذا التأويل ليس بالاختناق بل هو جزم السبب وفي مصحف ابن مسعود ثم ليقطعه بهاء والجمهور على أن القطع هنا هو الاختناق وقال الخليل وقطع الرجل إذا اختنق بحبل أو نحوه ثم ذكر الآية وتحتمل الآية **معنى آخر** وهو أن يراد به الكفار وكل من يغتاظ بأن ينصره الله ويطمع أن لا ينصر قيل له من ظن أن هذا لا ينصر فليمت كمدا هو منصور لا محالة فليختنق هذا الظان غيظا وكمدا ويؤيد هذا أن الطبري

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤/١٣٤

والنقاش قالا ويقال نزلت في نفر من بني أسد وغطفان قالوا نخاف أن ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع والمعنى الأول الذي قيل فيه للعابدين " على حرف " ليس بهذا ولكنه بمعنى من قلق واستبطأ النصر وظن أن محمدا لا ينصر فليختنق سفاهة إذ تعدى الأمر الذي حد له في الصبر وانتظار صنع الله وقال مجاهد الضمير في

١١٢

". (١)

"آلاف سنة وإلى مالا نهاية له من العدد في حكم الألف ولكنهم قالوا ذكر الألف لأنه منتهى العدد دون تكرار فاقتصر عليه ع وهذا التأويل لا يناسب الآية وقالت فرقة إن المعنى أن اليوم عند الله كألف سنة من هذا العدد من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن تؤخر أمتي نصف يوم وقوله يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ذلك خمسمائة سنة ومنه قول ابن عباس مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة فكأن المعنى وإن طال الإمهال فإنه في بعض يوم من أيام الله وكرر قوله " وكأين " لأنه جلب معنى آخر ذكر أولا القرى المهلكة دون إملاء بل بعقب التكذيب ثم ثنى بالمهملة لئلا يفرح هؤلاء بتأخير العذاب عنهم وقرأت فرقة تعدون بالتاء وقرأت فرقة يعدون بالياء على الغائب .

قوله عز وجل

سورة الحج الاية ٤٩٥٤

١٢٨

". (٢)

"المرية الشك والضمير في قوله " منه " قالت فرقة هو عائد على القرآن وقالت فرقة على محمد عليه السلام وقالت فرقة على ما " ألقى الشيطان " وقال سعيد بن جبير أيضا على سجود النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم و " الساعة " قالت فرقة أراد يوم القيامة واليوم العقيم يوم بدر وقالت فرقة " الساعة " موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر ونحوه واليوم العقيم يوم القيامة ع وهذان القولان جيدان لأنهما أحرزا التقسيم ب " أو " ومن جعل " الساعة " واليوم العقيم يوم القيامة فقد أفسد رتبة " أو " وسمي يوم القيامة أو يوم الاستئصال عقيما لأنه لا ليلة بعده ولا يوم والأيام كأنها نتائج لمجيء واحد إثر واحد فكأن آخر

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤/١٣٥

(٢) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٤/١٥٧

يوم قد عقم وهذه استعارة وجملة هذه الآية توعد وقوله " الملك يومئذ لله " السابق منه أنه في يوم القيامة من حيث لا ملك فيه لأحد من ملوك الدنيا ويجوز أن يريد به يوم بدر ونحوه من حيث ينفذ فيه قضاء الله وحده ويبطل ما سواه ويمصي حكمه فيمن اراد تعذيبه فأما من تأوله في يوم القيامة فاتسق له قوله " فالذين آمنوا " إلى قوله " مهين " ومن تأوله في يوم بدر ونحوه جعل قوله " فالذين آمنوا " ابتداء خبر عن حالهم المتركبة على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الإيمان والكفر وقوله " والذين هاجروا في سبيل الله " الآية ابتداء **معنى آخر** وذلك أنه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه فنزلت هذه الآية مسوية بينهم في ان الله تعالى يرزق جميعهم " رزقا حسنا " وليس هذا بقاض بتساويهم في الفضل وظاهر الشريعة أن المقتول أفضل وقال بعض الناس المقتول والميت في سبيل الله شهيدان ولكن للمقتول مزية ما أصابه في ذات الله والرزق الحسن يحتمل أن يريد به رزق الشهداء عند ربهم في البرزخ ويحتمل أن يريد بعد يوم القيامة في الجنة وقرأت فرقة مدخلا بضم الميم من أدخل فهو محمول على

الفعل المذكور وقرأت فرقة مدخلا بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدر تقديره فيدخلون مدخلا وأسند الطبري عن سلامان بن عامر قال كان فضالة برودس أميرا على الأرباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفي فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل فقال أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه فوالذي نفسي بيده ما أبالي من اي حفرتيهما بعثت اقرؤوا قول الله تعالى " والذين هاجروا في سبيل الله " الآية إلى قوله " حليم " وقوله تعالى " ذلك " إلى قوله " الكبير " المعنى الأمر ذلك ثم أخبر تعالى عمن عاقب من المؤمنين من ظلمه من الكفرة ووعد المبغي

١٣١

". (١)

"قال القاضي أبو محمد ولا تكون هذه القراءة تكثير تهجرون بضم التاء وكسر الجيم لأن أفعل لا يتعدى ولا يكثر بتضعيف إذ التضعيف والهمزة متعاقبان ثم وبخهم على إعراضهم بعد تدبر القول لأنهم بعد التدبر والنظر الفاسد قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وسائر ذلك وقوله " أم جاءهم "كذلك توبيخ ايضا والمعنى أأبدع لهم أمر لم يكن في الناس قبلهم بل قد جاء الرسل قبل كنوح وإبراهيم وإسماعيل وفي هذا التأويل من التجوز أن جعل سالف الأمم آباء إذ الناس في الجملة آخرهم من أولهم ويحتمل اللفظ

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٤/١٦١

معنى آخر على أن يراد ب " آباءهم الأولين " من فرط من سلفهم في العرب فكأنه قال أفلم يدبروا القول أم جاءهم أمر غريب من عند الله لم يأت " آباءهم " فبهر عقولهم ونبت أذهانهم عن أمر من أمور الله غريب في سلفهم والمعنى الأول أبين .

قوله عز وجل

سورة المؤمنون الآية ٦٩٧١

١٥١

". (١)

"وهذه الأقوال الثلاثة تطرد فيها مقابلة جزء من المثال لجزء من الممثل فعلى قول من قال الممثل به محمد عليه السلام وهو قول كعب الحبر فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المشكاة أو صدره و " المصباح " هو النبوءة وما يتصل بها من عمله وهداه و " الزجاجة " قلبه والشجرة المباركة هي الوحي والملائكة رسل إليه وسببه المتصل به والزيت هو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي وعلى قول من قال الممثل به المؤمن وهذا قول أبي بن كعب فالمشكاة صدره و " المصباح " الإيمان والعلم و " الزجاجة " قلبه و " الشجرة " القرآن وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها قال أبي فهو

١٨٤

على أحسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات ومن قال إن الممثل به القرآن والإيمان فتقدير الكلام " مثل نوره " الذي هو الإيمان في صدر المؤمن في قلبه "كمشكاة " أي كهذه الجملة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالأولين لأن المشكاة ليست تقابل الإيمان وتحتمل الآية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزء من المثال لجزء من الممثل بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس أي فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيه البشر والمشكاة الكوة في الحائط غير النافذة قال ابن جبير وسعيد بن عياض وجمهور المفسرين وهي أجمع للضوء و " المصباح " فيها أكثر إنارة من غيرها وقال مجاهد المشكاة العمود الذي يكون " المصباح " على رأسه وقال أبو موسى المشكاة الحديدة أو الرصاصة التي يكون فيها الفتيل في جوف الزجاجة وقال مجاهد ايضا المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل والأول أصح هذه الأقوال وقوله " في زجاجة " لأنه جسم شفاق " المصباح " فيه أنور منه في غير الزجاج و "

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ١٨٣/٤

المصباح " الفتيل بناره وأمال الكسائي فيما روى عنه أبو عمرو الداني الألف من مشكاة فكسر الكاف التي قبلها وقرأ نصر بن عاصم في زجاجة بفتح الزاي والزجاجة كذلك وهي لغة وقوله " كأنها كوكب دري " أي في الإنارة والضوء وذلك يحتمل معنين إما أن يريد أنها بالمصباح كذلك وإما أن يريد أنها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك .

قال الفقيه الإمام القاضي وهذا التأويل أبلغ في التعاون على النور قال الضحاك الكوكب الدري الزهرة وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم دري بضم الدال وشد الياء .

ولهذه القراءة وجهان إما أن ينسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه وإما أن يكون أصله دريء مهموز من الدرء وهو الدفع وخففت الهمزة وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم دريء بالهمزة وهو فعيل من الدرء بمعنى ". (١)

"وقوله " يوم التنادي " معناه ينادي قوم قوما ويناديهم الآخرون واختلف المتأولون في " التنادي " المشار إليه فقال قتادة هو نداء أهل الجنة أهل النار " فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا " [الأعراف : ٤٤] ونداء أهل النار لهم " أفيضوا علينا من الماء " [الأعراف : ٥٠] وقالت فرقة بل هو النداء الذي يتضمنه قوله تعالى " يوم ندعو كل أناس بإمامهم " [الإسراء : ٧١] وقال ابن عباس وغيره هو التنادي الذي يكون بالناس عند النفخ في الصور نفخة الفزع في الدنيا وأنهم يفرون على وجوههم للفزع الذي نالهم وينادي بعضهم بعضا وروي هذا التأويل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال القاضي أبو محمد ويحتمل أن يكون المراد التذكير بكل نداء في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة ولها أجوبة بنداء وهي كثيرة منها ما ذكرناه ومنها يا أهل النار خلود لا موت ومنها يا أهل الجنة خلود لا موت ومنها نداء أهل الغدرات والنداء " لمقت الله " [غافر : ١٠] والنداء " لمن الملك اليوم " [غافر : ١٦] إلى غير ذلك

وقرأت فرقة التناد بسكون الدال في الوصل وهذا على إجرائهم الوصل مجرى الوقف في غير ما موضع وقرأ نافع وابن كثير التنادي بالياء في الوصل والوقف وهذا على الأصل وقرأ الباقون التناد بغير ياء فيهما وروي ذلك عن نافع وابن كثير وحذفت الياء مع الألف واللام حملا على حذفها مع معاقبها وهو التنوين وقال سيبويه حذفت الياء تخفيفا وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو صالح والكلبي التناد بشد الدال وهذا **معنى آخر** ليس من النداء بل هو

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٤/٢٢٥

من نداء البعير إذا هرب وبهذا المعنى فسر ابن عباس والسدي هذه الآية وروت هذه الفرقة في هذا المعنى حديثا أن الله تعالى إذا طوى السماوات نزلت ملائكة كل سماء فكانت صفا بعد صف مستديرة بالأرض التي عليها الناس للحساب فإذا رأى العالم هو ل القيامة وأخرجت جهنم عنقها إلى أصحابه، فر الكفار وندوا مدبرين إلى كل جهة فتردهم الملائكة إلى المحشر خاسئين لا عاصم لهم قالت هذه الفرقة ومصداق هذا الحديث في كتاب الله تعالى قوله " والملك على أرجائها " [الحاقة : ١٧] وقوله تعالى " وجاء ربك والملك صفا صفا " [الفجر : ٢٢] وقوله تعالى " يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان " [الرحمن : ٣٣]
وقوله تعالى " يوم تولون مدبرين " معناه على بعض الأقاويل في التنادي تفرون هروبا من المفزع وعلى بعضها تفرون مدبرين إلى النار والعاصم المنجي
٥٥٩
قوله عز وجل في سورة غافر من ٣٤ - ٣٥
." (١)

"ثم قوى تعالى تسلية نبيه عليه السلام بان عرفه ان الأمر موقوف على مشيئة الله من إيمانهم أو كفرهم وانه لو أراد كونهم امة واحدة لجمعهم عليه ولكنه يدخل من سبقت له السعادة عنده في رحمته وييسره في الدنيا لعمل اهل السعادة وان الظالمين بالكفر الميسرين لعمل الشقوة ما لهم من ولي ولا نصير وقوله " أم اتخذوا " كلام منقطع مما قبله وليست معادلة ولكن الكلام كانه أضرب عن حجة لهم او مقالة مقررة فقال (بل اتخذوا) هذا مشهور قول النحويين في مثل هذا وذهب بعضهم
الى ان " أم " هذه هي بمنزلة ألف الاستفهام دون تقدير إضراب ثم أثبت الحكم بأنه عز وجل هو الولي الذي تنفع ولايته وانه هو الذي يحيى الموتى ويحشرهم الى الآخرة ويبعثهم من قبورهم وان قدرته على كل شيء تعطي هذا وتقتضيه
٢٨
قوله عز وجل
سورة الشورى ١٠ - ١٢
المعنى قل لهم يا محمد " وما اختلفتم فيه " أيها الناس من تكذيب وتصديق وايمان وكفر وغير ذلك

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٤/٦٢٥

فالحكم فيه والمجازاة عليه ليست إلي ولا بيدي وإنما ذلك " إلى الله " الذي صفاته ما ذكر من إحياء الموتى والقدرة على كل شيء ثم قال ذلكم الله ربي وعليه توكلي وإليه إنابتي ورجوعي وهو " فاطر السماوات والأرض " أي مخترعها وخالقها شق بعضها من بعض

وقوله تعالى " جعل لكم من انفسكم ازواجا " يريد زوج الإنسان الأنثى وبهذه النعمة اتفق الذرء وليست الأزواج ها هنا الأنواع واما الأزواج المذكورة مع الأنعام فالظاهر ايضا والمتسق أنه يريد إناث الذكران ويحتمل ان يريد الأنواع والأول أظهر

وقوله " يذرؤكم " أي يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن قاله مجاهد والناس فلفظة ذرأ تزيد على لفظة خلق معنى آخرليس في خلق وهو توالي الطبقات على مر الزمان

وقوله " فيه " الضمير عائد على الجعل الذي يتضمنه قوله " جعل لكم " وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه

وقال القتبي الضمير للتزويج ولفظة (في) مشتركة على معان وإن كان أصلها الوعاء وإليه يردها النظر في كل وجه

وقوله تعالى " ليس كمثله شيء " الكاف مؤكدة للتشبيه فبقي التشبيه اوكد ما يكون وذلك أنك تقول زيد كعمرو وزيد مثل عمرو فإذا أردت المبالغة التامة قلت زيد كمثل عمرو ومن هذا قول اوس بن حجر

(وقتلى كمثل جذوع النخيل

يغشاهم سيل منهمر) " المتقارب "

ومنه قول الآخر

(سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم

ما إن كمثلهم في الناس من احد) " البسيط "

". (١)

"وروي عن حذيفة ما يقتضي ان النبي عليه السلام عرفه بهم او ببعضهم وله في ذلك كلام مع عمر رضي الله عنه

ثم أخبر الله تعالى أنه سيعرفهم " في لحن القول " ومعناه في مذهب القول ومنحاه

١٢١

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٢٥/٥

ومقصده وهذا هو كما يقول لك إنسان معتقده وتفهم انت من مقاطع كلامه وهيئته وقرائن أمره انه على خلاف ما يقول وهذا معنى قوله " في لحن القول " ومن هذا المعنى قول النبي عليه السلام (فلعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض) الحديث أي أذهب بها في جهات الكلام وقد يكون هذا اللحن متفقا عليه

ان يقول الإنسان قولا يفهم السامعون منه معنى ويفهم الذي اتفق مع المتكلم **معنى آخر** ومنه الحديث الذي قال سعد بن معاذ وابن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عضل والقارة وفي هذا المعنى قول الشاعر مالك بن أسماء

(وخير الحديث ما كان لحنا

) " الخفيف "

أي ما فهمه عنك صاحبك وخفي على غيره فأخبر الله محمدا رسوله عليه السلام ان أقوالهم المحرفة التي هي على خلاف عقدهم ستتبين له فيعرفهم بها واحتج بهذه الآية من جعل في التعريض بالقذف

وقوله تعالى " والله يعلم أعمالكم " مخاطبة للجميع من مؤمن وكافر

وقرأ جمهور القراء (ولنبلونكم) بالنون وكذلك (نعلم) وكذلك (نبلوا) وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (وليبلونكم الله) وكذلك (يعلم) (ويبلو) وروى رويس عن يعقوب (ويبلو) بالرفع على القطع والإعلام بان ابتلاءه دائم

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستارنا

وقوله تعالى " حتى نعلم المجاهدين " أي حتى يعلمهم مجاهدين قد خرج جهادهم إلى الوجود وبان تكسبهم الذي به يتعلق ثوابهم وعلم الله بالمجاهدين قديم أزلي وإنما المعنى ما ذكرناه

وقوله تعالى " وصدوا " يحتمل ان يكون المعنى " وصدوا " غيرهم ويحتمل ان يكون غير متعد بمعنى وصدوهم في أنفسهم

وقوله " وشاقوا الرسول " معناه خالفوه فكانوا في شق وهو في شق

وقوله " من بعد ما تبين لهم الهدى " قالت فرقة نزلت في قوم من بني إسرائيل فعلوا هذه الأفاعيل بعد تبينهم لأمر محمد عليه السلام من التوراة

وقالت فرقة نزلت في

قوم من المنافقين حدث النفاق في نفوسهم بعد ما كان الإيمان داخلها

وقال ابن عباس نزلت في المطعمين سفرة بدر و (تبين الهدى) هو وجوده عند الداعي اليه

وقالت فرقة بل هي عامة في كل كافر وألزمهم انه قد " تبين لهم الهدى " من حيث كان الهدى بينا في نفسه وهذا كما تقول لإنسان يخالفك في احتجاج على معنى التوبيخ له انت تخالف في شيء لا خفاء به عليك بمعنى انه هكذا هو في نفسه

وقوله " لن يضروا الله " تحقير لهم

". (١)

"وقال قوم في كتاب الثعلبي إنما يسحب الكفرة سحبا فبعضهم يجر بقدميه وبعضهم بناصيته فأخبر في هذه الآية ان الأخذ يكون " بالنواصي " ويكون ب " الأقدام "

وقوله " هذه جهنم " قبله محذوف تقديره يقال لهم على جهة التقريع والتوبيخ وفي مصحف ابن مسعود (هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان)

وقرا جمهور الناس (يطوفون) بفتح الياء وضم الطاء وسكون الواو

وقرا طلحة بن مصرف (يطوفون) بضم الياء وفتح الطاء وشد الواو

وقرا أبو عبد الرحمن (يطافون) وهي قراءة علي بن أبي طالب

والمعنى في هذا كله انهم يترددون بين نار جهنم وجمرها " وبين حميم " وهو ما غلي في جهنم من مائع عذابها

والحميم الماء السخن

وقال قتادة إن العذاب الذي هو الحميم يغلي منذ خلق الله جهنم

وأني الشيء حضر وأنى اللحم او ما يطبخ او

يغلي نضج وتناهى حره والمراد منه ويحتمل قوله " أن " ان يكون من هذا ومن هذا

وكونه من الثاني أبين ومنه قوله تعالى " وغير ناظرين إناه " الأحزاب ٥٣ ومن **المعنى الآخر** قول الشاعر عمرو بن حسان الشيباني

(أنى ولكل حاملة تمام

) " الوافر "

ويشبه ان يكون الأمر في المعنيين قريبا بعضه من بعض والأول اعم من الثاني

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٥/١٠٧

٢٣٣

قوله عز وجل

سورة الرحمن ٤٦ – ٥٧

(من) في قوله تعالى " ولمن " يحتمل ان تقع على جميع المتصفين بالخوف الزاجر عن معاصي الله تعالى ويحتمل ان تقع لواحد منهم وبحسب هذا قال بعض الناس في هذه الآية إن كل خائف له " جنتان "

وقال بعضهم جميع الخائفين لهم " جنتان "

والمقام هو وقوف العبد بين يدي ربه يفسره " يوم يقوم الناس لرب العالمين " المطففين ٦ وأضاف المقام الى الله من حيث هو بين يديه

قال الثعلبي وقيل " مقام ربه " قيامه على العبد بيانه " أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت " الرعد ٣٣ وحكى الزهراوي هذا المعنى عن مجاهد

وفي هذه الإضافة تنبيه على صعوبة الموقف وتحريض على الخوف الذي هو أسرع المطايا الى الله عز وجل

وقال قوم أراد جنة واحدة وثنى على نحو قوله " ألقيا في جهنم " ق٢٤ وقول الحجاج يا غلام اضربا عنقه وقال أبو محمد هذا ضعيف لأن معنى التثنية متوجه فلا وجه للفرار الى هذه الشاذة ويؤيد التثنية قوله " ذواتا أفنان " وهي تثنية ذات على الأصل

لأن أصل ذات ذوات

والأفنان يحتمل ان يكون جمع فنن وهو فنن الغصن وهذا قول مجاهد فكأنه مدحها بظلالها وتكاثف أغصانها ويحتمل ان يكون جمع فن وهو قول ابن عباس فكانه مدحها بكثرة أنواع فواكهها ونعيمها و " زوجان " معناه نوعان و " متكئين " حال إما من محذوف تقديره يتنعمون " متكئين "

وإما من قوله " ولمن خاف "

الاتكاء جلسة المتنعم المتمتع

." (١)

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٢١٢/٥

"وقرا جمهور الناس (فرش) بضم الراء وقرا أبو حيوة (فرش) بسكون الراء وروي في الحديث انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البطائن " من استبرق " فكيف الظواهر قال (هي من نور يتلألأ)

والاستبرق ما خشن وحسن من الديباج

والسندس ما رق منه

وقد تقدم القول في لفظة الاستبرق

وقرأ ابن محيصن (من استبرق) على انه فعل والألف وصل

والضمير في قوله " فيهن " للفرش وقيل للجنات إذ الجنتان جنات في المعنى

والجنى ما يجتنى من الثمار ووصفه بالدنو لأنه فيما روي في الحديث يتناوله المرء على أي حالة كان من قيام او جلوس أو اضطجاع لأنه يدنو الى مشتهيه

و " قاصرات الطرف " هي الحور العين قصرن ألحاظهن على ازواجهن

وقرأ أبو عمرو عن الكسائي وحده وطلحة وعيسى وأصحاب علي وابن مسعود (يطمثهن) بضم الميم

وقرأ جمهور القراء (يطمثهن) بكسر الميم والمعنى لم يفتضهن لأن الطمث دم الفرج فيقال

٢٣٤

لدم الحيض طمث ولدم الافتضاض طمث فإذا نفي الافتضاض فقد نفي القرب منهن بجهة الوطء

قال الفراء لا يقال طمث الا إذا افتض

قال غيره طمث معناه جامع بكرا او غيرها

واختلف الناس في قوله " ولا جان " فقال مجاهد الجن قد تجامع نساء البشر مع ازواجهن إذا لم يذكر الزوج الله تعالى فتنفي هذه الآية جميع المجامعات

وقال ضمرة بن حبيب الجن لهم " قاصرات الطرف " من الجن نوعهم فنفى في هذه الآية الافتضاض عن البشريات والجنيات

قال القاضي أبو محمد ويحتمل اللفظ ان يكون مبالغة وتأكيدا كانه قال " لم يطمثهن " شيء أراد العموم التام لكنه صرح من ذلك بالذي يعقل منه ان يطمث

وقال ابو عبيدة والطبري إن من العرب من يقول ما طمث هذا البعير حبل قط أي مامسه

قال القاضي أبو محمد فإن كان هذا المعنى ما أدماه حبل فهو يقرب من الأول

والا فهو معنى آخر غير الذي قدمناه

وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد (ولا جان) بالهمز

وقوله عز وجل

سورة الرحمن ٥٨ - ٦٩

" الياقوت والمرجان " هي من الأشياء التي قد برع حسنها واستشعرت النفوس جلالتها فوقع التشبيه بها لا في جميع الأوصاف لكن فيما يشبه ويحسن بهذه المشبهات ف " الياقوت " في إملاسه وشفوفه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في صفة المرأة من نساء أهل الجنة (يرى مخ ساقها من وراء العظم)

" والمرجان " في إملاسه وجمال منظره وبهذا النحو من النظر سمت العرب النساء بهذه الاشياء كدرة بنت أبي لهب

ومرجانة أم سعيد وغير ذلك

وقوله تعالى " هل جزاء الاحسان الا الإحسان " آية وعد وبسط لنفوس جميع المؤمنين لأنها عامة

قال ابن المنكدر وابن زيد وجماعة من اهل العلم هي للبر والفاجر

والمعنى ان جزاء من احسن بالطاعة ان يحسن اليه بالتنعيم

". (١)

" ١٨٨ وعلي رضي الله عنهم أساور جمع أسوار وسوار وهو ما يجعل في اليد وقيل أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار من سندس وإستبرق السندس رقيق الديباج والإستبرق الغليظ منه الأرائك الأسرة والفرش واضرب لهم الضمير للكفار الذين قالوا أطرد فقراء المسلمين وللفقراء الذين أرادوا طردهم أي مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين وهما أخون من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر ورثا مالا عن أبيهما فاشترى الكافر بماله جنتين وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر فعير الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر وروي أن اسم المؤمن تمليخا واسم الكافر فطروس وقيل كانا شريكين اقتسما المال فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله أكلها بضم الهمزة اسم لما يؤكل ويجوز ضم الكاف وإسكانها ولم تظلم أي لم تنقص وكان له ثمر بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك قاله ابن عباس وقتادة وقيل هو الذهب والفضة خاصة وهو من ثمر ماله إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفا وأما بفتح الثاء والميم فهو المأكول من الشجر ويحتمل المعنى الآخر وهو يحاوره أي يراجعه في

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٥/٢١٣

الكلام وأعز نفرا يعني الأنصار والخدم ودخل جنته أفرد الجنة هنا لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة وهو ظالم لنفسه إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه وقال ما أظن أن تبيد هذه أبدا يحتمل أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافرا بالآخرة أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطا في الاغترار وقلت التحصيل ولئن رددت إلى ربي إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخي لأجدن في الآخرة خيرا من جنتي في الدنيا وقرئ خيرا منهما بضمير الاثنين للجنتين وبضمير الواحد للجنة منقلبا أي مرجعا أكفرت." (١)

"أحدها قوله فعله كبيرهم فالجواب أن معنى ذلك أنه قال قولا ظاهره الكذب وإن كان القصد به معنى آخر ويدل على ذلك

قوله فاسألوهم إن كانوا ينطقون لأنه أراد به أيضا تبكيتهم وبيان ضلالهم فرجعوا إلى أنفسهم أي رجعوا إليها بالفكرة والنظر أو رجعوا إليها بالملامة فقالوا إنكم أنتم الظالمون أي الظالمون لأنفسكم في عبادتكم مالا ينطق ولا يقدر على شيء أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه إنه لمن الظالمين وفي تعنيفه على أعين الناس ثم نكسوا على رءوسهم استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أي فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون ... ٤٢٢." (٢)

"٤٨ قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ومعنى من قبل على هذا من قبل وجودكم وهنا يتم الكلام على هذا القول ويكون قوله وفي هذا مستأنفا أي وفي هذا البلاغ والقول الأول أرجح وأقل تكلفا ويدل عليه قراءة أبي بن كعب الله سماكم المسلمين شهيدا عليكم تقدم معنى هذه الشهادة في البقرة فأقيموا الصلاة الظاهر أنها المكتوبة به لاقترانها مع الزكاة هو مولاكم معناه هنا وليكم وناصركم بدلالة ما بعد ذلك

سورة المؤمنون

الذين هم في صلاتهم خاشعون الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع وقد عد بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها وقد جاء في الحديث لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب فقد يحضر

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٣٧/٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٩٦/٢

القلب ولا يخشع عن اللغو معرضون اللغو هنا الساقط من الكلام كالسب واللهو والكلام بما لا يعني وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعا ومعنى الإعراض عنه عدم الاستماع إليه والدخول فيه ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى للزكاة فاعلون أي مؤدون فإن قيل لم قال فاعلون ولم يقل مؤدون فالجواب أن الزكاة لها معنيان أحدهما الفعل الذي يفعله المزكي أي أداء ما يجب على المال والآخر المقدار المخرج من المال كقولك هذه زكاة مالي والمراد هنا الفعل لقوله فاعلون ويصح **المعنى الآخر** على حذف تقديره هم لأداء الزكاة فاعلون على أزواجهم هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أي لا يلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله حافظون على أن يكون على بمعنى عن أو ما ملكت أيمانهم يعني النساء المملوكات قال الزمخشري إنما قال ما ملكت ولم يقل من لأن الإناث يجرين مجرى غير العقلاء." (١)

"يجري على قراءة يصدون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح وقالوا ءآلهتنا خير أم هو يعنون بهو عيسى والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه لأنه خير من آلهتنا وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكره الزمخشري في تفسير الآية التي قبله وأما على ما ذكر ابن عطية فهذا ابتداء **معنى آخر** وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولا آخر وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن عبدنا الملائكة وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فمقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى وقيل إن قولهم أم هو يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى قالوا أآلهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آلهتهم على محمد والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور ويدل على ذلك تقدم ذكره ما ضربوه لك إلا جدلا أي ما ضربوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل وهو أن ... ٦٢٥." (٢)

"أو أخص منه أو مباين. وجماع القول في ذلك أن من العلماء من جعلهما متساويين، وإلى ذلك ذهب ثعلب وابن الأعرابي وأبو عبيدة، وهو ظاهر كلام الراغب، ومنهم من جعل التفسير للمعنى الظاهر والتأويل للمتشابه، ومنهم من قال: التأويل صرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى **معنى آخر** محتمل لدليل فيكون هنا بالمعنى الأصولي، فإذا فسر قوله تعالى: ﴿يخرج الحي من الميت﴾ [الروم: ١٩] بإخراج الطير من

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢/٢٣٠

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣/٢٥

البيضة، فهو التفسير، أو بإخراج المسلم من الكافر فهو التأويل، وهنالك أقوال أخر لا عبرة بها، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها إلا أن اللغة والآثار تشهد للقول الأول، لأن التأويل مصدر أوله إذا أرجعه إلى الغاية المقصودة، والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما أراده منه المتكلم به من المعاني، فساوى التفسير، على أنه لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول. قال الأعشى:

على أنها كانت تأول حبها ... تأول ربعي السقاب فأصحبا

أي تبيين تفسير حبها أنه كان صغيرا في قلبه، فلم يزل يشب حتى صار كبيرا كهذا السقب، أي ولد الناقة، الذي هو من السقاب الربيعية لم يزل يشب حتى كبر وصار له ولد يصحبه قاله أبو عبيدة، وقد قال الله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [لأعراف: ٥٣] أي ينتظرون إلا بيانه الذي هو المراد منه، وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه لأبن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" ، أي فهم معاني القرآن، وفي حديث عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن أي يعمل بقوله تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾ [النصر: ٣] فلذلك جمع في دعائه التسبيح والحمد وذكر لفظ الرب وطلب المغفرة فقولها "يتأول"، صريح في أنه فسر الآية بالظاهر منها ولم يحملها على ما تشير إليه من انتهاء مدة الرسالة وقرب انتقاله صلى الله عليه وسلم، الذي فهمه منها عمر وأبن عباس رضي الله عنهما.." (١)

"لأنهم يقولون فاتحة وخاتمة دائما لا في خصوص جريانه على موصوف مؤنث كالسورة والقطعة، وذلك كقولهم فلان خاتمة العلماء، وكقول الحريري في المقامة الأولى أدتني خاتمة المطاف، وهدتني فاتحة الألطاف. وأيا ما كان ففاتحة وصف وصف به مبدأ القرآن وعومل معاملة الأسماء الجنسية، ثم أضيف إلى الكتاب ثم صار هذا المركب علما بالغلبة على هذه السورة.

ومعنى فتحها الكتاب أنها جعلت أول القرآن لمن يريد أن يقرأ القرآن من أوله فتكون فاتحة بالجعل النبوي في ترتيب السور، وقيل لأنها أول ما نزل وهو ضعيف لما ثبت في الصحيح واستفاض أن أول ما أنزل سورة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] وهذا مما لا ينبغي أن يتردد فيه. فالذي نجزم به أن سورة الفاتحة بعد أن نزلت أمر الله رسوله أن يجعلها أول ما يقرأ في تلاوته.

وإضافة سورة إلى فاتحة الكتاب في قولهم سورة فاتحة الكتاب من إضافة العام إلى الخاص باعتبار فاتحة الكتاب علما على المقدار المخصوص من الآيات من ﴿الحمد لله﴾ إلى ﴿الضالين﴾ [الفاتحة:٢-٧]

---

(١) التحرير والتنوير، ١٥/١

بخلاف إضافة سورة إلى ما أضيفت إليه في بقية سور القرآن فإنها على حذف مضاف أي سورة ذكر كذا، وإضافة العام إلى الخاص وردت في كلام العرب مثل قولهم شجر الأراك ويوم الأحد وعلم الفقه، ونراها قبيحة لو قال قائل: إنسان زيد، وذلك باد لمن له أدنى ذوق إلا أن علماء العربية لم يفصحوا عن وجه الفرق بين ما هو مقبول من هذه الإضافة وبين ما هو قبيح فكان حقا أن أبين وجهه: وذلك ان إضافة العام إلى الخاص تحسن إذا كان المضاف والمضاف إليه اسمي جنس وأولهما أعم من الثاني، فهنالك يجوز التوسع بإضافة الأعم إلى الأخص إضافة مقصودا منها الاختصار، ثم تكسبها غلبة الاستعمال قبولا نحو قولهم شجر الأراك، عوضا أن يقولوا: الشجر الذي هو الأراك،ويوم الأحد عوضا عن أن يقولوا: يوم هو الأحد. وقد يكون ذلك جائزا غير مقبول لأنه لم يشع في الاستعمال كما لو قلت حيوان الإنسان؛ فأما إذا كان المتضايفين غير اسم جنس فالإضافة في مثله ممتنعة فلا يقال: إنسان زيد. ولهذا جعل قول الناس شهر رمضان علما على الشهر المعروف بناءا على أن لفظ رمضان خاص بالشهر المعروف لا يحتمل معنى آخر،فتعين أن يكون ذكر كلمة شهر معه قبيحا لعدم الفائدة منه لولا أنه شاع حتى صار مجموع المركب الإضافي علما على ذلك الشهر.

ويصح عندي أن تكون إضافة السورة إلى فاتحة الكتاب من إضافة الموصوف إلى الصفة، كقولهم: مسجد الجامع، وعشاء الآخرة، أي سورة موصوفة بأنها فاتحة الكتاب." (١)

"الإسناد المجازي لما صح أن ينفي عن الشيء ما يعلم كل أحد أنه ليس من صفاته لأنه يصير من باب الإخبار بالمعلوم ضرورة، فلا تظنن أن النفي في مثل هذا حقيقة فتتركه، إن انتفاء الربح عن التجارة واقع ثابت لأنها لا توصف بالربح وهكذا تقول في نحو قول جرير

"ونمت وما ليل المطي بنائم"

بخلاف قولك ما ليله بطويل، بل النفي هنا مجاز عقلي لأنه فرع عن اعتبار وصف التجارة بأنها إلى الخسر ووصفها بالربح مجاز وقاعدة ذلك أن تنظر في النفي إلى المنفى لو كان مثبتا فإن وجدت إثباته مجازا عقليا فاجعل نفيه كذلك وإلا فاجعل نفيه حقيقة لأنه لا ينفي إلا ما يصح أن يثبت. وهذه هي الطريقة التي انفصل عليها المحقق التفتزاني في المطول، وعدل عنها في حواشي الكشاف وهي أمثل مما عدل إليه.

وقد أفاد قوله ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ ترشيحا للاستعارة في ﴿اشتروا﴾ فإن مرجع الترشيح إلى أن يقفي المجاز بما يناسبه سواء كان ذلك الترشيح حقيقة بحيث لا يستفاد منه إلا تقوية المجاز كما تقول له يد

---

(١) التحرير والتنوير، ١/١٣٠

طولى أو هو أسد دامي البراثن أم كان الترشيح متميزا به أو مستعارا **لمعنى آخر** هو من ملائمات المجاز الأول سواء حسن مع ذلك استقلاله بالاستعارة كما في هذه الآية فإن نفي الربح ترشح به ﴿اشتروا﴾ .

ومثله قول الشاعر أنشده ابن الأعرابي كما في أساس البلاغة للزمخشري ولم يعزه:

ولما رأيت النسر عز ابن داية ... وعشش في وكريه جاش له صدرى١

فإنه لما شبه الشيب بالنسر والشعر الأسود بالغراب صح تشبيه حلول الشيب في محلي السواد وهما الفودان بتعشيش الطائر في موضع طائر آخر؛ أم لم يحسن إلا مع المجاز الأول كقول بعض فتاك العرب في أمه أنشده في الكشاف ولم أقف على تعيين قائله :

وما أم الردين وإن أدلت ... بعالمه بأخلاق الكرام

_

١ عز وغلب، وابن داية من أسماء الغراب، سمي ابن داية لسواده، لأن الداية: الحاضنة، وكانت حواضن أبناء ا لعرب والمشتغلات في شؤونهم في بيوت أكابرهم هن الإماء السود، فيطلق على الصبيان من أبناء ا؟لإماء ابن داية تأنيسا له لئلا يقال العبد أو الوصيف.." (١)

"وقد انتقد بشار على كثير قوله:

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة ... إذا لمسوها بالأكف تلين

فقال لو جعلها عصا مخ أو عصا زبد لما تجاوز من أن تكون عصا، على أن بشارا هو القائل:

إذا قامت لجارتها تثنت ... كأن عظامها من خيزران

وشبه بشار عبدة بالحية في قوله:

وكأنها لما مشت ... أيم تأود في كثيب

والاستحياء والحياء واحد، فالسين والتاء فيه للمبالغة مثل استقدم واستأخر واستجاب. وهو انقباض النفس من صدور فعل أو تلقيه لاستشعار أنه لا يليق أو لا يحسن في متعارف أمثاله، فهو هيئة تعرض للنفس هي من قبيل الانفعال يظهر أثرها على الوجه وفي الإمساك عن ما من شأنه أن يفعل.

والاستحياء هنا منفي عن أن يكون وصفا لله تعالى فلا يحتاج إلى تأويل في صحة إسناده إلى الله، والتعلل لذلك بأن نفي الوصف يستلزم صحة الاتصاف تعلل غير مسلم.

والضرب في قوله ﴿أن يضرب مثلا﴾ مستعمل مجازا في الوضع والجعل من قولهم ضرب خيمة وضرب بيتا.

---

(١) التحرير والتنوير، ١/٢٩٦

قال عبدة بن الطبيب:

إن التي ضربت بيتا مهاجرة ... بكوفة الجند غالت ودها غول

وقول الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها ... وقضى عليك به الكتاب المنزل

أي جعل شيئا مثلا أي شبها، قال تعالى ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ أي لا تجعلوا له مماثلا من خلقه فانتصاب ﴿مثلا﴾ على المفعول به وجوز بعض أئمة اللغة أن يكون فعل ضرب مشتقا من الضرب بمعنى المماثل فانتصاب ﴿مثلا﴾ على المفعولية المطلقة للتوكيد لأن مثلا مرادف مصدر فعله على هذا التقدير، والمعنى لا يستحيي أن يشبه بشيء ما. والمثل المثيل والمشابه وغلب على مماثلة هيئة بهيئة وقد تقدم عند قوله تعالى ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا﴾ [البقرة: ١٧] وتقدم هناك معنى ضرب المثل **بالمعنى الآخر**." (١)

"﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ استئناف بياني أثاره ما شنع به حالهم من لزوم الذلة والمسكنة لهم والإشارة إلى ما تقدم من قوله ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب﴾ . وأفرد اسم الإشارة لتأويل المشار إليه بالمذكور وهو أولى بجواز الإفراد من إفراد الضمير في قول رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهق

قال أبو عبيدة لرؤبة: إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت السواد والبياض فقل كأنهما فقال رؤبة أردت كأن ذلك ويلك وإنما كان ما في الآية أولى بالإفراد لأن الذلة والمسكنة والغضب مما لا يشاهد فلا يشار إلى ذاتها ولكن يشار إلى مضمون الكلام وهو شيء واحد أي مذكور ومقول ومن هذا قوله تعالى ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ [آل عمران:٥٨] أي ذلك القصص السابق. ومنه قوله تعالى ﴿عوان بين ذلك﴾ [البقرة:٦٨] وسيأتي

وقال صاحب الكشاف١ والذي حسن ذلك أن أسماء الإشارة ليست تثنيتها وجمعها وتأنيثها على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع اه قيل أراد به أن جمع أسماء الإشارة وتثنيتها لم يكن بزيادة علامات بل كان بألفاظ خاصة بتلك الأحوال فلذلك كان استعمال بعضها في معنى بعض أسهل إذا كان على تأويل. وهو قليل الجدوى لأن المدار على التأويل والمجاز سواء كان في استعمال لفظ في **معنى**

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٥٦/١

آخر أو في استعمال صيغة في معنى أخرى فلا حسن يخص هذه الألفاظ فيما يظهر فلعله أراد أن ذا موضوع لجنس ما يشار إليه. والذي موضوع لجنس ما عرف بصلة فهو صالح للإطلاق على الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وإن ما يقع من أسماء الإشارة والموصولات للمثنى نحو ذان وللجمع نحو أولئك، إنما هو اسم بمعنى المثنى والمجموع لا أنه تثنية مفرد، وجمع مفرد، فذا يشار به للمثنى والمجموع ولا عكس فلذلك حسن استعمال المفرد منها للدلالة على المتعدد.

والباء في قوله ﴿بأنهم كانوا يكفرون﴾ سببية أي أن كفرهم وما معه كان سببا لعقابهم في الدنيا بالذلة والمسكنة وفي الآخرة بغضب الله وفيه تحذير من الوقوع في مثل

_

١ في تفسير قوله تعالى: ﴿عوان بين ذلك﴾ [البقرة:٦٨]." (١)

"والمصلى موضع الصلاة وصلاتهم يومئذ الدعاء والخضوع إلى الله تعالى، وكان إبراهيم قد وضع المسجد الحرام حول الكعبة ووضع الحجر الذي كان يرتفع عليه للبناء حولها فكان المصلى على الحجر المسمى بالمقام فذلك يكون المصلى متخذا من مقام إبراهيم على كلا الإطلاقين.

والقراءتان تقتضيان أن اتخاذ مقام إبراهيم مصلى كان من عهد إبراهيم عليه السلام ولم يكن الحجر الذي اعتلى عليه إبراهيم في البناء مخصوصا بصلاة عنده ولكنه مشمول للصلاة في المسجد الحرام ولما جاء الإسلام بقي الأمر على ذلك إلى أن كان عام حجة الوداع أو عام الفتح دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام ومعه عمر بن الخطاب ثم سنت الصلاة عند المقام في طواف القدوم. روى البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال: وافقت ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ ، وهذه الرواية تثير معنى آخر للآية وهي أن يكون الخطاب موجها للمسلمين فتكون جملة ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ معترضة بين جملة ﴿جعلنا البيت مثابة للناس﴾ وجملة ﴿وعهدنا إلى إبراهيم﴾ اعتراضا استطراديا، وللجمع بين الاحتمالات الثلاثة في الآية يكون تأويل قول عمر فنزلت أنه نزل على النبي صلى الله عليه وسلم شرع الصلاة عند حجر المقام بعد أن لم يكن مشروعا لهم ليستقيم الجمع بين معنى القراءتين واتخذوا بصيغة الماضي وبصيغة الأمر فإن صيغة الماضي لا تحتمل غير حكاية ما كان في زمن إبراهيم وصيغة الأمر تحتمل ذلك وتحتمل أن يراد بها معنى التشريع للمسلمين، إعمالا للقرآن بكل ما تحتمله ألفاظه حسبما بيناه في المقدمة التاسعة.

---

(١) التحرير والتنوير، ٥١٢/١

وقوله: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ العهد أصله الوعد المؤكد وقوعه وقد تقدم آنفا عند قوله تعالى: ﴿قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة: من الآية١٢٤] فإذا عدي بإلى كان بمعنى الوصية المؤكد على الموصي العمل بها فعهد هنا بمعنى أرسل عهدا إليه أي أرسل إليه يأخذ منهم عهدا، فالمعنى وأوصينا إلى إبراهيم وإسماعيل وقوله: ﴿أن طهرا﴾ أن تفسيرية لأن الوصية فيها معنى القول دون حروفه فالتفسير للقول الضمني والمفسر هو ما بعد أن فلا تقدير في الكلام ولولا قصد حكاية القول لما جاء بعد أن بلفظ الأمر، ولقال بتطهير بيتي الخ.

والمراد من تطهير البيت ما يدل عليه لفظ التطهير من محسوس بأن يحفظ من القاذورات والأوساخ ليكون المتعبد فيه مقبلا على العبادة دون تكدير، ومن تطهير معنوي." (١)

"المخلوقات كان أكثر علما بجلال الله تعالى وعظمته اه.

قلت ومن بديع هذا الخلق أن جعله الله تعالى يمد بعضه بعضا بما يحتاجه كلا فلا ينقص من المد شئ، لأنه يمده غيره بما يخلف له ما نقص، وهكذا نجد الموجودات متفاعلة، فالبحر يمد الجو بالرطوبة فتكون منه المياه النازلة ثم هو لا ينقص مع طول الآباد لأنه يمده كل نهر وواد.

وهي آية لمن كان في العقل دون هاته المرتبة فأدرك من مجموع هذا الخلق مشهدا بديعا في طلوع الشمس وغروبها وظهور الكواكب في الجو وغروبها.

وأما الاعتبار بما فيها من المخلوقات وما يحف بها من الموجودات كالنجوم الثوابت والشهب وما في الأرض من جبال وبحار وأنهار وحيوان فذلك من تفاريع تلك الهيئة الاجتماعية.

وقوله: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ تذكير بأية أخرى عظيمة لا تخفى على أحد العقلاء وهي اختلاف الليل والنهار أعني اختلاف حالتي الأرض في ضياء وظلمة، وما في الضياء من الفوائد للناس وما في الظلمة من الفوائد لهم لحصول سكونهم واسترجاع قواهم المنهوكة بالعمل.

وفي ذلك آية لخاصة العقلاء إذ يعلمون أسباب اختلاف الليل والنهار على الأرض وأنه من آثار دوران الأرض حول الشمس في كل يوم لهذا جعلت الآية في اختلافهما وذلك يقتضي أن كلا منهما آية.

والاختلاف افتعال من الخلف وهو أن يجئ شيء عوضا عن شئ آخر يخلفه في مكانه والخلفة بكسر الخاء الخلف قال زهير:

بها العين والآرام يمشين خلفه.

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٩٢/١

وقد أضيف الاختلاف لكل من الليل والنهار لأن كل واحد منهما يخلف الآخر فتحصل منه فوائد تعاكس فوائد الآخر بحيث لو دام أحدهما لا نقلب النفع ضرا ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ [القصص:٧٢-٧١].

وللاختلاف معنى آخر هو مراد أيضا وهو تفاوتهما في الطول والقصر فمرة يعتدلان." (١)

"أي أصابهن سم فقتلهن وقد ذكر ذلك أئمة اللغة،

وقد كان للمصريين والكلدان حج إلى البلدان المقدسة عندهم، ولليونان زيارات كثيرة لمواقع مقدسة مثل أولمبيا وهيكل "زفس" وللهنود حجوج كثيرة.

والمقصود من هذه الآية إتمام العمرة التي خرجوا لقضائها وذكر الحج معها إدماج١، لأن الحج لم يكن قد وجب يومئذ، إذ كان الحج بيد المشركين ففي ذكره بشارة بأنه يوشك أن يصير في قبضة المسلمين.

وأما العمرة فهي مشتقة من التعمير وهو شغل المكان ضد الإخلاء ولكنها بهذا الوزن لا تطلق إلا على زيارة الكعبة في غير أشهر الحج، وهي معروفة عند العرب وكانوا يجعلون ميقاتها ما عدا أشهر ذي الحجة والمحرم وصفر، فكانوا يقولون "إذا برئ الدبر، وعفا الأثر، وخرج صفر، حلت العمرة لمن اعتمر". ولعلهم جعلوا ذلك لتكون العمرة بعد الرجوع من الحج وإراحة الرواحل.

واصطلح المضربون، على جعل رجب هو شهر العمرة ولذلك حرمته مضر فلقب برجب مضر، وتبعهم بقية العرب، ليكون المسافر للعمرة آمنا من عدوه؛ ولذلك لقبوا رجبا "منصل الأسنة" ويرون العمرة في أشهر الحج فجورا.

وقوله: ﴿لله﴾ أي لأجل الله وعبادته والعرب من عهد الجاهلية لا ينوون الحج إلا لله ولا العمرة إلا له، لأن الكعبة بيت الله وحرمه، فالتقييد هنا بقوله: ﴿لله﴾ تلويح إلى أن الحج والعمرة ليسا لأجل المشركين وإن كان لهم غيهما منفعة وكانوا هم سدنة الحرم، وهم الذين منعوا المسلمين منه، كي لا يسأم المسلمون من الحج الذي لاقوا فيه أذى المشركين فقيل لهم إن ذلك لا يصد عن الرغبة في الحج والعمرة، لأنكم إنما تحجون لله لا لأجل المشركين، ولأن الشيء الصالح المرغوب فيه إذا حف به ما يكره لا ينبغي أن يكون ذلك صارفا عنه، بل يجب إزالة ذلك العارض عنه، ومن طرق إزالته القتال المشار إليه بالآيات السابقة.

_

---

(١) التحرير والتنوير، ٧٧/٢

١ في "كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي، مادة إدماج، ج"١/٤٦٤": الإدماج في اصطلاح يهل البديع: أن يضمن كلام سيق لمعنء" **معنى آخر**، وهذا المعن الآخر يجب ألا يكون مصرحا به ولا يكون في الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله.." (١)

"على الصدر: لأنه يؤكد ما افتتحت به السورة من قوله ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ ﴿نزل عليك الكتاب بالحق﴾ [آل عمران:٢-٣].

والشهادة حقيقتها خبر يصدق به خبر مخبر وقد يكذب به خبر آخر كما تقدم عند قوله تعالى ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ في سورة البقرة[٢٨٢]. وإذ قد كان شأنه أن يكون للتصديق والتكذيب في الحقوق، كان مظنة اهتمام المخبر به والتثبت فيه، فلذلك أطلق مجازا على الخبر الذي لا ينبغي أن يشك فيه قال تعالى ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون:١] وذلك على سبيل المجاز المرسل بعلاقة التلازم، فشهادة الله تحقيقه وحدانيته بالدلائل التي نصبها على ذلك، وشهادة الملائكة تحقيقهم ذلك فيما بينهم، وتبليغ بعضهم ذلك إلى الرسل، وشهادة أولي العلم تحقيقهم ذلك بالحجج والأدلة.

فإطلاق الشهادة على هذه الأخبار مجاز بعلاقة اللزوم، أو تشبيه الإخبار بالإخبار أو المخبر بالمخبر، ولك أن تجعل شهد بمعنى بين وأقام الأدلة، شبه إقامة الأدلة على وحدانيته: من إيجاد المخلوقات ونصب الأدلة العقيلة، بشهادة الشاهد بتصديق الدعوى في البيان والكشف على طريق الاستعارة التبعية، وبين ذلك الملائكة بما نزلوا به من الوحي على الرسل، وما نطقوا به من محامد، وبين ذلك أولو العلم بما أقاموا من الحجج على الملاحدة، ولك أن تجعل شهادة الله بمعنى الدلالة ونصب الأدلة، وشهادة الملائكة وأولي العلم **بمعنى آخر** وهو الإقرار أو بمعنيين: إقرار الملائكة، واحتجاج أولي العلم، ثم تبنيه على استعمال شهد في معان مجازية، مثل: ﴿إن الله وملائكته يصلون﴾ ، أو على استعمال شهد في مجاز أعم، وهو الإظهار، حتى يكون نصب الأدلة والإقرار والاحتجاج من أفراد ذلك العام، بناء على عموم المجاز.

وانتصب ﴿قائما بالقسط﴾ على الحال من الضمير في قوله ﴿إلا هو﴾ أي شهد بوحدانيته وقيامه بالعدل، ويجوز أن يكون حالا من اسم الجلالة من قوله ﴿شهد الله﴾ فيكون حالا مؤكدة لمضمون شهد؛ لأن الشهادة هذه قيام بالقسط، فالشاهد بها قائم بالقسط، قال تعالى ﴿كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ [المائدة:٨]. وزعم ابن هشام في الباب الرابع: أن كونه حالا مؤكدة وهم، وعلله بما هو وهم، وقد ذكر

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/٢١٥

الشيخ محمد الرصاع جريان بحث في إعراب مثل هذه الحال في سورة الصف في درس شيخه محمد ابن عقاب.." (١)

"الشك عليهم في بعض ما نزل به القرآن، فاللي مجمل، ولكنه مبين بقوله: ﴿لتحسبوه من الكتاب﴾ وقوله: ﴿ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾ .

واللي في الأصل: الإراغة أي إدارة الجسم غير المتصلب إلى غير الصوب الذي هو ممتد إليه: فمن ذلك لي الحبل، ولي العنان للفرس لإدارته إلى جهة غير صوب سيره، ومنه لي لاعنق، ولي الرأس بمعنى الالتفات الشزر أو الإعراض قال تعالى: ﴿لووا رؤوسهم﴾ [المنافقون: ٥].

والذي في هذه الآية يحتمل أن يكون حقيقة بمعنى تحريف اللسان عن طريق حرف من حروف الهجاء إلى طريق حرف آخر يقاربه لتعطي الكلمة في أذن السامع جرس كلمة أخرى، وهذا مثل ما حكى الله عنهم في قولهم راعنا وفي الحديث من قولهم في السلام على النبي السام عليك أي الموت أو السلام بكسر السين عليك وهذا اللي يشابه الإشمام والاختلاس ومنه إمالة الألف إلى الياء، وقد تتغير الكلمات بالترقيق والتفخيم وباختلاف صفات الحروف، والظاهر أن الكتاب التوراة فلعلهم كانوا إذا قرؤوا بعض التوراة بالعربية نطقوا بحروف من كلماتها بين بين ليوهموا المسلمين معنى غير المعنى المراد، وقد كانت لهم مقدرة ومراس في هذا.

وقريب من هذا ما ذكره المبرد في الكامل أن بعض الأزارقة أعاد بيت عمر ابن أبي ربيعة في مجلس بن عباس.

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيحضر

فجعل يضحى يخزى وجعل يحضر يخسر بالسين ليشوه المعنى لأنه غضب من إقبال ابن عباس على سماع شعره. وفي الأحاجي والألغاز من هذا كقولهم: إن للآهي إلها فوقه فيقولها أحد بحضرة ناس ولا يشبع كسرة اللآهي يخالها السامع لله فيظنه كفر. أو لعلهم كانوا يقرؤون ما ليس من التوراة بالكيفيات أو اللحون التي كانوا يقرؤون بها التوراة ليخيلوا للسامعين أنهم يقرؤون التوراة.

ويحتمل أن يكون اللي هنا مجازا عن صرف المعنى إلى معنى آخر كقولهم: لوى الحجة أي ألقى بها على غير وجهها، وهو تحريف الكلم عن مواضعه: بالتأويلات الباطلة، والأقيسة الفاسدة، والموضوعات الكاذبة،

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/٤٤

وينسبون ذلك إلى الله، وأياما كان فهذا اللي يقصدون منه التمويه على المسلمين لغرض، كما فعل ابن صوريا في إخفاء." (١)

"شاع بين الناس من أن ساعة الموت أمر غير معلوم كما قال الصديق:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

فالنهي عن الموت على غير الإسلام يستلزم النهي عن مفارقة الإسلام في سائر أحيان الحياة، ولو كان المراد به معناه الأصلي لكان ترخيصا في مفارقة الإسلام إلا عند حضور الموت، وهو معنى فاسد وقد تقدم ذلك في قوله تعالى ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ .

وقوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ ثنى أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم لأخراهم، بأمرهم بما فيه صلاح حالهم في دنياهم، وذلك بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء. والاعتصام افتعال من عصم وهو طلب ما يعصم أي يمنع.

والحبل: ما يشد به للارتقاء، أو التدلي، أو للنجاة من غرق، أو نحوه، والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفاتهم على دين الله ووصاياه وعهوده بهيئة استمساك جماعة بحبل ألقي إليهم منقذ لهم من غرق أو سقوط، وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا التمثيل. وقوله: ﴿جميعا﴾ حال وهو الذي رجح إرادة التمثيل، إذ ليس المقصود الأمر باعتصام كل مسلم في حال انفراده اعتصاما بهذا الدين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمة كلها، ويحصل في ضمن ذلك أمر كل واحد بالتمسك بهذا الدين، فالكلام أمر لهم بأن يكونوا على هاته الهيئة، وهذا هو الوجه المناسب لتمام البلاغة لكثرة ما فيه من المعاني. ويجوز أن يستعار الاعتصام للتوثيق بالدين وعهوده، وعدم الانفصال عنه، ويستعار الحبل للدين والعهود كقوله ﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ [آل عمران: ١١٢] ويكون كل من الاستعارتين ترشيحا للأخرى، لأن مبني الترشيح على اعتبار تقوية التشبيه في نفس السامع، وذلك يحصل له بمجرد سماع لفظ ما هو من ملائمات المستعار، بقطع النظر عن كون ذلك الملائم معتبرة فيه استعارة أخرى، إذ لا يزيده ذلك الاعتبار إلا قوة، ليست الاستعارة بوضع اللفظ في معنى جديد حتى يتوهم متوهم أن تلك الدلالة الجديدة، الحاصلة في الاستعارة الثانية، صارت غير ملائمة لمعنى المستعار في الاستعارة الأخرى، وإنما هي اعتبارات لطيفة تزيد كثرتها الكلام حسنا. وقريب من هذا التورية، فإن فيها حسنا بإيهام أحد المعنيين مع إرادة غيره، ولا شك أنه عند إرادة

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٧/٣

غيره لا يكون **المعنى الآخر** مقصودا، وفي هذا الوجه لا يكون الكلام صريحا في الأمر بالاجتماع على الدين." (١)

"والاستفهام إنكار للماثلة المستفادة من كلف التشبيه فهو بمعنى لا يستوون. والإتباع هنا التطلب: شبه حال المتوخي بأفعاله رضى الله بحال المتطلب لطلبه فهو يتبعها حيث حل ليقتنصها، وفي هذا التشبيه حسن التنبيه على أن التحصيل على رضوان الله تعالى محتاج إلى فرط اهتمام. وفي فعل باء من قوله: ﴿كمن باء بسخط من الله﴾ تمثيل لحال صاحب المعاصي بالذي خرج يطلب ما ينفعه فرجع بما يضره، أو رجع بالخيبة كما تقدم في معنى قوله تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ في سورة البقرة [١٦]. وقد علم من هذه المقابلة حال أهل الطاعة وأهل المعصية، أو أهل الإيمان وأهل الكفر.

وقوله: ﴿هم درجات عند الله﴾ عاد الضمير ل ﴿من اتبع رضوان الله﴾ لأنهم المقصود من الكلام، ولقرينة قوله ﴿درجات﴾ لأن الدرجات منازل رفعة.

وقوله: ﴿عند الله﴾ تشريف لمنازلهم.

﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ [١٦٤].

استئناف لتذكير رجال يوم أحد وغيرهم من المؤمنين بنعمة الله عليهم. ومنة ذكره هنا أن فيه من التسلية على مصيبة الهزيمة حظا عظيما، إذ قد شاع تصبير المحزون وتعزيته بتذكيره ما هو فيه من النعم، وله مزيد ارتباط بقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكذلك جاءت آي هذا الغرض في قصة أحد ناشئا بعضها عن بعض، متفننة في مواقعها بحسب ما سمحت به فرص الفراغ من غرض والشروع في غيره فما تجد طراد الكلام يغدو طلقا في حلبة الاستطراد إلا وتجد له رواحا إلى منبعثه.

والمن هنا: إسداء المنة أي النعمة، وليس هو تعداد النعمة، على المنعم عليه مثل الذي في قوله: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ في سورة البقرة [٢٦٤]، وإن كان ذكر هذا المن منا **بالمعنى الآخر**، والكل محمود من الله تعالى لأن المن إنما كان مذموما لما فيه من إبداء التطاول على المنعم عليه، وطول الله ليس بمجحود.

والمراد بالمؤمنين هنا المؤمنون يومئذ وهم الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة السياق وهو قوله:

(١) التحرير والتنوير، ٣/١٧٤

﴿إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ أي أمتهم العربية.

وإذ ظرف لمن لأن الإنعام بهذه النعمة حصل أوقات البعث.." (١)

"بالتأويلات الفاسدة. ويجوز أن يكون التحريف مشتقا من الحرف وهو الكلمة والكتابة، فيكون مرادا به تغيير كلمات التوراة وتبديلها بكلمات أخرى لتوافق أهواء أهل الشهوات في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال. والظاهر أن كلا الأمرين قد ارتكبه اليهود في كتابهم. وما ينقل عن ابن عباس أن التحريف فساد التأويل ولا يعمد قوم على تغيير كتابهم، ناظر إلى غالب أحوالهم، فعلى الاحتمال الأول يكون استعمال عن في قوله ﴿عن مواضعه﴾ مجازا، ولا مجاوزة ولا مواضع، وعلى الثاني يكون حقيقة إذ التحريف حينئذ نقل وإزالة.

وقوله ﴿ويقولون﴾ عطف على ﴿يحرفون﴾ ذكر سوء أقوالهم، وهي أقوالهم التي يواجهون به الرسول صلى الله عليه وسلم: يقولون سمعنا دعوتك وعصيناك، وذلك إظهار لتمسكهم بدينهم ليزول طمع الرسول في إيمانهم، ولذلك لم يروا في قولهم هذا أذى للرسول فأعقبوه بقولهم له ﴿واسمع غير مسمع﴾ إظهار للتأدب معه.

ومعنى ﴿اسمع غير مسمع﴾ أنهم يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم عند مراجعته في أمر الإسلام: اسمع منا، ويعقبون ذلك بقولهم: ﴿غير مسمع﴾ يوهمون أنهم قصدوا الظاهر المتبادر من قولهم: غير مسمع، أي غير مأمور بأن تسمع، في معنى قول العرب: افعل غير مأمور. وقيل معناه: غير مسمع مكروها، فلعل العرب كانوا يقولون: اسمعه بمعنى سبه. والحاصل أن هذه الكلمة كانت معروفة الإطلاق بين العرب في معنى الكرامة والتلطف. إطلاقا متعارفا، ولكنهم لما قالوها الرسول أرادوا بها **معنى آخر** انتحلوه لها من شيء يسمح به تركيبها الوضعي، أي أن لا يسمع صوتا من متكلم. بأن يصير أصم، أو أن لا يستجاب دعاؤه. والذي دل على أنهم أرادوا ذلك قوله بعد ﴿ولو أنهم قالوا﴾ إلى قوله ﴿واسمع وانظرنا﴾ فأزال لهم كلمة غير مسمع. وقصدهم من إيراد كلام ذي وجهين أن يرضوا الرسول والمؤمنين ويرضوا أنفسهم بسوء نيتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ويرضوا قومهم، فلا يجدوا عليهم حجة.

وقولهم ﴿راعنا﴾ أتوا بلفظ ظاهره طلب المراعاة، أي الرفق، والمراعاة مفاعلة مستعملة في المبالغة في الرعي على وجه الكناية الشائعة التي ساوت الأصل، ذلك لأن الرعي من لوازمه الرفق بالمرعي، وطلب الخصب له، ودفع العادية عنه. وهم يريدون ب ﴿راعنا﴾ كلمة في العبرانية تدل على ما تدل عليه كلمة الرعونة في

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/٢٧٦

العربية، وقد روي أنها كلمة ﴿راعونا﴾ وأن معناها الرعونة فلعلهم كانوا يأتون بها، يوهمون أنهم يعظمون." (١)

"ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ .

هذا كالتكملة لقوله ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ [النساء:٧٩] باعتبار ما تضمنه من رد اعتقادهم أن الرسول مصدر السيئات التي تصيبهم، ثم من قوله ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ [النساء:٧٩] الخ، المؤذن بأن بين الخالق وبين المخلوق فرقا في التأثير وأن الرسالة **معنى آخر** فاحترس بقوله ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ عن توهم السامعين التفرقة بين الله ورسوله في أمور التشريع، فأثبت أن الرسول في تبليغه إنما يبلغ عن الله، فأمره أمر الله، ونهيه نهي الله، وطاعته طاعة الله، وقد دل على ذلك كله قوله ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ لاشتمالها على إثبات كونه رسولا واستلزامها أنه يأمر وينهى، وأن ذلك تبليغ لمراد الله تعالى، فمن كان على بينة من ذلك أو كان في غفلة فقد بين الله له اختلاف مقامات الرسول، ومن تولى أو أعرض واستمر على المكابرة ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ ، أي حارسا لهم ومسؤولا عن إعراضهم، وهذا تعريض بهم وتهديد لهم بأن صرفه عن الاشتغال بهم، فيعلم أن الله سيتولى عقابهم.

والتولي حقيقته الانصراف والإدبار، وقد تقدم في قوله تعالى ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها﴾ [البقرة:٢٠٥] وفي قوله ﴿ما ولاهم عن قبلتهم﴾ في سورة البقرة[١٤٢]. واستعمل هنا مجازا في العصيان وعدم الإصغاء إلى الدعوة.

ثم بين أنهم لضعف نفوسهم لا يعرضون جهرا بل يظهرون الطاعة، فإذا أمرهم الرسول أو نهاهم يقولون له ﴿طاعة﴾ أي: أمرنا طاعة، وهي كلمة يدلون بها على الامتثال، وربما يقال: سمع وطاعة، وهو مصدر مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، اي أمرنا أو شأننا طاعة، كما في قوله ﴿فصبر جميل﴾ [يوسف:١٨]. وليس هو نائبا عن المفعول المطلق الآتي بدلا من الفعل الذي يعدل عن نصبه إلى الرفع للدلالة على الثبات مثل قال سلام، إذ ليس المقصود هنا إحداث الطاعة وإنما المقصود أننا سنطيع ولا يكون منا عصيان.

ومعنى ﴿برزوا﴾ خرجوا، وأصل معنى البروز الظهور، وشاع إطلاقه على الخروج مجازا مرسلا.

و ﴿بيت﴾ هنا بمعنى قدر أمرا في السر وأضمره، لأن أصل البيات هو فعل شيء في الليل، والعرب تستعير ذلك إلى معنى الإسرار، لأن الليل أكتم للسر، ولذلك يقولون: هذا." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٤/١٤٦

(٢) التحرير والتنوير، ٤/١٩٨

"للموصوف، أن يكون الموصوف بكلمة آخر بعضا من جنس ما عطف هو عليه باعتبار ما جعله المتكلم جنسا في كلامه، بالتصريح أو التقدير. وقد ذهب بعض علماء اللغة إلى لزوم ذلك، واحتفل بهذه المسألة الحريري في درة الغواص. وحاصلها: أن الأخفش الصغير، والحريري، والرضي، وابن يسعون، والصقلي، وأبا حيان، ذهبوا إلى اشتراط اتحاد جنس الموصوف بكلمة آخر وما تصرف منها مع جنس ما عطف هو عليه، فلا يجوز عندهم أن تقول: ركبت فرسا وحمارا آخر، ومثلوا لما استكمل الشرط بقوله تعالى ﴿أياما معدودات﴾ [البقرة:١٨٤] ثم قال ﴿فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة:١٨٥] وبقوله ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم:١٩، ٢٠] فوصف مناة بالأخرى لأنها من جنس اللات والعزى في أنها صنم، قالوا: ومثل كلمة آخر في هذا كلمات: سائر، وبقية، وبعض، فلا تقول: أكرمت رجلا وتركت سائر النساء. ولقد غلا بعض هؤلاء النحاة فاشترطوا الاتحاد بين الموصوف بآخر وبين ما عطف هو عليه حتى في الإفراد وضده. قاله ابن يسعون والصقلي، ورده ابن هشام في التذكرة محتجا بقول ربيعة بن مكدم:

ولقد شفعتهما بآخر ثالث

...

وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

وبقول أبي حية النميري:

وكنت أمشي على رجلين معتدلا

...

فصرت أمشي على أخرى من الشجر

وقال قوم بلزوم الاتحاد في التذكير وضده، واختاره ابن جني، وخالفهم المبرد، واحتج المبرد بقول عنترة:

والخيل تقتحم الغبار عوابسا

...

من بين شيظمة وآخر شيظم

وذهب الزمخشري وابن عطية إلى عدم اشتراط اتحاد الموصوف بآخر مع ما عطف هو عليه، ولذلك جوزا في هذه الآية أن يكون المعنى: ويأت بخلق آخرين غير الإنس.

واتفقوا على أنه لا يجوز أن يوصف بكلمة آخر موصوف لم يتقدمه ذكر مقابل له أصلا، فلا تقول: جاءني آخر، من غير أن تتكلم بشيء قبل، لأن **معنى آخر** معنى مغاير في الذات مجانس في الوصف. وأما قول

كثير:

صلى على ع‍زة الرحمان وابنتها

...

لبنى وصلى على جاراتها الأخر

فمحمول على أنه جعل ابنتها جارة، أو أنه أراد: صلى على حبائبي: عزة وابنتها وجاراتها حبائبي الأخر.." (١)

"وقولهم: ﴿من الله عليهم﴾ قالوه على سبيل التهكم ومجاراة الخصم، أي حيث اعتقد المؤمنون أن الله من عليهم بمعرفة الحق وحرم صناديد قريش، فلذلك تعجب أولئك من هذا الاعتقاد، أي كيف يظن أن الله يمن على فقراء وعبيد ويترك سادة أهل الوادي.وهذا كما حكى الله عنهم: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] .وهذه شنشنة معروفة من المستكبرين والطغاة.وقد حدث بالمدينة مثل هذا.روى البخاري أن الأقرع بن حابس جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنما بايعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وجهينة فقال له رسول الله: "أرأيت إن كانت أسلم وغفار ومزينة وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان أخابوا وخسروا" أي أخاب بنو تميم ومن عطف عليهم "فقال: نعم قال: فو الذي نفسي بيده إنهم لخير منهم.

وفي الآية **معنى آخر**، وهو أن يكون القول مضمرا في النفس، وضمير ﴿ليقولوا﴾ عائدا إلى المؤمنين الفقراء، فيكونوا هم البعض المفتونين، ويكون البعض المجرور بالباء صادقا على أهل النعمة من المشركين، وتكون إشارة ﴿هؤلاء﴾ راجعة إلى عظماء المشركين ويكون المراد بالمن إعطاء المال وحسن حال العيش، ويكون الاستفهام مستعملا في التحير على سبيل الكناية، والإشارة إلى المشركين معتبر فيها ما عرفوا به من الإشراك وسوء الاعتقاد في الله.والمعنى: وكذلك الفتون الواقع لعظماء المشركين، وهو فتون الإعجاب والكبرياء حين ترفعوا عن الدخول فيما دخل فيه الضعفاء والعبيد من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته استكبارا عن مساواتهم، كذلك كان فتون بعض آخر وهم بعض المؤمنين حين يشاهدون طيب عيش عظماء المشركين في الدنيا مع إشراكهم بربهم فيعجبون كيف من الله بالرزق الواسع على من يكفرون به ولم يمن بذلك على أوليائه وهم أولى بنعمة ربهم.وقد أعرض القرآن عن التصريح بفساد هذا الخاطر النفساني اكتفاء بأنه سماه فتنة، فعلم أنه خاطر غير حق، وبأن قوله: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ مشير

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٧٣/٤

إلى إبطال هذه الشبهة.ذلك بأنها شبهة خلطت أمر شيئين متفارقين في الأسباب، فاشتبه عليهم الجزاء على الإيمان وما أعد الله لأهله من النعيم الخالد في الآخرة، المترتب عليه ترتب المسبب على السبب المجعول عن حكمة الله تعالى، بالرزق في الدنيا المترتب على أسباب دنيوية كالتجارة والغزو والإرث والهبات.فالرزق الدنيوي لا تسبب بينه وبين الأحوال القلبية ولكنه من مسببات الأحوال المادية فالله أعلم بشكر الشاكرين، وقد أعد لهم جزاء شكرهم، وأعلم بأسباب رزق المرزوقين المحظوظين.فالتخليط بين المقامين من ضعف الفكر العارض للخواطر البشرية والناشئ عن سوء النظر وترك التأمل في الحقائق." (١)

"المرتبة والاعتبار، وهم القادة والمتبوعون من كل أمة أيضا، فالأخرى والأولى هنا صفتان جرتا على موصوفين محذوفين، أي أخرى الطوائف لأولاهم، وقيل: أريد بالأخرى المتأخرة في الزمان، وبالأولى أسلافهم، لأنهم يقولون ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ [الزخرف: ٢٢]. وهذا لا يلائم ما يأتي بعده.

واللام في: ﴿لأولاهم﴾ لام العلة، وليست اللام التي يتعدى بها فعل القول، لأن قول الطائفة الأخيرة موجه إلى الله تعالى، بصريح قولهم: ﴿ربنا هؤلاء أضلونا﴾ إلخ، لا إلى الطائفة الأولى، فهي كاللام في قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه﴾ [الاحقاف: ١١].

والضعف بكسر الضاد المثل لمقدار الشيء، وهو من الألفاظ الدالة على معنى نسبي يقتضي وجود **معنى آخر**، كالزوج والنصف، ويختص بالمقدار والعدد، هذا قول أبي عبيدة والزجاج وأئمة اللغة، وقد يستعمل فعله في مطلق التكثير وذلك إذا أسند إلى ما لا يدخل تحت المقدار، مثل العذاب في قوله تعالى: ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ [الفرقان: ٦٩] وقوله: ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ [الأحزاب: ٣٠] أراد الكثرة القوية فقولهم هنا ﴿فآتهم عذابا ضعفا﴾ أي أعطهم عذابا هو ضعف عذاب آخر، فعلم أنه، آتاهم عذابا، وهم سألوا زيادة قوة فيه تبلغ ما يعادل قوته، ولذلك لما وصف بضعف علم أنه مثل لعذاب حصل قبله إذ لا تقول: أكرمت فلان ضعفا، إلا إذا كان إكرامك في مقابلة إكرام آخر، فأنت تزيده، فهم سألوا لهم مضاعفة العذاب لأنهم علموا أن الضلال سبب العذاب، فعلموا أن الذين شرعوا الضلال هم أولى بعقوبة اشد من عقوبة الذين تقلدوه واتبعوهم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ [سبأ: ٣١].

وفعل: ﴿قال﴾ حكاية لجواب الله إياهم عن سؤالهم مضاعفة العذاب لقادتهم، فلذلك فصل ولم يعطف جريا على طلايقة حكاية الأقوال في المحاورات. والتنوين في قوله: ﴿لكل﴾ عوض عن المضاف إليه

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢٢/٦

المحذوف، والتقدير: لكل أمة، أو لكل طائفة ضعف، أي زيادة عذاب مثل العذاب الذي هي معذبة أول الأمر، فأما مضاعفة العذاب للقادة فلأنهم سنوا الضلال أو أيدوه ونصروه وذبوا عنه بالتمويه والمغالطات فأضلوا، وأما مضاعفته للأتباع فلأنهم ضلوا بإضلال قادتهم، ولأنهم بطاعتهم العمياء لقادتهم، وشكرهم إياهم على ما يرسمون لهم، وإعطائهم إياهم الأموال والرشى، يزيدونهم طغيانا وجراءة." (١)

"فهم يتوهمون أن القرآن وضعه النبيء صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه، ولذلك جعلوا من تكذيبهم أن يقولوا له: ﴿ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ إطماعا له بأن يؤمنوا به مغايرا أو مبدلا إذا وافق هواهم.

ومعنى: ﴿غير هذا﴾ مخالفه. والمراد المخالفة للقرآن كله بالإعراض عنه وابتداء كتاب آخر بأساليب أخرى، كمثل كتب قصص الفرس وملاحمهم إذ لا يحتمل كلامهم غير ذلك، إذ ليس مرادهم أن يأتي بسور أخرى غير التي نزلت من قبل لأن ذلك حاصل، ولا غرض لهم فيه إذا كان معناها من نوع ما سبقها.

ووصف الآيات ب ﴿بينات﴾ لزيادة التعجيب من طلبهم تبديلها لا بطلب تبديله إذ لا طمع في خير منه.

والتبديل: التغيير. وقد يكون في الذوات، كما تقول: بدلت الدنانير دراهم. ويكون في الاوصاف، كما تقول: بدلت الحلقة خاتما. فلما ذكر الإتيان بغيره من قبل تعين أن المراد بالتبديل **المعنى الآخر** وهو تبديل الوصف، فكان المراد بالغير في قولهم: ﴿غير هذا﴾ كلاما غير الذي جاء به من قبل لا يكون فيه ما يكرهونه ويغيظهم. والمراد بالتبديل أن يعمد إلى القرآن الموجود فيغير الآيات المشتملة على عبارات ذم الشرك بمدحه، وعبارات ذم أصنامهم بالثناء عليها، وعبارات البعث والنشر بضدها، وعبارات الوعيد لهم بعبارات بشارة.

وسموا ما طلبوا الإتيان به قرآنا لأنه عوض عن المسمى بالقرآن، فإن القرآن علم على الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أي ائت بغير هذا مما تسميه قرآنا.

والضمير في ﴿بدله﴾ عائد إلى اسم الإشارة، أي أو بدل هذا.

وأجمل المراد بالتبديل في الآية لأنه معلوم عند السامعين.

ثم إن قولهم يحتمل أن يكون جدا ويحتمل أن يريدوا به الاستهزاء، وعلى الاحتمالين فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بما يقلع شبهتهم من نفوسهم إن كانوا جادين، أو من نفوس من يسمعونهم من دهمائهم فيحسبوا كلامهم جدا فيترقبوا تبديل القرآن.

وضمير الغيبة في قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ راجع إلى الناس المراد منهم المشركون أو راجع إلى: ﴿الذين

---

(١) التحرير والتنوير، ٨/٩٤

لا يرجون لقاءنا﴾ في قوله: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ .

وتقديم الظرف في قوله: ﴿إذا تتلى﴾ على عامله وهو ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾." [1]

"نفصل الآيات التي منها آية حالة الدنيا وتقضيها، وندعو إلى دار السلام دار الخلد. ولما كانت جملة: ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ تذييلا وكان شأن التذييل أن يكون كاملا جامعا مستقلا جعلت الجملة المعطوفة عليها مثلها في الاستقلال فعدل فيها عن الإضمار إلى الإظهار إذ وضع قوله: ﴿والله يدعو﴾ موضع ندعو لأن الإضمار في الجملة يجعلها محتاجة إلى الجملة التي فيها المعاد.

وحذف مفعول ﴿يدعو﴾ لقصد التعميم، أي يدعو كل أحد. والدعوة هي: الطلب والتحريض. وهي هنا أوامر التكليف ونواهيه.

ودار السلام: الجنة، قال تعالى: ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ ، وقد تقدم وجه تسميتها بذلك في سورة الأنعام[١٢٧].

والهداية: الدلالة على المقصود النافع، والمراد بها هنا خلق الاهتداء إلى المقصود بقرينة قوله: ﴿من يشاء﴾ بعد قوله: ﴿والله يدعو﴾ المفيد التعميم فإن الدعوة إلى الجنة دلالة عليها فهي هداية بالمعنى الأصلي فتعين أن ﴿يهدي﴾ هنا معناه إيجاد الهداية بمعنى آخر، وهي حصول الاهتداء بالفعل، أي خلق حصوله بأمر التكوين، كقوله: ﴿فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة﴾ وهذا التكوين يقع إما في كل جزيئة من جزيئات الاهتداء على طريقة الأشاعرة، وإما بخلق الاستعداد له بحيث يقدر على الاهتداء عند حصول الأدلة على طريقة المعتزلة وهما متقاربان في الحال، وشؤون الغيب خفية. وقد تقدم شيء من ذلك عند قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦].

والصراط المستقيم: الطريق الموصل.

[٢٦] ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾

هذه الجملة بدل اشتمال من جملة: ﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [يونس: ٢٥] لأن الهداية بمن يشاء تفيد مهديا وغير مهدي. ففي هذه الجملة ذكر ما يشتمل عليه كلا الفريقين، ولك أن تجعلها بدل مفصل من مجمل.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٨/١١

ولما أوقع ذكر الذين أحسنوا في جملة البيان علم السامع أنهم هم الذين هداهم الله إلى صراط مستقيم وأن الصراط المستقيم هو العمل الحسن، وأن الحسنى هي دار." (١)

"وبعدهم عن الإيمان، وفيه تنبيه المسلمين بأن لا يغتروا بظاهر حسن حال الكافرين في الدنيا، وأن لا يحسبوا أيضا أن الكفر يوجب تعجيل العذاب فأوقظوا من هذا التوهم، كما قال تعالى: ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

وفعل الشرط في المقام الخطابي يفيد اقتصار الفاعل على ذلك الفعل، فالمعنى من كان يريد الحياة الدنيا فقط بقرينة قوله: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ إذ حصر أمرهم في استحقاق النار وهو معنى الخلود. ونظير هذه الآية: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩]. فالمعنى من كان لا يطلب إلا منافع الحياة وزينتها. وهذا لا يصدر إلا عن الكافرين لأن المؤمن لا يخلو من إرادة خير الآخرة وما آمن إلا لذلك، فمورد هذه الآيات ونظائرها في حال الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة.

فأما قوله تعالى: ﴿يا أيها النبيء قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩] فذلك في **معنى آخر** من معاني الحياة وزينتها وهو ترف العيش وزينة اللباس، خلافا لما يقتضيه إعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عن كثير من ذلك الترف وتلك الزينة.

وضمير ﴿إليهم﴾ عائد إلى ﴿من﴾ الموصولة لأن المراد بها الأقوام الذين اتصفوا بمضمون الصلة.

والتوفية: إعطاء الشيء وافيا، أي كاملا غير منقوص، أي نجعل أعمالهم في الدنيا وافية ومعنى وفائها أنها غير مشوبة بطلب تكاليف الإيمان والجهاد والقيام بالحق، فإن كل ذلك لا يخلو من نقصان في تمتع أصحاب تلك الأعمال بأعمالهم وهو النقصان الناشئ عن معاكسة هوى النفس، فالمراد أنهم لا ينقصون من لذاتهم التي هيأوها لأنفسهم على اختلاف طبقاتهم في التمتع بالدنيا، بخلاف المؤمنين فانهم تتهيأ لهم أسباب التمتع بالدنيا على اختلاف درجاتهم في ذلك التهيؤ فيتركون كثيرا من ذلك لمراعاتهم مرضاة الله

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٣/١١

تعالى وحذرهم من تبعات ذلك في الآخرة على اختلاف مراتبهم في هذه المراعاة.
وعدى فعل ﴿نوف﴾ بحرف "إلى" لتضمنه معنى نوصل أو نبلغ لإفادة معنيين.." (١)

"وقد حصل النهي عن الأعم بعد النهي عن العام، وبه حصلت خمسة مؤكدات: بالأمر بعد النهي عن الفساد الخاص، ثم بالتعميم بعد التخصيص، ثم بزيادة التعميم، ثم بتأكيد التعميم الأعم بتعميم المكان، ثم بتأكيده بالمؤكد اللفظي.

وسلك في نهيهم عن الفساد مسلك التدرج فابتدأه بنهيهم عن نوع من الفساد فاش فيهم وهو التطفيف. ثم ارتقى فنهاهم عن جنس ذلك النوع وهو أكل أموال الناس. ثم ارتقى فنهاهم عن الجنس الأعلى للفساد الشامل لجميع أنواع المفاسد وهو الإفساد في الأرض كله. وهذا من أساليب الحكمة في تهيئة النفوس بقبول الإرشاد والكمال.

وإذ قد كانت غاية المفسد من الإفساد اجتلاب ما فيه نفع عاجل له من نوال ما يحبه أعقب شعيب موعظته بما أدخره الله من الثواب على امتثال أمره وهو النفع الباقي هو خير لهم مما يقترفونه من المتاع العاجل.

ولفظ ﴿بقيت﴾ كلمة جامعة لمعان في كلام العرب، منها: الدوام، ومؤذنة بضده وهو الزوال، فأفادت أن ما يقترفونه متاع زائل، وما يدعوهم إليه حظ باق غير زائل، وبقاؤه دنيوي وأخروي.

فأما كونه دنيويا فلأن الكسب الحلال ناشئ عن استحقاق شرعي فطري، فهو حاصل من تراض بين الأمة فلا يحنق المأخوذ منه على آخذه فيعاديه ويتربص به الدوائر فبتجنب ذلك تبقى الأمة في أمة من توثب بعضها على بعض، ومن أجل ذلك قرن الأموال بالدماء في خطبة حجة الوداع إذ قال النبيء صل الله عليه وسلم: "إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام" فكما أن إهراق الدماء بدون حق يفضي إلى التقاتل والتفاني بين الأمة فكذلك انتزاع الأموال بدون وجهها يفضي إلى التواثب والتثاور فتكون معرضة للابتزاز والزوال. وأيضا فلأن نوالها بدون رضى الله عن وسائل أخذها كفران لله يعرض إلى تسليط عقابه بسلبها من أصحابها. قال ابن عطاء الله: "من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها".

وأما كونه أخرويا فلأن نهي الله عنها مقارنا للوعد بالجزاء على تركها، وذلك الجزاء من النعيم الخالد كما

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢١/١١

في قوله تعالى: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا﴾ [مريم: ٧٦].

على أن لفظ "لبقية" يتحمل **معنى آخر** من الفضل في كلام العرب، وهو معنى الخير." (١)

"والبركة لأنه لا يبقى إلا ما يحتفظ به أصحابه وهو النفائس، ولذلك أطلقت "البقية" على الشيء النفيس المبارك كما في قوله تعالى: ﴿فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وقوله: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾ [هود: ١١٦]

وقال عمرو بن معد يكرب أو رويشد الطائي:

إن تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم ... فما علي بذنب منكم فوت

قال المرزوقي: المعنى ثم يأتيني خياركم وأماثلكم يقيمون المعذرة وهذا كما يقال: فلان من بقية أهل، أي من أفاضلهم.

وفي كلمة "البقية" **معنى آخر** وهو الإبقاء عليهم، والعرب يقولون عند طلب الكف عن القتال: ابقوا علينا، ويقولون البقية البقية بالنصب على الإغراء، قال الأعشى:

قالوا -البقية والهندي يحصدهم- ... -ولا بقية إلا الثار- وانكشفوا

وقال مسور بن زيادة الحارثي:

أذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي أني جاهد غير مؤتلي

والمعنى إبقاء الله عليكم ونجاتكم من عذاب الاستئصال خيرلكم من هذه الأعراض العاجلة السيئة العاقبة، فيكون تعريضا بوعيد الاستئصال. وكل هذه المعاني صالحة هنا. ولعل كلام شعيب - عليه السلام - قد اشتمل على جميعها فحكاه القرآن بهذه الكلمة الجامعة.

وإضافة "بقية" إلى اسم الجلالة على المعاني كلها جمعا وتفريقا إضافة تشريف وتيمن. زهي إضافة على معنى اللام لأن البقية من فضله أو مما أمر به.

ومعنى ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ إن كنتم مصدقين بما أرسلت به إليكم، لأنهم لا يتركون مفاسدهم ويرتكبون ما أمروا به إلا إذا صدقوا بأن ذلك من عند الله، فهنالك تكون بقية الله خيرا لهم، فموقع الشرط هو كون البقية خيرا لهم، أي لا تكون البقية خيرا إلا للمؤمنين.

وجاء باسم الفاعل الذي هو حقيقة في الاتصاف بالفعل في زمان الحال تقريبا لإيمانهم بإظهار الحرص

---

(١) التحرير والتنوير، ٣١١/١١

على حصوله في الحال واستعجالا بإيمانهم لئلا يفجأهم العذاب فيفوت التدارك.

وجملة ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ في موضع الحال من ضمير ﴿اعبدوا﴾ ونظائره، أي." [١]

"عطف على جملة ﴿وما أكثر الناس﴾ [سورة يوسف: ١٠٣] الخ. هاتان الآيتان متصل معناهما بما تضمنه قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ [سورة يوسف: ١٠٢] إلى قوله: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ وقوله: ﴿قل هذه سبيلي﴾ الآية [سورة يوسف: ١٠٨]، فإن تلك الآي تضمنت الحجة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به، وضمنت أن الذين أشركوا غير مصدقينه عنادا وإعراضا عن آيات الصدق. فالمعنى أن إرسال الرسل عليهم السلام سنة إلهية قديمة فلماذا يجعل المشركون نبوءتك أمرا مستحيلا فلا يصدقون بها مع ما قارنها من آيات الصدق فيقولون: ﴿أبعث الله بشرا رسولا﴾. وهل كان الرسل عليهم السلام السابقون إلا رجالا من أهل القرى أوحى الله إليهم فبماذا امتازوا عليك. فسلم المشركون ببعثتهم وتحدثوا بقصصهم وأنكروا نبوءتك.

وراء هذا **معنى آخر** من التذكير باستواء أحوال الرسل عليهم السلام وما لقوه من أقوامهم فهو وعيد باستواء العاقبة للفريقين.

و﴿من قبلك﴾ يتعلق ب ﴿أرسلنا﴾ ف"من" لابتداء الأزمنة فصار ما صدق القبل الأزمنة السابقة. أي من أول أزمنة الإرسال. ولولا وجود من لكان ﴿قبلك﴾ في معنى الصفة للمرسلين المدلول عليهم بفعل الإرسال.

والرجال: اسم جنس جامد لا مفهوم له. وأطلق هنا مرادا به أناسا كقوله – صلى الله عليه وسلم – "ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه". أي إنسان أو شخص. فليس المراد الاحتراز عن المرأة. واختير هنا دون غيره لمطابقته الواقع فإن الله لم يرسل رسلا من النساء لحكمة قبول قيادتهم في نفوس الأقوام إذ المرأة مستضعفة عند الرجال دون العكس، ألا ترى إلى قول قيس بن عاصم حين تنبأت سجاح:

أضحت نبيئتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وليس تخصيص الرجال وأنهم من أهل القرى لقصد الاحتراز عن النساء ومن أهل البادية ولكنه لبيان المماثلة بين من سلموا برسالتهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ [الأنبياء: ٥] و ﴿قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ [القصص: ٤٨]، أي فما كان محمد صلى الله عليه

---

(١) التحرير والتنوير، ٣١٢/١١

وسلم بدعا من الرسل حتى تبادروا بإنكار رسالته وتعرضوا عن النظر في آياته.

فالقصر إضافي، أي لم يكن الرسل عليهم السلام قبلك ملائكة أو ملوكا من." (١)

"الليل لظلمته، واستعجلوا انقضاءه بطلوع الصباح في أقوال الشعراء وغيرهم، ثم بزيادة العبرة في أنهما ضدان، وفي كل منهما آثار النعمة المختلفة وهي نعمة السير في النهار. واكتفى بعدها عن عد نعمة السكون في الليل لظهور ذلك بالمقابلة، وبتلك المقابلة حصلت نعمة العلم بعدد السنين والحساب لأنه لو كان الزمن كله ظلمة أو كله نورا لم يحصل التمييز بين أجزائه.

وفي هذا بعد ذلك كله إيماء إلى ضرب مثل للكفر والأيمان، وللضلال والهدى، فلذلك عقب به قوله :﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ [الإسراء:٢] الآية،وقوله: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ إلى قوله: ﴿أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ [الإسراء:٩-١٠]، ولذلك عقب بقوله بعده :﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ الآية[الإسراء:١٥]. وكل هذا الإدماج تزويد للآية بوافر المعاني شان بلاغه القرآن وإيجازه.

وتفريع جملة ﴿فمحونا آية الليل﴾ اعتراض وقع بالفاء بين جملة ﴿وجعلنا الليل والنهار﴾ وبين متعلقه وه ﴿لتبتغوا﴾ .

وإضافة آية إلى الليل وإلى النهار يجوز أن تكون بيانية، أي الآية التي هي الليل، والآية التي هي النهار. ويجوز أن تكون آية الليل الآية الملازمة له وهي القمر، وآية النهار الشمس، فتكون إعادة لفظ (آية) فيهما تنبيها على أن المراد بالآية معنى آخر وتكون الإضافة حقيقية، ويصير دليلا آخر على بديع صنع الله تعالى وتذكيرا بنعمة تكوين هاذين الخلقين العظيمين. ويكون معنى المحو أن القمر مطموس لا نور في جرمه ولكنه يكتسب الإنارة بانعكاس شعاع الشمس على كرته، ومعنى كون آية النهار مبصرة أن الشمس جعل ضوءها سبب إبصار الناس الأشياء، ف ﴿مبصرة﴾ اسم فاعل(أبصر) المتعدي. أي جعل غيره باصرا. وهذا أدق معنى وأعمق في إعجاز القرآن بلاغة وعلما فإن هذه حقيقة من علم الهيئة. وما أعيد لفظ (آية)إلا لأجلها.

والمحو: الطمس. وأطلق على انعدام النور، لأن النور يظهر الأشياء والظلمة لا تظهر فيها الأشياء، فشبه اختفاء الأشياء بالمحو كما دل عليه قوله في مقابله ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ ، أي جعلنا الظلمة آية

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢٧/١٢

وجعلنا سبب الإبصار آية. وأطلق وصف ﴿مبصرة﴾ على النهار على سبيل المجاز العقلي إسنادا للسبب. وقوله: ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ علة لخصوص آية النهار من قوله ﴿آيتين." [١]

"مشترك استعمل في معنى وتارة أخرى في **معنى آخر.**

فأحسن ما تفسر به قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ أن الله موجد كل ما يعبر عنه بالنور وخاصة أسباب المعرفة الحق والحجة القائمة والمرشد إلى الأعمال الصالحة التي بها حسن العاقبة في العالمين العلوي والسفلي، وهو من استعمال المشترك في معانيه.

ويجوز أن يراد بالسماوات والأرض من فيهما من باب ﴿واسأل القرية﴾ وهو أبلغ من ذكر المضاف المحذوف لأن في هذا الحذف إيهام أن السماوات والأرض قابلة لهذا النور كما أن القرية نفسها تشهد بما يسأل منها، وذلك أبلغ في الدلالة على الإحاطة بالمقصود وألطف دلالة. فيشمل تلقين العقيدة الحق والهداية إلى الصلاح؛ فأما هداية البشر إلى الخير والصلاح فظاهرة، وأما هداية الملائكة إلى ذلك فبأن خلقهم الله على فطرة الصلاح والخير. وبأن أمرهم بتسخير القوى للخير، وبأن أمر بعضهم بإبلاغ الهدى بتبليغ الشرائع و إلهام القلوب الصالحة إلى الصلاح وكانت تلك مظاهر هدي لهم وبهم.

﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾

يظهر أن هذه الجملة بيان لجملة ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ إذ كان ينطوي في معنى ﴿آيات﴾ ووصفها ب ﴿مبينات﴾ ما يستشرف إليه السامع من بيان لما هي الآيات وما هو تبيينها، فالجملة مستأنفة استئنافا بيانيا. ووقعت جملة ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ معترضة بين هذه الجملة والتي قبلها تمهيدا لعظمة هذا النور الممثل بالمشكاة.

وجرى كلام كثير من المفسرين على ما يقتضي أنها بيان لجملة الله نور السماوات والأرض فيكون موقعها موقع عطف البيان فلذلك فصلت فلم تعطف.

والضمير في قوله: ﴿نوره﴾ عائد إلى اسم الجلالة، أي مثل نور الله. والمراد ب ﴿نوره﴾ كتابه أو الدين الذي أختاره، أي مثله في إنارة عقول المهتدين.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٦/١٤

فالكلام تمثيل لهيئة إرشاد الله المؤمنين بهيئة المصباح الذي حفت به وسائل قوة الإشراق فهو نور الله لا محالة. وإنما أوثر تشبيهه بالمصباح الموصوف بما معه من." (١)

"وموقع وصف القبض بيسير هنا أريد أن هذا القبض يحصل ببطء دون طفرة، فإن في التريث تسهيلا لقبضه لأن العمل المجزأ أيسر على النفوس من المجتمع غالبا، فأطلق اليسر وأريد به لازم معناه عرفا، وهو التدريج ببطء، على طريقة الكناية، ليكون صالحا لمعنى آخر ستتعرض إليه في آخر كلامنا.

وتعدية القبض بـ ﴿إلينا﴾ لأنه ضد المد الذي أسند إلى الله في قوله ﴿مد الظل﴾ . وقد علم من معنى ﴿قبضناه﴾ أن هذا القبض واقع بعد المد فهو متأخر عنه.

وفي مد الظل وقبضه نعمة معرفة أوقات النهار للصلوات وأعمال الناس، ونعمة التناوب في انتفاع الجماعات والأقطار بفوائد شعاع الشمس وفوائد الفيء بحيث إن الفريق الذي كان تحت الأشعة يتبرد بحلول الظل، والفريق الذي كان في الظل ينتفع بانقباضه.

هذا محل العبرة والمنة اللتين تتناولهما عقول الناس على اختلاف مداركهم. ووراء ذلك عبرة علمية كبرى توضحها قواعد النظام الشمسي وحركة الأرض حول الشمس وظهور الظلمة والضياء، فليس الظل إلا أثر الظلمة فأن الظلمة هي أصل كيفيات الأكوان ثم انبثق النور بالشمس ونشأ عن تداول الظلمة والنور نظام الليل والنهار وعن ذلك نظام الفصول وخطوط الطول والعرض للكرة الأرضية وبها عرفت مناطق الحرارة والبرودة.

ومن وراء ذلك إشارة إلى أصل المخلوقات كيف طرأ عليها الإيجاد بعد أن كانت عدما، وكيف يمتد وجودها في طور نمائها، ثم كيف تعود إلى العدم تدريجا في طور انحطاطها إلى أن تصير إلى العدم، فذلك مما يشير إليه ﴿ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا﴾ فيكون قد حصل من التذكير بأحوال الظل في هذه الآية مع المنة والدلالة على نظام القدرة تقريب لحالة إيجاد الناس وأحوال الشباب وتقدم السن، وأنهم عقب ذلك صائرون إلى ربهم يوم البعث مصيرا لا إحالة فيه ولا بعد، كما يزعمون، فلما صار قبض الظل مثلا لمصير الناس إلى الله بالبعث وصف القبض بيسير تلميحا إلى قوله ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ [ق: ٤٤].

وفي هذا التمثيل إشارة إلى أن الحياة في الدنيا كظل يمتد وينقبض وما هو إلا ظل.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/١٨٧

فهذان المحملان في الآية من معجزات القرآن العلمية.

[٤٧] ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا﴾ .." (١)

"النساء الحافات بابنة فرعون حين كانت مع أترابها وداياتها على ساحل النيل كما جاء في الإصحاح الثاني من سفر الخروج.

واللام في ﴿ليكون لهم عدوا﴾ لام التعليل وهي المعروفة عند النحاة بلام كي وهي لام جارة مثل كي، زهي متعلقة بـ(التقطه) . وحق لام كي أن تكون جارة لمصدر منسبك من (أن) المقدرة بعد اللام ومن الفعل المنصوب بها فلذلك المصدر هو العلة الباعثة على صدور ذلك الفعل من فاعله. وقد استعملت في الآية استعمالا واردا على طريقة الاستعارة دون الحقيقة لظهور أنهم لم يكن داعيهم إلى التقاطه أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكنهم التقطوه رأفة به وحبا له لما ألقي في نفوسهم من شفقة عليه ولكن لما كانت عاقبة التقاطهم إياه أن كان لهم عدوا في الله وموجب حزن لهم، شبهت العاقبة بالعلة في كونها نتيجة للفعل كشأن العلة تبعا لاستعارة معنى الحرف إلى **معنى آخر** استعارة تبعية، أي استعير الحرف تبعا لاستعارة معناه ثم تسري من المعنى إلى الحرف فلذلك سميت استعارة تبعية عند جمهور علماء المعاني خلافا للسكاكي.

وضمير ﴿لهم﴾ يعود إلى آل فرعون باعتبار الوصف العنواني لأن موسى كان عدوا لفرعون آخر بعد هذا، أي ليكون لدولتهم وأمتهم عدوا وحزنا فقد كانت بعثة موسى في مدة ابن فرعون هذا.

ووصفه بالحزن وهو مصدر على تقدير متعلق محذوف، أي حزنا لهم لدلالة قوله لهم السابق. وليس هذا من الوصف بالمصدر للمبالغة مثل قولك: فلان عدل، لأن ذلك إذا كان المصدر واقعا موقع اسم الفاعل فكان معنى الصدر قائما بالموصوف. والمعنى هنا: ليكون لهم حزنا.والإسناد مجاز عقلي لأنه سبب الحزن وليس هو حزنا.

وقرأ الجمهور ﴿وحزنا﴾ بفتح الحاء والزاي. وقرأه حمزة والكسائي وخلف بضم الحاء وسكون الزاي وهما لغتان كالعدم والعدم.

وجملة ﴿إن فرعون وهامان﴾ إلى آخرها في موضع العلة لجملة ﴿ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ أي قدر الله

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٦/١٩

نجاة موسى ليكون لهم عدوا وحزنا، لأنهم كانوا مجرمين فجعل الله ذلك عقابا لهم على ظلمهم بني إسرائيل وعلى عبادة الأصنام.." (١)

"والغوي: الشديد الغواية وهي الضلال وسوء النظر، أي أنك تشاد من لا تطيقه ثم تروم الغوث مني يوما بعد يوم، وليس المراد أنه ظالم أو مفسد لأنه لو كان كذلك لما أراد أن يبطش بعدوه.

والبطش: الأخذ بالعنف، والمراد به الضرب. وظاهر قوله ﴿عدو لهما﴾ أنه قبطي. وربما جعل عدوا لهما لأن عداوته للإسرائيلي معروفة فاشية بين القبط وأما عداوته لموسى فلأنه أراد أن يظلم رجلا والظلم عدو لنفس موسى لأنه نشأ على زكاء نفس هيأها الله للرسالة. والاستفهام مستعمل في الإنكار.

والجبار: الذي يفعل ما يريد مما يضر بالناس ويؤاخذ الناس بالشدة دون الرفق. وتقدم في [سورة الرعد: ١٥] قوله ﴿ وخاب كل جبار عنيد﴾ ، وفي [سورة مريم: ٣٢] قوله ﴿ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ .

والمعنى: إنك تحاول أن تكون متصرفا بالانتقام وبالشدة ولا تحاول أن تكون من المصلحين بين الخصمين بأن تسعى في التراضي بينهما. ويظهر أن كلام القبطي زجر لموسى عن البطش به وصار بينهما حوارا أعقبه مجيء رجل من أقصى المدينة.

[٢٠-٢١] ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾

ظاهر النظم أن الرجل جاء على حين محاورة القبطي مع موسى فلذلك انطوى أمر محاورتهما إذ حدث في خلاله ما هو أهم منه وأجدى في القصة.

والظاهر أن أقصى المدينة هو ناحية قصور فرعون وقومه فإن عادة الملوك السكنى في أطراف المدن توقيا من الثورات والغارات لتكون مساكنهم أسعد بخروجهم عند الخوف. وقد قيل: الأطراف منازل الأشراف. وأما قول أبي تمام:

كانت هي الوسط المحمي فاتصلت ... بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

فلذلك **معنى آخر** راجع إلى انتقاص العمران كقوله تعالى ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ [الأحزاب: ١٣].

وبهذا يظهر وجه ذكر المكان الذي جاء منه الرجل وأن الرجل كان يعرف موسى.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/٢٠

(٢) التحرير والتنوير، ٣٤/٢٠

"وفيه إيماء إلى تعظيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم

ومعنى ﴿فرض عليك القرآن﴾ اختاره لك من قولهم: فرض له كذا، إذا عين له فرضا، أي نصيبا. ولما ضمن ﴿فرض﴾ معنى (أنزل) لأن فرض القرآن هو إنزاله، عدي فرض بحرف (على).

والرد: إرجاع شيء إلى حاله أو مكانه. والمعاد: اسم مكان العود، أي الأول كما يقتضيه حرف الانتهاء. والتنكير في ﴿معاد﴾ للتعظيم كما يقتضيه مقام الوعد والبشارة، وموقعهما بعد قوله ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ ١ [القصص: ٨٤]، أي إلى معاد أي معاد.

والمعاد يجوز أن يكون مستعملا في **معنى آخر** أحوال الشيء وقراره الذي لا انتقال منه تشبيها بالمكان العائد إليه بعد أن صدر منه أو كناية عن الأخارة فيكون مرادا به الحياة الآخرة. قال ابن عطية: وقد اشتهر يوم القيامة بالمعاد نه معاد الكل اهـ. أي فأبشر بما تلقى في معادك من الكرامة التي لا تعادلها كرامة والتي لا تعطى لأحد غيرك. فتنكير ﴿معاد﴾ أفاد أنه عظيم الشأن، وترتبه على الصلة أفاد أنه لا يعطى لغيره مثله كما أن القرآن لم يفرض على أحد مثله.

ويجوز أن يراد بالمعاد معناه المشهود القريب من الحقيقة. وهو ما يعود إليه المرء إن غاب عنه، فيراد هنا بلده الذي كان به وهو مكة. وهذا الوجه يقتضي انه كناية عن خروجه منه ثم عوده إليه لأن الرد يستلزم المفارقة. وإذ قد كانت السورة مكية ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة فالوعد بالرد كناية عن الخروج منه قبل أن يرد عليه. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أري في النوم أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل كما في حديث البخاري، وكان قال له ورقة بن نوفل: يا ليتني أكون معك إذ يخرجك قومك وغن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، فما كان ذلك كله ليغيب عن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه قد قيل: إن هذه الآية نزلت عليه وهو في الجحفة في طريقه إلى الهجرة كما تقدم في أول السورة فوعد بالرد عليها وهو دخوله إليها فاتحا لها ومتمكنا منها. فقد روي عن ابن عباس تفسير المعاد بذلك وكلا الوجهين يصح أن يكون مرادا على ما تقرر في المقدمة التاسعة.

_

١ في المطبوعة (عشر أمثالها)." (١)

"و ﴿سود﴾ : جمع أسود وهو الذي لونه السواد.

فالغربيب يدل على أشد من معنى أسود، فكان مقتضى الظاهر أن يكون ﴿غرابيب﴾ متأخرا عن ﴿سود﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠/١٢٠

لأن الغالب أنهم يقولون: أسود غربيب، كما يقولون: أبيض يقق وأصفر فاقع وأحمر قان، ولا يقولون: غربيب أسود وإنما خولف ذلك للرعاية على الفواصل المبنية على الواو والياء الساكنتين ابتداء من قوله: ﴿والله هو الغني الحميد﴾ [فاطر: ١٥]، على أن في دعوى أن يكون غربيا تابعا لأسود نظرا والآية تؤيد هذا النظر، ودعوى كون ﴿غرابيب﴾ صفة لمحذوف يدل عليه ﴿سود﴾ تكلف واضح، وكذلك دعوى الفراء: أن الكلام على التقديم والتأخير، وغرض التوكيد حاصل على كل حال.

[٢٨] ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور [٢٨]﴾.

﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه﴾.

موقعه كموقع قوله: ﴿ومن الجبال جدد﴾ ، ولا يلزم أن يكون مسوغ الابتداء بالنكرة غير مفيد **معنى آخر** فان تقديم الخبر هنا سوغ الابتداء بالنكرة.

واختلاف ألوان الناس منه اختلاف عام وهو ألوان أصناف البشر وهي الأبيض والأسود والأصفر والأحمر حسب الاصطلاح الجغرافي. وللعرب في كلامهم تقسيم آخر لألوان أصناف البشر، وقد تقدم عند قوله: ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ في سورة الروم [٢٢].

و ﴿من﴾ تعبيضية. والمعنى: أن المختلف ألوانه بعض من الناس، ومجموع المختلفات كله هو الناس كلهم وكذلك الدواب والأنعام، وهو نظم دقيق دعا إليه الإيجاز.

وجيء في جملة ﴿ومن الجبال جدد﴾ [فاطر: ٢٧] و ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه﴾ بالاسمية دون الفعلية كما في الجملة السابقة لأن اختلاف ألوان الجبال والحيوان الدال على اختلاف أحوال الإيجاد اختلافا دائما لا يتغير وإنما يحصل مرة واحدة عند الخلق وعند تولد النسل.

﴿كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾.." (١)

"المجلد الثالث و العشرون

سورة الصافات

...

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٧. سورة الصافات

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢/١٥٧

اسمها المشهور المتفق عليه "الصافات".وبذلك سميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف كلها،ولم يثبت شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم في تسميتها،وقال في الإتقان:"رأيت في كلام الجعبري أن سورة "الصافات" تسمى "سورة الذبيح" وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر".

ووجه تسميتها باسم "الصافات" وقوع هذا اللفظ فيها بالمعنى الذي أريد به أنه وصف الملائكة وإن كان قد وقع في سورة "الملك" لكن **بمعنى آخر** إذ أريد هنالك صفة الطير،على أن الأشهر أن "سورة الملك" نزلت بعد "سورة الصافات".

وهي مكية بالاتفاق وهي السادسة والخمسون في تعداد نزول السور،نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان.

وعدت آيها مائة واثنتين وثمانين عبد أكثر أهل العدد.وعدها البصريون مائة وإحدى وثمانين.

أغراضها

إثبات وحدانية الله تعالى،وسوق دلائل كثيرة على ذلك دلت على انفراده بصنع المخلوقات العظيمة التي لا قبل لغيره بصنعها وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكنها ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك.إثبات أن البعث يعقبه الحشر والجزاء.ووصف حال المشركين يوم الجزاء ووقوع بعضهم في بعض.ووصف حسن أحوال المؤمنين ونعيمهم.ومذاكرتهم فيما كان يجري بينهم وبين بعض المشركين من أصحابهم في الجاهلية ومحاولتهم صرفهم عن الإسلام.ثم انتقل إلى تنظير دعوة محمد صلى الله عليه وسلم قومه." (١)

"حفيظا﴾ باعتبار أنها دالة على جواب الشرط المقدر.

و ﴿إن﴾ الثانية نافية. والجمع بينها وبين ﴿إن﴾ الشرطية في هذه الجملة جناس تام.

و ﴿البلاغ﴾ : التبليغ، وهو اسم مصدر، وقد فهم من الكلام أنه قد أدى ما عليه من البلاغ لأن قوله ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ دل على نفي التبعة عن النبي صلى الله عليه وسلم من إعراضهم، وأن الإعراض هو الإعراض عن دعوته، فاستفيد أنه قد بلغ الدعوة ولولا ذلك ما أثبت لهم الإعراض.

﴿وإنا إذا أذقنا الأنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الأنسان كفور﴾ تتصل هذه الجملة بقوله ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ﴾ لما تضمنته هذه من التعريض بتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم على ما لاقاه من قومه كما علمت، ويؤذن بهذا الاتصال أن

---

(١) التحرير والتنوير، ٥/٢٣

هاتين الجملتين جعلتا آية واحدة هي ثامنة وأربعون في هذه السورة، فالمعنى: لا يحزنك إعراضهم عن دعوتك فقد أعرضوا عن نعمتي وعن إنذاري بزيادة الكفر، فالجملة معطوفة على جملة ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ وابتداء الكلام بضمير الجلالة المنفصل مسندا إليه فعل دون أن يقال: وإذا أذقنا الإنسان إلخ، مع أن المقصود وصف هذا الإنسان بالبطر بالنعمة وبالكفر عند الشدة، لأن المقصود من موقع هذه الجملة هنا تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن جفاء قومه وإعراضهم، فالمعنى: أن معاملتهم ربهم هذه المعاملة تسليك عن معاملتهم إياك على نحو قوله تعالى ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾ [النساء: ١٥٣] ولهذا لا تجد نظائر هذه الجملة في معناها مفتتحا بمثل هذا الضمير لأن موقع تلك النظائر لا تماثل موقع هذه وإن كان معناهما متماثلا، فهذه الخصوصية خاصة بهذه الجملة.

ولكن نظم هذه الآية جاء صالحا لإفادة هذا المعنى ولإفادة **معنى آخر** مقارب له وهو أن يكون هذا حكاية خلق للناس كلهم مرتكز في الجبلة لكن مظاهره متفاوتة بتفاوت أفراده في التخلق بالآداب الدينية، فيحمل ﴿الإنسان﴾ في الموضعين على جنس بني آدم ويحمل الفرح على مطلقه المقول عليه بالتشكيك حتى يبلغ مبلغ البطر، وتحمل السيئة التي قدمتها أيديهم على مراتب السيئات إلى أن تبلغ مبلغ الإشراك، ويحمل وصف ﴿كفور﴾ على ما يشمل اشتقاقه من الكفر بتوحيد الله، والكفر بنعمة الله.

ولهذا اختلفت محامل المفسرين للآية. فمنهم من حملها على خصوص الإنسان." (١)

"[٤٣] ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم﴾ [الزخرف:٤٣]

لما هون الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ما يلاقيه من شدة الحرص على إيمانهم ووعده النصر عليهم فرع على ذلك أن أمره بالثبات على دينه وكتابه وأن لا يخور عزمه في الدعوة ضجرا من تصلبهم في كفرهم ونفورهم من الحق.

والاستمساك: شدة المسك، فالسين والتاء فيه للتأكيد. والأمر به مستعمل في طلب الدوام، لأن الأمر بفعل لمن هو متلبس به لا يكون لطلب الفعل بل **لمعنى آخر** وهو هنا طلب الثبات على التمسك بما أوحي إليه كما دل عليه قوله ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ وهذا كما يدعى للعزيز المكرم، فيقال: أعزك الله وأكرمك، أي أدام ذلك وقوله: أحياك الله، أي أطال حياتك، ومنه قوله تعالى في تعليم الدعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/١٨٩

والذي أوحي إليه هو القرآن. وجملة ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ تأييد لطلب الاستمساك بالذي أوحي إليه وتعليل له.

والصراط المستقيم: هو العمل بالذي أوحي إليه، فكأنه قيل: إنه صراط مستقيم، ولكن عدل عن ذلك إلى ﴿إنك على صراط مستقيم﴾ ليفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم راسخ في الاهتداء إلى مراد الله تعالى كما يتمكن السائر من طريق مستقيم لا يشوبه في سيره تردد في سلوكه ولا خشية الضلال في بنياته. ومثله قوله تعالى ﴿إنك على الحق المبين﴾ [النمل: من الآية٧٩] في سورة النمل.

وحرف "على" للاستعلاء المجازي المراد به التمكن كقوله ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ [البقرة: ٥] وهذا تثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم وثناء عليه بأنه ما زاغ قيد أنملة عما بعثه الله به، كقوله ﴿إنك على الحق المبين﴾ ويتبعه تثبيت المؤمنين على إيمانهم. وهذا أيضا ثناء سادس على القرآن.

[٤٤] ﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ ذكر حظ الرسول صلى الله عليه وسلم من الثناء والتأييد في قوله ﴿على صراط مستقيم﴾ المجعول علة للأمر بالثبات عليه، ثم عطف عليه تعليل آخر اشتمل على ذكر حظ." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدخان

سميت هذه السورة حم الدخان روى الترمذي بسندين ضعيفين يعضد بعضهما بعضا: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم "من قرأ حم الدخان في ليلة أو في ليلة الجمعة" الحديث.

واللفظان بمنزلة اسم واحد لأن كلمة ﴿حم﴾ غير خاصة بهذه السورة فلا تعد علما لها، ولذلك لم يعدها صاحب الإتقان في عداد السور ذوات أكثر من اسم وسميت في المصاحف وفي كتب السنة سورة الدخان.

ووجه تسميتها بالدخان وقوع لفظ الدخان فيها المراد به آية من آيات الله أيد الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فلذلك سميت به اهتماما بشأنه، وإن كان لفظ "الدخان" **بمعنى آخر** قد وقع في سورة حم تنزيل في قوله ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ [فصلت: ١١] وهي نزلت قبل هذه السورة على المعروف من ترتيب تنزيل سور القرآن عن رواية جابر بن زيد التي اعتمدها الجعبري وصاحب الإتقان على أن وجه التسمية لا يوجبها.

وهي مكية كلها في قول الجمهور. قال ابن عطية: هي مكية لا أحفظ خلافا في شيء منها. ووقع في

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/٢٦٠

الكشاف استثناء قوله ﴿إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون﴾ [الدخان:١٥] ولم يعزه إلى قائل، ومثله القرطبي، وذكره الكواشي قولا وما عزاه إلى معين. وأحسب أنه قول نشأ عما فهمه القائل، وسنبينه في موضعه.

وهي السورة الثالثة والستون في عد نزول السور في قول جابر بن زيد، نزلت بعد سورة الزخرف وقبل سورة الجاثية في مكانها هذا وعدت آيها ستا وخمسين عند أهل المدينة ومكة والشام، وعدت عند أهل البصرة سبعا وخمسين، وعند أهل الكوفة تسعا وخمسين.." (١)

"[١١] ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾

أعيد اسم الإشارة للوجه الذي تقدم في قوله ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ [محمد: من الآية٣] وقوله ﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ [محمد: من الآية٤].

واسم الإشارة منصرف إلى مضمون قوله ﴿وللكافرين أمثالها﴾ [محمد: من الآية١٠] بتأويل: ذلك المذكور، لأنه يتضمن وعيدا للمشركين بالتدمير، وفي تدميرهم انتصار للمؤمنين على ما لقوا منهم من الأضرار، فأفيد أن ما توعدهم الله به مسبب على أن الله نصير الذين آمنوا وهو المقصود من التعليل وما بعده تتميم.

والمولى، هنا: الولي والناصر. والمعنى: أن الله ينصر الذين ينصرون دينه وهم الذين آمنوا ولا ينصر الذين كفروا به، فأشركوا معه في إلهيته وإذا كان لا ينصرهم فلا يجدون نصيرا لأنه لا يستطيع أحد أن ينصرهم على الله، فنفي جنس المولى لهم بهذا المعنى من معاني المولى. فقوله ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ أفاد شيئين: أن الله لا ينصرهم، وأنه إذا لم ينصرهم فلا ناصر لهم، وأما إثبات المولى للمشركين في قوله تعالى ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾ إلى قوله ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ [يونس: ٢٨-٣٠] فذلك المولى **بمعنى آخر**، وهو معنى: المالك والرب، فلا تعارض بينهم.

[١٢] ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾

استئناف بياني جواب سؤال يخطر ببال سامع قوله ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ [محمد:١١]

عن حال المؤمنين في الآخرة وعن رزق الكافرين في الدنيا، فبين الله أن من ولايته المؤمنين أن يعطيهم النعيم الخالد بعد النصر في الدنيا، وأن ما أعطاه الكافرين في الدنيا لا عبرة به لأنهم مسلوبون من فهم

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/٣٠٦

الإيمان فحظهم من الدنيا أكل وتمتع كحظ الأنعام، وعاقبتهم في عالم الخلود العذاب، فقوله ﴿والنار مثوى لهم﴾ في معنى قوله في سورة آل عمران [١٩٧,١٩٦] ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾

وهذا الاستئناف وقع اعتراضا بين جملة ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ [محمد: من الآية١٠] وجملة ﴿وكأين من قرية﴾ [محمد: من الآية١٣] الآية.." [١]

"القول في موقعها كالقول في موقع جملة ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ [النجم:٤٠] سواء، فيجوز أن تكون هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ فتكون تتمة لما في صحف موسى وإبراهيم، ويكون الخطاب في قوله ﴿إلى ربك﴾ التفاتا من الغيبة إلى الخطاب والمخاطب غير معين فكأنه قيل: وأن إلى ربه المنتهى، وقد يكون نظيرها من كلام إبراهيم ما حكاه الله عنه بقوله ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ [الصافات:٩٩].

ويجوز أنها ليست مما اشتملت عليه صحف موسى وإبراهيم ويكون عطفها عطف مفرد على مفرد، فيكون المصدر المنسبك من ﴿أن﴾ ومعمولها مدخولا للباء، أي لم ينبأ بأن إلى ربك المنتهى، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم. وعليه فلا نتطلب لها نظيرا من كلام إبراهيم عليه السلام.

ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى حكمه المحض الذي لا تلابسه أحكام هي في الظاهر من تصرفات المخلوقات مما هو شأن أمور الدنيا، فالكلام على حذف مضاف دل عليه السياق.

والتعبير عن الله بلفظ ﴿ربك﴾ تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم والتعريض بالتهديد لمكذبيه لأن شأن الرب الدفاع عن مربوبه.

وفي الآية **معنى آخر** وهو أن يكون المنتهى مجازا عن انتهاء السير، بمعنى الوقوف، لأن الوقوف انتهاء سير السائر، ويكون الوقوف تمثيلا لحال المطيع لأمر الله تشبيها لأمر الله الذي تحدد به الحوائط على نحو قول أبي الشيص:

وقف الهوي بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

كما عبر عن هذا المعنى بالوقوف عند الحد في قوله تعالى ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ [البقرة: ٢٢٩]. والمعنى: التحذير من المخالفة لما أمر الله ونهى.

وفي الآية معنى ثالث وهو انتهاء دلالة الموجودات على وجود الله ووحدانيته لأن الناظر إلى الكائنات يعلم

---

(١) التحرير والتنوير، ٧٥/٢٦

أن وجودها ممكن غبر واجب فلا بد لها من موجود، فإذا خليت الوسوسة للناظر أن يفرض للكائنات موجدا مما يبدو له من نحو الشمس أو القمر أو النار لما يرى فيها من عظم الفاعلية، لم يلبث أن يظهر له أن ذلك المفروض لا يخلو من تغير يدل على حدوثه فلا بد له من محدث أوجد فإذا ذهب الخيال يسلسل مفروضات الإلهية." (١)

"القيامة هم من المقبوحين﴾ [القصص: ٤٢] فلا يناسب أن يكون الضلال ضد الهدى.

ويجوز أن يكون ﴿يوم يسحبون﴾ ظرفا للكون الذي في خبر ﴿إن﴾ ، أي كائنون في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار، فالمعنى: أنهم في ضلال وسعر يوم القيامة و ﴿سعر﴾ جمع سعير، وهو النار، وجمع السعير لأنه قوي شديد.

والسحب: الجر، وهو في النار أشد من ملازمة المكان لأن به يتجدد مماسة نار أخرى فهو أشد تعذيبا.

وجعل السحب على الوجوه إهانة لهم.

و ﴿ذوقوا مس سقر﴾ مقول قول محذوف، والجملة مستأنفة. والذوق مستعار للإحساس.

وصيغة الأمر مستعملة في الإهانة والمجازاة.

والمس مستعمل في الإصابة على طريقة المجال المرسل.

و سقر: علم على جهنم، وهو مشتق من السقر بسكون القاف وهو التهاب في النار، ف ﴿سقر﴾ وضع علما لجهنم، ولذلك فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، لأن جهنم اسم مؤنث معنى اعتبروا فيه أن مسماه نار والنار مؤنثة.

والآية تتحمل معنى آخر، وهو أن يراد بالضلال ضد الهدى وأن الإخبار عن المجرمين بأنهم ليسوا على هدى، وأن ما هم فيه باطل وضلال، وذلك في الدنيا، وأن يراد بالسعر نيران جهنم وذلك في الآخرة فيكون الكلام على التقسيم.

أو يكون السعر بمعنى الجنون، يقال: سعر بضمتين وسعر بسكون العين، أي جنون، من قول العرب ناقة مسعورة، أي شديدة السرعة كأن بها جنونا كما تقدم عند قوله تعالى ﴿إنا إذا لفي ضلال وسعر﴾ في هذه السورة [٢٤].

وروي عن ابن عباس وفسر به أبو على الفارسي قائلا: لأنهم أن كانوا في السعير لم يكونوا في ضلال لأن

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤١/٢٧

الأمر قد كشف لهم وإنما وصف حالهم في الدنيا، وعليه فالضلال والسعر حاصلان لهم في الدنيا.

[٤٩] ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ .." (١)

"الآية أن أهل الإيمان الكامل لا يوادون من فيه معنى من محادة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بخرق سياج شريعته عمدا. والاستخفاف بحرمات الإسلام، وهؤلاء مثل أهل الظلم والعدوان في الأعمال من كل ما يؤذن بقلة اكتراث مرتكبه بالدين وينبيء عن ضعف احترامه للدين مثل المتجاهرين بالكبائر والفواحش الساخرين من الزواجر والمواعظ، ومثل أهل الزيغ والضلال في الاعتقاد ممن يؤذن حالهم بالإعراض عن أدلة الاعتقاد الحق، وإيثار الهوى النفسي والعصبية على أدلة الاعتقاد الإسلامي الحق. فعن الثوري أنه قال: كانوا يرون تنزيل هذه الآية على من يصحب سلاطين الجور. وعن مالك: لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقوله تعالى: : ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾.

وقال فقهاؤنا: يجوز أو يجب هجران ذو البدعة الضالة أو الانغماس في الكبائر إذا لم يقبل الموعظة.

وهذا كله من إعطاء بعض أحكام المعنى الذي فيه حكم شرعي أو وعيد **لمعنى آخر** فيه وصف من نوع المعنى ذي الحكم الثابت. وهذا يرجع إلى أنواع من الشبه في مسالك العلة للقياس فإن الأشياء متفاوتة في الشبه.

وقد استدل أئمة الأصول على حجية الإجماع بقوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾ [النساء:١١٥] مع أن مهيع الآية المحتج بها إنما هو الخروج عن الإسلام ولكنهم رأوا الخروج مراتب متفاوتة فمخالفة إجماع المسلمين كلهم فيه شبه اتباع غير سبيل المؤمنين.

﴿أولئك كتب في قلوبهم الأيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾.

الإشارة إلى القوم الموصوفين بأنهم ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ .

والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأن الأوصاف السابقة ووقوعها عقب ما وصف به المنافقون من محادة الله

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٧/٢٠٤

ورسوله صلى الله عليه وسلم سابقا وآنفا، وما توعدهم الله به أنه أعد لهم عذابا شديدا ولهم عذاب مهين، وأنهم حزب الشيطان، وأنهم الخاسرون، مما يستشرف بعده." (١)

"بيد غيره.

وهو قصر ادعائي مبني على عدم الاعتداد بملك غيره، ولا بما يتراءى من إعطاء الخلفاء والملوك الاصقاع للأمراء والسلاطين وولاة العهد لأن كل ذلك ملك غير تام لأنه لا يعم المملوكات كلها، ولأنه معرض للزوال، وملك الله هو الملك الحقيقي، قال: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ [طه:١١٤].

فالناس يتوهمون أمثال ذلك ملكا وليس كما يتوهمون.

واليد: تمثيل بأن شبهت الهيئة المعقولة المركبة من التصرف المطلق في الممكنات الموجودة والمعدومة بالإمداد والتغيير والإعدام والإيجاد؛ بهيئة إمساك اليد بالشيء المملوك تشبيه معقول بمحسوس في المركبات.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ في [سورة آل عمران: ٢٦].

و ﴿ الملك ﴾ بضم الميم: اسم لأكمل أحوال الملك بكسر الميم، والملك بالكسر جنس للملك بالضم، وفسر الملك المضموم بضبط الشيء المتصرف فيه بالـحكم، وهو تفسير قاصر. وأرى أن يفسر بأنه تصرف في طائفة من الناس ووطنهم تصرفا كاملا بتدبير ورعاية، فكل ملك بالضم ملك بالكسر وليس كل ملك ملكا.

وقد تقدم في قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ في [الفاتحة:٤] وعند قوله: ﴿أنى يكون له الملك علينا﴾ في [البقرة:٢٤٧]. وجملة ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ معطوفة على جملة ﴿بيده الملك﴾ التي هي صلة الموصول وهي تعميم بعد تخصيص لتكميل المقصود من الصلة، إذ أفادت الصلة عموم تصرفه في الموجودات، وأفادت هذه عموم تصرفه في الموجودات والمعدومات بالإعدام للموجودات والإيجاد للمعدومات، فيكون قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ مفيدا معنى آخر غير ما أفاده قوله: ﴿بيده الملك﴾ تفادي من أن يكون معناه تأكيدا لمعنى ﴿بيده الملك﴾ وتكون هذه الجملة تتميما للصلة. وفي معنى صلة ثانية ثم عطفت ولم يكرر فيها اسم موصول بخلاف قوله: ﴿الذي خلق الموت﴾ [الملك:٢] وقوله: ﴿الذي خلق سبع سماوات﴾ [الملك:٣].

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٤/٢٨

و"شيء": ما يصح أن يعلم ويخبر عنه. وهذا هو الإطلاق الأصلي في اللغة. وقد يطلق "الشيء" على خصوص الموجود بحسب دلالة القرائن والمقامات. وأما التزام." (١)

"وهذه الجمل تمهيد لقوله: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ .

وهذا البيان خاص بأحد معنيي الترك في الآية وهو تركه دون إحياء وأكتفي ببيان هذا عن بيان **المعنى الآخر** الذي قيده قوله: ﴿سدى﴾ [القيامة: ٣٦]،أي تركه بدون جزاء على أعماله لأن فائدة الإحياء أن يجازي على عمله.والمعنى: أيحسب أن يترك فانيا ولا تجدد حياته.

ووقع وصف ﴿سدى﴾ في خلال ذلك موقع الاستدلال على لزوم بعث الناس من جانب الحكمة، وانتقل بعده إلى بيان إمكان البعث من جانب المادة،فكان وقوعه إدماجا.

فالإنسان خلق من ماء وطور أطوارا حتى صار جسدا حيا تام الخلقة والإحساس فكان بعضه من صنف الذكور وبعضه من صنف الإناث،فالذي قدر على هذا الخلق البديع لا يعجزه إعادة خلق كل واحد كما خلقه أول مرة بحكمة دقيقة وطريقة أخرى لا يعلمها إلا هو.

والنطفة: القليل من الماء سمي بها ماء التناسل، وتقدم في سورة فاطر.

وأختلف في تفسير معنى ﴿تمنى﴾ فقال كثير من المفسرين معناه:تراق.ولم يذكر في كتب اللغة أن فعل: منى أو أمنى يطلق بمعنى أراق سوى أن بعض أهل اللغة قال في تسمية"منى" التي بمكة إنها سميت كذلك لأنها تراق بها دماء الهدي،ولم يبينوا هل هو فعل مجرد أو بهمزة التعدية.

وأحسب هذا من التلفيقات المعروفة من أهل اللغة من طلبهم إيجاد أصل لاشتقاق الأعلام وهو تكلف صراح، فاسم"منى" علم مرتجل، وقال ثعلب:سميت من قولهم: منى الله عليه الموت، أي قدره لأنها تنحر فيها الهدايا ومثله عن أبن شميل وعن أبن عيينة. وفسر بعضهم ﴿تمنى﴾ بمعنى تخلق من قولهم منى الله الخلق،أي خلقهم. والأظهر قول بعض المفسرين أنه مضارع أمنى الرجل فيكون كقوله: ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ في سورة الواقعة [٥٨].

والعلقة:القطعة الصغيرة من الدم المتعقد.

وعطف فعل ﴿كان علقة﴾ بحرف "ثم" للدلالة على التراخي الرتبي فإن كونه علقة." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠/٢٩

(٢) التحرير والتنوير، ٣٤٠/٢٩

"الحر والشمس، ولا يسمى السرير أريكة إلا إذا كان معه حجلة.
وقيل: كل ما يتوسد ويفترش مما له حشو يسمى أريكة وإن لم تكن له حجلة، وفي الإتقان عن ابن الجوزي: أن الأريكة السرير بالحبشية فزاده السيوطي على أبيات ابن السبكي وابن حجر في جمع المعرب في القرآن.
وجملة ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا﴾ حال ثانية من ضمير الغائب في ﴿جزاهم﴾ أو صفة ﴿جنة﴾ .
والمراد بالشمس: حر أشعتها، فنفي رؤية الشمس في قوله: ﴿لا يرون فيها شمسا﴾ فيكون نفي رؤية الشمس كناية عن نفي وجود الشمس الذي يلزمه انتفاء حر شعاعها فهو من الكناية التلويحية كقوله:
ولا ترى الضب فيها ينجحر
أي لا ضب بها فتراه ولا يكون انجحاره.
والزمهرير: اسمك للبرد القوي في لغة الحجاز، والزمهرير: اسم البرد.
والمعنى: أن هواء الجنة معتدل لا ألم فيه بحال. وفي كلام الرابعة من نساء حديث أم زرع زوجي كليل تهامة، ولا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة.
وقال ثعلب: الزمهرير اسم القمر في لغة طيء، وأنشد:
وليلة ظلامها قد اعتكر ... قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى على هذا: أنهم لا يرون في الجنة ضوء الشمس ولا ضوء القمر، أي ضوء النهار وضوء الليل لأن ضياء الجنة من نور واحد خاص بها. وهذا **معنى آخر** غير نفي الحر والبرد.
ومن الناس من يقول: المراد بالشمس حقيقتها وبالزمهرير البرد وأن في الكلام احتباكا، والتقدير: لا يرون فيها شمسا ولا قمرا ولا حرا ولا زمهريرا وجعلوه مثالا للاحتباك في المحسنات البديعية، ولعل مراده: أن المعنى أن نورها معتدل وهواءها معتدل.
﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ انتصب ﴿دانية﴾ عطفا على ﴿متكئين﴾ لأن هذا حال سببي من أحوال المتكئين، أي ظلال شجر الجنة قريبة منهم. و ﴿ظلالها﴾ فاعل ﴿دانية﴾ وضمير." (١)
"الحذر من تغلغلها في النفس.
وضمير ﴿رآه﴾ المستتر المرفوع على الفاعلية وضميره البارز المنصوب على المفعولية كلا هما عائد إلى الإنسان، أي أن رأى نفسه استغنى.
ولا يجتمع ضميران متحدا المعاد: أحدهما فاعل، والآخر مفعول في كلام العرب، إلا إذا كان العامل من

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٦١/٢٩

باب ظن وأخواتها كما في الآية، ومنه قوله تعالى: ﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ في سورة الإسراء [٦٢]. قال الفراء: والعرب تطرح النفس من هذا الجنس "أي جنس أفعال الظن والحسبان" تقول: رأيتني وحسبتني، ومتى تراك خارجا، ومتى تظنك خارجا، وألحقت "رأى" البصرية ب"رأى" القلبية عند كير من النحاة كما في قوله قطري بن الفجاءة:

فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني مرة وأمامي

ومن النادر قول النمر بن تولب:

قد بت أحرسني وحدي ويمنعني ... صوت السباع به يضبحن والهام

وقرأ الجميع ﴿أن رآه﴾ بألف بعد الهمزة، وروى ابن مجاهد عن قنبل أنه قرأه ءن أبن كثير "رأه" بدون ألف بعد الهمزة، قال ابن مجاهد: هذا غلط ولا يعبأ بكلام ابن مجاهد بعد أن جزم بأنه رواه عن قنبل، لكن هذا لم يروه غير ابن مجاهد عن قنبل فيكون وجها غريبا عن قنبل.

وألحق بهذه الأفعال: فعل فقد وفعل عدم، إذا استعملا في الدعاء نحو قول القائل: فقدتني وعدمتني.

وجملة ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ معترضة بين المقدمة والمقصد والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، أي مرجع الطاغي إلى الله، وهذا موعظة وتهديد على سبيل التعريض لمن يسمعه من الطغاة، وتعليم للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت له، أي لا يحزنك طغيان الطاغي فان مرجعه إلى، ومرجع الطاغي إلى العذاب قال تعالى: ﴿إن جهنم كانت مرصادا، للطاغين مآبا﴾ [النبأ:٢١-٢٢] وهو موعظة للطاغي بأن غناه لا يدفع عنه الموت، والموت: رجوع إلى الله كقوله: ﴿ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾ [الإنشقاق:٦].

وفيه معنى آخر وهو أن استءناءه غير حقيقي لأنه مفتقر إلى الله في أهم أموره ولا يدري ماذا يصيره إليه ربه من العواقب فلا يزده يغنى زائف في هذه الحياة فيكون:." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ١٨٠

و قيل «١» : ما يعلم على التفصيل والوقت والمقدار.

والمتشابه بخلافه مثل : وقت الساعة وأشراطها ، ومعرفة الصغائر بأعيانها «٢». فالوقف على قوله : إلا الله «٣». ومن وقف على «و الراسخون في العلم» ، كان يقولون في موضع الحال «٤» ، أي يعلمون تأويله «٥» قائلين : آمنا به كل من عند ربنا.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٩٣/٣٠

(١) ذكر النحاس في معانيه (١/ ٣٤٤ – ٣٤٨) أقوالا كثيرة في المراد ب «المحكم» ثم قال :

»

و أجمع هذه الأقوال أن المحكم ما كان قائما بنفسه لا يحتاج إلى استدلال ، والمتشابه ما لم يقم بنفسه ، واحتاج إلى استدلال».

وقال ابن عطية في المحرر الوجيز : (٣/ ١٦ ، ١٧) : «المحكمات : المفصلات المبينات الثابتات الأحكام ، والمتشابهات هي التي فيها نظر وتحتاج إلى تأويل ويظهر فيها ببادئ النظر إما تعارض مع أخرى أو مع العقل إلى غير ذلك من أنواع التشابه ، فهذا الشبه الذي من أجله توصف بمتشابهات ، إنما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها أهل الزيغ ومن لم يمعن النظر وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام : «الحلال بين الحرام بين ، وبينهما أمور متشابهات» أي يكون الشيء حراما في نفسه فيشبه عند من لم يمعن النظر شيئا حلالا ، وكذلك الآية يكون لها في نفسها معنى صحيح فتشبه عند من لم يمعن النظر أو عند الزائغ معنى آخر فاسدا فربما أراد الاعتراض به على كتاب الله ، هذا عندي معنى الإحكام والتشابه في هذه الآية ...». [.....]

(٢) ذكره الطبري في تفسيره : (٦/ ١٧٩ ، ١٨٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

قال الطبري – رحمه الله – : «و هذا القول ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتأويل الآية ...».

وانظر هذا القول في تفسير الماوردي : ١/ ٣٠٥ ، وتفسير البغوي : ١/ ٢٧٩ ، والمحرر الوجيز : ٣/ ١٩.

(٣) اختاره الفراء في معانيه : ١/ ١٩١ ، وعزاه النحاس في معاني القرآن : ١/ ٣٥١ إلى الكسائي والأخفش ، والفراء ، وأبي عبيد ، وأبي حاتم الرازي.

(٤) التبيان للعكبري : ١/ ٢٣٩ ، والبحر المحيط : ٢/ ٣٨٤ ، والدر المصون : ٣/ ٢٩.

(٥) أورد النحاس في معانيه : ١/ ٣٥٤ هذا القول والذي قبله ثم قال : «و القول الأول وإن كان حسنا فهذا أبين منه ، لأن واو العطف الأولى بها أن تدخل الثاني ، فيما دخل فيه الأول ، حتى يقع دليل بخلافه. وقد مدح الله عز وجل الراسخين بثباتهم في العلم ، فدخل على أنهم يعلمون تأويله ...» واختاره مكي في مشكل إعراب القرآن : ١/ ١٤٩ فقال : «عطف على اسم «الله» جل ذكره فهم يعلمون المتشابه ، ولذلك وصفهم الله تعالى بالرسوخ في العلم.

ولو كانوا جهالا بمعرفة المتشابه لما وصفوا بالرسوخ في العلم ...».

وقال ابن عطية في المحرر الوجيز : (٣/ ٢٥ ، ٢٦) : «و هذه المسألة إذا تؤملت قرب الخلاف فيها من الاتفاق ، وذلك أن الله تعالى قسم آي الكتاب قسمين : محكما ومتشابها ، فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه إلى نظر ولا يتعلق به شيء يلبس ، ويستوي في علمه الراسخ وغيره ، والمتشابه يتنوع ، فمنه ما لا يعلم ألبتة ، كأمر الروح ، وآماد المغيبات التي قد أعلم الله بوقوعها إلى سائر ذلك ، ومنه ما يحمل على وجوه اللغة ومناح في كلام العرب ، فيتأول تأويله المستقيم ، ويزال ما فيه مما عسى أن يتعلق به من تأويل غير مستقيم كقوله في عيسى روح منه إلى غير ذلك ، ولا يسمى أحد راسخا إلا بأن يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له ، وإلا فمن لا يعلم سوى المحكم فليس يسمى راسخا ، وقوله تعالى : وما يعلم تأويله عائد على جميع متشابه القرآن ...».." [١]

"أما المعتزلة فقد اتفقوا على أن الإيمان إذا عدي بالباء ، فالمراد به التصديق ؛ إذ الإيمان بمعنى أداء الواجبات لا يمكن فيه هذه التعدية ، فلا يقال : فلان آمن بكذا إذا صلى وصام ، بل يقال : فلان آمن بالله كما يقال : صام وصلى لله ، فالإيمان المعدى بالباء يجري على طريقة أهل اللغة.

أما إذا ذكر مطلقا غير معدى ، فقد اتفقوا على أنه منقول من المسمى اللغوي – الذي هو التصديق – إلى معنى آخر ، ثم اختلفوا فيه على وجوه : أحدها : أن الإيمان عبارة عن فعل كل الطاعات ، سواء كانت واجبة أم مندوبة ، أو من باب الأقوال أو الأفعال ، أو الاعتقادات ، وهو قول واصل بن عطاء ، وأبي الهذيل ، والقاضي عبد الجبار بن أحمد.

وثانيها : أنه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل ، وهو قول أبي علي وأبي هاشم.

٢٨٢

وثالثها : أن الإيمان عبارة عن [اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد.

ثم يحتمل أن يكون من الكبائر ما لم يرد فيه الوعيد].

فالمؤمن عند الله كل من اجتنب] كل الكبائر ، والمؤمن عندنا كل من اجتنب ما ورد فيه الوعيد ، وهو قول النظام ، ومن أصحابه من قال : شرط كونه مؤمنا عندنا وعند الله اجتناب الكبائر كلها.

وأما أهل الحديث فذكروا وجهين : الأول : أن المعرفة إيمان كامل وهو الأصل ، ثم بعد ذلك كل طاعة إيمان على حدة ، وهذه الطاعات لا يكون شيء منها إيمانا إذلا إذا كانت مرتبة على الأصل الذي هو

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/١٨٠

المعرفة.

وزعموا أن الجحود وإنكار القلب كفر ، ثم كل معصية بعد كفر على حدة ، ولم يجعلوا شيئا من الطاعات إيمانا ما لم توجد المعرفة والإقرار ، ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجثحود والإنكار ؛ لأن الفرع لا يحصل بدون ما هو أصله ، وهو قول عبد الله بن سعيد بن كلاب.

والثاني : زعموا أن الإيمان اسم للطاعات كلها ، وهو إيمان واحد ، وجعلوا الفرائض والنوافل كلها من جملة الإيمان ، ومن ترك شيئا من الفرائض فقد انتقص إيمانه ، ومن ترك النوافل لا ينتقص إيمانه.

ومنهم من قال : الإيمان اسم للفرائض دون النوافل.

الفرقة الثانية الذين قالوا : الإيمان باللسان والقلب نعا ، وقد اختلف هؤلاء على مذاهب : الأول : أن الإيمان إقرار باللسان ، ومعرفة بالقلب ، وهو قول أبي حنيفة وعامة الفقهاء ، ثم هؤلاء اختلفوا في موضعين :

٢٨٣

أحدهما : اختلفوا في حقيقة هذه المعرفة ، فمنهم من فسرها بالاعتقاد الجازم - سواء كان اعتقادا تقليديا ، أو كان علما صادرا عن الدليل - وهم الأكثرون الذين يحكمون بأن المقلد مسلم.

ومنهم من فسرها بالعلم الصادر من الاستدلال.

وثانيهما : اختلفوا في أن العلم المعتبر في تحقيق الإيمان علم بماذا ؟ قال بعض المتكلمين : هو العلم بالله ، وبصفاته على سبيل الكمال والتمام ، ثم إنه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى لا جرم أقدم كل طائفة على تكفير من عداها من الطوائف.

وقال أهل الإنصاف : المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه الصلاة والسلام ، فعلى هذا القول العلم بكونه تعالى عالما بالعلم ، أو عالما بذاته ، وبكونه مرئيا أو غير مرئي ، لا يكون داخلا في مسمى الإيمان.

القول الثاني : أن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معا ، وهو قول بشر بن غياث المريسي ، وأبي الحسن الأشعري ، والمراد من التصديق بالقلب الكلام القائم بالنفس.

الفرقة الثالثة الذين قالوا : الإيمان عبارة عن عمل القلب فقط ، وهؤلاء اختلفوا على قولين : أحدهما : أن الإيمان معرفة الله بالقلب ، حتى إن من عرف الله بقلبه ، ثم جحد بلسانه ومات قبل أن يقر به فهو مؤمن كامل الإيمان ، وهو قول جهم بن صفوان.

." (١)

"فعبر عن الخمر بالإثم ، لما كان مسببا عنها.

فصل في معنى العدوان واشتقاقه و " العدوان " : التجاوز في الظلم ، وقد تقدم في ﴿يعتدون﴾ [البقرة : ٦١] وهو مصدر ك " الكفران والغفران " والمشهور ضم فائه ، وفيه لغة بالكسر.

قوله : " وإن يأتوكم أسارى تفادوهم " " إن " شرطية ، و " يأتوكم " مجزوم بها بحذف النون والمخاطب مفعول.

و " أسارى " حال من الفاعل في " يأتوكم ".

وقرأ الجماعة غير حمزة " أسارى " وقرأ هو : " أسرى " وقرء : : أسارى " بتفح الهمزة ، فقراءة الجماعة تحتمل أربعة أوجه : أحدها : أنه جمع جمع "كسلان " لما جمعهما من عدم النشاط والتصرف ، فقالوا : " أسير وأسارى " بضم الهمزة ك "كسلان وكسالى " و " سكران وسكارى " ، كما أنه قد شبه كسلان وسكران به فجمعا جمعه الأصلي الذي هو على " فعلى " فقالوا : كسل ا ن وكسلى ، وسكران وسكرى لقولهم : أسير وأسرى.

قال سيبويه : فقالوا : في جمع كسلان كسلى شبهوه ب " أسرى ".

كما قالوا : أسارى شبهوه ب "كسالى " ، ووجه الشبه أن الأسر يدخل على المرء كرها كما يدخل الكسل.

قال بعضهم : والدليل على اعتبار هذا المعنى أنهم جمعوا " مريضا وميتا وهالكا " على " فعلى " فقالوا : " مرضى وموتى وهلكى " لما جمعها المعنى الذي في " قتلى وجرحى ".

الثاني : أن " أسارى " جمع " أسير " ، وقد وجدنا " فعيلا " يجمع على " فعالى " قالوا : شيخ قديم ، وشيوخ قدامى.

وفيه نظر ، فإن هذا شاذ لا يقاس عليه.

الثالث : أنه جمع " أسير " أيضا ، وإنما ضموا الهمزة من " أسارى " وكان أصلها الفتح ك " نديم وندامى "كما ضمت الكاف والسين من "كسالى " و " سكارى " وكان الأصل فيهما الفتح نحوك " عطشان وعط ا شى ".

الرابع : أنه جمع " أسرى " الذي هو جمع " أسير " فيكون جمع الجمع.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٠

وأما قراءة حمزة فواضحة ؛ لأن " فعلى " ينقاس في " فعيل " نحو : " جريح وجرحى " و " قتيل وقتلى " و " مريض ومرضى ".

وأما " أسارى " بالفتح فقد تقدم أنها أصل أسارى بالضم عند بعضهم ، ولم يعرف أهل اللغة فرقا بين أسارى " و " أسرى " إلا ما حكاه أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ، فإنه قال : " ما كان في الوثاق فهم الأسارى ، وما كان في اليد ، فهم الأسرى " ونقل بعضهم عنه الفرق بمعنى آخر ، فقال : " ما جاء مستأسرا فهم الأسرى ، وما صار في أيديهم ، فهم الأسارى " ، وحكى النقاش من ثعلب ؛ أنه لما سمع هذا الفرق قال : " هذا كلام المجانين " ، وهي جرآة منه على أبي عمرو ، وحكى عن المبرد أنه يقال : " أسير وأسراء " ك " شهيد وشهداء " و " الأسير " : مشتق من " الإسار " وهو القيد الذي يربط به من المحمل ، فسمي الأسير أسيرا ، وإن لم يربط ، والأسر : الخلق في قوله : ﴿وشددنآ أسرهم﴾ [الإنسان : ٢٩] وأسرة الرجل : من يتقوى بهم ، والأسر : احتباس البول ، ورجل مأسوقر : أصابه ذلك ؛ وقالت العرب : أسر قتبه : أي : شده ؛ قال الأعشك [المتقارب] ٦٣٦. وقيدني الشعر في بيته

كما قيد الآسرات الحمارا

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

يريد : أنه بلغ في الشعر النهاية ؛ حتى صار له كالبيت الذي لا يبرح عنه.

قوله : " تفادوهم " قرأ نافع وعاصم والكسائيك " تفادوهم " ، وهو جواب الشرط ، فلذلك حذف نون الرفع ، وقرأ الباقون : " تفدوهم " ، وهل القراءتان بمعنى واحد ، ويكون معنى " فاعل " مثل معنى " فعل " المجرد مثل : " عاقبت وسافرت " أو بينهما فرق ؟ خلاف مشهور ، ثم اختلف الناس في ذلك الفرق ما هو ؟ فقيلك معنى " فداه " أعطى فيه فداء من مال ، و " فاداه " : أعطى فيه أسيرا مثله ؛ وأنشد : [الطويل] ٦٣٧. ولكنني فاديت أمي بعدما

علا الرأس منها كبرة ومشيب

وهذا القول يرده قوله العباس رضي الله عنه : فاديت نفسي وفاديت عقيلا ، ومعلوم أن لم يعط أسيره في مقابلة نفسه ولا ولده.

وقيل : تفدوهم بالصلح ، وتفادوهم بالعنف.

وقيل : تفدوهم تعطوا فديتهم ، وتفادوهم تطلبون من أعدائكم فدية الأسير الذي في أيديكم ؛ ومنه : [الوافر] ٦٣٨. ققي فادي أسيرك إن قومي

وقومك ما أرى لهم اجتماعا

والظاهر أن " تفادوهم " على أصله من أثنين ، وذلك أن الأسير يعطى المال والأسير يعطى الإطلاق ، وتفدوهم على بابه من غير مشاركة ، وذلك أن الفريقين يفدي صاحبه من الآخر بمال أو غيره ، فالفعل على الحقيقة من واحد.

و " الفداء " ما يفتدى به ، فإذا كسروا فاءه ، جاز فيه وجهان : المد والقصر ، فمن المد قول النابغةك [البسيط] ٦٣٩. مهلا فداء لك الأقوام كلهم." (١)

"هو تأنيث " أحد " يقابلونها به في : أحد عشر وإحدى عشرة وأحد وعشرين وإحدى وعشرين ، وتجمع " إحدى " على " إحد " نحو : كسرة وكسر.

قال أبو العباس : " جعلوا الألف في الإحدى بمنزلة التاء في " الكسرة " ، فقالوا في جمعها : " إحد " ؛ كما قالوا : كسرة وكسر ؛ كما جعلوا مثلها في الكبرى والكبر ، والعليا والعلى ، فكما جعلوا هذه كظلمة ، وظلم جعلوا الأول كسدرة وسدر " قال : " وكما جعلوا الألف المقصورة بمنزلة التاء فيما ذكر ؛ وجعلوا الممدودة أيضا بمنزلتها في قولهم " قاصعاء وقواصع " و " داماء ودوام " ، يعني : أن فاعلة نحو : ضاربة تجمع على ضوارب ، كذا فاعلاء ؛ نحو : قاصعاء ، وراهطاء تجمع على فواعل ؛ وأنشد ابن الأعرابي على إحدى وإحد قول الشاعر : [الرجز] ١٢٨٦ - حتى استثاروا بي إحدى الإحد

ليثا هزبرا ذا سلاح معتدي

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٧٥

قال : يقال : هو إحدى الإحد ، وأحد الأحدين ، وواحد الآحاد ، كما يقال : واحد لا مثل له ، وأنشد البيت.

واعلم أن " إحدى " لا تستعمل إلا مضافة إلى غيرها ؛ فيقال : إحدى الإحد وإحداهما ، ولا يقال : جاءتني إحدى ، ولا رأيت إحدى ، وهذا بخلاف مذكرها.

و " الأخرى " تأنيث " آخر " الذي هو : أفعل التفضيل ، وتكون **بمعنى آخرة** ؛ كقوله تعالى : ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ [الأعراف : ٣٨] ، ويجمع كل منهما على " أخر " ، ولكن جمع الأولى ممتنع من الصرف ، وفي علته خلاف ، وجمع الثانية منصرف ، وبينهما فرق يأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى في الأعراف.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٢٧٨

فصل أجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال ، حتى يثبت برجل وامرأتين ، واختلفوا في غير الأموال ، فقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي : تجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات.

وذهب جماعة إلى أن غير المال ، لا يثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي ، وأحمد إلى : أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع ، والثيوبة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين ، وبشهادة أربع نسوة.

وعن أحمد : يثبت بشهادة امرأة عدل ، واتفقوا على أن شهادة النساء لا تجوز في العقوبات.

٤٩٥

فصل قال القرطبي : لما جعل الله تعالى شهادة امرأتين بدل شهادة رجل ؛ وجب أن يكون حكمهما حكمه ، فكما له أن يخلف مع الشاهد عندنا ، وعند الشافعي ، كذلك يجب أن يحلف مع شهادة امرأتين بمطلق هذه العوضية ، وخالف في هذا أبو حنيفة ، وأصحابه ، فلم يروا اليمين مع الشاهد.

قالوا : لأن الله تعالى قسم الشهادة ، وعددها ، ولم يذكر الشاهد مع اليمين ، فلا يجوز القضاء به ؛ لأنه يكون قسما ثالثا على ما قسمه الله ، وهذه زيادة على النص ، فيكون نسخا ، وهذا قول الثوري ، والأوزاعي والحكم بن عتيبة وطائفة.

قال بعضهم : الحكم باليمين مع الشاهد منسوخ بالقرآن ، وزعم عطاء أن أول من قضى به عبد الملك بن مروان.

وقال الحكم : القضاء باليمين والشاهد بدعة ، وهو كله غلط ، وليس في قوله تعالى : ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ الآية ما يرد به قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باليمين ، والشاهد ؛ ولا أنه لا يتوصل إلى الحقوق إلا بما ذكر فيها لا غير ، فإن ذلك يبطل بنكول المطلوب ويمين الطالب ، فإن ذلك يستحق به المال إجماعا ، وليس هو في الآية ، مع أن الخلفاء الأربعة : قضوا بالشاهد واليمين ، وقضى به أبي بن كعب ، ومعاوية وشريح وعمر بن عبد العزيز ، وكتب به إلى عماله ، وإياس بن معاوية ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو الزناد وربيعة.

قال مالك : أترى هؤلاء تنقض أحكامهم ، ويحكم ببدعتهم مع ما روى ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : قضى بالشاهد مع اليمين.

قوله : ﴿ولا يأب الشهدآء﴾ مفعوله محذوف لفهم المعنى ، أي : لا يأبون إقامة الشهادة ، وقيل :

المحذوف مجرور لأن " أبى " بمعنى امتنع ، فيتعدى تعديته أي من إقامة الشهادة.

قوله : ﴿إذا ما دعوا﴾ ظرف لـ " يأب " أي : لا يمتنعون في وقت [دعوتهم] لأدائها ، أو لإقامتها ، ويجوز أن تكون [متمحضة للظرف ، ويجوز أن تكون] شرطية والجواب محذوف أي : إذا دعوا فلا يأبوا.

٤٩٦

." (١)

"قال الفراء : يقال : صددته ، أصده ، صدا.

وأصددته ، إصدادا.

وكان صدهم عن سبيل الله بإلقاء الشبه في قلوب الضعفة من المسلمين ، وكانوا ينكرون كون صفته في كتابهم.

قوله : ﴿تبغونها﴾ يجوز أن تكون جملة مستأنفة ، أخبر عنهم بذلك - وأن تكون في محل نصب على الحال ، وهو أظهر من الأول ؛ لأن الجملة الاستفهامية السابقة جيء بعدها بجملة حالية - أيضا - وهي قوله : ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾.

﴿وأنتم تشهدون﴾ [البقرة : ٨٤].

فتتفق الجملتان في انتصاب الحال عن كل منهما ، ثم إذا قلنا بأنها حال ، ففي صاحبها احتمالان : أحدهما : أنه فاعل " تصدون ".

والثاني : أنه ﴿سبيل الله﴾.

وإن جاز الوجهان لأن الجملة - اشتملت على ضمير كل منهما.

والضمير في ﴿تبغونها﴾ يعود على ﴿سبيل﴾ فالسبيل يذكر ويؤنث كما تقدم ومن التأنيث هذه الآية ، وقوله : ﴿قل هاذه سبيلى ﴾ [يوسف : ١٠٨].

وقول الشاعر : [الوافر] ١٥٤٤ - فلا تب◌ِد فكل فتى أناس

سيصبح سالكا تلك السبيلا

٤٢١

قوله (عوجا) فيه وجهان : أحدهما : أنه مفعول به ، وذلك أن يراد بـ " تبغون " تطلبون.

قال الزجاج والطبري : تطلبون لها اعوجاجا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٩٣٨

تقول العرب : ابغني كذا – بوصل الألف – أي : أطلبه لي ، وأبغني كذا – بقطع ، الألف – أي : أعني على طلبه.

قال ابن الأنباري : البغي يقتصر له على مفعول واحد إذا لم يكن معه اللام ، كقولك : بغيت المال والأجر والثواب.

وههنا أريد يبغون لها عوجا ، فلما سقطت اللام عمل الفعل فيما بعدها ، كما قالوا وهبتك درهما ، يريدون وهبت لك ، ومثله : صدتك ظبيا ، أي : صدت لك.

قال الشاعر : [الخفيف] ١٥٤٥ – فتولى غلامُهم ثم نادى

أظليما أصيدكم أم حمارا

يريد : أصيد لكم ظليما ؟ ومثله : " جنيتك كمأة وجنيتك طبا " ، والأصل جنيت لك ، فحذف ونصب ".

والثاني : أنه حال من فاعل " تبغونَها " وذلك أن يراد بـ " تبغون " معنى تتعدون ، والبغي : التعدي.

والمعنى : تبغون عليها ، أو فيها.

قال الزجاج : كأنه قال تبغونها ضالين ، والعوج بالكسر ، والعوج بالفتح – الميل ، ولكن العرب فرقوا بينهما ، فخصوا المكسور بالمعاني ، والمفتوح بالأعيان تقول : في دينه وفي كلامه عوج – بالكسر ، وفي الجدار والقناة والشجر عوج – بالفتح.

قال أبو عبيدة : العوج – بالكسر.

الميل في الدين والكلام والعمل ، وبالفتح في الحائط والجذع.

وقال أبو إسحاق : الكسر فيما لا ترى له شخصا ، وبالفتح فيما له شخص.

وقال صاحب المجمل : بالفتح في كل منتصب كالحائط ، والعوج – يعني : بالكسر – ما كان في بساط ، أو دِين ، أو أرض ، أو معاش ، فجعل الفرق بينهما بغير ما تقدم.

وقال الراغب : العوج : العطف من حال الانتصاب ، يقال : عجت البعير بزمامه ، وفلان ما يعوج به – أي : يرجع ، والعوج – يعني : بالفتح – يقال فيما يدرك بالبصر

٤٢٢

كالخشب المتصب ، ونحوه ، و العوج يقال فيما يدرك بفكر وبصيرة ، كما يكون في أرض بسيطة عوج ، فيعرف تفاوته بالبصيرة ، وكالدين والمعاش ، وهذا قريب من قول ابن فارس ؛ لأنه كثيرا ما يأخذ منه.

وقد سأل الزمخشري في سورة طه قوله تعالى : ﴿لا ترى فيها عوجا ولا اا أمتا﴾ [طه : ١٠٧] – سؤالا ، حاصله : أنه كيف قيل : عوج – بالكسر – في الأعيان ، وإنما يقال في المعاني ؟ وأجاب هناك بجواب حسن – يأتي إن شاء الله.

والسؤال إنما يجيء على قول أبي عبيدة والزجاج المتقدم ، وأما على قول ابن فارس والراغب فلا يرد ، ومن مجيء العوج بمعنى الميل من حيث الجملة قول الشاعر : [الوافر] ١٥٤٦ – تمرون الديار ولم تعوجوا

كلامكم علي إذن حرام

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤١٩

وقول امرئ القيس : [الكامل] ١٥٤٧ – عوجا على الطلل المحيل لأننا

نبكي الديار كما بكى ابن حذام

أي : ولم تميلوا ، وميلا.

وأما قولهم : ما يعوج زيد بالدواء – أي : ما ينتفع به – فمن مادة أخرى **ومعنى آخر**.

والعاج : العظم ، ألفه مجهولة لا يعلم منقلبة عن واو أو عن ياء ؟ وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لثوبان : " اشتر لفاطمة سوارا من عاج ".

قال القتيبي : العاج الذبل ؛ وقال أبو خراش الهذلي في امرأة : [الطويل] ١٥٤٨ – فجاءت كخاصي العير لمتحل عاجة

ولا جاجة منها تلوح على وشم

قال الأصمعي : العاجة : الذبلة ، والجاجة – بجيمين – خ◌رزة ما تساوي فلسا.

وقوله : كخاصي العير ، هذا مثل تقوله العرب لمن جاء مستحيا من أمر ، فيقال : جاء كخاصي العير.

٤٢٣." (١)

"وقرئ : يؤته – بياء الغيبة – والضمير لله تعالى ، وكذلك : " وسنجزي الشاكرين " بالنون والياء.

فصل نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد ؛ طلبا للغنيمة ، ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ يعني : الغنيمة ، قوله : ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ قيل : أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا ، وهذه الآية – وإن وردت في الجهاد خاصة – عامة في جميع الأعمال ؛ لأن المؤثر في جلب الثواب والعقاب هو القصد والدواعي ، لا ظواهر الأعمال.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١١٨٢

ثم قال : " وسنجزي الشاكرين " أي : المؤمنين المطيعين.

عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة.

ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه ، وشتت عليه أمره ، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له " وروى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه ".

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٧٤

هذه اللفظة ، قيل : هي مركبة من كاف التشبيه ، ومن " أي " ، وقد حدث فيهما بعد التركيب معنى التكثير ، المفهوم من " كم " الخبرية ، ومثلها في التركيب وإفهام التكثير : " كذا " في قولهم : له عندي كذا درهما ، والأصل : كاف التشبيه و " ذا " الذي هو اسم إشارة ، فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير ، ف " كم " الخبرية وكأين وكذا كلها بمعنى واحد ، وقد عهدنا في التركيب إحداث معنى آخر ؛ ألا ترى أن " لولا " حدث لها معنى جديد ، وكان من حقها - على هذا - أو يوقف عليها بغير نون ؛ لأن التنوين يحذف وقفا ، إلا أن الصحابة كتبتها " كأين " - بثبوت النون - ، فمن ثم وقف عليها جمهور القراء بالنون ؛ اتباعا لرسم المصحف.

٥٧٩

ووقف أبو عمرو وسورة بن المبارك عن الكسائي " كأي " - من غير نون - على القياس.

واعتل الفارسي لوقف النون بأشياء ، منها : أن الكلمة لما ركبت خرجت عن نظائرها ، فجعل التنوين كأنه حرف أصلي من بنية الكلمة.

وفيها لغات خمس.

أحدها : " كين " - وهي الأصل - وبها قرأ الجماعة ، إلا ابن كثير.

وقال الشاعر : [الوافر] ١٦٤٧ - كأين في المعاشر من أناس

أخوهم فوقهم ، وهم كرام

الثانية : " كائن " - بزنة كاعن - وبها قرأ ابن كثير وجماعة ، وهي أكثر استعمالا من " كأين " وإن كانت تلك الأصل - .

قال الشاعر : [الوافر] ١٦٤٨ - وكائن بالأباطح من صديق

يراني لو أصبت هو المصابا

وقال الآخر : [الطويل] ١٦٤٩ - وكائن رددنا عنكم من مدجج

....

وقال آخر : [الطويل] ١٦٥٠

- وكائن ترى في الحي من ذي قرابة

....

٥٨٠

". (١)

"لاعتلال فعله أولى ، ألا ترى إلى صحة الجمع مع اعتلال مفرده في معيشة ، ومعايش ، ومقامة ، ومقاوم ، ولم يصححوا مصدرا أعلوا فعله.

الثاني : أنه جمع " قيمة "ک " ديم " في جمع " ديمة " ، والمعنى : أن الأموال كالقيم للنفوس ؛ لأن بقاءها بها ، وقد رد الفارسي هذا الوجه ، وإن كان هو قول البصريين غير الأخفش ، بأنه قد قرئ قوله تعالى : ﴿دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا﴾ [الأنعام : ١٦١] وقوله : ﴿البيت الحرام قياما للناس﴾ [المائدة : ٩٧]. ولا يصح معنى القيمة فيهما ، وقد رد عليه الناس بأنه لا يلزم من عدم صحة معناه في الآيتين المذكورتين ألا يصح هنا ، إذ معناه لائق ، وهناك معنى آخر يليق بالآيتين المذكورتين كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وأما قراءة باقي السبعة فهو مصدر " قام " والأصل " قوام " ، فأبدلت الواو ياء للقاعدة المعروفة ، والمعنى : التي جعلها الله سبب قيام أبدانكم أي : بقائها.

وقال الزمخشري : " أي : تقومون بها وتنتعشون بها ".

وأما قراءة عبد الله بن عمر ففيها وجهان : أحدهما : أنه مصدر قاوم ک " لاوذ ، لواذا " صحت الواو في المصدر كما صحت في الفعل.

الثاني : أنه اسم لما يقوم به الشيء ، وليس بمصدر كقولهم : " هذا ملاك الأمر " أي : ما يملك به الأمر.

وأما قراءة الحسن ففيها وجهان : أحدهما : أنه اسم مصدر كالكلام ، والدوام ، والسلام.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٢٦١

والثاني : أنه لغة من القوام المراد به القامة ، والمعنى : التي جعلها الله سبب بقاء قاماتكم ، يقال : جارية حسنة القوام ، والقوام ، والقمة كله بمعنى واحد.

وقال أبو حاتم قوام بالفتح خطأ ، قال : لأن القوام امتداد القامة ، وقد تقدم تأويل ذلك على أن الكسائي قال : هو بمعنى القوام أي بالكسر ، يعني أنه مصدر ، وأما " قوما " فهو مصدر جاء على الأصل ، أعني : الصحيح العين كالعوض ، والحول.

فصل لما أمر في الآية الأولى بإيتاء اليتامى أموالهم ، وبدفع صدقات النساء إليهن فكأنه

١٨١

قال : إنما أمرتكم بذلك إذا كانوا عاقلين بالغين ، متمكنين من حفظ أموالهم ، فأما إذا كانوا غير بالغين ، أو غير عقلاء ، أو كانوا بالغين عقلاء ؛ إلا أنهم سفهاء ، فلا تدفعوا إليهم أموالهم ، والمقصود منه الاحتياط في حفظ أموال الضعفاء العاجزين.

واختلفوا في السفهاء : فقال مجاهد والضحاك : هم النساء كما قدمنا ، وهذا مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى أبو أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ألا إنما خلقت النار للسفهاء ، يقولها [ثلاثا] ألا وإن السفهاء النساء ، [إلا امرأة أطاعت قيمها "].

وقال الزمخشري وابن زيد : والسفهاء ههنا السفهاء عن من الأولاد ، ويقول : لا تعط مالك [الذي هو قيامك] ولدك السفيه فيفسده.

وقال ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير : هم النساء [والصبيان] إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة ، وأن ولده سفيه مفسد ، فلا يسلط واحدا منهما على ماله.

وقيل : المراد بالسفهاء كل من لم يحفظ المال للمصلحة من النساء والصبيان والأيتام ، وكل من اتصف بهذه الصفة ؛ لأن التخصيص بغير دليل لا يجوز ، وقد تقدم في " البقرة " أن السفه خفة العقل ولذلك سمي الفاسق سفيها ، لأنه لا وزن له عند أهل العلم والدين ، ويسمى الناقص العقل سفيها لخفة عقله.

فصل في دلالة الآية في الحجر على السفيه قال القرطبي : دلت هذه على جواز الحجر على السفيه لقوله تعالى : ﴿ولا تؤتوا السفهآء أموالكم﴾ ، وقوله : ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا﴾ [البقرة : ٢٨٢] فأثبت الولاية على السفيه كما أثبتها على الضعيف ، والمراد بالضعيف في الآية الضعيف العقل لصغر أو مرض.

فصل في حال السفيه قبل الحجر عليه [قال القرطبي] : واختلفوا في حال السفيه قبل الحجر عليه ، فقال

مالك وأكثر

١٨٢

". (١)

"فإن قيل : إنما لم يجعله أبو علي من ذلك ؛ لأنه يؤدي إلى تخصيص الظرف الثاني بما وقع في الأول ، وهو أنه تراها كشبه أردية العصب في اليوم الأول والثاني ؛ لأن حكم [المعطوف حكم] المعطوف عليه ، فهو نظير قولك : ضربت زيدا يوم الجمعة ، ويوم السبت ، ف " يوم " السبت مقيد بضرب [زيد كما يقيد به يوم الجمعة ، لكن الغرض أن اليوم الثاني في البيت مقيد بقيد آخر] وهو رؤية أديمها نغلا.

فالجواب : أنه لو تركنا [و] الظاهر من غير تقييد الظرف الثاني **بمعنى آخر** كان الحكم كما ذكرت [لأن الظاهر كما ذكرت] في مثالك : ضربت زيدا يوم الجمعة [وعمرا] يوم السبت [أما إذا قيدته بشيء آخر ، فقد تركت ذلك الظاهر لهذا النص ، ألا ترضاك تقول : ضربت زيدا يوم الجمعة ، وعمرا يوم السبت] ، فكذلك هذا ، وهو موضع يحتاج لتأمل.

وأما " فبشرناها بإسحاق " ، فيعقوب ليس مجرورا عطفا على إسحاق ، بل منصوبا بإضمار فعل أي : ووهبنا لها يعقوب ، ويدل عليه قراءة الرفع ، فإنها مؤذنة بانقطاعه من البشارة [به] ، كيف وقد تقدم أن هذا القائل يقول : إنه متى كان المعطوف عليه مجرورا ، أعيد مع المعطوف الجار.

[و] أما " أن يؤدوا الأمانات " ، فلا دلالة فيها أيضا ؛ لأن " إذا " ظرف لا بد من عامل ، وعامله إما ﴿أن تحكموا﴾ وهو الظاهر من حيث المعنى ، وإما ﴿يأمركم﴾ فالأول ممتنع ، وإن كان المعنى عليه ؛ لأن ما في حيز الموصول لا يتقدم عليه عند البصريين ، وأما الكوفيون فيجوزون ذلك ، ومنه الآية عندهم ، واستدلوا بقوله : [الرجز] ١٨١١ - ....

كان جزائي بالعصا أن أجلدا

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٣٣

وقد جاء ذلك في المفعول الصريح في قوله : [الكامل] ١٨١٢ - ....

وشفاء غيك خابرا أن تسألي

٤٣٨

فكيف بالظرف وشبهه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/١٣٧٢

والثاني ممتنع أيضا ؛ لأن الأمر ليس واقعا وقت الحكم ، كذا قاله أبو حيان وفيه نظر وإذا بطل هذا فالعامل فيه مقدر يفسره ما بعده تقديره : " وأن تحكموا إذا حكمتم " ، و " أن تحكموا " الأخيرة دالة على الأولى.

قوله " بالعدل " يجوز فيه وجهان : أحدهما : أن يتعلق بـ " تحكموا " ، فتكون الباء للتعدية ، والثانية : أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من فاعل تحكموا ، فتكون الباء للمصاحبة ، أي : ملتبسين بالعدل مصاحبين له.

والمعنيان متقاربان.

فصل اعلم أن الأمانة عبارة عن أداء ما وجب عليك لغيرك ,والحكم بالحق عما إذا وجب لإنسان على غيره حق ، فأمر من وجب عليه ذلك الحق بأن يدفعه إلى من له ذلك الحق.

ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع ، ودفع المضار ، ثم يشتغل بغيره ، لا جرم أمر تعالى بأداء الأمانة أولا ، ثم ذكر بعد الأمر الحكم بالحق ، وهذا من اللطائف المودعة في ترتيب القرآن.

فصل في وجوب حكم الإمام بالعدل أجمعوا على أنه يجب على الحكم أن يحكم بالعدل ، لهذه الآية ، ولقوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل : ٩٠] وقوله ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ [الأنعام : ١٥٢] وقوله ﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾ [ص : ٢٦] ، وقال – عليه الصلاة والسلام : " لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت ، وإذا حكمت عدلت وإذا استرحمت رحمت " وقال عليه الصلاة والسلام " المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ؛ هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم ما ولوا " وقال عليه الصلاة والسلام " إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة ، وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر " وقال عليه الصلاة والسلام " ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة ، فيجمعون عليه في النار ".

يحقق ذلك قوله تعالى ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ [الصافات : ٢٢] وقوله ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ [إبراهيم : ٤٢].

.943" (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٤٩٩

"[هود : ٨٤] ، واليوم ليس بمحيط ، وإنما المحيط هو العذاب.

ومثله قوله تعالى : ﴿في يوم عاصف﴾ [إبراهيم : ١٨] ، وعاصف ليس من صفة اليوم بل من صفة الريح.

ومنها قلب بعض الحروف إلى بعض كقوله عليه السلام : " ارجعن مأزورات غير مأجورات " ، والأصل : موزورات ، ولكن أريد التواخي.

وكذلك قولهم : [إنه] ليأتينا بالغدايا والعشايا ، يعني أن الأصل بالغداوى ؛ لأنها من الغدوة ، ولكن لأجل ياء العشايا جاءت بالياء دون الواو.

ومنها تأنيث المذكر كقوله تعالى : ﴿فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، فحذف التاء من " عشر " ، وهي مضافة إلى " الأمثال " ، وهي مذكرة ، ولكن لما جاورت الأمثال ضمير المؤنث أجري عليها حكمه ، وكذلك قوله : [الكامل] ١٩٤٠ - لما أتى خبر الزبير تواضعت

سور المدينة والجبال الخشع

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢١٦

وقولهم : ذهبت بعض أصابعه يعني أن " سور " مذكرة ، " وبعض " - أيضا - كذلك ، ولكن لما جاوروا المؤنث أعطيا حكمه.

ومنها : قامت هند لما لم يفصلوا ، أتوا بالتاء ، ولما فصلوا لم يأتوا بها ، ولا فرق إلا المجاورة وعدمها.

[ومنها :] استحسانهم النصب في الاشتغال بعد جملة فعلية ، في قولهم : قام زيد وعمرا كلمته لمجاورة الفعل.

ومنها : قلبهم الواو المجاورة للظرف همزة نحو : أوائل بخلاف طواويس لبعدها من مجاورة الظرف.

قال : وهذا موضع يحتمل أن يكتب فيه أوراق من الشواهد ، قد بوب له النحويون له [بابا] ورتبوا عليه مسائل ، وأصلوه بقولهم : هذا جحر ضب خرب.

[حتى] اختلفوا في جواز جر التثنية والجمع ، فأجاز الإتباع فيهما جماعة من حذاقهم قياسا على المفرد المسموع ، ولو كان لا وجه له بحال لاقتصروا فيه على

٦22

المسموع فقط ، ويتأيد ما ذكرناه أن الجر في الآية قد أجيز غيره وهو الرفع والنصب ، والرفع والنصب غير قاطعين ولا ظاهرين ، على أن حكم الرجلين المسح ، فكذلك الجر يجب أن يكون كالنصب والرفع في الحكم دون الإعراب.

انتهى.

قال شهاب الدين : أما قوله : إن ﴿وحور عين﴾ [الواقعة : ٢٢] من هذا الباب فليس بشيء ؛ لأنه إما أن يقدر عطفهما على ما [تقدم بتأويل] ذكره الناس كما سيأتي ، أو بغير تأويل.

وإما ألا يعطفهما ، [فإن عطفهما على ما تقدم ، وجب الجر ، وإن لم يعطفهما لم يجب الجر ، وأما جرهما على ما ذكره الناس فقيل : لعطفهما] على المجرور بالياء قبلهما على تضمين الفعل المتقدم " يتلذذون وينعمون بأكواب وكذا وكذا ".

أو لا يضمن الفعل شيئا ، ويكون لطواف الولدان بالحور العين على أهل الجنة لذاذة لهم بذلك ، والجوار إنما يكون حيث يستحق الاسم غير الجر ، فيجر لمجاورة ما قبله ، وهذا كما ترى قد صرح هو أنه معطوف على " بأكواب ".

غاية ما في الباب أنه جعله مختلف المعنى ، يعني أن عنده لا يجوز عطفهما على " بأكواب " إلا بمعنى آخر ، وهو تضمين الفعل ، وهذا لا يقدح في العطفية.

وأما البيت فجر " موثق " ليس لجواره لـ " منفلت " وإنما هو مراعاة للمجرور بـ " غير " ؛ لأنهم نصوا على أنك إذا جئت بعد " غير " ومخفوضها يتابع جاز أن يتبع لفظ " غير " ، وأن يتبع المضاف إليه ، وأنشدوا البيت ، ويروى : [البسيط] ١٩٤١ - لم يبق [فيها طريد] غير منفلت

أو موثق في حبال القوم مجنوب

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢١٦

وأما باقي الأمثلة التي أوردها فليس من المجاورة التي تؤثر في التغيير ، أي تغيير الإعراب ، وقد تقدم أن النحويين خصصوا ذلك بالنعت ، وأنه قد جاء في التوكيد ضرورة.

والتخريج الثاني : أنه معطوف على " برءوسكم " لفظا ومعنى ، ثم نسخ ذلك بوجوب الغسل ، وهو حكم باق ، وبه قال جماعة ، أو يحمل مسح الأرجل على بعض الأحوال ، وهو لبس الخف ، ويعزى للشافعي.

التخريج الثالث : أنها جرت منبهة على عدم الإسراف باستعمال الماء ؛ لأنها مظنة لصب الماء [كثيرا] ، فعطفت على الممسوح ، والمراد غسلها كما تقدم.

٢٢٧

وإليه ذهب الزمخشري ، قال : " وقيل : إلى الكعبين " فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبهما ممسوحة ؛ لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة.

وكأنه لم يرتض هذا القول الدافع لهذا الوهم ، وهو كما قال.

التخريج الرابع : أنها مجرورة بحرف جر مقدر ، دل عليه المعنى ، ويتعلق هذا الحرف بفعل محذوف أيضا يليق بالمحل ، فيدعى حذف جملة فعلية وحذف حرف جر ، قالوا : وتقديره : " وافعلوا بأرجلكم غسلا ".

قال أبو البقاء : وحذف حرف الجر ، وإبقاء الجر جائز ؛ كقوله : [الطويل] ١٩٤٢ - مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة

". (١)

"قوله تعالى : ﴿وإذا جآءوكم قالوا اا آمنا﴾ : الضمير المرفوع لليهود المعاصرين ؛ فحينئذ : لا بد من حذف مضاف ، أي : وإذا جاءكم ذريتهم ، أو نسلهم ؛ لأن أولئك المجعول منهم القردة والخنازير ، لم يجيئوا ، ويجوز ألا يقدر مضاف محذوف ؛ وذلك على أن يكون قوله ﴿من لعنه الله﴾ [المائدة : ٦٠] إلى آخره عبارة عن المخاطبين في قوله تعالى : ﴿يا أهل الكتاب﴾ [المائدة : ١٩] ، وأنه مما وضع فيه الظاهر موضع المضمر ، وكأنه قيل : أنتم ، كذا قاله أبو حيان ، وفيه نظر ؛ فإنه لا بد من تقدير مضاف في قوله تعالى : ﴿وجعل منهم القردة﴾ [المائدة : ٦٠] ، تقديره : وجعل من آبائكم أو أسلافكم ، أو من جنسكم ؛ لأن المعاصرين ليسوا مجعولا منهم بأعيانهم ، فسواء جعله مما ذكر أم لا ، لا بد من حذف مضاف.

قوله تعالى : ﴿وقد دخلوا بالكفر﴾ هذه جملة حالية ، وفي العامل فيها وجهان : أحدهما - وبه بدأ أبو البقاء - : أنه " قالوا " ، أي : قالوا كذا في حال دخولهم كفرة وخروجهم كفرة ، وفيه نظر ؛ إذ المعنى يأباه.

والثاني : أنه " آمنا " ، وهذا واضح ، أي : قالوا آمنا في هذه الحال ، و " قد " في " وقد دخلوا " " وقد خرجوا " لتقريب الماضي من الحال ، وقال الزمخشري : " **ولمعنى آخر** ، وهو : أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم ؛ فكان الرسول - عليه السلام - متوقعا لإظهار الله تعالى - ما كتموه ، فدخل حرف التوقع ، وهو متعلق بقوله " قالوا آمنا " ، أي : قالوا ذلك وهذه حالهم " ، يعني بقوله : " وهو متعلق " ، أي : والحال ، وقوة كلامه تعطي : أن صاحب الحال وعاملها الجملة المحكية بالقول ، و " بالكفر " متعلق بمحذوف ؛ لأنه حال من فاعل " دخلوا " ، فهي حال من حال ، أي : دخلوا ملتبسين بالكفر ، أي :

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٧١٢

ومعهم الكفر ؛ كقولهم : " خرج زيد بثيابه " ، وقراءة من قرأ : ﴿تنبت بالدهن﴾ [المؤمنون : ٢٠] ، أي : وفيها الدهن ؛ ومنه ما أنشد الأصمعي : [الطويل]

٤٢١

٢٠٠٢ – ومستنة كاستنان الخرو

ف قد قطع الحبل بالمرود

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٢١

". (١)

"لأنه لو قدم ، فقيل : " قام زيد " ، لألبس بالفاعل ، فإن قيل : وهذا أيضا يلبس بالفاعل في لغة " أكلوني البراغيث " ، فالجواب : أنها لغة ضعيفة لا نبالي بها ، وضعف أبو البقاء هذا الوجه **بمعنى آخر** ، فقال : " لأن الفعل قد وقع في موضعه ، فلا ينوى به غيره " ، وفيه نظر ؛ لأنا لا نسلم أنه وقع موقعه ، وإنما كان واقعا لو كان مجردا من علامة ، ومثل هذه الآية أيضا قوله تعالى : ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء : ٣].

والجمهور على " عموا وصموا " بفتح العين والصاد ، والأصل : عميوا وصمموا ؛ كشربوا ، فأعل الأول بالحذف ، والثاني بالإدغام ، وقرأ يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي بضم العين والصاد وتخفيف الميم من " عموا " ، قال الزمخشري : " على تقدير عماهم الله وصمهم ، أي : رماهم وضربهم بالعمى والصمم ؛ كما يقال : نزكته إذا ضربته بالنيزك ، وركبته إذا ضربته بركبتك " ، ولم يعترض عليه أبو حيان – رحمه الله – ، وكان قد قال قبل ذلك بعد أن حكى القراءة : " جرت مجرى زكم الرجل ، وأزكمه الله ، وحم وأحمه الله ، ولا يقال : زكمه الله ولا حمه ؛ كما لا يقال : عميته ولا صممته ، وهي أفعال جاءت مبنية للمفعول الذي لم يسم فاعله ، وهي متعدية ثلاثية ، فإذا بنيت للفاعل ، صارت قاصرة ، فإذا أردت بناءها للفاعل متعدية ، أدخلت همزة النقل ، وهي نوع غريب في الأفعال ".

انتهى ، فقوله : " كما لا يقال عميته ولا صممته " يقتضي أن الثلاثي منها لا يتعدى ، والزمخشري قد قال على تقدير : " عماهم الله وصمهم " فاستعمل ثلاثية متعديا ، فإن كان ما قاله أبو حيان صحيحا ، فينبغي أن يكون كلام الزمخشري فاسدا أو بالعكس.

وقرأ ابن أبي عبلة " كثيرا " نصبا ؛ على أنه نعت لمصدر محذوف ، وتقدم غير مرة أنه عند سيبويه حال

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٨٢٢

، وقال مكي : " ولو نصبت "كثيرا " في الكلام ، لجاز أن تجعله نعتا لمصدر محذوف ، أي : عمى وصمما كثيرا " ، قلت : كأنه لم يطلع عليها قراءة ، أو لم تصح عنده ؛ لشذوذها.

وقوله : " فعموا " عطفه بالفاء ، وقوله : ﴿ثم عموا وصموا﴾ عطفه بـ " ثم " ، وهو معنى حسن ؛ وذلك أنهم عقيب الحسبان ، حصل لهم العمى والصمم من غير تراخ ، وأسند الفعلين إليهم ، بخلاف قوله : ﴿فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد : ٢٣] ، لأن هذا فيمن لم يسبق له هداية ، وأسند الفعل الحسن لنفسه في قوله : ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ ، وعطف قوله : " ثم عموا " بحرف التراخي ؛ دلالة على أنهم تمادوا في الضلال إلى وقت التوبة.

٤٥٧

فصل في معنى العمى والصمم المراد بهذا العمى والصمم الجهل والكفر ، وإذا كان كذلك فنقول : فاعل هذا الجهل إما أن يكون هو الله – تعالى – أو العبد.

فالأول : يبطل قول المعتزلة.

والثاني : باطل ؛ لأن الإنسان لا يختار ألبتة تحصيل الجهل والكفر لنفسه.

فإن قيل : إنما اختاروا ذلك ؛ لأنهم ظنوا أنه علم.

قلنا : هذا الجهل يسبقه جهل آخر ، إلا أن الجهالات لا تتسلسل ، بل لا بد من انتهائها إلى الجهل الأول ، ولا يجوز أن يكون هو العبد لما ذكرنا فوجب أن يكون فاعله هو الله تعالى.

ثم قال تعالى : ﴿والله بصير بما يعملون﴾ أي : من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل المقصود منه التهديد.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٥١

." (١)

"إلى أن قوله " إلا إله " خبر المبتدأ ، وتكون المسألة من الاستثناء المفرغ ، كأنه قيل : ما إله إلا إله متصف بالواحد ، لما ظهر له منع ، لكني لم أرهم قالوه ، وفيه مجال للنظر.

ثم قال تعالى : ﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾.

قال الزجاج : معناه : ليمسن الذين أقاموا على هذا الدين ؛ لأن كثيرا منهم تابوا عن النصرانية ، فخص الذين كفروا لعلمه أن بعضهم يؤمن.

قوله : " ليمسن " جواب قسم محذوف ، وجواب الشرط محذوف ؛ لدلالة هذا عليه ، والتقدير : والله ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٨٤٩

إن لم ينتهوا ليمسن ، وجاء هذا على القاعدة التي قررتها : وهو أنه إذا اجتمع شرط وقسم أجيب سابقهما ما لم يسبقهما ذو خبر ، وقد يجاب الشرط مطلقا ، وقد تقدم أيضا : أن فعل الشرط حينئذ لا يكون إلا ماضيا لفظا ومعنى لا لفظا كهذه الآية ، فإن قيل : السابق هنا الشرط ؛ إذ القسم مقدر ، فيكون تقديره متأخرا ، فالجواب أنه لو قصد تأخر القسم في التقدير ، لأجيب الشرط ، فلما أجيب القسم ، علم أنه مقدر التقديم ، وعبر بعضهم عن هذا ، فقال : لام التوطئة للقسم قد تحذف ويراعى حكمها ؛ كهذه الآية ؛ إذ التقدير : " ولئن لم "كما صرح بهذا في غير موضع ؛ كقوله : ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ [الأحزاب : ٦٠] ؛ ونظير هذه الآية قوله : ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن﴾ [الأعراف : ٢٣] ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام : ١٢١] ، وتقدم أن هذا النوع من جواب القسم يجب أن يتلقى باللام وإحدى النونين عند البصريين ، إلا ما استثني ، كما تقدم ، قال الزمخشري : " فإن قلت : فهلا قيل : ليمسهم عذاب ، قلت : في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة ، وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر ".

وقوله : " منهم " في محل نصب على الحال ، قال أبو البقاء : إما من " الذين " ، وإما من ضمير الفاعل في "كفروا " ، قلت : لم يتغير الحكم في المعنى ؛ لأن الضمير الفاعل هو نفس الموصول ، وإنما الخلاف لفظي ، وقال الزمخشري : " من " في قوله تعالى : ﴿ليمسن الذين كفروا﴾ للبيان كالتي في قوله : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج : ٣٠] قال شهاب الدين : فعلى هذا يتعلق " منهم " بمحذوف ، فإن قلت : هو على جعله حالا متعلق أيضا بمحذوف ، قلت : الفرق بينهما أن جعله حالا يتعلق بمحذوف ، ذلك المحذوف ہو الحال في الحقيقة ، وعلى هذا الوجه يتعلق بفعل مفسر للموصول الأول ، كأنه قيل : أعني منهم ، ولا محل لـ " أعني " ؛ لأنها جملة تفسيرية ، وقال أبو حيان : " و " من " في " منهم " للتبعيض ، أي : كائنا منهم ، والربط

٤٦١

حاصل بالضمير ، فكأنه قيل : كافرهم ، وليسوا كلهم بقوا على الكفر ".

انتهى ، يعني : هذا تقدير لكونها تبعيضية ، وهو معنى كونها في محل نصب على الحال.

وقوله تعالى : " أفلا يتوبون " : تقدم نظيره مرارا ، وأن فيه رأيين : رأي الجمهور : تقديم حرف العطف على الهمزة تقديرا ، ورأي أبي القاسم : بقاؤه على حاله وحذف جملة معطوف هذا عليها ، والتقدير : أيثبتون على كفرهم ، فلا يتوبون ، والاستفهام فيه قولان : أظهرهما : أنه للتعجب من حالهم : كيف لا يتوبون ويستغفرون من هذه المقالة الشنعاء ؟ والثاني : أنه بمعنى الأمر ، وهو رأي ابن زياد الفراء ؛ كأنه

قال : توبوا واستغفروا من هاتين المقالتين ؛ كقوله تعالى : ﴿فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة : ٩١].
وكلام ابن عطية يفهم أنه للتحضيض ، قال : " رفق جل وعلا بهم بتحضيضه إياهم على التوبة وطلب المغفرة " ، يعني بذلك من حيث المعنى ، وإلا ففهم التحضيض من هذا اللفظ غير مسلم ، وكيف يعقل أن حرف العطف فصل بين الهمزة و " لا " المفهمة للتحضيض ؟ [فإن قلت] : هذا إنما يشكل على قولنا : إن " ألا " التحضيضية بسيطة غير مركبة ، فلا يدعى فيها الفصل بحرف العطف ، أما إذا قلنا : إنها همزة الاستفهام دخلت على " لا " النافية ، وصار معناهما التحضيض ، فلا يضر الفصل بحرف العطف ؛ لأنه عهد في " لا " النافية الداخل عليها همزة الاستفهام ، فالجواب : أنه لا يجوز مطلقا ؛ لأن ذلك المعنى قد انسلخ وحدث **معنى آخر** ، وهو التحضيض ؛ فلا يلزم من الجواز في الأصل الجواز بعد حدوث معنى جديد.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٥٩
". (١)

"فوصفوها بكونها فواسق ، فدل على أن كونها فواسق علة لحل قتلها.
ومعنى كونها فواسق كونها مؤذية ، والأذى في السباع أقوى منها ، فوجب جواز قتلها.
قوله تعالى : ﴿وأنتم حرم﴾ : في محل نصب على الحال من فاعل " تقتلوا " ، و " حرم " جمع حرام ، وحرام يكون للمحرم ، وإن كان في الحل ، ولمن في الحرم ، وإن كان حلالا ، وهما سيان في النهي عن قتل الصيد وهل يدخل فيه المحرم بالعمرة ؟ فيه خلاف ، وهذه الآية نزلت في رجل يقال له : أبو اليسر شد على حمار وحشي وهو محرم فقتله ، وهذا يدل على المنع من القتل ابتداء ، والمنع منه تسببا ، فليس له أن يتعرض للصيد ما دام محرما ، لا بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطير ، سواء كان الصيد صيد الحل أو الحرم ، وأما الحلال فله أن يتصيد في الحل وفي الحرم.
قوله تعالى : " منكم " في محل نصب على الحال من فاعل " قتله " ، أي : كائنا منكم ، وقيل : " من " للبيان ، وليس بشيء ؛ لأن كل من قتل صيدا حكمه كذلك ، فإن قلت : هذا وارد أيضا على جعله حالا ، فالجواب : لم يقصد لذلك مفهوم ؛ حتى إنه لو قتله غيركم ، لم يكن عليه جزاء ؛ لأنه قصد بالخطاب **معنى آخر** ، وهو المبالغة في النهي عن قتل الصيد.
قوله : " متعمدا " حال أيضا من فاعل " قتله " ، فعلى رأي من يجوز تعدد الحال ، يجيز ذلك هنا ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/١٨٥٢

ومن منع يقول : إن " منكم " للبيان ؛ حتى لا تتعدد الحال ، و " من " يجوز أن تكون شرطية ، وهو الظاهر ، وموصولة ، والفاء لشبهها بالشرطية ، ولا حاجة إليه وإن كانوا فعلوه في مواضع.

قوله تعالى : " فجزاء " الفاء جواب الشرط أو زائدة ؛ لشبه المبتدأ بالشرط ؛ فعلى الأول : الجملة بعدها في محل جزم ؛ وعلى الثاني : في محل رفع ، وما بعد " من " على الأول في محل جزم ؛ لكونه شرطا ؛ وعلى الثاني : لا محل له لكونه صلة ، وقرأ الكوفيون : " فجزاء مثل " بتنوين " جزاء " [ورفعه] ورفع " مثل " ، وباقي السبعة برفعه مضافا إلى " مثل " ، ومحمد بن مقاتل بتنوين " جزاء " ، ونصبه ، ونصب " مثل " ، والسلمي برفع " جزاء " منونا ، ونصب " مثل " ، وقرأ عبد الله " فجزاؤه " برفع " جزاء " مضافا لضمير " مثل " رفعا.

٥١٦

." (١)

"وقد انتصر أبو بكر بن الأنباري لمذهب القراء بأن قال : " لو كانت " الكاف " توكيدا لوقعت التثنية والجمع بالتاء ، كما يقعان بها عند عدم " الكاف " ، فلما فتحت " التاء " في خطاب الجمع ووقع ميسم الجمع لغيرها كان ذلك دليلا على أن " الكاف " غير توكيد.

ألا ترى أن " الكاف " لو سقطت لم يصلح أن يقال لجماعة : أرأيت ، فوضح بهذا انصراف الفعل إلى " الكاف " ، وأنها واجبة لازمة مفتقر إليها ".

وهذا الذي قاله أبو بكر باطل بالكاف اللاحقة لاسم الإشارة ، فإنها يقع عليها ميسم الجمع ، ومع ذلك هي حرف.

وقال الفراء : " موضع " الكاف " نصب ، وتأويلها رفع ؛ لأن الفعل يتحول عن " التاء " إليها ، وهي بمنزلة " الكاف " في " دونك " إذا أغري بها ، كما تقول : " دونك زيدا " فتجد " الكاف " في اللفظ خفضا ، وفي المعنى رفعا ؛ لأنها مأمورة ، فكذلك هذه " الكاف " موضعها نصب ، وتأويلها رفع ".

قال شهاب الدين : " وهذه الشبهة باطلة لما تقدم ، والخلاف في " دونك " و " إليك " وبابهما مشهور تقدم التنبيه عليه مرارا ".

وقال الفراء أيضا كلاما حسنا [رأيت أن أذكره فإنه مبين نافع] قال : للعرب في " أرأيت " لغتان ومعنيان : أحدهما : رؤية العين ، فإذا رأيت هذا عديت الرؤية بالضمير إلى المخاطب ، ويتصرف سائر الأفعال ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/١٨٩٢

تقول للرجل : " أرأيتك على غير هذه الحال " ، تريد : هل رأيت نفسك ، ثم تثني وتجمع فتقول : " أرأيتماكما ، أرأيتموكم ، أرأيتكن ".

والمعنى الآخر : أن تقول : " أرأيتك " وأنت تريد معنى " أخبرني " ، كقولك : أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل ، أي : أخبرني ، وتترك " التاء " إذا أردت هذا المعنى موحدة ؛ لأنهم كل حال تقول : " أرأيتكما ، أرأيتكم ، أرأيتكن " ، وإنما تركت العرب " التاء " واحدة ؛ لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل واقعا من المخاطب على نفسه ، فاكتفوا من علامة المخاطب بذكره في المكان ، وتركوا " التاء " على التذكير والتوحيد إذا لم يكون الفعل واقعا ، والرؤية من الأفعال الناقصة التي يعديها المخاطب إلى نفسه بالمكنى مثل : ظنتني ورأيتني ، ولا يقولون ذلك في الأفعال التامة ، لا يقولون خارجا ؟ وذلك أنهم أرادوا الفصل بين الفعل الذي قد يلغى ، وبين الفعل الذي لا يجوز إلغاؤه ، ألا ترى أنك تقول : " أنا أضن خارج " فتلغي " أظن " وقال الله تعالى ﴿أن رآه استغنى ﴾ [العلق : ٧] ولم يقل : رأى نفسه.

١٣٨

وقد جاء في ضرورة الشعر إجراء الأفعال التامة مجرى النواقص ؛ قال جران العود : [الطويل] ٢١٦٦ -

لقد كان لي عن ضرتين عدمتني

وعما ألاقي منهما متزحزح

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٣٣

". (١)

"عطف ؛ لأن واو الحال [هي] واو العطف استعيرت للوصل ، فقولك : " جاء زيد راجلا أو هو فارس " كلام فصيح وارد على حده ، وأما " جاءني زيد هو فارس " فخبيث.

قال أبو حيان : أما [بعض النحويين الذي أبهمه] الزمخشري فهو الفراء ، وأما قول الزجاج : كلا التمثيلين لم يحتج فيه إلى الواو ؛ لأن الذكر قد عاد على الأول ففيه إبهام وتعيينه أنه يمتنع دخولها في المثال الأول [ويجوز في المثال] الثاني ؛ فليس انتفاء الاحتياج على حد سواء ؛ لأنه في الأول لامتناع الدخول ، وفي الثاني لكثرته لا لامتناعه.

قال شهاب الدين : أم امتناعها في المثال الأول ؛ فلأن النحويين نصوا على أن الجلمة الحالية إذا دخل عليها حرف عطف امتنع دخول واو الحال عليها ، والعلة فيه المشابهة اللفظية ؛ ولأن واو الحال في الأصل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٠٤٥

ع ا طفة ، ثم قال أبو حيان.

وأما قول الزمخشري فالصحيح إلى آخره ، فتعليله ليس بصحيح ؛ لأن واو الحال ليست بحرف عطف فيلزم من ذكرها اجتماع حرلإي عطف ؛ لأنها لو كانت حرف عطف للزم أن يكون ما قبلها حالا ، حتى يعطف حالا على حال ، فمجيئها فيما لا يمكن أن يكون حالا دليل على أنها ليست واو عطف ، ولا لحظ فيها معنى واو عطف تقول : " جاء زيد ، والشمس طالعة " فجاء زيد ليس بحال فيعطف عليها جملة حال ، وإنما هذه الواو مغايرة لواو العطف بكل حال ، وهي قسم من أقسام الواو كما تأتي للقسم ، وليست فيه للعطف كما إذا قلت : " والله ليخرجن ".

قال شهاب الدين : أبو القاسم لم يدع في واو الحال أنها عاطفة ، بل يدعي أن أصلها العطف ، ويدل على ذلك قوله : استعيرت للوصول ، فلو كانت عاطفةِ على حالها لما قال : استعيرت فدل قوله ذلك على أنها خجرت عن العطف ، واستعملت **لمعنى آخر** لكنها أعطيت حكم أصلها في امتناع مجامعتها لعاطف آخر.

وأما تسميتها حرف عطف ، فباعتبار أصلها ونظير ذلك أيضا واو " مع " فإنهم نصوا على أن أصلها واو عطف ، ثم استعملت في المعية ، فكذلك واو الحالن لامتناع أن يكون أصلها واو العطف.

ثم قال أبو حيان : " وأما قوله " فخبيث " فليس بخبيث ؛ وذلك أنه بناه على أن الجلمة الحالية إذا كانت اسمية ، وفيها ضمير ذي الحال فحذف الواو منها [شاذ] وتبع في ذلك الفراء ، وليس بشاذ بل هو كثير في النظم والنثر.

قال شهاب الدين : قد يبق أبا القاسم في تسمية هذه الواو حرف عكف الفراء ، وأبو بكر بن الأنباري.

١٦

". (١)

"وروى عنه غيره " أدركوا " بفتح الهمزة مقطوعة ، وسكون الدال وفتح الراء ، أي : أدرك بعضهم بعضا.

وقال أبو البقاء : وقرئ : " إذا اداركوا " بألف واحد ساكنة بعدها دال مشددة ، وهو جمع بين ساكنين ، وجاز في المفنصل كما جاز في المتصل ، وقد قال بعضهم : " اثنا عشر " بإثبات الألف وسكون العين ، يعني بالمتصل نحو : " الضالين " وجان ، ومعنى المنفصل أن ألف " إذا " من كلمة ، والساكن الثاني من

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٢٨٤

كلمة أخرى.

و " اداركوا " بمعنى تلاحقوا ، وتقدم تفسير هذه المادة [النساء : ٧٨].

و " جميعا " حال من فاعل " اداركوا ".

قوله : ﴿أولاهم لأخراهم﴾ يحتمل أن تكون فعلى أنثى أفعل الذي للمفاضلة ، والمعنى على هذا كما قال الزمخشري : " أخراهم منزلة ، وهم الأتباع [والسفلة] ، لأولاهم منزلة وهم القادة والرؤساء ".

ويحتمل أن تكون " أخرى " **بمعنى آخرة** تأنيث آخر مقابل الأول ، لا تأنيث " آخر " الذي للمفاضلة كقوله : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [فاطر : ١٨].

والفرق بين أخرى **بمعنى آخرة** ، وبين أخرى تأنيث آخر بزنة أفعل للتفضيل ، أن التي للتفضيل لا تدل على الانتهاء ، كما لا يدل عليه مذكرها ، ولذلك يعطف أمثالها عليها في نوع واحد تقول : مررت بأمرأة وأخرى وأخرى كما تقول : مررت برجل وآخر وآخر ، وهذه تدل على الانتهاء ، كما يدل مذكرها ، ولذلك لا يعطف أمثالها عليها ، ولأن الأولى تفيد إفادة " غير " ، وهذه لا تفيد إفادة " غير ".

والظاهر في هذه الآية الكريمة أنهما ليستا للتفضيل ، بل لما ذكرنا.

قال ابن عباس ومقاتل : " أخراهم دخولا في النار لأولاهم دخولا فيها ".

واللام في " لأولاهم " للتعليل أي : لأجل ، ولا يجوز أن تكون التي للتبليغ كهي في قولك : قلتث لزيد افعل.

قال الزمخشري : " لأن خطابهم مع الله لا معهم " ، وقد بسط القول قبله في ذلك الزجاج فقال : " والمعنى : وقالت أخراهم : يا ربنا هؤلاء أضلونا ، لأولاهم " فذكر نحوه.

قال شهاب الدين : وعلى هذا فاللام الثانية في قوله : " أولاهم لأخراهم " يجوز أن

١٠٨

تكون للتبليغ ، لأن خطابهم معهم بدليل قوله : ﴿فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ [الأعراف : ٣٩] قوله : ﴿ربنا هؤلاء أضلونا﴾ يعني : أن أتباع يقولون : إن المتقدمين أضلونا ، يعني : أن القادة أضلونا عن الهدى والدين فأتهم عذابا ضعفا من النار.

قال أبو عبيدة " الضعف : مثل الشيء مرة واحدة ".

قال الأزهري : ما قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم ، وقد قال الشافعي قريبا منه فقال في رجل أوصى : " أعطوه ضعف ما يصيب ولدي " قال : " يعطى مثله مرتين ".

قال الأزهري : " الوصايا يستعمل فيها العرف ، وما يتفاهمه الناس ، وأما كتاب الله فهو عربي مبين ، ويرد تفسيره إلى لغة العرب ، وموضوع كلامها الذي هو صنعه ألسنتها.

والضعف في كلام العرب المثل إلى ما زاد ، ولا يقتصر به على مثلين ، بل تقول : هذا ضعفه أي مثلاه ، وثلاثة أمثاله ، لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿فأولـائك لهم جزآء الضعف﴾ [سبأ : ٣٧] لم يرد به مثلا ولا مثلين ، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله كقوله تعالى : ﴿من جآء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام : ١٦٠] فأقل الضعف محصور وهو المثل وأكثره غير محصور ".

ومثل هذه المقالة قال الزجاج أيضا فإنه قال : أي عذابا مضاعفا ؛ لأن الضعف في كلام العرب على ضربين : أحدهما : المثل ، والآخر : أن يكون في معنى تضعيف الشيء أي زيادته إلى ما لا يتناهى ، وقد تقدم طرف من هذا في البقرة.

وأما قول الشافعي في " الوصية " : إنه المثل ، فلأن التركة متعلقة بحقوق الورثة ، إلا أنا لأجل الوصية صرفنا طائفة منها إلى الموصى له ، والقدر المتيقن في الوصية هو المثل ، والباقي مشكوك فيه فيأخذ المتيقن ويطرح المشكوك فيه فلهذا السبب حملنا الضعف في الوصية على المثلين.

قوله : " ضعفا " صفة لـ " عذابا ، و " من النار " يجوز أن يكون صفة لـ " عذابا " ، وأن يكون صفة لـ " ضعفا " ، ويجوز أن يكون " ضعفا " بدلا من " عذابا ".

قوله : " لكل " أي : لكل فريق من الأخرى ، والأولى أو القادة والأتباع.

قوله : ﴿ولـاكن لا تعلمون﴾ قراءة العامة بتاء الخِطاب : إما خطابا للسائلين ، وإما خطابا

١٠٩

." (١)

"كثرة النعم فتوهموا أنهم على الحقن فذكرها الله – تعالى – لقوم محمد – عليه الصلاة والسلام – ليحترزوا عن مثل تلك الأعمال ، ثم قال : ﴿ولقد جآءتهم رسلهم بالبينات﴾.

قوله : ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا﴾ الظاهر أن الضمائر عائدة على أهل القرى.

وقال يمان بن رئاب : " إن الضميرين الأولين لأهل القرى ، والضمير في "كذبوا " لأسلافهم.

وكذا جوزه ابن عطية أيضا أي : " فما كان الأبناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء " ، وقد تقدم الكلام على لام

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٢٣٣١

الجحود ، وأن نفي الفعل معها أبلغ.
و " ما " موصولة اسمية ، وعائدها محذوف ؛ لأنه منصوب متصل أي : بما كذبوه [ولا يجوز أن يقدر به وإن كان الموصول مجرورا بالباء أيضا لاختلاف المتعلقن وقال هنا " بما كذبوا "] فلم يذكر متعلق التكذيب ، وفي " يونس " ذكره فقال : ﴿بما كذبوا به﴾ [يونس : ٧٤] ، والفرق أنه لما حذفه في قوله : ﴿ولاكن كذبوا﴾ [الأعراف : ٩٦] أستمر حذفه بعد ذلك ، وأما في يونس فقد أبرزه في قوله : ﴿فكذبوه فنجيناه﴾ [يونس ٧٤].
﴿كذبوا بآياتنا﴾ [يونس : ٧٣] فناسب ذكره موافقة قال معناه الكرماني.
فصل في معنى " ما كانوا ليؤمنوا " قال ابن عباس والسدي : " فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عن إرسالي بما كذبوا به يوم أخذنا ميثاقهم حين أخرجوا من ظهر آدم فآمنوا كرها وأقروا باللسان وأضمروا التكذيب ".
وقال الزجاج : " فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية تلك المعجزات بما كذبوا قبل رؤية المعجزات ".
وقيل : معناه ما كانوا لو أحييناهم بعد إهلاكهم ورددناهم في دار التكليف ليؤمنوا بما كذبوا به قبل إهلاكهم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ [الأنعام : ٢٨].
[وقيل : إنه قبل مجيء الرسول كانوا مصرين على الكفر فهؤلاء ما كانوا ليؤمنوا بعد مجيء الرسل] وقيل : ليؤمنوا في الزمان المستقبل قوله : ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾.
قال الزجاج : والكاف في " كذلك " في محل نصب [أي : مثل ذلك الطبع على قلوب أهل القرى المنتفي عنهم الإيمان يطبع الله على قلوب الكفرة الجانين].
قوله تعالى : ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنآ أكثرهم لفاسقين﴾ [الأعراف : ١٠٢].
قوله " لأكثرهم " فيه وجوه :
٢٤٢
الظاهر أنه متعلق بالوجدان كقولك : ما وجدت له مالا أي : ما صادفت له مالا ولا لقيته.
الثاني : أن يكون حالا من " عهد " ؛ لأنه في الأل صفة نكرة فلما قدم عليها نصب على الحال ، والأصل : ما وجدنا عهدا لأكثرهم ، وهذا ما لم يذكر أبو البقاء غيره.
وعلى هذين الوجهين ف " وجد " متعدية لواحد وهو " من عهد " ، و " من " مزيدة فيه لوجود الشرطين.
الثالث : أنه في محل نصب مفعولا ثانيا لوجد إذ هي بمعنى علمية ، والمفعول هو " من عهد ".
وقد يترجح هذا بأن " وجد " الثانية علمية لا وجدانية بمعنى الإصابة ، وسيأتي دليل ذلك.

وإذا تقرر هذا فينبغي أن تكون الأولى كذلك مطابقة للكلام ومناسبة له ، ومن يرجح الأول يقول : إن الأولى لمعنى : والثانية **لمعنى آخر**.

فصل في معنى الآية قال ابن عباس : يريد : وما وجدنا لأكثرهم من عهد ، الوفاء بالعهد الذي عاهدهم عليه وهم في صلب آدم حيث قال : ﴿ألست بربكم﴾ [الأعراف : ١٧٢].

وقال ابن مسعود : " المراد بالعهد هاهنا الإيمان ، لقوله تعالى : ﴿إلا من اتخذ عند الرحمان عهدا﴾ [مريم : ٨٧] أي قال : لا إله إلا الله ".

وقيل : المراد بالعهد وضع الأدلة على صحة التوحيد والنبوة [تقديره :] وما وجدنا لأكثرهم من الوفاء بالعهد.

قوله : " وإن وجدنا " " إن " هذه هي المخففة وليس هنا عاملة لمباشرتها الفعل فزال اختصاصها المقتضي لإعمالها.

وقال الزمخشري : " وإن الشأن والحديث وجدنا ".

فظاهر هذه العبارة أنها معملة ، وأن اسمها ضمير الأمر والشأن ، وقد صرح أبو البقاء هنا بأنها معملة ، وأن اسمها محذوف ، إلا أنه لم يقدر ضمير الحديث بل غيره فقال : " واسمها محذوف أي : إنا وجدنا ".

وهذا مذهب النحويين أعني اعتقاد إعمال المخفف من هذه الحروف في " أن " المفتوحة على الصحيح ، وفي " كأن " التشبيهية ، وأما " إن " المخففة المكسورة فلا.

وقد تقدم إيضاحه.

ووجدنا هنا متعدية لاثنين أولهما " أكثرهم " ، والثاني " لفاسقين " ، قال الزمخشري : والوجود بمعنى العلم من قولك : وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول " إن " المخففة ، واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما يعني أنها مختصة

٢٤٣

". (١)

"قوله : " لأكثرهم " فيه وجوه : الظاهر أنه متعلق بالوجدان كقولك : ما وجدت له مالا أي : ما صادفت له مالا ولا لقيته.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٢٣٩٩

الثاني : أن يكون حالا من " عهد " ؛ لأنه في الأصل صفة نكرة فلما قدم عليها نصب على الحال ، والأصل : ما وجدنا عهدا لأكثرهم ، وهذا ما لم يذكر أبوا البقاء غيره.

وعلى هذين الوجهين ف " وجد " متعدية لواحد وهو " من عهد " ، و " من " مزيدة فيه لوجود الشرطين.

الثالث : أنه في محل نصب مفعولا ثانيا لوجد إذ هي بمعنى علمية ، والمفعول هو " من عهد ".

يترجح هذا بأن " وجد " الثانية علمية لا وجدانية بمعنى الإصابة ، وسيأتي دليل ذلك.

وإذا تقرر هذا فينبغي أن تكون الأولى كذلك مطابقة للكلام ومناسبة له ، ومن يرجح الأول يقول : إن الأولى لمعنى ، والثانية لمعنى آخر.

فصل في معنى الآية قال ابن عباس : يريد : وما وجدنا لأكثرهم من عهد ، الوفاء بالعهد الذي عاهدهم عليه وهم في صلب آدم حيث قال : ﴿ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [الأعراف : ١٧٢].

وقال ابن مسعود : " المراد بالمعهد هاهنا الإيمان ، لقوله تعالى : ﴿إلا من اتخذ عند الرحمان عهدا﴾ [مريم : ٨٧] أي قال : لا إله إلا الله ".

وقيل : المراد بالعهد وضع الأدلة على صحة التوحيد والنبوة [تقديره :] وما وجدنا لأكثرهم من الفواء بالعهد.

قوله : " وإن وجدنا " " إن " هذه هي المخففة وليس هنا عاملة لمباشرتها الفعل فزال اختصاصها المقتضي لإعمالها.

وقال الزمخشري : " وإن الشأن والحديث وجدنا ".

فظاهر هذه العبارة أنها معملة ، وأن اسمها ضمير الأمر والشأن ، وقد صرح أبو البقاء هنا بأنها معملة ، وأن اسمها محذوف ، إلا أنه لم يقدره ضمير الحديث بل غيره فقال : " واسمها محذوف أي : إنا وجدنا ".

وهذا مذهب النحويين أعني اعتقاد إعمال المخفف من هذه الحروف في " أن " المفتوحة على الصحيح ، وفي " كأن " التبيهية ، وأما " إن " المخففة المكسورة فلا.

وقد تقدم إيضاحه.

ووجدنا هنا متعدية لاثنين أولهما " أكثرهم " ، والثاني " لفاسقين " ، قال الزمخشري : والوجود بمعنى العلم من قولك : وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول " إن " المخففة ، واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما يعني أنها مختصة بالابتداء ، وبالأفعال الناسخة له ، وهذا

مذهب الجمهور ، وقد تقدم الخلاف عن الأخفش أنه يجوز على غيرها ، وتقدم دليله على ذلك ، واللام فارقة وقيل : هي عوض من التشديد.

قال مكي : " ولزمت اللام في خبرها عوضا من التشديد و المحذوف الأول " ، وقد تقدم أن بعض الكوفيين يجعلون " إن " نافية ، واللام بمعنى " إلا " في قوله تعالى : ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ [البقرة : ١٤٣].

ومعنى فاسقين خارجين عن الطاعة ، ماريقين عن الدين ، وقيل : ناقضين العهد.

وقوله : " لأكثرهم " ، و " أكثرهم " ، و " من بعدهم " : إن جعلنا هذه الضمائر كلها للأمم السالفة فلا اعتراض ، وإن جعلنا الضمير في " لأكثرهم " و " أكثرهم " لعموم الناس والضمير في " من بعدهم " للأمم السالفة كانت هذه الجملة – أعني ما وجدنا – اعتراضا كذلك قاله الزمخشري ، وفيه نظر ؛ لأنه إذا كان الأول عاما ثم ذكر شيء يندرج فيه ما بعده وما قبله كيف يجعل ذلك العام معترضا بين الخاصين.

وأيضا ، فالنحويون إنما يعرفون الاعتراض فيما اعترض به بين متلازمين ، إلا أن أهل البيان عندهم الا عتراض أعم من ذلك ، حتى إذا أتي بشيء بين شيئين مذكورين في قصة واحدة سموه اعتراضا.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٤٣

اعلم أن الكناية في قوله : " من بعدهم " يجوز أن تعود إلى الأنبياء الذين جرى

٢٤٤

." (١)

"وابن وثاب وابن مصرف والجحدري والأعمش ، وأيوب ، وباقي السبعة بياء الغيبة فيهما ، " ربنا " رفعا ، وهي قراءة الحسن ، ومجاهد ، والأعرج وشيبة وأبي جعفر.

فالنصب على أنه منادى ، وناسبه الخطاب ، والرفع على أنه فاعل ، فيجوز أن يكون هذا الكلام صدر من جمسعهم على التعاقب ، أو هذا من طائفة ، وهذا من طائفة ، فمن غلب عليه الخوف ، وقوي على المواجهة ؛ خاطب مستقيلا من ذنبه ، ومن غلب عليه الحياء أخرج كلامه مخرج المستحي من الخطاب ؛ فأسند الفعل إلى الغائب.

قال المفسرون : وكان هذا الندم والاستغفار منهم بعد رجوع موسى إليهم.

قوله تعالى : ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ : هذان حالان من " موسى " عند من يجيز

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٢٤٠١

تعدد الحال ، وعند من لا يجيزه يجعل " أسفا " حالا مِن الضمير المستتر في " غضبان " ، فتكون حالا متداخلة ، أو يجعلها بدلا من الأولى ، وفيه نظر لعسر إدخاله في أقسام البدل.

وأقرب ما يقال : إنه بدل بعض من كل إن فسرنا الأسف بالشديد الغضب ، وهو قول أبي الدرداء وعطاء عن ابن عباس ، واختيار الزجاج ، واحتجوا بقوله : ﴿فلمآ آسفونا انتقمنا منهم﴾ [الزخرف : ٥٥] أي : اغضبونا ، أو بدل اشتمال إن فسرناه بالحزين.

وهو قول ابن عباس والحسن ، والسدي ، ومنه قوله : [المديد] ٢٥٧٨ - غير مأسوف على زمن

ينقضي بالهم والحزن

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣١٨

٣٢١

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : إن أبا بكر رجل أسيف أي : حزين.

قال الواحدي : " والقولان متقاربان ؛ لأن الغضب من الحزن ، والحزن من الغضب " ؛ قال : [البسيط] ٢٥٧٩ - ....

فحزن كُلِّ أي حزن أخو الغضب

وقال الأعشى : [الطويل] ٢٥٨٠ - أرى رجلا منهم أسيفا كأنما

يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

فهذا بمعنى : غضبان ، وحديث عائشة يدل على أنه : الحزين ، فلما كانا متقاربين في المعنى صحت البدلية.

ويقال : رجل أسف : إذا قصد ثبوت الوصف واستقراره ، فإن قصد به الزمان جآء على فاعل.

فصل اختلفوا في هذه الحال.

فقيل : إنه عند هجومه عليهم ، عرف ذلك.

وقال أبو مسلم : بل كان عارفا بذلك من قبل ؛ لقوله تعالى : ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ وإنما كان راجعاص قبل وصوله إليهم.

وقال تعالى - لموسى عليه الصلاة والسلام - في حال المكالمة ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ [طه : ٥٨].

٣٢٢

قوله : قال بئسما هذا جواب " لما " وتقدم الكلام على " بئسما " ، ولكن المخصوص بالذم محذوف ، والفاعل مستتر يفسره " ما خلفتموني " والتقدير : بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم.

فصل فإن قيل : ما معنى قوله : " من بعدي " بعد قوله " خلفتموني " ؟ فالجواب : معناه : من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ، ونفي الشركاء ، وإخلاص العبادة له ، أو من بعد ما كتب : احمل بني إسرائيل على التوحيد ، وامنعهم من عبادة البقر حين قالوا : ﴿اجعل لنآ إلاها كما لهم آلهة﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، ومن حق الخفاء أن يسيروا سيرة المستخلفين.

قوله : ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ : في " أمر " وجهان ، أحدهما : أنه منصوب على المفعول بعد إسقاط الخافض ، وتضمين الفعل معنى ما يتعدى بنفسه ، والأصل : أعجلتم عن أمر ربكم.

قال الزمخشري : يقال : عجل عن الأمر : ذا تركه غير تام ، ونقيضه تم عليه ، وأعجله عنه غيره ، ويضمن معنى " سبق " فيتعدى تعديته.

فيقال : عجلت الأمر ، والمعنى : " أعجلتم عن أمر ربكم ".

والثاني : أنه متعد بنفسه غير مضمن **معنى آخر** ، حكى يعقوب عجلت الشيء سبقته ، وأعجلت الرجل : استعجلته ، أي : حملته على العجلة.

فصل قال الواحدي : " معنى العجلة : التقدم بالشيء قبل وقته ، ولذلك صارت مذمومة والسرعة غر مذمومة ، لأن معناها : عمل الشيء في أول أوقاته ".

ولقائل أن يقول : لو كانت العجلة مذمومة فلم قال موسى : ﴿وعجلت إليك رب لترضى ﴾ [طه : ٨٤].

قال ابن عباس : معنى ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ يعني : ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن : وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين ، وذلك أنهم قدروا أنه إن لم يأت على رأس الثلاثين ، فقد مات.

وقال عطاء : يريد أعجلتم سخط ربكم.

وقال الكلبي : أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم.

٣٢٣

". (١)

"ونقل عن سيبويه أنه قال : الثانية بدل من الأولى.

وهذا لا يصح عن سيبويه ، فإنه ضعيف ، أو ممتنع ، وقد ضعفه أبو البقاء بوجهين : أحدهما : أن الفاء

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٢٤٤٢

تمانع من ذلك والحكم بزيادتها ضعيف.

والثاني : أن جعلها بدلا يوجب سقوط جواب " من " من الكلام.

وقال ابن عطية " وهذا يعترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى ، والأولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد ، إذ لم يأت جواب الشرط ، وتلك الجملة هي الخبر ، وأيضا فإن الفاء تمانع البدل ، فهي معنى آخر غير ابلدل فيقلق البدل ".

وقال بعضهم : فتحت على تقدير اللام ، أي : فلأن له نار جهنم.

وهذه كلها تكلفات ، لا يحتاج إليها.

فالأولى ما تقدم ذكره ، وهو أن يكون " أن له نار جهنم " في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف ، وينبغي أن يقدره متقدما عليها ، كما فعل الزمخشري ، وغيره ، أي : فحق أن له نار جهنم.

وقدره غيره متأخرا ، أي : فأن له نار جهنم واجب ، كذا قدره الأخفش وردوه عليه بأنها لا يبتدأ بها.

وهذا لا يلزمه ، فإنه يجيز الابتداء بـ " أن " المفتوحة من غير تقديم خبره.

وغيره لا يجيز الابتداء بها إلا بشرط تقدم " أما " ، نحو : أما أنك ذاهب فعندي ، أو بشرط تقدم الخبر ، نحو : عندي أنك منطلق.

وقيل : " فأن له " خبر مبتدأ محذوف أي : فالواجب أن له ، وهذه الجملة التي بعد الفاء مع الفاء في محل جزم ، جوابا للشرط.

وقرأ أبو عمرو فيما رواه أبو عبيدة ، والحسن ، وابن أبي عبلة : " فإن " بالكسر وهي قراءة حسنة قوية ، تقدم أنه قرأ بها بعض السبعة في الأنعام ، وتقدم هناك توجيهها.

والمحادة : المخالفة ، والمعاندة ، ومجاوزة الحد ، والمعاداة.

قيل : مشتقة من الحد وهو حد السلاح الذي يحارب به من الحديد.

وقيل : من الحد الذي هو الجهة كأنه في حد غير حد صاحبه كقولهم : شاقه ، أي : كان في شق غير شق صاحبه وعاداه ، أي : كان في عدوة غير عدوته.

قال ابن عباس : معناه : يخالف الله وقيل : يحارب الله ، وقيل : يعاند الله ، وقيل : يعادي الله.

واختار بعضهم قراءة الكسر ، بأنها لا تحوج إلى إضمار ، ولم يرو قوله : [الوافر] ٢٨٠٨ - فمن يك سائلا عني فإني

وجروة لا تعار ولا تباع

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٢١

١٣٤

إلا بالكسر.

وهذا غير لازم ، فإنه جاء على أحد الجائزين ، و " خالدا " نصب على الحال.

قال الزجاج : " ويجوز كسر " أن " على الاستئناف بعد الفاء ".

وجهنم : من أسماء النار وحكى أهل اللغة عن العرب : أن البئر البعيدة القعر تسمى الجهنام ، فيجوز أن تكون مأخوذة من هذا اللفظ ، ومعنى بعد قعرها أنه لا آخر ر عذابها ، وتقدم معنى الخلود ، والخزي : قد يكون بمعنى الندم ، وبمعنى الاستحياء ، والمراد به ههنا : الندم ، لقوله : ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ [يونس : ٥٤].

قوله تعالى : ﴿يحذر المنافقون﴾ الآية.

قال قتادة " هذه السورة كانت تسمى الفاضحة ، والحافرة ، والمبعثرة ، والمثيرة ، أثارت مخازيهم ومثالبهم " قال ابن عباس : " أنزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسمائهم ، وأسماء آبائهم ، ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة على المؤمنين ، لئلا يعير بعضهم بعضا ؛ لأن أولادهم كانوا مؤمنين ".

وقال الجبائي : " اجتمع اثنا عشر رجلا من المنافقين على النفاق ، وأخبر جبريل الرسول بأسمائهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : " إن أناسا اجتمعوا على كيت وكيت ، فليقوموا وليعترفوا وليستغفروا ربهم حتى أشفع لهم " فلم يقوموا ، فقال عليه الصلاة والسلام بعد ذلك " قم يا فلان ويا فلان " حتى أتى عليهم ثم قالوا : نعترف ونستغفر فقال : " الآن أنا كنت في أول الأمر أطيب نفسا بالشفاعة ، والله كان أسرع في الإجابة ، اخرجوا عني " فلم يزل يقول حتى خرجوا بالكلية.

" وقال الأصم : إن " عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك وقف له على العقبة اثنا عشر رجلا ليفتكوا به ؛ فأخبره جبريل ، وكانوا متلثمين في ليلة مظلمة ، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم ، فأمر حذيفة بذلك فضربها حتى نحاهم ثم قال : " من عرفت من القوم " ؟ فقال : لم أعرف منهم أحدا ، فذكر النبي عليه الصلاة والسلام أسماءهم وعدهم له ، وقال : " إن جبريل أخبرني بذلك " فقال حذيفة : ألا تبعث إليه فتقتلهم ، فقال : " أكره أن تقول العرب قاتل أصحابه حتى إذا ظفر صار يقتلهم ، بل يكفيناهم الله بالدبيلة ".

١٣٥
." (١)

"جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٢٢٦
قوله تعالى : ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب﴾ الآية.
لما أوجب عليهم موافقة الرسول في جميع الغزوات والمشاهد ؛ أكد ذلك بالنهي في هذه الآية عن التخلف عنه.
قال المفسرون : ظاهره خبر ومعناه نهي ، كقوله تعالى ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، ﴿ومن حولهم من الأعراب﴾ سكان البوادي : مزينة وجهينة ، وأشجع وأسلم ، وغفار ، قاله ابن عباس.
وقيل : يتناول جميع الأعراب الذين كانوا حول المدينة ، فإن اللفظ عام ، والتخصيص تحكم ، وعلى القولين فليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله إذا غزا ، ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ أي : لا يطلبوا لأنفسهم الحفظ والدعة حال ما يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر والمشقة ، والمعنى : ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يرضاه الرسول - عليه الصلاة والسلام - لنفسه.
يقال : رغبت بنفسي عن هذا الأمر ، أي : توقفت عنه وتركته ، وأرغب بفلان عن هذا الأمر ، أي : أبخل به عليه ولا أتركه.
وظاهر الآية وجوب الجهاد على الكل ، إلا ما خصه الدليل من المرضى ، والضعفاء ، والعاجزين.
ولما منعهم من التخلف ، بين أنهم لا يصيبهم في ذلك السفر نوع من المشقة إلا وهو يوجب الثواب العظيم عند الله تعالى.
وذكر أمورا منها بقوله : " ذالك بأنهم " مبتدأ وخبر ، والإشارة به إلى ما تضمنه انتفاء التخلف عن وجوب الخروج معه.
" لا يصيبهم ظمأ " وهو العطش ، يقال : ظمىء يظمأ ظمأ ، فهو ظمآن وهي ظمأى ، وفيه لغتان : القصر والمد ، وبالمد قرأ عمرو بن عبيد ، نحو : سفه سفاها ، والظمء : ما بين الشربتين.
ومنها : قوله : " ولا نصب " أي : إعياء وتعب.
﴿ولا مخمصة في سبيل الله﴾ أي : مجاعة شديدة يظهر بها ضمور البطن ، يقال : فلان خميص البطن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٦٤٢

، ومنها قوله : ﴿ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار﴾.

" موطئا " مفعل ، من : وطىء ، ويحتمل أن يكون مصدرا

٢٣٦

بمعنى : الوطء وأن يكون مكانا ، والأول أظهر ؛ لأن فاعل " يغيظ " يعود عليه من غير تأويل ، بخلاف كونه مكانا ، فإنه يعود على المصدر ، وهو الوطء ، الدال عليه مكان الموطىء.

والمعنى : لا يضع الإنسان قدمه ، ولا يضع فرسه حافره ، ولا يضع بعيره خفه ، بحيث يصير ذلك سببا لغيظ الكفار.

قوله : " يغيظ الكفار " قال ابن الأعرابي : يقال : غاظه ، وغيظه ، وأغاظه بمعنى واحد ، أي : أغضبه.

وقرأ زيد بن علي " يغيظ " بضم الياء.

وقوله : ﴿ولا ينالون من عدو نيلا﴾ النيل : مصدر ؛ فيحتمل أن يكون على بابه ، وأن يكون واقعا موقع المفعول به ، وليس ياؤه مبدلة من " واو " كما زعم بعضهم ، بل ناله ينوله مادة أخرى ، **وبمعنى آخر** ، وهو " المناولة " ، يقال : نلته أنوله ، أي : تناولته ، ونلته أناله ، أي : أدركته.

والمعنى : ولا ينالهم من العدو أسرا ، أو قتلا ، أو هزيمة قليلا كان أو كثيرا ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ أي كان ذلك قربة عند الله لهم.

قال قتادة : " هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه فليس لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر " وقال ابن زيد : هذا حين كان المسلمون قلة فلما كثروا نسخها الله بقوله : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كآفة﴾.

وقال عطية : ما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله إذا دعاهم ، وهذا هو الصحيح ؛ لأن إجابة الرسول واجبة ، وكذلك غيره من ا لأئمة.

قال الوليد بن مسلم : سمعت الأوزاعين وابن المبارك ، وابن جابر ، وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية : إنها لأول هذه الأمة وآخرها ، وذلك لأنا لو سوغنا للمندوب أن يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدي ذلك إلى تعطيل الجهاد.

قوله : ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة﴾ أي : تمرة فما فوقها ، وعلاقة سوط فما فوقها ﴿ولا يقطعون واديا﴾ قال الزمخشري : " الوادي " : كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسبيل ، وهو في الأصل فاعل من : ودى ، إذا سال ، ومنه " الودي ".

وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض.

وجمع على " أودية " ، وليس بقياس ، وكان قياسه " الأوداي " ، ك " أواصل " جمع : " واصل " ، والأصل : وواصل ، قلبت " الواو " الأولى همزة.

وهم قد يستثقلون واحده ، حتى قالوا : " أقيت " في " وقيت ".

وحكى الخليل ، وسيبويه ، في تصغير واصل اسم رجل " أويصل " ، ولا يقولون غيره قال النحاس " ولا أعرف فاعلا وأفعلة سواه " وقد استدرك هذا عليه ؛ فزادوا : ناد وأندية ؛ وأنشدوا : [الطويل]

٢٣٧

٢٨٥٩ - وفيهم مقامات حسان وجوههم

وأندية ينتابها القول والفعل

". (١)

"وقال أبو البقاء ومكي : إن الضمير في كانوا يعود على قوم الرسل ، وفي "كذبوا " يعود على قوم نوح ، والمعنى : فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ، أي : بمثله ، ويجوز أن تكون الهاء عائدة على نوح نفسه ، من غير حذف مضاف ، والتقدير : فما كان قوم الرسل بعد نوح ليؤمنوا بنوح ؛ إذ لو آمنوا به ، لآمنوا بأنبيائهم.

و " من قبل " متعلق ب "كذبوا " أي : من قبل بعثة الرسل.

وقيل : الضمائر كلها تعود على قوم الرسل **بمعنى آخر** : وهو أنهم بادروا رسلهم بالتكذيب ، كلما جاء رسول ، لجوا في الكفر ، وتمادوا عليه ، فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم من قبل لجهم في الكفر ، وتماديهم.

وقال ابن عطية : ويحتمل اللفظ عندي **معنى آخر** ، وهو أن تكون " ما " مصدرية ، والمعنى : فكذبوا رسلهم ، فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا لـيؤمنوا بتكذيبهم من قبل ، أي : من سببه ومن جرائه ، ويؤيد هذا التأويل : "كذلك نطبع " وهو كلام يحتاج إلى تأمل.

قال أبو حيان : والظاهر أن " ما " موصولة ؛ ولذلك عاد الضمير عليها في قوله : ﴿بما كذبوا به من قبل﴾ ولو كانت مصدرية ، بقي الضمير غير عائد على مذكور ؛ فتحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير.

قال شهاب الدين - رحمه الله - : " الشيخ بناه على قول جمهور النحاة : في عدم كون " ما " المصدرية

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٧٠٢

اسما ؛ فيعود عليها ضمير ، وقد تقدم مرارا ، أن مذهب الأخفش ، وابن السراج : أنها اسم فيعود عليها الضمير ".
قرأ العامة : " نطبع " بالنون الدالة على تعظيم المتكلم.
وقرأ العباس بن الفضل : بياء الغيبة ، وهو الله - تعالى - ؛ ولذلك صرح به في موضع آخر : ﴿كذلك يطبع الله﴾ [الأعراف : ١٠١].
والكاف نعت لمصدر محذوف ، أو حال من ذلك المصدر على حسب ما عرفته من الخلاف ، أي : مثل ذلك الطبع المحكم الممتنع زواله ، نطبع على قلوب المعتدين على خلق الله.
فصل احتج أهل السنة على أنه - تعالى - قد يمنع المكللإ عن الإيمان بهذه الآية.
قالت المعتزلة : فقد قال - تعالى - : ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾ [النساء : ١٥٥] ولو كان هذا الطبع مانعا ، لما صح هذا الاستثناء ، وقد تقدم البحث في ذلك عند قوله - تعالى - : ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ [البقرة : ٧].
٣٨٢
جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٧٤
قوله - تعالى - ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون﴾ الآية.
قرأ مجاهد ، وابن جبير ، والأعمش : " إن هذا لساحر " اسم فاعل ، والإشارة بـ " هذا " حينئذ إلى موسى ، أشير إليه لتقدم ذكره ، وفي قراءة الجماعة ، المشار إليه الشيء الذي جاء به موسى ، من قلب العصا حية ، وإخراج يده بيضاء كالشمس ، ويجوز أن يشار بـ " هذا " في قراءة ابن جبير : إلى المعنى الذي جاء به موسى مبالغة ؛ حيث وصفوا المعاني بصفات الأعيان ؛ كقولهم : " شعر شاعر " ، و " جد جده ".
فإن قيل : إن القوم لما قالوا : ﴿إن هذا لسحر مبين﴾ ، فكيف حكى موسى عنهم أنهم قالوا : " أسحر هذا " على سبيل الاستفهام ؟ .
فالجواب من وجهين : أحدهما : أن معمول " أتقولون " : الجملة من قوله : " أسحر هذا " إلى آخره ، كأنهم قالوا : أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ، ولا يفلح الساحرون ؛ كقول موسى - عليه الصلاة والسلام - للسحرة : ﴿ما جئتم به السحر إن الله سيبطله﴾ [يونس : ٨١].
والثاني : أن معمول القول محذوف ، مدلول عليه بما تقدم ذكره ، وهو ﴿إن هذا لسحر مبين﴾.
ومعمول القول يحذف للدلالة عليه كثيرا ، كما يحذف القول كثيرا ، ويكون تقدير الآية : إن موسى -

عليه الصلاة والسلام – قال لهم : ﴿أتقولون للحق لما جآءكم﴾ ما

٣٨٣

تقولون ، ثم حذف منه مفعول " أتقولون " لدلالة الحال عليه ، ثم قال : أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الإنكار ، ثم احتج على أنه ليس بسحر ، بقوله : ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ ؛ ومثل الآية في حذف المقول قول الشاعر : [الطويل] ٢٩٢٢ – لنحن الألى قلتم فأنى ملئتم

برؤيتنا قبل اهتمام بكم رعبا

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٨٣

." (١)

"سورة إبراهيم

مكية في قول الحسن ، وعكرمة ، وجابر.

وقال ابن عباس ، وقتادة ــ رضي الله عنهم ــ وهي مكية إلا االثنتين ، وقيل : ثلاث من قوله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا﴾ [الآية : ٢٨] إلى قوله تعالى : ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ فإنها مدنية.

وهي اثنتان وخمسون آية ، وعدد كلماتها ثمان مائة وإحدى وثلاثون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا.

قال ابن الخطيب : ومتى لم يكن في السورة ما لا يتصل بالأحكام فمكة والمدينة فيه سواء ، وإنما يختلف الغرض في ذلك إذا حصل في السورة ناسخ ومنسوخ ؛ فيكون فيه فائدة عظيمة والله أعلم.

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٣٢٧

قوله تعالى : ﴿الار كتاب أنزلناه إليك﴾ يجوز أن يرتفع "كتاب " على أنه خبر لـ " الر " : إن قلنا : إنها مبتدأ ، والجملة بعد صفة ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر ، أي : هذا ، وأن يرتفع ب الابتداء خبره الجملة بعده ، وجاز الابتجاء بالنكرة ؛ لأنها موصوفة تقديرا ، تقديره : كتماب ، أي : كتاب يعني عظيما من بين الكتب السماوية.

قالت المعتزلة : النازل ، والمنزل لا يكون قديما.

والجواب : أن الموصوف بالمنزل هو هذه الحروف وهي محدثة.

٣٢٨

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٧٩٣

قوله : ﴿لتخرج الناس﴾ متعلق بـ " أنزلناه ".

وقرىء (ليخرج الناس) بفتح الياء وضم الراء ، من خرج يخرج.

" الناس " رفعا على الفاعلية.

قالت المعتزلة : اللام في " لتخرج " لام الغرض والحكمة ، تدل على أنه ـ تعالى ـ إنما أنزل هذا الكتاب لهذا الغرض ، فدل على أن أقوال الله ـ تعالى ـ وأفعاله معللة برعاية المصالح.

وأجيب : بأن من فعل فعلا لأجل شيء أخر ، فهذا إنما يفعله إذا كان عاجزا عن تحصيل ذلك المقصود إلا بهذه الواسطة ، وذلك محال في حق الله ـ تعالى ـ ، وإذا ثبت بالدليل منع تعليل أفعال الله ـ تعالى ـ وأحكامه بالعلل ؛ ثبت أن كل ظاهر أشعر به فهو مؤول على **معنى آخر**.

فصل قوله تعالى : ﴿من الظلمات﴾ أي : لتدعوهم من ظلمات [الظلال] إلى نور الإيمان.

قال القاضي ـ رحمه الله ـ : هذه الآية تبطل القول بالجبر من جهات : أحدها : أنه ـ تعالى ـ لو خلق الكفر في الكافر ، فكيف يصح إخراجه منه الكتاب.

وثانيها : أنه ـ تعالى ـ أضاف الإخراج من الظلمات إلى النور إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإن كان خالق الكفر هو الله ـ تعالى ـ فكيف يصح من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ إخراجهم منه ، وكان للكافر أن يقول : إنك تقول : إن الله خلق الكفر فينا فكيف يصح منك أن تخرجنا ؟ .

فإن قال لهم : أنا أخرجكم من الظلمات التي هي كفر مستقبل لا واقع فلهم أن يقولوا : إنه كان الله سيخلقه فينا لم يصح ذلك الإخراج ، وإن لم يخلقه الله فنحن خارجون منه بلا إخراج.

وثالثها : أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إنما يخرجهم من الكفر بالكتاب بأن يتلوه عليه ليتدبروهن ؛ ولينظروا فيه فيعلموا بالنظر ، والاستدلال كونه ـ تعالى ـ علما قادرا حكيما ، ويعلموا بكون القرآن معجزة صدق الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فحينئذ يقبلوا منه كل ما جاءهم من الشرائع ، وذلك إنما يكون إذا كان الفعل ويقع باختيارهم ، ويصح منهم أن يقدموا عليه ويتصرفوا فيه.

والجواب عن الكل : أن يقال : الفعل الصادر من العبد.

إما أن يصدر عنه حال استواء الداعي إلى الفعل والترك.

٣٢٩." (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٠٩٠

"أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ [الأنفال : ٦٤] وقال عليه السلام : " إن لي في السماء وزيرين ، وفي الأرض وزيرين فاللذان في السماء جبريل وميكائيل (عليهما السلام) واللذان في الأرض أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما ") ".

وقال عليه السلام : " إذا أراد الله بملك خيرا قيض الله لہ وزيرا صالحا إن نسي ذكره ، وإن نوى خيرا أعانه ، وإن أراد شراكفه " وقال أنوشروان : لا يستغني أجود السيوف عن الصقي ، ولا أكرم الدواب عن السوط (ولا أعلم الملوك عن الوزير).

وأراد موسى – عليه السلام – أن يكون ذلك الوزير من أهله أي من أقاربه ، وأن يكون أخاه هارون ، والسبب فيه إما لأن التعاون على الدين منفعة عظيمة فأراد أن لا تحصل هذه الدرجة إلا بأهله ، أو لأن كل واحد منهما كان في غاية المحبة لصاحبه.

وكان هارون أكبر سنا من موسى بأربع سنين ، وكان أفصح منه لسانا ، وأجمل وأوسم أبيض اللون ، وكان موسى آدم اللون أقنى جعدا.

و " اشدد به (أزري) قو) ظهري ، " وأشركه في أمري " في النبوة.

والأزر القوة ، وآزره : قواه.

وقال أبو عبيدة : أزري : ظهري.

وفي كتاب الخليل : الأزر الظهر.

ثم إنه تعالى حكى عنه ما لأجله دعا بهذا الدعاء فقال : "كي نسبحك كثيراط قال الكلبي : نصلي لك كثيرا ، ونحمدك ، ونثني عليك.

والتسبيح : تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته عما لا يليق به.

" ونذكرك كثيرا " أي : نصفك بصفات الجلال والكبرياء.

٢٣٠

قوله : "كثيرا " نعت لمصدر محذوف ، أو حال من ضمير المصدر كما هو رأي سيبويه.

وجوز أبو البقاء : أن يكون نعتاہ لزمان محذوف ، أي : زمانا كثيرا.

قوله : " إنك كنت بنا بصيرا " أي عالما بأنا لا نريد بهذه الطاعات إلا وجهك ورضاك ، أو بصيرا بأن الاستعانة بهذه الأشياء لأجل حاجتي في النبوة إليه ، أو بصيرا بوجوه مصالحنا فأعطنا ما هو أصلح لنا.

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٢٢٢

قوله تعالى : ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ فعل بمعنى مفعول كقولك : خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول ، ولا ينقاس و " مرة " مصدر ، و " أخرى " تأنيث آخر بمعنى : غير ، وزعم بعضهم أنها **بمعنى آخرة** فتكون مقابلة للأولى ، وتخيل لذلك بأن قال سمها أخرى وهي أولى ، لأنها أخرى في الذكر.

فصل إن موسى عليه السلام لما سأل ربه تلك الأمور الثمانية ، وكان في المعلوم أن قيامه بما كلفه (لا يتم إلا بإجابته إليها ، لا جرم أجابه الله تعالى إليها ليكون أقدر على إبلاغ ما كلف به) فقال : ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾ فنبه بذلك على أمور :

٢٣١

أحدها : كأنه تعالى قال : إني راعيت مصلحتك قبل سؤالك فكيف لا أعطيك مرادك بعد السؤال.

وثانيها : إني كنت ربيتك فلو منعتك الآن كان ذلك ردا بعد القبول وإساءة بعد الإحسان ، فكيف يليق بكرمي.

وثالثها : إنا أعطيناك في الأزمنة السالفة كل ما احتجت إليه ، ورقيناك إلى الدرجة العالية ، وهي درجة النبوة ، فكيف يليق بمثل هذه الرتبة المنع عن المطلوب.

ومعنى " مننا عليك " أنعمنا عليك " مرة أخرى " فإن قيل : لم ذكر تلك النعم بلفظ المنة مع أن هذه اللفظة مؤذية والمقام مقام التلطف ؟ فالجواب : إنما ذكر ذلك ليعرف موسى عليه السلام أن هذه النعم التي وصل إليها ما كان مستحقا لشيء منها ، بل إنما خصه الله بها لمحض التفضل والإحسان.

فإن قيل : لم ثال : " مرة أخرى " مع أنه تعالى ذكر " مننا "كثيرة ؟ فالجواب : لم يعن بـ " مرة أخرى " مرة واحدة من المنن ، لأن ذلك قد يقال في القليل والكثير.

قوله : " إذ أوحينا " العامل في " إذ مننا " أي مننا عليك في وقت إيحائنا إلى أمك ، وأبهم في قوله : " ما يوحى " للتعظيم كقوله تعالى : ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه : ٧٨] وهذا وحي إلهام ، لأن الأكثرين على أن أم موسى - عليه السلام - ما كانت من الأنبياء ، وذلك لأن المرأة لا تصلح للقضاء والإمامة ، ولا تمكن عند أكثر العلماء من تزويج نفسها ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ومآ أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم﴾ [الأنبياء : ٧].

٢٣٢
." (١)

"يكون ساخطا عليه ، وذلك لا يليق بحال الأنبياء.

والجواب المراد تحصيل دوام الرضا كقوله : " ثم اهتدى " المراد دوام الاهتداء.

الخامس : قوله ﴿وعجلت إليك رب لترضى ﴾ يدل على أنه ذهب إلى الميعاد قبل الوقت الذي عينه الله له وإلا لم يكن تعجيلا ، ثم ظن أن مخالفة أمر الله سبب لتحصيل رضاه ، وذلك لا يليق بأجهل الناس فضلا عن كليم الله.

والجواب : أن ذلك كان باجتهاد وأخطأ فيه.

السادس : قوله : " إليك " يقتضي كون الله في الجهة ، لأن " إلى " لانتهاء الغاية.

والجواب : اتفقنا على أن الله – تعالى – لم يكن في الجبل ، فالمراد إلى مكان وعدك.

فصل دلت الآية على أنه تعالى أمره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون : هم السبعون الذين اختارهم الله من جملة بني إسرائيل ، يذهبون معه إلى الطور ليأخذوا التوراة ، فسلر بهم موسى ، ثم عجل موسى مِن بينهم شوقا إلى ربه ، وخلق السبعين وأمرهم ان يتبعوه إلى الجبل ، فقال الله له : ﴿ومآ أعجلك عن قومك يا موسى ﴾ قال مجيبا لربه ﴿هم أولا اء على أثري﴾ أي : بالقرب مني يأتون من بعدي ﴿وعجلت إليك رب لترضى ﴾ لتزداد رضى.

قوله : ﴿هم أولا اء على أثري﴾ كقوله : ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ [البقرة : ٨٥] و ﴿على أثري﴾ يجوز أن يكون خبرا ثانيا ، وأن يكون حالا وقرأ الجمهور : " أولاء " بهمزة مكسورة.

والحسن وابن معاذ بياء مكسورة ، وإبدال الهمزة ياء (تخفيفا).

٣٤٨

وابن وثاب " أولى " بالقصر دون همزة.

وقرأت طائفة " أولاي " بياء مفتوحة ، وهي قريبة من الغلط والجمهور " على أثري " بفتح الهمزة والثاء.

وأبو عمرة في رواية عبد الوارث ، وزيد بن علي " إثري " بكسر الهمزة وسكون الثاء وعيسى بضمها وسكون الثاء ، وحكاها الكسائي (لغة).

قوله : ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي : ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون ، وكانوا ستمائة ألف ، فأفتنوا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٥٥٧

بالعجل غير اثني عشر ألفا من بعدك انطلاقك إلى الجبل.
فصل قالت المعتزلة : لا يجوز أن يكون المراد أن الله – تعالى – خلق فيهم الكفر لوجهين : الأول : الدلائل العقلية (الدالة على) أنه لا يجوز من الله – تعالى – أن يفعل ذلك.
والثاني : أنه قال : " وأضلهم السامري ".
وأيضا : فلأن موسى لما طالبهم بذكر سبب الفتنة ، فقال : ﴿أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾ [طه : ٨٦] فلو حصل ذلك بخلق الله لكان لهم أن يقولوا السبب فيه أن الله خلقه فينا لا ما ذكرت ، فكان يبطل كلام موسى – عليه السلام – .
وأيضا فقوله : ﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾ [طه : ٨٦] ولو كان ذلك بخلقه لاستحال أن يغضب عليهم فيما هو الخالق له ، ولما بطل ذلك وجب أن
٣٤٩
يكون لقوله : " فتنا " **معنى آخر** ، وذلك لأن الفتنة قد تكون بمعنى الامتحان ، يقال : فتنت الذهب بالنار إذا امتحنته بالنار فتميز الجيد من الرديء ، فهاهنا شدد الله التكليف عليهم ، لأن السامري ، لما أخرج لهم العجل صاروا مكلفين بأن يستدلوا بحدوث جملة العالم والأجسام على أن له إلها بجسم وحينئذ يعرفون أن العجل لا يصلح للإلهية فكان هذا التعبد تشديدا في التكليف ، (والتشديد في التكليف) موجود.
قال تعالى : ﴿أحسب الناس أن يتركوا اا أن يقولوا اا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت : ٢].
والجواب : ليس في ظهور صوت من عجل متخذ من الذهب شبهة أعظم مما في الشمس والقمر ، والدليل الذي ينفي كون الشمس والقمر إلها أولى بأن ينفي كون العجل إلها ، فحينئذ لا يكون حدوث العجل تشديدا في التكليف ولا يصح حمل الآية عليه ، فوجب حمله على خلق الضلال فيهم.
وقوله : أضاف الإضلال إلى السامري.
قلنا : أليس أن جميع المسببات العادية تضاف إلى أسباب من الظاهر وإن كان الموجد هو الله – تعالى – فكذا هاهنا.
وأيضا قرئ " وأضلهم السامري " أي : وأشد ضلالهم السامري ، وعلى هذا لا يبقى للمعتزلة استدلال ، ثم الذي يحسم مادة الشغب مسألة الداعي.
وقوله : " وأضلهم السامري " العامة على أنه فعل ماض مسند إلى السامري.
وقرأ أبو معاذ " وأضلهم " مرفوعا بالابتداء ، وهو أفعل تفضيل ، و " السامري " خبره.

ومعنى " أضلهم " أي : دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل ، وأضاف الإضلال إلى السامري ، لأنهم ضلوا بسببه.

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير : كان السامري علجا من أهل كرمان وقع إلى مصر ، وكان من قوم يعبدون البقر ، والأكثرون

٣٥١

." (١)

"أن الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي واعلم أنه إنما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من مصلحة المكلفين ليكثر تحرزهم خوفا منها.

ولم يعين الوقت ، لأن كتمان وقت الموت أصلح لهم والمراد بالناس من له مدخل في الحساب وهم المكلفون دون من لا مدخل فيه.

قال ابن عبس : المراد بالناس المشركون.

وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم ، وهو ما يتلوه من صفات المشركين.

وقوله : ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ وصفهم بالغفلة والإعراض ، واما الغفلة فالمعنى : أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ، ثم إذا انتبهوا من سنة الغفلة ، ورقدة الجهالة مما يتلى عليهم من الآيات أعرضوا وسدوا أسماعهم.

قوله : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ ذكر الله – تعالى – ذلك بيانا لكونهم معرضين , وذلك لأن الله – يجدد لهم الذكر كل وقت ، ويظهر لهم الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم الموعظة لعلهم يتعظون ، فما يزيدهم ذلك إلا استسخارا.

قوله : " محدث " العامة على جر " محدث " نعتا لـ " ذكر " على اللفظ.

وقوله : " من ربهم " فيه أوجه : أجودها : ان يتعلق بـ " يأتيهم " ، وتكون " من " لابتداء الغاية مجازا.

والثاني : أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير المستتر في " محدث ".

الثالث : أن يكون حالا من نفس " ذكر " ، وإن كان نكرة ، لأنه قد تخصص بالوصف بـ " محدث " ، وهو نظير : ما جاءني رجل قائما منطلق ، ففصل بالحال بين الصفة والموصوف.

وأيضا فإن الكلام نفي وهو مسوغ لمجيء الحال من النكرة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٥٩٣

٤٤٢
الرابع : أن يكون نعتا لـ " ذكر " فيجوز في محله وجهان : الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل ، لأنه مرفوع المحل إذ " من " مزيده فيه ، وسيأتي.
وفي جعله نعتا لـ " ذكر " إشكال من حيث إنه تقدم غير الصريح ، وتقدم تحريره في المائدة.
الخامس : أن يتعلق بمحذوف على سبيل البيان.
وقرأ ابن عبلة " محدث " رفعا نعتا لـ " ذكر " على المحل ، لأن " من " مزيدة فيه لاستكمال الشرطين.
٤٤٣
وقال أبو البقاء : ولو رفع على موضع " من ذكر " جاز.
كأنه لم يطلع عليه قراءة وزيد بن علي " محدثا " نصبا على الحال من " ذكر " ، وسوغ ذلك وصفه بـ " من ربهم " إن جعلناه صفة.
قوله : " إلا استمعوه " هذه الجملة حال من مفعول " يأتيهم " وهو استثناء مفرغ ، و " قد " معه مضمرة عند قوم.
" وهم يلعبون " حال من فاعل " استمعوه " أي استمعوه لاعبين.
فصل قال مقاتل : معنى " محدث " يحدث الله الأمر بعد الأمر.
وقيل : الذكر المحدث ما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن ، وأضافه إلى الرب ، لأنه أمره بقوله إلا " استمعوه " لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون.
فصل استدلت المعتزلة بهذه الآية على حدوث القرآن ، فقالوا : القرآن ذكر ، والذكر محدث ، فالقرآن محدث ، وبيان أن القرآن ذكر قوله تعالى في صفة القرآن : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ [يوسف : ١٠٤ ، ص : ٨٧ ، التكوير : ٢٧] ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [الزخرف : ٤٤] ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ [الحجر : ٩] ﴿إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ [يس : ٦٩] و ﴿وهاذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ [الأنبياء : ٥٠].
وبيان أن الذكر محدث قوله :
٤٤٤
﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ وقوله : ﴿ما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث﴾ [الشعراء : ٥] فالجواب من وجهين : الأول : أن قوله تعالى : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ [يوسف : ١٠٤ ، ص : ٨٧ ، التكوير : ٢٧] وقوله ﴿وهاذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ [الأنبياء : ٥٠] إشارة إلى المركب من الحروف

والأصوات ، وذلك مما لا نزاع فيه بل حدوثه معلوم بالضرورة ، وإنما النزاع في قدر كلام الله تعالى **بمعنى آخر.**

الثاني : أن قوله : ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا ، كما أن قول القائل : لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل إلا يبغضونه فإنه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون فاضلا بل على أن من الرجال من هو فاضل ، وإذا كان كذلك فالآية لا تدل إلا على أن بعض الذكر محدث ، فيصير نظم الكلام : القرآن ذكر ، وبعض الذكر محدث ، وهذا لا ينتج شيئا ، فظهر أن الذي طنوه قاطعا لا يفيد ظنا ضعيفا فضلا عن القطع.

قوله : " لاهية " يجوز أن تكون حالا من فاعل " استمعوه " عند من يجيز تعدد الحال ، فيكون الحالان مترادفين.

٤٤٥

". (١)

"معنى قوله : ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ ، فقال : ما أفسر القرآن ، ولكنا نقول للرجل : ما أتفثك ، أي : أوسخك وما أدرنك.

ثم قال القفال : وهذا أولى من قول الزجاج لأن القول قول المثبت لا قول النافي.

والمراد بالتفث هنا : الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار والشعث والحاج أشعث أغبر ، والمراد قص الشارب والأظفار ونتف الإبط وحلق العانة.

والمراد بالقضاء إزالة ذلك ، والمراد به الخروج من الإحرام بالحلق وقص الشارب والتنظيف ولبس الثياب.

وقال ابن عمر وابن عباس : قضاء التفث مناسك الحج كلها.

وقال مجاهد : هو مناسك الحج وأخذ الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وقلم الأظفار.

وقيل : التفث هنا رمي الجمار.

وقيل : معنى " ليقضوا تفثهم " ليصنعوا ما يصنعه المحرم من إزالة شعر وشعث ونحوهما عند حله ، وفي ضمن هذا قضاء جميع المناسك إذ لا يفعل هذا إلا بعد فعل المناسك كلها.

قوله : " وليوفوا ".

قرأ أبو بكر " وليوفوا " بالتشديد ، والباقون بالتخفيف.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٦٢١

وتقدم في البقرة أن فيه ثلاث لغات وفى ، ووفى ، وأوفى.

وقرأ ابن ذكوان : " وليوفوا " بكسر اللام ، والباقون بسكونها.

وهذا الخلاف جار في قوله " وليطوفوا ".

والمراد بالوفاء ما أوجبه بالنذر ، وقيل : ما أوجبه الدخول في الحج من المناسك.

قال مجاهد : أراد نذر الحج والهدي ، وما ينذره الإنسان من شيء يكون في الحج.

وقيل : المراد الوفاء بالنذر مطلقا وقوله : " وليطوفوا " المراد الطواف الواجب ، وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق وسمي البيت العتيق قال الحسن : القديم لأنه أول بيت وضع للناس.

وقال ابن عباس وابن الزبير : لأنه أعتق من الجبابرة ، فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله ، ولما قصده أبرهة فعل به ما فعل.

فإن قيل : قد تسلط الحجاج عليه ؟

٧٧

فالجواب : أنه ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به عبد الله بن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه وقال ابن عيينة : لم يملك قط.

وقال مجاهد : أعتق من الغرق.

وقيل : لأنه بيت كريم من قولهم : عتاق الخيل والطير.

فصل والطواف ثلاثة أطواف : الأول : طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا ، يرمل ثلاثا من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ، ويمشي أربعا وهذا الطواف سنة لا شيء على تاركه.

والثاني : طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق ، ويسمى أيضا طواف الزيارة وطواف الصدر ، وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به.

والثالث : طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا ، فمن تركه فعليه دم إلا الحائض والنفساء ، فلا وداع عليهما لما روى ابن عباس قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه أرخص للمرأة الحائض.

والرمل يختص بطواف القدوم ، ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع.

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٦٤

قوله تعالى : ﴿ذالك ومن يعظم حرمات الله﴾ الآية.

" ذلك " خبر مبتدأ مضمر ، أي : الأمر والشأن ذلك ، قال الزمخشري : كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني ، فإذا أراد الخوض في **معنى آخر** قال هذا ، وقد كان كذا.

وقدره ابن عطية : فرضكم ذلك أو الواجب ذلك.

وقيل : هو مبتدأ خبره محذوف ، أي ذلك

٧٨

الأمر الذي ذكرته.

وقيل : في محل نصب أي : امتثلوا ذلك.

ونظير هذه الإشارة قول زهير بعد تقدم جمل في وصف هرم بن سنان : ٣٧٦٢ - هذا وليس كمن يعيا بخطته

وسط الندي إذا ناطق نطقا

والحرمة ما لا يحل هتكه ، وجمييع ما كلفه الله بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها ، فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ، ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج.

وعن زيد بن أسلم : الحرمات خمس : الكعبة الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، والمشعر الحرام.

وقال ابن زيد : الحرمات ههنا : البيت الحرام ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، والمسجد الحرام ، (والإحرام).

وقال الليث : حرمات الله ما لا يحل انتهاكها.

وقال الزجاج : الحرمة ما وجب القيام به ، وحرم التفريط فيه.

قوله : " فهو " " هو " ضمير المصدر المفهوم من قوله : " ومن يعظم " ، أي ؛ فتعظيم حرمات الله خير له ، كقوله تعالى : ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [المائدة : ٨] و " خير " هنا ظاهرها التفضيل بالتأويل المعروف ومعنى التعظيم : العلم بوجوب القيام بها وحفظها.

٧٩

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٧١٥

"والمعنى : إن الذي هم من عذاب ربهم مشفقون أي : خائفون من عقابه.

قوله : " من خشية " فيه وجهان : أحدهما : أنها لبيان الجنس.

قال ابن عطية : هي لبيان جنس الإشفاق.

قال شهاب الدين : وهي عبارة قلقة.

والثاني : أنها متعلقة بـ " مشفقون ".

قاله الحوفي ، وهو واضح.

قوله : ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ يصدقون ، وآيات الله هي المخلوقات الدالة على وجوده.

﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ وليس المراد منه الإيمان بالتوحيد ونفي الشريك لله – تعالى – ، لأن ذلك داخل في قوله : ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ بل المراد منه نفي الشرك الخفي ، وهو أن يكون مخلصا في العبادة لا يقدم عليها إلا لوجه الله وطلب رضوانه.

قوله : ﴿والذين يؤتون مآ آتوا﴾ العامة على أنه من الإيتاء ، أي : يعطون ما أعطوا.

وقرأت عائشة وابن عباس والحسن والأعمش : " يأتون ما أتوا " من الإتيان ، أي : يفعلون ما فعلوا من الطاعات.

واقتصر أبو البقاء في ذكر الخلاف على " أتوا " فقط ، وليس بجيد ، لأنه يوهم أن من قرأ " أتوا " بالقصر قرأ " يؤتون " من الرباعي وليس كذلك.

قوله : ﴿وقلوبهم وجلة﴾ هذه الجملة حال من فاعل " يؤتون " ، فالواو للحال ، والمعنى : يعطون ما أعطوه ، ويدخل فيه كل حق يلزم إيتاؤه سواء كان من حقوق الله كالزكوات ، والكفارات وغيرها.

أو من حقوق الآدميين ، كالودائع ، والديون وأصناف الإنصاف والعدل.

وبين أن ذلك إنما ينفع إذا فعلوه " وقلوبهم وجلة " ، أي : إنهم يقدمون على العبادة على وجل من تقصير وإخلال بنقصان.

" روي أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ﴿والذين يؤتون مآ آتوا وقلوبهم وجلة﴾

٢٣١

أهو الذي يزني ، ويشرب الخمر ، ويسرق وهو على ذلك يخاف الله ؟ فقال عليه السلام : " لا يا بنت الصديق ، ولكن هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو على ذلك يخاف الله " قوله : " أنهم " يجوز أن يكون التقدير : وجلة من أنهم أي : خائفة من رجوعهم إلى ربهم.

ويجوز أن يكون : لأنهم أي : سبب الوجل الرجوع إلى ربهم.

قوله : ﴿أولئك يسارعون﴾ هذه الجملة خبر " إن الذين " ، وقرأ الأعمش : " إنهم " بالكسر ، على الاستئناف ، فالوقف على " وجلة " تام أو كاف.

وقرأ الحسن : " يسرعون " من أسرع.

قال الزجاج : يسارعون أبلغ.

يعني : من حيث إن المفاعلة تدل على قوة الفعل لأجل المبالغة.

قوله : ﴿وهم لها سابقون﴾ في الضمير في " لها " أوجه : أظهرها : أنه يعود على الخيرات لتقدمها في اللفظ.

وقيل : يعود على الجنة.

وقال ابن عباس : إلى السعادة.

وقال الكلبي : سبقوا الأمم إلى الخيرات.

والظاهر أن " سابقون " هو الخبر ، و " لها " متعلق به

٢٣٢

قدم للفاصلة وللاختصاص.

واللام ، قيل : بمعنى (إلى) ، يقال : سبقت له ، وإليه ، بمعنى ومفعول " سابقون " محذوف ، تقديره : سابقون الناس إليها.

وقيل : اللام للتعليل ، أي : سابقون الناس لأجلها.

وتكون هذه الجملة مؤكدة للجملة قبلها ، وهي ﴿يسارعون في الخيرات﴾ ، ولأنها تفيد معنى آخر وهو الثبوت والاستقرار بعدما دلت الأولى على التجدد.

وقال الزمخشري : أي : فاعلون السبق لأجلها ، أو سابقون الناس لأجلها قال أبو حيان وهذان القولان عندي واحد.

قال شهاب الدين : ليسا بواحد إذ مراده بالتقدير الأول : أن لا يقدر السبق مفعول ألبتة ، وإنما الغرض الإعلام بوقوع السبق منهم من غير نظر إلى من سبقوه كقوله : " يحيي ويميت " ، و "كلوا واشربوا " ، و " يعطي ويمنع " وغرضه في الثاني تقدير مفعول حذف لدلالة ، واللام للعلة في التقديرين وقال الزمخشري أيضا : أو : إياها سابقون.

أي : ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا.
قال شهاب الدين : يعني أن " لها " هو المفعول بـ " سابقون " ، وتكون اللام قد زيدت في المفعول ، وحسن زيادتها شيئان كل منهما لو انفرد لاقتضى الجواز ، كون العامل فرعا ، وكونه مقدما عليه معموله.
قال أبو حيان : ولا يدل لفظ " لها سابقون " على هذا التفسير ، لأن سبق الشيء الشيء يدل على تقديم السابق على المسبوق ، فكيف يقول : وهم يسبقون الخيرات ، هذا لا يصح.
قال شهاب الدين : ولا أدري عدم الصحة من أي جهة ، وكأنه تخيل أن السابق يتقدم على المسبوق فكيف يتلاقيان ؟ لكنه كان ينبغي أن يقول : فكيف يقول : وهم ينالون الخيرات ، وهم لا يجامعونها ، لتقدمهم عليها إلا أن يكون قد سبقه القلم فكتب بدل (وهم ينالون) (وهم يسبقون) وعلى كل
٢٣٣
تقدير فأين عدم الصحة ؟ وقال الزمخشري أيضا : ويجوز أن يكون ﴿وهم لها سابقون﴾ خبرا بعد خبر ومعنى " وهم لها " كمعنى قوله :
٣٨٠١ - أنت لها أحمد من بين البشر
جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٢٣٠
" (١).

"أي ولكن أنا مدره.
قوله : " وخاتم النبيين " قرأ عاصم بفتح التاء والباقون بسكرهان فالفتح اسم للآلة التي يختم بها كالطابع والقالب ، لما يطبع به ، ويقلب فيه هذا هو المشهور ، وذكر أبو البقاء فيه أوجها أخر منها أنه في معنى المصدر قال : كذا ذكر في بعض الأعاريب ، قال شهاب الدين : وهو لغط محض كيف وهو محوج إلى تجوز أو إضمار ، ولو حكى هذا في خاتم - بالكسر - لكان أقرب ، لن قد يجيء المصدر على فاعل وفاعلة وسيأتي ذلك قريبا ، ومنها أنه اسم بمعنى " آخر " ومنها أنه فعل ماض مثل " قاتل " فيكون " النبيين " مفعولا به ، قال شهاب الدين : ويؤيد هذا قراءة عبد الله المتقدمة.
وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني **بمعنى آخرهم** لأنه قد ختم النبيين فهو خاتم.
فصل قال ابن عباس : يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون من بعده نبيا ، وروى عطاء عن ابن عباس : أن الله تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٧٧٥

٥٥٨

يصير رجلا ، وقيل : من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم إذ هو كالوالد لولد ليس له غيره.

﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ أي علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده ، فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد عليه (الصلاة و) السلام أن زوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع ، وذلك من حيث إن قول النبي – صلى الله عليه وسلم – يفيد شرعا لكن إذا امتنع هو عنه يفيد في بعض النفوس نفرة ، ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه حل أكل الضب ، ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء ، ولما أكل لحم الجمل طاب أكله ، مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب ، روى أبو هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحكم بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يجيبون سواها فكنت أنا موضع تلك اللبنة ختم به البنيان ، وختم بي الرشد " ، وقال – عليه (الصلاة و) السلام : " إن لي أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وأنا العاقب " والعاقب الذي ليس بعده شيء.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٥٢

قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ قال ابن عباس : لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم

٥٥٩

يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أهله في تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها ، فقال : ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ [النساء : ١٠٣] وقال : ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ أي بالليل والنهار ، والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد : الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي صلوا له بكرة يعني صلاة الصبح و " أصيلا " يعني صلاة العصر ، وقال الكلبي : " وأصيلا " صلاة الظهر والعصر والعشاء ، وقال مجاهد معناه : قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلى بالله فعبر بالتسبيح عن أخواته ، وقيل : المراد من قوله : " ذكرا كثيرا " هذه الكلمات يقولها الطاهر والخبيث والمحدث.

قوله : ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين فذكر صلاته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح ، قال السدي : قالت بنو إسرائيل لموسى : أيصلي ربنا

؟ فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه قل لهم : إني أصلي وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء.

وقيل : الصلاة من الله هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده ، وقيل : الثناء عليه.

قال أنس : لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر : ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

قوله : " وملائكته " إما عطف على فاعل " يصلي " ، وأغنى الفصل بالجار عن التأكيد بالضمير ، وهذا عند من يرى الاشتراك أو القدر المشترك أو المجاز ؛ لأن صلاة الله غير صلاتهم.

وإما مبتدأ وخبره محذوف ، أي " وملائكته يصلون " وهذا عند من يرى شيئا مما تقدم جائزا إلا أن فيه بحثا ، وهو أنهم نصوا على أنه إذا اختلف مدلولا الخبرين فلا يجوز حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه وإن كانا بلفظ واحد ، فلا تقول : " زيد ضارب وعمرو " يعني وعمرو ضارب في الأرض أي مسافر.

٥٦٠

." (١)

"وقال الزمخشري : وقيل : هو تحرك في تموج.

وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة وهي الجلدة التي فوق قفل الركبة.

وقال الراغب : المور : الجريان

١١٨

السريع ومار الدم على وجهه والمور – أي بالضم – التراب المتردد به الريح.

وأكد بالمصدرية دفعا للمجاز أي هذان الجرمان العظيمان مع كثافتهما يقع ذلك منهما حقيقة.

وقال ابن الخطيب : فيه فائدة جليلة ، وهي أن قوله : " وتسير الجبال " يحتمل أن يكون بيانا لكيفية مور السماء ؛ لأن الجبال إذا سارت وسيرت معها سكانها يظهر السماء كالسائرة إلى خلاف تلك الجهة ، كما يشاهده راكب السفينة ، فإنه يرى الجبل الساكن متحركا فكان لقائل أن يقول : السماء تمور في رأي العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائرا راكب السفينة ، والسماء إذا كانت كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفزع لا في الأرض ولا في السماء.

فصل لما ذكر أن العذاب واقع بين أنه متى يقع العذاب ، فقال : يوم تمور السماء مورا ، قال المفسرون

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤١٣٥

: أي تدور كما يدور الرحا وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة.

قال عطاء الخراساني : يختلف أجزاؤها بعضها في بعض.

وقيل : تضطرب.

﴿وتسير الجبال سيرا﴾ فتزول عن أماكنها ، وتصير هباء منثورا ، وهذا إيذان وإعلام بأن لا عود إلى السماء لأن الأرض والجبال والسماء والنجوم كلها لعمارة الدنيا والانتفاع لبني آدم فإذا لم يبق فيها نفع فلذلك أعدمها الله تعالى.

قوله : ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ يومئذ منصوب " بويل " والخبر " للمكذبين ".

والفاء في قوله " فويل " قال مكي : جواب الجملة المتقدمة وحسن ذلك ، لأن في الكلام معنى الشرط ، لأن المعنى إذا كان ما ذكر فويل.

قال ابن الخطيب : أي إذا علم أن عذاب الله واقع ، وأنه ليس له دافع فويل إذن للمكذبين ؛ فالفاء لاتصال المعنى ، **ولمعنى آخر** وهو الإيذان بأمان أهل الإيمان ، لأنه لما قال : إن عذاب ربك لواقع وأنه ليس له دافع لم يبين موقعه بمن ، فلما قال : ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ علم المخصوص (به) وهو المكذب.

فإن قيل : إذا قلت بأن قوله : ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ بيان لمن يقع به العذاب فمن

١١٩

لا يكذب لا يعذب فأهل الكبائر لا يعذبون لأنهم لا يكذبون.

فالجواب : أن ذلك العذاب لا يقع إلا على أهل الكبائر ، وإنما هذا كقوله : ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتهآ ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جآءنا نذير فكذبنا﴾ [الملك : ٨ و ٩] فالمؤمن لا يلقى فيها إلقاء بهوان ، وإنما يدخل فيها للتطهير إدخالا مع نوع إكرام ، والويل إنما هو للمكذبين.

والويل ينبئ عن الشدة ، لأن تركيب حروف الواو والياء واللام لا ينفك عن وقوع شدة ، ومنه لوى إذا دافع ولواه يلويه إذا فتله فتلا قويا.

والولي فيه القوة على المولى عليه.

وقد تقدم وجه جواز التنكير في قوله : " ويل " مع كونه مبتدأ ؛ لأنه في تقدير المنصوب لأنه دعاء في تفسير قوله تعالى : ﴿قال سلام﴾ [الذاريات : ٢٥].

قوله : ﴿الذين هم في خوض يلعبون﴾ الخوض : هو الاندفاع في الأباطيل ، قال تعالى : ﴿وخضتم

كالذي خاضوا ا﴾ [التوبة : ٦٩] وقال تعالى : ﴿وكنا نخوض مع الخآئضين﴾ [المدثر : ٤٥].
وتنكير الخوض يحتمل وجهين : الأول : أن يكون للتكثير أي في خوض عظيم.
الثاني : أن يكون التنوين عوضا عن المضاف إليه ، كقوله تعالى : ﴿وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ [هود : ١١١] والأصل في خوضهم المعروف منهم.
وقوله : يعلبون أي غافرون لاهون.
واعلم أن قوله تعالى : ﴿الذين هم في خوض﴾ ليس وصفا للمكذبين بما يميزهم ، وإنما هو للذم كقولك : " الشيطان الرجيم " ولا تريد فصله عن الشيطان الذي ليس برجيم بخلاف قولك : أكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم للذم له لا للتعريف.
وتقول في المدح : الله الذي خلق ، والله العظيم للمدح لا للتمييز ، ولا للتعريف عن إله لم يخلق أو إله ليس بعظيم ، فإن الله واحد لا غير.
قوله : ﴿يوم يدعون﴾ يجوز أن يكون ظرفا " ليقال " المقدرة مع قوله : ﴿هاذه النار﴾ [الطور : ١٤] يوم يدعون المكذبين ؛ لأن معناه يوم يقع العذاب ذلك اليوم وهو يوم يدعون فيه إلى النار.
١٢٠
." (١)

"الثاني : أن تكون " مانعتهم " خبر " أنهم " و " حصونهم " فاعل به ، نحو : إن زيدا قائم أبوه ، وإن عمرا قائمة جاريته.
وجعله أبو حيان أولى ؛ لأن في نحو : " قائم زيد " على أن يكون خبرا مقدما ومبتدأ مؤخرا ، خلافا ، الكوفيون يمنعونه ، فمحل الوفاق أولى.
قال الزمخشري : " فإن قلت : فأي فرق بين قولك : وظنوا أن حصونهم تمنعهم ، أو " مانعتهم " ، وبين النظم الذي جاء عليه ؟ .
قلت : بتقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم ، ومنعها إياهم ، وفي تغيير ضميرهم اسما لـ " أن " ، وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض إليهم ، وليس ذلك في قولك : حصونهم تمنعهم ".
انتهى.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٦٧٦

وهذا الذي ذكره إنما يتأتى على الإعراب الأول ، وقد تقدم أنه مرجوح.
وتسلط الظن هنا على " أن " المشددة ، والقاعدة أنه لا يعمل فيها ولا في المخففة منها إلا فعل " علم " وتعين إجراؤه مجرى اليقين لشدته وقوته ، وأنه بمنزلة العلم.
وقوله : ﴿من الله﴾ أي : من أمره.
قوله تعالى : ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾.
قال الزمخشري : قرئ " فأتاهم الهلاك " أي : أتاهم أمره وعذابه ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾ ، أي : لم يظنوا ، وقيل : من حيث لم يعلموا.
وقال ابن جريج والسدي وأبو صالح : " من حيث لم يحتسبوا : بقتل كعب بن الأشرف ، وكانوا أهل خلعة وسلاح وقصور منيعة فلم يمنعهم شيء منها ".
وقيل : الضمير في " فأتاهم الله " يعود إلى المؤمنين ، أي : فأتاهم نصر الله وتقويته [لا] يمنعهم شيء منها.
قوله : ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ، وكان الذي قتله محمد بن مسلمة ، وأبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش - وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة - وخبره مشهور في السيرة.
قال أهل اللغة : " الرعب " : الخوف الذي يرعب الصدور ، أي : يملؤه ، وقذفه : إثباته فيه ، ومنه قالوا في صفة الأسد : مقذف ، كأنه قذف اللحم قذفا لاكتنازه وتداخل أجزائه.
٥٦٥
وهذه الآية تدل على أن الأمور كلها من الله تعالى ، لأن الآية دلت على أن وقوع ذلك بالرعب صار سببا في إقدامهم على بعض الأفعال ، وبالجملة فالفعل لا يحصل إلا عند حصول داعية متأكدة في القلب ، وحصول تلك الداعية لا يكون إلا من الله تعالى ، فكانت الأفعال بأسرها مستندة إلى الله - تعالى - بهذا الطريق.
قوله : ﴿يخربون بيوتهم﴾ يجوز أن يكون مستأنفا للإخبار به ، وأن يكون حالا من ضمير " قلوبهم " ، وليس بذاك.
وقرأ أبو عمرو : " يخربون " بالتشديد ، وباقيهم : بالتخفيف.
وهما بمعنى ؛ لأن " خرب " عداه أبو عمرو بالتضعيف ، وهم بالهمزة.

وعن أبي عمرو : أنه فرق **بمعنى آخر** ، فقال : " خرب " – بالتشديد – هدم وأفسد ، و " أخرب " – بالهمزة – ترك الموضع خرابا ، وذهب عنه ، وهو قول الفراء.

قال المبرد : ولا أعلم لهذا وجها.

و " يخربون " من خرب المنزل وأخربه صاحبه ، كقوله : " علم وأعلم ، وقام وأقام ".

وإذا قلت : " يخربون بيوتهم " من التخريب فإنما هو تكثير ؛ لأن ذكر " بيوتا " تصلح للتقليل والتكثير.

وزعم سيبويه أنهما يتعاقبان في بعض الكلام ، فيجري كل واحد مجرى الآخر ، نحو : " فرحته وأفرحته ".

قال الأعشى : [المتقارب] ٤٧٣٦ – ....

وأخربت من أرض قوم ديارا

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٥٦٢

واختار الهذلي قراءة أبي عمرو لأجل التكثير.

ويجوز أن يكون " يخربون " تفسيرا للرعب فلا محل له أيضا.

قال أبو عمرو : وإنما اخترت التشديد ؛ لأن الإخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن ،

٥٦٦

". (١)

"عمر : كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بني النضير ، وما كان مثلها فهذه آية واحدة ، ومعنى متحد.

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ما أفآء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول﴾ ، وهذا كلام مبتدأ غير الأول لمستحق غير الأول وسمى الآية الثانية آية الغنيمة ، ولا شك في أنه **معنى آخر** باستحقاق آخر لمستحق آخر ، بيد أن الآية الأولى والثانية مشتركتان في أن كل واحدة منهما تضمنت شيئا أفاء الله على رسوله ، واقتضت الآية الأولى أنه حاصل بغير قتال ، واقتضت الآية " الأنفال " أنه حاصل بقتال ، وعريت الآية الثالثة وهي قوله تعالى : ﴿ما أفآء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ ، عن ذكر حصوله بقتال ، أو بغير قتال ، فمن ها هنا نشأ الخلاف.

فقالت طائفة : هي ملحقة بالأولى ، وهو مال الصلح كله ونحوه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٨٦٣

وقالت طائفة : هي ملحقة بآية " الأنفال " ، واختلفوا هل هي منسوخة كما تقدم أو محكمة ؟ .

قال القرطبي : " وإلحاقها بالتي قبلها ؛ لأن فيه تجديد فائدة ومعنى ".

وقد قيل : إن سورة " الحشر " نزلت بعد " الأنفال " ، ومن المحال أن ينسخ المتقدم المتأخر.

فصل في أموال الأئمة والولاة الأموال التي للأئمة والولاة فيها مدخل ثلاثة أضرب : الأول : ما أخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات والزكوات.

والثاني : الغنائم ، وهو ما يحصل في أيدي المسلمين من أموال الكفار بالحرب والقهر والغلبة.

والثالث : الفيء ، وهو ما رجع للمسلمين من أموال الكفار عفوا صفوا من غير قتال ، ولا إيجاف كالصلح والجزية والخراج والعشور والمأخوذ من تجار الكفار.

ومثله أن يهرب المشركون ، ويتركون أموالهم ، أو يموت منهم أحد في دار الإسلام ولا وارث له.

فأما الصدقة فمصرفها الفقراء والمساكين والعاملون عليها حسب ما ذكره تعالى في سورة التوبة.

وأما الغنائم فكانت في صدر الإسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما شاء كما قال في " الأنفال " : ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ [الأنفال : ١] ثم نسخ بقوله تعالى : ﴿واعلموا اا أنما غنمتم من شيء﴾ [الأنفال : ٤١]

٥٧٧

الآية وقد مضى وأما الفيء وقسمته وقسمة الخمس سواء.

قال القرطبي : " والأمر فيهما عند مالك إلى الإمام ، فإن رأى حبسهما لنوازل تنزل بالمسلمين فعل ، وإن رأى قسمتهما ، أو قسمة أحدهما ، قسمها كلها ، أو قسم أحدهما بين الناس ، ويستوي فيه غريبهم ومولاهم ، ويبدأ بالفقراء من رجال ونساء حتى يغنوا ، ويعطي ذوي القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء سهمهم على ما يراه الإمام ، وليس لهم حد معلوم ".

وهل يعطي الغني منهم ؟ .

فأكثر الناس على إعطائه ؛ لأنه حق لهم.

وقال مالك رضي الله عنه : لا يعطي منهم غير فقرائهم ؛ لأنه جعل لهم عوضا من الصدقة.

وقال الشافعي رضي الله عنه : إن ما حصل من أموال الكفار بغير قتال كان يقسم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما للنبي صلى الله عليه وسلم عشرون سهما يفعل فيها ما يشاء ، والخمس يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة.

قال أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي : وهذا القول ما سبقه به أحد علمناه ، بل كان ذلك خالصا له كما ثبت في الصحيح عن عمر مبينا للآية ، ولو كان هذا لكان قوله : ﴿خالصة يوم القيامة﴾ [الأعراف : ٣٢] يجوز أن يشركهم فيها غيرهم.

فصل في تقسيم هذه الأموال وتقسم هذه الأموال المتقدم ذكرها في البلد الذي جبي فيه ، ولا ينقل عن ذلك البلد الذي جبي فيه حتى يغنوا ، ثم ينقل إلى الأقرب من غيرهم ، إلا أن ينزل بغير البلد الذي جبى فيه فاقة شديدة ، فينتقل إلى أهل الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر – رضي الله ءنه – في أعوام " الرمادة " وكانت خمسة أعوام أو ستة.

وقيل : عامين.

وقيل : عام اشتد فيه الطاعون مع الجوع ، وإن لم يكن ما وصفناه.

ورأى الإمام إيقاف الفيء أوقفه لنوائب المسلمين ، ويبدأ بمن أبوه فقير ، والفيء حلال للأغنياء ، ويساوي فيه بين الناس ، إلا أنه يؤثر أهل الحاجة والفاقة ، والتفضيل فيه إنما يكون فيه على قدر الحاجة ، ويعطي منه الغرماء ما يؤدون به ديونهم ، ويعطي منه الجائزة والصلة إن كان ذلك أهلا ، ويرزق القضاة والحكام ، ومن فيه مصلحة للمسلمين ، وأولاهم بتوفير الحظ منهم أعظمهم للمسلمين نفعا ، ومن أخذ من الفيء شيئا في الديوان كان عليه أن يغزو إذا وقع الغزو.

٥٧٨

." (١)

"وأغلب النسبة إلى الخيل والبغال وغيرهما من الحيوانات.

وثانيها : أن هذا التمثيل لإظهار الجهل والبلادة لأولئك القوم ، والحمار يمثل به في الجهل والبلادة.

وثالثها : أن في الحمار من الحقارة ما ليس في غيره من الحيوانات ، والغرض من الكلام هاهنا تحقير القوم وتعييرهم ، فيكون تعيين الحمار أليف.

ورابعها : أن حمل الأسفار على الحمار أسهل وأعم وأسهل لسرعة انقياده ، فإنه ينقاد للصبي الصغير من غير كلفة ، وهذا من جملة ما يوجب حسن الذكر بالنسبة إلى غيره.

وخامسها : أن رعاية الألفاظ والمناسبة من لوازم الكلام [وبين] لفظ الأسفار والحمار مناسبة لفظة [لا توجد] فيغيره من الحيوانات فيكون ذكره أولى.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٨٦٨

فصل قال القرطبي : " معنى الكلام : بئسمثل القوم المثل الذي ضربناه لهم فحذف المضاف ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعني من سبق في علمه أنه يكون كافرا ".

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٧٣

قوله : ﴿قل يا أيها الذين هادوا اا إن زعمتم أنكم أوليآء لله من دون الناس﴾.

أي : من دون محمد وأصحابه.

لما ادعت اليهود الفضيلة ، وقالوا : ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ [المائدة : ١٨] ، قال الله تعالى : ﴿إن زعمتم أنكم أوليآء لله من دون الناس﴾ فللأولياء عند الله الكرامة ﴿فتمنوا الموت﴾ لتصيروا ما يصير إليه أولياء الله.

قوله : ﴿أنكم أوليآء﴾.

ساد مسد المفعولين أو المفعول على الخلاف ، و " لله " متعلق بـ " أولياء " بمحذوف نعتا لـ " أولياء " ، و ﴿من دون الناس﴾ كذلك.

قوله : ﴿فتمنوا الموت﴾.

جواب الشرط.

٧٦

والعامة : بضم الواو وهو في الأصل واو الضمير.

وابن السميفع وابن يعمر وابن إسحاق : بكسرها ، وهو أصل التقاء الساكنين.

وابن السميفع أيضا : بفتحها وهذا طلب للتخفيف.

وتقدم نحوه في : ﴿اشتروا الضلالة﴾ [البقرة : ١٦].

وحكى الكسائي إبدال الواو همزة.

قوله : ﴿ولا يتمنونه﴾ ، وقال في البقرة : ﴿ولن يتمنوه﴾ [البقرة : ٩٥].

قال الزمخشري : لا فرق بين " لا " و " لن " في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل إلا أن في " لن " تأكيدا وتشديدا ليس في " لا " فأتي مرة بلفظ التأكيد " ولن تمنوه " ومرة بغير لفظه " ولا يتمنونه ".

قال أبو حيان : و " وهذا رجوع عن مذهبه وهو أن " لن " تقتضي النفي على التأبيد إلى مذهب الجماعة وهو أنها لا تقتضيه ".

قال شهاب الدين : وليس فيه رجوع ، غاية ما فيه أنه سكت عنه ، وتشركيه بين " لا " و " لن " في نفي

المستقبل لا ينفي اختصاص " لن " بمعنى آخر.

وتقدم الكلام على هذا مشبعا في " البقرة ".

فصل المعنى : " ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم " أي : أسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عيله وسلم فلو تمنوه لماتوا ، فكان ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية.

قال عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الآية : " والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهري يهودي إلا مات ".

وفي هذا إخبار عن الغيب ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مضى الكلام على هذه الآية في " البقرة " عند قوله : ﴿فتمنوا الموت﴾ [البقرة : ٩٤].

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٧٦

قوله : ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾.

٧٧

". (١)

"أحدها : أن " نصفه " بدل من " الليل " بدل بعض من كل ، و " إلا قليلا " استثناء من النصف ، كأنه قيل : [قم أقل من نصف الليل ، والضمير في " منه " و " عليه " عائد على النصف ، والمعنى : التخيير بين أمرين : بين أن يقوم أقل من نصب الليل على البت] ، وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من الصنف ، والزيادة عليه ، قاله الزمخشري.

وناقشه أبو حيان : " بأنه يلزم منه تكرار اللفظ ، ويصير التقدير : قم نصف الليل إلا قليلا من نصف الليل ، قال : وهذا تركيب ينزه القرآن عنه ".

قال شهاب الدين : والوجه في إشكال ، لكن لا من هذه الحيثية ، فإن الأمر فيها سهل بل لمعنى آخر - سأذكره إن شاء الله تعالى قريبا - ، وجعل أبو البقاء هذا الوجه مرجوحا فإنه قال : والثاني : هو بدل من " قليلا " - يعني النصف - قال : وهو أشبه بظاهر الآية لأنه قال : " أو انقص منه " ، " أو زد عليه " ، والهاء فيهما للنصف ، فلو كان الاستثناء من النصف لصار التقدير : قم نصف الليل إلا قليلا ، أو انقص منه قليلا ، والقليل السمتثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل.

قال شهاب الدين : " والجواب عنه : أن بعضهم قد عين هذا القليل ، فعن الكلبي ، ومقاتل : هو الثلث

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٩١٩

فلم يكن القليل غير مقدر ، ثم إن في قوله تناقضا فإنه قال : " والقليل السمتثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل " ، فأعاد الضمير على القليل ، وفي الأول أعاده على النصف ، ولقائل أن يقول : قد ينقدح هذا الوجه بإشكال قوي ، وهو أنه يلزم منه تكرار المعنى الواحد ، وذلك أن قوله : قم نصف الليل إلا قليلا ، بمعنى أنقص من نصف الليل ، لأن ذلك القليل ، هو بمعنى النقصان وأنت إذا قلت : " قم نصف الليل إلا القليل من الصنف ، وقم نصف الليل ، أو انقص من النصف " وجدتهما بمعنى واحد ، وفيه دقة فتأمله ، ولم يذكر الحوفي○○ غير هذا الوجه المتقدم ، وقد عرف ما فيه ، وممن ذهب إليه أيضا الزجاج لإإنه قال : " نصفه " بدل من " الليل " و " إلا قليلا " استثناء من النصف ، والضمير في " منه " و " عليه " عائد للنصف ، والمعنى : قم نصف الليل ، أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث ، أو زد عليه إلى الثلثين ، فكأنه قال : قم ثلثي الليل ، أو نصفه ، أو ثلثه ".

قال شهاب الدين : " والتقديرات التي يبرزونها ظاهرة حسنة إلا أن التركيب لا يساعد عليها لما عرفت من الإشكال المذكور آنفا ".

الثاني : أن يكون " نصفه " بدلا من " قليلا " وإليه ذهب الزمخشري وأبو البقاء ، وابن عطية.

٤٥٤

." (١)

"" صفحة رقم ٢٣١ "

) هو موليها (

وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله تعالى أي الله موليها اياه

وقرىء (ولكل وجهة) على الإضافة

والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر (هو مولاها) أي هو مولى تلك الجهة وقد وليها

والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم

) فاستبقوا (

أنتم

) الخيرات (

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٥٠٨٢

واستبقوا اليها غيركم من أمر القبلة وغيره

ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أي جهة يصلى اليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرت

) أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا (

للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه

ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يآت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام

البقرة ١٤٩ - ١٥٤

البقرة : (١٤٩ - ١٥٤) ومن حيث خرجت . . . . .

) ومن حيث خرجت (

أي ومن أي بلد خرجت للسفر

) فول وجهك شطر المسجد الحرام (

اذا صليت

) وإنه (

وإن هذا المأمور به

وقرىء (يعملون) بالتاء والياء وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولأنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها

) إلا الذين ظلموا (

استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لأحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة الا ميلا الي دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء

فإن قلت أي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة

المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فإن قلت كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين." (١)

"" صفحة رقم ٦٨٦ "

وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة

وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للإضافة أو هو كخدم في جمع خادم

وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم

وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك (أمر) إذا صار اميرا

وعبد الطاغوت بالجر عطفا على

) من لعنه الله (

فإن قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان أحدهما انه خذلهم حتى عبدوه والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله تعالى

) وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا (الزخرف ١٩ وقيل الطاغوت العجل لأنه معبود من دون الله ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت

وعن ابن عباس رضي الله عنه أطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده

وقرأ الحسن (الطواغيت)

وقيل وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى

وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير

وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رءوسهم) أولئك (

الملعونون الممسوخون

) شر مكانا (جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله

وفيه مبالغة ليست في قولك أولئك شر وأضل لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبره الله تعالى بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٢٣١/١

الله ومواعظك

وقوله (بالكفر) و (به) حالان أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين

وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله (وقد دخلوا) (وهم قد خرجوا) ولذلك دخلت (قد) تقريبا للماضي في الحال **ولمعنى آخر** وهو ان أمارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متوقعا لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله (قالوا آمنا) أي قالوا ذلك وهذه حالهم." (١)

"" صفحة رقم ٩٩ "

الجمل فى سم الخياط وكذالك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذالك نجزى الظالمين (٧)

الأعراف : (٤٠ - ٤١) إن الذين كذبوا . . . . .

) لا تفتح لهم أبواب السماء (لا يصعد لهم عمل صالح) إليه يصعد الكلم الطيب ((فاطر : ١٠) ،) كلا إن كتاب الابرار لفى عليين ((المطففين : ١٨) وقيل : إن الجنة في السماء ، فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة . وقيل : لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين . وقيل : لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ، ففتحنا أبواب السماء . وقرىء : (لا تفتح) ، بالتشديد . (ولا يفتح) بالياء . (ولا تفتح) بالتاء والبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات . وبالياء على أن الفعل لله عز وجل . وقرأ ابن عباس : (الجمل) ، بوزن القمل . وسعيد بن جبير : (الجمل) بوزن النغر . وقرىء : (الجمل) بوزن القفل . (والجمل) بوزن النصب . (والجمل) . بوزن الحبل . ومعناها القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة ، وعن ابن عباس رضي الله عنه : إن الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل ، يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة ، والبعير لا يناسبه ؛ إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك . يقال : أضيق من خرت الإبرة . وقالوا للدليل الماهر : خريت ، للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر . والجمل : مثل في عظم الجرم . قال : جسم الجمال وأحلام العصافير ؛

إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام ، فقيل : لا يدخلون الجنة ، حتى يكون ما لا يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع ، في ثقب الإبرة ، وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٦٨٦/١

، فقال : زوج الناقة ، استجهالا للسائل ، وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف . وقرىء ؛ (في سم) بالحركات الثلاث : وقرأ عبد الله : (في سم المخيط) والخياط ؛ والمخيط كالحزام والمحزم : ما يخاط به وهو الإبرة) وكذالك (ومثل ذلك الجزاء الفظيع) نجزى المجرمين (ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب ، وأن كل من أجرم عوقب ، وقد كرره فقال :) وكذالك نجزى الظالمين (لأن كل مجرم ظالم لنفسه) مهاد (فراش) غواش (أغطية . وقرىء : (غواش) بالرفع ، كقوله :) وله الجوار ((الرحمن : ٢٤) في قراءة عبد الله .." (١)

"" صفحة رقم ٦ "

في صفة الشيخ : صوته خفات ، وسمعه تارات . واختلف في سن زكريا عليه السلام ، فقيل : ستون ، وخمس وستون ، وسبعون ، وخمس وسبعون ، وخمس وثمانون .

) قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعآئك رب شقيا (

مريم : (٤) قال رب إني . . . . .

قرىء (وهن) بالحركات الثلاث ، وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن . ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية ، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصدا إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها . إدغام السين في الشين عن أبي عمرو . شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ ، باشتعال النار ؛ ثم أخرجه مخرج الاستعارة ، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس . وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس : اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا ، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة . توسل إلى الله بما سلف لمعه من الاستجابة . وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال : أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا . فقال : مرحبا بمن توسل بنا إلينا ، وقضى حاجته .

) وإني خفت الموالى من ورآئى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ءال يعقوب واجعله رب رضيا (

مريم : (٥) وإني خفت الموالي . . . . .

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٢/٩٩

كان مواليه وهم عصبته إخوته وبنو عمه شرار بني إسرائيل ، فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه ، وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته ، فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه) من ورائى (بعد موتي . وقرأ ابن كثير : (من وراي) بالقصر ، وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ، ولكن بمحذوف . أو بمعنى الولاية في الموالي : أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي . أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي . وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم (خفت الموالي من ورائي) وهذا على معنيين ، أحدهما : أن يكون) ورائى (بمعنى خلفي وبعدي ، فيتعلق الظرف بالموالي : أي قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين ، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه . والثاني : أن يكون بمعنى قدامي ،." (١)

"" صفحة رقم ١٥٥ "

أعتق من الغرق . وقيل : بيت كريم ، من قولهم : عتاق الخيل والطير . فإن قلت : قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع . قلت : ما قصد التسلط على البيت ، وإنما تحصن به ابن الزبير ، فاحتال لإخراجه ثم بناه . ولما قصد التسلط عليه أبرهة ، فعل به ما فعل .

) ذالك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الا نعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الا وثان واجتنبوا قول الزور حنفآء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السمآء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (

الحج : (٣٠ - ٣١) ذلك ومن يعظم . . . . .

) ذالك (خبر مبتدأ محذوف ، أي : الأمر والشأن ذلك ، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال : هذا وقد كان كذا . والحرمة : ما لا يحل هتكه . وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها ، فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ، ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج . وعن زيد بن أسلم : الحرمات خمس : الكعبة الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، والمحرم حتى يحل) فهو خير له (أي فالتعظيم خير له . ومعنى التعظيم : العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها . المتلو لا يستثنى من الأنعام ، ولكن المعنى) إلا ما يتلى عليكم (آية تحريمه ، وذلك قوله في سورة المائدة :) حرمت عليكم الميتة والدم ((المائدة : ٣) والمعنى : أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه ، فحافظوا عل

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٦/٣

حدوده ، وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئا ، كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك ، وأن تحلوا مما حرم الله ، كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك .

لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور ؛ لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا . وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد ، وذلك أن الشرك من باب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة ، فكأنه قال : فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور ، واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة . وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان . وسمى الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام ، على طريق التشبيه . يعني : أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتبونه ، فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة . ونبه على هذا المعنى بقوله :) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ((المائدة : ٩٠) جعل العلة في اجتنابه أنه رجس ، والرجس مجتنب) من." (١)

"" صفحة رقم ٢٥٢ "

قوله :) وجعلنا من الماء كل شيء حي ((الأنبياء : ٣٠) ؟ قلت : قصد ثمة معنى آخر : وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء ، وذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط ، قالوا : خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء ، والجن من نار خلقها منه ، وآدم من تراب خلقه منه . فإن قلت : لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب ؟ قلت : قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ، ثم الماشي على رجلين ، ثم الماشي على أربع : فإن قلت : لم سمي الزحف على البطن مشيا ؟ قلت ؛ على سبيل الاستعارة كما قالوا في الأمر المستمر : قد مشى هذا الأمر ، ويقال : فلان لا يتمشى له أمر . ونحوه استعارة الشقة مكان الجحفلة ، والمشفر مكان الشفة . ونحو ذلك . أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين .

) لقد أنزلنآ ءايات مبينات والله يهدى من يشآء إلى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذالك ومآ أولائك بالمؤمنين (

النور : (٤٦ - ٤٧) لقد أنزلنا آيات . . . . .

) وما أولئك بالمؤمنين (إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا . أو إلى الفريق المتولي ، فمعناه على الأول : إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق المتولي وحده . وعلى الثاني : إعلام بأن الفريق المتولي

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ١٥٥/٣

لم يكن ما سبق لهم من الإيمان إيمانا ، إنما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب ؛ لأنه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والإعراض . والتعريف في قوله :) بالمؤمنين (دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت : وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان ، والموصوفون في قوله تعالى :) إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ((الحجرات : ١٥) .

) وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (النور : (٤٨ - ٤٩) وإذا دعوا إلى . . . . . .

معنى) إلى الله ورسوله (إلى رسول الله كقولك : أعجبني زيد وكرمه ، تريد : كرم." [١]

"" صفحة رقم ٣٠٣ "

على الجنس ، والدليل على ذلك قوله :) وهم فى الغرفات ءامنون ((سبأ : ٣٧) وقراءة من قرأ : في الغرفة) بما صبروا (بصبرهم على الطاعات ، وعن الشهوات ، وعن أذى الكفار ومجاهدتهم ، وعلى الفقير وغير ذلك . وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه . وقرىء : (يلقون) كقوله تعالى :) ولقاهم نضرة وسرورا ((الإنسان : ١١) ويلقون ، كقوله تعالى :) يلق أثاما ((الفرقان : ٦٨) . والتحية : دعاء بالتعمير . والسلام : دعاء بالسلامة ، يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم . أو يحي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة . اللهم وفقنا لطاعتك ، واجعلنا مع أهل رحمتك ، وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك .

) قل ما يعبؤا بكم ربى لولا دعآؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما (

الفرقان : (٧٧) قل ما يعبأ . . . . . .

لما وصف عبادة العباد ، وعدد صالحاتهم وحسناتهم ، وأثنى عليهم من أجلها ، ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة : أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم ، لأجل عبادتهم ، فأمر رسوله أن يصرح للناس ، ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم ، إنما هذه للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ، ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيء يبالي به . والدعاء : العبادة . و) ما يعبؤا بكم ربى لولا دعآؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما (متضمنة لمعنى الاستفهام ، وهي في محل النصب ، وهي عبارة عن المصدر ، كأنه قيل : وأي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم . يعني أنكم لا تستأهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم . وحقيقة قولهم ما عبأت به : ما اعتددت به

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٢٥٢/٣

من فوادح همومي ومما يكون عبثا علي ، كما تقول : ما اكترثت له ، أي : ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني . وقال الزجاج في تأويل) ما يعبؤا بـكم ربى (أي : وزن يكون لكم عنده (؟ ويجوز أن تكون) (؟ ويجوز أن تكون) ما (نافية ،) فقد كذبتم (يقول : إذا أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا عبادتهم ، فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي ، فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار . ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه : إن من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري ، فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك . وقيل : معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام . وقيل : ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ، فإن قلت : إلى من يتوجه هذا الخطاب ؟ قلت : إلى الناس على الإطلاق ، ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون ، فخوطبوا بما وجدوا في جنسهم من العبادة والتكذيب . وقرىء : (فقد كذب الكافرون) وقيل : يكون العذاب لزاما . وعن مجاهد رضي الله عنه : هو قتل يوم بدر ، أنه لوزم بين القتلى لزاما . وقرىء :." (١)

" صفحة رقم ٣٣

فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ٧٣

( ) ٧١

ولما جرت العادة بأن أهل الشدائد يتوقعون الخلاص ، أخبر ان هؤلاء ليسوا كذلك ، لأنهم أنجاس فلييسوا أهلا لمواطن القداس ، فقال مستأنفا لجواب من كأنه قال : أما لهؤلاء خلاص ؟ واظهر موضع افضمار تعميقا للحكم بالوصف : (إن الذين كذبوا بآيتنا) أي وهي المعروفة بالعظمة بالنسبة إلينا) واستكبروا عنها) أي واوجدوا الكبر متجاوزين عن اتباعها) لا تفتح لهم) أي الصعود أعمالهم ولا دعائهم ولا ارواحهم ولا لنزول البركات عليهم) ابواب السماء (لأنها طاهرة عن الأرجاس الحسية والمعنوية فإذا صعدت أرواحهم الخبيثة بعد الموت مع الملا ئكة العذاب اغلقت الأبواب دونها ثم ألقيت من هناك إلى سجين) زلا يدخلون الجنة) أي التي هي أطهر المنازل واشرفها) حتى (يكون ما لا يكون بان) يلج) أي يدخل ويجوز) الجمل (على كبره) افي سم) أي في خرق) الخياط) أي افبرة اي حتى يكون ما لا يكون إذا فهو تعليق على محال ، فإن الجمل مثل في عظم الجرم عند العرب ، وسم الإبره مثل في ضيق المسلك ، يقال : اضيق من خرق الإبر ؛ وعن ابن مسعود رصى الله عنه أنه سئل عن الجمل فقال : زوج الناقة –

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٣٠٣/٣

اسجهالا للسائل وإشارة إلى طلب **معنى آخر** غير هذا الظاهر تكلف ولما هذا للمكذبين المستكبرين أخبر أنه لمطلق القاطعين ايضا فقال : (وكذلك) أي ومثل الجزاء بهذا العذاب وهو أن دخولهم الجنة محال عادة) نجزي المجرين) أي القاطعين لما امر الله به ان يوصل وإن كانوا أذنانا مقلدين للمستكرين المكذبين ؛ ثم فسر جزاء الكل فقال : (لهم من جهنم مهاد) أي فرش من تحتهم ، جمع مهد ، ولعله لم يذكره لأن المهاد كالصريخ فيه) اومن فوقهم غواش (اي أغطية – جمع غاشية – تغشيهم من جهنم ؛ وصرح في هذا بالفوقيه لأن الغاشية ربما كانت عن يمين أو شمال ، أو كانت بمعنى مجرد الوصول والإدراك ، ولعله إنما حذف الول لن لآية من الاحتياك فذكر جهنم أولا دليلا على إرادتها ثانيا ، وذكر الفوق ثانيا دليلا على إرادة الحت أولا ولما كان بعضهم ربما لا تكون له أهلية قطع ولا وصل ، قال لجميع انواع الضلال ،) وكذلك (اي ومثل ذلك الجزاء) نجزي الظالمين (ليعرف أن المدار على الوصف والمجرم : المذنب ومادته ترجع إلى القطع والظالم الواضع للشيء في." (١)

" صفحة رقم ١٤٢

الجري مع المراد ، وعلى القول بأن هذا في تقدير عامل من لفظ الأول بغير معناه هو قريب من الاستخدام الذي يعلو فيه ضمير على لفظ مراد منه **معنى آخر** ، والآية من الاحتباك : إثبات السجود في الأول دليل على انتفائه في الثاني ، وذكر العذاب في الثاني دليل على حذف الثواب في الأول .

ولما علم بهذا أن الكل جارونن مع الإدراة منقادون أتم انقياد تحت طوع المشيئة ، وأنه إنما جعل المر والنهي للمكلفين سببا لإسعاد السعيد منهم وإشقاء الشقي ، لإقامة الحجة عليهم على ما يتعارفونه من أحوالهم فيما بينهم ، كان المعنى : فمن يكرم الله بتوفيقه لا متثال أمره فما له من مهين ، فعطف عليه : (ومن يهن الله) أي الذي له الأمر كله بمنابذة أمره) فما له من مكرم (لأنه لا قدرة لغيره اصلا ، ولعله إنما ذكره وطوى الأول لأن السياق لإظهار القدرة ، وإظهارها في الإهانة أتم ، مع أن أصل السياق للتهديد ؛ ثم علل أن الفعل له لا لغيره بقوله : (إن الله) أي الملك الأعظم) يفعل ما يشاء) أي كله ، فلو جاز أن يمانعه غيره ولو في لحظة لم يكن فاعلا لما يشاء ، فصح أنه لا فعل لغيره ، قال ابن كثير : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن شيبان الرملي نا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه أنه قيل له : إن ههنا رجلا يتكلم في المشيئةن فقال له علي : يا عبد الله خلقك الله كما تشاء أو كما شئت ؟ قالك بل كما شاء ، قال : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قالك بل إذا شاء ، قال : فيشفيك إذا شاء

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٣/٣

أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء ، قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء ؟ قال : بل حيث يشاء ، قال : والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف ، وقد مر في سورة يوسف عند
٧٧ ( ) إن الحكم إلا لله عليه توكلت ( ) ٧
[يوسف : ٦٧] ما ينفع هنا .
ولما قسم الناس إلى مخالف ومؤالف ، أتبعه جزاءهم بما يرغب المؤالف ويرهب المخالف على وجه موجب للأمر بالمعروف الذي من جملته الجهاد لوجهه خالصا فقالكك) هذان (اي الساجد والجاحد من جميع الفرق) خصمان (لا يمكن منهما المسالمة الكاملة إذ كل منهما في طرف .
ولما أشار بالتثنية إلى كل فرقة منهم صارت - مع كثرتها وانتشارها باتحاد الكلمة في العقيدة - كالجسد الواحدن صرح بكثرتهم بالتعبير بالجمع فقال : (اختصموا) أي أوقعوا الخصومة بغاية الجهد ، ولما كانت الفرق المذكورة كلها مثبتة وقد جحد أكثرهم النعمة ، قال : (في ربهم) أي الذي هم بإحسانه إليهم معترفون ، لم يختصموا بسبب غيره أصلا ، وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب - الذين هم أول من برز للمخاصمة بحضرة رسول الله - صلى الله." [١]
" صفحة رقم ٣٧١
أخفافها ، من الرمض - بالتحريك ، وهو شدة الشمس على الرمل وغيره ، والرمضاء : الشديدة الحر .
ص : (١٩ - ٢٢) والطير محشورة كل. .. . .
) والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنآ إلى سوآء الصراط (( )
ولما أخبر سبحانه عن تسخير أثقل الأشياء وأثبتها له ، أتبعها أخفها وأكثرها انتقالا ، وعبر فيها بالاسم الدال على الاجتماع جملة والثبات لأنه أدل على القدرة فقال معبرا باسم الجمع دون إشارة إلى أنها في شدة الاجتماع كأنها شي واحد ، ذكر حالها في وصف صالح للواحد ، وجعله مؤنثا إشارة إلى ما تقدم من الرخاوة اللازمة للإناث المقتضية لغاية الطواعية والقبول لتصرف الأحكام : (والطير) أي سخرناها له حال كونها (محشورة) أي مجموعة إليه كرها من كل جانب دفعة واحدة - بما دل التعبير بالاسك دون الفعل وهو أدل على القدرة وهي أشذ نفرة من قومك وأعسر ضبطا وهذا كما كان الحصى يسبح في يد رسول

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٤٢/٥

الله (صلى الله عليه وسلم) ، وفي يد بعض أصحابه ، وكما تحرك الجبل فضربه برجله وقال (اسكن أحد) فسكن ، وكما حشر الدبر على رأس عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح رضي الله عنه فمنع من أخذه ليتلعب به ، فلما جاء الليل أرسل الله سيلا فاحتمله إلى حيث لم يعرف له خبر ولا وقف له على أثر)كل) أي كل واحد من الجبال والطير) له أواب) أي رجاع لأجل داود عليه السلام خاصة عن مألوفه لا **بمعنى آخر** مما ألفته ، فكلما رجع هو عن حكمه وما هو فيه من الشغل بالخلق إلى تسبيح الحق رجعت معه بذلك الجبال والطير ، وجعل الخبر مفردا إشارة إلى إلى شدة زجلها بالتأديب وعظمته ، والإفراد أيضا يفيد الحكم على كل فرد ، ولو جمع لطرقه احتمال أن الحكم على المجموع يقيد الجمع ، فكأن داود عليه السلام يفهم تسبيح الجبال والطير ، وينقاد له كل منهما إذا أمره بالتسبيح ، وكل من تحقق بحاله ساعده كل." (١)

" صفحة رقم ٣٥٤

بها ولا بشيء منها غيره أو يعذبه بشيء مثل عذاب هذه الأمم أو بغير ذلك مما له من إحاطة القدرة والعلم فلا يجد من يرد عنه شيئا منه سبحانه ، وأما الواحد الزائد فهو إشارة إلى أن المدار في ذلك الإدراك هو العقل والحواس كما أن المقصود بذلك كله واحد وهو الله تعالى ، وكل هذه الأشياء أسباب لمعرفته وأيضا فالواحد إشارة إلى أن زيادة الآلاء من فضل الله تعالى لا تنقطع كما أن الواحد الذي هو أصل العدد لا يزال ، فكلما أغنت زيادتها ابتدأ دور ثم ابتدأ دور آخر دائما أبدا ، وللتكرير نكتة أخرى بديعة جدا ، وهي تأكيد التقرير دلالة على اشتداد الغضب المقتضي لأنهى العقوبة كما أن من اشتد غضبه من إنكار شخص لشيء من قتله إذا بينه غاية البيان بأمور متنوعة وهو يتمرد ويلد بحضرتهم ، قال له : هل ظهر لك هذا ؟ فيقول ذاك المنكر : نعم ظهر لي ، فلا يريد ذلك إلا غضبا لما تقدم له من عظيم غضبه ولدده فيذكر له **معنى آخر** ثم يقول : هل ظهر لك هذا ؟ فيقول : نعم والله لا يعرج على اعترافه ذلك ويذكر له نوعا آخر ، ويقول مثل ذلك وكفاية كل نوع منها لما أريد منه من البيان ، وقال في الكشاف : فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين أدكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث عليه والبعث على ذلك كله وأن يقرع لهم العصى مرات ويقعقع لهم السن تارات ، لئلا يغلبهم السهود ويستولي عليهم حكم الغفلة ، وهكذا حكم التكريرات لتكون العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في أوان – انتهى ، ولمثل ما مضى أو قريب منه كرر التهويل بالعذاب ست مرات : أربع منها) فكيف كان

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٣٧١

عذابي ونذر (واثنان منها) فذوقوا عذابي ونذر (فهما بمنزلة واحدة من الأربع ليرجع الست إلى الخمس الدال عليها) مدكر (إشارة إلى أن الحواس الخمس كما ضربت في الجهات الست لأجل النعم التي هي جلب المصالح ضربت فيها للتذكير بدفع النقم الذي هو درأ المفاسد والتحذير منها ، ومن فوائد تكرر الست الراجعة إلى الخمس كما ضربت في الجهات الست لأجل النعم التي هي جلب المصالح ضربت فيها للتذكير بدفع النقم الي هو درأ المفاسد ولتحذير منها ، ومن فوائد تكرر الست الراجعة إلى الخمس مرتين : مرة لجلب النعم وأخرى لدفع النقم أن الحواس مكررة ظاهرا وباطنا ، فمن ذل لسانه بالقرآن ظاهرا صحت حواسه الظاهرة ونورت له الباطنة ، ومن أبى عذب بسبب الباطنة فتفسد الظاهرة ، واختير للمواعظتين عدد الست مع إرادة جماعة إلى خمسة لأن الست عدد تام وذلك لأن عدد كسورها إذا جمعت سادتها ولم تزد عنها ولم تنقص وهي النصف والثلث والسدس ، وهذا العدد مساو لدعائم الإسلام الخمس وحظيرته الجهاد التي هي." (١)

" صفحة رقم ٥٩٢

شيء من الولادة ، لأن وجوب وجوده لذاته ، فانتفى أن يساويه شيء في قوة وجوده ، فانتفى قطعا أن يساويه أحد في شيء من قوة أفعاله ، فعطف هاتين الجملتين على الجملة التي قبلها لأن الثلاث شرح الصمدية النافية لأقسم الأمثال ، فهي كالجملة الواحدة ، وقدم الظرف في الثالثة لأن المقصود الأعظم نفي المكافأة عن الذات الأعظم ، فكان أهم (وكفوا) حال من أحد .

ويجوز أن يكون (كان) ناقصة ويكون (كفوا) خبرها ، وسوغ خبريته تخصيصه ب (له) كما قالوا في (إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله) وقد وصح أن هذه السورة أعظم مبين للذات الأقسد بترتيب لا يتصور في العقل أن يكون شيء يساويه ، ولكما لا تقع في الوهم أن يكون شيء يساويها أو يساوي شيئا منها ، فأثبت أولا حقيقته المحضة وهويته بأنه هو ، لا اسم لتلك الحقيقة من حيث هي إلا ذلك ، فعلم أنه واجب الوجود لذاته لا لشيء آخر أصلا ، ثم عقب ذلك بيانا له بذكر الإلهية التي هي اقرب اللوازم لتلك الحقيقة وأشدها تعريفا .

ولما اقتضت الإلهية الوحدة لأنها عبارة عن الاستغناء المطلق واحتياج الغير إليه الاحتياج المطلق ، دل عليها بالأحد ، ودل على تحقيق معنى الإلهية والواحدة معا بالصمدية لما لها من المعنيين : وجوب الوجود بعدم الجوف وجودا أو تقديرا والسيادة المفيضة لكل وجود على كل موجود وجودا لا يشبه وجوده سبحانه

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٥٤/٧

:

(وأين الثريا من يد المتناول) (الأمر أعظم من مقالة قائل)

وبين المعنيين كليهما بعدم صحة التوليد منه وله وعدم المساوي ، فمن أول السورة إلى آخر الأسماء في بيان حقيقته سبحانه وتعالى ولوازمها الأقرب فالأقرب ووحدتها بكل اعتبار ، ومن ثم إلى آخرها في بيان أن لا مساوي له لأنه لا جنس له ولا نوع حتى يكون هو متولدا عن شيء أو يكون متولدا عنه شيء ، أو يكون شيء موازيا له في الوجود ، وبهذا القدر حصل تمام معرفة ذاته ، وأنه لا يساويه شيء في قوة وجوده فلا يساويه في تمام أفعاله بدلالة شاهد الوجود الذي كشف عنه والشهود بنصر نبيه (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يدعو أبا لهب وجميع الكافرين الشانئين وحده وهم ملء الأرض ويخبرهم مع تحاملهم كلهم عليه أنهم مغلبون ، وأنه اتاهم بالذبح لأن لمن أرسله الإحاطة الكاملة بجميع الكمال ، وقد كان الأمر كما قال (صلى الله عليه وسلم) ، فقد صدقت مقالاته ، فثبتت إلى الخلق كافة رسالاته ، وثبت مضمون جميع السورة بما ثبت من هذه الأدلة المشهورة ، والبراهين القاطعة المنصورة ، وقد ثبت أنه صمد بما دل على أحد معنييه الذي هو انتفاء الجوفية بعدم التولد ، وعلى **المعنى الآخر** الذي هو بلوغ المنتهى من السيادة بعدم المكافئ فبان أنه هو لذاته فلا إله غيره ، فانطبق آخرها على أولها ، والتحم أي التحام مفصلها." [1]

"ولم يذكر هنا ما يقى من البرد؛ لأنه قد ذكره في أول السورة، وذلك في أصول النعم؛ لأن البرد يقتل فلا يقدر أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء، بخلاف الحر فإنه أذى، لكنه لا يقتل كما يقتل البرد؛ فإن الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرهما، وأهله ـ أيضا ـ لا يحتاجون إلى وقاية كما يحتاج إليه البرد، بل أدنى وقاية تكفيهم وهم في الليل وطرفي /النهار لا يتأذون به تأذيا كثيرا، بل لا يحتاجون إليه أحيانا حاجة قوية، فجمع بينهما في قوله : ﴿ سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ [النحل : ٨١] . ولا حذف في اللفظ ولا قصور في المعنى، كما يظنه من لم يحسن حقائق معاني القرآن، بل لفظه أتم لفظ، ومعناه أكمل المعاني، فإذا كان اللباس والرياش ينزل من ظهور الأنعام، وكسوة الأنعام منزلة من الأصلاب والبطون ـ كما تقدم ـ فهو منزل من الجهتين؛ فإنه على ظهور الأنعام لا ينتفع به بنو آدم حتى ينزل .

فقد تبين أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن؛ فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها، ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في **معنى آخر** بلا بيان، وهذا لا يجوز بما ذكرنا؛ وبهذا

---

(١) نظم الدرر ـ (ـ ت: عبدالرزاق غالب (، ٨/٥٩٢

يحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله ـ تعالي ـ أنه بينه وجعله هدى للناس، وليكن هذا آخره، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .
". (١)

"مع أن اليهود كان يجب عليهم الإقرار بما لا يجب علينا الإقرار به، مثل إقرارهم بواجبات التوراة، وبمحرماتها، مثل السبت، وشحم الثرب [أي : الكرش والأمعاء] والكليتين [أي : الكرش والأمعاء] .

. ولا يجب عليهم التصديق المفصل بما لم ينزل عليهم من أسماء الله وصفاته، وصفات اليوم الآخر . ونحن يجب علينا من الإيمان بذلك مالم يجب عليهم، ويجب علينا من الإقرار بالصلوات الخمس، والزكاة المفروضة، وحج البيت، وغير ذلك مما هو داخل في إيماننا وليس داخلا في إيمانهم؛ فإن الإقرار بهذه الأشياء داخل في الإيمان باتفاق الأمة . وكذلك الإقرار بأعيان الأنبياء كان الإقرار بأعيانهم داخلا في إيمان من قبلنا، ونحن إنما يدخل في إيماننا الإقرار بهم من حيث الجملة .

والمنازعون لأهل السنة منهم من يقول : الإيمان في الشرع مبقى على ما كان عليه في اللغة، وهو التصديق،ومنهم من يقول : هو / منقول إلى معنى آخر،وهو أداء الواجبات .

وأما أهل السنة فقد يقول بعضهم : هو منقول كالأسماء الشرعية، من الصلاة، والزكاة، وقد يقول بعضهم : بل هو متروك على ما كان، وزادت عليه الشريعة أشياء . ومنهم من يقول : بل هو باق على أصله من التصديق مع دخول الأعمال فيه؛ فإن الأعمال داخلة في التصديق، فالمؤمن يصدق قوله بعمله، كما قال الحسن البصري : ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلي؛ ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) . ومنهم من يقول : ليس الإيمان في اللغة هو التصديق، بل هو الإقرار، وهو في الشرع الإقرار أيضا، والإقرار يتناول القول والعمل وليس هذا موضع بسط ذلك، فقد بسطته في غير هذا الموضع .
". (٢)

"فمن كان قد آمن بالله ورسوله، ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول، فلم يؤمن به تفصيلا؛ إما أنه لم يسمعه، أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها، أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذى يعذر به . فهذا قد جعل فيه من الإيمان بالله وبرسوله ما يوجب أن يثيبه الله عليه، وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢١٥/١

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٠٧/١

الحجة التي يكفر مخالفها .
وأيضا، فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من الخطأ في الدين ما لا يكفر مخالفة، بل ولا يفسق، بل ولا يأثم، مثل الخطأ في الفروع العملية، وإن كان بعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد أن المخطئ فيها آثم، وبعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد أن كل مجتهد فيها مصيب، فهذان القولان شاذان، ومع ذلك فلم يقل أحد بتكفير المجتهدين المتنازعين فيها، ومع ذلك فبعض هذه المسائل قد ثبت خطأ المنازع / فيها بالنصوص والإجماع القديم، مثل استحلال بعض السلف والخلف لبعض أنواع الربا، واستحلال آخرين لبعض أنواع الخمر، واستحلال آخرين للقتال في الفتنة .
وأهل السنة والجماعة متفقون على أن المعروفين بالخير، كالصحابة المعروفين، وغيرهم من أهل الجمل وصفين من الجانبين، لا يفسق أحد منهم، فضلا عن أن يكفر، حتى عدى ذلك من عداه من الفقهاء إلى سائر أهل البغى، فإنهم مع إيجابهم لقتالهم منعوا أن يحكم بفسقهم لأجل التأويل، كما يقول هؤلاء الأئمة : إن شارب النبيذ المتنازع فيه متأولا لا يجلد ولا يفسق، وقد قال تعالى : ﴿ وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ [الأنبياء : ٧٨، ٧٩] ،وقال تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ [الحشر : ٥] .
". (١)

"ولهذا قال كثير منهم ـ كأبي الحسين البصري ومن تبعه كالرازي والآمدي وابن الحاجب ـ : إن الأمة إذا اختلفت في تأويل الآية على قولين، جاز لمن بعدهم إحداث قول ثالث، بخلاف ما إذا اختلفوا في الأحكام على قولين . فجوزوا أن تكون الأمة مجتمعة على الضلال في تفسير القرآن والحديث، وأن يكون الله أنزل الآية وأراد بها معنى لم يفهمه الصحابة والتابعون، ولكن قالوا : إن الله أراد **معنى آخر**، وهم لو تصوروا هذه المقالة لم يقولوا هذا؛ فإن أصلهم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يقولون قولين كلاهما خطأ والصواب قول ثالث لم يقولوه، لكن قد اعتادوا أن يتأولوا ما خالفهم، والتأويل عندهم مقصوده بيان احتمال في لفظ الآية بجواز أن يراد ذلك المعنى بذلك اللفظ، ولم يستشعروا أن المتأول هو مبين لمراد الآية، مخبر عن الله تعالى أنه أراد هذا المعنى إذا حملها على معنى .
وكذلك إذا قالوا : يجوز أن يراد بها هذا المعنى، والأمة قبلهم لم يقولوا : أريد بها إلا هذا أو هذا، فقد

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ١/٤٢١

جوزوا أن يكون ما أراده الله لم يخبر به الأمة، وأخبرت أن مراده غير ما أراده، لكن الذي قاله هؤلاء يتمشى إذا كان التأويل أنه يجوز أن يراد هذا المعنى من غير حكم بأنه مراد، وتكون الأمة قبلهم كلها كانت جاهلة بمراد الله، ضالة عن معرفته، وانقرض عصر الصحابة والتابعين وهم لم يعلموا معنى الآية، ولكن طائفة قالت : يجوز أن يريد هذا المعنى، وطائفة قالت : يجوز أن يريد هذا المعنى، وليس فيهم من علم المراد . فجاء الثالث وقال : هاهنا معنى يجوز أن يكون هو المراد . فإذا كانت الأمة من الجهل بمعاني القرآن والضلال عن مراد الرب بهذه الحال توجه ما قالوه، وبسط هذا له موضع آخر .

والمقصود أن كثيرا من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لا على القرآن، ولا على الإيمان الذي جاء به الرسول، بخلاف السلف؛ فلهذا كان السلف أكمل علما وإيمانا، وخطؤهم أخف، وصوابهم أكثر كما قدمناه .

". (١)

"وهذا مثل لفظ [المركب] و [الجسم] و [المتحيز] و [الجوهر] و [الجهة] و [العرض] ونحو ذلك، ولفظ [الحيز] ونحو ذلك، فإن هذه الألفاظ، لا توجد في الكتاب والسنة بالمعنى الذي يريده أهل هذا الاصطلاح، بل ولا في اللغة أيضا، بل هم يختصون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعاني بهذه الألفاظ، فيفسر تلك المعاني بعبارات أخرى، ويبطل ما دل عليه القرآن بالأدلة العقلية والسمعية، وإذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل، وعرف وجه الكلام على أدلتهم، فإنها ملفقة من مقدمات مشتركة، يأخذون اللفظ المشترك في إحدى المقدمتين بمعنى، وفي المقدمة الأخرى **بمعنى آخر**، فهو في صورة اللفظ دليل، وفي المعنى ليس بدليل، كمن يقول : سهيل بعيد من الثريا، لا يجوز أن يقترن بها، ولا يتزوجها، والذي قال :

أيها المنكح الثريا سهيلا

أراد امرأة اسمها الثريا، ورجلا اسمه سهيل . ثم قال :

عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ** وسهيل إذا استقل يمان

وهذا لفظ مشترك، فجعل يعجبه، وإنكاره من الظاهر من جهة اللفظ المشترك، وقد بسط الكلام على أدلتهم المفصلة في غير موضع .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٥١

والأصل الذي بني عليه نفاة الصفات وعطلوا ما عطلوه حتى صار منتهاهم إلى قول فرعون الذي جحد الخالق، وكذب رسوله موسي في أن الله كلمه، هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الأجسام محدثة، واستدلالهم على ذلك بأنها لا تخلو من الحوادث، ولم تسبقها، وما لم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث، وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والأئمة على ذمهم، وأصل قول المتكلمين الذين أطبقوا على ذمهم، وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والأئمة في ذم الجهمية، وفي ذم هؤلاء المتكلمين .

". (١)

"فصل

الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وذلك صنفان :

أحدهما : أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير **المعنى الآخر** مع اتحاد المسمى . بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة . كما قيل في اسم السيف : الصارم والمهند، وذلك مثل أسماء الله الحسنى،وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم وأسماء القرآن،فإن أسماء الله كلها تدل على مسمى واحد، فليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضادا لدعائه باسم آخر، بل الأمر كما قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

وكل اسم من أسمائه يدل على الذات المسماة، وعلى الصفة التي تضمنها الاسم، كالعليم يدل على الذات والعلم، والقديır يدل على الذات والقدرة، والرحيم يدل على الذات والرحمة . ومن أنكر دلالة أسمائه على صفاته ممن يدعي الظاهر، فقوله من جنس قول غلاة الباطنية القرامطة الذين يقولون : لا يقال : هو حي، ولا ليس بحي، بل ينفون عنه النقيضين؛ فإن أولئك القرامطة الباطنية لا ينكرون اسما هو علم محض كالمضمرات، وإنما ينكرون ما في أسمائه الحسنى من صفات الإثبات، فمن وافقهم على مقصودهم كان مع دعواه الغلو في الظاهر موافقا لغلاة الباطنية في ذلك، وليس هذا موضع بسط ذلك .

وإنما المقصود أن كل اسم من أسمائه يدل على ذاته، وعلى ما في الاسم من صفاته، ويدل أيضا على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم، وكذلك أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، مثل محمد، وأحمد،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/١٢٤

والماحي، والحاشر، والعاقب . وكذلك أسماء القرآن : مثل القرآن، والفرقان، والهدى، والشفاء، والبيان، والكتاب، وأمثال ذلك .." (١)

"فهذه خمسة أوجه تستفاد من الآية لمن هو مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها **المعنى الآخر**، وهو إقبال المرء على مصلحة نفسه علما وعملا، وإعراضه عما لا يعنيه، كما قال صاحب الشريعة : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) ، ولاسيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه،لاسيما إن كان التكلم لحسد أو رئاسة .

وكذلك العمل، فصاحبه إما معتد ظالم، وإما سفيه عابث، وما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، ويكون من باب الظلم والعدوان .

فتأمل الآية فى هذه الأمور من أنفع الأشياء للمرء، وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة ـ علمائها وعبادها وأمرائها ورؤسائها ـ وجدت أكثره من هذا الضرب الذي هو البغي بتأويل أو بغير تأويل، كما بغت الجهمية على المستنة فى محنة الصفات والقرآن؛ محنة أحمد وغيره ، وكما بغت الرافضة على المستنة مرات متعددة، وكما بغت الناصبة على علي وأهل بيته، وكما قد تبغى المشبهة على المنزهة، وكما قد يبغى بعض المستنة إما على بعضهم وإما على نوع من المبتدعة، بزيادة على ما أمر الله به، وهو الإسراف المذكور فى قولهم : ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ﴾ [آل عمران : ١٤٧] .

وبإزاء هذا العدوان تقصير آخرين فيما أمروا به من الحق، أو فيما أمروا به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فى هذه الأمور كلها، فما أحسن ما قال بعض السلف : ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين ـ لا يبالي بأيهما ظفر ـ غلو أو تقصير .

فالمعين على الإثم والعدوان بإزائه تارك الإعانة على البر والتقوى، وفاعل المأمور به وزيادة منهى عنها بإزائه تارك المنهى عنه وبعض المأمور به، والله يهدينا الصراط المستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله :

فصل

." (٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢/٢٨٧

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣/٢١٣

"وأما قوله تعالى : ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ [الروم : ٤٩] ، فهى من أشكل ما أورد، ومما أعضل على الناس فهمها، فقال كثير من أهل الإعراب والتفسير : إنه على التكرير المحض والتأكيد، قال الزمخشرى : ﴿ من قبله ﴾ من باب التوكيد، كقوله تعالى : ﴿ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ﴾ [الحشر : ١٧] ، ومعنى التوكيد فيه : الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم، وتمادى إبلاسهم، فكان الاستبشار بذلك على قدر اهتمامهم بذلك . هذا كلامه . وقد اشتمل على دعويين باطلتين :

إحداهما : قوله : إنه من باب التكرير .

والثانية : تمثيله ذلك بقوله تعالى : ﴿ فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ﴾ [الحشر : ١٧] ، فإن [فى] الأولى على حد قولك : زيد فى الدار، أى : حاصل أو كائن، وأما الثانية : فمعمولة للخلود وهو معنى آخر غير معنى مجرد الكون، فلما اختلف العاملان ذكر الحرفين، فلو اقتصر على أحدهما كان من باب الحذف لدلالة الآخر عليه، ومثل هذا لا يقال له تكرار، ونظير هذا أن تقول : زيد فى الدار نائم فيها، أو ساكن فيها، ونحوه مما هو جملتان مقيدتان بمعنيين .

وأما قوله : ﴿ من قبل أن ينزل عليهم من قبله ﴾ ، فليس من التكرار بل تحته معنى دقيق، والمعنى فيه : وإن كانوا من قبل أن ينزل / عليهم الودق من قبل هذا النزول لمبلسين، فهنا قبلتان : قبلية لنزوله مطلقا، وقبلية لذلك النزول المعين ألا يكون متقدما على ذلك الوقت، فيئسوا قبل نزوله يأسن : يأسا لعدمه مرئيا، ويأسا لتأخره عن وقته، فقبل الأولى ظرف لليأس، وقبل الثانية ظرف المجىء والإنزال .

ففى الآية ظرفان معمولان، وفعلان مختلفان عاملان فيهما، وهما الإنزال والإبلاس، فأحد الظرفين متعلق بالإبلاس، والثانى متعلق بالنزول؛ وتمثيل هذا : أن تقول . إذا كنت معتادا للعطاء من شخص فتأخر عن ذلك الوقت ثم أتاك به : قد كنت آيسا .." (١)

"وهو – سبحانه – قد ذكر أن المظهرين للإيمان ما كان ليدعهم حتى يميز الخبيث من الطيب ويمتحنهم، كما قال تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على مآ أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، وقال : ﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾ [التوبة : ١٦] ، وقال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٣٨/٣

الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة : ٢١٤] ، وأمثال ذلك .

/ فكذلك الذين كفروا، لم يكن ليتركهم حتى يبعث إليهم الرسول بالآيات البينات . فهذا معنى قوله : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ﴾ [البينة : ١] . وهم إذا جاءتهم البينة، م نهم من يؤمن، ومنهم من يكفر .

وإذا قيل : إن الآية تتضمن بعد ذلك **المعنى الآخر**، وهو أنهم لم يكونوا ليهتدوا ويعرفوا الحق ويؤمنوا حتى تأتيهم البينة؛ إذ لا طريق لهم إلى معرفة الحق إلا برسول يأتي من الله . أيضا، أو لم يكونوا منتهين متعظين – وإن عرفوا الحق – حتى يأتيهم من الله من يذكرهم، فهذا المعنى لا يناقض ذاك .

بخلاف قول من قال : لم يكن المشركون وأهل الكتاب تاركين لمعرفة محمد ولذكره، ولم يكونوا متفرقين فيه، بل متفقين على الإيمان به، حتى جاءتهم البينة، فتركوا الإيمان به وتفرقوا . فإن هذا غير مراد قطعا . ". (١)

"فإنه إذا انتصب بهذا المعنى، امتنع **المعنى الآخر** .

ومن رجح الأول من النحاة ـ كالزجاج وغيره ـ قالوا : القصص مصدر، يقال : قص أثره يقصه قصصا، ومنه قوله تعالى : ﴿ فارتدا على آثارهما قصصا ﴾ [الكهف : ٦٤] . وكذلك اقتص أثره وتقصص، وقد اقتصصت الحديث : رويته على وجهه، وقد اقتص عليه الخبر قصصا . وليس القصص ـ بالفتح ـ جمع قصة كما يظنه بعض العامة، فإن ذلك يقال في قصص ـ بالكسر ـ واحده قصة، والقصة : هي الأمر والحديث الذي يقص، فعلة بمعنى مفعول، وجمعه قصص بالكسر . وقوله : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ [يوسف : ٣] بالفتح لم يقل : أحسن القصص بالكسر، ولكن/بعض الناس ظنوا أن المراد : أحسن القصص بالكسر، وأن تلك القصة قصة يوسف، وذكر هذا طائفة من المفسرين .

ثم ذكروا : لم سميت أحسن القصص ؟ فقيل : لأنه ليس في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة . وقيل : لامتداد الأوقات بين مبتداها ومنتهاها . وقيل : لحسن محاورة يوسف وإخوته، وصبره على أذاهم، وإغضائه عن ذكر ما تعاطوه عند اللقاء، وكرمه في العفو . وقيل : لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والإنس والجن، والأنعام والطير، وسير الملوك والمماليك، والتجار، والعلماء والجهال، والرجال والنساء ومكرهن وحيلهن، وفيها أيضا ذكر التوحيد والفقه والسير، وتعبير الرؤيا والسياسة، والمعاشرة وتدبير المعاش، فصارت أحسن القصص؛ لما فيها من المعاني والفوائد

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/٤٤٣

التي تصلح للدين والدنيا . وقيل فيها : ذكر الحبيب والمحبوب . وقيل : [أحسن] بمعنى : أعجب . (١) ".

"ونكتة الأمر : أن الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الأجسام، ويستلزم أن يكون مركبا من الجواهر الفردة، أو من المادة والصورة، وأكثر العقلاء يخالفونه في هذا التلازم، وهذا التلازم منتف باتفاق الفريقين، وهو المطلوب .

فإذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفي عن الله شرعا وعقلا؛ بقي بحثهم في الجسم الاصطلاحى : هل هو مستلزم لهذا المحذور ؟ وهو بحث عقلى، كبحث الناس في الأعراض : هل تبقي أو لا تبقي ؟ وهذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين، بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر من السلف بلفظ الجسم في حق الله ـ تعالى ـ لا نفيا ولا إثباتا، فليس لأحد أن يبتدع اسما مجملا يحتمل معاني مختلفة، لم ينطق به الشرع ويعلق به دين المسلمين، ولو كان قد نطق باللغة العربية، فكيف إذا /أحدث للفظ **معنى آخر** ؟ !

والمعنى الذي يقصده إذا كان حقا عبر عنه بالعبارة التي لا لبس فيها، فإذا كان معتقده أن الأجسام متماثلة، وأن الله ليس كمثله شيء، وهو ـ سبحانه ـ لا سمى له، ولا كفو له، ولا ند له، فهذه عبارات القرآن تؤدى هذا المعنى بلا تلبيس ولا نزاع، وإن كان معتقده أن الأجسام غير متماثلة، وأن كل ما يرى وتقوم به الصفات فهو جسم، فإن عليه أن يثبت ما أثبته الله ورسوله من علمه وقدرته وسائر صفاته، كقوله : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقوله : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، وقوله ـ عليه السلام ـ في حديث الاستخارة : (اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك) . وقوله في الحديث الآخر : (اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق) . ويقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنكم ترون ربكم يوم القيامة عيانا كما ترون الشمس والقمر لا تضامون في رؤيته) فشبه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي كالمرئي .

فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى الصحيح بلا تلبيس ولا نزاع بين أهل السنة ـ المتبعين للكتاب والسنة وأقوال الصحابة ـ ثم بعد هذا من كان قد تبين له معنى من جهة العقل أنه لازم للحق لم يدفعه عن عقله، فلازم الحق حق، لكن ذلك المعنى لابد أن يدل /الشرع عليه فيبينه بالألفاظ الشرعية، وإن قدر أن

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٣/٥

الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده، وحينئذ فليس لأحد أن يدعو الناس إليه، وإن قدر أنه في نفسه حق .." (١)

"ولهذا صارت متشابهة، فإن الذي معه شركاء يقول : فعلنا نحن كذا، وإنا نفعل نحن كذا، وهذا ممتنع في حق الله ـ تعالى ـ والذي له مماليك ومطيعون يطيعونه ـ كالملك ـ يقول : فعلنا كذا، أي : أنا/فعلت بأهل ملكى وملكى، وكل ما سوى الله مخلوق له مملوك له، وهو ـ سبحانه ـ يدبر أمر العالم بنفسه، وملائكته التي هي رسله في خلقه وأمره، وهو ـ سبحانه ـ أحق من قال : إنا ونحن بهذا الاعتبار، فإن ما سواه ليس له ملك تام، ولا أمر مطاع طاعة تامة، فهو المستحق أن يقول : [إنا] ، و [نحن] ، والملوك لهم شبه بهذا، فصار فيه ـ أيضا ـ من المتشابه **معنى آخر**، ولكن الذي ينسب لله من هذا الاختصاص لا يماثله فيه شيء، وتأويل ذلك معرفة ملائكته وصفاتهم وأقدارهم، وكيف يدبر بهم أمر السماء والأرض، وقد قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [المدثر : ٣١] ، فهذا التأويل لهذا المتشابه لا يعلمه إلا هو، وإن عِلمنا تفسيره ومعناه، لكن لم نعلم تأويله الواقع في الخارج، بخلاف قوله : ﴿ الله الذي خلق ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، فإنها آية محكمة ليس فيها تشابه، فإن هذا الاسم مختص بالله، ليس مثل [إنا] و [نحن] التي تقال لمن له شركاء، ولمن له أعوان يحتاج إليهم، والله ـ تعالى ـ منزه عن هذا وهذا، كما قال : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾ [سبأ : ٢٢] ، وقال : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴾ [الإسراء : ١١١] ، فالمعنى الذي يراد به هذا في حق المخلوقين لا يجوز أن يكون نظيره ثابتا لله؛ فلهذا صار متشابها .
". (٢)

"ص : ١٩٥

يريد : أنهم كانوا لا ينسبونك إلى الكذب ولا يعرفونك به ، فلما جئتهم بآيات الله ، جحدوها ، وهم يعلمون أنك صادق.

والجحد يكون ممن علم الشيء فأنكره ، بقول الله عز وجل : وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا [النمل : ١٤].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٢٠/٥

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٧٥/٥

في سورة النساء

وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا (٨) وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (٩) [النساء : ٨ ، ٩].

فيه قولان :

أحدهما أن تكون القسمة : الوصية. يقول : إذا حضرها أقرباؤكم الذين لا يرثونكم ، والمساكين ، واليتامى – فاجعلوا لهم فيها حظا ، وألينوا لهم القول. وليخش من حضر الوصية ، وهو لو كان له ولد صغار خاف عليهم بعده الضيعة – أن يأمر الموصي بالإسراف فيما يعطيه اليتامى والمساكين وأقاربه الذين لا يرثون فيكون قد أمره بما لم يكن يفعله لو كان هو الميت. وهو معنى قول سعيد بن جبير وقتادة.

قال «قتادة» : إذا حضرت وصية ميت فمره بما كنت آمرا به نفسك ، وخف على ورثته ما كنت خائفا على ضعفة أولادك لو تركتهم بعدك.

والقول الآخر : أن تكون القسمة : قسمة الورثة الميراث بعد وفاة الرجل. يقول :

فإذا حضرها الأقارب واليتامى والمساكين ، فارضخوا «١» لهم وعدوهم. ثم استأنف **معنى آخر** فقال : وليخش من لو ترك ولدا صغارا خاف عليهم الضيعة ، فليحسن إلى من كفله من اليتامى ، وليفعل بهم ما يجب أن يفعل بولده من بعده. وهو معنى قول ابن عباس في رواية أبي صالح عنه.

في سورة البقرة

أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت [البقرة : ٢٦٦].

---

(١) فارضخوا لهم : أي أعطوهم عطية قليلة. والرضخ : العطية القليلة.." [١]

"ص : ٢٢٨

وتفصيلا منا لكل شيء وهدى ورحمة.

وقد يكون أن تجعل (الذي) بمعنى (ما) أي آتينا موسى الكتاب تماما على أحسن من العلم والحكمة وكتب الله المتقدمة. وأراد بقوله : تماما على ذلك ، أي زيادة على ذلك.

والتأويل الأول أعجب إلي ، لأنه في مصحف عبد الله : تماما على الذين أحسنوا. وفي هذا ما دل على

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/١٩٥

ذلك التأويل.

وقد ينصرف أيضا إلى **معنى آخر** ، كأنه قال : آتيناه الكتاب إتماما منا للإحسان على من أحسن.

في سورة المائدة

إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٣٣) [المائدة : ٣٣].

المحاربون لله ورسوله : هم الخارجون على الإمام وعلى جماعة المسلمين ، يخيفون السبل ، ويسعون في الأرض بالفساد. وهم ثلاثة أصناف :

رجل قتل النفس ولم يأخذ مالا.

ورجل قتل النفس وأخذ المال.

ورجل أخذ المال ولم يقتل النفس.

فإذا قدر الإمام عليهم فإن بعضهم يقول : هو مخير في هذه العقوبات ، بأيها شاء عاقب كل صنف منهم.

وكان بعضهم يجعل لكل صنف منهم حدا لا يتجاوزه إلى غيره :

فمن قتل النفس ولم يأخذ المال قتل ، لأن النفس بالنفس.

ومن قتل وأخذ المال : صلب إلى أن يموت ، فكان الشهر له بالصلب جزاء له بأخذه المال ، وقتله جزاء له بقتله للنفس.

ومن أصاب المال ولم يقتل ، فإن شاء الإمام قطع يده اليمنى جزاء بالسرق ، ورجله اليسرى جزاء بالخروج والمجاهرة بالفساد. وإن شاء نفاه من الأرض.." (١)

"**معنى آخر** لآية: (ما ضربوه لك إلا جدلا)

وقال بعض العلماء: الفاعل المحذوف في قوله: ((ولما ضرب ابن مريم مثلا)) هو عامة قريش؛ لأن كفار قريش لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يذكر عيسى، وسمعوا قول الله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران:٥٩] قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تريد بذكر عيسى إلا أن نعبدك، كما عبد النصارى عيسى! وعلى هذا القول فمعنى قوله: ((ما ضربوه لك إلا جدلا)) أي: ما ضربوا لك هذا المثل إلا لأجل الخصومة بالباطل، مع أنهم يعلمون أنك لا ترضى أن

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٢٢٨

تعبد بوجه من الوجوه.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾ [آل عمران:٦٤] هذه الآية وإن كانت من القرآن المدني النازل بعد الهجرة إلا أن معناها: أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكررها عليهم كثيرا قبل الهجرة.

فالإشارة هنا إلى أن هذا المعنى كان ثابتا عندهم وإن لم يكن قد نزل في ذلك نص هذه الآية من سورة آل عمران.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [آل عمران:٨٠]، ولا شك أن كفار قريش متيقنون أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام في مكة قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة لا يدعو إلا إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

فادعاؤهم أنه يريد أن يعبدوه افتراء منهم، وهم يعلمون أنهم مجادلون في ذلك.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ((أآلهتنا خير أم هو))، التحقيق أن الضمير في قوله: ((هو)) راجع إلى عيسى، لا إلى محمد عليهما الصلاة والسلام.

قال بعض العلماء: ومرادهم بالاستفهام تفضيل معبوداتهم على عيسى.

قيل: لأنهم يتخذون الملائكة آلهة، والملائكة أفضل عندهم من عيسى، وعلى هذا فمرادهم أن عيسى عبد من دون الله، ولم يكن ذلك سببا لكونه في النار، ومعبوداتنا خير من عيسى، فكيف تزعم أنهم في النار؟

وقال بعض العلماء: أرادوا تفضيل عيسى على آلهتهم، والمعنى أنهم يقولون: عيسى خير من آلهتنا في زعمك، وأنت تزعم أنه في النار بمقتضى عموم ما تتلوه من قوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء:٩٨]، وعيسى قد عبده النصارى من دون الله، فدلالة قولك على أن عيسى في النار مع اعترافك بخلاف ذلك يدل على أن ما تقوله من أننا وآلهتنا في النار ليس بحق أيضا.

وقوله تعالى: ((بل هم قوم خصمون)) أي: لد مبالغون في الخصومة بالباطل، كما قال تعالى: ﴿وتنذر به قوما لدا﴾ [مريم:٩٧]، أي: شديدي الخصومة، وقال تعالى: ﴿وهو ألد الخصام﴾ [البقرة:٢٠٤]؛ لأن وزن فعل كالخصم من صيغ المبالغة، قال عليه الصلاة والسلام: (إن أبغض الرجال عند الله الألد الخصم).

وقد علمت مما ذكرنا أن قوله تعالى: ((ولما ضرب ابن مريم مثلا)) إنما بينته الآيات التي ذكرنا بيان سببها، ومعلوم أن الآية قد يتضح معناها ببيان سببها، فعلى القول الأول أنهم ضربوا عيسى مثلا لأصنامهم في دخول النار، فإن ذلك المثل يفهم من أن سبب نزول الآية قوله تعالى قبلها: ﴿إنكم وما تعبدون من دون

الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء:٩٨]؛ لأنها لما نزلت قالوا: إن عيسى عبد من دون الله كآلهتهم، فهم بالنسبة لما دلت عليه سواء، وقد علمت بطلان هذا مما ذكرناه آنفا، وعلى القول الثاني: أنهم ضربوا عيسى مثلا لمحمد عليه الصلاة والسلام في أن عيسى قد عبد، وأنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يعبد كما عبد عيسى. فكون سبب ذلك سماعهم لقوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ [آل عمران:٥٩].

وسماعهم للآيات المكية النازلة في شأن عيسى يوضح المراد بالمثل.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ثم إلى ربكم ترجعون)

قال الله عز وجل: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون﴾ [الجاثية:١٤].

(قل للذين آمنوا)، أي: صدقوا بالله واتبعوه.

(يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) قيل: لا يرجون ثوابه، أو لا يخافون بأس الله ونقمته، على أن الرجاء يأتي أحيانا بمعنى الخوف، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ [نوح:١٣] أي: لا تخافون له عظمة.

وقيل: معنى: (يغفروا للذين لا يرجون أيام الله)، أي: لا يخشون مثل العذاب الذي نزل بالأمم الخالية، والأيام يعبر بها عن الوقائع والأحداث.

وقيل: لا يأملون نصر الله لأوليائه وإيقاعه بأعدائه.

وقيل: لا يخافون البعث والنشور.

يقول القاسمي رحمه الله تعالى: (قل للذين آمنوا)، أي: صدقوا بالله واتبعوه.

(يغفروا للذين لا يرجون أيام الله)، أي: لا يخافون بأس الله ونقمه ووقائعه بأعدائه في الأمم الخالية.

(ليجزي قوما بما كانوا يكسبون)، أي: من عملهم، ومنه العفو والتجاوز عن بعض ما يؤذي ويوحش، فيجزي المؤمنين على صبرهم على أذى المشركين الذي أخبرهم الله سبحانه وتعالى به في قوله: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ [آل عمران:١٨٦]، فهذا أمر بالصبر والتجاوز والعفو عن بعض ما يؤذي وما يوحش، أي: سوف تجزون على ذلك: ﴿ليجزي قوما بما كانوا يكسبون﴾ [الجاثية:١٤].

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٢٤/١٠٣

وقد روي أنها نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار، فهم أن يبطش به، فنزلت هذه الآية.

قال ابن العربي: هذا لم يصح من حيث السبب.

وقيل: إنها نزلت في غزوة بني المصطلق لما أرسل عمر من سقى وجمع الماء، واستوفى الماء، فقيل لبعض المشركين: إن المسلمين هم الذين أخذوا هذا الماء، فقال: ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك! فبلغ ذلك عمر رضي الله تعالى عنه فاخترط سيفه وأراد قتله، فنزلت هذه الآية.

وقيل: نزلت في فنحاص اليهودي، فإنه عندما نزل قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا﴾ [البقرة:٢٤٥] قال قولته الشنيعة، ونسب الله سبحانه وتعالى إلى الحاجة والعوز.

وإذا قيل: إن الآية نزلت في كذا، فلا يشترط أن يكون بالفعل هو سبب النزول الذي نزلت الآية من أجله؛ لأن هذه الوقائع كلها بعد الهجرة.

هذا السبب هو الذي جعل البعض يقول: إن هذه السورة مكية إلا هذه الآية، بناء على ما روي فيها من أسباب النزول، ولكن السبب لم يصح، وحتى لو ثبت فلا يستلزم ذلك كونها مدنية، فنزولها في عمر -إن صح ذلك- إنما يعني ذلك أنها تصدق على قضيته، فالمعنى: أن هذه الآية الكريمة تصدق على المناسبة الفلانية، حتى ولو لم يكن نزل فيها بالفعل، وقد سبق التنبيه على هذا.

يقول: وقد روي أنه١ا نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار، فهم أن يبطش به، فتكون الآية المدنية.

قيل: يؤيده ما أورد على كونها مكية، من أن من أسلم بها كانوا مقهورين، فلا يمكنهم الانتصار منهم، والعاجز لا يؤمر بالعفو والصفح، أي: أن البعض استدل على كون هذه الآية مدنية بالأخبار التي أشرنا إليها، وهي لا يصح منها شيء، فأيدوا ذلك **بمعنى آخر**، فقالوا: إن العفو لا يؤمر الإنسان به إلا إذا كان عن قدرة وتمكن من التنفيذ، فكونها مكية، والمؤمنون في مكة كانوا مستضعفين؛ قد يتعارض مع قوله تعالى: ((يغفروا للذين لا يرجون أيام الله))، فالعاجز لا يؤمر بالعفو والصفح؛ لأنه مقهور لا يمكنه أصلا الانتصار ممن يؤذيه، فيتعين أن تكون هذه الآية مدنية.

وأجيب: بأن المراد أنه يفعل ذلك بينه وبين الله في قلبه ليثاب عليه، حتى لو كان مقهورا، فهو يشكو إلى الله سبحانه وتعالى ليثاب على ذلك، مع العلم أنه ليس كل أحد من المؤمنين الموجودين في مكة كانوا مقهورين مغلوبين، بل كان منهم من يستطيع الانتصار لنفسه، وأولهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

فالصواب: أن الآية مكية مثل بقية السورة، ومعنى نزولها في عمر -إن صح الأثر- صدقها على قضيته، والاستشهاد بها لسماحه كما حققنا المراد من النزول غير ما مرة.

ثم قال تعالى: ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ [الجاثية:١٥] لكونه فكها من العذاب.

﴿ومن أساء فعليها﴾ [الجاثية:١٥] أي: أساء عمله بمعصية ربه، فعلى نفسه جنى؛ لأنه أوبقها بذلك.

﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ [الجاثية:١٥] أي: تصيرون، فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.." (١)

"حجية العمل بالسنة

قال تبارك وتعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ [البقرة:١٤٣].

قبل أن نستطرد في شرح هذه الآية، هل في هذه الآية دليل على حجية السنة من القرآن؟ قد نسمع بعض الضالين المنحرفين يقولون: لا حجة إلا في القرآن، ونحن لا نعترف بالسنة! فإذا أردت أن تفحمهم، وتقيم عليهم دليلا من القرآن نفسه، لو كانوا قرآنيين فعلا ويحترمون القرآن لالتزموا بهذا الدليل من القرآن، هل هذه الآية تثبت حجية الرسول عليه الصلاة والسلام؟ قوله تعالى: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) جعلنا، النون تعود على الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على أن القبلة الأولى هل كانت بشرع الله أم بشرع الرسول عليه الصلاة والسلام؟ الرسول إذا شرع فإنما يشرع بإذن الله، لكنها ثبتت **بمعنى آخر** عن الله سبحانه وتعالى، فالذي أمر باستقبال البيت هو الله، ومن الذي أمر باستقبال بيت المقدس في أول الأمر؟ هل يوجد في القرآن دليل أو أمر يقول للمسلمين: استقبلوا بيت المقدس في الصلاة؟ أين هذا الدليل؟ الدليل على أن المسلمين كان عليهم أن يستقبلوا بيت المقدس في الصلاة لا نجده في القرآن الكريم، وإنما نجده فقط في سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يقول: (وما جعلنا) فمن الذي جعل؟ هو الله، جعله في السنة؛ لأن السنة وحي مثل القرآن، فهذا من أوضح الأدلة الموجودة في القرآن -وما أكثرها- على حجية سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) يعني كما هديناكم إلى قبلة هي أوسط القبل وأفضلها جعلناكم أمة وسطا، يعني عدولا خيارا، كما قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران:١١٠] خيارا

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٠٧/٨

عدولا، كقوله تعالى: ﴿قال أوسطهم﴾ [القلم:٢٨] يعني: أعدلهم وأفضلهم، ويقول زهير: هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) تعليل للجعل المنوه به الذي تمت المنة به عليهم، أي: ما جعلناكم أمة وسطا إلا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (واصبر لحكم ربك فإن بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

قال تبارك وتعالى: ﴿واصبر لحكم ربك﴾ [الطور:٤٨] أي: الذي حكم به عليك وامض لأمره ونهيه وبلغ رسالاته.

﴿فإنك بأعيننا﴾ [الطور:٤٨] قال ابن جرير: أي: بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين.

وقال الشهاب: يعني: أن العين لما كان بها الحفظ والحراسة استعيرت لذلك وللحافظ نفسه، فالحافظ نفسه يسمى عينا، والحارس يسمى عينا، وتسمية الحافظ عينا هو استعمال فصيح مشهور.

والله عز وجل جمع العين هنا فقال: (فإنك بأعيننا) وأفردها في قصة الكليم موسى في قوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه:٣٩]، فأفردها في قصة الكليم عليه السلام، وجمعها هنا فقال: (فإنك بأعيننا)، وأضافها إلى ضمير الجمع؛ وذلك لأن الآية هنا مضافة إلى ضمير الجمع: ((فإنك بأعيننا))، فناسب أن تأتي أيضا مجموعة.

ولما كانت في قوله: ﴿ولتصنع على عيني﴾ مضافة إلى ضمير الواحد ناسب أن تكون واحدة.

ويوجد **معنى آخر** ونكتة أخرى لهذا الجمع هنا، يقول الشهاب: ونكتة جمع العين هنا وإفرادها في قصة الكليم عدا أنه جمع هنا لما أضيف لضمير الجمع، ووحد ثمة عند إضافته لضمير الواحد؛ هو المبالغة في الحفظ، حتى كأن معه جماعة حفظة له بأعينهم.

إذا: النكتة هي: بيان المبالغة في حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كأن معه جماعة حفظة له بأعينهم، لأن المقصود: تصبير حبيبه على المكايد ومشاق التكاليف والطاعة، فناسب الجمع؛ لأن أفعال الطاعة التي يمتثلها الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة، ويحتاج كل منها إلى حارس بل حراس، بخلاف ما ذكر هناك من حفظه لموسى عليه السلام في قوله: ﴿ولتصنع على عيني﴾.." (٢)

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٧/١١

(٢) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٩/١٤٤

"تفسير قوله تعالى: (فتول عنهم يوم عسر)

يقول تبارك وتعالى: ﴿فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر * مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ [القمر:٦ - ٨].

((فتول عنهم)): هذا وقف التمام، يعني: هذا تمام الكلام المتصل بما مضى، فيقرأ المرء: ﴿حكمة بالغة فما تغن النذر﴾ [القمر:٥] * ((فتول عنهم))، ثم يبتدئ الكلام: ﴿يوم يدع الداع إلى شيء نكر﴾ [القمر:٦].

أو يكون الكلام متصلا، ويكون المعنى كما سنبين إن شاء الله تعالى.

فقوله عز وجل هنا: ((فتول عنهم)) أي: اصفح عن أذاهم، وانتظر ما يأتيهم من الوعيد الشديد.

ثم بين هذا اليوم الذي يلقون فيه الوعيد الشديد بقوله: ((يوم يدع الداع إلى شيء نكر))، وكما ذكرنا إما أن نقف وقفا تاما: ((فتول عنهم))، ثم نبتدئ: ((يوم يدع الداع إلى شيء نكر))، يعني: يخرجون من الأجداث ﴿يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعا أبصارهم)) [القمر:٦ - ٧] فتكون: (يوم) منصوبة بقوله تعالى: ((يخرجون من الأجداث))، أو تكون منصوبة بفعل تقديره: واذكر يوم يدع الداع إلى شيء نكر.

أما إذا قلنا: إنه لا وقف بعد قوله: ((فتول عنهم)) فيكون المعنى: أعرض عنهم يوم القيامة، ولا تسأل عنهم ولا عن أحوالهم، فإنهم يدعون إلى شيء نكر، وينالهم عذاب شديد، كما تقول لمن أخبرته بأمر عظيم وقع وجرى لشخص: لا تسأل عما جرى لفلان، لأنه أمر عظيم فظيع، فهذا نفس المعنى هنا: ((فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر)) يعني: أعرض عنهم يوم القيامة ولا تسأل عنهم ولا عن أحوالهم؛ فإن البلاء الذي يكونون فيه عظيم.

((يوم يدع الداع))، أي: داعي الله إلى موقف القيامة.

أو الداعي الذي يأمره الله سبحانه وتعالى أن يدعوهم إلى الحضور في موقف القيامة، وهذا الداعي هو ملك.

وقيل الداعي هو إسرافيل يدعوهم بالنفخة الثانية.

أو الداعي هو الله سبحانه وتعالى كقوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾ [البقرة:١١٧]، فإذا دعاهم فإنهم يخرجون من الأجداث.

((إلى شيء نكر))، أي: شيء فظيع تنكره النفوس إعظاما له، وهو موقف الحساب، وليس معنى تنكره النفوس أنهم يجحدونه ويكذبون به ساعتها، إنما تنكره النفوس من شدة إعظامهم لهذا الموقف، وهو موقف

الحساب والجزاء والبلاء.
((خشعا أبصارهم)) [القمر:٧]، من الذل والصغار، وهذا حالهم حينما يدعون إلى موقف القيامة أو حينما يخرجون من الأجداث.
يقال: خشع بصره إذا غض طرفه.
ونلاحظ هنا أنه أضاف الخشوع إلى الأبصار؛ لأن أثر العز والذل يتبين في عين الإنسان، وهذا محمل دقيق، وهو أن عامة أحوال الإنسان تظهر في عينيه، فالعين تظهر ما يخفيه الإنسان من الشعور بالعز أو بالانكسار أو بالذل أو بالفرح والسرور، فالعين آية من آيات الله سبحانه وتعالى تكشف عما في باطن الإنسان، وعن أحواله النفسيه الدفينة أو الكامنة في نفسه، فلهذا كان للنظر إلى العين أثر مهم جدا في انعكاسه على من يحادثه الإنسان وينظر إليه، ولذلك يقولون: إذا أردت أن تعرف صدق الشخص وهو يحدثك بحديث فانظر إلى عينيه، فإنه يظهر على عينيه الاضطراب إذا كان كاذبا فيما يقول.
هذا فيما يتعلق بإضافة الخشوع إلى الأبصار؛ لأن أثر العز والذل يتبين في عين الإنسان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿أبصارها خاشعة﴾ [النازعات:٩]، وقال عز وجل أيضا: ﴿خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي﴾ [الشورى:٤٥].
((يخرجون من الأجداث)) يعني: من قبورهم، جمع جدث، ((يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر)) [القمر:٧] شبههم في الكثرة والتموج والانتشار بالجراد، والجراد مثل في الكثرة، فإذا أردت أن تشبه شيئا وأن تصفه بالكثرة الكاثرة فإنك تشبهه بالجراد، لأن أسراب الجراد إذا هاجمت الحقول والمزارع فإنها تكون كثيرة جدا.
والسر -والله أعلم- في تشبيههم بالجراد كما قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى أن الجراد لا جهة له يقصدها، فهو أبدا مختلط بعضه في بعض، فهم يخرجون فزعين ليس لأحد منهم جهة يقصدها.
وبين الإمام القرطبي رحمه الله تعالى هنا **معنى آخر**: وهو أنه ربط بين قوله عز وجل: ((يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر)) [القمر:٧] وبين قوله تعالى: ﴿مهطعين إلى الداع﴾ [القمر:٨]، أما قوله عز وجل: ((مهطعين)) فمعناه: مسرعين مادي أعناقهم إليه، بمعنى: أنهم شبهوا أولا بالجراد عند خروجهم من القبور، ليس لأحد منهم جهة يقصدها، ثم بعد ذلك تكون حال أخرى.
إذا: هما صفتان في وقتين مختلفين: الوقت الأول: عند الخروج من الأجداث.
الوقت الثاني: حينما يدعوهم الداعي إلى موقف الحساب وهو موقف القيامة، فحينئذ يحددون جهة الداعي

ويسرعون نحوه ((مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر)) [القمر:٨].
فقوله تبارك وتعالى هنا: ((خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر))، كقول الله تبارك وتعالى: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ [القارعة:٤].
(يوم عسر) لشدة أهواله.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر)

قال تبارك وتعالى: ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾ [القمر:١٠ - ١٤].

((فدعا ربه))، يعني: فدعا عليهم نوح ربه، ((أني مغلوب))، أنهم غلبوني بتمردهم، ((فانتصر)).

يقول القاسمي: ((فدعا ربه أني مغلوب))، أي: غلبني قومي تمردا وعتوا فلم يسمعوا مني، واستحكم اليأس منهم؛ لأنهم جيل وراء جيل، وقرن وراء قرن، ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، وما يأتي جيل إلا ويكون كافرا كالذي قبله، حينئذ دعا عليهم نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: (فاستحكم اليأس منهم، فانتقم منهم بعذاب ترسله عليهم).

فمعنى قوله تعالى: ((فانتصر))، يعني: فانتقم لي ممن كذبني.

((ففتحنا))، هذه إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى استجاب دعاء نبيه نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالطوفان الذي هلكوا فيه.

ونجد المفسرين لدقتهم في الفهم يقدرون هنا كلاما تدل عليه المواضع الأخرى التي ذكرت قصة نوح، فيقولون: ((فدعا ربه أني مغلوب فانتصر))، فأجبنا دعاءه، وهذه دل عليها قوله في سورة الأنبياء: ((ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له)) [الأنبياء:٧٦].

((فدعا ربه أني مغلوب فانتصر)) [القمر:١٠]، فأجبنا دعاءه وأمرناه باتخاذ السفينة؛ لأن الأمر باتخاذ السفينة كان قبل الطوفان.

((ففتحنا))، وفي قراءة ابن عامر: ((ففتحنا)) بالتشديد ((بماء منهمر)) [القمر:١١]، أي: متدفق، والماء المنهمر هو الكثير السريع الانصباب، فشبه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت لها أبواب السماء، وشق لها أديم الخضراء، يقول الشاعر: أعيني جودا بالدموع الهوامر على خير باد من معد وحاضر

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٢/١٤٨

(أعيني جودا بالدموع الهوامر) يعني: الغزار الكثيرة.

() وفجرنا الأرض عيونا)) [القمر:١٢]، أي: وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر، ((فالتقى الماء))، أي: ماء السماء وماء الأرض، ماء من السماء كثير وسريع الانصباب، وماء ينبع ويتفجر من الأرض، ((على أمر قد قدر)) [القمر:١٢]، أي: على حال قدره الله وقضاه في اللوح المحفوظ، وهذا الأمر هو هلاك قوم نوح وغرقهم.

وقيل: ((على أمر قد قدر)) [القمر:١٢]، يعني: كان قدر ماء السماء كقدر ماء الأرض بعلم الله سبحانه وتعالى، أي: أن هذا الماء الذي نبع من الأرض وتفجر منها هو في كمه يساوي نفس كم الماء الذي نزل من السماء.

لكن القول الأول أقرب.

وقال محمد بن كعب القرظي مشيرا إلى أن كل شيء إنما يجري بقضاء الله سبحانه وتعالى وقدره: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القدر قبل البلاء.

ثم تلا هذه الآية: ((فالتقى الماء على أمر قد قدر)) [القمر:١٢].

فهذا نوع من الاستشهاد بالآية على **معنى آخر**، وهو أن كل شيء سبق قضاء الله سبحانه وتعالى به؛ وقوله: (كانت الأقوات قبل الأجساد)، يعني: قبل أن يخلق الله النفس يكون قد كتب لها رزقها وقوتها الذي تقتاته.

(وكان القدر قبل البلاء)، ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ [الحديد:٢٢]، كونها تقع على وفق علمه السابق وتقديره السابق فهذا أمر يسير جدا في حق الله سبحانه وتعالى، ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة:٢٠]، فهذا مما يدل على عظم وعموم قدرته تبارك وتعالى.

((وحملناه)) يعني: وحملناه على سفينة ((ذات ألواح ودسر))، وهذا من بديع الكلام، حيث أقيمت صفاتها مقامها، لتأديتها مؤداها؛ لأن هذا الوصف يؤدي المعنى.

((وحملناه على ذات ألواح ودسر))، يعني: على السفينة، وألواحها: خشباتها العريضة التي منها جمعت، أما (الدسر) فجمع دسار ك (حمار) و (حمر)، أما إذا قلنا: إن (دسر) جمع دسر فتكون ك (سقف) و (سقف)، وهي أضلاع السفينة، أو حبالها التي تشد فيها، أو مساميرها، ف (الدسر) المسامير والحبال التي تشد بها الألواح.

هناك قول آخر في (الدسر): إن الدسر هو صدر السفينة؛ لأنه يدسر الماء، أي: يشق الماء ويدفعه إلى الأمام، عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن زكاة العنبر، فقال: إنما هو شيء دسره البحر)، رواه الإمام أحمد، يعني: قذفه أو دفعه البحر.

((تجري بأعيننا))، أي: بمرأى منا، أي: بحفظ الله عز وجل وعنايته، ((تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر))، من هو الذي كان كفر؟ إما أنه الله سبحانه وتعالى، فيكون المعنى: جزاء لمن كفر به، وهو الله عز وجل. أو جزاء لمن كان كفر به، وهو نوح عليه السلام، وما جاء به نوح.

فهذا هنا من الكفر الذي هو ضد الإيمان.

قال بعض المفسرين: قوله تبارك وتعالى: ((جزاء لمن كان كفر)) (من) هنا تكون بمعنى (ما) أي: جزاء لما كان كفر من نعم الله عند الذين أغرقهم؛ لأن (من) قد تأتي بمعنى (ما).

وقد قرأها قتادة: ((جزاء لمن كان كفر))، أي: لمن كان كفر بالله.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (كذبت ثمود من الكذاب الأشر)

قال تعالى: ﴿كذبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر * أؤلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر﴾ [القمر:٢٣ - ٢٦].

يحتمل أن يكون (النذر) هنا بمعنى الإنذار، أو جمع نذير، أي الرسل، وإنما جمع لأن من كذب نبيا واحدا فقد كذب كل الرسل، فلذلك قال: ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾.

وهذا على القول بأن (النذر) جمع نذير، أما (النذر) بمعنى الإنذار، فيكون المعنى: كذبت ثمود بما أنذرهم به نبيهم صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

((فقالوا أبشرا)) يعني: أنتبع بشرا ((منا واحدا نتبعه إنا إذا))، إذا اتبعناه، ((لفي ضلال))، أي: خطأ وذهاب عن الصواب، ((وسعر)) أي: جنون أو عناء، فهو اسم مفرد.

وقيل: ((وسعر)): جمع سعير، كأنهم رتبوا على اتباعهم إياه ما رتبه على عدم اتباعهم له.

قال الزمخشري: قالوا: ((أبشرا)): إنكارا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية، قالوها إنكارا، يعني: هل يصلح أن نتبع بشرا مثلنا من جنس البشر؟! وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة، وقالوا: ((منا)) لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى، ((واحدا)) قالوها إنكارا لأن تتبع الأمة رجلا واحدا، أو أرادوا واحدا من أبنائهم من أشرافهم وأفاضلهم، ويدل على هذا قولهم: ﴿أؤلقي الذكر عليه من بيننا﴾

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٤/١٤٨

[القمر:٢٥]، يقصدون بذلك ازدراء نبي الله صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

((أؤلقي الذكر)) يعني: الوحي، ﴿أؤلقي الذكر عليه من بيننا﴾، أي: وفينا من هو أحق بها؛ لكونه أعز مالا ونفرا، فكأنهم يقصدون: كيف خص من بيننا بالنبوة والوحي وفينا من هو أكثر منه مالا وأعز نفرا؟ ((بل هو كذاب أشر))، أي: متكبر حمله كبره وفخره بنفسه على أن يطلب منا أن نتبعه ونكون أتباعا له.

وقيل: إن معنى (الأشر) المرح المتكبر، أو البطر.

وقيل: إن الأشر المتعدي إلى منزلة لا يستحقها.

وقيل: الذي يقول كلاما ولا يبالي ما قال.

وأما قوله: ((إنا إذا لفي ضلال وسعر)) كما قلنا: قيل إن (السعر) هو الجنون، إذا قلنا: إنها كلمة مفردة، تقول العرب: ناقة مسعورة، كأنها مجنونة من النشاط.

وهناك **معنى آخر** لـ (سعر) مفردا، أي: شقاء وعناء لأجل ما يلزمنا من طاعته، رتب على طاعتنا إياه تكاليف وأوامر ونواه وهكذا.

((سيعلمون غدا))، أي: عند نزول العذاب بهم، أو يوم القيامة.

((من الكذاب الأشر)) أي: من المتكبر عن الحق البطر له.

وقوله تعالى هنا: ((سيعلمون غدا)) هو على التقريب وليس على التحديد، فليس هو اليوم الثاني مباشرة، بل استعملت هنا على عادة العرب أو على عادة الناس في قولهم للعواقب: غدا، على سبيل التقريب، وتقول العرب في الكلام عن عواقب الأمور: إن مع اليوم غدا، يعني: هناك عاقبة لهذا اليوم، وقال الشاعر: من لم يكن ميتا في اليوم مات غدا (مات غدا) يعني: في المستقبل، وليس المقصود أنه يموت بالفعل في الغد. ولذلك فسره المفسرون بقولهم: وذلك عند نزول العذاب بهم، أو يوم القيامة، فأطلق عليه (غدا) مع أنه بعيد نسبيا عن الأيام التي كانوا فيها.." [١]

"معاني اسمي الله عز وجل (الظاهر والباطن)

قال تعالى: ﴿والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد:٣].

الظهر لغة: خلاف البطن، والظاهر: خلاف الباطن، يقال: ظهر يظهر ظهورا فهو ظاهر وظهير.

والظهير: المعين، ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم:٤].

وبعير ظهير بين الظهارة، إذا كان شديدا قويا، ومن استعمال الظهير بمعنى المعين قول الله تبارك وتعالى:

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٩/١٤٨

﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ [الفرقان:٥٥].

وقد سبق أن تكلمنا في تفسير سورة الفرقان، وقلنا: إن معناها وكان الكافر معينا للشيطان وحزبه من الكفرة على عداوة الله ورسله ليقاتل به -أي: الكافر- في سبيل الشيطان أولياء الله الذين يقاتلون في سبيل الله تبارك وتعالى.

وتقول: ظهرت البيت، أي: علوته، وظهرت على الرجل، أي: غلبته، وأظهرت بفلان، أي: أعليت به، والظهر من الأرض ما غلظ وارتفع، والبطن ما لان منها وسهل ورق واطمأن، وظهر الشيء ظهورا: تبين، وأظهرت الشيء: بينته.

وورد هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم مرة واحدة في هذه الآية في سورة الحديد: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد:٣].

أما معنى هذا الاسم الشريف في حق الله تبارك وتعالى فقال الفراء: الظاهر على كل شيء علما، وكذلك الباطن على كل شيء علما.

وقال ابن جرير: يقول تعالى: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه تبارك وتعالى.

إذا: هذا أحد معاني الاسم الكريم الظاهر حينما يطلق في حق الله تبارك وتعالى، فالظاهر معناه: أنه ظاهر على كل شيء علما، يعلم كل شيء تبارك وتعالى، وكذلك الباطن على كل شيء علما، أو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه، وهذا مثل اسمه تبارك وتعالى الأعلى، فهو سبحانه الأعلى على كل شيء، فله الفوقية المطلقة بكل معانيها.

وهناك **معنى آخر**: أن الظاهر هو الذي ظهر للعقول بحججه وبراهين وجوده وأدلة وحدانيته عز وجل، هذا إذا أخذته من الظهور.

وإن أخذته من قول العرب: ظهر فلان فوق السطح إذا علا، ومنه قول الشاعر: وتلك شكاة ظاهر عنك عارها فالظاهر أيضا أنه يثبت لله سبحانه وتعالى صفة الظهور بمعنى العلو، فالله عز وجل يثبت له العلو المطلق من جميع الوجوه، سواء كان علو الذات، أو علو القدر، أو علو الصفات، أو علو القهر.

وقال الزجاج: الباطن: اسم الفاعل من بطن، وهو باطن إذا كان غير ظاهر، والظاهر: خلاف الباطن، فالله سبحانه وتعالى ظاهر باطن، هو باطن لأنه غير مشاهد كما تشاهد الأشياء المخلوقة.

فهو ظاهر بالدلائل الدالة عليه، وبأفعاله المؤدية إلى العلم به ومعرفته، فهو ظاهر مدرك بالعقول والدلائل،

وباطن غير مشاهد كسائر الأشياء المشاهدة في الدنيا، عز وجل عن ذلك وتعالى علوا كبيرا.

ويجوز في اللغة أن يكون الباطن العالم بما بطن، أي: بما خفي، كقولك: بطن بفلان، أي: خص به، فعرف باطن أمره، وهؤلاء بطانة فلان، أي: خاصته، فالبطانة هي التي تكون قريبة جدا من الإنسان، فبطانة الإنسان من الرفقاء أو الأصدقاء هو القريب منه بحيث يعرف ما خفي من أسراره.

فالباطن هو العالم بما بطن، يعني: بما خفي.

والظاهر هو القوي، كقولك: ظهر فلان بأمره فهو ظاهر عليه، يعني: قوي عليه، وتقول: جمل ظهير أي: قوي كبير.

وقال الأصمعي: يقال: ظاهر فلان فلانا على فلان، إذا مالأه عليه.

وقال الخطابي: هو الظاهر بحججه الباهرة، وبراهينه النيرة، وبشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته، ويكون الظاهر فوق كل شيء بقدرته.

فيكون الظهور بمعنى العلو، ويكون أيضا بمعنى الغلبة.

وأما اسمه جل وعلا الباطن، فكما أشرنا آنفا أن البطن خلاف الظهر، وهو مذكر وتأنيثه لغة، وبطانة الثوب: خلاف ظهارته، والبطنان: جمع البطن وهو الغامض من الأرض، وبطنان الجنة: وسطها، وبطنت الوادي: دخلته، وبطنت هذا الأمر: عرفت باطنه، وبطنت بفلان: صرت من خواصه، وبطانة الرجل: وليجته، وأبطنت الرجل: إذا جعلته من خواصك.

واسم الباطن ورد مرة واحدة في هذه الآية الكريمة في سورة الحديد.

أما معنى هذا الاسم الشريف من أسماء الله بجانب ما ذكرناه آنفا، فيقول ابن جرير: هو الباطن لجميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، يعني: أن الله سبحانه وتعالى قريب إلى كل شيء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق:١٦].

وقال الزجاج: الباطن هو: العالم ببطانة الشيء، يقال: بطنت فلانا وخبرته، إذا عرفته ظاهرا وباطنا، فعلى هذا المعنى يكون الله تعالى عالما ببواطن الأمور وظواهرها، فهو ذو الظاهر وذو الباطن، يعني: يعلم ما ظهر وما خفي.

وقال الخطابي: الباطن هو: المحتجب عن أبصار الخلق، وهو الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية، فمن أصداء اسم الله سبحانه وتعالى الباطن أن تعرف أنه محتجب عن أبصار الخلق، فبالتالي لا يمكن أبدا أن يتوهم أو يتخيل كيف هو.

وقد يكون معنى الظهور والبطون: احتجابه عن أبصار الناظرين وتجليه لبصائر المتفكرين.
كما ذكر نفس الكلام لكن بعبارة أخرى: أنه سبحانه وتعالى باطن؛ لأنه محتجب عن أبصار الخلق، فهم لا يرونه، فلذلك هو باطن، وهو ظاهر؛ لأنه ظاهر بالأدلة على وجوده ووحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته، فهو ظاهر لبصائر وعقول المتفكرين، وهو باطن عن عيون المبصرين، فلا يراه عز وجل أحد في هذه الدنيا.
فيكون المعنى: هو العالم بما ظهر من الأمور والمطلع على ما بطن من الغيوب.
وقال الحليمي: الباطن: الذي لا يحس، وإنما يدرك بآثاره وأفعاله عز وجل.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (انظرونا نقتبس من نوركم)

((يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم)).
أي: نصب من نوركم، يقال: اقتبس، إذا: أخذ قبسا وهو الشعلة، وقوله: ((انظرونا))، بمعنى: انظروا إلينا على الحذف والإيصال؛ لأنكم إذا نظرتم إلينا سوف نتمكن من أن نقتبس من نوركم ونصيب منه، والنظر بمعنى الرؤية يتعدى بإلى، فإن أريد التأمل تعدى بفي، وقولهم ذلك إنما هو حينما يساق المؤمنون إلى الجنة زمرا، والمنافقون في العرصات شاخصون إليهم، أو حينما يشرفون من الغرف على المنافقين وهم في ضوضائهم وجلبتهم في جهنم والعياذ بالله، كما قال تعالى: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ [الأعراف:٥٠]، فإما أن يحصل هذا عند نهاية الموقف وحينما يساق المؤمنون زمرا: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا﴾ [الزمر:٧٣]، فحينئذ يقول المنافقون والمنافقات: ((انظرونا نقتبس من نوركم)) أي: انظروا إلينا لعلنا نقتبس شعلة من نوركم، أو أنهم يقولون ذلك حينما يراهم المؤمنون ويطلعون عليهم من غرف الجنة، فإن هذا من تمام نعيم أهل الجنة؛ لأنهم عانوا في الدنيا، وكان هؤلاء الناس يؤذونهم ويفتنونهم عن دينهم، وكانوا يغيظونهم ويسخرون منهم، فالجزاء أن الله سبحانه وتعالى يجعل العاقبة للمتقين ومن تمام نعيمهم في الجنة أنهم يتمكنون من رؤية أصحاب جهنم والعياذ بالله.
وإذا استطاع الإنسان أن ينقل الصور عن طريق الأجهزة السمعية والبصرية والتلفزيون في الدنيا، أفلا يتمكن الخالق العظيم سبحانه وتعالى من هذا؟ إن الله على كل شيء قدير، فهم في الجنة ينظرون إلى أهل النار بل ويخاطبونهم، ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ [الأعراف:٥٠].

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١١/١٥٥

تفسير آخر لقوله تعالى: ((انظرونا نقتبس من نوركم)): ((انظرونا))، بمعنى: انتظرونا، وهو الذي عول عليه ابن جرير، والمراد حينئذ من الانتظار للاقتباس هو رجاء شفاعتهم لهم أو دخولهم الجنة معهم طمعا في غير مطمع، يقولون لهم ذلك حينما يسرع بهم إلى الجنة، فهؤلاء يقولون: انظرونا نقتبس من نوركم؛ لأن المنافقين يحاولون بكل وسيلة في الآخرة للنجاة، لكنهم يطمعون فيما لا مطمع فيه وفيما لا رجاء فيه، ولذلك يجتهدون حيلهم في التخلص مما هم فيه حتى بالقسم الكاذب، كما في سورة الأنعام: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام:٢٣]، فهم يقولون: إذا كان الحلف الكاذب قد ينجينا فلماذا لا نحاول؟ ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام:٢٣]، وهذا فيه اتهام للملائكة بأنها كتبت عليهم أشياء ما عملوها وافتروا عليهم، فلذلك يستنطق الله سبحانه وتعالى جوارحهم ويجعل أنفسهم شهداء عليهم، كما جاء في الأحاديث والقرآن الكريم.

إذا: فهناك **معنى آخر** لقوله: (انظرونا) بمعنى انتظرونا نقتبس من نوركم.." [(١)]

"تفسير قوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين فأولئك هم الظالمون)

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة:٨ - ٩].

قال بعض العلماء في تفسير: (المقسطين) هنا: إنه مأخوذ من القسط وهو العدل، أي: إن الله يحب أن يحكم بين الناس بالعدل، إلا أن الإمام ابن العربي رحمه الله تعالى فسرها **بمعنى آخر**، فقال: أن تعطوهم قسطا من أموالكم على وجه الصلة خاصة، إذ تضمن ذلك سبب نزول هذه الآيات، وهو مجيء قتيلة أم أسماء راغبة في صلتها.

فالله سبحانه وتعالى يقول: ((لا ينهاكم الله)) عن الكفار، ((الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم)) مع أن هناك كفارا هم من أعداء الله، لكن الكفار نوعان: كافر منشغل بحاله، ويمكن أن يحصل نوع من حسن الخلق معه كما بينا، وكافر يحارب الله والرسول والإسلام، ويقاتل المسلمين، فهذا محارب لا يدخل في هذا القسم، إنما تتناول هذه الآية الكافر الذي تنتفي عنه صفة العداوة، فيجوز الإحسان إليه والبر والصلة، فقوله تعالى: ((أن تبروهم وتقسطوا إليهم)) أي: تعطوهم قسطا أي: نصيبا من أموالكم على وجه صلة الرحم، أو الإحسان، وليس المقصود بها أن تعدلوا، فإن العدل واجب

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٦/١٥٧

فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل، فلا يختص بأناس دون أناس، كما قال الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة:٨] فيجب العدل حتى مع الكافر.

وهناك مواقف كثيرة جدا في التاريخ الإسلامي تبين عدل المسلمين، فما ملكت أمة قط وحققت العدل كما حققه المسلمون، فالعدل واجب فيمن قاتل، وواجب أيضا فيمن لم يقاتل، لذلك جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ [البقرة:١٩٠] أي: ولا تظلموا.

وقد دخل ذمي على إسماعيل بن إسحاق القاضي فأكرمه، فأخذ عليه الحاضرون ذلك، فتلا عليهم هذه الآية: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ [الممتحنة:٨] أي: أن هذا ذمي وليس محاربا، ثم بين الله من الذين ينهانا عن فعل ذلك معهم فقال: ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة:٩].

فهذا ترخيص من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين، ولم يقاتلوهم، فهو في المعنى تخصيص لقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة:١] فقوله هنا: ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين)) أي: من أهل مكة ((ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم)) وذلك بالبر والإحسان إليهم.

فهذا القدر من الموالاة -إن سميناه موالاة- من الإحسان إليهم، والصلة بالمال أو بنحو ذلك، وحسن الخلق، هذا لا حرج فيه، بل مأمور به في حقهم، والخطاب وإن كان في مشركي مكة إلا أن العبرة بعموم لفظه، وقد حاول بعض المفسرين تخصيصه، فرد ذلك الإمام ابن جرير بقوله: والصواب قول من قال: عنى بقوله تعالى: ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين)) من جميع أصناف الملل والأديان أيا كان، أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، فإن الله عز وجل عم بقوله: ((الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم)) وهذه صيغة عموم عم بذلك جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضا دون بعض.

ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ -أي: أن بعض الناس قالوا: إن هذه الآية نسخت بآية السيف- لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب، غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورات لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح.

ومما يوضح المعنى الذي نقصده أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: (قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدت -تعني: في فترة صلح الحديبية- فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم، صلي أمك) ويفهم من بعض الروايات أن قولها: (أفأصلها؟) تعني: هل أعطيها مالا وغيره، ويحتمل أن المعنى: أصلها بقبول ما جاءت به معها من هدايا.

وهذا الحديث رواه أحمد والشيخان، وفيه قول النبي عليه الصلاة والسلام: (نعم، صلي أمك).

وعن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قتيلة -وهي: بنت عبد العزى - على ابنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بهدايا: ضباب وأقط وسمن، وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها، وتدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ [الممتحنة:٨]، فأمرها أن تقبل هديتها، وأن تدخلها بيتها.

وقال الرازي: قوله تعالى: ((أن تبروهم)) بدل من: (الذين لم يقاتلوكم)، وكذلك قوله: ((أن تولوهم)) بدل من قوله: (الذين قاتلوكم)، والمعنى: لا ينهاكم عن بر هؤلاء، وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء، وهناك فرق بين البر وبين التولي والموالاة، فالموالاة للكافر لا تحل بحال من الأحوال، كما قال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ [آل عمران:٢٨]، وقوله: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ [المجادلة:٢٢] وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ [المائدة:٥١] إلى آخر الآيات.

فالموالاة التي هي بمعنى المحبة القلبية لا تكون على الإطلاق بين مسلم وكافر، فيقول: والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء، وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء، وهذا رحمة لهم لشدتهم في العداوة.

وهذه الآية تدل على جواز البر بين المسلمين والمشركين الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وإن كانت الموالاة منقطعة، لكن البر والإحسان جائز.." (١)

"معنى قوله: (ثم يتوبون من قريب)

(ثم يتوبون من قريب) يعني: من زمان قريب، وظاهر الآية اشتراك وقوع التوبة عقب المعصية بلا تراخ، يعني: أن التوبة من أي معصية واجبة على الفور لا على التراخي.

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٢/١٦٨

وهذا ما عبر عنه ابن القيم في كتابه الرائع (مدارج السالكين) الجزء الأول حينما قال: تأخير التوبة أو تسويف التوبة ذنب يجب التوبة منه.

تأخير التوبة في حد ذاته ذنب، يجب التوبة منه على الفور، فكذلك هنا قوله: (ثم يتوبون من قريب) يعني: يجب أن يسارع إلى التوبة مباشرة بعد المعصية، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده.

فإذا كانت التوبة من زمان قريب فهي بذلك تنال درجة قبولها المحتم تفضلا، إذ بتأخير التوبة وتسويفها يدخل في زمرة المصرين.

فيكون في الآية إرشاد إلى المبادرة بالتوبة عقب الذنب، والإنابة إلى المولى بعده فورا.

ووجوب التوبة على الفور مما لا يستراب فيه، إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من صميم الإيمان، وهو واجب على الفور، أما ما ذكره كثير من المفسرين من أن المراد من قوله تعالى: (من قريب) يعني: ما قبل حضور الموت فهو بعيد من لفظ الآية وسرها التي أرشدت إليه.

فهنا القاسمي رحمه الله تعالى يذهب إلى مرجوحية القول بأن قوله تعالى: ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ يعني: من زمن قريب من زمن المعصية، يعني: أنه يبادر فورا إلى التوبة؛ لأنه إذا سوف التوبة وأخرها فهذا معناه أنه داخل في زمرة الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون.

يقول: إنما ذكره كثير من المفسرين من أن المراد من قوله تعالى: (من قريب) ما قبل حضور الموت فهو بعيد من لفظ الآية وسرها التي أرشدت إليه، وإنما تعني: المبادرة إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عياذا بالله تعالى، لكن هل **المعنى الآخر** هو أن التوبة تقبل ما لم يغرغر العبد؟ هل هذا المعنى صحيح أم غير صحيح؟ قطعا هو صحيح، لكن نقول: لا يصح الاستدلال بهذه الآية على قبول التوبة قبل حضور الأجل وبالحديث الذي فيه: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) الحديث دليل واضح في المسألة، وكذلك بهذه الآية التي تلي السابقة مباشرة وهي قوله تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ [النساء:١٨].

قلنا: يستفاد من الآية السابقة، ومن الأحاديث الوافرة في ذلك، لا من قوله تعالى: (من قريب)؛ وذلك لأن الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾، صريحة بأن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة، فبقي ما وراءه في حيز القبول، كل ما قبل حضور الموت داخل في حيز قبول التوبة، أما إذا حضر الموت فليست هناك توبة؛ فقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يقبل

توبة العبد ما لم يغرغر).
وروى أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: (من تاب قبل موته بعام تيب عليه، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه قال أيوب فقلت له: إنما قال عز وجل: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾، فقال: إنما أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم).
وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)، أجل التوبة في عمر الدنيا كلها تنتهي بطلوع الشمس من مغربها، ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ [الأنعام:١٥٨]، يغلق باب التوبة إذا طلعت الشمس من مغربها، فهذا في حق عمر الدنيا كلها، أما في حق عمر كل إنسان فالتوبة تقبل ما لم يغرغر، وهي واجبة عليه بمجرد الوقوع في المعصية، لا يجوز له تأخيرها وتسويفها؛ لأن تسويفها ذنب جديد، بل يجب المبادرة إلى التوبة.
وروى الحاكم مرفوعا: (من تاب إلى الله قبل أن يغرغر قبل الله منه).
وروى ابن ماجة عن ابن مسعود بإسناد حسن: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له).
(فأولئك يتوب الله عليهم) أي: يقبل توبتهم.
(وكان الله عليما حكيما).." (١)

"مفهوم التوسل والوسيلة ومعناها في كتاب ابن تيمية
يقول شيخ الإسلام بعد مقدمات: إن لفظ الوسيلة والتوسل فيه إجمال واشتباه، يجب أن تعرف معانيه ويعطى كل ذي حق حقه.
فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك، ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه.
فإن الاضطرابات التي تحدث للناس في هذا الباب هي بسبب ما وقع من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها، حتى تجد أن أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب.
فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة:٣٥]، وفي قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٨/٣١

تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ [الإسراء:٥٦ - ٥٧].

فالوسيلة التي أمر الله بأن تبتغى إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب إليه من الواجبات والمستحبات.

يعني أن الوسيلة هي القربة، والقربات على نوعين: إما واجبات وإما مستحبات.

فالوسيلة هي ما يتقرب به إلى الله من الواجبات أو المستحبات.

فهذه هي الوسيلة التي أمر الله تعالى المؤمنين بابتغائها، تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك، فلا يدخل في الوسيلة ما كان مكروها أو محرما أو مباحا.

فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم فأمر به أمر إيجاب واستحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هي التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك، ولا يقربك إلى الله إلا هذه الوسيلة، فقوله تعالى: (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) يعني: تقربوا إلى الله بما شرعه، وما شرعه الله وأمر به لا يكون إلا واجبا أو مستحبا، فلا يمكن التقرب إلى الله بالحرام ولا بالمكروه، والمباح إذا بقي في حد الإباحة لا يعتبر قربى.

وما هو أعظم وسيلة على الإطلاق يتقرب به إلى الله؟ إنه الإيمان والتوحيد، فهو أعظم وسيلة، فقوله تعالى: (وابتغوا إليه الوسيلة) يعني: بالإيمان، وما بعد الإيمان تكاليفه كالصلاة والزكاة وغير ذلك.

وقد جاء لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة).

وقوله: (من قال حين يسمع النداء: اللهم! رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة! آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة).

فهذه الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة، وأخبرنا أنها لا تكون إلا لعبد واحد من عباد الله، وهو -صلى الله عليه وسلم- يرجو أن يكون ذلك العبد، وأخبرنا أن من سأل الله له الوسيلة فقد حلت له الشفاعة يوم القيامة؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فمن دعا للنبي صلى الله عليه وسلم استحق أن يدعو هو له، وأن يشفع له؛ فإن الشفاعة نوع من الدعاء، كما قال: (إنه من

صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا).

صلى الله عليه وسلم.

إذا: فقوله تعالى: (وابتغوا إليه الوسيلة) يعني: تقربوا إليه بالواجبات أو المستحبات، ولا يوجد **معنى آخر** للوسيلة في القرآن غير هذا.

وكذلك الوسيلة في السنة جاءت على اعتبار أن الوسيلة منزلة في الجنة، ودرجة عالية لا ينالها إلا عبد، وهو الرسول صلى الله عليه سولم إن شاء الله، وأمرنا أن ندعو له بذلك.

يقول شيخ الإسلام: وأما التوسل بالنبي عليه الصلاة و السلام، والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء)

قال تعالى: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾ [الأعراف:٤٠].

((لا تفتح لهم)) أي: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله، أي لا يقبل ذلك منهم؛ لأنه ليس صالحا ولا طيبا، ومن شرط العمل الصالح أن يبنى على الإيمان، وأن يقتدى فيه بالرسول عليه السلام، وأن يراد به وجه الله، وما علق على أكثر من شرط لا يتحقق بشرط واحد، بل لابد أن تجتمع فيه كل الشروط، وإلا عدم الفعل.

فالعمل الصالح الذي يقبله الله لابد أن يكون صاحبه أولا موحدا: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ [النحل:٩٧]، فلابد أن يكون موحدا، ثم لابد أن يكون مخلصا خاليا من الرياء.

والثالث: لابد أن يكون عمله موافقا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)، فلا يرفع هذا العمل إلى السماء؛ لأن الله قال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر:١٠] قال ابن عباس: أي لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء.

أو أن المعنى: لا تنزل عليهم البركة والرحمة ولا يغاثون؛ لأنه أجرى العادة بإنزال الرحمة من السماء، كما في قوله: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ [القمر:١١].

أو المعنى: لا يؤذن لهم في صعود السماء، ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة.

على ما روي أن الجنة في السماء.

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٠/٤١

أو المعنى: لا تفتح لأرواحهم إذا ماتوا أبواب السماء كما تفتح لأرواح المؤمنين، وقد ورد في ذلك حديث طويل عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه.

والشاهد منه أنه ذكر في قبض روح الفاجر: (وأنه يصعد بها إلى السماء، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه فيأتون بها إلى السماء فيستفتحون فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تفتح لهم أبواب السماء))) إلى آخر الآية، فكون السماء لها أبواب وأن هذه الأبواب تفتح للدعاء الصالح وللأعمال الصالحة أو للأرواح وارد في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فلا حاجة إلى تأويلها ولا ينبغي أبدا أن يؤول قوله تعالى: ((لا تفتح لهم أبواب السماء)) بل يقال: هي أبواب حقيقية تفتح كما ذكرنا.

كذلك التضعيف في قوله: ((تفتح)) ليس لتكثير الفعل وإنما هو لتكثير المفعول مناسبة للمقام، كذلك قرئ بالتخفيف في: (تفتح)، وبالياء: (يفتح)، وقرئ على البناء للفاعل ونصب الأبواب يعني: لا يفتح الله لهم.

وقوله: ((ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)) هذا من باب تعليق الأمر على شيء مستحيل، كأن تقول مثلا: أزورك عندما يشيب الغراب، والغراب لا يشيب.

((حتى يلج الجمل)) يعني: يدخل الجمل ((في سم الخياط)) يعني: في ثقب الإبرة، وهل من الممكن أن يمر الجمل من ثقب الإبرة؟! هذا غير ممكن، فكذلك دخولهم الجنة غير ممكن؛ لأنه علق على شيء لا يقع.

وقد قرأ الجمهور: ((الجمل)) بفتح الجيم والميم: وفسروه بأنه الجمل المعروف، وهو البعير، قال الفراء: الجمل زوج الناقة، وقال شمر: البكر والبكرة بمنزلة الغلام والجارية، والجمل والناقة بمنزلة الرجل والمرأة، وقرئ في الشواذ: (الجمل)، كسكر، و (الجمل) كسرر، و (الجمل) كقفل، و (الجمل) كعنق.

والجمل كسكر هو حبل غليظ جدا من الحبال التي يستعملها الملاحون، فهذه الحبال الكثيفة في السفينة لا يمكن أن تمر من ثقب الإبرة، لكن هذه القراءة الأخيرة شاذة.

وقال أبو البقاء: يقرأ في الشاذ بسكون الميم الجمل، والأحسن أن يكون لغة؛ لأن تخفيف المفتوح ضعيف، ويقرأ بضم الجيم وفتح الميم وتشديدها الذي هو: الجمل وهو: الحبل الغليظ، وهو جمع مثل: صوم وقوم، ويقرأ بضم الجيم والميم مع التخفيف وهو جمع مثل: أسد وأسد، ويقرأ كذلك بها إلا أن الميم ساكنة.

وذكر الكواشي أن القراءات المذكورة لغات في البعير ما عدا جملا كسكر وجملا كقفل، ونوقش في ذلك.

قال الزمخشري: وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن الله سبحانه وتعالى أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل، لأن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة، والبعير لا يناسبه.

إلا أن قراءة العامة التي هي (الجمل) أوقع؛ لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك، والمقصود من ثقب الإبرة مجرد التشبيه، يقال: أضيق من خرق الإبرة، وقالوا للدليل الماهر الذي يكون خبيرا بالطرق والدروب والمسالك في الصحراء (خريت) لأنهم إذا أرادوا أن يمروا في المضايق والطرق الملتوية أو غير المعلومة يبدأ هو أولا ثم يقود من معه، فقالوا للدليل الماهر (خريت) للابتداء به في المضايق المشبهة بأخراق الإبر.

والجمل مثل في عظم الجرم وعظم الجسم، وسم الإبرة مثل في ضيق المسلك، كما يقول حسان بن ثابت: لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير وفي رواية أخرى في الديوان: (جسم البغال وأحلام العصافير) وأحلام: المقصود بها العقول.

فقيل: لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان في ثقب الإبرة، فالجمل المقصود به ضرب المثل في ضخامة الجثة، وثقب الإبرة المراد به ضرب المثل في ضيق المسلك أو المنفذ.

وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال: (زوج الناقة) استجهالا للسائل.

وإجابة ابن مسعود بهذه الإجابة فيها أولا: الاستجهال للسائل وثانيا: إشارة إلى أن البحث وتطلب معنى آخر غير هذا المعنى المتبادل نوع من التكلف غير حميد.

وخلاصة الكلام أن الجمل لما كان مثلا في عظم الجسم لأنه أكبر الحيوانات جسما عند العرب، وخرق الإبرة مثلا في الضيق، ظهر التناسب، على أن في التفسير بالجمل وهو مما ليس من شأنه الولوج في سم الإبرة مبالغة في استبعاد دخولهم الجنة.

وعكس هذا الكلام حكاه الزمخشري عن ابن عباس قال: الجمل أنسب من الجمل؛ لأن الجمل هو الخيط الغيلظ؛ لكن بين القاسمي رحمه الله تعالى أن إيثار الجمل أفضل، ومعلوم أنه ليس من شأنه أن يمر من ثقب الإبرة، فكذلك الكفار ليس من شأنهم أصلا أن يدخلوا الجنة، فهنا ظهر التناسب بهذه الصورة، فهذه فيها مبالغة في استبعاد دخولهم الجنة.

أما السم فهو الثقب الضيق، قال أبو البقاء: بفتح السين وضمها، ويقال أيضا في القاتل المعروف: السم، إلا أنهم قالوا: المشهور في الثقب الفتح كما في التنبيه، والأفصح فيما يشرب ليقتل أنه بالضم (السم).

وقال الزبيدي: لم أر من تعرض لكسرهما وكأنها عامية: وهي فعلا عامية، والأفصح أن تقول في الثقب السم، وفي القاتل السم.

وقال الزمخشري: وقرأ في سم الخياط بالحركات الثلاثة.
وكفى به مرجعا.
"الخياط" ككتاب ما خيط به الثوب والإبرة، قال الزمخشري: وقرأ عبد الله (في سم المخيط) وهي قراءة شاذة.
قال السيوطي في الإكليل: في قوله تعالى: ((حتى يلج الجمل في سم الخياط)) جواز فرض المحال والتعليق عليه كما يقع كثيرا للفقهاء، والتعليق على المحال معروف في كلام العرب، كقوله: إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب يعني: فلن يأتيهم أبدا؛ لأن الغراب لا يشيب.
(وصار القار) وهو الزفت الأسود الذي ترصف به الشوارع أبيض (كاللبن الحليب).
((وكذلك نجزي المجرمين)) مثل هذا الجزاء الفظيع.." [1]

"تفسير قوله تعالى: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)

ثم قال عز وجل مخاطبا المشركين: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ [الأنفال:١٩].
قوله: ((إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح))، هذا خطاب للمشركين، يعني: إن تطلبوا الفتح وأن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين فقد جاءكم القضاء بما سألتم.
روى أحمد والنسائي والحاكم وصححه عن عبد الله بن ثعلبة: أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرفه، فأحنه الغداة.
يعني: أهلكه الغداة، فكان هو المستفتح؛ ليستعجل فصل القضاء من الله سبحانه وتعالى.
وروي أيضا في بعض الآثار: أنهم تعلقوا بأستار الكعبة، وأخذوا يدعون الله سبحانه وتعالى أن ينزل العذاب والهلكة، وأن يهزم أظلم الفريقين، وأقطعهم للرحم، وأفسدهم في الأرض، وأبعدهم عن الله سبحانه وتعالى.
فهم استفتحوا، بمعنى: أنهم سألوا الله سبحانه وتعالى أن يفتح بين الفريقين، فالله سبحانه وتعالى يقول لهم: أنتم جلبتم ذلك لأنفسكم، ألستم أنتم الذين استفتحتم؟ ألستم الذين قلتم: اللهم أهلك أظلمنا وأقطعنا للرحم، وأبعدنا منك؟ فلذلك جاءت الآية: ((إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح))، أي: أنتم الذين استفتحتم وطلبتم أن يقضي الله سبحانه وتعالى بينكم.
وعن السدي: أن المشركين حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة، فاستنصروا الله، وقالوا:

---

(١) تفسير القرآن الكريم – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٧/٦٢

اللهم انصر أعز الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين، فقال تعالى: ((إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)).

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن هذه الآية إخبار عنهم بما قالوا؛ لأنهم أيضا استفتحوا في الآية الأخرى، كما قال تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال:٣٢].

وقيل: إن في هذا الخطاب تهكما بهم.

أي: أنتم الذين استفتحتم، ودعوتموني أن أنصر أعز الفريقين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين! فتهكم الله سبحانه وتعالى بهم بقوله: ((فقد جاءكم الفتح))؛ لأن الذي جاءهم هو الهلاك والذلة، وهذا كما في كلمة (بشر) في قوله تعالى: ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ [التوبة:٣]، فإن الكافر عندما يسمع كلمة (بشر) ينشرح، فإذا صدم بكلمة (عذاب أليم) يعرف أن المقصود بها التهكم، فكذلك قوله تعالى هنا: ((فقد جاءكم الفتح)) المقصود بها التهكم؛ لأن الذي جاءهم كان الذلة والهلاك والصغار.

والقول بأن المقصود من قوله تعالى: ((فقد جاءكم الفتح)) التهكم يصح إذا قلنا بأن الفتح بمعنى النصر.

لكن له **معنى آخر** فسرت به الآية أيضا، وهو: أن الفتح هو الحكم والفصل بين الخصمين والقضاء بينهما، فقوله: ((إن تستفتحوا))، أي: أنتم طلبتم القضاء والحكم، ((فقد جاءكم الفتح)) أي: حكمي وقضائي.

وقوله: ((وإن تنتهوا))، يعني: إن تنتهوا وتتوبوا عن الكفر وعن عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

((فهو خير لكم)) في الدنيا وفي الآخرة.

((وإن تعودوا)) لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ((نعد)) لنصره عليكم.

((ولن تغني))، أي: لن تدفع ((عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين)) بالنصر، وقرئ: (وإن الله مع المؤمنين) استئنافا.

وجوز أن يكون الخطاب في قوله تعالى: ((إن تستفتحوا)) للمؤمنين، أي: إن تطلبوا الفتح، ((فقد جاءكم الفتح))، فيكون هذا بشارة للمؤمنين بالنصر، والمعنى: إن تطلبوا النصر باستغاثتكم ربكم فقد حصل لكم ذلكم، فاشكروا ربكم، والزموا طاعته.

وقوله: ((وإن تنتهوا)) يعني: عن المنازعة في أمر الأنفال -على أن الخطاب للمؤمنين- وعن طلب الفداء عن الأسرى الذي عوتبوا عليه بقوله تعالى: ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ [الأنفال:٦٨].

فقوله تعالى: ((وإن تنتهوا))، أي: عن مثله، ((فهو خير لكم وإن تعودوا))، أي: إلى تلك المنازعات ((نعد)) عليكم بالإنكار، وتأييد العدو؛ لأن الوعد بنصرتكم مشروط بشرط استمراركم على الطاعة وترك المخالفة،

ثم لا تنفعكم الفئة والكثرة إذا لم يكن الله معكم بالنصر، فإنه مع الكاملين في إيمانهم، وهذا الوجه قرره الرازي، ونقله عنه البيضاوي.

قال البيضاوي: ويؤكده الآية بعد؛ فإن المراد بها الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والنهي عن الإعراض عنه.

يعني: أن البيضاوي يرجح هذا التفسير الأخير، وهو أن الخطاب للمؤمنين.

((ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين))، أي: الكاملي الإيمان الذين لا يخالفون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المنازعات.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولما جاءهم كتاب من عند الله)

قال تبارك وتعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ [البقرة:٨٩].

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) ما الذي معهم؟ التوراة، وما هو الكتاب؟ القرآن الكريم، (وكانوا من قبل) قبل مجيء هذا الكتاب الكريم (يستفتحون) يستنصرون، يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، هذا أحد التفاسير لمعنى (يستفتحون)، (فلما جاءهم ما عرفوا) من الحق، وهو بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (كفروا به) حسدا وخوفا على الرياسة، وجواب (لما) الأولى دل عليه جواب (فلما) الثانية، الذي هو: (كفروا به فلعنة الله على الكافرين).

قوله تعالى: (ولما جاءكم كتاب من عند الله) الواو هنا عاطفة على قوله تعالى: (وقالوا قلوبنا غلف).

وقوله تعالى:) ولما جاءكم كتاب) كتاب بالتنكير للتعظيم، (من عند الله) ووصفه بأنه من عند الله أيضا زيادة تشريف لهذا الكتاب، فمعروف أنه من عند الله، لكن ذكر هنا (كتاب من عند الله) فوصفه بأنه من عنده للتفريق والإيذان بأنه جدير بأن يقبل ما فيه ويتبع؛ لأنه من خالقهم وإلههم، أي: هو من عند الله الذي خلقكم، فأولى بكم أن تؤمنوا به.

(مصدق لما معهم) هنا جعله مصدقا (لما معهم) باللام، ولم يقل: مصدقا بما معهم؛ لأنه لو قال: مصدقا بما معهم، كان فيه إعطاء وصف التبعية للقرآن لما معهم هم، وقد آمن وصدق بما معهم، لكن (لما معهم) فيه إعطاء القرآن وصف الهيمنة، كما قال: ﴿ومهيمنا عليه﴾ [المائدة:٤٨].

إذا: لم يقل: مصدقا بما معهم، فجعله مصدقا له لا به، إشارة إلى أنه بمنزلة الواقع ونفس الأمر لكتابهم،

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٩/٦٨

لكونه مشتملا على الإخبار عنه محتاجا في صدقه إليه، وإلى أنه في إعجازه مستغن عن تصديق الغير، فالقرآن يصدق غيره؛ لأنه نوه بالتوارة ومدحها، فهذه الحكمة من استعمال اللام بدل الباء في قوله: (مصدقا لما معهم)، لكن لو قال: بما معهم، فكأن التوراة هي التي تشهد للقرآن، لكن الحقيقة أن القرآن مهيمن على ما عندهم من الكتب.

(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الاستفتاح هو الاستنصار، ومعنى الفتح هو الحكم والقضاء، فالاستفتاح يعني أن يحكم الله سبحانه وتعالى ويقضي بينهم وبين أعدائهم بالنصر، وفي الحديث: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين)، يعني: يستنصر بدعائهم وصلاتهم، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ [المائدة:٥٢]، وكلمة النصر تعني فتح شيء مغلق، فهو يرجع إلى قولهم: فتحت الباب.

وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم).

وروى النسائي أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فإنكم إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم).

وقيل: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) أي: يستخبرون عنهم، من بين وقت وآخر وهم يسألون: هل ولد مولود صفته كذا وكذا؟ (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)، مع أنكم كنتم تستفتحون به من قبل عليه الصلاة والسلام، لكن لما جاءهم كفروا به، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ [النمل:١٤]، إشارة إلى أن نوع كفرهم إنما هو كفر الجحود والاستكبار.

وهنا قوله تعالى: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) (ما) موصولة، أي: فلما جاءهم الذي عرفوا كفروا به، فإيراد الموصول هنا بالإضمار لبيان كمال مكابرتهم، ولم يقل الله سبحانه وتعالى: فلما جاءهم كفروا به، ولكن قال: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) فأورد الموصول ولم يستعمل الضمير؛ لأنه لو قال: (فلما جاءهم) سيكون الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الكتاب أو على الرسول، وإنما قال: (فلما جاءهم ما عرفوا) والذي كانوا يستفتحون بمجيئه من قبل كفروا به، فهذا لبيان كمال مكابرتهم وجحودهم، أو (فلما جاءهم ما عرفوا) المقصود به هنا الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس الكتاب على التفسير الأول، لكن المقصود بقوله: (جاءهم ما عرفوا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، وقد يعبر عن العاقل (بما) إذا أريد الصفة، فأحيانا يعبر العرب (بما) عن صفات من يعقل مثل قوله تبارك وتعالى في سورة الكافرون: ﴿ولا أنتم

عابدون ما أعبد﴾ [الكافرون:٣] يعني إلهي الذي أعبده الذي صفته كذا وكذا، فعبر عن الله سبحانه وتعالى (بما أعبد)، ويقول تبارك وتعالى: ﴿والسماء وما بناها﴾ [الشمس:٥] المقصود: ومن بناها وهو الله سبحانه وتعالى، وقوله: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ [النساء:٣]، النساء عاقل، فعبر عنهن (بما)، لكن المقصود هنا الصفة في الطيب، فلذلك قال: (فانكحوا ما طاب لكم)؛ لأنه هنا يعبر (بما) عن صفات من يعقل، وهكذا (فلما جاءهم ما عرفوا)، وعلى التفسير الآخر يكون المراد: الكتاب، أي: فلما جاءهم الكتاب كفروا به، فتكون: (ما عرفوا) اسم موصول، أو: (فلما) الثانية تكرير لطول العهد، واقتضى الأمر التكرار لما بعد العهد، كما في قوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ [آل عمران:١٨٨]، فهذا تكرار أيضا بسبب طول العهد أو الفصل.

وقيل: (ولما جاءهم كتاب من عند الله) جوابه محذوف، وهو: كذبوا به، فهذه معاملتهم مع الكتاب المصدق، (فلما جاءهم كتاب) وهنا ليس تكرارا، وفي تفسير آخر: أن (لما) الثانية: (فلما جاءهم) ليست تكرارا لـ (ما) الأولى، وإنما هذه يقصد بها الأمر غير تلك، فالأولى (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) تقديره: كذبوا به، فهذه مع‍املتهم مع الكتاب الذي يصدق ما معهم، أما قوله: (فلما جاءهم ما عرفوا)، فالمقصود بها الرسول عليه الصلاة والسلام، (كفروا به) فهذه معاملتهم مع الرسول المستفتح به، ورجح هذا التفسير بأن لما الأولى المقصود بها شيء غير لما الثانية؛ لأن التكرار يحتمل التوكيد، أما هنا فيكون تأسيسا وليس تكرارا للمعنى؛ فالتأسيس أولى من التأكيد.

أي: أن أي كلام يحتمل أن يدور بين أمرين، إما أن يكون التكرار فيه للتوكيد أو لتأسيس معنى جديد، وما دام يحتمل الأمرين فيترجح أن يكون للتأسيس، مثل قوله تعالى: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ [محمد:١]، وصدوا ممكن أن تكون بمعنى أعرضوا، فتكون توكيدا لمعنى الكفر، وقوله: ﴿ومنهم من صد عنه﴾ [النساء:٥٥] أي: أعرض عنه، ومثل: كلمني فصددت عنه.

يعني: أعرضت عنه، لكن كلمة صدوا ربما تحتمل معنى آخر، أي: كفروا في أنفسهم وصدوا غيرهم، مثل أي داعية للكفر والفساد، يصد غي‍ره عن سبيل الله، فهنا توكيد لكلمة صدوا، فعلى القول الأول تكون تكرارا، وعلى القول الثاني تكون بمعنى صدوا غيرهم، وفيها معنى التأسيس لمعنى جديد، كفروا في أنفسهم وصدوا غيرهم.

كذلك هنا (ولما جاءهم كتاب من عند الله): (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) فيحتمل أن التكرار للتوكيد لبعد العهد، أو للتأسيس؛ لأن هذه مقصود بها معنى غير الآخر، فقوله: (فلما جاءهم كتاب) هذه لها معنى

مستقل جوابه وتقديره: كذبوا بالكتاب المصدق، (ولما جاءهم ما عرفوا) وهو الرسول المبعوث الذي كانوا يستفتحون به أيضا كفروا به، فهنا يترجح التأسيس على التوكيد.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (الذي جعل لكم الأرض مهدا)

قال تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ [طه:٥٣].

((الذي جعل لكم الأرض مهدا)) فراشا، ((وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى)) أي: أصنافا من نبات مختلفة الأجناس في الطعم، والرائحة، والشكل، والنفع.

انظر إلى موسى عليه السلام لم يسمح له أن يحول مجرى النقاش، وهو لما بدأ بهذا

﴿ قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم * قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى * الذي جعل لكم الأرض مهدا﴾ [طه:٤٩ - ٥٣].

شرع يسرد أدلة توحيد الربوبية ليتوصل بها إلى توحيد الألوهية، ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ قال الزمخشري في قوله تعالى: ((وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به)): هذا من باب الالتفات، وناقشه الناصر بأن الالتفات إنما يكون في كلام المتكلم الواحد، يصرف كلامه على وجوه شتى، وما نحن فيه ليس كذلك، فإن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون: ((علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى)).

ثم قوله تعالى: ((الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا)).

إلى قوله: ((فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى))، فإما أن يجعل من قول موسى ويكون من باب قول خواص الملك: أمرنا وعمرنا، وإنما يريدون الملك، وليس هذا بالتفات، وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله: ((لا يضل ربي ولا ينسى))، ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات إنعامه على خلقه، فليس التفاتا أيضا، وإنما هو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب، وعلى هذا التأويل ينبغي للقارئ أن يقف عند قوله: ((ولا ينسى)) ليستقر بانتهاء الحكاية.

ويحتمل **معنى آخر**، وهو: أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على ظهر الغيبة، فقال: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾، فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير إلى ذاته؛ لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى، فمرجع الضميرين

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٥/٨

واحد، وهذا الوجه وجه حسن رقيق الحاشية، وهذا أقرب الوجوه إلى الالتفات، لكن الزمخشري لم يعنه، والله تعالى أعلم.

اهـ قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: قرأ هذا الحرف عاصم وحمزة والكسائي (مهدا) بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف، وقرأ الباقون من السبعة بكسر الميم وفتح الهاء بعدها ألف، والمهاد: الفراش، والمهد بمعناه.

((الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا))، بين تبارك وتعالى في هاتين الآيتين أربع آيات من آياته الكبرى الدالة على أنه المعبود وحده، ومع كونها من آيات كمال قدرته، واستحقاقه العبادة وحده دون غيره، فهي من النعم العظمى على بني آدم.

الأولى: فرشه الأرض على هذا النمط العجيب.

الثانية: جعله فيها سبلا يمر بها بنو آدم ويتوصلون بها من قطر إلى قطر.

الثالثة: إنزاله الماء من السماء على هذا النمط العجيب.

الرابعة: إخراجه أنواع النبات من الأرض.

ثم شرع الشنقيطي رحمه الله تعالى في ذكر أنواع كثيرة من الآيات التي تشرح وتفصل هذا فنتجاوزها، ونأتي للخطاب وقوله تعالى: ((وسلك لكم فيها سبلا)) وقد قدمنا أن معنى السلك الإدخال، وقوله: ((سلك)) معناه: أنه جعل في داخل الأرض بين أوديتها وجبالها سبلا فجاجا يمر الخلق منها، وعبر عن ذلك هنا بقوله: ((وسلك لكم فيها سبلا))، وعبر في مواضع أخر عن ذلك بالجعل كقوله عز وجل في سورة الأنبياء: ﴿وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾ [الأنبياء:٣١]، وقال في الزخرف: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون﴾ [الزخرف:١٠]، وعبر في بعض المواضع عن ذلك بالإلقاء كقوله في النحل: ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون﴾ [النحل:١٥]؛ لأن عطف السبل على الرواسي ظاهر في ذلك.

((كلوا وارعوا أنعامكم)) أي: كلوا -أيها الناس- من الثمار والحبوب التي أخرجناها لكم من الأرض بالماء الذي أنزلناه من جميع ما هو غذاء لكم من الحبوب والفواكه ونحو ذلك.

((وارعوا أنعامكم)) أي: أسيموها وسرحوها في المرعى الذي يصلح لأكلها، والأمر في قوله: ((كلوا وارعوا)) للإباحة، ولا يخفى ما تضمنه من الامتنان والاستدلال على استحقاق المنعم بذلك العبادة وحده.

((إن في ذلك لآيات لأولي النهى)) أي: لأصحاب العقول، فالنهى جمع نهية وهي العقل؛ لأنه ينهى صاحبه عما لا يليق، تقول العرب: نهو الرجل بصيغة فعل بالضم: إذا كملت نهيته أي: عقله.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم)

لما ذكر الله الآيات التي تدل على قدرته في خلقه سبحانه، وبين كيف يخلق لنا أشياء في غاية الكمال والجمال والإبداع، أخذ يذكر أن الإنسان وبالرغم مما يرى من آيات الله الباهرة يكفر ويعبد غير الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم﴾ [الفرقان:٥٥]، فقوله: (ويعبدون من دون الله) أي: أن كل ما سوى الله فهو دون، فكل من يعبد من دون الله أو من الذين هم غير الله سبحانه وتعالى لا ينفعون ولا يضرون لا أنفسهم ولا غيرهم، قال تعالى: ﴿ما لا ينفعهم ولا يضرهم﴾ [الفرقان:٥٥]، وفي هذا الموضع قدم النفع على الضر وفي غيره من المواضع يقدم الضر على النفع، وهم لا يملكون لا هذا ولا ذاك، إذ الإنسان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، إلا أن يشاء الله سبحانه فيقدره على ذلك، وفي قوله: (مالا ينفعهم ولا يضرهم) تعريض أنهم يعبدون أصناما وأوثانا لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، ثم قال: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ [الفرقان:٥٥]، أي: أن الكافر يعين غيره من الكفار على هدم دين الله سبحانه وتعالى، والمظاهرة بمعنى: التقوية، والمعنى: يقوي الكافر غيره من الكفار على عصيان الله سبحانه وتعالى، ومن يظاهر على المعصية يظاهر على هدم دين الله سبحانه، ويقوي الشيطان فيما هو فيه من عناد واستكبار ويعينه على المسلمين، قال سبحانه: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ [الفرقان:٥٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الكافر هنا: أبو جهل لعنه الله، والمعنى: أن أبا جهل كان يستظهر بعبادة الأوثان على أولياء الله سبحانه وتعالى، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها هو أبو جهل، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأن الله عز وجل قال: (وكان الكافر)، فاللام في لفظ الكافر للجنس وهي من ألفاظ العموم، ولذا فكل كافر على ذلك، فهو لا يحب المسلم ولن يرضى عنه حتى يدخل المسلم في دين هذا الكافر، فتلك إعانته الكفار والشيطان على أولياء الله عز وجل.

قوله: ((على ربه))، أي: على الله عز وجل، والمعنى: يظاهر على هدم دينه سبحانه وتعالى، وقيل: بل الكافر هو إبليس، ولكن العبرة بالعموم، فعموم الكفار يعين بعضهم بعضا على هدم دين الله سبحانه.

يقول الحسن في معنى (ظهيرا) أي: معينا للشيطان على المعاصي من المظاهرة وهي: التقوية والإعانة.

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٨/٩٥

هذا معنى من المعاني، **والمعنى الآخر** لقوله تعالى: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ [الفرقان:٥٥]، أن الظهير مأخوذ من الظهر، نقول: ألقيت الشيء ورائي ظهرية، أي: لم ألتفت إليه، ومعنى: (على ربه) أي: عند ربه، والمعنى: كان مقام الكافر عند ربه مقام الذل والمهانة لا قيمة له، ولذلك يلقيه الله في نار جهنم وأمثاله، ويذكر عنهم أنه يجعلهم كالمنفيين في نارهم، قال سبحانه: ﴿فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ [الجاثية:٣٤]، وليس المعنى أن الله ينسى، فالله لا ينسى شيئا سبحانه، وقوله: ((ننساكم)) بمعنى: نعاملكم معاملة المنسيين فنقذفكم في نار جهنم كالمنفيين، فأنتم مطرودون من رحمة الله لا نأبه بكم، وقد ذكر الله في آيات أخر أنهم يصرخون وينادون فلا يغاثون ولا يجيبهم ربهم سبحانه، ومثل النسيان ما دل من الآيات على أن الله لا ينظر، والمعنى: لا ينظر إليهم بنظر رحمة سبحانه وتعالى، إذ الله يبصر كل شيء ويرى كل شيء سبحانه.

والقول الثالث في معنى قوله تعالى: ((وكان الكافر على ربه ظهيرا)) قالوا: بمعنى مظهور، أي: أن كفر الكافرين هين على الله سبحانه وتعالى، فالله لا يأبه بكفرهم شيئا، فهو الغني سبحانه وهو القدير، فلا يضرون ربهم شيئا وإنما يضرون أنفسهم.." (١)

"تفسير قوله: (قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم)

قال سبحانه وتعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾ [الفرقان:٧٧]، هذا الإنسان لا يساوي شيئا وما يعبأ به ربه سبحانه، ويعبأ من العبء: وهو الثقل، يقال: هذا يحمل عبئا يعني: ثقلا وكلفة وشدة ومشقة، فما الذي يشق على الله سبحانه وتعالى من هذا الإنسان الضعيف الحقير الذي كان نطفة، وكان علقة، وكان مضغة، وكان لا شيء، كان ترابا ثم صار هذا الإنسان ثم يرجع إلى التراب؟! فما الذي يكون من هذا الإنسان حتى يشق على الله سبحانه وتعالى؟ ﴿ما يعبأ بكم ربي) [الفرقان:٧٧]، يعني: لا يعبأ بكم الله سبحانه وتعالى شيئا، ويحتمل أن يكون المعنى: أي عبء يعبئه بكم ربي وتتعبونه به؟ لا شيء، فهو لا يبالي بكم سبحانه، فإذا أدخلكم الجنة أو أدخلكم النار فلا يبالي، وجنة الله رحمته سبحانه، ونار الله غضبه وعقابه وعذابه، فإن أدخل الخلق كلهم الجنة فلن ينقص شيئا، ولن يكلف الإنسان ربه شيئا، ولو أدخلهم كلهم النار فلا يقدرون أن يدفعونها عن أنفسهم، فما الذي يعبئه سبحانه؟ ((قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ [الفرقان:٧٧]، يعني: لا يبالي بكم ربكم سبحانه لولا دعاؤكم إياه، وكأن الخطاب هنا لجميع الخلق، والتخصيص بالدعاء للمؤمنين أو التعميم، فمن رحمة الله سبحانه

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/١١٨

وتعالى أنه هدى هؤلاء المؤمنين، فإذا بهم يدعون الله، أي: يوحدونه سبحانه، ويطلبون منه وحده لا شريك له الخير ويسألونه، الجنة، فبدعائهم استحقوا أن يكرمهم الله سبحانه.

فالمعنى: لا يعبأ الله بالخلق جميعهم لولا دعاء هؤلاء المؤمنين، وتوحيدهم ربهم سبحانه، فاستحقوا أن يكرمهم وأن يدخلهم الجنة، ومن رحمته أنه يدعوكم إليه، وأنه لا يعذب الخلق حتى يبعث رسولا، قال: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء:١٥]، فالله عز وجل لا يشق عليه أن يرسل الجميع النار، ومن الذي سيعترض على الله سبحانه وتعالى؟ لكن قد قضى برحمته سبحانه أنه لا يعذب حتى يبعث رسولا، فأنزل الكتب وبعث الرسل، وجعل من الناس الشقي والسعيد.

إذا: المعنى: قل ما يعبأ بكم ربي -أيها الخلق- لولا أنه كتب على نفسه الرحمة، وكتب على نفسه ألا يعذب أحدا حتى يحذره، وحتى يرسل الرسل، وينذر الخلق، فما يعبأ بكم ربي لولا أنه أرسل إليكم الرسل فتدعونه سبحانه.

ومعنى آخر وهو: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي﴾ [الفرقان:٧٧]، أيها المشركون! لولا أنكم تدعونه في وقت الضراء، فالمشركون كانوا يشركون بالله في السراء، فيدعون بعلا أو يدعون اللات والعزى، فإذا وقعوا في الضراء وفي الشدة وحدوا الله وأفردوه بالعبادة، فطلبوا منه وسألوه، فالله عز وجل تركهم في الدنيا يعيشون بسبب هذا الدعاء الذي دعوا به ربهم سبحانه وتعالى، ولكن في الآخرة يكون في الجنة المؤمنون الموحدون، وفي النار المشركون العصاة.

وقوله سبحانه: ﴿فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾ [الفرقان:٧٧]، أي: أيها المشركون! قد كذبتم فاستحققتم العذاب، فسوف يكون هذا العذاب لزاما، أي: ملازما لكم لا يفارقكم أبدا، وسيكون جزاء تكذيبكم ملازما لكم.

عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: قد مضت البطشة والدخان واللزام.

وكأنه يقول: إن اللزام: هو العقوبة في الدنيا، وهو ما كان في يوم بدر لهؤلاء المشركين من أن الله هزمهم فعذبهم في الدنيا فصاروا إلى النار، واللفظ يحتمل أكثر من هذا المعنى، فاللزام العقوبة سواء في الدنيا أم في الآخرة.

نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يزيدنا علما نافعا، وأن يجعلنا من عباد الرحمن.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." [(١)]

"تفسير قوله تعالى: (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون)

قال الله سبحانه: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ [الأنبياء:٩٥].

أي: يحرم عليهم أن يرجعوا، فإذا أهلكناهم لن نرجعهم مرة أخرى إلى الدنيا.

قرئت: (حرام) وهذه قراءة الجمهور، وقرئت: (وحرم على قرية) وهي بنفس المعنى، مثل: حلال وحل، حرام وحرم.

فالجمهور يقرءونها: ﴿وحرام على قرية﴾ [الأنبياء:٩٥]، وأما شعبة عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف يقرءون: (وحرم على قرية) أي: هذا محرم عليهم، إذا جاءهم العذاب فأهلكناهم فلا رجوع إلى هذه الدنيا.

إذا: على هذا المعنى فإن قوله تعالى: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ [الأنبياء:٩٥] كأن (لا) بمعنى: (ما) الموصولة، وكأنه حرام رجوعهم، فيكون حراما رجوع هؤلاء الناس إلى هذه الدنيا مرة ثانية.

وهم يتمنون الرجوع عند الله سبحانه وتعالى ويقولون: ﴿رب ارجعون﴾ [المؤمنون:٩٩] لكن الله يقول: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ [الأنبياء:٩٥] فحرام بمعنى: وجب ولزم عدم رجوعهم إلى الدنيا.

وهناك معنى آخر اختاره ابن عباس رضي الله عنه وهو: لا يرجعون بالتوبة، يعني: حظرنا عليهم التوبة، فالله عز وجل لا يقبل التوبة في موضعين: إذا جاء العذاب من عند الله سبحانه وعاينه الكفار فلا يقبل توبتهم.

والحالة الثانية: عند الغرغرة وخروج نفس الإنسان، وكأن المعنى على هذا: أنه حرمنا ومنعنا قبول التوبة من هؤلاء في هذا الحين، حين يرون العذاب.

قال الله تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها﴾ [يونس:٩٨] لم يحصل ذلك.

﴿إلا قوم يونس لما﴾ [يونس:٩٨] أحسوا بأنه سيأتي العذاب بمغادرة الرسول المكان فتابوا إلى الله عز وجل قبل أن يعاينوا العذاب.

قال الله تعالى: ﴿إلا قوم يونس﴾ [يونس:٩٨] هذه القرية الوحيدة التي حذرهم نبيهم عليه الصلاة والسلام العذاب، ثم ترك القرية وركب البحر وخرج عنهم، فإذا بهم يستيقنون أن العذاب سيأتي مادام أن النبي عليه الصلاة والسلام تركهم، فتابوا إلى الله فقبل الله عز وجل منهم.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٢٦١

فهذه هي القرية الوحيدة التي قبل منهم، فإذا جاء العذاب من عند الله على قرية منع عنهم قبول التوبة، فالتوبة لا تقبل إلا من الإنسان الذي يعرف أن هذا غيب، فهو لا يرى الجنة ولا يرى النار ولا يرى الله سبحانه وتعالى، ولكنه مستيقن بذلك في قلبه، فتاب خائفا من الله، راجيا رحمته، مرعوبا ومرهوبا من ناره، هذا هو الذي تقبل منه التوبة.

فقوله تعالى: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ [الأنبياء:٩٥] أي: أنهم لا يتوبون، فقد منعنا عنهم التوبة في ذلك، أو منعنا القبول للتوبة حين يعاينون العذاب.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر)

قال الله عز وجل: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء:١٠٥]. يخبر تعالى هنا أنه وعد وكتب عنده في الكتب السماوية: ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء:١٠٥]، ولابد من أن يكون هذا الشيء.

وقد اختلف المفسرون هنا في المراد بهذه الأرض، فبعضهم ذكر أنها هذه الأرض التي في الدنيا، يعني: أن الله عز وجل يفتح لدينه، فإذا بالناس يدخلون في دين الله أفواجا، وتفتح الأرض لدين الإسلام، ولا يبقى بيت مدر ولا حجر إلا دخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام وأهله، وذلا يذل به الكفر وأهله.

ولذلك قال هنا: ﴿وعدا علينا﴾ [الأنبياء:١٠٤]، إذا: هنا الأرض مثلما كانت مكة للمؤمنين مع نبينا عليه الصلاة والسلام، وكان وعدا من الله عز وجل أن يجعل المستضعفين هم الذين يمكنون في ال أرض، فكذلك جعل لهذه الأمة التمكين يوما من الأيام.

فإذا اقتربت الساعة، ونزل المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لم يبق على الأرض دين إلا الإسلام، فالمسيح عليه السلام لا يقبل الجزية من نصراني أو يهودي، ولا يقبل إلا الإسلام فقط، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يكون إلا دين الله عز وجل الذي هو دين الإسلام فقط، وهو الذي يحكم به المسيح صلوات الله وسلامه عليه.

ثم بعد ذلك يرسل الله عز وجل ريحا، فتقبض أرواح المؤمنين جميعا، ولا يبقى إلا شرار الخلق، فيرجعون إلى الكفر مرة ثانية، ولا يعرفون لهم إلها حتى يفنيهم الله، وعليهم تقوم الساعة.

فالمقصود أن الله عز وجل وعد المؤمنين بأنه سيورثهم هذه الأرض بالفتوحات والنصر منه تبارك وتعالى كما

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٥/١٣

يشاء.

والمعنى الآخر: أن المقصود بالأرض في الآية الجنة، يعني: أن الله عز وجل كتب أنه يورث هذه الجنة لعباده الصالحين، قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾ [الأنبياء:١٠٥] والزبور هنا معناه: المزبور، وهو المكتوب، فالزبور هنا بمعنى: الكتاب، وهو الصحيفة أو الصحف التي نزلت على داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

وقيل: إن الزبور كل الكتب السماوية، والزبر: الكتب.

وفي هذه الآية قراءتان: ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ [الأنبياء:١٠٥]، هذه قراءة الجمهور.

وقرأ حمزة وخلف: ((ولقد كتبنا في الزبور)).

الزبور إما جمع زبر بمعنى: صحيفة أو مكتوب، أو جمع زبر بمعنى: كتاب، أو جمع زبور بمعنى: كتاب.

فعلى ذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿في الزبور من بعد الذكر﴾ [الأنبياء:١٠٥]، الذكر: أم الكتاب الذي هو عند الله عز وجل، وهو: أصل الكتاب في اللوح المحفوظ الذي عند الله، فنسخ من هذا اللوح المحفوظ إلى الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء والمرسلين، وهي التوراة، والإنجيل، وصحف إبراهيم، والقرآن العظيم، وزبور داود، فكتب الله عز وجل في اللوح المحفوظ، ونسخ من اللوح المحفوظ في هذه الكتب السماوية: ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء:١٠٥].

وقيل: بل معنى الزبور: زبور داود، وإن القرآن كتب من قبلها، قالوا: فالذكر المقصود به هنا القرآن، ولذلك قالوا: إن المقصود بقوله تعالى هنا: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾ [الأنبياء:١٠٥]، أي: من بعدما كتبنا ذلك في القرآن والزبور وأنزلنا هذه الكتب: أن الأرض بوعد من الله عز وجل يورثها عباده الصالحين، فقال: ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء:١٠٥] ﴿وعبادي﴾ [الأنبياء:١٠٥] فيها قراءتان:

قراءة الجمهور: (عبادي الصالحون)، بالفتح.

وقراءة حمزة: (عبادي الصالحون)، بالسكون.

فإذا وقف عليها ف يعقوب يقف: ((عبادي الصالحونه)) بهاء السكت.." (١)

"من عجائب العنكبوت وبيته

وهذه الآية آية عجيبة جدا، وفيها معجزة عظيمة من المعجزات في تعبير القرآن العظيم بهذه الصيغ، قال تعالى: ﴿اتخذت بيتا﴾ [العنكبوت:٤١] والتاء تاء التأنيث، وهنا إشارة إلى أن أنثى العنكبوت هي التي

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ١٥/٥

تبني البيت، وهذا بعد دراسات العلماء لهذه الحشرة العجيبة سنين طويلة يصلون في النهاية إلى ما في هذه الآية ويقولون: الذكر لا يبني البيت أبدا إنما الذي يبني البيت هي أنثى العنكبوت! والوهن الذي أشار إليه القرآن على معاني صحيحة؛ فالمعنى الذي يفهمه القارئ من أول قراءته لهذه الآية أن أضعف البيوت بيت العنكبوت، وهذا معنى صحيح؛ فهو بيت واه وضعيف، كما نقول: إنسان وهن منه العظم، كأن بيت العنكبوت لا ينصب نفسه ولا بد أن تلصقه في الجدران من أجل أن يستقر عليه.

ومعنى آخر من وراء ذلك: أن الوهن في العنكبوت نفسه، وهو أنثى العنكبوت وذكر العنكبوت وأولاد العنكبوت.

وهذه العنكبوت حين التزاوج والتلاقح فالذكر حين يلقح الأنثى تستنفد قواه بهذا التلقيح وتأخذ منه ما فيه وفي النهاية تقتله وتأكله.

فحياة أنثى العنكبوت حياة عجيبة جدا! بعدما نفعها بأن لقحها قتلته، ولم تقتله فقط؛ بل أكلته أيضا، فهذا بيت ليس فيه رحمة إنما يعتمد على المنفعة.

وأولاد العنكبوت يهربون من البيت وهم صغار، ولا يعيشون أبدا في البيت إلى أن يكبروا؛ لأن البيت واه وضعيف.

وليس هناك علاقات اجتماعية قوية بين الأنثى والذكر والأولاد، فلو جاعت أكلت أولادها، فعلى ذلك هو بيت عجيب جدا.

وهذه دراسات علمية منشورة على الإنترنت ذكرها علماء المسلمين وأخذوها عن علماء الكفار الذين درسوا حياة الحشرات وتكلموا عنها باستفاضة، قالوا: هذا القرآن يذكر لنا أن أنثى العنكبوت هي التي اتخذت بيتا، وهم أثبتوا الآن أن الذي يبني هذا البيت هي الإناث وليس الذكور.

وبيت العنكبوت ضعيف، وهذا معروف من زمن قديم، والجديد الذي عند أهل العلم في ذلك يقولون: إنه فيه ضعف من نوع آخر، وهو أن من بداخله يأكل بعضهم بعضا وليس فيه حياة اجتماعية أسرية بداخله.

وهذا أمر عجيب من تعبير القرآن؛ إذ يمكن أن يقول الناس: هذا يعمل مثل خيط العنكبوت، أما القرآن فلا يقول: خيط العنكبوت، إنما يقول: بيت العنكبوت، فيا ترى ما الفرق بين الاثنين؟ فالخيط مهما كانت قوته لو حاولت تبني منه بيتا فذلك غير ممكن أن يستقيم الخيط فتبني منه بيتا، لكن البيت لا بد أن تعلقه على جدار أو عمود، فلا بد من تعليقه على شيء من أجل أن يستقيم ويرتفع.

فلو أتيت بالخيط ووضعته وجلست داخل هذا الخيط مهما كانت قوته فليس بشيء؛ بل لا بد أن يكون

معلقا بعيدا عنك من أجل أن يكون بيتا تعيش فيه.
أما إذا لم يكن له أشياء تحمله وترفعه وتنصبه عليه سقط على من فيه، فلم ينفع من فيه بشيء.
فالعلماء يتكلمون عن التعبير القرآني: بالبيوت، ولم يقل: الخيوط.
قالوا في الدراسة: إن خيوط العنكبوت ظهرت أقوى أنواع الخيوط، فخيط العنكبوت ليس خيطا ضعيفا بالنظر إلى ما هو مثله من الخيوط.
بمعنى: لو أتينا بأي نوع من أنواع الخيوط الرقيقة في مثل رقة خيط العنكبوت، لكان خيط العنكبوت أقوى من هذا الخيط حتى لو كان هذا الخيط من الفولاذ أو من الصلب، ولذلك يقول العلماء: إذا كانت هذه الخيوط تبدو ضعيفة واهية وتمزقها الرياح؛ إلا أن الدراسات أثبتت أنها على درجة عالية من المتانة والشدة والمرونة، فهي تعد أقوى مادة بيولوجية ينتجها حيوان عرفها الإنسان حتى الآن.
ولا يفوقها في الكون كله قوة خيط إلا نوع يسمى: بالكوارتز المصهور، قالوا: هذا أقوى منه.
وقالوا: هذا الشيء الرفيع يتمدد إلى خمسة أمثاله، وليس هناك خيط مثله، فإذا كان طوله سنتيمترا واحدا فإنه يتمدد حتى يصبح طوله خمسة سنتيمترات، فهو قوي وفيه متانة.
وقالوا: إنهم حاولوا أن يقلدوا خيط العنكبوت من أجل أن يصنعوا خيوطا قوية تضاهي خيط العنكبوت، وقد قالوا: إنه أقوى من الفولاذ المعدني بعشرين مرة، فتخيل! خيط تصنعه هذه العنكبوت الذي أنت تدوس عليها برجلك، فلا تستطيع أن تصنع خيطا مثل خيطها إلا بجهد جهيد.
وقالوا: أقوى الخيوط الموجودة الذي يلي خيط العنكبوت خيط استحدثوه حديثا مصنوع من الكوارتز المصهور، يقولون: وتبلغ قوة احتماله ثلاثمائة ألف رطل للبوصة المربعة.
أي: أنك لو أتيت ببوصة مربعة مضغوطة من خيط العنكبوت يتحمل قوة من غير أن يتفشى ويتكسر ثلاثمائة ألف رطل عليه.
قالوا: فإذا قدر جدلا أن أتينا بخيط العنكبوت وضغطناه وعملنا منه حبلا في سمك الإبهام، فبالإمكان أن يأخذ طيارة جامو، وهي إحدى الطائرات العملاقة.
ولكن كيف يصنعون ذلك من أجل أن يصلوا إلى القوة العظيمة التي لهذه الخيوط؟ قالوا: هناك غدد موجودة في بطن العنكبوت، وهناك ثلاثة ثقوب موجودة فيها ينزل منها ما تفرزه الغدد وتخرج منها على هيئة شعيرات، فيجتمع خيط مع خيط ويجدل الخيوط في بعضها بحيث تكون في النهاية خيط العنكبوت.
كذلك في بطنها أكثر من ستمائة غدة تفرز مادة معينة، وهذه المادة تنزل من ثقوب ثلاثة موجود في

داخلها مثل المغازل كل واحدة تنزل خيطا، والثانية تنزل خيطا، ويلتف الخيط على بعضه، فيتجدل بحيث يكون خيط العنكبوت الذي يظهر أمامنا.

وقد اكتشفوا أن الحشرات أكثر شيء موجود على الأرض، وقالوا: يوجد أكثر من عشرة مليون نوع من أنواع الحشرات، ولم يصلوا إلا إلى معرفة حوالي مليون وقليل من هذا العدد الضخم من الحشرات الموجودة على الأرض.

والعنكبوت لوحده خمسة وثلاثون ألف نوع من هذه الحشرات الموجودة، وربنا سبحانه وتعالى ضرب لنا مثلا بها وقال: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾ [البقرة:٢٦].

إذا: البعوضة خلق، وأنت لا تستطيع أن تخلق مثله، والذبابة خلق و أنت لا تستطيع أن تخلق مثلها، فخلق عظيم من خلق الله سبحانه وتعالى توجد فيه حكم خلقها الله سبحانه وتعالى.

وقد قال لنا: ﴿سنريهم آياتنا﴾ [فصلت:٥٣] أي: هؤلاء الكفار سنريهم آياتنا، أما المؤمن فيعلم أن الله لا يخلق شيئا إلا لحكمة، والكافر يظل يفكر ويصنع ويتأمل ويخرج بنتيجة يصل في النهاية إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى.

فضرب الله بالعنكبوت المثل، والإنسان يراها حشرة تافهة ويتقزز منها، ولكن يقول لك: هذه لا تخلو من فوائد، وربنا سيذكرها هكذا وانتهى.

العنكبوت فيها فوائد كثيرة جدا لدرجة أنهم يقولون: إنها تلتهم الملايين من الحشرات الضارة.

كذلك تلتهم الملايين من النباتات الضارة بالصحة، بل إنها تعمل كمبيدات حشرية لدرجة أن أحد العلماء يقول ويؤكد: إن نهاية الإنسان تصبح حتمية لو أن العنكبوت لم تكن موجودة على وجه الأرض، هل تتخيل هذا الشيء؟! فيضرب الله تعالى المثل بشيء يدل على أنه مثل عظيم من الله سبحانه وتعالى، والاختيار للألفاظ مقصود لمعان عظيمة منه سبحانه.

قال سبحانه: ﴿وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ [العنكبوت:٤١] أي: لو يعلمون ذلك ويتأملون في كلام الله عز وجل لآمنوا ودخلوا في دين الله تبارك وتعالى.

وقد ذكر الله تعالى قبل ذلك النمل فقال تعالى: ﴿قالت نملة﴾ [النمل:١٨]، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه نهى عن قتل النمل)، والعلماء يذكرون أيضا أن النمل نافع جدا للإنسان، وأنه يتخذ سلاحا يحمي الأشجار للإنسان من الحشرات الضارة بالأشجار التي تنخرها؛ لدرجة أن في اليمن يبيعون النمل، فيذهبون للغابات ويأتون بالأشجار التي عليها النمل وينقلونها على الجمال إلى السوق من أجل أن تباع،

ويأخذها أصحاب مزارع الموالح وغيرها من أجل أن يحمي النمل لهم مزارعهم.
فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن ذلك إلا لحكمة عظيمة جدا.
إذا: نقتل ما كان مؤذيا للإنسان بالقرص، أو يخرب بيت الإنسان، أما غير ذلك فلو أنه قضي على النمل كله الذي على وجه الأرض لخربت وضاع على الإنسان غذاؤه.
ولو أنه قضي على جميع العناكب التي على وجه الأرض لمات الإنسان بعد ذلك من أعدائه الموجودين.
فالله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا إلا لحكمة، والإنسان قد يستكبر، ويقول: هذا مخلوق ليس له لزوم، ويضيع شيئا من الأشياء التي أوجدها الله عز وجل في مكان، فإذا بتضييعه لهذا الشيء في هذا المكان يدمر له هذا المكان بسوء صنيعه.
وكذلك لو أن الإنسان أخذ شيئا من موطن غير موطنه، ووضعه في مكان آخر، فتكاثر في هذا المكان، فلعله يخرب هذا المكان بصنيعه هذا.
فلو ترك الإنسان الدنيا على ما خلقها الله عز وجل عليه ولم يتعرض للتجارب لتضييع البيئة التي أوجدها ربنا سبحانه وتعالى أوجدها وفطرها عليها؛ لكانت الأرض فيها الخير العظيم قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ [الأعراف:٩٦].." (١)

"تفسير قوله تعالى: (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة)
الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
قال الله عز وجل: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ * وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد * إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد * ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ [الحج:١٥ - ١٨].
أخبرنا الله سبحانه تبارك وتعالى أنه ينصر عبده صلوات الله وسلامه عليه فقال: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣/١٩٢

[الحج:١٥].

كأنه ييئس الكفار من أن يطمسوا نور الله سبحانه ويطفئوه، فالله عز وجل متم نوره سبحانه تبارك وتعالى، ولو كره الكافرون، فإن كرهوا واغتاظوا من أن الله ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم وينصر دينه قال: (فليمدد) أي: المغتاظ منهم بحبل إلى السماء: ﴿ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [الحج:١٥].

يعني فليذهب فيقتل نفسه فيمت غيظا وحنقا، فهل يذهب هذا الذي صنعه بنفسه ما يغيظ؟ لن يذهبه ولكنه في الدنيا يخنق نفسه، ويتحول إلى غضب الله سبحانه تبارك وتعالى وعذاب رب العالمين.

والمعنى الآخر: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ [الحج:١٥] يعني يحاول الصعود إلى السماء وينظر هل يقدر أن يمنع نصر الله الذي ينزل من السماء على رسوله صلى الله عليه وسلم؟ ولينظر هل يقدر أن يمنع هذا القرآن من النزول من السماء؟ قال: ﴿فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [الحج:١٥] يعني كل ما يكيده وكل ما يصنعه للحيلولة دون نصر النبي صلى الله عليه وسلم ودون إبلاغه صلى الله عليه وسلم، فليحاول الصعود إلى السماء، وينظر هل يقدر أن يمنع نصر الله الذي ينزل من السماء على رسوله صلى الله عليه وسلم؟ ولينظر هل يقدر أن يمنع هذا القرآن من النزول من السماء؟ قال: ﴿فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [الحج:١٥] لا يقدر أن يمنع نصر الله سبحانه، ولا أن يمنع نزول القرآن من السماء، حتى ولو خنق نفسه!." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس)

قال الله تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ [الروم:٣٩] هذه الآية متعلقة بما قبلها، انظروا كيف بدأ الله سبحانه يذكر أن الإنسان عندما يعطيه الله رحمة من عنده سبحانه من مال ومن خير يفرح به ويفخر على غيره، وإذا ضيق الله عز وجل عليه يقنط، فكأن الله يقول: ظن بالله ظن الخير، وأحسن إلى الخلق، فالله يعطي والله يمنع، الله يقبض والله يبسط، ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين﴾ [الروم:٣٨]، سواء ضيق الله عليك أو وسع عليك، أعط رزقك، ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ [الطلاق:٧].

قوله سبحانه: ﴿وما آتيتم من ربا﴾ [الروم:٣٩] الربا حرم في سورة البقرة وهي مدنية، وهذه الآية مكية، وهنا ذكر الربا وكأنه تمهيد لتحريمه، وقد كان المنع من الربا نهائيا في خطبة الوداع حين قال صلى الله عليه وسلم: (وكل ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ربا أضعه ربا العباس)، فكان يوجد ربا للعباس

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٢٠

رضي الله عنه في الجاهلية يتعامل به، فلما أسلم كان لا يزال يتعامل به، حتى حرم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في خطبة حجة الوداع.

وقول الله: ﴿وما آتيتم من ربا﴾ [الروم:٣٩] لها معنيان: معنى الربا المعروف، **ومعنى آخر** مقصود وهو المقدم هنا في هذه الآية، فالربا أصله من الزيادة، فقالوا: ﴿وما آتيتم من ربا﴾ [الروم:٣٩] هي الهدية، وما هو وجه الربا في هذه الهدية؟ قال ابن عباس: الربا نوعان: ربا حلال وربا حرام، الربا الحلال: هو الذي لا أجر لك فيه عند الله سبحانه وتعالى، وهو ما يفعله الناس فيما بينهم من هدايا، يعطي إنسان لأخيه هدية، أو يعطي ابنه إذا نجح هدية، وهذا هو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى هنا، وهو المقصود بهذه الآية، وأكثر المفسرين من الصحابة والتابعين على هذا المعنى، ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾ [الروم:٣٩] يعني: ليس لك أجر فيه عند الله سبحانه، تعطي هدية وتنتظر جزاءها، وبعض الناس ينتظر مثلها، وبعض الناس ينتظر أعظم منها، فالغني إذا أعطي هدية بجنيه، قد يرد بهدية بمائة جنيه، فهذا من أبواب الربا الذي ليس بحرام إلا على النبي صلى الله عليه وسلم، فهو محرم على النبي صلى الله عليه وسلم كما قال له الله في سورة المدثر: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر:٦] يعني: لا تعط هدية تبتغي أكثر منها، لا تعط عطاء تنتظر الرد أعظم منه، بل إذا أعطاك إنسان عطاء فأعطه مثله ومثليه وعشرة أمثاله، فالنبي صلى الله عليه وسلم مأمور أن يعطي أكثر مما يأخذ عليه الصلاة والسلام، أما غير النبي صلى الله عليه وسلم فبعضهم قد يعطي الهدية للقريب أو لغيره وينتظر عليها ما هو فوقها وما هو أعظم منها، وهذه الهدية ليس للإنسان أجر فيها، أما إذا أعطيت الهدية تبتغي بها وجه الله سبحانه وتعالى، وتبتغي صلة الرحم، فلك الأجر عند الله، وإذا ابتغيت أن يؤدى لك أكثر منها فليس لك أجر، وليس هذا حراما عليك، ولكنه حرام على النبي صلى الله عليه وسلم فقط، ولكن ائتس بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أعطيت هدية فلا تنتظر الرد أعظم منها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف)

ذكر الله منه على خلقه ونعمه عليهم، وبين مدى حاجتهم إليه فقال: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ [الروم:٥٤].

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٦/٢١٤

قوله: ((الله الذي خلقكم)) يدل لفظ الجلالة والفعل الذي يليه على توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، ويؤكد أن الله الإله المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأنه هو وحده، إذ الخلق مقتضى أنه رب سبحانه وتعالى، ولكونه ربا فهو وحده الذي يخلق، وهو وحده الذي يرزق، وهو وحده الذي ينفع ويضر، ويعطي ويمنع سبحانه وتعالى.

وفي الآية إشارة إلى توحيد الرب سبحانه في العبادة، إذ إنه ما دام أن الخالق واحد لا شريك له، فهو وحده الذي يستحق أن يعبد.

كما أن قوله سبحانه: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ [الروم:٥٤] يبين المنحنى الذي يعيش فيه الإنسان، فهو في هذا المنحنى بدأ من الصفر، ثم أخذ يكبر شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى أوج القوة والكمال، ثم بعد ذلك ينحني إلى الأسفل إلى أن يصل إلى الصفر مرة أخرى ويموت الإنسان! فالله خلق الإنسان من ضعف، ثم أوصله إلى القوة، ثم عاد به إلى الضعف مرة أخرى، ولذلك لا ينبغي أن يغتر الإنسان بما أعطاه سبحانه وتعالى في هذه الدنيا، بل لابد أن يستعين بما أعطاه الله سبحانه على طاعته، وما ينفعه في الدنيا وفي الآخرة.

أما الإنسان الذي يغتر بما أعطاه الله من قوة، فهو جاهل مغرور لم ينظر إلى غيره، كيف كان في يوم من الأيام صغيرا، ثم صار شابا، ثم صار شيخا، وتتابعت مراحل عمر الإنسان لتؤذن برحيله؛ لذا لابد أن يدرك أن الذي فعل بغيره ما فعل الذي يفعل بك ما يفعل بالغير، وقد قالوا: السعيد من وعظ بغيره.

وفي قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم﴾ [الروم:٥٤] قراءتان فقراءة الدوري عن أبي عمرو وخلف بالإدغام: (الله الذي خلقكم).

وقوله: ﴿من ضعف﴾ [الروم:٥٤] الضعف الأول هي المرحلة التي كان عليها الإنسان في بطن أمه من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم صار حملا، وتتبعها مرحلة الطفولة التي تبدأ من نزول الإنسان من بطن أمه صبيا صغيرا إلى أن يكبر ويشب.

قوله سبحانه: ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ [الروم:٥٤] أي: بعد مرحلتي الجنين والطفولة تأتي مرحلة الشباب والفتوة والاكتمال.

ثم قال سبحانه: ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ [الروم:٥٤] والضعف الأخير بسبب الشيخوخة والهرم كما بينت الآية.

وتنقل الإنسان بين هذه المراحل بدون اختياره يدل أن هناك قدرة مدبرة ذات مشيئة وإرادة، قال تعالى:

﴿يخلق ما يشاء﴾ [الروم:٥٤] سبحانه وتعالى، كما أن ضعف الإنسان ملازم له لا ينفك عنه، فإن كان ضعيفا فالذي يرزقه هو الله سبحانه وتعالى، وإن كان قويا فالذي يرزقه هو الله سبحانه وتعالى، ولذا ينبغي على الإنسان أن يكون دائما وأبدا متوكلا على ربه سبحانه، وليثق بالرب الذي أطعمه وهو في بطن أمه، وأطعمه وهو صبي صغير، فهو الذي يعطيه حتى يتوفاه سبحانه وتعالى.

وقرئت الآية على هذا النحو: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) وهذه قراءة عاصم، وقراءة عاصم في هذا الموطن بخلاف قراءة حفص، وإن كانت القراءة بالضم هي اختيار حفص عن عاصم، وذكر عن حفص أنه ما خالف عاصما في شيء إلا في هذه الكلمة لحديث عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها، فكان الأشهر من قراءة حفص عن عاصم: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)، كما أنها أيضا قراءة حمزة، وسبب اختيار حفص لهذه القراءة ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن عطية العوفي قال: قرأت على عبد الله بن عمر: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء﴾، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) ثم قال له: قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قرأتها علي فأخذ علي كما أخذت عليه.

ف عبد الله بن عمر قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم: (الله الذي خلقكم من ضعف) فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم: (من ضعف) وإن كانت هذه قراءة صحيحة وهذه قراءة صحيحة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بعض أصحابه بقراءة والبعض الآخر بقراءة، والكل كلام رب العالمين سبحانه، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)، فكلا القراءتين جائز، ولكن الغرض بيان: سبب اختيار حفص لهذه القراءة على القراءة الأخرى؟ فعلمنا أن اختيارها كان بسبب الحديث المتقدم، والحديث حسنه الترمذي وأيضا حسنه الألباني.

قال العلماء: الضعف يكون بالضم: الضعف، ويكون بالفتح: الضعف، على الخلاف الذي بين القراءتين، فالضعف بالفتح يكون في الرأي، وبالضم يكون في الجسد، وهذا صحيح، وإن كان كل منهما يعطي **المعنى الآخر**، فالمعنى على القراءة بالفتح: كنتم في ضعف، أي: في العقول وفي الآراء، إذ المعلوم أن الصبي الصغير لا عقل عنده، وإن كان فيه عقل يميز ولكنه لا يكلف بهذا العقل قطعا؛ لأنه غير سوي وغير

مكتمل، وهو ما نعني بالضعف، وعلى ذلك ستخص القوة في قوله تعالى: ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ [الروم:٥٤] بالقوة في الرأي، والمعنى: صار بالغا عاقلا مكلفا يفهم الأشياء، ذا خبرة في الحياة.

ثم بعد ذلك يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا، أي: يصل إلى مرحلة الهرم والشيخوخة ويبدأ عقل الإنسان بالضعف، فما كان يحفظه ينساه، والأشياء التي كان يتذكرها إذا به ينسى الكثير منها، وكان واسعا في مداركه وتفكيره فإذا به ضيق الأفق، وهو معنى الضعف الثاني على القراءة بالفتح ضعف.

وعندما يتأمل المرء في هذه المراحل العجيبة يدرك أنه ينبغي عليه أن يحاول قدر المستطاع أن يستفيد من قوته وشبابه، عملا بوصية ابن عمر حيث يقول: خذ من قوتك لضعفك، وخذ من صحتك لسقمك، وخذ من حياتك لموتك، ولذا ينبغي على الإنسان أن يستغل فرصة قوته وصحته في عبادة الله سبحانه وتعالى، فإذا كنت في صحة بحيث تقدر على الصلاة قائما، فأكثر من الصلاة قبل أن يأتي عليك الضعف والمرض فتصلي وأنت قاعد.

ومن الفروق بين مرحلتي الضعفين اللذين ذكرهما الله سبحانه، أن الإنسان إذا كان في الضعف الأول وهو صغير يحبه أبوه وتحبه أمه، أما في الضعف الثاني الذي يأتي وهو كبير يضيق به من حوله، لذلك ينبغي على الإنسان أن يكون ودودا إلفا مألوفا، فإذا وصل إلى هذه المرحلة؛ إذا بالناس كلهم يحبونه، ففرق بين إنسان في شبابه مغرور، فهو يغتر على الناس، ويتقوى عليهم بقوته، ويستعرض عليهم بعضلاته، فإذا كبر وشاخ ضاق به الناس وتمنوا موته، وآخر كان ودودا للناس، خيرا مع الناس، إلفا مألوفا؛ فإنه إذا كبر في السن لقي كل من حوله يحبه، والكل يحاولون أن يخدموه، وكذلك الآباء مع أبنائهم فالأب الذي مع أولاده يخدمهم، ويعطف عليهم، ويرحمهم، وملئ بالحنان والشفقة، ويؤدبهم ويعلمهم دين الله سبحانه؛ يطيعه أبناءه في الشيخوخة أتم الطاعة، ويبذلون قصارى جهدهم في خدمته.

أما الأب القاسي على أولاده، الذي لا يحبهم، ولا ينفق عليهم، ويؤذيهم ويؤذي أمهم، فإنه إذا وصل إلى الشيخوخة تجدهم كلهم تاركين له، لا أحد يسمع له، وقد يتمنون موته، فالذي قدمه في يوم من الأيام جناه بعد سنين من عمره، أو بعد ما وصل إلى أرذل العمر؛ لذلك قدم لنفسك، ولا تنظر إلى اليوم وانظر إلى الغد ما الذي يكون فيه؟ فالله سبحانه يخلق ما يشاء وهو العليم بخلقه سبحانه، القدير على تغيير أحوالهم ﴿وهو العليم القدير﴾ [الروم:٥٤].." (١)

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٢٢٠

"تفسير قوله تعالى: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)

من الأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل قيام الليل حديث سهل بن سعد الساعدي قال: شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم في آخر حديثه: (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قرأ هذه الآية: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة:١٦ - ١٧]) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

فقوله تعالى: ((فلا تعلم نفس)) كل النفوس وأي نفس من النفوس مهما بلغت من العلم لا تعلم ما الذي ادخره الله عز وجل من ثواب عظيم جدير لعباده المؤمنين، ففي الحديث: (في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)، إذا: فيها: جمال عظيم، وفيها نعيم مقيم، والعين مهما رأت من نعيم في الدنيا فإنه لا يقارن بما في الجنة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ولا أذن سمعت) من أصوات جميلة، وموسيقى طيبة، ومن أشياء يسمعونها وينعمون بها، والله سبحانه وتعالى يفككهم بها في الجنة، لم يسمعوا قبل ذلك مثلها، وهذا يجعل الإنسان المؤمن يصبر على هذه الدنيا، ويصبر على أمر الله، ويصبر عما نهى الله عز وجل عنه، وهو يريد من الله سبحانه هذا الفضل العظيم، فيترك الدنيا لنعيم الجنة.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا حسد إلا في اثنتين)، نهينا عن الحسد، ولكن يجوز الحسد وليس بمعنى الحسد الحقيقي، ولكن بمعنى الغبطة، يغبط الإنسان صاحبه، والحسد معناه: تمني زوال النعمة من الغير، لكن المقصود هنا: تمني أن يكون لي مثل ما لهذا الإنسان، قال: (رجل آتاه الله الكتاب، وقام به آناء الليل والنهار)، يعني: رجل علمه الله سبحانه وحفظه القرآن فقام يصلي بالليل، فيتمنى الإنسان أن يكون مثله، ويحاول أن يقلده في ذلك، والآخر: (رجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار)، فيقول المسلم: يا ليت لي مثل فلان، وأنا أعمل مثل فلان، فيؤجر مثل عمل هذا الآخر.

أيضا مما جاء في الحث على قيام الليل: حديث رواه البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرق الباب عليه وعلى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ليلا، والله عز وجل أمر النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك﴾ [طه:١٣٢]، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهد أهله عليه الصلاة والسلام بالصلاة وخاصة قيام الليل،

وهم لا يتركون الفرائض، ولكن قيام الليل قد يكسل الإنسان عنه، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم لبيت ابنته فاطمة رضي الله عنها وعلي بن أبي طالب زوجها رضي الله عنه، فطرق الباب ثم قال: (ألا تصليان؟ وقام علي بن أبي طالب من النوم فقال: يا رسول الله! أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم الآية من سورة الكهف: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ [الكهف:٥٤])، وكان هذا تأديبا لـ علي بن أبي طالب أي: لا ترم كسلك على تقدير الله سبحانه وتعالى، وتقول: ربنا لو أراد أن نقوم لقمنا، كما أن كثيرا من الناس يقول لك: لو أراد الله أن نصلي لصلينا، فنقول له: اذهب وصل، وانظر هل يمنعك من الصلاة أم لا؟ إذا: لا تعلق الأمر على قضاء الله وقدره سبحانه، ولكن افعل ذلك، فالإنسان المؤمن يأخذ بالأسباب ليقوم الليل، وفرق بين إنسان يضبط المنبه ليقوم قبل الفجر ويصلي ركعتين، وبين إنسان أطفأ المنبه قبل أن ينام، ويقول: لو أراد الله أن أقوم لقمت! لا يستويان أبدا، فلو أن هذا الإنسان الذي أخذ بالأسباب، نام ولم يقم الليل، ولا حتى صلاة الفجر . وقام بعد الشروق فهذا مأجور، له أجر قيام الليل، وأجر صلاة الفجر؛ لأنه معتاد على ذلك، وتصدق الله عز وجل عليه بنومه ذلك، وأما الآخر لم يأخذ بالأسباب فضيع وفرط بتقصيره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لـ علي رضي الله عنه: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ [الكهف:٥٤].

والمعنى الآخر الذي ذكرناه في سنن أبي داود عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من امرئ تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نوم، إلا كتب له أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة)، وهذا فضل من الله الكريم سبحانه وتعالى.

نسأل الله من فضله العظيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولو دخلت عليهم من أقطارها)

قال الله تعالى: ﴿ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾ [الأحزاب:١٤] أي: من أنحائها.

لو دخل الكفار عليهم المدينة من أقطارها ثم سئلوا الفتنة وطلبوا منهم أن يشركوا وأن يعصوا الله سبحانه وتعالى لم يتلبثوا ولم ينتظروا، وإنما يدخلون في الكفر بسرعة؛ لأنهم منافقون، والمنافق ينتظر متى يظهر الكفر لكي يظهر كفره، فلذلك لو دخلت عليهم المدينة من نواحيها وطلب منهم الفتنة لما توقفوا.

قال تعالى: ((ثم سئلوا الفتنة لآتوها)) أي: لوقعوا في هذه الفتنة، وهذه قراءة الجمهور ((لآتوها)).

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ١٠/٢٤٦

وقراءة نافع وأبي جعفر وابن كثير وابن ذكوان بخلفه (لأتوها) يعني: لدخلوا فيها.
فآتى بمعنى أعطى، وهم يعطون بأيديهم الفتنة وهي الكفر والشرك والنفاق، ويعطون المعصية، و (لأتوها) أي: أي مكان فيه فتنة يجرون إليه.
قوله: ((وما تلبثوا بها إلا يسيرا)) يعني: على استحياء، أي يطلب منه الكفر والمعصية فيستحي قليلا أن يعرف المؤمنون حقيقة كفره ونفاقه، قال الله عز وجل: ((وما تلبثوا بها)) يعني: ما صبروا على إيمان يظهرونه إلا شيئا يسيرا، ثم أعطوا الكفر وأظهروا ذلك.
ومعنى آخر فيها: ((وما تلبثوا بها إلا يسيرا)) يعني: كم سيعيشون بعدما يكفرون، سيقبضهم الله وسيأخذهم مهما عاشوا، فلن يعيشوا إلا فترة قليلة ثم يقبضهم الله على ما هم فيه من سوء خاتمة.
نسأل الله عز وجل حسن الخاتمة، ونسأله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (أشحة عليكم وكان ذلك على الله يسيرا)
قال الله سبحانه: ﴿أشحة عليكم﴾ [الأحزاب:١٩] أي: أبخل الناس عليكم.
والشحيح هو الإنسان الذي يضن بما في يده، بل وبما في يد غيره أيضا، فهم يمتنعون عن إعطائكم أي خير، ولا يوجد في هؤلاء خير، فلا يواسونكم بألسنتهم، ولا يعطونكم من أموالهم، بل هم في غاية الشح.
وقال تعالى: ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾ [الأحزاب:١٩] فصورتهم في وقت الخوف في غاية من الرعب، والإنسان الجبان غير مستقر في مكانه من شدة رعبه، ((تدور أعينهم)) أي: تتحرك في كل مكان يريدون أن يهربوا إلى مكان آمن.
قال تعالى: ﴿كالذي يغشى عليه من الموت﴾ [الأحزاب:١٩] كأن الموت آتيه لا محالة.
قال تعالى: ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾ [الأحزاب:١٩] أي: أنهم في وقت الخوف مرعوبون خائفون، يبحثون عن حماية، فإذا ذهب الخوف تشجعوا وظهروا.
وقوله تعالى: ﴿سلقوكم﴾ [الأحزاب:١٩] السلق بمعنى رفع الصوت وإكثار الكلام، ومنه السالقة والصالقة بالسين وبالصاد بمعنى: الرافعة صوتها، فذم النبي صلى الله عليه وسلم عن الصالقة والحالقة والشاقة ودعا عليهن.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٧/٢٦١

والمرأة الصالقة: هي التي تصوت، والحالقة: هي التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة: هي التي تمزق ثيابها عندما يموت لها قريب، فالتي تصنع ذلك معلونة، فالصلق والسلق بمعنى رفع الصوت.

والمعنى: أظهروا الجراءة والبجاحة والكلام بالصوت العالي، والشتم والنبذ في المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ [الأحزاب:١٩] أي: ألسنتهم حادة مثل الحديد الشديد، ففي وقت عدم الخوف فإنهم يتكلمون على المؤمنين، فيقولون مثلا: لا يعرف كذا، أو هؤلاء المجاهدون الذين أنفقوا فإنهم يراءون الناس في الإنفاق، فمن أنفق منهم شيئا قليلا، قالوا فيه: ربنا غني عن هذا الشيء، فلا يعجبهم من أنفق كثيرا أو قليلا.

فالمجاهدون من المؤمنين لم يعملوا أي شيء، فلو كنا نحن كنا عملنا.

وهم لا يفعلون لا قليلا ولا كثيرا، قال سبحانه: ﴿أشحة على الخير﴾ [الأحزاب:١٩] أي: ما عندهم خير لا في كلامهم ولا في فعالهم ولا في إنفاقهم.

قال تعالى: ﴿أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم﴾ [الأحزاب:١٩] أي: أن الدافع لهم إلى ذلك هو عدم الإيمان في القلوب، فأحبط الله أعمالهم، أي: أبطل ما أظهروه من أعمال ظاهرها الخير وحقيقتها الرياء، فلا ثواب لهم.

وقوله تعالى: ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ [الأحزاب:١٩] أي: إحباط أعمالهم على الله يسير، هذا المعنى الأول.

والمعنى الآخر: كان نفاقهم عند الله لا قيمة له؛ لأن هؤلاء لا ينصرون دين الله، إنما ينصر دين الله من آمن بالله سبحانه، والله غني عن عباده.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من عباده الناصرين دينه، المدافعين عنه، المخلصين له.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم)

قال تعالى: ﴿إنك لمن المرسلين﴾ [يس:٣]، يقول ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد أقسم له سبحانه بكتابه الحكيم إنه لمن المرسلين.

وإذا قال له ربه سبحانه: ﴿إنك لمن المرسلين﴾ [يس:٣] كفى، ولكن يقسم له سبحانه لإزالة أي شك

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٩/٢٦٢

وريب في قلوب الناس، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فلا شك في قلبه فإن جبريل يأتيه بهذا القرآن العظيم فلا يحتاج إلى التوكيد، وإنما يحتاج إلى التوكيد أتباع النبي صلى الله عليه وسلم والناس.

فقوله: ﴿إنك لمن المرسلين﴾ [يس:٣] أي: رسول ونبي صلوات الله وسلامه عليه، نبي نبئ بالغيب عليه الصلاة والسلام، ورسول نزلت عليه شريعة من عند الله رب العالمين، وكل رسول نبي، ولكن ليس كل نبي رسولا، فالنبي أعم والرسول أخص.

الرسول صاحب شريعة يأتي بكتاب من عند الله يحكم الناس به، والنبي يحكم بشرع من كان قبله، فهو متابع منبأ بغيب من عند الله، ولكن لم يختص برسالة، ورسل الله عليهم الصلاة والسلام أقل عددا من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم﴾ [يس:٣ - ٤] أي: يخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخبر: ((إنك لمن المرسلين))، ويخبر بخبر ثان: إنك ((على صراط مستقيم))، والصراط: الطريق الذي يوصل بين شيئين والمعنى: إنك على طريق مستقيم من عند الله سبحانه.

والمعنى الآخر لقوله تعالى: ﴿إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم﴾ [يس:٣ - ٤] أي: من المرسلين الذين أرسلوا على صراط مستقيم، فكأن المعنى هنا: إنك يا محمد! على طريق الرسل الذين كانوا من قبلك، فهؤلاء على طريق الله وأنت على طريقهم، والكل يدعو إلى الله سبحانه وتعالى.

((على صراط)) تقرأ بالصاد وتقرأ بالسين وتقرأ بالزاي.

أفيقرؤها قنبل عن ابن كثير وكذلك رويس عن يعقوب: (على سراط مستقيم) بالسين.

ويقرؤها خلف عن حمزة: (على زراط).

ويقرأ باقي القراء بالصاد المكسورة: ((على صراط مستقيم))..." [1]

"معنى جعل الأغلال في أعناق الكفار

قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ [يس:٨].

إن من جمال القرآن في تعبيراته وبلاغته، احتماله للمعاني الكثيرة التي تكون كلها صحيحة، فيكون الاختلاف اختلاف تنوع، فالله سبحانه يقول: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا﴾ [يس:٨]، إما أن يكون يوم القيامة وهم يحاسبون، أو وهم في النار، أو وهم في الدنيا جعل في أعناقهم ذلك دليلا على المنع والحجز عن شيء أرادوه، فكل هذه المعاني صحيحة.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٩/٣١٠

والقيد: الرباط الذي يوثق به الإنسان، سواء كان من حديد أو من غيره، توضع في رجله سلسلة يقيد بها في الأرض.

والغل: السلسلة التي تجمع يدي الإنسان إلى عنقه، فتكون اليدان مربوطتين إلى العنق في سلسلة، والرأس مرفوع إلى فوق، والذل عليه فنظره أسفل، فهو مقمح ذليل لا يقدر أن يحرك رأسه، قال تعالى: ﴿فهم مقمحون﴾ [يس:٨]؛ بسبب هذا الوضع الذي يكونون عليه يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ [غافر:٢٦ – ٧٢]، هذا حالهم يوم القيامة.

ولذلك إذا رأى الإنسان في منامه الغل فإن ذلك يعني شيئا سيئا، وإذا رأى القيد في منامه كان شيئا حسنا، فالقيد ثبات على الدين.

فقوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان﴾ [يس:٨]، يعني: أيديهم مغلولة تحت أذقانهم، مربوطة بسلاسل في أعناقهم.

وقوله: ﴿فهم مقمحون﴾ [يس:٨]، أي: أن الوضع ضيق عليه، فلا يقدر أن يوطئ رأسه فيستريح؛ لأن رأسه مرفوعا، وعينيه ذليلتان تنظران إلى أسفل.

فالإقماح: رفع الرأس وغض البصر، ورفع الرأس هنا ليس من عزته؛ لأنه مجبر على ذلك.

والمعنى الآخر لقوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ [يس:٨]، أن هذا تمثيل، لما جعلهم الله عز وجل في الدنيا كمثل هؤلاء الذين رءوسهم مرفوعة، وأبصارهم خاشعة ذليلة، لا يقدرون على النظر، ولا يقدرون على شيء.." (١)

"عظم آيتي الليل والنهار

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

قال الله عز وجل في سورة يس: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون * وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون * إلا رحمة منا

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٦/٣١١

ومتاعا إلى حين﴾ [يس:٤٥ - ٤٤].

يعدد الله سبحانه وتعالى لنا نعمه على عباده في هذه الآيات وما قبلها، ومما ذكره قبل ذلك أن قال: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون﴾ [يس:٣٣]، آية وعبرة وعظة للخلق ومعجزة تدل على قدرة الخالق تبارك وتعالى، أرض ميتة ينزل الله عز وجل عليها المطر فيحيي هذه الأرض بعد موتها، ويخلق فيها ما يشاء سبحانه وتعالى من بساتين وحقول، وأصناف الزروع وثمار الحبوب، يخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير، فيذكر ذلك ثم يقول: ﴿أفلا يشكرون﴾ [يس:٣٥] أي: هلا شكروا الله سبحانه على نعمه التي خلقها وسخرها لهم وصنعوا منها بعقولهم وبقوتهم التي أعطاهم الله سبحانه ما يشاءون.

قال سبحانه: ((ليأكلوا من ثمره))، ليأكلوا من الثمار التي خلقها الله سبحانه ومما يصنعونه هم بأيديهم، ((وما عملته أيديهم)) هذا **المعنى الآخر**: أنها لم تعمل أيديهم هذه الأشياء، فلا أنزلت أيديهم المطر من السماء، ولا خلقت العيون في الأرض، ولا أخرجت الحبوب منها والثمار، ولكن الله الذي خلق ذلك، أفلا يشكرون الله ويعبدونه وحده لا شريك له.

قال الله تعالى: ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ [يس:٣٦]، كما قال: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ [الذاريات:٤٩] خلق من الأنعام زوجين الذكر والأنثى، ومن الحشرات كذلك، ومن الدواب كذلك، ومن الإنس كذلك، وقال لنا هنا: ((سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض))، فأخرج لنا الأنواع والأصناف كلها مما تنبت الأرض، ((ومن أنفسهم)) ومن أنفس الخلق خلق الزوجين الذكر والأنثى، ((ومما لا يعلمون)) يخلق ما يشاء، هذه من آياته العظيمة.

ومن آياته أيضا: الليل والنهار، قال سبحانه: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ [يس:٣٧]. وهذا التعبير الدقيق في كتاب الله سبحانه وتعالى يرينا هذه الآية العظيمة، ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)) كأن هذا ينسلخ من ذاك، فيبدو للناس الليل ويظهر للناس النهار على ما يريهم الله سبحانه تبارك وتعالى.

يقول أهل العلم: إن الليل يحيط بالأرض من كل مكان، والنهار جزء بسيط إذا قورن بالليل الذي يحيط بالكرة الأرضية من كل مكان، والجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، فحينما تنعكس أشعة الشمس على هذا الهواء المحيط بالأرض في الجزء المواجه للشمس إذا بهذا الجزء مضيء، والأرض تدور، فإذا دارت فكأنه ينسلخ عنها هذا الجزء من النهار ويصير ليلا في المكان الذي دارت إليه،

وهكذا لا تزال تدور ويتعاقب فيكم الليل والنهار بمثل ذلك، وهذا لا يكون إلا والأرض على هيئة الدوران، ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ [الزمر:٥]، فالكرة الأرضية كالكرة تدور، وفي أثناء دورانها يتعاقب عليها الليل والنهار، وينسلخ النهار من الليل على ما يريد الله سبحانه وتعالى.
﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ [يس:٣٧]، الكون كله ليل، وجزء من الكون وهو الهواء الذي فوق الأرض يظهر فيه النهار، ثم ينسلخ بدوران الأرض كما ينسلخ الجلد من فوق الضحية التي تذبحها، قال الله سبحانه: ﴿فإذا هم مظلمون﴾ [يس:٣٧] فالجزء الذي كان مضيئا من الأرض دار فانسلخ منه نهاره فهم مظلمون الآن.." (١)

"أصحاب الجنة فيها

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.
قال الله عز وجل في سورة يس: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون * هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون * سلام قولا من رب رحيم * وامتازوا اليوم أيها المجرمون * ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم توعدون * اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون * اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون * ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون * ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون * ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون﴾ [يس:٥٥ - ٦٨].
هذا موقف من مواقف القيامة يذكره لنا ربنا تبارك وتعالى في حسابه لخلقه يوم القيامة، فريق في الجنة وفريق في السعير.
أهل الجنة أدخلهم الله عز وجل الجنة منهم السابقون الذين سبقوا الجميع ودخلوا الجنة بغير حساب أو بحساب يسير، فسبقوا غيرهم ودخلوا الجنة فانشغلوا بما فيها من نعيم عظيم من فاكهة جميلة من حور عين وغير ذلك مما ينعمون به في الجنة، انشغلوا عن حال غيرهم من أهل الموقف الذين ما زالوا في الحساب، وغيرهم الذين دخلوا في النار، فانشغلوا بالنعيم الذي هم فيه عن هذا كله.
﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون * هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون﴾ [يس:٥٦ -

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٣١٤

٥٦].

نساؤهم إذا استحققن الجنة كن مع أزواجهن، وإن كن من نساء الجنة فهن أزواج مطهرات من الحور العين: ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ [يس:٥٦ - ٥٧].

ينعمون فيها، يجلسون متكئين، في سرر كسرير العروس الذي تجلس فيه في الدنيا وهو مزين بالقباب مزين بالستور مزين بالثياب فيه أرائك فيه عرش تجلس عليه العروس ويجلس عليه معها زوجها، هنا في الجنة ينعمون بذلك، بل بأفضل من ذلك بكثير.

﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ [يس:٥٧]، ما يطلبون، ما يسألون الله عز وجل من شيء إلا وأعطاهم بزيادة سبحانه تبارك وتعالى.

﴿ولهم ما يدعون * سلام قولا من رب رحيم﴾ [يس:٥٧ - ٥٨].

((ولهم ما يدعون سلام)) على معنيين فيها: أي ما يدعونه خالصا لهم، ((سلام)) أي: سالم لهم، كما ذكر الله عز وجل: ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل﴾ [الزمر:٢٩] يعني: خالصا له، وهنا (سلام)، ما يدعونه خالص لهم في هذا اليوم لا يشركهم فيه أحد لا يوجد أحد.

المعنى الآخر: ((سلام))، كأنه ابتداء واستئناف، أو: هذا سلام، أو: لكم من الرب الرحيم سلام، أي: تحية مباركة من الله سبحانه تبارك وتعالى، يسلم على أهل الجنة: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ [الزمر:٧٣]، التسليم من الله سبحانه، والتسليم من الملائكة، والمؤمنون يسلم بعضهم على بعض وهم في الجنة، تحيتهم يوم القيامة في الجنة سلام، ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ [إبراهيم:٢٣].

كذلك يقال لهم: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل:٣٢]، ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ [يس:٥٨]، ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ [الزمر:٧٣]، فيكون المعنى هنا، سلام أي: يعطيهم الله سبحانه تبارك وتعالى السلام والأمن، ويحييهم ربهم الحياة الطيبة والتحية العظيمة، سلام قولا من ربكم سبحانه تبارك وتعالى، فيميز هذا التسليم بأنه قولا من الله سبحانه تبارك وتعالى، ﴿سلام قولا من رب﴾ [يس:٥٨] خالق مالك يملك كل شيء، رحيم بعباده سبحانه تبارك وتعالى، ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ [يس:٥٨].." (١)

"تفسير قوله تعالى: (لينذر من كان حيا)

قال تعالى ﴿لينذر من كان حيا﴾ [يس:٧٠].

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٣١٧

أي: ينتفع بإنذار القرآن له من كان قلبه حيا وليس ميتا ولا قاسيا، وليس قلبه في ظلمات الكفر، ولكن الإنسان الذي يستجيب هو الذي ينتفع بالبشارة والنذارة.

(لتنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) هذه قراءة بعض القراء منهم نافع وأبو جعفر وقراءة ابن عامر ويعقوب، وباقي القراء: (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) أي: لينذر هذا القرآن وهذا الكلام العظيم من رب العالمين من كان حيا.

(ويحق) أي: لتكون النتيجة والعاقبة إحقاق ما قاله الله سبحانه على الكافرين أنه أقسم: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود:١١٩] فاستحق هؤلاء أن يحق عليهم قول رب العالمين سبحانه، وهناك معنى آخر في قوله: ﴿ويحق القول على الكافرين﴾ [يس:٧٠] أي: لتجب حجة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الكافرين.

فنزل القرآن وربنا أعلم أنهم لم يستجيبوا، ولكن ليحق القول عليهم، ليروا أن هذا جاءهم بموعظة من عند الله وأنهم كذبوا، فإذا أدخلهم النار لم تكن لهم حجة على الله سبحانه.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)

قال الله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [الحج:٥٢] أرسل الله عز وجل الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهذا مرسل وهذا مرسل، لكن الرسول معه شريعة من عند رب العالمين، والنبي مأمور أن يدعو القوم إلى توحيد رب العالمين سبحانه، فالرسول معه رسالة من الله سبحانه، وكلاهما مرسل.

قال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى﴾ [الحج:٥٢] أي: رسول وأي نبي عليهم الصلاة والسلام يتمنون، والتمني يأتي بعدة معان: فمن معانيه: التلاوة، فيتلو ما أنزل الله عز وجل عليه، ومن معانيه: التحدث والإخبار بما أوحى الله عز وجل إليه من وحي، والتمني حديث النفس ورجاء الخير، فالنبي يرجو الخير فيحدث نفسه فيقول: لو أن قومي أسلموا لدخلوا الجنة، لو أن قومي أسلموا لكانوا قوة وجاهدنا الكفار، فيحدث نفسه ويتمنى الخير من عند رب العالمين سبحانه تبارك وتعالى.

فإذا الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام تمنوا بمعنى: تلوا أو بمعنى حدثوا، ألقى الشيطان في تلاوتهم وألقى في أحاديثهم، والمعنى: أن القوم يستمعون لآيات الله سبحانه تبارك وتعالى، وإذا بالشيطان يلقي في قلوبهم ما يمنعهم من الإيمان بهذا الكلام العظيم من عند رب العالمين سبحانه.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣/٣١٨

فالله يقول لنبينا صلى الله عليه وسلم: لست أنت أول من يعرض عنه الناس مع ظهور الحجة والبينة، ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج:٤٦]، فهؤلاء الكفار يسمعون كما يسمع المؤمنون، ويفهمون ما يفهمه المؤمنون، لكن قلوبهم تصدهم عن سبيل الله سبحانه تبارك وتعالى، يعرف الكافر الحق ويحيد عنه، يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل من عند رب العالمين فإذا به يعاند ويجحد ما جاء به، وهو مستيقن في نفسه أن هذا الحق من عند رب العالمين! فيلقي الشيطان في أمنية الأنبياء وأمنية المرسلين عليهم الصلاة والسلام بمعنى: في تلاوتهم وفي حديثهم فيما تمنوه من إيمان قومهم، فالشيطان يصد عن سبيل الله سبحانه تبارك وتعالى، ويلقي في قلوب الكفار أن هذا سحر، وأن هذا كاهن، وأن هذا شاعر، وأن هذا أساطير الأولين، فالنبي يحدث ويعتقد أن هؤلاء سيفهمونه ويستوعبونه، ويعون ما يقوله؛ وإذا بهم يصدون عنه، ويقولون: كذاب، النبي صلى الله عليه وسلم جاء لقومه وهو يقول: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ [الشورى:٢٣]، اسمعوا وأعينوني أبلغ كلام رب العالمين، فظن أنهم يعينونه صلى الله عليه وسلم؛ فإذا بالشيطان يحول بينه وبين قومه عليه الصلاة والسلام؛ فإذا بالشيطان يلقي في قلوبهم حتى قالوا عنه: كذاب، وكانوا قبل ذلك يقولون عنه: الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه، وقالوا عنه: ساحر، وهم يعلمون أنه ليس ساحرا صلوات الله وسلامه عليه.

فهذا ما يلقيه الشيطان في قلوب هؤلاء، يتلو النبي فإذا بهذا الشيطان لعنة الله عليه يحول بين هؤلاء وبين فهمهم لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وكذلك غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

(إلا إذا تمنى) أي: إذا قرأ أو حدث بالوحي، إذا بالشيطان يلقي في هذه التلاوة ما يحول بين القوم وبين فهم ما يقوله النبي عليه الصلاة والسلام، بل يكذبونه ويعاندونه.

معنى آخر وهو أنه إذا تمنى النبي والأنبياء من قبله إيمان أقوامهم إذا بهم يوم القيامة يأتي النبي ومعه الأمة، والنبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الاثنان، والنبي ومعه الواحد، والنبي وليس معه أحد عليهم الصلاة والسلام، فالنبي الذي يأتي وليس معه أحد عندما أرسله الله إلى قومه كان يتمنى إيمان جميع قومه، فلم يؤمن به ولا رجل.

فالشيطان ألقى في أمنيته فأبعد الناس عن دين رب العالمين، ويزين لهم الدنيا والابتعاد عن كتاب الله وعن سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ويحول بينهم وبين الإيمان، قال سبحانه تبارك وتعالى: ﴿إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ [الحج:٥٢].

وإذا كان كل الأنبياء والمرسلين سيلقي الشيطان في أمانيهم، فهل سيظل ما يلقي الشيطان ولا يؤمن أحد

أبدا؟ لا، فربنا يخبر أنه يبطل ما يلقي الشيطان، قال سبحانه: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ [الحج:٥٢] النسخ: الإزالة والمحو والإبطال، فيبطل الله عز وجل ما ألقاه الشيطان في قلوب هؤلاء؛ فإذا بالمشركين يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون: نقول عنه: ساحر؛ فإذا بعضهم يرد على بعض ويقول: لا ما هو ساحر، ولا أحد سيصدقنا فيما نقول.

فقالوا: نقول عنه: كاهن، الشيطان يلقي عليهم هذا الشيء وإذا بعضهم يرد على بعض فيقول: نحن عرفنا الكهانة، وهذا ليس بكاهن من الكهان.

فقالوا: نقول عنه: شاعر، فيقولون: ليس شاعرا.

فينسخ الله ما يلقي الشيطان في قلوب هؤلاء، ويظهر الحق سبحانه تبارك وتعالى سواء صدقوا أو لم يصدقوا، قال الله: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [الحج:٥٢].

كذلك قد يلقي الشيطان في قلوب هؤلاء القوم أن النبي عليه الصلاة والسلام لعله يداهن كما قال الله: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ [القلم:٩]، فتمنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم يداهنهم ويذكر آلهتهم بخير، والله سبحانه تبارك وتعالى يحذر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا * إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ [الإسراء:٧٣ - ٧٥] صلوات الله وسلامه عليه.

فانظر كيف يحكم الله عز وجل آياته ويهدد نبيه صلوات الله وسلامه عليه -وحاشا له أن يبتعد عن أمر ربه سبحانه- تخويفا له، والأمة تبع له فيقول سبحانه: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ [الإسراء:٧٤] وهذا يدل على صموده، وأنه مستحيل أن يداهنهم صلوات الله وسلامه عليه؛ لأنه معصوم، ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا﴾ [الإسراء:٧٤]، ولم يحدث أن ركن إليهم صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله ثبته على الحق بالعصمة منه سبحانه تبارك وتعالى، ولو أنه ركن إليهم شيئا قليلا -وحاشا له صلى الله عليه وسلم أن يقع في ذلك- يقول الله عز وجل: ﴿إذا لأذقناك ضعف الحياة﴾ [الإسراء:٧٥] أي: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات.

فهنا ينسخ الله ما يلقي الشيطان من الكلام الكذب الذي يقوله الكفار، ويحكم الله عز وجل آياته، ويثبت دينه، ويثبت ما يقوله الرسول عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء والرسل، فيسمع الناس الحق، ويعرفون أنه الحق والله عليم حكيم، يعلم كل شيء، ويعلم ما يدبره هؤلاء الأقوام، وما يقولونه، والله حكيم في أن

يؤخر الحكم في ذلك، وأن يملي لهم وأن يمهلهم سبحانه تبارك وتعالى، ولا ينسى ربك شيئا، ولكنه حكيم في أحكامه، حكيم في تأديبه وتأخيره سبحانه تبارك وتعالى.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون)

قال الله: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ [الصافات:١٤٧]، أرسله الله عز وجل إلى قومه أو إلى غيرهم، رجع إلى قومه يدعوهم وكانوا مائة ألف، أو أرسله إلى غيرهم سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه: ﴿فآمنوا فمتعناهم﴾ [الصافات:١٤٨] يعني: في هذه الدنيا، متعناهم بإيمانهم فيها إلى حين، فقد استجابوا لدعوته، والله سبحانه وتعالى لم يحرمه من خير، وهذا فضل الله عز وجل، ولو شاء لقبضه على ذلك فكان مليما وآتيا بما يلام عليه عند الله، ولكن الله تكرم عليه سبحانه وأرسله مرة أخرى؛ ليدعو إلى الله سبحانه وتعالى.

وذكر الله عز وجل ذلك في سورة الأنبياء، إذ ذكر أنه ينجي المؤمنين، فالإنسان المؤمن يتعلم من هذه القصة أنه لا يترك أمر الله سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يدري ما يكون وراء ذلك، ولا يترك دين الله سبحانه وتعالى والدعوة إليه سبحانه، بل يقتدي بـأنبياء الله الذين دعوا وصبروا في دعوتهم إلى الله سبحانه، والله قادر على التغيير، والإنسان الذي تراه يستحق العذاب قد يرى الله عز وجل أنه لا يستحق ذلك، فيرفع عنه العذاب الذي تتوهم أنه من أهله، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)، فلعل هذا الإنسان الذي أدعوه خير مني، ولعلي أراه الآن عاصيا ويكون مؤمنا تقيا بعد ذلك، ولعل الإنسان ينظر إليه أنه يستحق النار، وهو عند الله عز وجل يستحق أن يكون من أهل الجنة بما قدر الله عز وجل أن يفعله بعد ذلك.

وفي سورة القلم يقول الله للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾ [القلم:٤٨] بمعنى: كظم الغيظ، وكظم الغضب ونادى ربه سبحانه: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء:٨٧]، قال تعالى: ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم﴾ [القلم:٤٩]، ولكن الله لم يذمه سبحانه وتعالى، إذ قال: ﴿فاجتباه﴾ [القلم:٥٠]، أي: اصطفاه الله عز وجل، فجعله من الصالحين.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٥/٣٣

فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ [القلم:٤٨]، تحذيرا للنبي صلى الله عليه وسلم، ويقول في سورة الحاقة: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين﴾ [الحاقة:٤٤ - ٤٦]، هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلو أنه افترى علينا وحاشا له صلوات الله وسلامه عليه ﴿لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين﴾ [الحاقة:٤٥ - ٤٦]، فالله سبحانه يقول هذا على نبيه وحبيبه وخليله صلوات الله وسلامه عليه فكيف بغيره؟! لذلك لا يجوز لأحد أن يأمن عذاب الله سبحانه، أو يأمن عقوبة الله سبحانه، أو يحسن الظن بنفسه، أو يسيء الظن بغيره، بل يجب على الإنسان أن يحسن الظن في الله سبحانه وتعالى.

وفي قصة يونس يقول النبي صلى الله عليه وسلم محذرا: (لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى)، لا يقولن أحدكم ذلك، لعل إنسانا يسمع هذه القصة فيقول: سيدنا يونس هرب، والنبي صلى الله عليه وسلم صبر، إذا: النبي صلى الله عليه وسلم أحسن، فإن هذه المقارنة تكون على وجه النقيصة للنبي يونس عليه الصلاة والسلام، فيحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، ونحن نعلم ونستيقن أن النبي صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم، قال صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) يعني: لا أقول هذا من جهة الافتخار، ولكن أقول بالتحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى علي، فكذلك إذا ذكرنا أنه خير الأنبياء لا يكون ذلك على وجه تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم والانتقاص للغير، أما أن يذكر على وجه المقارنة، كأن تقول: يونس عمل كذا، والنبي صلى الله عليه وسلم عمل كذا، إذا: النبي أحسن من يونس فإن هذا لا يجوز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك، وقال: (لا ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى).

وقد أنبت الله عز وجل على يونس عليه الصلاة والسلام شجرة اليقطين، فأحبها النبي صلوات الله وسلامه عليه، وهي شجرة قرع يجعلها الله عز وجل في هذا الموضع نعمة على هذا العبد، ففيها فضل وفيها خير، فأحب النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطعام، وجاءت أحاديث عنه صحيحة في سنن ابن ماجة وفي مسند الإمام أحمد منها: حديث لـ أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع)، وهو الدباء، وفي حديث آخر قال: (بعثت معي أم سليم بمكتل فيه رطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجده، وخرج قريبا إلى مولى له دعاه، فصنع له طعاما، فأتيته وهو يأكل، قال: فدعاني لآكل معه، قال: وصنع ثريدة بلحم وقرع)، فالرجل صنع ثريدة الطعام كأنه الفتيت وفيه اللحم ومعه قرع، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه القرع، قال أنس: (فإذا هو يعجبه القرع، فجعلت أجمعه فأدنيه منه صلى الله عليه وسلم)،

وهذا من أدب أنس رضي الله عنه، حيث وجد النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يأكل الدباء، فكان يجمعه قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليأكل منه عليه الصلاة والسلام، قال: (فلما طعمنا منه رجع إلى منزله عليه الصلاة والسلام، ووضعت المكتل بين يديه -هدية أرسلتها أم سليم له برطب- فجعل يأكل) يعني: فاكهة أكلها صلى الله عليه وسلم وقسم منه حتى فرغ من آخره، يعني: لم يأكل وحده، وإنما أعطى لمن معه من هذه الهدية التي جاءته.

وفي حديث آخر رواه ابن ماجة أيضا وهو حديث صحيح عن جابر بن طارق بن عوف قال: (دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته وعنده هذا الدباء، فقلت: أي شيء هذا؟ قال: هذا القرع -وهو الدباء- نكثر به طعامنا).

فالإنسان المؤمن يحب ما أحبه النبي صلى الله عليه وسلم، وهنا ننبه على شيء، وهو أن بعض أعداء هذا الدين لما عرفوا هذه الأحاديث أخذوا يستهزئون من ذلك، والمسلمون بجهلهم لا يعرفون هذا الشيء، فمنهم من يقول لك: أتحب القرع؟! فيجعل الشيء الذي كان يحبه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا للتهكم فيتهكمون به، وهو يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء، فلا يحل لمسلم أن يستهين أو يتهكم أو يسخر مما كان يحبه النبي صلى الله عليه وسلم أو يقول شيئا على وجه التعريض، فيقصد معنى آخر، كأن يقصد السخرية من النبي صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما)

قال تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه﴾ [الزمر:٩]، (أمن هو) هذه الكلمة فيها قراءتان: قراءة نافع وابن كثير وحمزة: ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾، وقراءة الجمهور: ﴿أمن هو قانت﴾، وفيها معنيان: الهمزة هنا إما بمعنى الدعاء فتكون بمعنى: يا من هو قانت آناء الليل! ساجدا وقائما يدعو ربه، ويرجو رحمة الله عز وجل، تمتع بعبادتك الله سبحانه تبارك وتعالى في الدنيا، واستمتع بالجزاء الحسن يوم القيامة، فكأنه يقول: إن الكافر عبد غير الله وضل وأضل فقيل له: ﴿قل تمتع بكفرك قليلا﴾ [الزمر:٨]، والذي هو قانت لله سبحانه، وداع ربه، وساجد ومصل، وعابد لله، تمتع بعبادتك فإنك من أصحاب الجنة.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٧/٣٣٣

فهذا معنى من المعاني على قراءة (أمن هو)، **والمعنى الآخر**: (أمن) فهي همزة الاستفهام، وكأنه يقول: هذا الكافر خير أم المؤمن؟ فكأن المعنى في قوله: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه﴾ [الزمر:٩] هل هذا خير أم الإنسان الذي كفر بالله سبحانه؟ فهذا على قراءة (أمن).

قال تعالى: ﴿أمن هو قانت﴾ [الزمر:٩]، والقانت هو المطيع الخاشع والمذعن لله سبحانه تبارك وتعالى، الذي يطيع ربه سبحانه وهو قانت قائم في صلاته.

﴿آناء الليل﴾ [الزمر:٩] أي: ساعات الليل.

﴿ساجدا وقائما﴾ [الزمر:٩] أي: يراوح بين القيام وبين السجود، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أنه سئل عن أحب الصلاة وأفضل الصلاة فقال: (طول القنوت)، وهذا الحديث في مسند أحمد أي: طول القيام.

وروى الإمام مسلم في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصلاة طول القنوت).

وهذه الهيئة من أفضل الهيئات في الصلاة، وأفضل منها السجود، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في السجود: (إنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فحري أن يستجاب له)، والسجود أفضل وأخشع هيئة يكون عليها العبد، ولكن القيام فيه فضل بسبب الأذكار، فالسجود لا يجوز فيه قراءة القرآن فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القراءة في الركوع وفي السجود، ولكن في القيام يجب عليك أن تقرأ فيه القرآن فصار أشرف ما يكون في القيام هو قراءة القرآن، وأفضل هيئة يكون عليها العبد السجود فذكر الله الهيئتين ﴿ساجدا وقائما﴾ [الزمر:٩].

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، فقيل له: لم تفعل ذلك؟ فقال: (أفلا أكون عبدا شكورا)، فكان يقوم من الليل وقتا طويلا كما أمره الله سبحانه في قوله: ﴿قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾ [المزمل:٢ - ٤]، فكان فرضا عليه فقام قياما طويلا، ثم نسخت الفرضية فلم يترك القيام صلوات الله وسلامه عليه بل جعلت قرت عينه في الصلاة والتقرب إلى الله سبحانه تبارك وتعالى.

وكأن من أفضل ما يكون أن تقرأ قراءة طويلة في الصلاة، وهذا إذا كنت وحدك، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم أحيانا بسورة البقرة، وسورة النساء، وسورة آل عمران، وذات مرة قام صلى الله عليه وسلم فقرأ في ركعة واحدة بسبع سور طوال من كتاب الله سبحانه تبارك وتعالى، قرأ بها صلوات الله وسلامه عليه في

ليلة واحدة وهذه الهيئة ليس كل إنسان يطيقها؛ ولذلك فعلها النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة النافلة في قيام الليل، لكن في صلاته بأصحابه كان يطيل إطالة لا يشق عليهم بها صلوات الله وسلامه عليه، فيقرأ في صلاة الفجر من الستين إلى السبعين آية أو أقل من ذلك أو أكثر من ذلك صلوات الله وسلامه عليه، ويقرأ بما لا يشق على الناس.

وجاء في الحديث نفسه أن رجلا بعد أن سأله عن أفضل الصلاة قال: (أي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده، وأريق دمه) أي: جاهد في سبيل الله بنفسه، وأفضل شخص من فقد جواده وقتل في سبيل الله فهذا أفضل ما يكون، (قيل: يا رسول الله! أي الهجرة أفضل؟ فقال عليه الصلاة والسلام: من هجر ما كره الله عز وجل)، وهي الهجرة الدائمة، أما الهجرة من مكة إلى المدينة ففرضت في وقت معين، وبعد ما فتحت مكة انتهى الفرض؛ لأنه قبل الفتح كانت الهجرة من مكة إلى المدينة واجبة وفريضة على كل مسلم. فالهجرة المقصودة في الحديث هي هجرة الذنوب والمعاصي، فتهجر ما يكره الله سبحانه تبارك وتعالى.

(قال الرجل: يا رسول الله! فأي المسلمين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده)، وهذا أفضل المسلمين، الإنسان الذي يأتمنه الناس على دمائهم وعلى أعراضهم، والذي لا يخاف منه الناس، ولا يخافون بطشه وبأسه، ولا يخافون غدره وخيانته، الذي يأتمنونه فهم يسلمون من لسانه فلا يتكلم فيهم بما يسوءه ويسلمون من يده فلا يؤذيهم.

(ق ا ل: يا رسول الله! ما الموجبتان؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار)، فالذي يموت على التوحيد وجب له أن يدخل الجنة، هذه موجبة، والموجبة الأخرى من أشرك بالله وهذه التي تلزمه أن يكون من أهل النار والعياذ بالله.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه)

ثم أخبر الله عن نفسه سبحانه، وعن فضله على عباده، وعن قوته وقدرته سبحانه، فقال: ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ [غافر: ٦١] فالله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فعبر عن ألوهيته بلفظ الجلالة (الله)؛ لأنه يفرد بالعبادة سبحانه، وعبر عن ربوبيته بقدرته سبحانه وخلقه وصنعه لهذه الأشياء، فالله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، وكلمة (جعل) تأتي بمعان: فمن معانيها: الخلق، وهذا هو المقصود هنا، وقد تأتي بمعنى التصدير، أي: تصدير الشيء كذا، فإذا تعدت لمفعول واحد فهي بمعنى الخلق، وإذا تعدت لأكثر من

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣/٣٤٢

مفعول فلها معنى آخر كما يذكر الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ [الزخرف:٣]، وهنا ليس معناها الخلق، فقد تعدت لمفعولين، والمعنى أي: جعله لتفهموه ولتعملوا به، فجعله لكم قرآنا عربيا، وهو كلامه سبحانه وتعالى، وهو صفة من صفاته سبحانه، فجعل الكلام عربيا لتفهموه، وقد خلق جميع الألسنة التي يتكلم بها الخلق فكلام الخلق مخلوق، وأما كلام الخالق سبحانه فهو صفة من صفاته.

و (جعل) في هذه الآية: ﴿الله الذي جعل لكم الليل﴾ [غافر:٦١] بمعنى الخلق، أي: خلق لكم الليل وخلق لكم النهار، فخلق لكم الليل رحمة بكم لتسكنوا فيه، قال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ [غافر:٦١]، رحمة من الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا﴾ [الفرقان:٤٧].

ومن رحمته سبحانه أنه علم ضعف خلقه، والخلق لا يقدرون أن يعيشوا في هذه الحياة الدنيا والواحد منهم مستيقظ دائما، فلا يطيق ذلك ولا يقدر، فلو أن إنسانا ظل مستيقظا أياما كثيرة فقد يموت من عدم النوم، فجعل الله للعباد ما يتمكنون فيه من النوم، وما يتمكنون فيه من الخروج للمعاش، فجعل الليل سكنا ولباسا يغشيهم ويغطيهم ويخفيهم ويسترهم، فيقدر الرجل في الليل أن يختبئ في بيته، وأن يختفي عن الخلق، وأن يأتي ويعاشر أهله في خفاء عن غيرهم من الخلق، فيستر الله عز وجل عباده، وجعل ﴿النوم سباتا﴾ [الفرقان:٤٧]، أي: تنامون نوما عميقا فتستريحون بهذا النوم، وتقدرون على العمل بعد ذلك.

﴿وجعل النهار نشورا﴾ [الفرقان:٤٧]، أي: أحياكم بعد ما أماتكم في هذا الليل، فقمتم من نومكم وقد أخذتم قسطا من الراحة، فنشركم الله سبحانه، أي: أعادكم مرة أخرى لليقظة وللحياة.

قال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ [غافر:٦١]، أي: من أجل أن تسكنوا فيه، فالسكون هو الهدوء، والعشرة، ويسكن الرجل إلى أهله، ويسكن إلى بيته، فجعل الليل لكم سكنا.

قال تعالى: ﴿والنهار مبصرا﴾ [غافر:٦١]، أي: شديد الإضاءة، ففي النهار تشتد الإضاءة الناتجة من الشمس التي خلقها الله عز وجل للعباد، فجعل النهار يبصر فيه العباد، ومن شدة إضاءته كان النهار نفسه الذي يبصر، والمعنى: أنه جعل لكم النهار لتبصروا فيه وتعرفوا مصالحكم، وينظر بعضكم إلى بعض، وهو آية من آيات الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ [غافر:٦١]، دائما يكون التعبير بالألوهية والربوبية؛ لبيان أن الرب هو الله المستحق للعبادة وحده، والمشركون كانوا يفرقون بين ذلك، فالربوبية يصرفونها لله، فلو سألهم

سائل من خلق السماوات والأرض؟ لقالوا: الله، والألوهية يصرفونها لغير الله، فلو سألهم سائل من تعبدون؟ لقالوا: غير الله.

فيخبر الله عن ربوبيته، فالرب هو الذي يخلق: فقد خلق السماوات، والأرضين، والليل والنهار، والإنسان، فالله هو الذي يخلق والذي يصنع ويفعل، قال سبحانه: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ [النحل:١٧]، أي: الذي يخلق تتركونه وتعبدون من لا يخلق، فهل يستوي الخالق مع المخلوق سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا؟! فلفظ الجلالة (الله) من معانيه: أنه المعبود الذي يعبد سبحانه وتعالى، فالله هو المستحق لأن يؤله ويعبد سبحانه وتعالى، وهو هذا الرب الذي خلق والذي رزق والذي سوى كل شيء سبحانه.

﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ [غافر:٦١] أي: إن الله سبحانه وتعالى صاحب الفضل العظيم، فقد تفضل على عباده فأعطاهم وأوجدهم، وتفضل عليهم فأعطاهم ما يسكنون فيه، وما يتنعمون به، وما يعيشون فوقه، وجعل لهم الجنة جزاء على حسن العمل، وجعل العقوبة بالنار جزاء على الإساءة.

قال تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ [غافر:٦١]، فكل الناس يعرفون نعمة الله عز وجل عليهم، قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾ [النحل:١٨]، فهو رءوف بالعباد فأعطاهم النعم، ولكن الإنسان ظلوم وكفار، يظلم نفسه ويجحد نعم الخالق سبحانه وتعالى، ولهذا قال: ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ [غافر:٦١]، فالقلة من الناس هم الذين يؤمنون، والكثير من الناس يغويهم الشيطان فلا يشكرون ربهم تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ [الأنعام:١١٦]، وقال تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ [يوسف:١٠٣]، فالأكثر من الناس في غفلة عن ربهم وعن نعم ربهم سبحانه، فإذا أعطاهم لا يشكرون، وإذا تفضل عليهم سبحانه لا يعرفونه، ولا يرجعون الفضل إليه، ولعل الإنسان ينسب الفضل إلى نفسه فيقول: بذكائي، وبقدرتي، وبكدي، وبتعبي، وبجهدي، فينسب لنفسه ما أعطاه الله سبحانه، فلا يشكر نعمة الله.

لكن الإنسان المؤمن يحمد ربه ويشكره في كل أحواله، قال عليه الصلاة والسلام: (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)، فالمؤمن في كل أوقاته حامد لربه شاكر له، صابر على ما ابتلاه به.." (١)

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣/٣٨٣

"تفسير قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد: قال الله عز وجل في سورة فصلت: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون * قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [فصلت:٨ - ١٢].

يخبرنا الله سبحانه تبارك وتعالى في هذه الآيات العظيمة عن فضله على المؤمنين بعدما أخبرنا عما أعده للمشركين من عذاب أليم حيث قال: ﴿وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ [فصلت:٦ - ٧] ثم ذكر المؤمنين وما أعد لهم سبحانه تبارك وتعالى فقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ [فصلت:٨]، وقد ذكرنا ذلك في الحديث السابق، وأن الله سبحانه تبارك وتعالى أمر الخلق بالإيمان بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، أمرهم بالإيمان، وهو التصديق واليقين والإقرار بالقلب وباللسان، فالتصديق في القلب ويتبعه القول باللسان، ويتبع ذلك العمل بالجوارح والأركان.

قال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [فصلت:٨] لا بد من العمل الصالح؛ حتى يستحق الإنسان أن يدخل الجنة وينجيه الله عز وجل من النار، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات يتفضل الله عز وجل عليهم بكرمه الواسع وبرحمته التي وسعت كل شيء فيدخلهم جنته ويعطيهم الأجر العظيم الذي لا نهاية له.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ [فصلت:٨] أي: غير مقطوع، فلا يقطع عنهم ولا نهاية له، فيعطيهم أجرهم بغير حساب، ليس محسوبا عليهم أنه من يوم كذا إلى يوم كذا فقط وينتهي هذا الشيء، فإذا كان كذلك فهو المقطوع وهو المحسوب، فالأجر لا ينقص منه شيء، ولا يقطع عنهم، بل هو أجر عظيم عند الله سبحانه، أجر بغير حساب.

معنى آخر لقوله: (غير ممنون): أي: لا يمن عليهم به، فالإنسان في الدنيا قد يعطي لغيره المال ثم يمن عليه، فالإنسان إذا من عليه آخر يستشعر بهذا الشيء الذي يقوله له ويتحسر في نفسه، أما في الجنة فلا حسرة فيها، ولكن الله يمن على عباده سبحانه ولا يوبخهم ولا يبكتهم إذا دخلوا الجنة، بل لهم النعيم

العظيم الذي لا يقطع عنهم، ولا يمن عليهم بشيء من ذلك، وهذا من فضل الله الواسع.

وقد علمنا الله عز وجل في القرآن أننا نعطي ولا نمن في العطاء، فقال لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر:٦] أي: لا تعطي العطاء مستكثرا لهذا الذي أعطيت، ولكن مهما أعطيت فانظر إليه على أنه قليل، فلا تمنن تستكثر: لا تعطي وتطلب من الناس أن يردوا إليك ذلك، فعلمه سبحانه الكرم العظيم الذي يليق به صلوات الله وسلامه عليه، الكرم العظيم الذي يليق بتأديب الله عز وجل لنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فإذا أعطيت للخلق فلا تنتظر المقابل، ولا تنتظر الأكثر مما أعطيت، وإذا أعطيت للخلق فلا تمن عليهم بما أعطيت، ولذلك لما جاء رجل من الكفار إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عليه الصلاة والسلام شيئا وأسلم الرجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع الرجل في غاية الفرح والسرور إلى قومه يقول: يا قوم! أسلموا؛ فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر! يعني: الظاهر أن هذا عنده غنى كثير جدا لا يخاف من الفقر، أعطاني غنما بين جبلين، فاذهبوا فسيعطيكم هذا.

النبي صلى الله عليه وسلم علمه ربه فقال: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر:٦] لا تعط عطاء مستكثرا على من أعطيت هذا العطاء، ولا تعط وتطلب المقابل على ذلك، إلا أن تطلب منهم الإيمان والإسلام، قال عز وجل: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ [الشورى:٢٣]، أي: ولكن راعوا المودة التي بيني وبينكم، وراعوا القرابة التي بيني وبينكم، ولا أسأل أحدا من الخلق شيئا، إنما أسأل ربي سبحانه تبارك وتعالى بهذا العطاء الغير ممنون.

وقد وصف الله عز وجل عطاءه سبحانه بأنه غير ممنون، ووصفه بأنه غير مجذوذ فقال: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ [هود:١٠٨] غير مجذوذ من الجذاذ، والجذ: القطع، فعطاء الله سبحانه لا ينقطع عن عباده إذا أدخلهم جنته، فإنه يعطيهم من فضله ومن رحمته سبحانه، ولا يقطع عنهم هذا الفضل العظيم.." (١)

"المعنى الثاني لفتق السماوات والأرض

وهنا معنى آخر وهو معنى صحيح، ولكنه أكتشف بعد ذلك، ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا﴾ [الأنبياء:٣٠].

يقول علماء الفلك: إن الكون كله كان شيئا واحدا مقفولا -السماوات والأرض والنجوم، كلها كانت شيئا واحدا- وحصل انفجار عظيم يوما من الأيام الذي هو بدء الخلق، فالله عز وجل فتق ذلك وتطايرت النجوم فذهب كل نجم إلى مكانه، والكون لا زال يتسع كما أخبر الله عز وجل بذلك.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٣٩٧

هذا الكلام لم يقله المسلمون وإنما قاله الكفار، والله يقول: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [فصلت:٥٣]، فالكفار رأوا ذلك، والمسلمون سمعوا كلام هؤلاء وأخذوا هذا الشيء، فقالوا: هذا موجود في كتاب ربنا سبحانه وتعالى، وابن عباس لم ير ذلك ولم يبحث في الفلك، وقال ذلك منذ ألف وأربعمائة سنة، يقول ابن عباس: كانت السماوات ملتصقة بالأرض، يعني: النجوم والكواكب والشمس والأرض كانت كلها ملتصقة مع بعضها وربنا سبحانه وتعالى فتق ذلك، وأبعد بعضها عن بعض.
إذا: معنى الآية ﴿أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾ [الأنبياء:٣٠]، أي: باعدنا بينهما، انفصلت كل مجرة إلى مكانها، فإن الكون فيه مجرات كثيرة جدا تبلغ أكثر من مائة ألف مليون مجرة، والمجرة الواحدة فيها أكثر من مائة ألف مليون كوكب ونجم مثل هذه الشمس التي نراها، فكل هذا كان شيئا واحدا، فالله عز وجل خلق السماوات والأرض، وفتق بعضها عن بعض، ثم رفع السماء على الأرض، وكان عرشه على الماء، ثم استوى فوق سماواته سبحانه وتعالى.
﴿أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾ [الأنبياء:٣٠]، فجعل النجوم تدور في أفلاكها، وكذلك الأرض لها فلك معين تدور فيه، والمجموعة الشمسية كلها تدور بطريقة معينة، فالله عز وجل يصنع ما يشاء في خلقه سبحانه وتعالى.
هذا خلق الله، الذي قال لهؤلاء الكفار: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [فصلت:٥٣]، انفتق الكون، ومن ثم ربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿والسماء بنيناها بأييد﴾ [الذاريات:٤٧]، أي: بقوة ﴿وإنا لموسعون﴾ [الذاريات:٤٧]، إذا: انفتقت الكواكب عن هذه الأرض وسنوسع هذا الكون، وأصحاب الفلك يقولون: إن الكون فعلا يتسع اتساعا عظيما جدا، وإن كل كوكب يدور حول نفسه ويدور حول مركزه، مثل كواكب المجموعة الشمسية، فالشمس تدور وتجري في هذا الفلك كما يشاء الله عز وجل، والأرض وكواكب المجموعة الشمسية تدور كل واحدة حول نفسها ومن ثم تلف حول الشمس في مدار معين.
فقد قال ربنا: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس:٤٠]، أي: في فلك يدورون، كما سيأتي كلام الله عز وجل بعد ذلك.." (١)

"عقاب الله تعالى لمن يفتري عليه

قال الله عز وجل: ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشإ الله يختم على قلبك﴾ [الشورى:٢٤]، لو

---
(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/١٠

حصل أنك افتريت على الله سبحانه -وحاشا له صلوات الله وسلامه عليه- لختم الله عز وجل على قلبك، فهؤلاء بلغت بهم السفاهة أن يظنوا أنك تكذب على الله سبحانه، ويؤيدك الله بالمعجزات وأنت تكذب عليه كيف يكون ذلك؟ ولو حصل أنك كذبت على الله- وحاشا له صلى الله عليه وسلم- لطبع الله على قلبك وعاقبك، وهم يعرفون كيف ينتقم الله عز وجل ممن يعصيه وخاصة في الحرم، فقد كان عندهم تمثالان: إساف ونائلة، يقولون: هما رجل وامرأة كانا يزنيان في الحرم فمسخهم الله إلى صنمين، فكانوا يعرفون أن هذين ارتكبا معصية لله عز وجل في الحرم، والكفار كانوا يقعون في الزنا.

فالله عز وجل يعاقب داخل الحرم من يقع في معصية أو يكذب على الله سبحانه، فإن أبرهة لما أتى إليهم من اليمن وأراد أن يدمر الكعبة وأن يصرفهم من التوجه إلى البيت إلى القليس دمره الله عز وجل وجنده، قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ [الفيل:١ - ٢]، أي: في ضلال، تاه كيدهم وذهب والإنسان يجمع كيده حتى يتوجه بهذا الكيد كله على عدوه فيقصمه، فإذا جمع العدد والعدد، وجاء بسلاحه هذا، وفجأة ضرب بالسلاح فكان هباء منثورا، وذهب وضل كيده، قال تعالى: ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل﴾ [الفيل:٣ - ٤]، أي: من نار جهنم ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ [الفيل:٥]، أي: صاروا كتبن أكلته البهائم ثم روثتهم، فالله هو الذي يصنع ذلك بأعدائه دائما، فهل يترك الله إنسانا يفتري عليه، وليس هذا فقط، بل ويؤيده بالمعجزات، فيعطيه القرآن العظيم المعجزة الخالدة، ويجعله يشير إلى القمر فينشق القمر، ويرون من آياته صلوات الله وسلامه عليه ومعجزاته، أين ذهبت عقول هؤلاء؟ ولذلك يقول لهم سبحانه وتعالى، ويقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فإن يشإ الله يختم على قلبك﴾ [الشورى:٢٤]، ولها معان من ضمنها هذا المعنى الذي ذكرناه، فقوله تعالى: ﴿فإن يشإ الله يختم على قلبك﴾ [الشورى:٢٤]، أي: إن كذبت على الله سبحانه وتعالى فالله عز وجل يطبع على قلبك وينسيك هذا الذي أنت فيه من أمر الدعوة إلى الله والرسالة وغير ذلك.

والمعنى الآخر لقوله تعالى: ﴿فإن يشإ الله يختم على قلبك﴾ [الشورى:٢٤]: إن يشأ الله يحرمهم من هذا الفضل العظيم ويحرمهم من هذا القرآن، فيختم على قلبك فلا تبلغهم شيئا، ففي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله اطلع على أهل الأرض فمقتهم جميعهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)، فقبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل الأرض فأبغضهم جميعهم ومقتهم، والمقت: أشد البغض لشركهم بالله، إذ كانوا يعبدون الأصنام وكانوا يتوجهون بها إلى الله سبحانه، وكان يأكل بعضهم بعضا، ويغصب بعضهم مال بعض، ويأخذ بعضهم حريم بعض،

ولا يوجد عدل بينهم، ولا إحسان فيما بينهم، فمقت الله أهل الدنيا جميعهم إلا بقايا من أهل الكتاب كانوا على التوحيد، وليس كل أهل الكتاب، وإنما الذين كانوا على التوحيد، وكانوا ينتظرون خروج النبي صلوات الله وسلامه عليه.

الغرض: أن الله عز وجل يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إن يشإ الله﴾ [الشورى:٢٤]، (إن) لفظة جازمة، تفيد تأكيد أن هذا قبل الحدوث، بخلاف (لو) فإنها تفيد امتناع وقوع شيء لامتناع وجود شيء آخر، فهي حرف امتناع لامتناع، تقول: لو جئتني أكرمتك، فهو يعرف أنك لن تأتي، ولكن الله تعالى قال: ﴿إن يشإ الله﴾، فالقدرة صالحة، والله قادر على كل شيء سبحانه وتعالى.

ولذلك كان يقول لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان:١٣]، ويقول: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر:٦٥]، هذا النبي صلوات الله وسلامه عليه، وحاشا له أن يقع في الشرك صلى الله عليه وسلم، ولكن الإنسان طالما وهو في الدنيا فهو في قضاء الله وقدره سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ [البقرة:٢٨٤]، فلا يعجزه شيء، فإذا قال ذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم فمن باب أولى أن يخاف المشركون على أنفسهم؛ إذ إن هذا القول للنبي الذي هو خليل الرحمن وحبيب الله سبحانه وتعالى ومع ذلك يقال له ذلك، إذا: خافوا على أنفسكم أنتم.

فقوله تعالى: ﴿إن يشإ الله يختم على قلبك﴾ [الشورى:٢٤]، أي: ينسيك هذا الذي آتاك الله سبحانه وتعالى، ويحرمهم من هذا الفضل.

المعنى الثالث لقوله تعالى: ﴿إن يشإ الله يختم على قلبك﴾ [الشورى:٢٤]، أي: يربط على قلبك، ويقويك على هؤلاء، وهذا وعد قد فعله الله سبحانه وتعالى ونفذه، ف (إن) تفيد احتمال وجود ذلك، بخلاف (لو)، والآية تحتمل معاني كما ذكرنا، وبعضها يعضد بعض وليست متنافرة.." (١)

"محو الله للباطل وإحقاقه للحق

قال الله تعالى: ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾ [الشورى:٢٤] ستجد هذه الكلمة مكتوبة في المصاحف كلها: ﴿ويمح﴾ [الشورى:٢٤] ياء، ميم، حاء، لا يوجد بعدها واو، وإن كان إعرابها أنها استئنافية مبتدأ بها، فهي جملة جديدة، فهو فعل مضارع مرفوع وليس مجزوما، فليست معطوفة على ما قبلها، وهذا من جمال كتاب الله سبحانه ومن توفيق الله سبحانه للذين كتبوا المصحف فقد كتب المصحف بطريقة في غاية العجب، ولو أن الإنسان تفكر كيف كتب هذا المصحف لشعر أن من ضمن إعجاز القرآن

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣/٤٢٤

كتابة القرآن.

والقرآن العظيم كتب من غير نقط، والذين كتبوه هم الذين تلقوا القرآن من النبي صلوات الله وسلامه عليه، فكتبوا القرآن على ما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن بكل قراءاته، فكتبوا الكتاب الذي يحتمل جميع القراءات التي فيها، بل وتحتمل اللهجة أيضا في الكلام، فتجدهم كتبوا الكلمة التي ترجع لأصل فيها، مثل كلمة (الصلاة) فقد وضعوا بعد اللام واوا؛ لأن ألفها أصلها واو، ولذلك ردها للأصل، والزكاة أصلها واو وأعادها إلى أصلها، فعندما يعيدها إلى أصلها وتقرأ قراءة من القراءات لأهل الإمالة مثل: حمزة والكسائي وخلف، فإنك تعرف أن ألف الزكاة واوية، وليست يائية، ومستحيل أن يكون فيها إمالة، إلا أن يخطئ الإنسان في قراءة أو في كلام، كقراءة البعض من الناس، وكلهجة بعض الناس يقول لك عن الساعة: السيعة مثلا، فهذه لهجته.

وقد راعى القرآن لهجات العرب في ذلك، ومن كتب القرآن راعى أصول الكلمات حتى لا يخطئ من يقرأ على أي وجه من الوجوه، ويعرف أن هذه واوية لا تقرأ أبدا بإمالة، فلا نقول في الصلاة: الصلية مثلا، ولا في الزكاة: الزكية، بخلاف الربا، وإن كتبت لاحتمال الأمرين، فتقرأ بالإمالة وتقرأ: (والربا)، كذلك هنا في هذه الكلمة لاحظ الكاتب أن ﴿يمح الله﴾، الواو بعدها ألف الوصل، فلو أنه كتب (يمحو الله) فستقرأ: (ويمحو الله) وهذا لا يصلح، فلالتقاء الساكنين لابد من حذف واحد من الاثنين والتعبير عنه بحركة من الحركات، لذلك كتبت ﴿ويمح الله﴾، لأنك تنطقها هكذا: ﴿ويمح الله﴾، ولكن لا تعرب أنها معطوفة على ما قبلها.

فقوله تعالى: ﴿إن يشإ الله﴾، إن: أداة جزم، يشأ: فعل مضارع مجزوم وهو فعل الشرط، و A يختم، ﴿ويمح﴾، لو جعلناها معطوفة على ﴿إن يشإ﴾، لكان المعنى: يمحو الله الباطل إن يشأ، وهذا لا يصلح؛ لأن الله سبحانه وتعالى قضى بأنه يحق الحق ويبطل الباطل، فقد قضى أن هذا لا بد أن يكون، فلذلك (يمحو) ليست معطوفة ككلمة، وإنما العطف عطف جملة، فتصبح الواو عاطفة لما بعدها للجملة كلها على ما قبلها، وتصير (يمحو) كلمة في ابتداء، فيصبح فعلا مضارعا مرفوعا.

ومثل هذه الكلمة قوله تعالى: ﴿سندع الزبانية﴾ [العلق:١٨]، فليست لزوما، بل أصلها (سندعو): فعل مضارع مرفوع، ولكن كتبوها عينا مضمومة لالتقاء الساكنين، وهذا من حكم كتابة القرآن بهذه الطريقة العجيبة الجميلة، كذلك عندما تقرأ في المصحف الذي لم يكن منقوطا فإن الله يذكر معنى في آية ما، وإذا قرأت نفس الآية بوجه آخر فإنك تجد لها **معنى آخر**، يريد الله عز وجل هذا المعنى ويريد هذا المعنى،

ففي القراءة الأولى لا نضع نقطا، وطالما أن هذه قراءة وهذه قراءة فلا نضع نقطا، حتى إن الذي يقرأ بكذا يجوز له ذلك، والذي يقرأ بكذا يجوز له ذلك.

قال تعالى: ﴿ويمح الله الباطل﴾، أي: يزيل الباطل، وقال تعالى: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ [التوبة:٣٢]، ويقول تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ [الصف:٨] انظر لهذا التعبير، نور الله سبحانه نور عظيم، وكأنهم ظنوا أنها نار خافتة بسيطة سوف يطفئونها بالنفخ فيها، وقد حاولوا وفعلوا، وإذا بهؤلاء الذين يحاولون أن يطفئوا نور الله سبحانه يجعل الله عز وجل في قلوب بعضهم نورا فيدعون إلى دين الله بعد ذلك، منهم: عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله تبارك وتعالى عنه، الذي أراد في يوم من الأيام أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك يقرأ القرآن فإذا به يذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه الصحابة خافوا منه، فقد أتى وهو متقلد سيفه، وإذا ب حمزة رضي الله عنه يقول: دعوه فإن أراد شيئا قتلناه بسيفه، ويدخل عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم ويمسكه النبي صلى الله عليه وسلم بثوبه ويقول: أما آن لك أن تؤمن؟ قال: لقد جئت لأسلم، فكان إسلام عمر رضي الله عنه فتحا عظيما، وما تجرأ المسلمون أن يمشوا في الطريق إلا بعد إسلام عمر رضي الله عنه.

ولم يكتم عمر إسلامه؛ بل خرج بين الناس وصرخ فيهم بلا إله إلا الله، وأعلن إسلامه، يقول عبد الله بن عمر وكان صغيرا: إذا بهم يفيضون إليه كالسبيل، أراد الكفار من كل واد أن يهجموا على عمر ويضربوه رضي الله عنه، ومن العجب أن الذي أنقذ عمر هو الوليد بن المغيرة، فقد قال: أنا على ما هو عليه، فخافوا من الوليد بن المغيرة، ولم يكن على ما هو عليه، فإذا بهم يتركون عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه يصرخ فيهم بلا إله إلا الله، ويخرج المسلمون مع عمر رضي الله تبارك وتعالى عنه ويتوالى إيذاء الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بعد ذلك.

قوله تعالى: ﴿ويحق الحق بكلماته﴾، أي: بما أنزل من هذا القرآن العظيم، يحق الحق بقضائه وقدره، ويحق الحق بكن فيكون، ويحق الحق سبحانه وتعالى بنصر المؤمنين، والمؤمن يجاهد بلسانه وبيده وبقلبه وإيمانه ويدعو إلى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال:١٧]، فالإنسان يجاهد والذي يأتي بالنتيجة هو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي ينصر الدين وينشره ويفتح له القلوب، وإنما المجاهد سبب من الأسباب فقط.

قال تعالى: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾، أي: يعلم كل شيء سبحانه وتعالى، فهو العليم، وهو الشهيد، وهو

الخبير، وهو اللطيف سبحانه وتعالى، وهذه كلها من أسماء الله الحسنى العظيمة التي فيها معان متقاربة، وإن كان كل منها يختص بشيء فيها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة)، فالله عالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب، يعلم كل ما ظهر وما خفي، وما كان في السر وما كان في العلن سبحانه وتعالى.

ولكن يعطي معنى زائدا هنا أنه ما خفي علمه الله سبحانه وتعالى، ففي هذه الآية إشارة للعلم الخفي، والله شهيد أي: عليم سبحانه، ولكن العلم بالجلي أي: الشيء الظاهر المشاهد، فالله عز وجل عليم وخبير وشهيد، والله سبحانه لطيف عليم، فيعامل العباد بعلمه سبحانه وتعالى وبلطفه الخفي، فيرفق بهم لما يعلم في قلوبهم سبحانه وتعالى مما يستحقون، وقد فسرنا قبل ذلك هذه الكلمة العظيمة.

فقوله تعالى: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ [الشورى:٢٤]، أي: عليم بما تحتويه صدور خلقه.

وقوله: ﴿بذات الصدور﴾ [الشورى:٢٤]، أي: بما في القلوب.." (١)

"أقوال العلماء في توجيه قوله تعالى (قل إن كان للرحمن ولد)

قوله تعالى: ﴿إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ [الزخرف:٨١] للمفسرين فيها معنيان: المعنى الأول وهو الذي عليه الأكثر: أن هذا في مقام المناظرة، وفي مقام المناظرة يتنزل الخصم مع خصمه في المناظرة، فإذا ناظرك إنسان في شيء تقول: فرضنا ما تقوله صوابا فينبني عليه كذا وكذا، ويكون فيه كذا وكذا، فهذا هو الفرض الجدلي وليس الحقيقي، أي: ليس معنى أن هذا شيء صحيح، لا، بل هذا شيء لا يكون أبدا، ولكن سنفترض المستحيل، مثل ما يقول بعضهم: قال المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الأجساد قلت إليكما إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما فهو هنا في مقام التنزل في المناظرة، فيقول: الملحدون والمنكرون لوجود الإله: الأجساد تموت وتفنى ولا تبعث، وهذا يقول: إن صح قولكم فلست بخاسر؛ لأني عبدت الله، ولكن إن صح قولي بأن كان هناك بعث يوم القيامة فالخسارة عليكم أنتم.

إذا: هنا في مقام التنزل في المناظرة يجوز أن تفترض المستحيل، وهذا المعنى عليه أكثر المفسرين، يعني: لو كان للرحمن ولد وحاشا لله أن يكون له ولد فأنا أول من يعبده، ولكن لم أفعل؛ لأنه لا يوجد للرحمن ولد وحاشا له أن يتخذ صاحبة أو ولدا.

والمعنى الآخر أو التفسير الآخر لقوله تعالى: ((قل إن كان للرحمن ولد)) قالوا: (إن) هنا بمعنى (ما) أي:

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٤٢٤

ما كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين للرحمن، وهذه الآية على هذا المعنى لها معنيان: الأول: أن (إن) هنا نافية بمعنى (ما).

قل ما كان للرحمن ولد، ((فأنا أول العابدين)) [الزخرف:٨١] للرحمن هذا معنى.

المعنى الثاني: ((فأنا أول العابدين)) أي: أنا أول المنكرين بأن يكون للرحمن ولد.

إذا: في قوله تعالى: ((قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين)) [الزخرف:٨١] ثلاث معان: الأول: على وجه التنزل في المناظرة وعليه أكثر المفسرين: سأكون أول من يعبد هذا الولد، ولكن هذا لا يكون، لذلك لا أعبد إلا الله وحده لا شريك له.

الثاني: أن معنى: ((قل إن كان للرحمن ولد)) أي: قل: ما كان للرحمن ولد، ((فأنا أول العابدين)) للرحمن، المثبتين لربوبيته وألوهيته سبحانه، فأعبده وحده لا شريك له.

المعنى الثالث: (قل إن كان للرحمن ولد) فأنا أول من يأنف أن يعبد غير الله، أو يزعم أن لله الولد سبحانه وتعالى.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه)

قال تعالى: ((ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه)) أي: مكنا لهؤلاء القوم، فأعطيناهم القوة العظيمة، والأبدان الصحيحة، والتمكين في الأرض، لكن عتوا في الأرض وأفسدوا فيها، ((ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه)) و (إن) هنا تحتمل معان كلها صحيحة، ((ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه)) فتحتمل أن تكون: صلة، فيكون التقدير: ولقد مكناهم في الذي مكناكم فيه، وأعطيناكم مثل ما أعطيناهم، وإن كان هناك فرق كبير بينكم وبينهم، فهم كانوا عمالقة وأقوياء.

وتحتمل أن تكون: شرطية، فيكون المعنى: إن أعطيناكم مثل ما أعطيناهم من القوة وعظم الأجساد فإنكم ستفسدون وتعثون في الأرض مثل ما فعلوا، وأنتم الآن على ضعفكم تفسدون في الأرض، فكيف إذا كنتم مثلهم! وتحتمل (إن) **معنى آخر** وهو: النفي، فيكون المعنى: (ولقد مكناهم فيما لم نعطكم مثله).

فقوله: (فيما إن مكناكم فيه) أي: في الشيء الذي أعطيناكم مثله، وهذا صحيح، وتفسير: فيما لم نعطكم مثله أيضا صحيح، فتفسير: (أعطيناكم مثله) أي: أعطيناهم أرضا وأعطيناكم أرضا، وأعطيناهم رزقا وأعطيناكم رزقا، لكن لم نعطكم ما كانوا فيه من قوة عظيمة، ((كأنهم أعجاز نخل خاوية)) فكان هؤلاء الأقوام ذو طول وقوة في البدن، فكان أحدهم ينحت الجبل فيعمل منه بيتا فارها له.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٦/٤٦٠

إذا: فقد أعطيناكم مثل ما أعطيناهم في بعض الأشياء، فأعطيناكم رزقا وعقولا تفكرون بها، ورسالة جاءتكم تدعوكم إلى الله سبحانه، وأعطيناهم شيئا لم نعطكم إياه، فأعطيناهم القوة العظيمة التي لم نعطكم مثلها في أبدانكم، وإن كنا عوضناكم بشيء آخر مكانه، فأعطيناكم عقولا تفكرون بها كيف تصنعون الطائرات والدبابات، والآلات التي تخرقون بها الأرض، والتي تبنون بها العمائر، وأما الأبدان فلم نعط أحدا مثل هؤلاء الأقوام.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم)

ابتدأت هذه السورة بقوله سبحانه: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ [محمد:١]، كفر بمعنى: جحد، والكفر هو التغطية والستر، ولذلك يسمى المزارع كافر؛ لأنه يضع البذرة في الأرض ويكفرها بالتراب أي: يسترها.

فكأن الكافر غطى على دلائل ما يدخله في دين الله سبحانه، وما يعرف به الله سبحانه وتعالى، فهو يريد أن يطمس النور الذي جاء من عند الله سبحانه، فهو يقول: لا يوجد إله أو آلهة مع الله، كأنه جعل ربه عاجزا يحتاج لآلهة أخرى معه! حاشا لله سبحانه وتعالى.

فالكافر حين ينكر آيات الله، وينكر نعم الله يكفرها، ويغطيها ويسترها فلا ينظر إليها ولا يدعو إليها.

والكفر فعل لازم لهم في أنفسهم، والصد فعل متعد، فهم يصدون غيرهم عن طاعة الله وعن سبيل الله سبحانه وتعالى، فكفروا في أنفسهم ومنعوا غيرهم من الدخول في الإيمان بالتعذيب والتهديد والوعيد وغير ذلك.

وسبيل الله هو طريق الله المستقيم، طريق الإيمان، والإسلام.

﴿أضل أعمالهم﴾ [محمد:١]، أي: أعمال الكفار، والضلال بمعنى الضياع والتيه وعدم الهداية، فهو سبحانه لم يهدهم في أعمالهم بل أضلهم بالطمس على قلوبهم، وعلى أبصارهم وبصائرهم، فلا يفهمون ولا يعقلون، ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ [الفرقان:٤٤].

وقوله: ﴿أضل أعمالهم﴾ [محمد:١]، هي من الآيات القصيرة التي لها معان عظيمة جدا، وهي كثيرة في القرآن، وهذا من بلاغة القرآن فهو يبلغ إلى المعنى الذي يريده وإلى المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة.

ولها **معنى آخر**: وهو أن الله عز وجل أبطل على هؤلاء كيدهم ومكرهم وتدبيرهم للمؤمنين، ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [الأنفال:٣٠]، وهذا وعد من الله عز وجل، أنه مهما مكر بكم الكفار

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤٩٠/5

واعتصمتم بالله سبحانه فإنه ناصركم عليهم، ومبطل كيدهم ﴿أضل أعمالهم﴾ [محمد:١] أي: أبطل كيدهم ومكرهم وتدبيرهم لكم.

ولها معنى ثالث وهو: أنهم إذا جاءوا يوم القيامة تكون أعمالهم كلها هباء منثورا، ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ [الفرقان:٢٣]، فقد كانوا يطعمون الحجيج، ويسقونهم ابتغاء السمعة، ليس ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى، وابتغاء الشرف، ومن أجل أن يقال عنهم: هذه القبيلة أفضل من هذه القبيلة، ولذلك كان سبب صدهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الدعوة إلى الله المفاخرة، لأنه سيكون أحسن منهم بزعمهم، فقد قالوا: تسابقنا مع بني هاشم، أطعموا الحجيج وأطعمنا الحجيج، وسقوا الحجيج وسقينا الحجيج، وعمروا المسجد الحرام وعمرنا المسجد الحرام، ثم لم يلبثوا أن قالوا: منا نبي، فأنى لنا بنبي؟ إذا كان إطعام وسقاية الحجيج ليس من أجل التقرب إلى الله، وإنما كان لأجل المفاخرة وابتغاء الدنيا، وأن يكون لهم ذكر وفخر وشرف بين الناس.

ولذلك قالوا: حتى إذا كنا كفرسي رهان، أي: حتى إذا كنا في الشرف سواء قلتم: منا نبي! ومن أين نأتي بنبي؟ إذا: فلن ندخل في هذا الدين.

فأبطل الله عز وجل ما عملوا مما كانوا يسمونه مكارم الأخلاق، من صلة الأرحام، وفك الأسرى، وقرى الأضياف، وحفظ الجوار، ونصر المظلوم، ونحو ذلك، فأبطل الله عز وجل عليهم أعمالهم؛ لأن هذه الأعمال لم يبتغ بها وجه الله سبحانه وتعالى، حتى وإن ابتغوا وجه الله بشيء منها فهم يشركون بالله سبحانه ويتقربون إلى غيره من أصنام وغيرها، والله لا يقبل من العمل إلا ما كان صالحا وما كان خالصا له وحده سبحانه وتعالى.

وكان من هؤلاء الذين يوصفون بالإطعام المطعم بن عدي وقد كان هذا اسمه، واشتهر بأنه يطعم الناس، فكأنه أخذ فعله من اسمه، ابتغاء الدنيا، فكان ابنه يقول للنبي صلوات الله وسلامه عليه: أبي كان يطعم الحجيج ويفعل ويفعل، هل هذا نافعه عند الله عز وجل؟ قال: لا، (إنه لم يقل يوما من الدهر: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم)، يعني: ما أخلص لله عز وجل، فقد كان عمله لغير الله، فلا يقبله الله عز وجل.

كذلك من هؤلاء من أطعموا في يوم بدر، فقد كان فيهم اثنا عشر رجلا تكفلوا لجيش الكفار بالطعام، فكانوا ينحرون عشرة جمال أو تسعة جمال كل يوم، وهؤلاء الاثنا عشر: أبو جهل والحارث بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبي بن خلف وأمية بن خلف ومنبه بن الحجاج ونبيه بن الحجاج وأبو البختري

بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام والحارث بن عامر بن نوفل، هؤلاء الاثنا عشر أنفقوا من أموالهم، والله يقول: ﴿أضل أعمالهم﴾ [محمد:١]، فلو أنفقوا ما أنفقوا فإنه إنفاق على الكفر لا ينجح عند الله سبحانه وتعالى.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعدما تبين لهم الهدى)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

قال الله عز وجل في سورة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم * ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم * فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم * ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم * أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم * ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾ [محمد:٢٥ - ٣٠].

لما ذكر الله سبحانه تبارك وتعالى في هذه السورة الكريمة: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد:٢٢ - ٢٣].

هل عسيتم إن مكنكم الله عز وجل وأعطاكم ولايات ورئاسات ووزارات وحكما تحكمون بين الناس، وقدرة على ذلك، أن ترتدوا على أدباركم، وتعرضوا عن ذكر الله سبحانه وشرعه، وتقيموا الظلم بين الناس، وتعرضوا عن هذا الدين، وتتبعوا الهوى والشياطين، وتقطعوا أرحامكم؟ هل عسيتم أن تفعلوا ذلك فترتدوا على أدباركم، وتعكسوا ما أمركم الله عز وجل بوصله وفعله؟ ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ [النساء:٨٢] أي: هلا تدبروا كتاب الله عز وجل وقرءوه واستمعوا له، وفهموا ما يريده الله عز وجل ففعلوه.

ثم قال تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ [محمد:٢٥] وهنا بعدما ذكر: لعلكم إذا فتح الله لكم، وأعطاكم من فضله، أن تنقلبوا على أعقابكم القهقرى، فهؤلاء الذين هذا حالهم يقول الله سبحانه لهم: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم﴾ [محمد:٢٥].

مشوا في طريق الشيطان وتركوا طريق الله سبحانه تبارك وتعالى، وتركوا الصواب بعدما عرفوه، وتركوا القرآن بعدما فهموا معانيه، (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) ردة رجوع على الأعقاب إلى الورى، بعدما كانوا متقدمين في دين الله عز وجل، وصاروا متأخرين تاركين الدين وراء ظهورهم؛ لا يضرون إلا أنفسهم، ﴿إن الذين ارتدوا

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٤٩٣

على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ [محمد:٢٥] من بعدما عرفوا الحق، وسمعوا كتاب الله، وهدي النبي صلوات الله وسلامه عليه، فهؤلاء الشيطان سول لهم، وضحك عليهم، وخدعهم، وزين لهم الأماني الباطلة.

(وأملى لهم) الجمهور يقرءونها هكذا، والبصريون يقرءونها قراءة أخرى، فـ أبو عمرو البصري يقرؤها: (وأملي لهم) ويقرؤها: (وأملي لهم)، وهنا الآية تعددت القراءات فيها فكأنها تتعدد المعاني، وكأن الآية آيتان بحسب القراءة، فهنا يقول سبحانه: الشيطان سول لهؤلاء، (وأملى لهم) أي: أملى لهم الله سبحانه تبارك وتعالى، فالله عز وجل يقول: ﴿إنما نعد لهم عدا﴾ [مريم:٨٤] أي: نحضر ونجهز لهم المصائب والعذاب، ففهم من المعنى: أن الشيطان يضحك عليهم، ويخدعهم، وقد حذرهم الله عز وجل من الشيطان، فقال: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ [النساء:٧٦]، الشيطان سول وزين لهم، فقال: ﴿وأملى لهم﴾ [محمد:٢٥] أي: أملى لهم ربهم سبحانه، وأعد لهم العذاب، وهذه قراءة الجمهور.

وقراءة أبي عمرو توضح ذلك قال: (وأملي لهم) على البناء للمجهول، يعني: قد أعد لهم المصائب والعذاب، (أملي لهم) من الذي أملى لهم؟ الله سبحانه، يعني: مد لهم في العمر وتركهم، وصبر عليهم، وحلم عنهم سبحانه تبارك وتعالى حتى يأخذهم فيقصمهم ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وقراءة يعقوب الحضرمي يقرأ: (وأملي لهم) فبعدما قال عن الشيطان: (سول لهم) قال: وأنا أملي لهم، أي: أحضر لهم، وأجهز لهم من العذاب ما لا يطيقون منه.

إذا: على هذه القراءات: الله عز وجل أملى لهم، وعلى قراءة الجمهور: تحتمل **معنى آخر**، وهو: أن الشيطان هو الذي سول وأملى لهم، والمعنى: أنه جعلهم يتمهلون ويتريثون ويبتعدون عن التقدم في دين الله عز وجل.

إذا: هذه المعاني كلها صحيحة، فإن الشيطان خدع هؤلاء، فجعلهم يسوفون، وأملى لهم فقال: استمهلوا واصبروا لا تستعجلون، الموت متأخر.

إذا: هذا من إملاء الشيطان على هؤلاء، أنه يجعلهم يتمهلون عن التوبة، ويتركون اتباع دين الله عز وجل، فيخدعهم، ويزين لهم أعمالهم، وجعلهم يتمهلون، فهذا على معنى.

والمعنى الآخر: وأملى لهم ربهم سبحانه بأن مد لهم، فإذا بهم يتمهلون، ويسيرون في طريق يظنون أن النهاية حسنة فيه، وأنهم أرادوا الدنيا حيث زينت لهم، والشيطان سول لهم هذه الحياة الدنيا، وإن كان التزيين حقيقة من الله عز وجل، الله هو الذي يزين سبحانه تبارك وتعالى، زين الدنيا فخدعت هؤلاء، فالله

خلق الدنيا وقال لنا: لا تغتروا بهذه الدنيا، فيها الورود، ولكن فيها الأشواك، وفيها الحلو ولكن فيه المرارات، وفي هذه الدنيا العابرة يراها الإنسان حلوة، ولكن إذا خبرها وجد في صفوها الكدر، وفي حلوها المر، وفي وردها الشوك، وفيما ينظر إليه من سعادة فإن وراءه الشقاء، فلا توجد سعادة في هذه الدنيا تدوم، لذلك المؤمن العاقل همه في الدنيا أن يرضي الله سبحانه تبارك وتعالى، لا أن يأخذ الدنيا؛ لأن الدنيا زينها الله سبحانه تبارك وتعالى لخلقه، والشيطان زين للعباد فيها أن يعصوا الله سبحانه تبارك وتعالى، فإذا بهم يخدعون، الله يبيح لهم الزواج، والشيطان يشجعهم على الزنا، الله يمنعهم من شرب الخمر، والشيطان يجعلهم يقعون في شربها ويتبعون الهوى، ويزعمون أن الخمر تشجعهم، وتزيل غمومهم، وغير ذلك.

إذا: التزيين من الله عز وجل خلقة، فيخلق الشيء حسنا، و التزيين من الشيطان أن يجعل العبد يستحلي الشيء المر، ويستعذب أن يقع في معصية الله سبحانه تبارك وتعالى، فهذا الشيطان يسول لهؤلاء أن يقعوا في المعاصي، ويزين لهم ويدفعهم، ويحثهم على أن يقعوا في معصية الله عز وجل، وأملى لهم الشيطان أي: أمد لهم في الغي، وأملى لهم الرحمن بمعنى: أمهلهم وصبر عليهم، وأعد لهم ما يستحقون من عقوبة وعذاب نسأل الله العفو والعافية!." (١)

"الإعجاز العلمي في قوله تعالى: (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها)

وعلماء الفلك لهم معنى آخر إضافة إلى ذلك، وهو ليس إلغاء لهذا المعنى؛ لأن المعنى الذي ذكروه هو معنى عرف الآن، ولم يكن معروفا من قبل ألف وأربعمائة سنة، فهم الآن حين يكتشفون شيئا، فهذا دليل على أن هذا القرآن العظيم معجز، فهو في كل وقت يفهم على معنى صحيح موجود فيه، ولا يأتي معنى يلغي معنى آخر، فلا يكون المعنى الذي اكتشفه العلم الآن يلغي المعنى القديم، وإنما المعنى القديم على ما هو موجود، وهو معنى صحيح.

فعلماء الفلك يقولون في قوله تعالى: ﴿أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ [الأنبياء:٤٤]، إن الأرض يحدث لها انكماش دوري، فعندما تنفجر البراكين في داخل الأرض تخرج الغازات من داخلها، وتخرج المواد الموجودة في داخل الأرض، فيصير مكان البركان فارغا في الداخل فتنكمش الأرض على نفسها.

وهذا كلام الدكتور زغلول النجار، وكلامه جميل جدا في هذه الآيات الكونية، ففي كلامه أشياء عظيمة جدا وجميلة، وتفسيرات جميلة.

وإن كنا نقول: إنه ليس معنى كون هذا التفسير صحيحا أنه يلغي التفسير الماضي؛ لأنه لا يمكن أن تكون

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٥٠٧

الأمة منذ ألف وأربعمائة سنة ماضية تفسر هذه الآية على معنى خطأ لا يفهمونه من القرآن، ولكن هي معان صحيحة، وإنما يضاف معنى إلى معنى، ويظهر الله عز وجل ما يجد من أشياء.
فيذكر لنا أن الأرض تنكمش على نفسها باستمرار، فنقصانها من أطرافها يكون في انكماشها.
ويذكر أنهم اكتشفوا: أن هذه الأرض كان حجمها ألفي مرة قدر حجمها الآن.
فهي تنكمش على نفسها شيئا فشيئا؛ بسبب البراكين والزلازل وما يخرج منها، فتنكمش الأرض على نفسها بذلك، فهذا معنى من المعاني التي يذكرها علماء الفلك في ذلك.
ومن المعاني التي يذكرها علماء الفلك في الآية أنهم يقولون: عوامل التعرية تأكل من قمم الجبال، من الهواء وغيره، وتنزل فيه منخفضات وترفع فيه أخرى، ويقولون: إن وزن العمود الصخري وهذا كلام الدكتور زغلول أيضا، من مركز الأرض إلى أي نقطة على سطح الأرض لابد أن يكون مستويا في كتلته مع كل عمود على أطراف الأرض جميعها.
فإذا جاءت عوامل التعرية وأخذت من فوق الجبال ونزلت على المنخفضات، فإنه يحصل نوع من عدم التساوي.
يقول: ولو طغى الأمر على ذلك مع دوران الأرض حول نفسها، ودورانها حول الشمس فإن القوة الطاردة المركزية تطير الأشياء التي هي أثقل وزنا حتى تعود الأرض إلى ما كانت عليه ويجعل الله عز وجل شيئا آخر عوضا عما ذهب بسبب عوامل التعرية، وهي البراكين التي تخرج من الأرض، فتعيد التوازن إلى سطح الأرض مرة ثانية، فهذا إنقاص للأرض من مرتفعات، وإعلاء لمنخفضات غيرها، فيتغير الأمر، وتتساوى كل الأعمدة الصخرية التي في الأرض.
وهذا معنى من المعاني التي يذكرها علماء الفلك.
ثم يقول الله عز وجل: ﴿أفهم الغالبون﴾ [الأنبياء:٤٤]؟ يعني: إذا رأوا أننا نصنع ذلك بالجبال، ونصنع ذلك بالبراكين التي لا يقدرون أن يقاوموها، ونصنع ذلك بالأرض فنجعلها دولا للناس مرة في يد فلان ومرة في غيره، أفهم يغلبوننا؟ وهم قد أشركوا بالله تبارك وتعالى، ولا يملكون لأنفسهم شيئا، وهو الذي يملك هذه القدرة العظيمة، أفهو الذي يغلب؟ قال تعالى: ﴿أفهم الغالبون﴾ [الأنبياء:٤٤]؟
و A مستحيل أن يكونوا هم الغالبين، وقد رأينا كيف صنع ما صنع بهؤلاء المتكبرين.." (١)

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ١٢/٦

"تفسير قوله تعالى: (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ [المؤمنون:١٠١]، النفخ في الصور نفختان: نفخة الموت، ونفخة البعث والإحياء والنشور، فنفخة الموت يموت فيها الجميع، وبعدها يصبح الكل أمواتا.

والنفخة الثانية: يوم يبعثون للحساب والجزاء، فإذا بعثوا فكل إنسان يفر من كل أقربائه، كما قال تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس:٣٤ - ٣٧].

قال تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾، فعندها لا أحد ينظر إلى نسبه، بل الكل يقول: نفسي نفسي.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا.

وهناك معنى آخر: وهو أنه لا يقول الإنسان: أنا فلان بن فلان، فهذا إنما كان في الدنيا، فقد كانوا فيها يتساءلون عن أنسابهم، أما في الآخرة فلا يتساءلون عن الأنساب كما كانوا يتساءلون في الدنيا؛ لهول ما يرون، فقد قاموا مفزوعين عندما رأوا أن الملائكة تنزل من السماء وتحيط بهم وهم في فزع عظيم، فعلى ذلك لا أنساب بينهم ولا يتساءلون.

وعنه أيضا قال: إن ذلك في النفخة الأولى حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، وصحيح إنه إذا جاء الموت فلا يسأل الناس بعضهم البعض عن الأنساب، ولكن عند القيام من القبور للحساب فهذا أشد وأفزع، وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (أنهم يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا)، والسيدة عائشة رضي الله عنها لما سمعت ذلك سألت النبي صلى الله عليه وسلم: (عراة ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: الأمر أشد من ذلك)، أي: أن كل إنسان مشغول بنفسه.

ولقد سأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ [الصافات:٢٧]، كيف يكون ذلك وقد قال تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ [المؤمنون:١٠١]؟ وهنا يقول تعالى: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ [الصافات:٥٠]، فوضح له ابن عباس رضي الله تبارك وتعالى عنه، فقال: لا يتساءلون في النفخة الأولى؛ لأنه لا يبقى على الأرض حي.

أما قوله: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ [الصافات:٢٧]، فذلك أنهم إذا دخلوا الجنة تساءلوا، وهذا صحيح، وقد يقال: إن ذلك في النفخة الثانية حين يبعثون من قبورهم، فلا أحد يسأل أحدا عن شيء ولكن بعد أن يفوز المؤمنون بدخولهم الجنة يسأل بعضهم بعضا عن أشياء كانت في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾ [الطور:٢٦]، أما حين قاموا من قبورهم يوم الفزع الأكبر فلا أحد يسأل أحدا عن شيء.." [١]

"تفسير قوله تعالى: (ألم تكن آياتي تتلى عليكم وكنا قوما ضالين)

ثم قال لهم ربهم سبحانه: ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون﴾ [المؤمنون:١٠٥] فيبكتهم ربهم ويقررهم على ما كانوا عليه في الدنيا: أليس كان القرآن يتلى عليكم؟ ولماذا لم تصدقوا به بل كنتم به تكذبون؟ وسيكون جوابهم على سؤال ربهم: ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين﴾ [المؤمنون:١٠٦]، وهذه قراءة الجمهور، وقراءة حمزة والكسائي وخلف: (ربنا غلبت علينا شقاوتنا)، أي: كنا في شقاوة في الدنيا، ولها معاني: المعنى الأول: غلب علينا ما كنا فيه من لذات وشهوات وشبهات، فكنا من أهلها وضيعنا أنفسنا، وهذا معنى صحيح.

ومعنى آخر: أنهم قالوا ذلك لربهم سبحانه: غلبت علينا شقوتنا أي: حسن ظننا بأنفسنا أننا لن نعذب، وأنك كما أعطيتنا في الدنيا ستعطينا يوم القيامة فلم نعمل صالحا.

وهذه مصيبة الإنسان أن يحسن الظن بنفسه ويظن أن إعطاء الله له في الدنيا دليل على أنه يحبه، ولذلك ترى الإنسان إذا كسب مكسبا فإنه يقول: ربنا يحبني لأنني كسبت هذا النهار كذا! وما يدريه أنه يحبه أو يبغضه، وكونه يعطيه من الدنيا ليس دليلا على المحبة، وإلا لو كان هذا محبة لكان أولى بها النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يبيت أحيانا ويطوي صلى الله عليه وسلم على بطنه من شدة الجوع، وكانت النار لا توقد في بيته الشهر والشهرين والثلاثة صلوات الله وسلامه عليه، وإنما كان يأكل الأسودين التمر والماء عليه الصلاة والسلام، فإعطاء الله عز وجل العبد في الدنيا ليس دليلا على محبته وليس دليلا على أنه سوف يعطيه يوم القيامة.

المعنى الثالث من المعاني: أنهم احتجوا بالقدر واعتذروا به، فقالوا: مثلما أنت تقول في الدنيا: قدر الله وما شاء فعل، فهذا قدر الله عز وجل، فقالوا ذلك على وجه الحسرة: أنه غلبت علينا شقوتنا، أي: ربنا

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٦/٦٠

كتب عنده أنّا معذبون، وهانحن عذبنا بما كتبه الله عز وجل، وربنا إذا حاسبهم لن يقول: قدرت عليكم كذا فأدخلتكم النار، وإنما يقول: عملتم كذا، فيسأل الإنسان عن عمله وليس عن قدر الله سبحانه وتعالى.
وأمر القدر مبني على علم الله وحكمته وقدرته سبحانه وتعالى، فهو على كل شيء وتقديره لكل شيء، وهذا أمر أمرنا أن نؤمن به، أما أن تحتج به فلا ينفعك الاحتجاج بالقدر؛ لأنك تعمل الحسنة وتجد نفسك قادرا على فعلها، ومختارا أن تفعل أو تترك.
والله عز وجل علم أنك تفعل، وقدر أنك تفعل، ولكن أعطاك اختيارا فاكتسبته باختيارك، ولم تستشعر وأنت تعمل الحسنة أنك مجبر عليها، وفي وقت فعل السيئة أيضا لا تستشعر أنك مجبر عليها وإنما تفعلها باختيارك.
وقد أمرنا الله تعالى أن نؤمن بالقضاء والقدر، وأن الله قدر وعلم سبحانه وكتب عنده سبحانه وتعالى، وأن ما علمه مستحيل أن يغير، ولكن حين نعمل نحن نستشعر بالاختيار وبالكسب في العمل، فالإنسان عندما يأكل فهو قادر أن يمسك اللقمة وأن يضعها في الإدام أو في الملح أو في الحلو، ومختار أن يأكل هذا أو يتركه، ولم يقل في هذه الحال: القدر جعلني آكل هذا وأترك هذا.
فكذلك العمل، فكما قدر الله عز وجل لك قوتك أن تأكله ومكتوب عنده ذلك، كذلك قدر عنده سبحانه أنك تعمل هذا الخير أو هذا الشر، فهذا الأمر نؤمن به، أما العمل فيلزمك أن تعمل الخير وأن تترك الشر، فأنت محاسب على اكتسابك خيرا أو شرا، ولن يقول الله للناس يوم القيامة: ادخلوا النار لأنني كتبتها عليكم، ولكن يقول: جزاء بما كنتم تعملون.
فلما احتج هؤلاء بالقدر أنه ساقهم إلى النار وأنهم ضلوا في الدنيا وتاهوا عن طريق الجنة لم يسمع منهم ذلك.." (١)

"شروط حد القذف

وحتى يقام حد القذف على القاذف لا بد من توفر شروط إقامة الحد، وهي تسعة شروط: شرطان في القاذف، وشرطان في المقذوف، وخمسة شروط في المقذوف به.
فالقاذف هو الإنسان الذي يرمي آخر بالزنى، ويشترط أن يكون عاقلا بالغا حتى يقام عليه الحد، فإذا كان مجنونا فلا حد عليه، وإذا كان غير بالغ فيعزر تعزيرا ولا يقام عليه الحد؛ لأنه غير مكلف.
وأما المقذوف به: فهو الكلام الذي يقذف به الإنسان، كأن يقذفه بوطء يلزمه فيه الحد، سواء كان بالزنا

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٧/٦١

أو باللواط، أو بنفيه من أبيه، كأن يقول: يا فلان أنت زان أو واقع في اللواط مثلا، أو أنت لست ابن فلان، على وجه يقصد به نفيه عن أبيه بسبب هذه الجريمة.

ولكن إذا لم يكن يقصد ذلك وإنما يقصد **معنى آخر**، كأن يرى إنسانا ذكيا ويقول له: أنت لست ابن فلان؛ لأن أباه غبي، فهذا لا يقصد القذف، وإنما يقصد **معنى آخر**.

فهذان شرطان في المقذوف به.

وأما المقذوف فيشترط فيه خمسة شروط حتى يؤخذ له من الآخر حقه، ويقام على الآخر الحد: الشرط الأول: أن يكون المقذوف عاقلا، فإذا كان مجنونا فلن يتأثر بالقذف، وإن تأثر أهله؛ لأن تشريع حد القذف كان حماية للمقذوف، وتأديبا للقاذف، إلا أنه لما لم يتأذى المقذوف بأن كان مجنونا فلا يجلد القاذف في هذه الحالة، وقد يعزر على ذلك، والتعزير معناه العقوبة في الشيء الذي لا حد فيه، كعشر جلدات من ذلك ولكن لا يبلغ به حد القذف.

وإذا لم يكن المقذوف بالغا فلا يقام الحد على القاذف؛ لأنه معلوم أنه كذاب، وقد يعزر في ذلك.

ويشترط في المقذوف كذلك أن يكون مسلما، فإذا قذف المسلم كافرا فإنه يعزر على ذلك، ولكن لا يقام عليه الحد.

ويشترط في المقذوف أن يكون حرا حتى لا يكون أدنى من القاذف، فإذا كان المقذوف عبدا فلا يقام على قاذفه الحد، ولكن يحرم قذفه، وقاذفه يحد في يوم القيامة، والله عز وجل جعل الناس مسخرين بعضهم لبعض، فجعل هؤلاء أحرارا وجعل هؤلاء عبيدا، وجعل للأحرار أحكاما وجعل للعبيد أحكاما، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد سبحانه وتعالى.

فلو قذف العبد أقتص من قاذفه يوم القيامة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من قذف مملوكه أقيم عليه الحد يوم القيامة).

ومن شروط المقذوف: أن يكون عفيفا عن الفاحشة، فلو أن إنسانا قذف آخر وقال له: يا زاني، وتبين أن هذا الإنسان المقذوف ليس عفيفا، فعلى ذلك لا يقام عليه الحد، وقد يعزر على ذلك تعزيرا.." [1]

"تفسير قوله تعالى: (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا)

﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ [الأنبياء:٦٢] وهذا سؤال تحقق هنا: ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ [الأنبياء:٦٢]؟ فكان

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٦٧

A ﴿ قال بل فعله كبيرهم﴾ [الأنبياء:٦٣] أي: انظروا إلى الفأس أين هو؟ فالصنم الكبير هو الذي عمل هذا العمل.

﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [الأنبياء:٦٣].

وكأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعلق شيئا على شيء، وهذا من معاريض الكلام، ومن التورية في الكلام، وهو أن يأتي بكلمة لها معنيان: معنى قريب، ومعنى بعيد؛ فكأن إبراهيم يقصد في الكلام: إن نطق هؤلاء فهذا هو الفاعل ولكن هؤلاء لا ينطقون، فليس هذا هو الفاعل.

فكأنه يقول لهم: من الذي يفعل هذا؟ وهؤلاء لا ينطقون، فهل هذا هو الذي يصنع ذلك؟ فإن نطق فهو الفاعل.

هذا قول من الأقوال التي ذكروها في هذه الآية.

وقال الكسائي: إنه يوقف هنا: ﴿قال بل فعله﴾ [الأنبياء:٦٣]، ثم يستأنف: ﴿كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [الأنبياء:٦٣]، فكأنه يقول: بل فعله من فعله، وكبيرهم هذا.

وهذا من باب التعريض في الكلام، فهم سيفهمون بأنه فعله كبيرهم هذا، وأنه لا يقصد شيئا آخر غير ذلك.

وهو يقصد: فعل ذلك من فعل، وسكت ثم قال: ﴿كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [الأنبياء:٦٣]، أي: اسألوا هؤلاء التماثيل، واسألوا هذا الكبير إن كانوا ينطقون ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [الأنبياء:٦٣].

وجاء في الأثر عن عمر رضي الله عنه: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب.

يعني إن الإنسان إذا اضطر إلى شيء كما اضطر إبراهيم فله أن يعرض بدلا من أن يكذب، ففرق بين الكذب، وهو أن يتكلم عن الشيء الخطأ وهو يقصد ما يقول، وبين التورية، وهي أن يتكلم بالشيء ويقصد لازمه، فيتكلم بشيء له معنيان ولا يقصد معناه الصريح وإنما يقصد المعنى الآخر البعيد الذي لا يستحضره السامع، فيظن المعنى الخاطئ.

﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ [الأنبياء:٦٢] وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذا كذبا، قال صلى الله عليه وسلم: (لم يكذب إبراهيم صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات:٨٩] وقوله: ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء:٦٣] وواحدة في شأن سارة).

وفي رواية قال: (لم يكذب إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم في شيء قط إلا في ثلاث، قوله: ﴿إني

سقيم﴾ [الصافات:٨٩] وقوله لـ سارة: أختي، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا)) [الأنبياء:٦٣]) إذا: فإبراهيم كذب ثلاث مرات.

والراجح أن هذه الثلاث المرات من التعريض في الكلام ولم يقصد الكذب المحض.

والكذب ثلاث مرات في حياته كلها شيء قليل جدا، وهن في ذات الله عز وجل، وقد قال الحديث: إنهن كن في ذات الله سبحانه، ولم يكذب لنفسه، ولما كان هذا النبي عليه الصلاة والسلام مرتبته عند الله مرتبة عظيمة جدا، فإنه لما كذب ثلاث مرات كأنه نزل عن هذه المرتبة قليلا، فتقدم عليه نبينا صلوات الله وسلامه عليه؛ لأنه لم يكذب أبدا صلوات الله وسلامه عليه.

وعندما يؤتى إلى إبراهيم يوم القيامة، ويقال له: اشفع لنا أنت خليل الرحمن، يقول: (أنا خليل ومن ورائي خليل، ويذكر كذباته الثلاث).

ويخاف من ذلك يوم القيامة.

وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فلم يعرض على شيء لا من كذب ولا غيره، ولا ينطق إلا بحق، سواء في جده أو في هزله صلى الله عليه وسلم، حتى في ضحكه مع الناس، فكان لا ينطق إلا بالحق، صلى الله عليه وسلم.

فلذلك يوم القيامة يتقدم ويقول: (أنا لها، أنا لها) صلوات الله وسلامه عليه.

ومقام النبوة مقام عظيم جدا، فعندما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لم يكذب إبراهيم صلى الله عليه وسلم النبي إلا ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات:٨٩]) يعني: أنه مريض، فكأنه يقول: قلبي سقيم ومريض مما أراكم عليه من الشرك، فعدت كذبة.

(وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء:٦٣]) وتأويل هذا: بل فعله كبيرهم إن كان يفعل ذلك فهو الذي فعل، ولكن كأنه لا يفعل، فليس هو، أو بل فعله من فعله وكبيرهم هذا، يعرض في ذلك.

وعلى كل سميت هذه الكذبة الثانية.

(وواحدة في شأن سارة)، ولم يجعل هذه في ذات الله، وإن كانت حقيقتها أنها أيضا في الله عز وجل، لأنه له فيها نصيبا؛ فإنه لما جاء مع سارة إلى مصر وكان يحكمها جبار من الجبابرة قيل له: إنه دخل رجل اسمه إبراهيم ومعه امرأة هي من أجمل الخلق ومن أجمل نساء الناس، وكانت سارة من أجمل النساء؛ فسأله الجبار: من هذه؟ فلو قال امرأتي لقتله، فلذلك عرض إبراهيم في الكلام وقال: أختي، وقال لها: (إني قلت له: إنك أختي، فلا تكذبيني، أو فلا تكذبينني)، من أجل أن يحمي نفسه من القتل لعله يبلغ رسالة الله

سبحانه وتعالى، وقد عدت هذه كذبة، وإن كان مضطرا إليها.
ومن الممكن أن يقال: هذه أيضا في الله عز وجل، وإنها بلاء ابتلي بها في الله، ولكن إبراهيم لعظيم منزلته عدت عليه هذه الثلاث كذبات.
وقد يصنع الأنبياء والمرسلون أشياء قد تكون إحسانا من غيرهم، ولكنهم قد يلامون على هذا الشيء، فجعلت هذه ثلاث كذبات لإبراهيم من هذا الباب.
وقيل: بل وأخرى رابعة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر، وهي قوله: هذا ربي، لما ناظر أهل عبادة الكواكب، فإنه فلما جن عليه الليل ورأى كوكبا قال: هذا ربي، وإن كان إبراهيم يقصد إن هذا ربي في زعمكم، أي: أنكم تزعمون أن هذا ربي.
وقد كتبت عليه هذه من ضمن الكذبات، وإن كان قالها وقت المناظرة لهؤلاء.
يقول العلماء: الكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه.
وإبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يقل هذا من باب الكذب، وإنما قاله من باب التعريض، أي: أنه يذكر الكلمة التي تحتمل أكثر من معنى، ويقصد معنى بعيدا والسامع يظن المعنى القريب.
والغرض: أنه قال لهم: ﴿فاسألوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾ [الأنبياء:٦٤].
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)
الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته أجمعين.
قال الله عز وجل في سورة النور: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٩/٧

التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [النور: ٣٠ – ٣١].

لقد أمر الله عز وجل عباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم، وأن يحفظوا فروجهم، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ [النور: ٣٠]، فهذا أمر من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر أمته بغض البصر.

وغض البصر: هو خفض البصر وعدم النظر إلى ما حرمه الله سبحانه وتعالى، وبدأ بذكر البصر لأن البصر يوصل الإثم إلى الفرج، فغض البصر يجعل في قلب الإنسان الإيمان، ويحصنه من الوقوع في الزنا؛ لأن البصر يرسل النظرة إلى النفس فتتشهى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فبدأ بالسبب الذي يؤدي للنتيجة وهي الوقوع في الفاحشة.

وكلمة المؤمنون يدخل فيها الذكور بالأصل والإناث بالتبع، وكذلك نقول لمجموعة من الناس: هؤلاء مسلمون، فهذه الكلمة وإن كانت جمع للذكور لكن يدخل تحتها الإناث، وإنما غلب الذكور، فكان من الممكن أن يكتفى بذلك وتكون الآية للمؤمنين والمؤمنات جميعا، ولكن الله سبحانه وتعالى ذكر المؤمنين الذكور وذكر المؤمنات حتى لا تظن المرأة أن هذا خطاب للرجال فقط، فأكد أنها مقصودة بالآية التي تليها.

قوله: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ توكيد لهذا الشيء، وقد ورد في القرآن أوامر يأمر الله عز وجل المؤمنين بها بصيغة: يا أيها الذين آمنوا فيدخل فيها الرجال والنساء، ولكن عندما يكون الأمر أمرا خطيرا يحتاج لأن ينبه عليه الجميع، وأن كل إنسان سيسأل عن هذا الأمر يوم القيامة، فإنه يذكر الرجال ويذكر النساء، فهنا السورة في أولها ذكرت الزانية والزاني، ولو كان ذكر الزاني فقط لعرفنا أنه يدخل فيه الزانية أيضا، ولكن للتأكيد على أن الرجل الذي يقع في هذه الفاحشة مسؤول يوم القيامة والمرأة كذلك، وحتى لا يكون لأحد عذر ذكر الله الرجال والنساء، وعندما جاء ذكر حكم كبيرة من الكبائر قال الله: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله﴾ [المائدة:٣٨]، فنص على الرجل ونص على المرأة، وكذلك عندما تظن البعض من المؤمنات أن الرجال مذكورون في القرآن وحدهم بأن لهم أجرا كبيرا، والنساء بالتبع تأتي الآية وتقول: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات﴾ [الأحزاب:٣٥] إلى آخر هذه الآية، فيذكر الرجال ويذكر النساء، ولو ذكر الرجال لكفى ويدخل تحته النساء، ولكن لبيان أن هؤلاء

يثابون، وأيضا هؤلاء يثبن على ما يفعلن من الأعمال الصالحة، ومن هذا الباب جاء التأكيد وأن كل إنسان رجل كان أو امرأة سيسأل يوم القيامة عن هذا الأمر، فالرجل مطلوب منه غض البصر، والمرأة أيضا مطلوب منها غض البصر.

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)، حفظ الفرج: هو أن يستره عن أن يراه من لا يحل له أن ينظر إليه، **والمعنى الآخر**: ستر الفرج عن الوقوع في الفاحشة.

فعندما قال الله تعالى: (يغضوا من أبصارهم) لأن بصر الإنسان حاسة يحتاج إلى النظر بها رجلا كان أو امرأة، ولكن الفرج الأصل فيه الستر والحفظ فلم يقل: ويحفظوا من فروجهم، ولو قال ذلك لكان معنى صحيحا، لأن الإنسان يحفظ فرجه إلا عما يحل له، ولكن لما كان الأصل في النظر أن ينظر الإنسان، قال: (يغضوا من أبصارهم) أي: بعضا من هذه الأبصار، وهو النظر المحرم، ويباح ما سوى ذلك، لكن الفرج على العكس من ذلك، فالأصل فيه الستر والحفظ، فلم يقل: (من فروجهم) ولكن قال: (ويحفظوا فروجهم).

قوله: (ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) (ذلك): أي: الغض والحفظ.

(أزكى لهم) أي: أطهر لهم، والإنسان كلما عمل طاعة زكى نفسه، ﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ [الشمس:٩ – ١٠]، وكلما زكاه الله عز وجل وطهره أورثه إيمانا في قلبه، والإيمان يزيد وينقص، فيزيد الله عز وجل المؤمنين هدى، ويزيدهم إيمانا بطاعتهم له سبحانه وتعالى، وينقص الإيمان بمعصية الإنسان لربه سبحانه، ولا يزال الإيمان ينقص حتى يضيع بالكلية، لذلك فالمؤمن يحرص على المحافظة على إيمانه بطاعة الله سبحانه، وعلى أن يزداد إيمانه بذكره لله سبحانه وبالعمل الصالح، فغض البصر يجعل للإنسان في قلبه نورا، ولذلك جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي فالإنسان العاصي يبتعد عنه نور الإيمان، والإنسان المطيع يمتلئ قلبه نورا، فيعرف ما الذي يفعل ويعرف ما الذي يجتنب.

(ذلك أزكى لهم) أي: غض البصر، وحفظ الفرج.

(إن الله خبير) الخبرة: هي العلم الدقيق بخفايا الشيء وخباياه، وخفايا النفوس وخفايا الأعين، فالله خبير سبحانه وتعالى.

(بما يصنعون) بما يصنع الرجل وبما تصنع المرأة، وبما يتصنع الرجل وبما تتصنع المرأة، فالله خبير بما يبديه هذا الإنسان وبما يخفيه، وبما يصنعه لله عز وجل وما يصنعه لغير الله سبحانه وتعالى.

وقد جاء في حديث بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه عن جده قال: (قلت: يا رسول الله! عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟! قال صلى الله عليه وسلم: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك) أي: أن الأصل الستر وحفظ العورة.

(فقال: الرجل يكون مع الرجل) وكان أهل الجاهلية لا يستحيون من هذا الشيء.

(فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن استطعت ألا يراها أحد فافعل) أي إن استطعت أن تستتر ولا يرى سوءتك أحد أبدا فافعل، (قال قلت: فالرجل يكون خاليا؟!) أي: وحيدا في البيت، (فقال صلى الله عليه وسلم: الله أحق أن يستحيا منه من الناس)، فالإنسان يستحيي من ربه سبحانه أن يقعد متجردا، وإن كان ليس محرما عليه إذا كان في حمام أو نحو ذلك فتجرد من ثيابه لحاجة، ولكن إذا كان يستحيي من الناس فليستحيي من الله سبحانه وتعالى.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لإن أمرتهم ليخرجن)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته أجمعين.

قال الله عز وجل: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون﴾ [النور:٥٣].

في هذه الآيات يذكر الله عز وجل المنافقين وكيف أنهم يقسمون بالله سبحانه وتعالى ويجتهدون في أيمانهم وهم كاذبون، وقد حذر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم من طاعة كل حلاف مهين، فهؤلاء المنافقون كانوا يحلفون للنبي صلى الله عليه وسلم، ويكثرون من الحلف، والإنسان إذا وجد نفسه أنه يكذب في الكلام فإنه يؤكد كلامه باليمين حتى يظن به أنه صادق ولا يهتم أن يكذب، فإنه قد امتلأ قلبه بالنفاق، فإذا به لا يهتم بأن يعظم اليمين ويعظم ذكر الله سبحانه وتعالى.

فالمنافق في باطنه الكفر، ويظهر الإسلام بلسانه فلا يهتم أن يحلف صادقا أو كاذبا، فيحلفون أمام النبي صلى الله عليه وسلم مجتهدين بأغلظ الأيمان: إنهم لصادقون، كما ذكرهم الله عز وجل وفضحهم في سورة التوبة قال: ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ [التوبة:٥٦]، فيحلفون للنبي صلى الله عليه وسلم بالله رب العالمين أنهم من المؤمنين، وربنا يكذبهم (وما هم منكم)، وقال تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن﴾ [النور:٥٣] متى يكون هذا الكلام؟ إذا انتهت الحرب

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٧٩

وإذا انتهى القتال، فتظهر شجاعتهم في الكلام فقط فيقولون: نحن مطيعون لما تأمرنا وسنقاتل في سبيل الله، ويجتهدون في الأيمان المغلظة، والحقيقة أنهم لن يفعلوا ذلك ولكنهم قوم يكذبون.

فيكذبون على النبي صلى الله عليه وسلم، ويكذبون على الناس فإذا جاءوا يوم القيامة كذبوا على الله سبحانه وتعالى، ويحلفون بالله سبحانه إنهم من المؤمنين والله يعلم أنهم كاذبون في الدنيا، ويشهدون بالله إنهم مع المؤمنين والله يشهد أنهم لكاذبون، قال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون:١].

فكم كذبهم الله عز وجل في كتابه، وكم فضحهم في كتابه العزيز سبحانه، فهنا من ضمن ما يكذبون به يقول: ((وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم)) يعني: بالجهاد والطاعة (ليخرجن) مطيعين مجاهدين في سبيل الله، فأجاب الله عز وجل وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ((قل لا تقسموا)) أي: لا تحلفوا فأنتم كذابون، ثم قال: ﴿طاعة معروفة﴾ [النور:٥٣] وفيها معنيان: المعنى الظاهر منها والقريب: طاعتكم طاعة معروفة، يعني: قد عرفنا دأبكم وعرفنا عادتكم وكذبكم، فطاعتهم باللسان فقط، وأما الحقيقة فهي التكذيب في القلوب، وعدم فعل الذي تحلفون أنكم ستفعلونه، قال سبحانه ﴿لا تقسموا طاعة معروفة﴾ [النور:٥٣] أي: طاعتكم طاعة معروفة، فهي طاعة باللسان لا يصدقها القلب ولا تصدقها الأفعال.

والمعنى الآخر: أن الطاعة التي يريدها الله عز جل طاعة معروفة، فليست هي التي تصنعون، وإنما هي أن تنفذوا أحكام رب العالمين سبحانه، وقد بين الله عز وجل في القرآن ما هو المطلوب منكم وهو: أن تطيعوا الله، وأن تطيعوا الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وأن تفعلوا ما جاء في القرآن، وما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فالطاعة ليست غائبة عنكم وليست بعيدة منكم وليست مجهولة لكم، فهي أوامر الله وأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك معروف عندكم، ولكنكم لا تفعلون.

فالطاعة التي يريدها الله عز وجل معروفة وليست مجهولة فنفذوا إن كنتم صادقين، وأما طاعتكم التي تزعمون فهي أيضا معروفة وأنها أكاذيب، وأنكم لا تصنعون ما تقولون.

قال تعالى: ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ [النور:٥٣] أي: خبير بما خفي في قلوبكم وما خفي من أفعالكم، فالله خبير بما تعلمون من أفعال باطنة تكتمونها عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويعلم الله سبحانه ما تعملون فيما بينكم، وما تقولونه وتخفونه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الناس.." (١)

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٩٩

"أسرار لفظ: (كلا) في القرآن الكريم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا تطيب الدنيا إلا بذكره، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوه، ولا تطيب الجنة إلا برؤيته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها المباركون! فهذه حلقة جديدة مباركة بإذن الله من برنامجكم: معالم بيانية في آيات قرآنية، وقبل أن نشرع كالعادة في بيان ما نحن فيه نقول: إن اللفظ الذي سنشرع في إماطة اللثام البياني عنه في هذا اللقاء هو لفظ (كلا).

ونستفتح بخبر أدبي قبل أن نشرع في بيان مراد الله جل وعلا من هذه الكلمة أو من هذا اللفظ: يقولون: إن الحجاج بن يوسف الثقفي القائد الأموي المعروف أسر شابا، فجاءته امرأة هي أم ذلك الشاب تحاول أن تقدم نوعا من الشفاعة لابنها، وهي تخاطب الحجاج أقسمت له أن ابنها بريء، لكن الذي يستوقفنا هنا: هو ذلك القسم الذي استخدمته تلك المرأة، فقد قالت وهي تخاطب الحجاج: والذي حذف كلا من النصف الأعلى.

نحن نعلم أن القرآن ثلاثين جزءا، وأن أوسطه سورة الكهف في خبر موسى والخضر، وإذا اعتبرنا النسبية يمكن أن نقول: إن هناك نصفا أعلى ونصفا آخر من الصعب أن نطلق على الخمسة عشر جزءا الأخيرة من القرآن: بأنها نصف أدنى، لكن نقول: هناك نصف أعلى، والنصف الآخر هذه المرأة تقول في خطابها للحجاج: والذي حذف كلا من النصف الأعلى أي: أن حرف كلا ليس موجودا في أول القرآن من الفاتحة إلى الكهف، ثم ورد بعد ذلك في سورة مريم: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا * أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا *كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾ [مريم:٧٧ - ٧٩].

فيقولون: إن الحجاج استعرض القرآن وهو يريد أن يركب فرسه، لما قالت له المرأة هذا الخطاب ثم تبين له صحة قولها، فعفا عنها وعفا عن ابنها، وقبل شفاعتها.

والشاهد: أن (كلا) وردت في القرآن في ٣٣ موضعا كلها كما قدمنا في النصف الآخر من القرآن أي: ليس في النصف الأعلى منه، وجعل بعض العلماء لفظ كلا من الأدلة والقرائن على أن السورة التي يرد فيها لفظ كلا هي سورة مكية، فلم ترد غالبا ويمكن أن نقطع في القرآن المدني، لكن القطع قد يكون نوعا من

الجزم؛ لأن تحرير المدني والمكي فيه نوع خلاف، نعود فنقول: ما هو الحرف كلا؟ كلا كما قال ابن هشام في مغنيه: مركبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية قال: وإنما شددت لامها لتقوية المعنى، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين، وهي عند سيبويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين حرف معناه: الردع والزجر، لا معنى لها عندهم إلا ذلك، حتى إنهم يجيزون أبدا الوقف عليها والابتداء بما بعدها، وحتى قال جماعة منهم: متى سمعت كلا في سورة فاحكم بأنها مكية وهذا حررناه آنفا؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد وهذه صبغة من صبغ القرآن المكي، ورأى الكسائي وأبو حاتم ومن وافقهما أن معنى الردع والزجر ليس مستمرا فيها فزادوا فيها معنى ثانيا يصح عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها، ثم إن هؤلاء اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال: أحدها للكسائي ومتابعيه قالوا: تكون بمعنى حقا.

والثاني لـ أبي حاتم ومتابعيه قالوا: تكون بمعنى (ألا) الاستفتاحية.

والثالث لـ ابن شميل والفراء ومن وافقهما قالوا: تكون حرف جواب بمنزلته، وحملوا عليه قول الله جل وعلا: ﴿كلا والقمر﴾ [المدثر:٣٢] قالوا: معناه: إي والقمر.

قال ابن هشام في مغنيه: وقول أبي حاتم عندي أولى من قولهما؛ لأنه أكثر اطرادا، فإن قول النضر لا يتأتى في آيتي المؤمنين والشعراء، وقول الكسائي لا يتأتي في نحو: ﴿كلا إن كتاب الأبرار﴾ [المطففين:١٨]، ﴿كلا إن كتاب الفجار﴾ [المطففين:٧]، ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين:١٥]، ووجه العلة في عدم ذلك التأتي عنده: أن حرف (إن) يكسر بعد ألا الاستفتاحية، ولا تكسر بعد حقا، ولا بعد ما كان بمعناها، ولأن تفسير حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم، وهذا كلام من حيث الصناعة النحوية بليغ جدا، وفيه رد ظاهر عليه.

وعلى هذا نختار قول سيبويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين على أن معناها: الردع والزجر، وعلى أنه ليس لها معنى غيره.

ونعود لما رد به ابن هشام على أولئك الذين ذهبوا بها إلى **معنى آخر** فقال: وقد يمتنع كونها للزجر نحو ﴿وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ [المدثر:٣١]، ﴿كلا والقمر﴾ [المدثر:٣٢]، إذ ليس قبلها ما يصح رده، وهذا القول الذي قاله ابن هشام فيه تضعيف للقول الذي اخترناه، لكن يمكن أن يجاب عنه بأن الأمر في سياق الحال لا في سياق المقال.

وقال بعض العلماء: إن لها معان غير ذلك، فقد قال الطبري وجماعة: إنه لما نزل عدد خزنة جهنم ﴿عليها تسعة عشر﴾ [المدثر:٣٠]، قال بعضهم: اكفوني اثنين، وأنا أكفيكم سبعة عشر، فنزلت: (كلا) زجرا لهم،

هذا القول من الطبري يوافق ما اخترناه، لكن قال ابن هشام عنه: إنه قول متعسف؛ لأن الآية لم تتضمن ذلك، ونحن نقول: إن رد ابن هشام هنا فيه هو شيء من التعسف، وإنما كما قلنا: العبارة أحيانا ترد على لسان الحال لا على لسان المقال، والذي نريد أن نصل إليه بعد هذا التطواف -أيها المباركون- فيما ذكرناه حول لفظ كلا: أن القرآن عظيم في أسلوبه، جليل في عباراته، وأن هذا الحرف استخدمه القرآن استخداما بليغا في الردع والزجر، ولما كان المجتمع المكي يحتاج إلى نوع من الردع والزجر؛ لأنهم كانت لهم ألفاظهم القاسية في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم، ومخاطبة القرآن، والرد على الرب تبارك وتعالى قوله، كانت لفظة: (كلا) مناسبة في رد ما زعموه من إفك، وما افتروه من قول.

أما الحياة المدنية في المجتمع المدني فكان أكثرهم مسلمين، وكان القرآن يخاطب قلوبهم، ويخاطب أحوالهم في التشريع، ولم تكن فيه ردود بالقدر الذي كان موجودا في القرآن المكي.

وعلى هذا نفهم: أن القرآن المكي له أسلوبه، كما أن القرآن المدني له أسلوبه، وقد يشتركان في نوع من الأسلوب خاصة في باب العقائد.

نسأل الله جل وعلا لنا ولكم التوفيق.

هذا ما تيسر إعداده، وتهيأ إيراده، وأعان الله العلي الكبير على قوله، سائلين الله أن يجعلنا وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

وصلى الله على محمد وعلى آله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم)

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله تعالى: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ [البقرة:٩] أي: بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك، وأن ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ [المجادلة:١٨]، ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ [البقرة:٩].

يقول: وما يغرون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم، وما يشعرون بذلك من أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء:١٤٢]، ومن القراء من قرأ: (وما يخادعون إلا أنفسهم) وكلا القراءتين ترجع إلى معنى واحد].

---

(١) معالم بيانية في آيات قرآنية، صالح المغامسي ٢/٢٤

يعني أن غرورهم بقي معهم حتى في موقف القيامة -نسأل الله السلامة والعافية-، وظنوا أن كونهم مع المؤمنين في الدنيا ينفعهم، بحيث يكونون مع المؤمنين يوم القيامة، وقد ثبت في الحديث الصحيح في الصحيحين وغيرهما أن الله تعالى يقول يوم القيامة: (لتتبع كل أمة ما تعبد) فمن كان يعبد الشمس يتبع الشمس، ومن كان يعبد القمر يتبع القمر، وهكذا يتساقطون في النار، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيقول الله تعالى: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه.

إذ قد جعل الله لهم علامة سبحانه وتعالى.

وثبت أنه في القيامة يرونه أربع مرات، وأنه يتجلى لهم في الصورة الأولى، ثم يتجلى لهم في صورة غير الصورة التي يعرفون فينكرونها ويقولون: نعوذ بالله، هذا مكاننا، فإذا جاء ربنا عرفناه.

فيرونه في المرة الأولى، ثم يرونه المرة الثانية فيتجلى لهم في غير الصورة التي يعرفونه فينكرونه، ثم يرونه في المرة الثالثة فيسجدون له، فيذهب المنافقون يريدون أن يسجدوا فيجعل الله ظهر كل منافق طبقا فلا يستطيع أن يسجد، قال سبحانه وتعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم:٤٢].

وقد أطال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في بيان هذا في كتابه العظيم (بيان تلبيس الجهمية)، وهو كتاب عظيم فيه مباحث عظيمة لا توجد في غيره من الكتب.

والمقصود أن المؤمنين يرون ربهم في موقف يوم القيامة أربع مرات، والمنافقون يكونون مع المؤمنين؛ لأنهم كانوا معهم في الدنيا، فيكونون معهم في موقف القيامة، ثم بعد ذلك ينطلقون ومعهم النور، فينطفئ نور المنافقين فيقولون للمؤمنين: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ [الحديد:١٣].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال ابن جرير: فإن قال قائل: كيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد إلا تقية؟ قيل: لا تمتنع العرب أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي في ضميره تقية لينجو مما هو له خائف مخادعا، فكذلك المنافق سمي مخادعا لله وللمؤمنين بإظهاره ما أظهر بلسانه تقية بما يخلص به من القتل والسبي والعذاب العاجل وهو لغير ما أظهره مستبطن، وذلك من فعله، وإن كان خداعا للمؤمنين في عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادع؛ لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه يعطيها أمنيتها ويسقيها كأس سرورها، وهو موردها حياض عطبها، ومجرعها به كأس عذابها، ومذيقها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به].

أي أن هذا خداع منه لنفسه، فكأنه يعطيها السرور بهذا الخداع، ويطمع أن يكون له يد مع المؤمنين ومع الكفار، وهو في الواقع يجرها إلى الهلاك، فهذا خداع منه لنفسه، نسأل الله السلامة والعافية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فذلك خديعته نفسه ظنا منه مع إساءته إليها في أمر معادها أنه إليها محسن، كما قال تعالى: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ [البقرة:٩] إعلاما منه لعباده المؤمنين أن المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسخاطهم عليها ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين، ولكنهم على عمى من أمرهم مقيمين.

وقال ابن أبي حاتم: أنبأنا علي بن المبارك فيما كتب إلي: حدثنا زيد بن المبارك حدثنا محمد بن ثور عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿يخادعون الله﴾ [البقرة:٩] قال: يظهرون (لا إله إلا الله) يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم، وفي أنفسهم غير ذلك].

وقال سعيد عن قتادة: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون): نعت المنافق عند كثير: خنع الأخلاق، يصدق بلسانه وينكر بقلبه ويخالف بعمله، يصبح على حال ويمسي على غيره، ويمسي على حال ويصبح على غيره، ويتكفأ تكفؤ السفينة كلما هبت ريح هبت معها].

الخانع: المريب الفاجر، وقد خنع كـ (منع)، والخنعة: الفجرة، والريبة، والمكان الخالي.

وقد يكون الخانع بمعنى: (الوضيع)، من التطامن، وفي الحديث: (أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملاك) يعني: أوضع وأحقر، لكن هنا قد يأتي **بمعنى آخر** يفهم من السياق، أي: المريب الفاجر. وأخنعته الحاجة: أخضعته وأضرعته، والتخنيع: القطع بالفأس، وأخنع الأسماء عند الله: أوضعها وأحقرها.." (١)

"سبب تسميتها بأم الكتاب وأم القرآن ونحوهما

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قال البخاري في أول كتاب التفسير: وسميت أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة، وقيل: إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته. قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمر أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع أما]. يعني: أن العرب تسمي الشيء الذي له أصل وله توابع تسميه أما، وسميت الأم أما لأن الطفل يرجع ويئول إليها، فكذلك الفاتحة تسمى أم القرآن؛ لأن معاني القرآن ترجع إليها، ومكة تسمى أم القرى؛ لأن القرى

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٧/١٨

ترجع إليها.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أما، واستشهد بقول ذي الرمة: على رأسه أم لنا نقتدي بها جماع أمور ليس نعصي لها أمرا يعني: الرمح.

قال: وسميت مكة أم القرى؛ لتقدمها أمام جميعها، وجمعها ما سواها، وقيل: لأن الأرض دحيت منها.

ويقال لها أيضا: الفاتحة؛ لأنها تفتتح بها القراءة، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام، وصح تسميتها بالسبع المثاني، قالوا: لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة، وإن كان للمثاني **معنى آخر** غير هذا، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا ابن أبي ذئب، وهاشم بن هاشم عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن: (هي أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم)، ثم رواه عن إسماعيل بن عمر عن ابن أبي ذئب به.

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني).

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا محمد بن غالب بن حارث حدثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي حدثنا المعافى بن عمران عن عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبي بلال عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله رب العالمين سبع آيات، بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أم الكتاب وفاتحة الكتاب)، وقد رواه الدارقطني أيضا عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه أو مثله، وقال: كلهم ثقات].

وعلى هذا تكون البسملة أول آية في الفاتحة، لكن الصحيح أنها سبع آيات بدون البسملة كما سبق.

وعلى هذا من قال: إن البسملة ليست آية من الفاتحة تكون قراءتها عنده سنة وليست بواجبة، فمن تركها صحت الصلاة، وأما على القول بأنها آية من سورة الفاتحة فإنها تكون واجبة.

والمعروف عند العلماء أن الاستفتاح والتعوذ والبسملة من سنن الصلاة، والواجب هو قراءة الفاتحة فقط.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وروى البيهقي عن علي وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم أنهم فسروا

قوله تعالى: ﴿سبعا من المثاني﴾ [الحجر:٨٧] بالفاتحة، وأن البسملة هي الآية السابعة منها، وسيأتي تمام هذا عند البسملة، وقد روى الأعمش عن إبراهيم قال: قيل لـ ابن مسعود: لم لم تكتب الفاتحة في مصحفك؟ فقال: لو كتبتها لكتبتها في أول كل سورة، قال أبو بكر بن أبي داود: يعني: حيث يقرأ في الصلاة، قال: واكتفيت بحفظ المسلمين لها عن كتابتها.

وقد قيل: إن الفاتحة أول شيء أنزل من القرآن، كما ورد في حديث رواه البيهقي في دلائل النبوة، ونقله الباقلاني أحد أقوال ثلاثة، وقيل ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر:١] كما في حديث جابر في الصحيح، وقيل: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق:١]، وهذا هو الصحيح كما سيأتي تقريره في موضعه والله المستعان].

هذا هو الصواب كما ثبت في البخاري أن أول ما نزل: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق:١]، ثم نزل بعد ذلك: ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر﴾ [المدثر:١ - ٢]، فبنزول (اقرأ) صار صلى الله عليه وسلم نبيا، وبنزول (المدثر) صار رسولا عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال العلماء: نبئ باقرأ، وأرسل بالمدثر.." (١)

"بيان معنى قوله تعالى (آخرين)

قوله تعالى: (آخذين) يحتمل معنين: فإما أن يكون المقصود: (آخذين) وقت دخولهم الجنة، فيصبح المعنى: آخذين ما هم فيه من النعيم.

والمعنى الآخر: أن يكون ذلك في حال كونهم في الدنيا، فالله تعالى يصف حال المحسنين عندما كانوا في الدنيا، فيقول: ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ [الذاريات:١٦].

فإذا قلنا بهذا يصبح المعنى: كانوا راضين عن الله؛ ولأنهم رضوا عن الله أخذوا عنه الأمر بتنفيذه، والنهي باجتنابه، والمصائب بالصبر عليها، والنعماء بالشكر.

وإن قلنا: إنها حال لهم في الآخرة؛ إن قوله تعالى: ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ [الذاريات:١٦] هذه ظاهرة لا تحتاج إلى تفسير، أي: أنهم يتقلبون في نعم الرب تبارك وتعالى ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ [الذاريات:١٦].." (٢)

"درء الحدود بالشبهات

فهذه الثلاث الآيات ذكرت حد الزنا في فواتح سورة النور كما بيناها، وذكرنا في أولها الفرق بين الحد والقصاص.

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٧/٤

(٢) تأملات قرآنية - المغامسي، صالح المغامسي ١٠/١٣

ومن الفوارق بينهما كذلك أن الله جل وعلا جعل الحد لا يسقط ولا تجوز فيه الشفاعة، ولكن يسر الله على لسان رسوله دفع الحد بالشبهات، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (ادرءوا الحدود بالشبهات).

ومن جملة ذلك ما يروى عن جماعة من الناس أتوا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه يستعدونه شاعرا يقال له: النجاشي، فاسقا في لسانه، فهجا قوما يتهمهم بما ليس فيهم، فكان عمر يدرأ الحد عنه بالشبهة، فكان يقصد بالبيت شيئا فيحمله عمر على **معنى آخر** مع أنه ضليع في لغة العرب، حيث قال يهجو بني العجلان: قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل فقال عمر: ليت آل الخطاب كذلك.

فقالوا: يا أمير المؤمنين! إنه يقول: ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل فقال عمر: ذلك أخف للزحام وأصفى للماء.

مع أنه أراد ضعفهم وعجزهم، وأراد عمر أن يغير المعنى، فقالوا: يا أمير المؤمنين! إنه يقول: تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل فقال عمر: أجن القوم موتاهم.

يعني: هؤلاء قوم طيبون يدفنون موتاهم فلا تصل الكلاب إليهم.

فقالوا: يا أمير المؤمنين! إنه يقول: وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل فقال عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه: كلنا عبد، وخير القوم خادمهم.

وكلما ذكروا بيتا خرج به عمر مخرجا آخر، وهو يعلم مقصده، لكن هذا من باب: (ادرءوا الحدود بالشبهات) حتى وصلوا معه إلى أبيات لا يمكن دفعها، فجلده تعزيرا.

والذي يعنينا أن الإنسان يدرأ الحدود بالشبهات بقدر الإمكان، ومن أجل هذا أيضا علق عمر حد السرقة في عام الرمادة؛ لأن شبهة الجوع والفقر وحاجة الناس كانت طاغية عامة من البلاء العام، فلم يقم الحد في ذلك العام، ولا يقال: ألغى عمر الحد، فهذا ليس لعمر ولا لغيره، ولكن علقه رضي الله عنه وأرضاه اجتهادا لحاجة الناس آنذاك من باب قوله صلى الله عليه وسلم: (ادرءوا الحدود بالشبهات).

فهذا -أيها الأخ- ما تيسر قوله حول الثلاث الآيات الأول من سورة النور.

وفي الدرس القادم سنعرج على قضيتين أخريين، وهما قضية حد القاذف وقضية الملاعنة، ونكتفي بهما بإذن الله تبارك وتعالى.

وهذا ما تيسر إيراده وتهيأ قوله وأعان الله على أن نمليه، وصلى الله على محمد وعلى آله، والحمد لله رب العالمين.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن)

وبعد أن ذكر الله جل وعلا نماذج إيمانية عظيمة، عاد الحديث إلى المنافقين، فقال سبحانه: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون﴾ [النور:٥٣]، فالذي أقسم هم المنافقون، وقوله: (جهد أيمانهم) أي: منتهى ما يبلغونه من الحلف والأيمان (لئن أمرتهم) أيها النبي (ليخرجن) أي: إذا نصصت عليهم وخصصتهم أو دعوتهم إلى قتال عام فإنهم سينفذون، فأجابهم الله بخطاب للنبي، وهذا يسمى تلقينا، فهو تلقين إلهي للنبي، وهذا أول التلقين في هذا الموقف، وسيأتي تلقين آخر، فقال تعالى: ﴿قل لا تقسموا﴾ [النور:٥٣] ولا خلاف في أن (لا) ناهية، ولكن ما المقصود بقوله جل وعلا: ﴿لا تقسموا﴾ [النور:٥٣]؟ لقد قال الله بعد ذلك: ﴿طاعة معروفة﴾ [النور:٥٣]، فإذا حرر معنى هذه الجملة يتحرر معنى قول اللہ جل وعلا: ﴿لا تقسموا﴾ [النور:٥٣].

قال بعض العلماء -وهذا الذي عليه الجمهور وهو الأظهر-: (طاعة معروفة) أي: نعلم من حالكم ونعرف من أخباركم ومن صنيعكم بنبينا صلى الله عليه وسلم، نعلم من خلال ما سبق منكم على مقتضى علم الله الأزلي أن طاعتكم معروفة، فليس منكم إلا الخذلان والترك، وعدم الاستجابة لأمر الله ورسوله، فيصبح بعد هذا معنى قول الله جل وعلا: ﴿لا تقسموا﴾ [النور:٥٣] أي: لا حرمة لقسمكم، ولا داعي له؛ لأن طاعتكم معروفة من قبل، هذا التحرير الأول للمسألة.

التحرير الثاني: أن قوله تعالى: ﴿طاعة معروفة﴾ [النور:٥٣] مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: طاعة معروفة أولى من الأيمان، أي: لا حاجة لي إلى أن تقسموا يصير اللفظ تهكما مثل الأول؛ إذ الأول يجري مجرى التهكم، ولا يصح مجرى التهكم إذا قلنا بهذا المعنى الثاني، فيصير المعنى: لا داعي للأيمان، فلا نريد منكم أيمانا مغلظة ولا جهد أيمان، بل نريد منكم أن تظهروا ما يثبت صدق اتباع نبيكم صلى الله عليه وسلم.

وهذا المعنى ينبى عليه **معنى آخر**، وهو اشتقاق كلمة (معروفة) أهي من العلم أم من العرف؟ فإذا قلنا: من العلم، أصبح المعنى: طاعة معلومة ظاهرة بينة تثبت لنا صدق توجهكم.

وأما إذا قلنا: من العرف، فالمعنى: أن الله جل وعلا لا يريد منكم إلا شيئا معروفا تعارف الناس عليه، أي:

---

(١) سلسلة محاسن التأويل - المغامسي، صالح المغامسي ١٨/٥٧

أمرا يسيرا هينا، ولا يريد منكم أيمانا مغلظة، ومنه قول الله جل وعلا: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ [الممتحنة:١٢].

ونرجح أن المقصود هو الأول مما ذكرناه.

ثم قال سبحانه: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ [النور:٥٤] وهذا هو التلقين الثاني من الله لنبيه، ﴿فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا﴾ [النور:٥٤]، وهذه صفة شرط، فربط الله الهداية بالطاعة، وإن السيادة لأهل الملة مرتبطة باتباع النبي صلى الله عليه وسلم، فـ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وخالد وصلاح وغيرهم كانوا مجاهيل في الأصل، وإنما سادوا لما من الله عليهم باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم: فمن أبو بكر قبل الوحي من عمر ومن علي ومن عثمان ذو الرحم من خالد من صلاح الدين قبلك من أنت الإمام لأهل الفضل كلهم أي: فالسيادة الدينية مقرونة باتباع هديه صلى الله عليه وسلم، قال ابن القيم رحمه الله في نونيته: وكمال شرع الله دين محمد صلى عليه منزل القرآن." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم)

ثم قال الله: ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ [الزخرف:٤] الأصل في كلمة (أم) أنها تأتي بإزاء الأب هذا هو الأصل، وإذا خرجت اللفظة عن أصلها وأدت **معنى آخر**، ودلت قرينها على أننا لا نريد الأصل فهذا ما يسميه البلاغيون استعارة، وسأقرب المعنى إلى فهم المشاهدين، فعندما تذهب إلى رجل لديه فرح وتشاهد هذا الفرح بجوار داره، ثم أعجبك ذلك الفرش الذي أنت جالس عليه فظننت أن هذا الفرش ملك لصاحب الدعوة، ثم لم تلبث أن قلبت الفرش فوجدت عليه علامة أو ختما أو أمارة مكتوب عليها: مفروشات كذا وكذا، أو محلات كذا وكذا للتأجير، فإنك تفهم أن هذا الفرش مستعار وليس لصاحب الدار، فقد استعاره من صاحبه الأصلي، والقرينة تلك الورقة أو الختم أو الإشارة أو العلامة، وكذلك في اللغة فالكلمة يكون لها أصل، فإذا وجدناها استخدمت استخداما غير الذي هو أصلها وجدنا من خلال القرينة ما يدل على أنها استعارة، وتنقسم الاستعارة إلى: استعارة تصريحية، واستعارة تبعية، واستعارة مكنية وهذا باب آخر، لكن نبدأ تدريجيا فهذا معنى الاستعارة، فالأصل في كلمة (أم) أنها التي تلد، قال الله: ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ [طه:٤٠]، فليس ههنا استعارة؛ لأن أم موسى هي التي ولدته، لكن قول الله جل وعلا هنا: ﴿وإنه في أم الكتاب﴾ [الزخرف:٤] المقصود أصل الكتب، أي: أصل ما خط في اللوح المحفوظ، فـ ﴿أم الكتاب﴾ [الزخرف:٤] هو اللوح المحفوظ، فهذا يسمى استعارة، وقد تقول: إنه بمعنى واسع هنا، ولا أريد

---

(١) سلسلة محاسن التأويل - المغامسي، صالح المغامسي ٩/٦٣

أن أدخل في ألفاظ حولها إشكال فالمهم المعنى، وأظن أن ابن قدامة أو ابن قتيبة –التبس علي الآن وهذا من الحفظ القديم– يعبر تعبيرات ويقول: لا عبرة بالمصطلح الذي يتنازع عليه الناس، وهذا كلام جيد فالعبرة بالمعنى، فكلمة (أم) في القرآن وردت على عدة معاني، وردت بمعنى الوالدة: ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ [طه:٤٠]، ووردت بمعنى المرضعة: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾ [النساء:٢٣]، وتسمى المرضعة في اللغة ظئرا، ووردت بمعنى المآل، قال الله جل وعلا: ﴿فأمه هاوية﴾ [القارعة:٩] أي: مآله أن يهوي في جهنم، ووردت بمعان عدة منها: قول الله جل وعلا هنا: ﴿وإنه في أم الكتاب﴾ [الزخرف:٤]، وأطلق على مكة أنها أم القرى، قيل: بمعنى الأصل، ومنه قول الله تعالى في آل عمران: ﴿هن أم الكتاب﴾ [آل عمران:٧] أي: أصل الكتاب، وغير ذلك مما هو مشهور، فالذي يعنينا أن (أم) هنا استعير لها المعنى، فأم الكتاب هو اللوح المحفظ.." (١)

"قصة أصحاب الجنة وما فيها من دروس وعبر

تتحدث الآيات بعد ذلك عن قصة أصحاب الجنة، قوم ابتلاهم الله بالنعمة، فالنعمة بلاء والفقر بلاء والمرض بلاء والسجن بلاء والولد بلاء، فالبلاءات متعددة: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾ [الحج:١١]، ولابد من البلاء؛ لأننا خلقنا للبلاء، ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [الملك:٢].

قال تعالى: ﴿إنا بلوناهم﴾ [القلم:١٧] أي: كفار قريش، أرسلنا إليهم النعمة المسداة والرحمة المهداة، خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، وجاءتهم هذه النعمة جحدوها، ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ [القلم:١٧]، أصحاب الجنة شباب ورثوا حديقة من أب صالح.

قال بعض المفسرين: وكانت عنبا، والمعنى يتضح بعموم اللفظ وخصوص السبب، فلما ورثوها تعاهدوا فيما بينهم أن يمنعوا المسكين والفقير من حقه، وألا يعطوا أحدا منها شيئا، أما علموا أن الذي رزقهم هو الله؟ أبدا، ﴿إذ أقسموا﴾ [القلم:١٧] أي: تعاهدوا وعزموا وأصروا، ﴿ليصرمنها مصبحين﴾ [القلم:١٧] (يصرمنها) يعني: يحصدونها في الصباح الباكر، ﴿ولا يستثنون﴾ [القلم:١٨]، المعنى الأول لقوله: (لا يستثنون) لم يقولوا: إن شاء الله، **والمعنى الآخر**: لا يتركون منها شيئا على الإطلاق، وناموا على تلك النية، جاء في الأثر: (أن العبد يقدر الله له رزقا، ولا يكون بينه وبين الرزق إلا القليل، فيعصي ربه، فيحرمه الله ذلك الرزق بسبب ذنبه).

---

(١) سلسلة محاسن التأويل – المغامسي، صالح المغامسي ٥/٧٠

قال تعالى: ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾ [القلم:١٩] حصدوا رمادا وترابا بدلا من أن يحصدوا ثمرا؛ بسبب سوء نيتهم ومعصيتهم.

﴿فأصبحت كالصريم﴾ [القلم:٢٠]، أي: كالليل المظلم.

ومعنى (طائف): آفة سلطها الله على الحديقة، فحصدتها فدمرتها، فحولتها إلى سواد مظلم بسبب خبث النية، أيها العاصي! أفق! انتبه! اعلم أن الله يعلم السر وأخفى.

وقاموا في الصباح ﴿فتنادوا مصبحين﴾ [القلم:٢١] أي: نادى بعضهم على بعض: هيا بنا! قبل أن يستيقظ أحد، وقبل أن يراكم أحد، فقوله: ﴿أن اغدوا﴾ [القلم:٢٢]، من الغدو، ﴿على حرثكم﴾ [القلم:٢٢] أي: على زرعكم، ﴿إن كنتم صارمين﴾ [القلم:٢٢] أي: إن كنتم قد نويتم وعزمتم على أن تحصدوها، ﴿فلما رأوها﴾ [القلم:٢٦]، أي: وصلوا إلى الحديقة، الطريق هو هو، نظروا إليها بالليل خضراء مزهرة يانعة يافعة، وفي الصباح أصبحت رمادا، ما الذي حدث؟ فلما نظروا إليها: ﴿قالوا إنا لضالون﴾ [القلم:٢٦] أي: لقد ضللنا الطريق، لم ندخل في الطريق الصحيح، تحققوا أنها هي قالوا: ﴿بل نحن محرومون﴾ [القلم:٢٧] أي: لقد حرمنا النعمة بسبب كفرنا: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [إبراهيم:٧]، فيا من تكفر بنعمة الله! إن تحولت النعمة إلى نقمة فذلك بسبب معصيتك.

يقول ربنا سبحانه: ﴿قال أوسطهم﴾ [القلم:٢٨] أي: أعدلهم وخيرهم وأفضلهم، ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا﴾ [القلم:٢٨ - ٢٩] بعد فوات الأوان، ندم بعد مصيبة، وتوبة بعد فوات وقتها.

وفي الآيات درس مهم، وهو إن أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر ولم يمتثل من تأمره لابد أن تنتهي أنت عن المنكر، فهذا الرجل أوسطهم نصح، ولكنه بعد أن نصح شارك فما قيمة النصيحة؟ قال لهم: (لولا تسبحون) بعد ذلك وقبل ذلك، لكنه سار معهم في الطريق، فالمنكر إما أن تغيره وإما أن تنتهي أنت عنه؛ ولذلك إخوتي الكرام! كانت النتيجة عامة: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ [القلم:٣٠]، وهكذا المعصية صاحبها يلوم نفسه بعد وقوعها: ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ [القلم:٣٠ - ٣١]، تابوا إلى ربهم وأنابوا إليه، وعلموا أن شكر النعمة هو الذي يبقيها.." (١)

---

(١) تفسير القرآن الكريم - أسامة سليمان، أسامة سليمان ٤/١١

"وقد روي عن ابن عباس خلاف هذه الرواية، وهو ما حدثني به، موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: " ﷺلما فرغ الله من خلق ما أحب، استوى على العرش فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن؛ وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة. وكان إبليس مع ملكه خازنا، فوقع في صدره كبر وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي، هكذا قال موسى بن هارون، وقد حدثني به غيره وقال: لمزية لي على الملائكة، فلما وقع -[٤٨٧]- ذلك الكبر في نفسه، اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا ﴿قالوا﴾ [البقرة: ٣٠] ربنا ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٣٠] يعني من شأن إبليس. فبعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني. فرجع ولم يأخذ وقال: رب إنها عاذت بك فأعذتها. فبعث الله ميكائيل، فعاذت منه فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل. فبعث ملك الموت، فعاذت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره. فأخذ من وجه الأرض وخلط، فلم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء؛ فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب: هو الذي يلتزق بعضه ببعض، ثم ترك حتى أنتن وتغير، وذلك حين يقول: ﴿من حمأ مسنون﴾ قال: منتن، ثم قال للملائكة ﴿إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [ص: ٧٢] فخلقه الله بيديه ل كيلا يتكبر إبليس عليه ليقول له: تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه؟ فخلقه بشرا، فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة. فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس، فكان يمر فيضربه، فيصوت الجسد كما يصوت الفخار وتكون له صلصلة، فذلك حين يقول: ﴿من صلصال كالفخار﴾ [الرحمن: ١٤] ويقول لأمر ما خلقت. ودخل فيه فخرج من دبره، فقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا، فإن ربكم صمد وهذا أجوف، -[٤٨٨]- لئن سلطت عليه لأهلكنه. فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له. فلما نفخ فيه الروح، فدخل الروح في رأسه عطس، فقالت له الملائكة: قل الحمد لله. فقال: الحمد لله، فقال له الله: رحمك ربك. فلما دخل الروح في عينيه، نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن

تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧] فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين أي استكبر وكان من الكافرين، قال الله له: ﴿ما منعك أن تسجد﴾ [ص: ٧٥] إذ أمرتك ﴿لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥] ﴿قال أنا خير منه﴾ [الأعراف: ١٢] لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين، قال الله له: اخرج منها ﴿فما يكون لك﴾ [الأعراف: ١٣] يعني ما ينبغي لك ﴿أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ [الأعراف: ١٣] والصغار هو الذل. قال: وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرض الخلق على الملائكة فقال: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٣١] أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فقالوا له: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ [البقرة: ٣٢] قال الله: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ قال: قولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ [البقرة: ٣٠] فهذا الذي أبدوا، وأعلم ما كنتم تكتمون، يعني ما أسر إبليس في نفسه من الكبر " -[٤٨٩]- قال أبو جعفر: فهذا الخبر أوله مخالف معناه معنى الرواية التي رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التي قد قدمنا ذكرها قبل، وموافق **معنى آخره** معناها؛ وذلك أنه ذكر في أوله أن الملائكة سألت ربها: ما ذاك الخليفة؟ حين قال لها: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] فأجابها أنه تكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا. فقالت الملائكة حينئذ: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] ، فكان قول الملائكة ما قالت من ذلك لربها بعد إعلام الله إياها أن ذلك كائن من ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض، فذلك معنى خلاف أوله معنى خبر الضحاك الذي ذكرناه. وأما موافقته إياه في آخره، فهو قولهم في تأويل قوله: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٣١] أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء. وأن الملائكة قالت إذ قال لها ربها ذلك، تبريا من علم الغيب: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ [البقرة: ٣٢] وهذا إذا تدبره ذو الفهم، علم أن أوله يفسد آخره، وأن آخره يبطل معنى أوله؛ وذلك أن الله جل ثناؤه إن كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء، فقالت الملائكة لربها: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عمن أخبرها الله عنه أنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء بمثل الذي أخبرها عنهم ربها، فيجوز أن يقال لها فيما طوي عنها من العلوم: إن كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله إياكم أنه كائن من الأمور، فأخبرتم به فأخبرونا بالذي قد طوى الله عنكم علمه، كما قد أخبرتمونا بالذي قد أطلعكم

الله عليه. بل ذلك خلف من التأويل، ودعوى على الله -[٤٩٠]- ما لا يجوز أن يكون له صفة. وأخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذي غلط على من رواه عنه من الصحابة، وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العلم بخبري إياكم أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، حتى استجزتم أن تقولوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] ، فيكون التوبيخ حينئذ واقعا على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم: إنه يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، لا على إخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن. وذلك أن الله جل ثناؤه وإن كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرية خليفته في الأرض ما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء، فقد كان طوى عنهم الخبر عما يكون من كثير منهم ما يكون من طاعتهم ربهم وإصلاحهم في أرضه وحقن الدماء ورفعه منزلتهم وكرامتهم عليه، فلم يخبرهم بذلك، فقالت الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] على ظن منها على تأويل هذين الخبرين اللذين ذكرت، وظاهرهما أن جميع ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء. فقال الله لهم إذ علم آدم الأسماء كلها: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٣١] أنكم تعلمون أن جميع بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء على ما -[٤٩١]- ظننتم في أنفسكم، إنكارا منه جل ثناؤه لقيلهم ما قالوا من ذلك على الجميع والعموم، وهو من صفة خاص ذرية الخليفة منهم. وهذا الذي ذكرناه هو صفة منا لتأويل الخبر لا القول الذي نختاره في تأويل الآية." (١)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا موسى، قال، ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، ﴿ﷺقد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين﴾ [آل عمران: ١٣] قال: " هذا يوم بدر، قال عبد الله بن مسعود: قد نظرنا إلى المشركين، فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا، وذلك قول الله عز وجل ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في -[٢٤٦]- أعينهم﴾ [الأنفال: ٤٤] ، فمعنى الآية على هذا التأويل: قد كان لكم يا معشر اليهود آية في فئتين التقتا: إحداهما مسلمة، والأخرى كافرة، كثير عدد الكافرة، قليل عدد المسلمة ترى الفئة القليل عددها الكثير عددها أمثالا لها أنها تكثرها من العدد بمثل واحد، فهم يرونهم مثليهم، فيكون أحد المثلين عند ذلك العدد الذي هو مثل عدد الفئة التي رأتهم، والمثل الآخر الضعف الزائد على عددهم، فهذا أحد معنيي التقليل الذي أخبر الله عز وجل المؤمنين

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٨٦/١

أنه قللهم في أعينهم، **والمعنى الآخر** منه: التقليل الثاني على ما قاله ابن مسعود وهو أن أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم، فذلك التقليل الثاني الذي قال الله جل ثناؤه: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا﴾ [الأنفال: ٤٤] " وقال آخرون من أهل هذه المقالة: إن الذين رأوا المشركين مثلي أنفسهم هم المسلمون غير أن المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم، لم يقللوا في أعينهم، ولكن الله أيدهم بنصره، قالوا: ولذلك قال الله عز وجل لليهود: قد كان لكم فيهم عبرة؛ يخوفهم بذلك أن يحل بهم منهم مثل الذي حل بأهل بدر على أيديهم." (١)

"حدثني أبو عبيد الرصافي، قال: ثنا محمد بن حمير، قال: ثنا صفوان بن عمرو، عن جويبر بن نفير، في قوله: ﴿ﷺقال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ [آل عمران: ٤١] قال: «ربا لسانه في فيه حتى ملأه، ثم أطلقه الله بعد ثلاث» وإنما اختارت القراء النصب في قوله: ﴿ألا تكلم الناس﴾ [آل عمران: ٤١] لأن معنى الكلام: قال: آيتك أن لا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام، فكانت «أن» هي التي تصحب الاستقبال دون التي تصحب الأسماء فتنصبها، ولو كان المعنى فيه: آيتك أنك لا تكلم الناس ثلاثة أيام: أي أنك على هذه الحال ثلاثة أيام، كان وجه الكلام الرفع، لأن «أن» كانت تكون حينئذ بمعنى الثقيلة خففت، ولكن لم يكن ذلك جائزا لما وصفت من أن ذلك **بالمعنى الآخر**، وأما الرمز فإن الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء بالشفتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين أحيانا، وذلك غير كثير فيهم، وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت: الرمز، ومنه قول جؤية بن عائذ:

[البحر الوافر]." (٢)

"حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: ثنا ابن علية ، قال: أخبرنا أيوب ، وحدثنا ابن بشار ، قال: ثنا عبد الوهاب ، قال: ثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺالبيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو يكون بيع خيار» وربما قال: " أو يقول أحدهما للآخر: اختر " فإذ كان ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا ، فليس يخلو قول أحد المتبايعين لصاحبه: اختر ، من أن يكون قبل عقد البيع ، أو معه ، أو بعده. فإن يكن قبله ، فذلك الخلف من الكلام الذي لا معنى له ، لأنه لم يملك قبل عقد البيع أحد المتبايعين على صاحبه ، ما لم يكن له مالكا ، فيكون لتخييره صاحبه

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٤٥/٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٨٧/٥

فيما يملك عليه وجه مفهوم ، ولا فيهما من يجهل ، أنه بالخيار في تمليك صاحبه ما هو له غير مالك بعوض يعتاضه منه ، فيقال له: أنت بالخيار فيما تريد أن تحدثه من بيع أو شراء. أو يكون إن بطل هذا المعنى تخيير كل واحد منهما صاحبه مع عقد البيع ، ومعنى التخيير في تلك الحال ، نظير معنى التخيير قبلها ، لأنها حالة لم يزل فيها عن أحدهما ما كان مالكه قبل ذلك إلى صاحبه ، فيكون للتخيير وجه مفهوم. أو يكون ذلك بعد -[٦٣٧]- عقد البيع ، إذا فسد هذان المعنيان. وإذا كان ذلك كذلك صح أن **المعنى الآخر** من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعني قوله: «ما لم يتفرقا» إنما هو التفرق بعد عقد البيع ، كما كان التخيير بعده ، وإذا صح ذلك ، فسد قول من زعم أن معنى ذلك: إنما هو التفرق بالقول الذي به يكون البيع. وإذا فسد ذلك صح ما قلنا من أن التخيير والافتراق إنما هما معنيان بهما يكون تمام البيع بعد عقده ، وصح تأويل من قال: معنى قوله: ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ [النساء: ٢٩] إلا أن يكون أكلكم الأموال التي يأكلها بعضكم لبعض عن ملك منكم عمن ملكتموها عليه بتجارة تبايعتموها بينكم ، وافترقتم عنها ، عن تراض منكم بعد عقد البيع بينكم بأبدانكم ، أو يخير بعضكم بعضا." (١)

"قال: فقال تحت رجل يمينه، كأنه قال: تحت رجله أو تحت رجله اليمنى قال: وقول لبيد:

[البحر الوافر]

أضل صواره وتضيفته ... نطوف أمرها بيده الشمال

كأنه قال: أمرها بالشمال وإلى الشمال، وقول لبيد أيضا:

حتى إذا ألقت يدا في كافر

فكأنه قال: حتى وقعت في كافر. وقال آخر منهم: هو المكفوف عن خبره، قال: والعرب تفعل ذلك قال: وله **معنى آخر**: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ [الرعد: ١٨] مثل الجنة موصول صفة لها على الكلام الأول قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال ذكر المثل، فقال مثل الجنة، والمراد الجنة، ثم وصفت الجنة بصفتها، وذلك أن مثلها إنما هو صفتها وليست صفتها شيئا غيرها وإذا كان ذلك كذلك، ثم ذكر المثل، فقيل: مثل الجنة، ومثلها صفتها وصفة الجنة، فكان وصفها كوصف المثل، وكان كأن الكلام

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦/٦٣٦

جرى بذكر الجنة، فقيل: الجنة تجري من تحتها الأنهار، كما قال الشاعر:

[البحر الوافر]." (١)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أشعث السمان، عن الربيع، عن أبي بشر، عن سعيد: ﴿ﷺوأنهم مفرطون﴾ [النحل: ٦٢] قال: «مخسئون مبعدون» وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم، إنما يقال فيمن قدم مقدما لإصلاح ما يقدم إليه إلى وقت ورود من قدمه عليه، وليس بمقدم من قدم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحا، وإنما تقدم من قدم إليها لعذاب يعجل له، فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة، صح **المعنى الآخر** وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك، وذلك أن يحكى عن العرب: ما أفرطت ورائي أحدا: أي ما خلفته، وما فرطته: أي لم أخلفه.." (٢)

"ﷺوقوله: ﴿وما يسطرون﴾ [القلم: ١] يقول: والذي يخطون ويكتبون. وإذا وجه التأويل إلى هذا الوجه كان القسم بالخلق وأفعالهم. وقد يحتمل الكلام **معنى آخر**، وهو أن يكون معناه: وسطرهم ما يسطرون، فتكون ما بمعنى المصدر. وإذا وجه التأويل إلى هذا الوجه، كان القسم بالكتاب، كأنه قيل: ن والقلم والكتاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.." (٣)

"ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿ﷺتعالى جد ربنا﴾ [الجن: ٣] قال: ذكره وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: عني بذلك: تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه. -[٣١٦]- وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن للجد في كلام العرب معنيين: أحدهما الجد الذي هو أبو الأب، أو أبو الأم، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ومن وصف الله بأن له ولدا أو جدا أو هو أبو أب أو أبو أم، فلا شك أنه من المشركين. **والمعنى الآخر**: الجد الذي بمعنى الحظ؛ يقال: فلان ذو جد في هذا الأمر: إذا كان له حظ فيه، وهو الذي يقال له بالفارسية: البخت، وهذا المعنى الذي قصده

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٥٤/١٣

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٦٦/١٤

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٤٨/٢٣

هؤلاء النفر من الجن بقيلهم: و أنه تعالى جد ربنا إن شاء الله. وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد، لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجن: علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد. وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم إنما نزهوا الله عن اتخاذ الصاحبة والولد -[٣١٧]- بقوله: ﴿وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ [الجن: ٣] يقال منه: رجل جدي وجديد ومجدود: أي ذو حظ فيما هو فيه؛ ومنه قول حاتم الطائي:

[البحر البسيط]

اغزوا بني ثعل فالغزو جدكم ... عدوا الروابي ولا تبكوا لمن قتلا

وقال آخر:

[البحر المتقارب]

يرفع جدك إني امرؤ ... سقتنِي إليك الأعادي سجالا." (١)

"ذكر من قال ذلك حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ﷺإلا بلاغا من الله ورسالاته﴾ [الجن: ٢٣] فذلك الذي أملك بلاغا من الله ورسالاته وقد يحتمل ذلك **معنى آخر**، وهو أن تكون إلا حرفين، وتكون لا منقطعة من إن فيكون معنى الكلام: قل إني لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالاته؛ ويكون نصب البلاغ من إضمار فعل من الجزاء كقول القائل: إن لا قياما فقعودا، وإن لا إعطاء فردا جميلا، بمعنى: إن لا تفعل الإعطاء فردا جميلا." (٢)

"الله وأكرم عليه من ملك مقرب، وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة، وإن [الرجل] المؤمن ليعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده» [١٠٩] «١» .

وعن إبراهيم بن أدهم قال: حدثنا عباد بن كثير بن قيس، قال: جاء رجل عليه بزة له فقعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل عليه [لممار] «٢» له فقعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ألقى بثيابه فضمها إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكل هذا تقززا من أخيك المسلم، أكنت تخشى أن يصيبه من غناك أو يصيبك من فقره شيء،» فقال للنبي: معذرة إلى الله وإلى رسوله، إن النفس

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣١٥/٢٣

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٥٠/٢٣

لأمارة وشيطان يكيدني، أشهد يا رسول الله أن نصف مالي له، فقال الرجل: ما أريد ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ولم؟» قال: لا يفسد قلبي كما أفسد قلبه» [١١٠] .

وقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) : لا تحقرن أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبيرا.

وقال يحيى بن معاذ: بئس القوم قوم إن استغنى بينهم المؤمن حسدوه، وإذا افتقر بينهم استذلوه والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة

عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر ارفع بصرك إلى أرفع رجل تراه في المسجد» . فنظرت فإذا رجل جالس وعليه حلة فقلت:

هذا. فقال: «يا أبا ذر ارفع بصرك إلى أوضع رجل تراه في المسجد» فنظرت فإذا رجل ضعيف عليه أخلاق فقلت: هذا، فقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لهذا عند الله يوم القيامة أفضل من قراب الأرض من هذا» [١١١] «٣» .

والله يرزق من يشاء بغير حساب قال ابن عباس: يعني كثيرا بغير فوت ولا [هنداز «٤»] لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل.

وقال الضحاك: يعني من غير تبعة، يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه ولا يعاقبه في الآخرة.

وقيل إن هذا راجع إلى الله ثم هو يحتمل على هذا القول معنيين: أحدهما أنه لا يفترض عليه، ولا يحاسب فيما يرزق، ولا يقال له: لما أعطيت هذا، وحرمت هذا؟ ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذاك؟ لأنه لا شريك له بما عنده، ولا قسيم ينازعه.

والمعنى الآخر أنه لا يخاف نفاذ خزائنه فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها إذا كان الحساب من المعطي، إنما يكون ليعم أقدر العطاء لئلا يتجاوز في عطائه إلى ما يجحف به فهو لا يحتاج الى الحساب لأنه عالم غني لا يخاف نفاد خزائنه لأنها بين الكاف والنون كان الناس أمة واحدة الآية، قال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى

---

(١) تفسير القرطبي: ٣/ ٢٩.

(٢) كذا في المخطوط.

(٣) مسند أحمد: ٥/ ١٧٠.

(٤) كذا في المخطوط.." [1]

"قال الثعلبي: ويحتمل أن لهذه الأخبار وأمثالها معنيين: أحدهما أنها كانت قبل تحريم الخمر، **والمعنى الآخر** وهو أقربهما إلى الصواب أنهم أرادوا بالنبيذ الماء الذي ألقي فيه التمر أو الزبيب حتى أخذ من قوته وحلاوته قبل أن يشتد ويسكر، يدل عليه ما

روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصنع له النبيذ فيشربه يومه والغد وبعد الغد.

وروى الأعمش عن يحيى بن أبي عمرو عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ينبذ له نبيذ الزبيب من الليل ويجعل في سقاء فيشربه يومه ذلك والغد وبعد الغد، فإذا كان من آخر الآنية سقاه أو شربه فإن أصبح منه شيء أراقه.

وعن عبد الله بن الديلمي عن أبيه فيروز قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنا أصحاب كرم وقد أنزل الله تحريم الخمر، فماذا نصنع؟ قال: تتخذونه زبيبا، قلت: فنصنع بالزبيب ماذا؟ قال: تنقعونه على غدائكم، وتشربونه على عشائكم، وتنقعونه على عشائكم، وتشربونه على غدائكم، قلت: أفلا نؤخره حتى يشتد؟ قال: فلا تجعلوه في السلال واجعلوه في الشنان، فإنه إن تأخر صار خمرا.

وعن نافع عن ابن عمر أنه كان ينبذ له في سقاء للزبيب غدوة فيشربه من الليل، وينبذ له عشوة فيشربه غدوة، وكان يغسل الأسقية ولا يجعل فيها نرديا ولا شيئا، قال نافع: وكنا نشربه مثل العسل.

وعن بسام قال: سألت أبا جعفر عن النبيذ قال: كان علي بن الحسين ينبذ له من الليل فيشربه غدوة، وينبذ له غدوة فيشربه من الليل.

وعن عبد الله قال: سمعت سفيان- وسئل عن النبيذ- قال: أنبذ عشاء وأشربه غدوة.

فهذه الأخبار تدل على أنه نقيع الزبيب والتمر قبل أن يشتد، وبالله التوفيق.

وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور وأكثر أهل الآثار: إن الخمر كل شراب مسكر سواء كان عصير العنب ما أريد منها، مطبوخا كان أو نيا وكل شراب مسكر فهو حرام قليرد ه وكثيره، وعلى شاربه الحد إلا أن يتناول المطبوخ [بعد ذهاب ثلثه] فإنه لا يحد وشهادته لا ترد، والذي يدل على حجة هذا المذهب من اللغة أن الخمر أصله الستر، ويقال لكل شيء ستر شيئا من شجر أو حجر أو غيرهما خمر، وقال: وخمر فلان في خمار الناس، ومنه خمار المرأة وخمرة السجادة، والخمر سمي بذلك لأنه يستر

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢/ ١٣٢

العقل، يدل عليه ما روى الشعبي عن ابن عمر قال: خطب عمر فقال: إن الخمر نزل تحريمها، وهي من خمسة أشياء: العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل، والخمر ما خامر العقل. وقال أنس بن مالك: سميت خمرا لأنهم كانوا يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير.." (١)

"يصدق بعضهم بعضا، ويأمر بعضهم بالإيمان ببعض، فذلك معنى آخر بالتصديق، وهذا قول سعيد بن جبير وطاوس وقتادة والحسن والسدي، يدل عليه ظاهر الآية،

وقال علي (رضي الله عنه) : لم يبعث الله نبيا. آدم ومن بعده. إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم، وأمره بأخذ العهد على قومه لتؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه

، وقال آخرون: إنما أخذ الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيين، وهو قول مجاهد والربيع.

قال مجاهد: هذا خلط من الكتاب وهو من قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب، قالوا: ألا ترى إلى قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وإنما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى أهل الكتاب دون النبيين.

وقال بعضهم: إنما أخذ الميثاق على النبيين وأممهم [ليؤمنن به] ، ففرد الأنبياء عن ذكر الأمم لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على الأتباع، وهذا معنى قول ابن عباس وهذا أولى بالصواب.

قال الله: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري أي وقبلتم على ذلك عهدي، نظير قوله تعالى: إن أوتيتم هذا فخذوه «١» أي فاقبلوه، وقوله تعالى: لا يؤخذ منها عدل أي لا يقبل منها فداء، وقوله: يأخذ الصدقات أي يقبلها، قالوا أقررنا.

قال الله: فاشهدوا على أنفسكم وعلى أتباعكم وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم.

قال ابن عباس: فاشهدوا: يعني فاعلموا، قال الزجاج: فاشهدوا أي فبينوا لأن الشاهد هو الذي عين دعوى المدعى، وشهادة الله للنبيين بينوا أمر نبوتهم بالآيات والمعجزات، وقال سعيد بن المسيب: قال الله تعالى للملائكة: فاشهدوا عليهم، فتكون كناية عن غير مذكور.

فمن تولى بعد ذلك الإقرار والإشهاد فأولئك هم الفاسقون العاصون، الخارجون عن الإيمان.

أفغير دين الله يبغون الآية.

قال ابن عباس: اختصم أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم (عليه السلام) كل فرقة زعمت أنه أولى بدينه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: كلا الفريقين بريء

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٨/٢

من دين إبراهيم، فغضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله أفغير دين الله يبغون

وهو قراءة الحسن وحميد ويعقوب وسلام وسهل وصفوان بالياء لقوله: فأولئك هم الفاسقون

---

(١) سورة المائدة: ٤١.." (١)

"وعلى **المعنى الآخر** إذا حملته على معنى " المعتذرين " غير مذمومين، إذا أتوا بعذر واضح.

ويجوز أن يكونوا مذمومين إذا أتوا بعذر غير واضح، يقال " اعتذر الرجل ": إذا أتى بعذر واضح، و " اعتذر ": إذا لم يأت بعذر، قال تعالى: ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا﴾، فهؤلاء اعتذروا بالباطل، فهم الذين يعتذرون ولا عذر لهم.

ومنع المبرد أن يكون أصله: " المعتذرين " ثم أدغم لأنه يقع اللبس.

وذكر إسماعيل القاضي: أن سياق الكلام يدل على أنه لا عذر لهم وأنهم مذمومون، لأنهم جاء/ وا ﴿ليؤذن لهم﴾، ولو كانوا من الضعفاء والمرضى، والذين." (٢)

"الأرض، فيعتبرون بمن كان قبلهم من الأمم، الذين كذبوا رسلهم، ويخافون أن يهلكوا بذنوبهم كما هلك من كان قبلهم.

ثم قال: ﴿ولدار الآخرة خير﴾: أي: الجنة خير لهم لو آمنوا من دار الدنيا.

ثم قال تعالى: ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ الآية، ومعنى الآية: أنها مردودة على ما قبلها، وهو قوله (تعالى): ﴿ومآ أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى﴾ فالمعنى: حتى إذا استيأس الرسل الذين تقدم ذكرهم، من إيمان قومهم، وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم. جاء الرسل نصرنا. فيكون الفعلان " للرسل / " والضمير ان في " أنهم "، وجاءهم للرسل أيضا، هذا على قراءة من شدد "كذبوا. قال هذا التفسير: الحسن، وقتادة وتحتمل هذه القراءة **معنى آخر**، وهو أن يكون المعنى: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان من كذبهم (من) قومهم، وظنوا أن من آمن من قومهم قد كذبوهم، لما لحقهم من البلاء والامتحان، جاء الرسل نصرنا.

(وهذا ا لمعنى مروي من عائشة Bها: (روى عروة عنها أنها) قالت: محن المؤمنين بالبلاء، والضر حتى ظن الرسل أن المؤمنين قد كذبوهم لما لحقهم فيكون الظن بمعنى: الشك لا بمعنى اليقين.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٠٥/٣

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٠٩٦/٤

فأما المعنى على قراءة من خفف "كذبوا " فعلى تقدير: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا: أي: أخلفوا لما وعدوا به من النصر. جاء الرسل نصرنا. فيكون الظن بمعنى: اليقين، وبمعنى: الشك، وتحتمل هذه القراءة أيضا **معنى آخر**، وهو أن يكون التقدير: ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ من إيمان قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم. ثم رد إلى ما لم يسم فاعله.." [١]

"علمه له الضلالة فإنه لا يهديه الله. وفيها **معنى آخر** وهو: فإن الله [لا] يهتدي من أضله: أي: من أضله الله لا يهتدي.

حكى الفراء أنه يقال: هدى يهدي بمعنى اهتدى يهتدي.

قوله ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾.

معناه: وحلف هؤلاء / المشركون من قريش بالله جهد حلفهم لا يبعث [الله] من يموت بعد موته، وكذبوا في أيمانهم ﴿بلى﴾ سيبعث الله من يموت بعد مماته. ﴿وعدا عليه حقا﴾ أي: وعد عباده ذلك، والله لا يخلف الميعاد ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أي: أكثر قريش لا يعلمون أن الله يبعث الموتى بعد موتهم. وتأول قوم من أهل البدع أن عليا B يبعث قبل يوم القيامة بهذه الآية، فسئل عن ذلك ابن عباس، فقال: كذب أولئك، إنما هذه الآية للناس عامة، ولعمري لو كان." [٢]

"يساقون إلى الموت عيانا، فذلك معنى قوله: ﴿وهم ينظرون﴾، وقال صاحب النظم: أي: يعلمون أنه واقع بهم، ومنه قول النبي (١) - صلى الله عليه وسلم -: "من انتفى من ابنه وهو ينظر إليه" (٢) أي: يعلم أنه ابنه، وقوله عز وجل: ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ [النبأ: ٤٠] أي: يعلم (٣).

٧ - قوله عز وجل: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ إحدى: تأنيث أحد على غير بنائه (٤)، كأنهم استأنفوا للمؤنث بناء كصفراء من أصفر، وعطشى (٥) من عطشان، و (الطائفتان) العير والنفير في قول المفسرين (٦).

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) رواه النسائي في "سننه" كتاب الطلاق، باب: التغليظ في الانتفاء من الولد ٦/ ١٧٩ بلفظ: "أيما

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٦٥٢/٥

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٩٩١/٦

رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عز وجل منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين يوم القيامة".
وبهذا اللفظ رواه أيضا أبو داود (٢٢٦٣) "سننه" كتاب الطلاق، باب: التغليظ في الانتفاء، والدارمي في "سننه" كتاب النكاح، باب: من جحد ولده وهو يعرفه ٢/ ٢٠٤ (٢٢٣٨)، والحاكم في "المستدرك" كتاب الطلاق ٢/ ٢٠٣، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
أقول: مدار الحديث على عبد الله بن يونس، وهو مجهول الحال لم يرو عنه إلا يزيد بن الهاد.
انظر: "الكاشف" ١/ ٦١٠، و"تقريب التهذيب" ص ٣٣٠ (٣٧٢٢).
(٣) هذا قول في تفسير الآية وتحتمل **معنى آخر** وهو: يوم يرى عمله مثبتا في صحيفته خيرا كان أو شرا. "زاد المسير" ٩/ ١٣.
(٤) انظر: "لسان العرب" (وحد) ٨/ ٤٧٧٩.
(٥) في (ح) كتبت هكذا: (عطشا).
(٦) انظر: "تفسير ابن جرير" ٩/ ١٨٤، و"تفسير السمرقندي" ٢/ ٦، و"تفسير البغوي" ٣/ ٣٢٨، و"الدر المنثور" ٣/ ٣٠٠ - ٣٠١، والمراد بالعير: الإبل التي تحمل تجارة قريش مقبلة من الشام وفيها أربعون رجلا بزعامة أبي سفيان بن حرب ، وأما =." (١)

"وقول من قال: إن هذه الآية ناسخة للآية التي قبلها، ليس بشيء، وهذا يروى عن الحسن وعكرمة (١)، وقال أهل العلم وأصحاب المعاني: هذا غلط؛ لأن الخبر لا ينسخ (٢).
وذكر أبو إسحاق الزجاج **معنى آخر** لهذه الآية هو أليق بما قبلها وهو أنه قال في قوله: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾: المعنى: وأي شيء لهم في ترك العذاب، أي في دفعه عنهم ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ (٣).
ومعنى هذا الكلام: وأي شيء لهم في ترك عذابهم، أي: إنا وإن تركنا عذابهم يكفيهم من الخسارة في حالتهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام، وأنهم حرموا موالاة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولو أراد الله بهم خيرا ما فعلوا ذلك (٤).

---

(١) أخرجه عنهما ابن جرير ٩/ ٢٣٨، ورواه عن الحسن جمع من المفسرين منهم النحاس في: "الناسخ والمنسوخ" ٢/ ٣٨١، والثعلبي ٦/ ٥٨ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٤.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٥/١٠

(٢) انظر: "تفسير ابن جرير" ٩/ ٢٣٨، و"الناسخ والمنسوخ" للنحاس ٢/ ٣٨١، و"المحرر الوجيز" ٦/ ٢٨٦.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤١٢.

(٤) هذا فهم الواحدي لعبارة الزجاج، والذي أراه أن الزجاج لم يقصد هذا المعنى، وإنما مراده: وأي شيء يدفع عنهم العذاب وهم يصدون عن المسجد الحرام. ويدل على هذا المعنى كلامه اللاحق، فقد قال بعد تفسير الآية: فأعلم الله النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يكن ليعذبهم بالعذاب الذي وقع بهم من القتل والسبي وهو بين أظهرهم، ولا ليوقع ذل العذاب بمن يؤول أمره إلى الإسلام منهم، وأعلمه أنه يدفع العذاب من جملتهم الذي أوقعه بهم. "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤١٢، فالجملة الأخيرة تفسير لقوله السابق الذي ذكره الواحدي.." [١]

"وقوله تعالى: ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾، قال مرة: يلحق بعضهم ببعض فيجعلهم في جهنم (١). وقوله تعالى: ﴿فيركمه جميعا﴾، قال الليث: الركم: جمعك شيئا فوق شيء حتى تجعله ركاما مركوما كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكم بعضه على بعض (٢).

قال المفسرون: ﴿فيركمه جميعا﴾ أي: يجمعه حتى يصير كالسحاب المركوم فيجعله في جهنم (٣).

ووحد الخبر (٤) لتوحيد قوله: ﴿الخبيث﴾.

وروى عطاء عن ابن عباس للآية **معنى آخر** على هذا الطريق وهو أنه قال في قوله: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ يريد أنه أخر أجل هذه الأمة إلى يوم القيامة، وكل أمة قبل أمة محمد إذا كذبوا نبيهم لم يؤخروا وعذبوا، فجعل الله ميقات هذه الأمة إلى يوم القيامة فقال: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ قال: يريد المؤمن والكافر، يريد أن في أصلاب الكفار مؤمنين، وكذلك يميزون يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون (٥٩)﴾ [يس: ٥٩]، ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾ يريد في جهنم يضيقها عليهم، ﴿فيركمه جميعا﴾ مثل ما يدرج الثوب، يريد: ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ (٥) مثل قوله: ﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾ [الحاقة: ٣٢] كلما يسلك الخرز (٦) في الخيط، يريد يدخل من دبره ويخرج من حلقه

---

(١) لم أقف عليه.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣٢/١٠

(٢) في "تهذيب اللغة" (ركم) ٢/ ١٤٦٣، والنص في كتاب "العين" (ركم) ٥/ ٣٦٩

(٣) انظر: "تفسير الثعلبي" ٦/ ٦٠ ب، والبغوي ٤/ ٣٥٦، وبنحوه في" تفسير ابن جرير" ٩/ ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٤) ساقط من (م).

(٥) الرحمن: ٤١، ونصها: فيؤخذ.

(٦) في (ح): (الخرزة).." [١]

"هذا وقع في الدنيا على القبول من الرسل والسعادة باتباعهم (١)، أو (٢) كذيب الرسل والشقاوة بعصيانهم، وهذا **معنى آخر** سوى ما ذكرنا من قول المفسرين؛ لأنهم فسروا (القضاء بالقسط في الدنيا) بعذاب الكافرين ونجاة المؤمنين، وقال (٣) في القول الثاني: ولكل أمة رسول يرسل إليهم مبينا الضلالة والهدى، ومرغبا في ثواب الله، ومخوفا غضب الله، فإذا جاء رسولهم في الآخرة شاهدا عليهم بما كان منهم في الدنيا قضي بينهم هنالك (٤) بدخول الجنة والنار، يدل على صحة هذا قوله ﴿فكيف إذا جئنا﴾ [النساء: ٤١] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وهم لا يظلمون﴾، قال عطاء، عن ابن عباس: يريد لا ينقص الذين صدقوا، ويجازى الذين كذبوا (٥)، وقال مقاتل: لا ينقصون من محاسنهم ولا يزادون على مساوئهم ما لم يعملوا (٦) (٧)، وقال العوفي: لا يعذب أحد بغير ذنب ولا على غير حجة (٨).

٤٨ - قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾، قال مقاتل: وذلك حين

---

(١) في (ح) و (ز): (وبإتباعهم)، وهو خطأ.

(٢) في (ى): (و).

(٣) يعني ابن الأنباري، ولم أجد من ذكره عنه.

(٤) من (م)، وفي بقية النسخ: (هناك).

(٥) "الوسيط" ٢/ ٥٤٩ بنحوه عن عطاء، وبمعناه الفيروزأبادي في "تنوير المقباس" ص ٢١٤.

(٦) في (م): (يعلموا)، وهو خطأ.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٠/١٤٥

(٧) "تفسير مقاتل" ١٤١ أبنحوه.

(٨) لم أجده.." [١]

"الدمن (١)، وهو اللزوم.

وقال ابن الأعرابي (٢): فلان نديم الخمر أي مدمن لها، والدمن ما اجتح في الدار وتلبد من الأبوال والأبعار، سمي بذلك للزومه، والدمنة: الحقد الكامن في الصدر اللازم، وهذا من المقلوب الذي يستعمل كل واحد من الأصل والمقلوب في معنى غير **المعنى الآخر** بعد أن يكونا يرجعان إلى أصل واحد.

وقوله تعالى: ﴿وقضي بينهم بالقسط﴾ أي: بين الرؤساء والسفلة، ﴿وهم لا يظلمون﴾؛ لأنهم يجازون بشركهم.

٥٥ - قوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما في السماوات والأرض ألا إن وعد الله حق﴾ قال ابن عباس: يريد ما وعد لأوليائه من [الثواب والنعيم، وما أوعد أعداءه من] (٣) العذاب والخزي والهوان، ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾، قال: يريد: المشركين (٤).

٥٧ - قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس﴾ يعني قريشا (٥) ﴿قد جاءتكم موعظة

= المنادمة مقلوبة من المدامنة؛ لأنه يدمن شرب الشراب من نديمه؛ لأن القلب في كلامهم كثير كالقسي من القووس، وجذب وجبذ، وما أطيبه وأيطبه ... إلخ. "لسان العرب" (ندم) ٧/ ٤٣٨٦.

(١) قال الأزهري: دمن فلان فناء فلان: إذا غشيه ولزمه، ومدمن الخمر: الذي لا يقلع عن شربها، واشتقاقه من دمن البعر. "تهذيب اللغة" (دمن) ٣/ ١٤٢٨.

(٢) في (م): (ابن الأنباري).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) ذكره مختصرا ابن الجوزي في "زاد المسير" ٤/ ٤٠، والمؤلف في "الوسيط" ٢/ ٥٥٠.

(٥) هذا التخصيص من رواية ابن عباس التي اعتمدها المؤلف. انظر: "الوسيط" ٢/ ٥٥٠، "زاد المسير" ٤/ ٤٠، وقد ذهب إلى هذا التخصيص =." [٢]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢١٩/١١

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٢٢٧/١١

"المعنى على تفسيرهم، أي أن المعنى يؤول إلى ما ذكروا؛ لأن العلم بالشيء يوجب اليأس من خلافه. ويدل على أن المراد هاهنا العلم، ما روي أن ابن عباس كان يقرأ (١): (أفلم تيأس الذين آمنوا)، فقيل له: ﴿أفلم ييأس﴾ فقال: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس، يريد أنه كان في الخط بتاءين، فزاد الكاتب سينة واحدة فصار (ييئس) فقرئ ييس.

---

(١) في الطبري ١٣/ ١٥٤ أن ابن عباس كان يقرؤها (أفلم يتبين) ... إلخ، وأخرجه ابن الأنباري في المصاحف كما في "الدر" ٤/ ٦٥٣.

وقد روى الطبري ١٣/ ١٥٤ عن علي نحوه. وقد علق الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- على هذا الأثر وبين صحة إسناده. وأخبر أنه كتب رسالة مستقلة حول هذا الأثر المشكل وأشباهه.

وانظر الثعلبي ٧/ ١٣٨ أ، و"زاد المسير" ٤/ ٣٣١، والقرطبي ٩/ ٣٢٠ وعلق بقوله: وهو باطل عن ابن عباس؛ لأن مجاهدا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف بقراءة أبي عمرو، وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس، ثم إن معناه: أفلم يتبين، فإن كان مراد الله تحت اللفظة التي خالفوا بها الإجماع فقراءتنا تقع عليها، وتأتي بتأويلها، وإن أراد الله **المعنى الآخر** الذي اليأس فيه ليس من طريق العلم فقد سقط مما أوردوا. اهـ.

وقال أبو حيان في "البحر المحيط" ٥/ ٣٩٣: وهذه القراءة ليس قراءة تفسير لقوله ﴿أفلم ييأس﴾ كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري، بل هي قراءة مسندة إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وليست مخالفه للسواد، إذ كتبوا (ييئس) بغير صورة الهمزة، وهذه كقراءة فتبينوا وفتثبتوا، وكلتاهما في السبعة، وأما قول من قال: إنما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوق أسنان السين فقول زنديق ملحد. اهـ.

وقال الزمخشري في "كشافه" ٢/ ٣٦٠: وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام، وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه، لا يغفلون عن جلائله ودقائقه، خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء، هذه والله فرية ما فيها مرية. اهـ.." (١)

"عن سمة الإمارة، ويقوي ما قاله أبو علي: أن يونس روى عن أبي عمرو أنه قال: لا يكون أمرنا مخففة بمعنى كثرنا (١)، ولما أراد معنى الكثرة شدد الميم ولم يقرأ بمد الألف لما لم يكن بالمصحف إلا

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٥٥/١٢

ألف (٢) واحدة.

وروى حماد بن سلمة عن ابن كثير: آمرنا بالمد (٣)، وهي اللغة العالية (٤)؛ يقال: أمر القوم وآمرهم الله، أي: أكثرهم، فهم مؤمرون (٥).

ونحو هذا روى خارجة (٦) عن نافع (٧)، قال أبو إسحاق: ويكون لقوله (٨): ﴿أمرنا مترفيها﴾ **معنى آخر** غير كثرة العدد، وهو أن تكثر (٩) جدتهم ويسارهم (١٠).

قال أبو عبيد: الوجه قراءة العامة؛ لاحتماله معنى الأمر والكثرة (١١)،

---

(١) "الحجة للقراء" ٥/ ٩٢، بنحوه.

(٢) في (أ)، (د): (الألف).

(٣) انظر: "السبعة" ص ٣٧٩، و"إعراب القراءات السبع وعللها" ١/ ٣٦٦، و"علل القراءات" ١/ ٣١٦، و"الحجة للقراء" ٥/ ٩١.

(٤) قاله ابن قتيبة في "غريبه" ١/ ٢٥٣.

(٥) ورد بنحوه في "إعراب القراءات السبع وعللها" ١/ ٣٦٥.

(٦) خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت، أبو زيد، وينسب إلى جده، ضعيف الحديث، روى عن أبيه ونافع، وعنه معن والقعنبي، مات سنة (١٦٥ هـ). انظر: "الجرح والتعديل" ٣/ ٣٧٤، و"الكاشف" ١/ ٣٦١ (١٣٠٢)، و"ميزان الاعتدال" ١/ ٦٢٥، و"تقريب التهذيب" ص ١٨٦ (١/ ١٦).

(٧) انظر: "السبعة" ٣٧٩، و"إعراب القراءات السبع وعللها" ١/ ٣٦٦، و"علل القراءات" ١/ ٣١٦، و"الحجة للقراء" ٥/ ٩١.

(٨) في جميع النسخ: (كقوله)، والصواب المثبت؛ كما يدل عليه السياق.

(٩) في جميع النسخ: (أن يكون)، وهو تصحيف ظاهر، والتصويب من المصدر.

(١٠) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٣٢ بنصه تقريبا.

(١١) لم أجده في كتابه "غريب الحديث"، وأخرجه ابن خالويه عنه في "إعراب =." [١]

"ويستكبر (١)، ومعنى خرق الأرض في هذه الآية: نقبها لا قطعها بالمسافة، وذكر في هذه الآية **معنى آخر**، قال قتادة: لا تمش كبرا ولا فخرا، فإن ذلك لا يبلغ بك أن تبلغ الجبال، ولا أن تخرق الأرض

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٨٩/١٣

بكبرك وفخرك (٢)، ومعنى هذا أن مشي المرح يكون على ضربين: مشي باختيال على الأرض وتؤدة؛ بجر قدمه على الأرض كأنه يريد أن يخرقها، ومشي يتطاول في السماء بذخا، فنهى الله تعالى في هذه الآية عنهما، وأخبر أنه لا يبلغ مما يريد كبير مبلغ، وإلى هذا أشار مجاهد؛ فقال في قوله: ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ قال: الذي يمشي على عقبه، ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ قال: الذي يمشي على صدور قدميه (٣).

٣٨ - قوله تعالى: ﴿كل ذلك﴾ أشار إلى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه من قوله: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ إلى قوله: ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ و ﴿ذلك﴾ يصلح للواحد والجميع، والمؤنث والمذكر، على ما ذكرنا في مواضع.

وقوله تعالى: ﴿كان سيئه﴾ قرئ بالإضافة (٤) والتنوين (٥)، قال أبو

---

(١) "الغريب" لابن قتيبة ١/ ٢٥٦ بنصه تقريبا.

(٢) أخرجه "عبد الرزاق" ٢/ ٣٧٨ بنصه، و"الطبري" ١٥/ ٨٨ بنصه تقريبا، أورده السيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٣٣٠ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أي ﴿سيئه﴾ مضافا مذكرا، قرأ بها: عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي. انظر: "السبعة" ص ٣٨٠، و"علل القراءات" ١/ ٣٢٣، و"الحجة للقراء" ٥/ ١٠٢، و"المبسوط في القراءات" ص ٢٢٨، و"تلخيص العبارات" ص ١١٣.

(٥) أي ﴿سيئة﴾ منونا مؤنثا، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو. انظر المصادر السابقة.." [١]

"وقال الكلبي: سبقوا الأمم إلى الخيرات. وعلى هذا المعنى: هم إلى الخيرات سابقون غيرهم لإسراعهم فيها ومبادرتهم إليها.

والوجه الآخر: هم من أجلها، أي من أجل اكتسابها، كما تقول: أنا أكوم فلانا لك، أي: من أجلك (١) (٢).

والمعنى على هذا القول: وهم لأجل الخيرات سابقون غيرهم، أي إنما يسبقون غيرهم لأجل اكتسابها.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٣٦/١٣

وذكر صاحب النظم على هذا الوجه **معنى آخر** لقوله: ﴿سابقون﴾ فقال: تأويل الآية: وهم من أجلها، أي: من أجل مسارعتهم في الخيرات سابقون يوم القيامة إلى الجنة يسبقون (٣) غيرهم ممن لا يسارع في الخيرات (٤).

وعلى هذا، الكناية في لها تعود [إلى المسارعة ودل عليها قوله: ﴿يسارعون﴾، وعلى ما قال أبو إسحاق يعود] (٥) إلى الخيرات (٦).

---

(١) في (ظ): (لأجلك).

(٢) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٧.

(٣) في (ظ)، (ع): (أي يسبقون).

(٤) ذكر مكي في "الهداية إلى بلوغ النهاية" ٣/1 ١٦ هذا القول ولم ينسبه لأحد. وانظر: "الكشاف" ٣/ ٣٥، "الدر المصون" ٨/ ٣٥٤.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ع).

(٦) قال الطبري ١٨/ ٣٤ - بعد أن ذكر أن بعضهم تأول ذلك بمعنى: وهم إليها سابقون، وبعضهم بمعنى: وهم من أجلها سابقون-: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب القول الذي قاله ابن عباس من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها. قال: وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام؛ لأن ذلك أظهر معنييه، وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا =." (١)

"وقال ابن قتيبة: قلبوها للزراعة (١).

وقال ابن عباس: يريد الأجنة (٢) والأنهار وما غرسوا من الأشجار (٣). يريد أن أثارهم كان لأجل هذه الأشياء.

وقال مقاتل: يعني: وملكوا الأرض (٤)؛ وهذا معنى وليس بتفسير؛ وذلك أنه يثير الأرض مالكها.

وقوله: ﴿وعمروها﴾ يعني: الأمم ﴿أكثر مما عمروها﴾ يعني: كفار مكة (٥). واختلفوا لم كانت الأمم أكثر عمارة من أهل مكة؟ فذهب قوم إلى أنهم كانوا أكثر عمارة لأنهم كانوا أطول عمرا؛ وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل؛ قال الكلبي: وبقوا فيها أكثر مما بقي فيها قومك (٦).

وقال مقاتل: يقول: وعاشوا في الأرض أكثر مما عاش فيها كفار مكة (٧). وإذا كانوا أطول بقاء، وأكثر

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٦/١٣

عيشا كانوا أكثر عمارة. وقال آخرون: لأنهم كانوا أكثر عددا؛ فقد روي أنه لم يبق نشز (٨) من الأرض يحتمل عمارة إلا كان لها عامر على عهد عاد، والأمم السالفة. وذكر أبو إسحاق **معنى آخر**؛ فقال: يعني: أن الذين أهلكوا من الأمم كانوا أكثر حرثا

---

(١) "غريب القرآن" ص ٣٤٠.

(٢) هكذا في (أ)، (ب): (الأجنة)، وهي جمع جنة. قال الأزهري: الجنة: الحديقة، جمع جنانه "تهذيب اللغة" ١٠/ ٥٠٣ (جنن).

(٣) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢٤، بلفظ: ملكوا الأرض وعمروها.

(٤) لم أجده في تفسير مقاتل، ولم أجده كذلك عند الثعلبي.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣٢٢.

(٦) "تنوير المقباس" ص ٣٣٩.

(٧) "تفسير مقاتل" ٧٧ ب.

(٨) النشز، والنشز، والوشز: ما ارتفع من الأرض. "تهذيب اللغة" ١١/ ٣٠٥ (نشز).." [1]

"ضوئه (١). وحقيقة المعنى ما ذكره أبو إسحاق فقال: أي لا يذهب أحدهما بمعنى الآخر (٢).

وشرح ابن قتيبة معنى ما ذكره المفسرون فقال: (في هذه الآية يقول الله تعالى إنهما يسيران الدهر دائبين لا يجتمعان، فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار، ولو أدركت الشمس القمر لذهب ضوئه، وبطل سلطانه، ودخل النهار على الليل، وقد قال الله تعالى حين ذكر يوم القيامة: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ وذلك عند إبطال هذا التدبير ونقض هذا التأليف، وكما لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، وهو قوله: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أي: هما يتعاقبان، فلا يذهب الليل قبل مجيء النهار (٣) وهذا **معنى آخر** سوى الأول.

وقوله: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ أي: يجرون، يعني الشمس والقمر والنجوم. وقال أبو إسحاق: (أي يسيرون فيه بانبساط، وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه، ومن ذلك: السباحة في الماء) (٤). وسبق في سورة الأنبياء تفسير قوله: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ (٥).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٨/١٩

(١) "تفسير مقاتل" ١٠٧ أ.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" ٤/ ٢٨٨.

(٣) "تأويل مشكل القرآن" ٣١٧ - ٣١٨.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" ٤/ ٢٨٨.

(٥) آية ٣٣.

وانظر: "البسيط" النسخة الأزهرية ٣/ ٢٤٢ أ، قال: والفلك في كلام العرب: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك. هذا معنى الفلك في قول أهل اللغة، وأما المفسرون فقال السدي في قوله: ﴿وكل في فلك﴾ أي كل في مجرى واستدراجه. وقال الكلبي: الفلك استدارة السماء، وكل شء استدار فهو فلك وعلى هذا، المراد بالفلك السماء، والسماء مستديرة والنجوم تدور فيها، وهذا معنى قول مجاهد.." [1]

"على الحال، والعامل فيه ما يقدر مع الجار في خبر إن؛ لأن المعنى: يستقرون في جنات (١).

ثم أثنى عليهم فقال: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين﴾ يعني في الدنيا. قال مقاتل: كانوا قبل ذلك الثواب محسنين في أعمالهم (٢).

١٧ - ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ والهجع معناه النوم بالليل دون النهار، ومنه يقال: لقيته بعد هجعة. أي بعد نومه من الليل (٣). وكثر الاختلاف في تقدير هذه الآية. وتفسيرها أن (ما) صلة والمعني كانوا يهجعون قليلا من الليل. أي: لا ينامون بالليل كله ولا كثيره، بل يصلون أكثر الليل (٤). وعلى هذا التأويل قال عطاء (٥): ذاك إذا أمروا بقيام الليل، فكان أبو ذر يأخذ العصا ويعتمد عليها حتى نزلت الرخصة (٦). ويجوز على هذا التأويل **معنى آخر**، وهو أن يكون الليل اسم الجنس، والمعنى الذي ينامون فيه قليلا. وهو معنى قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير قال: كانوا قل ليلة تمر بهم الأصلوا فيها (٧).

---

(١) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ٥٣، "إعراب القرآن" للنحاس ٣/ ٢٣٣.

(٢) انظر: "تفسير مقاتل" ١٢٦ ب، "الوسيط" ٤/ ١٧٥.

(٣) انظر: "تهذيب اللغة" ١/ ١٢٩، "اللسان" ٣/ ٧٧٤ (هجع).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٨٧/١٨

(٤) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٨٤، "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ٥٣.

(٥) في (ك): (وعلى هذا التأويل قال عطاء) مكررة.

(٦) انظر: "المصنف" لابن أبي شيبة ٢/ ٢٣٨، "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ٣٦، "الدر" ٦/ ١١٣، ونسب تخريجه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن نصر.

(٧) انظر: "جامع البيان" ٢٦/ ١٢٢، "الوسيط" ٤/ ١٧٥، "تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٢٣٣، "المستدرك" ٢/ ٤٦٧ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.." [(١)]

"أي علينا أن [نحفظه] عليك حتى تبين للناس بتلاوتك وقراءتك عليهم.

وهذا أولى من بيان الحلال والحرام؛ لأن بيان ذلك (كان) (١) يحصل للنبي -صلى الله عليه وسلم- عند قراءة جبريل، واستماعه منه، وما كان يتأخر البيان عن ذلك الوقت. وقد ذكر الكلبي المراد بهذا البيان، بيان ما أجمل (٢) في القرآن من الصلاة والزكاة (٣)، فقال: ثم نزل عدد الصلوات الخمس قبل خروج النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى المدينة بسنة للظهر أربعا، وكذلك العصر والعشاء، والمغرب ثلاثا (٤)، والفجر ركعتين، وذكر أيضا تفصيل الزكاة من المواشي والنقود.

والبيان (٥) يجوز أن يكون مطاوعا من أن الشيء بين إذا ظهر، ويجوز أن يكون اسما من التبيين، فقام مقام المصدر كالأداء والسراج.

وذكر أبو إسحاق معنى آخر فقال: أي (٦) علينا أن ننزله قرآنا عربيا غير ذي عوج، فيه بيان للناس (٧).

قوله: ﴿كلا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: أي: لا يؤمن أبو جهل بتفسير ذلك (٨)، يعني بتفسير القرآن وبيانه.

---

(١) في كلا النسختين: نحفظ، وما أثبته من "الوسيط"، وبه تستقيم العبارة

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) في (أ): احتمل.

(٤) بياض في (ع).

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٦) في (أ): أن.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠/٤٣٦

(٧) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٢٣٥ بنصه.

(٨) "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ١٠٥.." [١]

"تفسير سورة التكوير (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة، تلف فتمحى (٢)، وقال (٣) الزجاج: جمع ضوؤها، ولفت (٤) كما تلف العمامة، يقال: كورت العمامة على رأسي أكورها كورا، وكورتها تكويرا إذا لففتها (٥).

هذا معنى التكوير في اللغة، وهو الكف والجمع، (ومن هذا سميت الكارة التي للقصار؛ لأنه يجمع ثيابه في ثوب واحد، ويكون بعضها على بعض، وللتكوير **معنى آخر**، يقال: كورت الحائط ودهورته: إذا طرحته حتى يسقط. أبو عبيد (٦) عن الأصمعي: طعنه فكوره إذا صرعه (٧).

---

(١) مكية بالإجماع، حكى الإجماع: ابن عطية في: "المحرر الوجيز" ٥/ ٤٤١، وابن الجوزي في: "زاد المسير" ٨/ ١٨٧، والقرطبي في: "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٢٢٤، والألوسي في: "روح المعاني" ٣٠/ ٤٩.

(٢) "مجاز القرآن" ٢/ ٢٨٧.

(٣) في (أ): فقال.

(٤) في (أ): ولف.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٢٨٩ بيسير من التصرف.

(٦) في (أ): أبو عبيدة.

(٧) "تهذيب اللغة" ١٠/ ٣٤٦: (كار).." [٢]

"لا تستعمل في غيره، لكن الكلمة إذا كثر استعمالها في معنى ويكون موضوعها **لمعنى آخر** فإنها تصير حقيقة فيما استعملت فيه كثيرا، حتى إذا أطلق لم يعرف غير ذلك، كما تقول في المباضعة، فإن

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٠٢/٢٢

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٢٤٥/٢٣

أصلها من البضع، وهو قطع اللحم، فإذا أطلق لم يعرف منه غير معنى الجماع، كما أن نفس قولنا: فرج كناية، فإذا أطلقوا الفرج لم يعرف منه غير هذا المعنى المقصود إليه.

وقالوا: باضعها كأنه باشر بضعها، ولم يقولوا: فارجها، وصارت المباضعة كالحقيقة في معنى الجماع؛ لأنهم لا يستعملونها في غيره، ألا ترى أنهم يقولون: غشيها وتغشاها، ووطئها وتوطاها، وقربها، وبطنها وتبطنها، وكل هذه الألفاظ موضوعة لغير هذا المعنى (١).

وذكر جماعة من أهل هذه الصناعة: أن صريح اللفظ المستعمل في المباضعة قولهم: ناك ينيك نيكا، وليس كما ذهبوا إليه؛ لأن هذه اللفظة مستعارة أيضا، وقد ذكر أبو زيد عن العرب: ناك النعاس عينه، ونكح النءاس بمعنى (٢)، فجعل أصل الكلمة اللزوم والمواظبة.

وأما معنى النكاح فسنذكره عند قوله: ﴿ولا تنكحوا المشركات﴾ [البقرة: ٢٢١]، إن شاء الله.

قال أبو عبيدة: الرفث إلى نسائكم: الإفضاء إلى نسائكم (٣)، قال الأخفش: وانما عداه بإلى لأنه كان بمعنى الإفضاء (٤).

---

(١) ينظر: "البحر المحيط" ١/ ٤٨.

(٢) ينظر: "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٦٥٩، "اللسان" ٨/ ٤٥٣٧.

(٣) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ١/ ٦٧، "البحر المحيط" ١/ ٤٨.

(٤) لم أجده في "معاني القرآن" للأخفش.." [١]

"الجزاء، دخلت اللام على ما يليه، وأغنت عن (في) (١)؛ لأن حروف الإضافة متآخية؛ لما يجمعها من معنى الإضافة (٢).

قال الزجاج (٣): وهذا إقرار من المؤمنين بالبعث، ومخالفة لمن اتبع

= أي: جامعهم في القبور إلى يوم ... انظر: "البحر المحيط" ٢/ ٣٨٧، "روح المعاني" للآلوسي: ٣/ ٩١.

(١) في (د): (فيه).

(٢) حروف الإضافة عند البصريين: هي حروف الجر، وسميت بذلك: (لأنها تضيف معنى الفعل الذي

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٩٨/٣

هي صلته إلى الإسماء المجرور بها) "شرح المفصل" لابن يعيش: ٢/ ١١٧، وانظر: "الإيضاح في علل النحو" للزجاجي: ٩٣. وفي تناوب حروف الجر وتآخيها، مذهبان للنحويين:

أ- مذهب جمهرة البصريين: أنها لا تنوب عن بعضها البعض قياسا، فإن لكل حرف معنى واحدا أصليا، يؤديه على سبيل الحقيقة لا المجاز، فإذا أدى **معنى آخر**، فيقال حينها: إنه أداه على سبيل المجاز أو التضمين.

ب- مذهب الكوفيين ومن وافقهم: أنها تنوب عن بعضها البعض؛ لأن الحرف إذا اشتهر معناه اللغوي الحقيقي، وشاعت دلالته بحيث تفهم بلا غموض، كان المعنى حقيقيا لا مجازيا، ودلالته أصلية، وليست من قبيل المجاز أو التضمين. قال ابن جني ويحسبه البعض على البصريين بعد أن خطأ المذهب الثاني: (ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لاكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع، وعلى كل حال، فلا) "الخصائص" لابن جني: ٢/ ٣٠٨.

وقال المالقي: (والحروف لا يوضع بعضها موضع بعض قياسا، إلا إذا كان معنياهما واحدا، ومعنى الكلام الذي يدخلان فيه واحدا، أو راجعا إليه، ولو على بعد) "رصف المباني" للمالقي: ٢٩٧. وانظر حول الموضوع "مغني اللبيب" لابن هشام: ٦٥٦، "همع الهوامع" للسيوطي: ١/ ٢٧، "النحو الوافي" لعباس حسن: ٢/ ٥٣٧، و"تناوب حروف الجر" د. محمد عواد: ١٣١٠ وما بعدها، و"من أسرار حروف الجر في الذكر الكريم" د. محمد الخضري: ١٢.

(٣) في "معاني القرآن" له: ١/ ٣٧٩. نقله عنه بالمعنى.." (١)

"الإجماع، وما أتى به كتاب الله عز وجل، ووجد في ديوان العرب. يقول قائل: (أنشدني بعضهم)، وليس ذلك البعض بمعروف ولا مسمى.

وقال غير أبي إسحاق ممن نصر مذهب الخليل (١): لو كان الأمر على ما ذكره الفراء، لما صح أن يقال: (اللهم افعل كذا)، إلا بحرف العطف؛ لأن قوله: (اللهم) حصل عنده في ضمنه الدعاء؛ لأن تأويله: (الله (٢)؛ أمنا بخير)، فالدعاء الثاني يجب أن يكون معطوفا عليه بحرف العطف. ولم نجد أحدا يقول: (اللهم اغفر).

وأجاب الفراء عن قوله: (هذه الميم، إنما تزاد مخففة)؛ بأن قال: إنما شددت الميم في (اللهم)؛ لأنها

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٦٤

عوض من حرفين (٣) فشددت، كما قيل: (قمتن) و (ضربتن)؛ لما كانت النون عوضا من حرفين في: (قمتموا) و (ضربتموا)، شددت. فأما (قمن) و (ذهبن) فعوض من حرف واحد.

وما ذكر من قوله: (فم) (٤) و (ستهم) و (ابنم) (٥)، فإنما خففت الميم؛ لأنها عوض من حرف واحد.

وليس حكم قولك: (اللہ)، حكم (الفم) و (الابن)؛ لأنهما ناقصان أتما بالميم، و (اللهم) ليس زيادتها (٦) تتميما للاسم، إنما هي لمعنى آخر

---

(١) لم أهتد إلى هذا القائل، وقد يكون المبرد، كما في "الأصول في النحو" لابن السراج: ١/ ٣٣٨، حيث ورد موجز لهذا الرأي نقله عنه.

(٢) في (د): (اللهم).

(٣) (حرفين): ساقطة من (د).

(٤) في (د): (قم).

(٥) في (د): (وانتم).

(٦) أي: زيادة الميم في (اللهم).." [(١)]

"يحتمل (هنالك) أن يكون (١) لمحل، وأن يكون لوقت.

و (هنالك)، و (هناك) و (هنا) (٢)، و (ههنا)، شيء واحد، إلا أن (هنا)، و (ههنا)، لم يذكرا في شيء من الأوقات، وإنما ذكرا في المحال (٣) القريبة منك.

= و (استخبله إبلا وغنما، فأخبله)، و (يستخولوا) بمعناها؛ أي: إن تطلب منهم إبلهم أو غنمهم على سبيل الاستعارة؛ لينتفع بألبانها وأوبارها، أو تستعار منهم خيلهم للغزو، فإنهم (يخبلوا)؛ أي: يتكرموا ويتفضلوا بإعارتها. ومعنى (ييسروا): من (يسر، ييسر، يسرا)، وهو: المقامر بالميسر، أو هو: تجزئة الجزور، واقتسام أعضائها؛ يقال: (يسر القوم الجزور)، وهو المراد في البيت هنا -والله أعلم- نظرا لمناسبته لما سبقه من أبيات يمدح فيها الشاعر سنان بن أبي حارثة المري، والمعنى: إنهم يأخذون سمان الجزر والغالية منها وينحرونها، ويقسمونها على ذوي الحاجات.

ومعنى: (يعصوا) كما في رواية "اللسان" -: أي- والله أعلم-: يجمعونهم، من قولهم؛ (عصوت القوم):

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤٩/٥

إذا جمعتهم على الخير أو الشر؛ أي: إنهم إذا سئلوا الخير، جمعوا الناس على خيرهم وزادهم. وقبله: إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا بها حتى إذا نبت البقل

والذي دعاني لسوق الأبيات، أن المعلق على الديوان، فسر (ييسروا) بقوله: (يقامروا بالميسر)، وإن كان المعنى صحيحا لغة، إلا أن **المعنى الآخر** الذي ذكرته أصح في رأيي لمناسبته لسياق الأبيات.

انظر: "اللسان" ٢/ ١٠٩٧ (خبل)، ٣/ ١٢٩٣ (خول)، ٥/ ٢٩٨٠ (عصا)، ٨/ ٤٩٥٩ - ٤٩٦٠ (يسر). والشاهد في البيت: قوله: (هنالك) المحتملة أن تكون لوقت ومكان.

(١) في (ب): (يحتمل أن يكون هنالك).

(٢) (وهنا): ساقطة من (ج).

(٣) (ج): (المحل).." [1]

"صرصرة) (١). و (الصرة): الصيحة (٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿فأقبلت امرأته في صرة فصكت﴾ (٣) [الذاريات: ٢٩]. وقول ابن عباس على هذا يتوجه، فإن السموم الحارة لها صوت، ألا ترى إلى قول الراعي:

فعجنا على ربع بربع تعوده ... من الصيف جشاء الحنين نؤوج (٤)

---

(١) تقول العرب: (صر الجندب صريرا)، و (صرصر الأخطب صرصرة)، و (صر الباب يصر). (وكل صوت شبه ذلك فهو صرير؛ إذا امتد، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف). "العين": ٧/ ٨٢ (صر)، وانظر: "الصحاح":٧١٢ (صرر).

(٢) انظر: "اللسان": ٤/ ٢٤٢٩ (صرر).

(٣) تفسير (الصرة) بـ (الصيحة) هو ما عليه أكثر أهل التفسير. انظر: "تفسير الطبري" ٢٦/ ٢٠٩، و"العمدة في غريب القرآن" لمكي ٢٨٢، و"تفسير أبي المسعود" ٨/ ١٤٠، و"الدر المنثور": ٢/ ١١٧. وقال السمين الحلبي في تفسيرها: (قيل: جماعة من النساء. سميت صرة؛ لانضمام بعضها إلى بعض، كأنهم جمعوا وصروا في وعاء واحد ..). "عمدة الحفاظ" ٢٩٢ (صرر)، ثم ذكر **المعنى الآخر**. وما ذكره الحلبي صحيح من ناحية اللغة. انظر هذا المعنى في: "الصحاح": ٢/ ١٧٠ (صرر)، و"اللسان": ٤/ ٢٤٢٩.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٢١٣

(٤) البيت في: ديوانه: ٢٢. وورد منسوبا له في: "تهذيب اللغة": ٢/ ١٣٤٧ (ربع)، و"اللسان": ٣/ ١٥٦٣.

وروايته في الديوان:

فعجنا على رسم بربع تجره

وفي "اللسان": (تؤرج) بدلا من: (نؤوج).

وقوله: (فعجنا)، من (عاج بالمكان، وعاج عليه، عوجا)؛ أي: عطف عليه، ومال، وألم به، ومر عليه.

والربع: هو المنزل، وأهل المنزل. والربع الثاني الذي ذكره في البيت، يريد به: طرف الجبل. =." [1]

"ومثله من إضمار المصدر لدلالة الفعل عليه كثير.

ومعنى قوله: ﴿إيمانا﴾: قال ابن عباس (١): أي: تصديقا ويقينا.

وقال أبو إسحاق (٢): أي: فزادهم ذلك التخويف ثبوتا في دينهم، وإقامة على نصرة نبيهم.

﴿وقالوا حسبنا الله﴾ [أي: الذي (٣) يكفينا أمرهم: الله.

قال ابن الأنباري (٤): معنى قوله: ﴿حسبنا الله﴾] (٥): كافينا الله، وأنشد:

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا ... فحسبك والضحاك سيف مهند (٦)

قال: معناه: يكفيك ويكفي الضحاك (٧).

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) في "معاني القرآن" له ١/ ٤٩٠، نقله عنه بنصه.

(٣) (الذي): ساقطة من (أ)، (ب). وفي (ج): الذي. والمثبت هو ما استصوبته.

(٤) في "الزاهر" ١/ ٩٦. نقله عنه باختصار.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) البيت، نسب لجرير في "ذيل الأمالي" ١٤٠. ولم أقف عليه في ديوانه.

ونسب للبيد في: "إعراب القرآن" المنسوب للزجاج ٣/ ٨٧٠، ولم أقف عليه في ديوانه. وورد غير منسوب في: "معاني القرآن" للفراء ١/ ٤١٧، و"الأصول في النحو" ٢/ ٣٧ و"جمهرة اللغة" ٢/ ١٠٤٧، و"الزاهر" ١/ ٩٦، و"التهذيب" ١/ ٨١٠، و"التكملة" للفارسي ٣٢٤، و"الصحاح" ٦/ ٢٤٢٩ (عصا)،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٥٢٨

و"المخصص" ١٦/ ١٤، و"سمط الآلىء" ٨٩٩، و"شرح المفصل" ٢/ ٥١، و"اللسان" ٢/ ٨٦٥ (حسب)، ٨/ ٤٧٣٢ (هيج)، ٥/ ٢٩٨١ (عصا)، و"مغني اللبيب" ٧٣١، و"المقاصد النحوية" ٣/ ٨٤، ٢/ ١٣٦.

الهيجاء، والهيجا، والهيج، والهياج: الحرب. انظر: "اللسان" ٨/ ٤٧٣٢ (هيج). (انشقت العصا): أي: وقع الخلاف. انظر: "الصحاح" ٦/ ٢٤٢٨ (عصا).

(٧) ناقل في "لسان العرب" عن ابن بري **معنى آخر**، فقال: (الواو في قوله: =." (١)

"العباد، بعضه بليغ حسن وبعضه مرذول فاسد، فلما كان جميع القرآن بليغا عرف أنه من عند الله.

ومعنى الاختلاف في اللغة: أن يذهب أحد الشيئيين خلاف ما ذهب إليه الآخر، والأقوال المختلفة أن يذهب بعضها إلى الخطأ وبعضها إلى الصواب، أو بعضها إلى الحسن البليغ وبعضها إلى المرذول القبيح. وليس بحمد الله في القرآن اختلاف تناقض، ولا اختلاف تفاوت، بأن يكون بعضها حسنا وبعضه قبيحا. فأما اختلاف القراءات، واختلاف مقادير الآيات والسور، واختلاف الأحكام في الناسخ والمنسوخ فكل صواب وكله حق، وليس ذلك اختلافا يؤدي إلى فساد وتناقض، بل هو اختلاف يوافق بعضه بعضا في الحسن (١).

---

(١) ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام جيد يوضح هذا المعنى ويؤكده، فمما قال حول ذلك: "الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وذلك صنفان: أحدهما: أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبة تدل على معنى في المسمى غير **المعنى الآخر** مع اتحاد المسمى ... كما قيل في اسم السيف: الصارم والمهند، وذلك مثل أسماء الله الحسنى وأسماء رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأسماء القرآن.

الصنف الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه ....

ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملا للأمرين، إما لكونه مشتركا في اللفظ كلفظ (قسورة)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/١٨١

الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد. ولفظ (عسعس) الذي يراد به إقبال الليل وإدباره ... " "مجموع الفتاوى" ١٣/ ٣٣٣ - ٣٤٠، وانظر: "البحر المحيط" ٣/ ٣٠٥.." [١]

"٤٠ - قوله تعالى: ﴿قل أرأيتكم﴾ الآية، قال الفراء: (للعرب في أرأيت لغتان ومعنيان، أحدهما: رؤية العين فإذا أردت هذا عديت الرؤية بالضمير إلى المخاطب وتصرف سائر الأفعال تقول للرجل: أرأيتك على غير هذه الحال ، تريد هل رأيت نفسك، ثم تثنى وتجمع فتقول: أرأيتما كما، وأرأيتموكم (١)، وللنسوة أرأيتنكن (٢) (٣).

والمعنى الآخر: أن تقول: أرأيتك وأنت تريد أخبرني كما تقول: أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل، أي: أخبرني، وتترك (٤) التاء إذا أردت هذا المعنى موحدة على كل حال تقول: أرأيتك، أرأيتكما (٥)، أرأيتكن (٦)؛ وإنما تركت العرب التاء واحدة؛ لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل واقعا من المخاطب على نفسه، فاكتفوا من علامة المخاطب بذكره في الكاف، وتركوا التاء على المذكر والتوحيد إذ لم يكن الفعل واقعا.

قال: والرؤية من الأفعال الناقصة التي يعديها المخاطب إلى نفسه بالمكنى مثل: ظننتني وحسبتني ورأيتني، ولا يقولون ذلك في الأفعال التامة، لا يقولون للرجل: قتلتك بمعنى قتلت نفسك، ولا أحسنت إليك

---

(١) في (ش): (وأريتموكم)، وهو تحريف.

(٢) في (أ): (أريتنكن)، وهو تحريف.

(٣) زاد الفراء في "معانيه" ١/ ٣٣٣: (وللمرأة -أرأيتك- فهذه مهموزة تخفض التاء والكاف، لا يجوز إلا ذلك) ا. هـ

(٤) في (ش): (ويترك).

(٥) في (أ): (أريتكما)، وهو تحريف.

(٦) زاد الفراء في هذا الوجه: (وتهمزها وتنصب التاء منها، وتترك الهمز إن شئت، وهو أكثر كلام العرب، وتترك التاء موحدة مفتوحة للواحد والواحدة والجميع في مؤنثه ومذكره) ا. هـ.." [٢]

"فأما التفسير فقال ابن عباس في قوله: ﴿أرجه وأخاه﴾: (يريد: أرجئ أمره وأمر أخيه ولا تعجل) (١)، ففسره بالتأخير، وهو قول الحسن (٢).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/٦٣١

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٨/١٢٥

قال الزجاج: (تفسير ﴿أرجه﴾ آخره)، وقال: (**ومعنى آخره**: أخر أمره، ولا تعجل في أمره بحكم فتكون عجلتك حجة عليك) (٣).

وقال أهل المعاني (٤): (إنهم طلبوا معارضة المعجزة بالحيلة توهما من أنهم يقابلون السحر بالسحر على طريق المكيدة).

وقال الكلبي وقتادة (٥) في تفسير ﴿أرجه﴾: (احبسه)، قال الكلبي: (احبسه وأخاه هارون حتى تنظر في أمره ولا تقتلهما (٦) ولا تؤمن بهما) (٧). قال أصحاب النظر: (القول في تفسير ﴿أرجه﴾ هو الأول؛ لأن فرعون قد علم أنه لا يقدر على حبسه بعد ما رأى أمر العصا، مع أن الإرجاء في اللغة

= الأكابر عن الأئمة وتلقتها الأمة بالقبول ولها توجيه في العربية فلا وجه لإنكارها) اهـ. وقال السمين في "الدر" ٥/ ٤١٢: (تسكين هاء الكناية لغة ثابتة له شواهد كثيرة) اهـ. بتصرف.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣ بسند ضعيف بلفظ: (أخره وأخاه)، وذكره الماوردي في "تفسيره" ٢/ ٢٤٥، والقرطبي ٧/ ٢٥٧.

(٢) ذكره الماوردي ٢/ ٢٤٥، وهو قول أكثرهم، قال الطبري ٩/ ١٦: (الإرجاء في كلام العرب التأخير) اهـ، وانظر: "مجاز القرآن" ١/ ٢٢٥، و"غريب القرآن" لليزيدي ص ١٤٨، و"تفسير غريب القرآن" ص ١٧٩، و"نزهة القلوب" ص ٧٣، و"معاني النحاس" ٣/ ٦٢، و"تفسير المشكل" ص ٨٦.

(٣) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٦٥.

(٤) انظر: الرازي ١٤/ ١٩٨.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣ بسند جيد عن قتادة.

(٦) في (ب): (ولا تقبلهما).

(٧) "تنوير المقباس" ٢/ ١١٧، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٥٩.." [1]

"﴿لأقعدن:﴾ جواب قسم (١)، ومعناه إعراضه عن شرائع الإسلام وسبيل الحق ليوسوس ويصد ويزل ويضل (٢)، قال الله تعالى: ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ [التوبة:٥]، أي: في كل مرصد (٣).

١٧ - ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم:﴾ الآخرة، ﴿ومن خلفهم:﴾ الدنيا، ﴿وعن أيمانهم:﴾ الدين، ﴿وعن

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٦٩/٩

شمائلهم:﴾ الشهوات (٤).

﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين:﴾ ظنا منه بالعسرى التي جعلها الله تعالى من موهومه وخلقه لها ويسرها (٥) عليه.

١٨ - ﴿قال اخرج منها:﴾ يحتمل على سبيل التكرار (٦)، ويحتمل خروج عن **معنى آخر** (٧).

﴿مذؤما:﴾ معيوبا (٨)، ﴿مدحورا:﴾ مطرودا مبعدا (٩).

﴿لمن تبعك:﴾ والله لمن تبعك، وجوابه: ﴿لأملأن﴾ (١٠).

٢٠ - ﴿فوسوس لهما:﴾ صوت لهما. ووسوس إليه، أي: ألقى إليه صوتا خفيا (١١).

واللام (١٢) في ﴿ليبدي﴾ لام (كي).

واختلفوا في موارة سوآتهما، قيل: كانت بالحلي والحلل، فطارت عنهما بالمعصية. وعن (١٣)

---

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٣٦٣، ومجمع البيان ٤/ ٢٢٦، والتفسير الكبير ١٤/ ٣٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٨/ ١٧٦، والبغوي ٢/ ١٥١، والكشاف ٢/ ٩٢.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٨/ ٧٣.

(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٣٤٨، وتفسير الطبري ٨/ ١٧٩، ومعاني القرآن الكريم ٣/ ١٧ - ١٨.

(٥) في ب: أو يسرها، وبعدها في ع: له، بدل (عليه). وينظر: تفسير البغوي ٢/ ١٥٢، ومجمع البيان ٤/ ٢٢٨، والتفسير الكبير ١٤/ ٤٣.

(٦) ساقطة من ب.

(٧) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٢٧٨.

(٨) ينظر: غريب القرآن وتفسيره ١٤٤، وتفسير الطبري ٨/ ١٨١ - ١٨٢، والبغوي ٢/ ١٥٢.

(٩) (قال اخرج. . . مبعدا) ليس في ك. وينظر: تفسير غريب القرآن ١٦٦، ومعاني القرآن الكريم ٣/ ١٩، ومفردات ألفاظ القرآن ٣٠٨ (دحر).

(١٠) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٢٥، وإعراب القرآن ٢/ ١١٧ - ١١٨، والكشاف ٢/ ٩٤.

(١١) ينظر: الكشاف ٢/ ٩٤، والتفسير الكبير ١٤/ ٤٥، والجواهر الحسان ٣/ ١٥.

(١٢) في ب: واللازم، والزاي مقحمة. وينظر: تفسير القرطبي ٧/ ١٧٨، والمجيد ٢١٨ (تحقيق: د.

إبراهيم الدليمي)، والبحر المحيط ٤/ ٢٧٩.

(١٣) بعدها في ك: ابن.." [١]

"﴿ومن يتوكل:﴾ كلام مستأنف. (١٣٤ و)

٥٠ - وجواب (١) (لو) محذوف.

و ﴿الملائكة:﴾ أعوان ملك الموت (٢).

والضرب على الوجوه لزجر المتقدم، وعلى الأدبار لطرد المتأخر، كأنهم يسوقونهم سوق الخيل ويمنعونهم عن الانتشار. ويحتمل (٣) أن الضرب على الوجوه للتعذيب لا **بمعنى آخر**، والضرب على الأدبار للسوق والحشر.

٥١ - ﴿ذلك:﴾ إشارة إلى قوله: ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ أو إلى تعقيب (٤) المؤاخذة وترك المعاجلة.

٥٣ - ﴿لم يك:﴾ لم يكن. وإنما اختص الكون بالإخبار لاقتضائه الآنية العامة.

وإنما سقطت النون؛ لأنها تشبه (٥) حروف المد واللين في خفائها فجاز سقوطها بالجزم (٦).

والمراد بـ (النعمة) سوى نعمة التوفيق والشكر. وقيل: نعمة التوفيق داخلة فيه؛ لأن الله لا يخذل ولا يمنع التوفيق إلا مع سوء الاختيار، لا يتقدم هذا على ذلك ولا ذاك على هذا.

﴿ما بأنفسهم:﴾ على أنفسهم من الشكر، فتغييرهم الشكر (٧) تبديله بالكفر. وقيل:

(ما بأنفسهم): عند أنفسهم من النعمة، وتغييرهم إياها تسببهم (٨) لزوالها.

و (التغيير): تبديل الكيفية في الحقيقة إلا أنه يستعمل في تبديل الأعيان (٩) مجازا كما يقال: انقلب الترح فرحا والبكاء ضحكا.

٥٤ - وإنما كرر التشبيه بدأب آل فرعون للحث على الاعتبار. وإنما عين فرعون وإهلاكه (١٠) بالغرق؛ لأنه أشد استفاضة من أخبار عاد وثمود والذين من قبلهم.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٤٥/١

٥٥ – ﴿فهم:﴾ الفاء لتعقيب امتناعهم في الحالة الثانية كفرهم في الحالة الأولى (١١).

---

(١) ساقطة من ب، وبعدها في ك: أو، بدل (لو). وينظر: إعراب القرآن ٢/ ١٩٠، والتبيان في تفسير القرآن ٥/ ١٣٧، والكشاف ٢/ ٢٢٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٥٠٢.

(٣) بعدها في ك: على، وهي مقحمة.

(٤) في ب: التعقيب.

(٥) في ب: لا تشبه، بدل (لأنها تشبه).

(٦) ينظر: التفسير الكبير ١٥/ ١٨٠.

(٧) (فتغييرهم الشكر) ساقطة من ب. وينظر: تفسير البغوي ٢/ ٢٥٦.

(٨) في ع: تسبيبهم.

(٩) في ع: الأحيان.

(١٠) في ع: وأهلكه.

(١١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٥/ ١٤٢.." [1]

"[النور:٤٦] إذ يقول: «وجه تكراره حسن رد الكلام على صدره» (١).

وفي تفسيره قول الله تعالى: ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾ (٦١) [طه:٦١]، يقول: «ونظم الآية على طريقة مستحسنة غاية للبلاغة وآية للفصاحة، وهي رد آخر الكلام على أوله، وإنما قال لتقديم الدعوة والإنذار مرة بعد أخرى» (٢).

د–الاستعارة:

وهي: «أن الاستعارة نقل اللفظ من معناه الذي عرف به ووضع له إلى **معنى آخر** لم يعرف به». (٣)

والمثال عليه ما ذكره في قول الله تعالى: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود:٨٧]، إذ يقول: «السفيه الجاهل، كقوله: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان:٤٩]» (٤). وهو من الاستعارة العنادية، والتي تفيد التهكم والسخرية. (٥)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٧٣٩/١

المطلب الرابع

عنايته بأبنية الكلمات القرآنية

من الأمور التي اهتم بها المؤلف رحمه الله هو بناء الكلمة، وذلك لأن معرفة بناء الكلمة يزيد من بيان معنى الكلمة وتوضيحها، وأورد بعض الأمثلة التي توضح عنايته بذلك:

أ-يبين أصل الكلمة من غير أن يورد خلافا بين العلماء: فمثلا عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة﴾ [الحج:١]، يقول في أصل الزلزلة نقلا عن علقمة قوله: «إن الزلزلة قبل الساعة، وهو الاضطراب الشديد، وأصله من الزلل» (٦). وفي قوله تعالى: ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ [الروم:٤٤] يقول: «المهد والتمهيد بمعنى، وهي توطئة المسير، وأصله من توثير الفراش» (٧).

ب-يذكر الوزن الصرفي للكلمة: فمثلا عند قول الله تعالى: ﴿والصديقين﴾ [النساء:٦٩]، يذكر وزن كلمة (الصديق) فيقول: «فعيل من الصدق، وهي لأقصى غاية المبالغة في الوصف أو التصديق، والصديق المجمع عليه هو أبو بكر» (٨).

---

(١) درج الدرر ٣٤٨.

(٢) درج الدرر ٢٥٢.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها-علم البيان والبديع ١٦٩.

(٤) درج الدرر ٢٦.

(٥) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها-علم البيان والبديع ١٦٩.

(٦) درج الدرر ٢٩٩.

(٧) درج الدرر ٤٣٣.

(٨) الأصل (٨٢ و).." (١)

"«زعمهم ذلك بعد التبديل والتحريف على قراءة قنبل» (١) وقد قرأ قنبل: هأنتم، بغير ألف بعد الهاء، على معنى أأنتم. (٢)

٢ - وفي سورة الروم وعند قوله تعالى: ﴿غلبت الروم﴾ (٢) [الروم:٢] ينقل عن ابن عباس أنه قال: غلبت،

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤١/٢

وغلبت. وهاتان قراءتان فالجمهور من القراء على أنها غلبت، بالضم، والقراءة الأخرى بالفتح أي: غلبت. (٣)

٣ – وعند قول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ [آل عمران:٨١]، يقول: «ولقد صرح ابن مسعود وقرأ: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)»، (٤) ذلك أنه فسر الآية على القراءة الأولى، بأن أخذ الميثاق من الأمم وليس من الأنبياء، واستشهد بهذه القراءة.

ولكنا نجده ينقل قول مجاهد: «حتى ظن مجاهد أن قراءة ابن مسعود هو لفظ القرآن وأن ما انعقد الإجماع من سهو الكاتب»، ويرد على هذا القول بقوله: «وليس كما ظن مجاهد؛ لأن هذا اللفظ يحتمل ما يحتمله لفظ ابن مسعود».

ويذكر ما جاء في مصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف أبي بن كعب، ومصحف ابن عباس مستدلا على معنى من المعاني التي يريدها أو فسر بها الآية، ومن الأمثلة على ذلك:

١ – فعند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران:٧]، يقول: «وفي مصحف عبد الله: (إن تأويله إلا عند الله)» (٥) مستشهدا على أن المعنى لقوله: ﴿تأويله﴾ هو مآله ومصيره وما يؤدي إليه، وأنه هاهنا وقف تام.

٢ – وفي معرض الحديث عن قوله تعالى: ﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف:٤٠] يقول: «وفي مصحف ابن عباس (الجمل)، بضم الجيم وتشديد الميم» (٦) ليأتي **بمعنى آخر** وهو حبل السفينة.

٣ – وفي سورة النمل وعند قوله تعالى: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾ [النمل:٨]، يستشهد بما في مصحف عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب على المعنى الذي قاله: «من في طلب النار» (٧).

---

(١) الأصل (٦٧ ظ).

(٢) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ١١٤، والإقناع ٢/ ٦٢٠.

(٣) درج الدرر ٤٢٩.

(٤) الأصل (٦٨ ظ).

(٥) الأصل (٦٢ و).

(٦) الأصل (١١٢ ظ).

(٧) درج الدرر ٣٨٧.." [1]

"أطفأ الله نارهم لكن عبر بإذهاب النور عنه لأن النور نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم. وقال مجاهد: إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة وقال عطاء ومحمد بن كعب: نزلت في اليهود. وانتظارهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله فقال:

﴿صم﴾ أي هم صم عن الحق لا يقبلونه وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا ﴿بكم﴾ خرس عن الحق لا يقولونه أو أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق ﴿عمي﴾ أي لا بصائر لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له ﴿فهم لا يرجعون﴾ عن الضلالة إلى الحق.

﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠) ﴾

﴿أو كصيب﴾ أي كأصحاب صيب وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين **بمعنى آخر** إن شئت مثلهم بالمستوقد وإن شئت بأهل الصيب وقيل ٧/ب أو بمعنى الواو يريد وكصيب كقوله تعالى: "أو يزيدون" بمعنى ويزيدون والصيب المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب =فعيل من صاب يصوب أي نزل من السماء أي من السحاب قيل هي السماء بعينها والسماء كل ما علاك فأظلك وهي من أسماء الأجناس يكون واحدا وجمعا ﴿فيه﴾ أي في الصيب وقيل في السماء أي من السحاب ولذلك ذكره وقيل السماء يذكر ويؤنث قال الله تعالى: "السماء منفطر به" (١٨-المزمل) وقال "إذا السماء انفطرت" (١-الانفطار) ﴿ظلمات﴾ جمع ظلمة ﴿ورعد﴾ الصوت الذي يسمع من السحاب ﴿وبرق﴾ النار التي تخرج منه.

قال علي وابن عباس وأكثر المفسرين رضي الله عنهم: الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به الملك السحاب. وقيل الصوت زجر السحاب وقيل تسبيح الملك. وقيل الرعد نطق الملك والبرق ضحكه. وقال مجاهد الرعد اسم الملك ويقال لصوته أيضا رعد (١) والبرق

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٩/٢

(١) الأخبار التي ذكرت لم يذكرها ابن كثير ولا السيوطي في الدر المنثور وإنما ذكر بعضها القرطبي وأكثرها لا يخلو من مقال كما في تعليق الأستاذ محمود شاكر على الطبري عند تفسير قوله تعالى (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) الآية تفسير الطبري: وما دام لم يرد دليل على ما ذكر فيتوقف في ذلك لأن هذه الظواهر الكونية وما بعدها مرتبطة بنواميس وسنن صار بعضها مفسرا عند علماء هذا المجال. وانظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة ص ٤١٤-٤١٧.." [١]

"على الإبدال من الأول، أى يكتمون الحق، الحق من ربك، فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم، أو في أنه من ربك لكل

من أهل الأديان المختلفةجهة

قبلة. وفي قراءة أبى: ولكل قبلةو موليها

وجهه، فحذف أحد المفعولين. وقيل هو لله تعالى، أى الله موليها إياه. وقرئ: لكل وجهة)

على الإضافة. والمعنى وكل وجهة الله موليها، فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك: لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه. وقرأ ابن عامر: هو مولاها، أى هو مولى تلك الجهة وقد وليها. والمعنى: لكل أمة قبلة تتوجه إليها، منكم ومن غيركم استبقوا

أنتم خيرات

واستبقوا إليها «١» غيركم من أمر القبلة وغيره.

ومعنى آخر: وهو أن يراد: ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أى جهة يصلى إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات ين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا

للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه. ويجوز أن يكون المعنى: فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وإن اختلفت، أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة، وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٤٩ الى ١٥٤]

ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون (١٤٩) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١/٦٩

يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون (١٥٠) كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (١٥١) فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (١٥٢) يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين (١٥٣)

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون (١٥٤)

ومن حيث خرجت أى ومن أى بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام

---

(١) . قوله «واستبقوا إليها» لعله واسبقوا. (ع)." [١]

"عباد الطاغوت؟ «١» قلت: فيه وجهان، أحدهما: أنه خذلهم حتى عبدوه. والثاني: أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به، كقوله تعالى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) وقيل الطاغوت: العجل لأنه معبود من دون الله، ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان، فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت. وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه:

أطاعوا الكهنة، وكل من أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده. وقرأ الحسن: الطواغيت.

وقيل: وجعل منهم القردة أصحاب السبت، والخنازير كفار أهل مائدة عيسى. وقيل: كلا المسخين من أصحاب السبت، فشبانهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير. وروى أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رءوسهم أولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله. وفيه مبالغة ليست في قولك: أولئك شر وأضل، لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز.

نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يظهرون له الإيمان نفاقا، فأخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا، لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك. وقوله: (بالكفر) و (به) حالان، أى دخلوا كافرين «٢» وخرجوا كافرين. وتقديره: ملتبسين بالكفر. وكذلك قوله: (وقد دخلوا) (وهم قد خرجوا) ولذلك دخلت (قد) تقريبا للماضي من الحال. **ولمعنى آخر**: وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لإظهار الله ما كتموه، فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله: (قالوا آمنا) أى قالوا ذلك وهذه حالهم.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢٠٥/١

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٦٢ الى ٦٣]

وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣)

الإثم الكذب «٣» بدليل قوله تعالى: (عن قولهم الإثم) . والعدوان الظلم. وقيل: الإثم

---

(١) . قوله «فان قلت كيف جاز أن يجعل ... الخ» السؤال مبنى على أنه لا يجوز عليه تعالى خلق الشر. وهو مذهب المعتزلة. أما عند أهل السنة فيجوز كما تقرر في علم التوحيد. (ع)

(٢) . قال محمود: «المجروران حالان أى دخلوا كافرين ... الخ» قال أحمد: وفي تصدير الجملة الثانية بالضمير تأكيد لاتحاد حالهم في الكفر، أى وقد دخلوا بالكفر وخرجوا وهم أولئك على حالهم في الكفر، كما تقول:

لقيت زيدا بعد عوده من سفره وهو هو، أى على حاله. وفي المثل «وعبد الحميد عبد الحميد» أى حالته باقية، والله أعلم.

(٣) . قال محمود: «الإثم الكذب ... الخ» قال أحمد: وقوله: (عن قولهم الإثم) يدل على أن الإثم الأول مقول، فيحتمل أن يكون المراد الكذب مطلقا. ويحتمل أن يراد كلمة الشرك، واستدلال الزمخشري على أن المراد الكذب لا يتم، وإنما يدل على أنه مقول فيحتمل الأمرين، والله أعلم.." [١]

"جسم الجمال وأحلام العصافير «١»

إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام، فقيل: لا يدخلون الجنة، حتى يكون ما لا يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع، في ثقب الإبرة. وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل، فقال: زوج الناقة، استجهالا للسائل، وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف. وقرئ في سم بالحركات الثلاث: وقرأ عبد الله: في سم المخيط، والخياط، والمخيط كالحزام والمحزم: ما يخاط به وهو الإبرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن أن الاجرام هو السبب الموصل إلى العقاب، وأن كل من أجرم عوقب، وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لأن كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش أغطية. وقرئ: غواش. بالرفع، كقوله تعالى: «وله الجوار المنشآت» في قراءة عبد الله.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٥٣/١

[سورة الأعراف (٧) : آية ٤٢]

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢)

لا نكلف نفسا إلا وسعها جملة معترضة بين المبتدإ والخبر، للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع، وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح. وقرأ الأعمش: لا تكلف نفس.

[سورة الأعراف (٧) : آية ٤٣]

ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (٤٣)

---

(١) .

حار بن عمرو ألا أحلام تزجركم ... عنا وأنتم من الجوف الجماخير

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم ... جسم الجمال وأحلام العصافير

كأنهم قصب جوف أسافله ... مثقب نفخت فيه الأعاصير

لحسان. و «حار» مرخم حارث، مبنى على الضم لأنه منادى حذف قبله ياء النداء. و «الأحلام» جمع حلم بالضم:

العقول. و «الجوف» بالضم: جمع أجوف، أى واسع الجوف. و «الجماخير» جمع جمخور، أى عظيم الجسم.

يقول: كيف لا يكون لكم أحلام وأنتم عظام الأجرام، ثم بين ذلك بقوله: لا بأس ولا ضرر يعترى هؤلاء من جهة الطول والغلظ، يعنى: لا نقص بهم من ذلك. وفيه تهكم بهم. أو لا يستنكفون من ذلك فهم أحقاء به، أو لا بأس يعتريك بسبب القوم من أجل طولهم وغلظهم فأجسامهم كأجسام الجمال، وعقولهم كعقول العصافير إن كان لها عقول، يعنى أنه لا عقل لهم. ويروى «جسم البغال» وشبههم في فراغ أجوافهم من العقل والشجاعة بالقصب:

إذا انشقت أجواف أسافله فأعاليه أكثر. وشبه منافذ حواسهم بثقوبه الخالية عن الحسن. و «الأعاصير»

جمع إعصار، وهي ريح تهب مستديرة ذاهبة نحو السماء. واستعار النفخ لا دخالها الهواء فيه بقوة كالنفخ. وفي القافية الاقواء، لاختلاف حركة الروى بالكسر والضم.." (١)

"والإهلاك، كأنه قيل: إنا أهلكنا قوما مجرمين، ولكن آل لوط أنجيناهم. وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء، فلا يكون الإرسال مخلصا «١» بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول. فإن قلت:

فقوله إنا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين؟ قلت: إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر «لكن» في الاتصال بآل لوط، لأن المعنى. لكن آل لوط منجون، وإذا اتصل كان كلاما مستأنفا، كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم: فما حال آل لوط، فقالوا: إنا لمنجوهم. فإن قلت:

فقوله إلا امرأته مم استثنى، وهل هو استثناء من استثناء؟ قلت: استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء، لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه، وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط، إلا امرأته، كما اتحد الحكم في قول المطلق:

أنت طالق ثلاثا، إلا اثنتين، إلا واحدة. وفي قول المقر: لفلان على عشرة دراهم، إلا ثلاثة، إلا درهما. فأما في الآية فقد اختلف الحكمان، لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا، أو بمجرمين.

وإلا امرأته قد تعلق بمنجوهم، فأنى يكون استثناء من استثناء. وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل. فإن قلت: لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا إنها لمن الغابرين «٢» والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟ قلت: لتضمن فعل التقدير معنى العلم، ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم. فإن قلت: فلم أسند الملائكة فعل التقدير- وهو لله وحده- إلى أنفسهم، ولم يقولوا: قدر الله؟ قلت: لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم، كما

(١) . قوله «فلا يكون الإرسال مخلصا» لعله: مختصا. (ع)

(٢) . عاد كلامه. قال محمود: «فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا إنها لمن الغابرين الخ» قال أحمد: وهذه أيضا من دفائنه الاعتزالية في جحد القضاء والقدر، واعتقاد أن الأمر أنف، لأنهم لا يعتقدون أن الله تعالى مريد لأكثر أفعال عبيده من معصية ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبيد، بمعنى أنه مريد ولكنه عالم بما سيفعلونه على خلاف مشيئته وإرادته. فالتقدير عندهم هو العلم لا الارادة، ثم

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٠٤/٢

استدل على أن التقدير هو العلم بتقدير فعله عن العمل، وذلك من خواص فعل العلم وأخواته، فانظر إلى بعد غوره ودقة فطنته في ابتغاء آية يلفقها ويعاند بها البراهين الواضح فلقها، وفي كلامه شاهد على رده، فان التقدير عنده مضمن معنى العلم، ومن شأن الفعل المضمن **معنى آخر**: أن يبقى على معناه الأصلي، مضافا إليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعا، فالتقدير إذا كما أفاد العلم الطارئ يفيد الارادة أصلا ووضعا. والله أعلم، على أن من الناس من جعل قوله تعالى قدرنا إنها لمن الغابرين من كلامه تعالى غير محكي عن الملائكة، وهو الظاهر، فان الذي يجعله من قول الملائكة يحتاج في نسبتهم التقدير إلى أنفسهم إلى تأويل، ويجعله من باب قول خواص الملك: دبرنا كذا، وأمرنا بكذا، وإنما يعنون دبر الملك وأمر، وبذلك أولة الزمخشري. وإن كان أصله لا يحتاج معه إلى التأويل، لأنه إذا جعل قدرنا بمعنى علمنا إنها لمن الغابرين، فلا غرو في علم الملائكة ذلك باخبار الله تعالى إياهم به، وإنما يحتاج إلى التأويل: من جعل قدرنا بمعنى أردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة، والله أعلم.." (١)

"واختلف في سن زكريا عليه السلام، فقيل: ستون، وخمس وستون، وسبعون، وخمس وسبعون، وخمس وثمانون.

[سورة مريم (١٩) : آية ٤]

قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا (٤)

قرئ وهن بالحركات الثلاث، وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن. ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جمع لكان قصدا إلى **معنى آخر**، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها. إدغام السين في الشين عن أبي عمرو. شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس. وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة. توسل إلى الله بما سلف له من الاستجابة. وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال: أنا الذي أحسنت إلى وقت كذا. فقال: مرحبا بمن توسل بنا إلينا، وقضى حاجته.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٨٢/٢

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٥ الى ٦]

وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا (٥) يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا (٦)

كان مواليه- وهم عصبته إخوته وبنو عمه- شرار بنى إسرائيل، فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه، وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته، فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي بعد موتى. وقرأ ابن كثير: من وراي، بالقصر، وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى، ولكن بمحذوف. أو بمعنى الولاية في الموالي: أى خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي. أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي.

وقرأ عثمان ومحمد بن على وعلى بن الحسين رضى الله عنهم. خفت الموالي من ورائي، وهذا على معنيين، أحدهما: أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي، فيتعلق الظرف بالموالي: أى قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه. والثاني: أن يكون." (١)

"عبدك ورسولك، وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربنى من الشر وتباعدني من الخير، وأنى لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين لهم عند الرحمن عهد، فيدخلون الجنة، «١» وقيل: كلمة الشهادة. أو يكون من «عهد الأمير إلى فلان بكذا» إذا أمره به، أى لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها. وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٨٨ الى ٩١]

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٨٨) لقد جئتم شيئا إدا (٨٩) تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (٩٠) أن دعوا للرحمن ولدا (٩١)

قرئ إدا بالكسر والفتح. قال ابن خالويه: الإد والأد: العجب. وقيل: العظيم المنكر. والإدة: الشدة. وأدنى

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤

الأمر وآدني: أثقلني وعظم علي إذا تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء. وقرئ «ينفطرن» «٢» الانفطار من فطره إذا شقه. والتفطر، من فطره إذا شققه وكرر الفعل فيه. وقرأ ابن مسعود: ينصدعن، أى تهد هدا، أو مهدودة، أو مفعول له، أى: لأنها تهد. فإن قلت: ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال؟

ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن الله سبحانه يقول:

كدت أفعل هذا بالسماوات والأرض «٣» والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من

---

(١) . أخرجه الثعلبي قال: روى أبو وائل عن عبد الله بن مسعود- فذكره بتمامه، وروى ابن مردويه في تفسير الأحزاب من طريق عوف بن عبد الله عن رجل من بني سليم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «العهد أن تقول: اللهم فاطر السموات والأرض- الحديث أصغر مما ذكر» ورواه الحاكم من وجه آخر عن عون عن ابن ماجة عن الأسود عن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال الله تعالى يقول يوم القيامة: من كان له عندي عهد فليقم، قال فقلنا: فعلمنا يا أبا عبد الرحمن قال: فاقرؤا:

اللهم فاطر السموات والأرض- فذكره مختصرا، وفي الباب عن أبى بكر رضى الله عنه، أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر في السادس والسبعين بعد المائة.

(٢) . قوله «وقرئ ينفطرن» يفيد أن القراءة المشهورة «يتفطرن» بالتاء. (ع)

(٣) . قال محمود: «معناه: كدت أهد السموات وأفطر الأرض ... الخ» قال أحمد: ويظهر لي وراءها معنى آخر والله أعلم، وذلك أن الله تعالى قد استعار لدلالتها على وجوده عز وجل موصوفا بصفات الكمال الواجبة له، أن جعلها تسبح بحمده. قال تعالى تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ومما دلت عليه السموات والأرض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها: أن الله تعالى مقدس عن نسبة الولد إليه:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

فالمعتقد نسبة الولد إلى الله تعالى قد عطل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه، فاستعير لابطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لأجلها، إبطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق «فسبحان من قسم

عباده، فجعل العباد، تستلذ فتسبح بتسبيح داود، يكاد ينهد لمقاله من هو عن باب التوفيق مطرود مردود.." (١)

"بيت كريم، من قولهم: عتاق الخيل والطير. فإن قلت: قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع. قلت: ما قصد التسلط على البيت، وإنما تحصن به ابن الزبير، فاحتال لإخراجه ثم بناه. ولما قصد التسلط عليه أبرهة، فعل به ما فعل.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣١]

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)

ذلك خبر مبتدإ محذوف، أى: الأمر والشأن ذلك، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا وقد كان كذا. والحرمة: ما لا يحل هتكه. وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه، ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج. وعن زيد بن أسلم: الحرمات خمس الكعبة الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمحرم حتى يحل فهو خير له أى فالتعظيم خير له. ومعنى التعظيم: العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها. المتلو لا يستثنى من الأنعام، ولكن المعنى إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه، وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى: أن الله قد أحل لكم الأنعام كلها إلا ما استثناه في كتابه، فحافظوا على حدوده، وإياكم أن تحرموا مما أحل شيئا، كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك، وأن تحلوا مما حرم الله، كاحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك.

لما حث على تعظيم حرماته وأحمد من يعظمها «١» أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور، لأن توحيد الله ونفى الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات وأسبقها خطوا. وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد، وذلك أن الشرك من ب١ب الزور لأن المشرك زاعم أن الوثن تحق له العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة. وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان. وسمى الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام، على طريق التشبيه.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٤

يعني: أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه، فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة. ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه أنه رجس، والرجس مجتنب من الأوثان

---

(١) . قوله «وأحمد من يعظمها» في الصحاح «أحمدته» : وجدته محمودا موافقا مرضيا. (ع)." (١)

"ونحوه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل. فإن قلت: فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي؟ قلت: قصد ثمة معنى آخر: وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس «١» الذي هو جنس الماء، وذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط. قالوا: خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء، والجن من نار خلقها منه. وآدم من تراب خلقه منه. فإن قلت: لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب؟ قلت:

قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشى من أرجل أو قوائم، ثم الماشي على رجلين، ثم الماشي على أربع. فإن قلت: لم سمى الزحف على البطن مشيا؟ قلت: على سبيل الاستعارة، كما قالوا في الأمر المستمر: قد مشى هذا الأمر. ويقال: فلان لا يتمشى له أمر.

ونحوه استعارة الشقة مكان الجحفلة «٢» ، والمشفر مكان الشفة. ونحو ذلك. أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين.

]سورة النور (٢٤) : الآيات ٤٦ الى ٤٧]

لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (٤٦) ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٧)

وما أولئك بالمؤمنين إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا. أو إلى الفريق المتولى، فمعناه على الأول: إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق المتولى وحده. وعلى الثاني:

إعلام بأن الفريق المتولى لم يكن ما سبق لهم من الإيمان إيمانا، إنما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب، لأنه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والإعراض.

والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت: وهم الثابتون المستقيمون على

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/١٥٤

الإيمان، الموصوفون في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا.

---

(١) . قال محمود: «إن قلت لم نكر ماء هاهنا وعرفه في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي؟ قلت: الغرض فيما نحن فيه أنه تعالى خلق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف نطفها، فمنها كذا ومنها كذا. ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وأما آية «اقترب» فالغرض فيها أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس» قال أحمد: وتحرير الفرق أن المقصد في الأولى إظهار الآية بأن شيئا واحدا تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة، ذكر تفصيلها في آية النور والرعد:
والمقصد في آية اقترب: أنه خلق الأشياء المتفقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع، فذكر معرفا ليشمل أنواعه المختلفة، فالآية في الأول لإخراج المختلف من المتفق، والله أعلم.
(٢) . قوله «مكان الجحفلة» في الصحاح: الجحفلة للحافر، كالشفة للإنسان، اه أى لذي الحافر. (ع)." (١)

"والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ: في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات، وعن الشهوات، وعن أذى الكفار ومجاهدتهم، وعلى الفقر وغير ذلك.
وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه. وقرئ: يلقون، كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون، كقوله تعالى يلق أثاما. والتحية: دعاء بالتعمير. والسلام: دعاء بالسلامة، يعنى أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم. أو يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة عن كل آفة. اللهم وفقنا لطاعتك، واجعلنا مع أهل رحمتك، وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك.

[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٧٧]

قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما (٧٧)

لما وصف عبادة العباد، وعدد صالحاتهم وحسناتهم، وأثنى عليهم من أجلها، ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة: أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم، لأجل عبادتهم، فأمر رسوله أن يصرح للناس، ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم، إنما هو للعبادة وحدها لا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٢٤٧

لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيء يبالى به. والدعاء: العبادة. وما متضمنة لمعنى الاستفهام، وهي في محل النصب، وهي عبارة عن المصدر، كأنه قيل: وأى عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم. يعنى أنكم لا تستأهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم. وحقيقة قولهم ما عبأت به: ما اعتددت به من فوادح همومى ومما يكون عبئا على، كما تقول: ما اكترثت له، أى: ما اعتددت به من كوارثى ومما يهمني. وقال الزجاج في تأويل ما يعبؤا بكم ربي: أى وزن يكون لكم عنده؟ ويجوز أن تكون ما نافية، فقد كذبتم يقول: إذا أعلمتكم أن حكمى أنى لا أعتد بعبادي إلا عبادتهم، فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى، فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار.

ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه: إن من عادتى أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمرى، فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك. وقيل: معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام. وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة، فإن قلت: إلى من يتوجه هذا الخطاب؟ قلت: إلى الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون، فخوطبوا بما وجدوا في جنسهم من العبادة والتكذيب. وقرئ:

فقد كذب الكافرون. وقيل: يكون العذاب لزاما. وعن مجاهد رضى الله عنه: هو قتل يوم بدر، وأنه لوزم بين القتلى لزاما. وقرئ: لزاما، بالفتح بمعنى اللزوم، كالثبات والثبوت.." (١)

"أعزى النفس عنه بالتأسى «١»

فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم، لعظم ما هم فيه. فإن قلت: ما معنى قوله تعالى إذ ظلمتم؟ قلت: معناه: إذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين، وذلك يوم القيامة. وإذ: بدل من اليوم. ونظيره:

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة «٢»

أى: تبين أنى ولد كريمة.

[سورة الزخرف (٤٣) : آية ٤٠]

أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين (٤٠)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه، وهم لا يزيدون على دعائه

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٢٩٧

إلا تصميما على الكفر وتماديا في الغى، فأنكر عليه بقوله أفأنت تسمع الصم إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم، وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر، كقوله تعالى إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور

[سورة الزخرف (٤٣) : الآيات ٤١ الى ٤٣]

فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون (٤١) أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون (٤٢) فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم (٤٣)

---

(١) .

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره بكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخى ولكن ... أعزى النفس عنه بالتأسى

للخنساء ترثى أخاها. وإسناد التذكير الطلوع: مجاز عقلى، لأنه سبب في تذكيرها إياه، وكذلك الغروب حيث كان ذهابه عند الأول وإيابه عند الثاني عادة. أو لأنه يذهب في الأول للغارات، ويجلس في الثاني مع الضيفان. أو لأن طلوعها يشبه طلعته، وغروبها: يشبه موته. وفيه نوع من البديع يسمى التنكيت: وهو الإتيان بلفظ يسد غيره مسده، لولا نكتة فيه ترجح اختصاصه بالذكر: لكان اختصاصه خطأ، كما في اختصاص الوقتين هنا. أفاده السيوطي في شرح عقود الجمان. وفيه أيضا نوع آخر يسمى الادماج: وهو أن يضمن كلام سيق لمعنى **معنى آخر**، كما ضمن الكلام المسوق هنا لمعنى الرثاء معنى المدح بالشجاعة والكرم. أو بحسن الطلعة. والباء في «بكل» سببيه.

ويحتمل أن الاسناد للأول من باب الاسناد للزمان، فتكون الباء في الثاني بمعنى «في» أو «مع» وذكر الشمس ثانيا في آخر المصراع الثاني من باب رد العجز على الصدر. وأعزى النفس: أسليها وأصبرها عنه بالتأسى، أى:

الاقتداء بغيري من أهل المصائب وفي اقتدائها بالباكين من الرجال: إشعار بتجلدها وعظم شأنها مثلهم.

وروى «على أمواتهم» بدل: «على إخوانهم» ، و «أسلى» بدل «أعزى» .

(٢) . مر شرح هذا الشاهد بالجزء الثالث صفحة ٤٠ فراجعه إن شئت اه مصححه. [.....]."(١)

"منصوب بدعوتهم، نصب المصدر لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار، فنصب به نصب القرفصاء بقعد، لكونها أحد أنواع القعود. أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم. ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا، بمعنى دعاء جهارا، أى: مجاهرا به. أو مصدرا في موضع الحال، أى: مجاهرا.

أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي، وقدم إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم وأحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة، ترغيبا في الإيمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين، كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم، وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل: لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة: حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة. وروى: سبعين. فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه. وعن عمر رضى الله عنه: أنه خرج يستسقى، فما زاد على الاستغفار، فقيل له: ما رأيناك استسقيت! فقال: لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر «١» . شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ.

وعن الحسن: أن رجلا شكا إليه الجدب فقال. استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا، فأمرتهم كلهم بالاستغفار! فتلا له هذه الآية. والسماء:

المظلة لأن المطر منها ينزل إلى السحاب، ويجوز أن يراد السحاب أو المطر، من قوله.

إذا نزل السماء بأرض قوم «٢»

والمدرار: الكثير الدرور، ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، كقولهم: رجل أو امرأة معطار ومتفال جنات بساتين لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا أى تعظيما.

والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب «٣» ، لله بيان للموقر،

---

(١) . أخرجه عبد الرزاق وابن أبى شيبة والطبراني في الدعاء والطبري وغيرهم من رواية الشعبي: أن عمر ...

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢٥٣/٤

بهذا وزاد: ثم قرأ استغفروا ربكم إنه كان غفارا ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع.

(٢) .

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

تطلق السماء على المظلة، وعلى السحاب، وعلى المطر كما هنا، لما فيه من السمو والارتفاع، وتطلق على النبات مجازا، لأن المطر سببه، فلذلك قال: رعيناه، ففي الكلام استخدام، حيث أطلق السماء بمعنى، وأعاد عليها الضمير **بمعنى آخر**، والغضاب: جمع غضبان والمعنى: أننا شجعان دون غيرنا.

(٣) . قال محمود: «ما لكم لا تكونون على حال يكون فيها تعظيم الله تعالى ... الخ» قال أحمد: وهذا التفسير يبقى الرجاء على بابه الخ.." (١)

"وقرأ جمهور الناس «ما ننسخ» بفتح النون، من نسخ، وقرأت طائفة «ننسخ» ، بضم النون من «أنسخ» ، وبها قرأ ابن عامر وحده من السبعة، قال أبو علي الفارسي: ليست لغة لأنه لا يقال نسخ وأنسخ بمعنى، ولا هي لتعدية لأن المعنى يجيء ما نكتب من آية أي ما ننزل فيجيء القرآن كله على هذا منسوخا، وليس الأمر كذلك، فلم يبق إلا أن يكون المعنى ما نجده منسوخا، كما تقول: أحمدت الرجل وأبخلته بمعنى وجدته محمودا أو بخيلا، قال أبو علي: وليس نجده منسوخا إلا بأن ننسخه فتتفق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رحمه الله: وقد خرج قرأة هذه القراءة المعنى على وجهين أحدهما أن يكون المعنى ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ، أو ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله أي ذلك فعلنا فإنا نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله، فيجيء الضميران في منها ومثلها عائدين على الضمير في ننسها، **و المعنى الآخر** أن يكون ننسخ من النسخ بمعنى الإزالة ويكون التقدير ما ننسخك أي نبيح لك نسخه، كأنه لما نسخها الله أباح لنبيه تركها بذلك النسخ، فسمى تلك الإباحة إنساخا، وما شرطية وهي مفعولة ب ننسخ، وننسخ جزم بالشرط.

واختلف القراء في قراءة قوله ننسها، فقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم وابن عامر وجمهور من الناس «ننسها» بضم النون الأولى وسكون الثانية وكسر السين وترك الهمزة، وهذه من أنسى المنقول من نسي، وقرأت ذلك فرقة كما تقدم إلا أنها همزت بعد السين، فهذه بمعنى التأخير، تقول العرب أنسأت الدين وغيره أنسؤه إنساء إذا أخرته، وقرأت طائفة «أو ننسها» بفتح النون الأولى وسكون الثانية وفتح السين، وهذه

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٦١٧

بمعنى الترك، ذكرها مكي ولم ينسبها، وذكرها أبو عبيد البكري في كتاب اللآلي عن سعد بن أبي وقاص، وأراه وهم، وقرأ سعد بن أبي وقاص «أو تنسها» على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ونون بعده ا ساكنة وفتح السين، هكذا قال أبو الفتح وأبو عمرو الداني، فقيل لسعد إن سعيد بن المسيب يقرؤها بنون أولى مضمومة وسين مكسورة فقال: إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب، وتلا سنقرئك فلا تنسى [الأعلى: ٦] ، واذكر ربك إذا نسيت [الكهف: ٢٤] ، وقرأ سعيد بن المسيب فيما ذكر عنه أيضا «أو تنسها» بضم التاء أولا وفتح السين وسكون النون بينهما، وهذه من النسيان، وقرأ الضحاك بن مزاحم وأبو رجاء «ننسها» بضم النون الأولى وفتح الثانية وسين مكسورة مشددة، وهذه أيضا من النسيان.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وعبيد ابن عمير وابن كثير وأبو عمرو «ننسأها» بنون مفتوحة وأخرى بعدها ساكنة وسين مفتوحة وألف بعدها مهموزة، وهذه من التأخير، تقول العرب: نسأت الإبل عن الحوض أنسؤها نسأ أي أخرتها، وكذلك يقال: أنسأ الإبل إذا زاد في ظمئها يوما أو يومين أو أكثر من ذلك **بمعنى أخرها** عن الورد، وقرأت فرقة مثل هذه القراءة إلا أنها بتاء مفتوحة أولا على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم وإسناد الفعل إليه، وقرأ أبو حيوة مثل ذلك إلا أنه ضم التاء أولا، وقرأ أبي بن كعب «أو ننسك» بضم النون الأولى وسكون الثانية وسين." (١)

"وقوله تعالى: وإذا قيل لهم يعني كفار العرب، وقال ابن عباس: نزلت في اليهود، وقال الطبري: الضمير في لهم عائد على الناس من قوله يا أيها الناس كلوا، وقيل: هو عائد على من في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا [البقرة: ١٦٥] ، واتبعوا معناه بالعمل والقبول، وما أنزل الله هو القرآن والشرع، وألفينا معناه وجدنا، قال الشاعر: [المتقارب]

فألفيته غير مستعتب ... ولا ذاكر الله إلا قليلا

والألف في قوله أولو للاستفهام، والواو لعطف جملة كلام على جملة، لأن غاية الفساد في الالتزام أن يقولوا نتبع آباءنا ولو كانوا لا يعقلون، فقرروا على التزامهم هذا إذ هذه حال آبائهم.

وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد، وأجمعت الأمة على إبطاله في العقائد.

وقوله تعالى: ومثل الذين كفروا الآية، المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ولا تفقه ما يقول، هكذا فسر ابن عباس وعكرمة

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٩٢/١

والسدي وسيبويه.

قال القاضي أبو محمد: فذكر بعض هذه الجملة وترك البعض، ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الإيجاز.

والنعيق زجر الغنم والصياح بها، قال الأخطل: [الكامل]

انعق بضأنك يا جرير فإنما ... منتك نفسك في الخلاء ضلالا

وقال قوم: إنما وقع هذا التشبيه براعي الضأن لأنها من أبلد الحيوان، فهي تحمق راعيها، وفي المثل أحمق من راعي ضأن ثمانين، وقد قال دريد لمالك بن عوف في يوم هوازن «راعي ضأن والله» ، وقال الشاعر: [البسيط]

أصبحت هزءا لراعي الضأن يهزأ بي ... ماذا يريبك مني راعي الضأن

فمعنى الآية أن هؤلاء الكفرة يمر الدعاء على آذانهم صفحا يسمعونه ولا يفقهونه إذ لا ينتفعون بفقهه، وقال ابن زيد: المعنى في الآية: ومثل الذين كفروا في اتباعهم آلهتهم وعبادتهم إياها كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه شيئا إلا دويا غير مفيد، يعني بذلك الصدى الذي يستجيب من الجبال، ووجه الطبري في الآية معنى آخر، وهو أن المراد: ومثل الكافرين في عبادتهم آلهتهم كمثل الذي ينعق بشيء بعيد منه فهو لا يسمع من أجل البعد، فليس للناعق من ذلك إلا النداء الذي يتعبه ويصبه، فإنما شبه في هذين التأويلين الكفار بالناعق والأصنام بالمنعوق به، وشبهوا في الصمم والبكم والعمى بمن لا حاسة له لما لم ينتفعوا بحواسهم ولا صرفوها في إدراك ما ينبغي، ومنه قول الشاعر: [الرجز] أصم عما ساءه، سميع ولما تقرر فقدهم لهذه الحواس قضى بأنهم لا يعقلون إذ العقل كما قال أبو المعالي وغيره: علوم." (١)

"إن قذفت» ، فقال ابن عباس: «تلك الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء في المال والخلق» ، أي إن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه، وهذا قول حسن بارع، وقال ابن إسحاق:

«الدرجة الإنفاق وأنه قوام عليها» ، وقال ابن زيد: «الدرجة ملك العصمة وأن الطلاق بيده» ، وقال حميد: «الدرجة اللحية» .

وقال القاضي أبو محمد: وهذا إن صح عنه ضعيف لا يقتضيه لفظ الآية ولا معناها، وإذا تأملت هذه الوجوه التي ذكر المفسرون فيجيء من مجموعها درجة تقتضي التفضيل، وعزيز لا يعجزه أحد، وحكيم فيما ينفذه

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٣٨/١

من الأحكام والأمور.

قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٢٩]

الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (٢٢٩)

قال عروة بن الزبير وقتادة وابن زيد وغيرهم: نزلت هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه أن يرتجع دون تجديد مهر وولي، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يطلقون ويرتجعون إلى غير غاية، فقال رجل لامرأته على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: لا أؤويك ولا أدعك تحلين، قالت: وكيف؟ قال: أطلقك فإذا دنا مضي عدتك راجعتك، فشكت ذلك، فنزلت الآية. وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم:

المراد بالآية التعريف بسنة الطلاق، أي من طلق اثنتين فليتق الله في الثالثة فإما تركها غير مظلومة شيئا من حقها وإما أمسكها محسنا عشرتها.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: والآية تتضمن هذين المعنيين، والإمساك بالمعروف هو الارتجاع بعد الثانية إلى حسن العشرة والتزام حقوق الزوجية. والتسريح يحتمل لفظه معنيين: أحدهما تركها تتم العدة من الثانية وتكون أملك بنفسها، وهذا قول السدي والضحاك، **والمعنى الآخر** أن يطلقها ثالثة فيسرحها بذلك، وهذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما، ويقوى عندي هذا القول من ثلاثة وجوه: أولها أنه روي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هذا ذكر الطلقتين فأين الثالثة؟، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هي قوله: أو تسريح بإحسان، والوجه الثاني أن التسريح من ألفاظ الطلاق، ألا ترى أنه قد قرىء وإن عزموا السراح [البقرة: ٢٢٧] ، والوجه الثالث أن فعل تفعيلا بهذا التضعيف يعطي أنه أحدث فعلا مكررا على الطلقة الثانية، وليس في الترك إحداث فعل يعبر عنه بالتفعيل، و «إمساك» مرتفع بالابتداء والخبر أمثل أو أحسن، ويصح أن يرتفع على خبر ابتداء تقديره فالواجب إمساك، وقوله بإحسان معناه أن لا يظلمها شيئا من حقها ولا يتعدى في قول. وقوله تعالى: ولا يحل لكم أن تأخذوا الآية خطاب للأزواج، نهاهم به أن يأخذوا من أزواجهم شيئا على وجه المضارة. وهذا هو الخلع الذي لا يصح إلا بأن لا ينفرد

الرجل بالضرر، وخص بالذكر ما آتى الأزواج نساءهم لأن العرف من الناس أن يطلب الرجل عند الشقاق والفساد ما خرج عن يده، هذا وكدهم في الأغلب فلذلك خص." (١)

"[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٣٣ الى ٢٣٤]

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير (٢٣٣) والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير (٢٣٤)

الضمير في أرادا للوالدين، وفصالا معناه «فطاما» عن الرضاع، ولا يقع التشاور ولا يجوز التراضي إلا بما لا ضرر فيه على المولود، فإذا ظهر من حاله الاستغناء عن اللبن قبل تمام الحولين فلا جناح على الأبوين في فصله، هذا معنى الآية، وقاله مجاهد وقتادة وابن زيد وسفيان وغيرهم، وقال ابن عباس: «لا جناح مع التراضي في فصله قبل الحولين وبعدهما» .

قال القاضي أبو محمد: وتحرير القول في هذا أن فصله قبل الحولين لا يصح إلا بتراضيهما وأن لا يكون على المولود ضرر، وأما بعد تمامهما فمن دعا إلى الفصل فذلك له إلا أن يكون في ذلك على الصبي ضرر، وقوله تعالى: وإن أردتم أن تسترضعوا مخاطبة لجميع الناس تجمع الآباء والأمهات، أي لهم اتخاذ الظئر مع الاتفاق على ذلك، وأما قوله تعالى: إذا سلمتم فمخاطبة للرجال خاصة، إلا على أحد التأويلين في قراءة من قرأ «أتيتم» ، وقرأ الستة من السبعة «آتيتم» بالمد، المعنى أعطيتم، وقرأ ابن كثير «أتيتم» بمعنى ما جئتم وفعلتم كما قال زهير: [الطويل] .

وما كان من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل

قال أبو علي: «المعنى إذا سلمتم ما أتيتم نقده أو إعطاءه أو سوقه، فحذف المضاف وأقيم الضمير مقامه فكان التقدير ما أتيتموه، ثم حذف الضمير من الصلة» .

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل اللفظ **معنى آخر** قاله قتادة، وهو إذا سلمتم ما أتيتم من إرادة الاسترضاع، أي سلم كل واحد من الأبوين ورضي وكان ذلك عن اتفاق منهما وقصد خير وإرادة معروف من الأمر.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١/٣٠٦

وعلى هذا الاحتمال: فيدخل في الخطاب ب سلمتم الرجال والنساء، وعلى التأويل الذي ذكره أبو علي وغيره: فالخطاب للرجال، لأنهم الذين يعطون أجر الرضاع، قال أبو علي: ويحتمل أن تكون ما مصدرية، أي إذا سلمتم الإتيان، والمعنى كالأول، لكن يستغنى عن الصنعة من حذف المضاف، ثم حذف الضمير، قال مجاهد: «المعنى إذا سلمتم إلى الأمهات أجرهن بحساب ما أرضعن إلى وقت إرادة الاسترضاع» ، وقال سفيان: «المعنى إذا سلمتم إلى المسترضعة وهي الظئر أجرها بالمعروف» . وباقي الآية أمر بالتقوى وتوقيف على أن الله تعالى بصير بكل عمل، وفي هذا وعيد وتحذير، أي فهو مجاز بحسب عملكم.

قوله عز وجل:

والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا قال بعض نحاة الكوفيين: الخبر عن الذين متروك والقصد الإخبار عن أزواجهم بأنهن يتربصن، ومذهب نحاة البصرة أن خبر الذين مترتب بالمعنى، وذلك أن الكلام إنما تقديره يتربص أزواجهم، وإن شئت قدرته. وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، فجاءت العبارة في غاية الإيجاز، وإعرابها مترتب على." (١)

"يؤته الحكمة» ، وقرأ الربيع بن خثيم «تؤتي الحكمة من تشاء» بالتاء في «تؤتي» و «تشاء» منقوطة من فوق، «ومن يؤت الحكمة» بالياء، وباقي الآية تذكرة بينة وإقامة لهمم الغفلة، والألباب العقول واحدها لب.

قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٧٠ الى ٢٧١]

وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار (٢٧٠) إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير (٢٧١)

كانت النذر من سيرة العرب تكثر منها، فذكر تعالى النوعين ما يفعله المرء متبرعا وما يفعله بعد إلزامه لنفسه، ويقال: نذر الرجل كذا إذا التزم فعله «ينذر» بضم الذال «وينذر» بكسرها، وقوله تعالى: فإن الله يعلمه قال مجاهد: معناه يحصيه، وفي الآية وعد ووعيد، أي من كان خالص النية فهو مثاب ومن أنفق رئاء أو لمعنى آخر مما يكشفه المن والأذى ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله باطلا ولا يجد ناصرا فيه،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣١٣/١

ووحد الضمير في يعلمه وقد ذكر شيئين من حيث أراد ما ذكر أو نص، وقوله تعالى: إن تبدوا الصدقات الآية، ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية هي في صدقة التطوع، قال ابن عباس: جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها، يقال بسبعين ضعفا، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا، قال: وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها.
قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: ويقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم «صلاة الرجل في بيته أفضل من صلاته في المسجد إلا المكتوبة، وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عرضة لذلك، وقال سفيان الثوري هذه الآية في التطوع، وقال يزيد بن أبي حبيب: إنما أنزلت هذه الآية في الصدقة على اليهود والنصارى، وكان يأمر بقسم الزكاة في السر، وهذا مردود لا سيما عند السلف الصالح، فقد قال الطبري: أجمع الناس على أن إظهار الواجب أفضل، قال المهدوي: وقيل المراد بالآية فرض الزكاة وما تطوع به، فكان الإخفاء فيهما أفضل في مدة النبي عليه السلام، ثم ساءت ظنون الناس بعد ذلك فاستحسن العلماء إظهار الفرض لئلا يظن بأحد المنع، قال أبو محمد: وهذا القول مخالف للآثار، ويشبه في زمننا أن يحسن التستر بصدقة الفرض، فقد كثر المانع لها وصار إخراجها عرضة للرياء، وقال النقاش: إن هذه الآية نسخها قوله تعالى: الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية [البقرة: ٢٧٤] ، وقوله: فنعما هي ثناء على إبداء الصدقة، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء، واختلف القراء في قوله فنعما هي، فقرأ نافع في غير رواية ورش، وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل «فنعما» بكسر النون وسكون «فنعما» بكسر النون والعين، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «فنعما» بفتح النون وكسر العين وكلهم شدد الميم، قال أبو علي من قرأ بسكون العين لم يستقم قوله، لأنه جمع بين ساكنين الأول منهما ليس بحرف مد ولين، وإنما يجوز ذلك عند النحويين إذا كان الأول حرف." (١)

"يمنع من التصرف في التجارة. فبقوا فقراء إلا أنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله بحيث يحسبهم الجاهل بباطن أحوالهم أغنياء والتعفف تفعل، وهو بناء مبالغة من عف عن الشيء إذا أمسك عنه وتنزه عن طلبه. وبهذا المعنى فسر قتادة وغيره، وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي «يحسبهم» بكسر السين. وكذلك هذا الفعل في كل القرآن، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة «يحسبهم» بفتح السين في كل القرآن، وهما لغتان في «يحسب» كعهد ويعهد بفتح الهاء وكسرها في حروف كثيرة أتت كذلك، قال أبو علي فتح السين في يحسب أقيس لأن العين من الماضي مكسورة فبابها أن تأتي في المضارع مفتوحة،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٦٥/١

والقراءة بالكسر حسنة بمجيء السمع به، وإن كان شاذا عن القياس، ومن في قوله: من التعفف لابتداء الغاية أي من تعففهم ابتدأت محسبته، وليست لبيان الجنس لأن الجاهل بهم لا يحسبهم أغنياء غناء تعفف، وانما يحسبهم أغنياء غناء مال، ومحسبته من التعفف ناشئة، وهذا على أنهم متعففون عفة تامة عن المسألة، وهو الذي عليه جمهور المفسرين، لأنهم قالوا في تفسير قوله تعالى لا يسئلون الناس إلحافا: المعنى لا يسألون البتة. وتحتمل الآية معنى آخر من فيه لبيان الجنس، سنذكره بعد والسيما مقصورة العلامة. وبعض العرب يقول: السيمياء بزيادة ياء وبالمد، ومنه قول الشاعر: [الطويل] .

له سيمياء لا تشق على البصر واختلف المفسرون في تعيين هذه «السيما» التي يعرف بها هؤلاء المتعففون، فقال مجاهد: هي التخشع والتواضع، وقال السدي والربيع: هي جهد الحاجة وقصف الفقر في وجوههم وقلة النعمة، وقال ابن زيد: هي رثة الثياب، وقال قوم، وحكاه مكي: هي أثر السجود.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وهذا حسن لأنهم كانوا متفرغين متوكلين لا شغل لهم في الأغلب إلا الصلاة، فكان أثر السجود عليهم أبدا، و «الإلحاف» والإلحاح بمعنى واحد، وقال قوم: هو مأخوذ من ألحف الشيء إذا غطاه وغمه بالتغطية، ومنه اللحاف، ومنه قول ابن الأحمر: [الوافر]

يظل يحفهن بقفقفيه ... ويلحفهن هفهافا ثخينا

يصف ذكر نعام يحضن بيضا، فكأن هذا السائل الملح يعم الناس بسؤاله فيلحفهم ذلك، وذهب الطبري والزجاج وغيرهما إلى أن المعنى لا يسألون البتة.

قال القاضي أبو محمد رحمه الله: والآية تحتمل المعنيين نفي السؤال جملة ونفي الإلحاف فقط، أما الأولى فعلى أن يكون التعفف صفة ثابتة لهم، ويحسبهم الجاهل بفقرهم لسبب تعففهم أغنياء من المال، وتكون من لابتداء الغاية ويكون قوله: لا يسئلون الناس إلحافا لم يرد به أنهم يسألون غير إلحاف بل المراد به التنبيه على سوء حالة من يسأل إلحافا من الناس، كما تقول: هذا رجل خير لا يقتل المسلمين.

فقولك: «خير» قد تضمن أنه لا يقتل ولا يعصي بأقل من ذلك، ثم نبهت بقولك لا يقتل المسلمين على قبح فعل غيره ممن يقتل، وكثيرا ما يقال مثل هذا إذا كان المنبه عليه موجودا في القضية مشارا إليه في نفس المتكلم والسامع. وسؤال الإلحاف لم تخل منه مدة، وهو مما يكره، فلذلك نبه عليه.." (١)

"المخلوقين، ثم أخبر عن تصويره للبشر في أرحام الأمهات، وهذا أمر لا ينكره عاقل، ولا ينكر أن عيسى وسائر البشر لا يقدرون عليه، ولا ينكر أن عيسى عليه السلام من المصورين في الأرحام، فهذه الآية

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٦٩/١

تعظيم لله تعالى في ضمنها الرد على نصارى نجران، وفي قوله: إن الله لا يخفى عليه شيء وعيد ما لهم، فسر بنحو هذا محمد بن جعفر بن الزبير والربيع، وفي قوله: هو الذي يصوركم رد على أهل الطبيعة، إذ يجعلونها فاعلة مستبدة، وشرح النبي صلى الله عليه وسلم كيفية التصوير في الحديث الذي رواه ابن مسعود وغيره أن النطفة إذا وقعت في الرحم مكثت نطفة أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليها ملكا فيقول: يا رب، أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ الحديث بطوله على اختلاف ألفاظه، وفي مسند ابن سنجر حديث: إن الله يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل ولحمه وشحمه وسائر ذلك من مني المرأة، وصور بناء مبالغة من: صار يصور إذا أمال وثنى إلى حال ما، فلما كان التصوير إمالة إلى حال وإثباتا فيها، جاء بناؤه على المبالغة، والرحم موضع نشأة الجنين، وكيف يشاء يعني من طول وقصر ولون وسلامة وعاهة وغير ذلك من الاختلافات، والعزيز الغالب والحكيم ذو الحكمة أو المحكم في مخلوقاته وهذا أخص بما ذكر من التصوير.

والكتاب في هذه الآية القرآن بإجماع من المتأولين، والمحكمات، المفصلات المبينات الثابتات الأحكام، والمتشابهات هي التي فيها نظر وتحتاج إلى تأويل ويظهر فيها ببادئ النظر إما تعارض مع أخرى أو مع العقل، إلى غير ذلك من أنواع التشابه، فهذا الشبه الذي من أجله توصف ب متشابهات، إنما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها أهل الزيغ ومن لم يمعن النظر، وهذا نحو الحديث الصحيح، عن النبي عليه السلام، الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور متشابهات أي يكون الشيء حراما في نفسه فيشبه عند من لم يمعن النظر شيئا حلالا وكذلك الآية يكون لها في نفسها معنى صحيح فتشبه عند من لم يمعن النظر أو عند الزائغ معنى آخر فاسدا فربما أراد الاعتراض به على كتاب الله، هذا عندي معنى الإحكام والتشابه في هذه الآية، ألا ترى أن نصارى نجران قالوا للنبي عليه السلام، أليس في كتابك أن عيسى كلمة وروح منه؟ قال نعم، قالوا: فحسبنا إذا.

قال الفقيه الإمام أبو محمد: فهذا التشابه، واختلفت عبارة المفسرين في تعيين المحكم والمتشابه المراد بهذه الآية، فقال ابن عباس المحكمات هي قوله تعالى: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم [الأنعام: ١٥١] إلى ثلاث آيات، وقوله في بني إسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه [الإسراء: ٢٣] وهذا عندي مثال أعطاه في المحكمات، وقال ابن عباس أيضا: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وما يؤمن به ويعمل، والمتشابه منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به، وقال ابن مسعود وغيره: المحكمات الناسخات، والمتشابهات المنسوخات.

قال الفقيه الإمام: وهذا عندي على جهة التمثيل أي يوجد الإحكام في هذا والتشابه في هذا، لا أنه وقف على هذا النوع من الآيات، وقال بهذا القول قتادة والربيع والضحاك، وقال مجاهد وعكرمة: المحكمات ما فيه الحلال والحرام، وما سوى ذلك فهو متشابه يصدق بعضه بعضا، وذلك مثل قوله: وما." (١)

"الصحيح أن الفترة بينهما ستمائة سنة. وهذه الآية نزلت بسبب قول اليهود: ما أنزل الله على بشر بعد موسى من شيء، قاله ابن عباس، وقوله تعالى: أن تقولوا مفعول من أجله، المعنى حذار أن تقولوا محتجين يوم القيامة: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم وقامت الحجة عليكم، والله على كل شيء قدير فهو الهادي والمضل والمنعم والمعذب لا رب غيره.

قوله عز وجل:

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٢٠ الى ٢٢]

وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (٢١) قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (٢٢)

المعنى واذكر لهم يا محمد على جهة إعلامهم بغير كتبهم ليتحققوا نبوتك وينتظم في ذلك نعم الله عليهم وتلقيهم تلك النعم بالكفر وقلة الطاعة والإنابة. وقرأ ابن محيصن «يا قوم» بالرفع وكذلك حيث وقع من القرآن. وروي ذلك عن ابن كثير، ونعمت الله هنا اسم الجنس، ثم عدد عيون تلك النعم، والأنبياء الذين جعل فيهم أمرهم مشهور من لدن إسرائيل إلى زمان عيسى عليه السلام والأنبياء حاطة ومنقذون من النار وشرف في الدنيا والآخرة. وقوله: وجعلكم ملوكا يحتمل معاني أحدها أن يعدد عليهم ملك من ملك من بني إسرائيل لأن الملوك شرف في الدنيا وحاطة من نوائبها، **والمعنى الآخر**: أن يريد استنقذكم من القبط الذين كانوا يستخدمونكم فصرتم أحرارا تملكون ولا تملكون، فهم ملوك بهذا الوجه وبنحو هذا فسر السدي وغيره. وقال قتادة إنما قال: وجعلكم ملوكا لأنا كنا نتحدث أنهم أول من خدمه أحد من بني آدم.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف لأن القبط كانوا يستخدمون بني إسرائيل. وظاهر أمر بني آدم أن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١/٤٠٠

بعضهم كان يسخر بعضا مذ تناسلوا وكثروا، وإنما اختلفت الأمم في معنى التملك فقط. وقال عبد الله ابن عمرو بن العاصي والحسن بن أبي الحسن وجماعة من أهل العلم من كان له مسكن وامرأة وخادم فهو ملك، وقيل من له مسكن لا يدخل عليه فيه إلا بإذن فهو ملك، وقوله تعالى: وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين قال فيه أبو مالك وسعيد بن جبير: الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ضعيف، وقال جمهور المفسرين الخطاب هو من موسى عليه السلام لقومه، ثم اختلف المفسرون ماذا الذي أوتوا ولم يؤت أحد مثله؟ فقال مجاهد، المن والسلوى والحجر والغمام، وقال غيره: كثرة الأنبياء.

قال القاضي أبو محمد: وعلى هذا في كثرة الأنبياء فالعالمون على العموم والإطلاق، وعلى القول بأن المؤتى هو آيات موسى فالعالمون مقيدون بالزمان الذي كانوا فيه، لأن أمة محمد قد أوتيت من آيات محمد عليه السلام أكثر من ذلك، قد ظلل رسول الله صلى ا الله عليه وسلم بغمامة قبل مبعثه، وكلمته الحجارة والبهائم، وأقبلت إليه الشجرة وحن الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه وشبع كثير من الناس من." (١)

"قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا تجيء الضمائر كلها للمؤمنين، وذكره المهدوي، وذكر عن الحسن أنه من حساب عملهم كما قال الجمهور، ومن الأولى للتبعيض والثانية زائدة مؤكدة، وقوله:

فتطردهم جواب النفي في قوله: ما عليك وقوله: فتكون جواب النهي في قوله: ما عليك وقوله: فتكون جواب النهي في قوله: ولا تطرد ومن الظالمين، معناه يضعون الشيء غير مواضعه وقوله تعالى: وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية فتنا معناه في هذه الآية: ابتلينا، فابتلاء المؤمنين بالمشركين هو ما يلقون منهم من الأذى، وابتلاء المشركين بالمؤمنين هو أن يرى الرجل الشريف من المشركين قوما لا شرف لهم قد عظمهم هذا الدين وجعل لهم عند نبيه قدرا ومنزلة، والإشارة بذلك إلى ما ذكر من طلبهم أن يطرد الضعفة وليقولوا معناه ليصير بحكم القدر أمرهم إلى أن يقولوا، فهي لام الصيرورة كما قال تعالى: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا [القصص: ٨] أي ليصير مثاله أن يكون لهم عدوا وقول المشركين على هذا التأويل أهؤلاء من الله عليهم من بيننا هو على جهة الاستخفاف والهزء ويحتمل الكلام **معنى آخر** وهو أن تكون اللام في ليقولوا على بابها في لام كي وتكون المقالة منهم استفهاما لأنفسهم ومباحثة لها وتكون سبب إيمان من سبق إيمانه منهم، فمعنى الآية على هذا التأويل وكذلك ابتلينا أشراف الكفار بضعفاء المؤمنين ليتعجبوا في نفوسهم من ذلك ويكون سبب نظر لمن هدي.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/١٧٣

قال القاضي أبو محمد: والتأويل الأول أسبق والثاني يتخرج، ومن على كلا التأويلين إنما هي على معتقد المؤمنين، أي هؤلاء من الله عليهم بزعمهم أن دينهم منة، وقوله أليس الله بأعلم بالشاكرين أي يا أيها المستخفون أو المتعجبون على التأويل الآخر ليس الأمر أمر استخفاف ولا تعجب، فالله أعلم بمن يشكر نعمته والمواضع التي ينبغي أن يوضع فيها فجاء إعلامهم بذلك في لفظ التقدير إذ ذلك بين لا تمكنهم فيه معاندة.

قوله عز وجل:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٥٤ الى ٥٥]

وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم (٥٤) وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين (٥٥)

قال جمهور المفسرين: الذين يراد بهم القوم الذين كان عرض طردهم فنهى الله عز وجل عن طردهم، وشفع ذلك بأن أمر بأن يسلم النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ويؤنسهم، وقال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد الذين يراد بهم القوم من المؤمنين الذين صوبوا رأي أبي طالب في طرد الضعفة فأمر الله نبيه أن يسلم عليهم ويعلمهم أن الله يغفر لهم مع توبتهم من ذلك السوء وغيره، وأسند الطبري عن ماهان أنه قال نزلت الآية في قوم من المؤمنين استفتوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذنوب سلفت منهم فنزلت الآية بسببهم.

قال القاضي أبو محمد: وهي على هذا تعم جميع المؤمنين دون أن تشير إلى فرقة، وقال الفضيل بن." (١)

"[سورة الأنعام (٦) : آية ٩٤]

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون (٩٤)

هذه حكاية عما يقال لهم بعد قبض أرواحهم، فإما عند خروجها من الأجساد وإما يوم القيامة كل ذلك محتمل، وفرادى معناه فردا فردا، والألف في آخره ألف تأنيث ومنه قول الشاعر [ابن مقبل] :

ترى النعرات الزرق تحت لبانه ... فرادى ومثنى أصعقتها صواهله

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٩٦/٢

وقرأ أبو حيوة «فرادى» منونا على وزن فعال وهي لغة تميم، وفرادى قيل هو جمع فرد بفتح الراء، وقيل جمع فرد بإسكان الراء والمقصد في الآية توقيف الكفار على انفرادهم وقلة النصير واحتياجهم إلى الله عز وجل بفقد الخول والشفعاء، فيكون قوله: كما خلقناكم أول مرة تشبيها بالانفراد الأول في وقت الخلقة، ويتوجه معنى آخر وهو أن يتضمن قوله: كما خلقناكم زيادة م‌ءان على الانفراد كأنه قال ولقد جئتمونا فرادى وبأحوال كذا، والإشارة على هذا بقوله كما هي إلى ما قاله النبي عليه السلام في صفة من يحشر أنهم يحشرون حفاة عراة غرلا، وخولناكم معناه أعطيناكم، وكان أبو عمرو بن العلاء ينشد بيت زهير:

[الطويل] :

هنالك إن يستخولوا المال يخولوا ... وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا

وراء ظهوركم إشارة إلى الدنيا لأنهم يتركون ذلك موجودا.

وقوله تعالى: وما نرى معكم شفعاءكم الآية، توقيف على الخطأ في عبادة الأصنام وتعظيمها، قال الطبري: وروي أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث لأنه قال سوف تشفع له اللات والعزى.

قال القاضي أبو محمد: ومن كان من العرب يعتقد أنها تشفع وتقرب إلى الله زلفى ويرى شركتها بهذا الوجه فمخاطبته بالآية متمكن وهكذا كان الأكثر، ومن كان منهم لا يقر بإله غيرها فليس هو في هذه الآية، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر، وحمزة «بينكم» بالرفع، وقرأ نافع والكساء «بينكم» بالنصب أما الرفع فعلى وجوه، أولاها أنه الظرف استعمل اسما وأسند إليه الفعل كما قد استعملوه، اسما في قوله تعالى: من بيننا وبينك حجاب [فصلت: ٥] وكقولهم فيما حكى سيبويه أحمر بن بين العينين، ورجح هذا القول أبو علي الفارسي، والوجه الآخر أن بعض المفسرين منهم الزهراوي والمهدوي وأبو الفتح وسواهم حكوا أن «البين» في اللغة يقال على الافتراق وعلى الوصل فكأنه قال لقد تقطع وصلكم.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا عندي اعتراض لأن ذلك لم يرو مسموعا عن العرب وإنما انتزع من الآية، والآية محتملة، قال الخليل في العين «والبين» الوصل.

لقوله عز وجل: لقد تقطع بينكم فعلل سوق اللفظة بالآية، والآية معرضة لغير ذلك، أما إن أبا الفتح قوى أن «البين» الوصل وقال: «وقد أتقن ذلك بعض المحدثين بقوله: قد أنصف البين من البين» .

والوجه الثالث من وجوه الرفع أن يكون «البين» على أصله في الفرقة من بان يبين إذا بعد، ويكون في قوله:

تقطع تجوز على نحو ما يقال في الأمر البعيد في المسافة تقطعت الفجاج بين كذا وكذا عبارة عن بعد." (١)

"ومنه قول الآخر: [الطويل]

ألا ليت أيام الشباب جديد ... وعصرا تولى يا بثين يعود

ومنه قوله تعالى: ولو ردوا لعادوا لما نهوا [الأنعام: ٢٨] ومنه قول الشاعر: [الطويل]

فإن تكن الأيام أحسن مرة ... إلي فقد عادت لهن ذنوب

والوجه الثاني أن تكون بمعنى صار وعاملة عملها ولا تتضمن أن الحال قد كانت متقدمة. ومن هذه قول الشاعر: [البسيط]

تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ومنه قول الآخر: [الرجز] وعاد رأسي كالثغامة ومنه قوله تعالى: حتى عاد كالعرجون القديم [يس: ٣٩] على أن هذه محتملة، فقوله في الآية أو لتعودن وشعيب عليه السلام لم يكن قط كافرا يقتضي أنها بمعنى صار، وأما في جهة المؤمنين بعد كفرهم فيترتب **المعنى الآخر** ويخرج عنه «شعيب» إلا أن يريدوا عودته إلى حال سكوته قبل أن يبعث، وقوله أولو كنا كارهين توقيف منه لهم على شنعة المعصية وطلب أن يقروا بألسنتهم بإكراه المؤمنين بالله على الإخراج ظلما وغشما.

والظاهر في قوله: قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم أنه خبر منه أي لقد كنا نواقع عظيما ونفتري على الله الكذب في الرجوع إلى الكفر، ويحتمل أن يكون على جهة القسم الذي هو في صيغة الدعاء، مثل قول الشاعر: بقيت وفري.

وكما تقول «افتريت على الله» إن كلمت فلانا، وافترينا معناه شققنا بالقول واختلفنا. ومنه قول عائشة: من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، ونجاة «شعيب» من ملتهم كانت منذ أول أمره، ونجاة من آمن معه كانت بعد مواقعة الكفر، وقوله: إلا أن يشاء الله يحتمل أن يريد إلا أن يسبق علينا من الله في ذلك سابق وسوء وينفذ منه قضاء لا يرد.

قال القاضي أبو محمد: والمؤمنون هم المجوزون لذلك وشعيب قد عصمته النبوة، وهذا أظهر ما يحتمل القول، ويحتمل أن يريد استثناء ما يمكن أن يتعبد الله به المؤمنين مما يفعله الكفار من القربات، فلما قال لهم: إنا لا نعود في ملتكم ثم خشي أن يتعبد الله بشيء من أفعال الكفرة فيعارض ملحد بذلك ويقول:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/ ٣٢٤

هذه عودة إلى ملتنا استثنى مشيئة الله تعالى فيما يمكن أن يتعبد به ويحتمل أن يريد بذلك معنى الاستبعاد كما تقول: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط، وقد علم امتناع ذلك فهو إحالة على مستحيل.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل إنما هو للمعتزلة الذين من مذهبهم أن الكفر والإيمان ليسا." (١)

"هذا تسليم من مؤمني السحرة، واتكال على الله، وثقة بما عنده.

وقرأ جمهور الناس «تنقم» بكسر القاف، وقرأ أبو حيوة وأبو البرهسم وابن أبي عبلة والحسن بن أبي الحسن «تنقم» بفتحها وهما لغتان، قال أبو حاتم: الوجه في القراءة كسر القاف، وكل العلماء أنشد بيت ابن الرقيات: ما نقموا من بني أمية، بفتح القاف ومعناه وما تعد علينا ذنبا وتؤاخذنا به؟ وقولهم أفرغ علينا صبرا معناه عمنا كما يعم الماء من أفرغ عليه، وهي هنا مستعارة، وقال ابن عباس: لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل، وحكى النقاش عن مقاتل أنه قال: مكث موسى بمصر بعد إيمان السحرة عاما أو نحوه يريهم الآيات.

وقول ملأ فرعون أتذر موسى وقومه مقالة تتضمن إغراء فرعون بموسى وقومه وتحريضه على قتلهم أو تغيير ما بهم حتى لا يكون لهم خروج عن دين فرعون، ومعنى أتذر موسى: أتترك، وقرأ جمهور الناس «ويذرك» بفتح الراء، ونصبه على معنيين: أحدهما أن يقدر «وأن يذرك» فهي واو الصرف فكأنهم قالوا أتذره، وأن يذرك أي أتتركه وتركك، **والمعنى الآخر** أن يعطف على قوله ليفسدوا وقرأ نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف عنه «ويذرك» بالرفع عطفا على قولهم أتذر، وقرأ الأشهب العقيلي «ويذرك» بإسكان الراء وهذا على التحقيق من يذرك، وقرأ أنس بن مالك «ويذرك» بالنون ورفع الفعل على معنى توعد منهم أو على معنى إخبار أن الأمر يؤول إلى هذا، وقرأ أبي بن كعب وعبد الله «في الأرض» وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك» ، قال أبو حاتم وقرأ الأعمش «وقد تركك وآلهتك» ، وقرأ السبعة وجمهور من العلماء «وآلهتك» على الجمع.

قال القاضي أبو محمد: وهذا على ما روي أن فرعون كان في زمنه للناس آلهة من بقر وأصنام وغير ذلك، وكان فرعون قد شرع ذلك وجعل نفسه الإله الأعلى، فقوله على هذا أنا ربكم الأعلى، إنما هو بمناسبة بينه وبين سواه من المعبودات.

وقيل: إن فرعون كان يعبد حجرا كان يعلقه في صدره كياقوتة أو نحوها، قال الحسن: كان لفرعون حنانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها، وقال سليمان التيمي: بلغني أنه كان يعبد البقر، ذكره أبو حاتم وقرأ ابن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤٢٨

عباس وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وأنس بن مالك وجماعة وغيرهم، وآلهتك أي وعبادتك والتذلل لك، وزعمت هذه الفرقة: أن فرعون لم يبح عبادة شيء سواه وأنه في قوله: الأعلى إنما أراد:

الأعظم والأكبر دون مناسبة، قال ابن عباس: كان فرعون يعبد ولا يعبد، وقرأ ابن كثير «سنقتل» بالتخفيف و «يقتلون» بالتشديد وخففهما جميعا نافع وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: «يقتلون» و «سنقتل» بالتشديد على المبالغة، والمعنى سنستمر على ما كنا عليه من تعذيبهم وقطعهم.

وقوله تعالى: وإنا فوقهم قاهرون يريد في المنزلة والتمكن من الدنيا، وقاهرون يقتضي تحقير أمرهم أي هم أقل من أن يهتم بهم.." (١)

"ممن بقي بمصر ولم يغرق؟ وذكر بعض الناس أن معنى الكلام فلما كشفنا عنهم الرجز المؤجل إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون، ومحصول هذا التأويل أن العذاب كان مؤجلا، والمعنى الأول أفصح لأنه تضمن توعدا ما وقرأ أبو البرهسم وأبو حيوة: «ينكثون» بكسر الكاف، والنكث نقض ما أبرم، ويستعمل في الأجسام وفي المعاني، وقرأ ابن محيصن ومجاهد وابن جبير «الرجز» بضم الراء في جميع القرآن، قال أبو حاتم: إلا أن ابن محيصن كسر حرفين «رجز الشيطان» «والرجز فاهجر» .

قال القاضي أبو محمد: رآهما **بمعنى آخر** بمثابة الرجز والنتن الذي يجب التطهر منه. واليم البحر، ومنه قول ذي الرمة:

ذوية ودجا ليل كأنهما ... يم تراطن في حافاته الروم

والباء في قوله: بأنهم باء التسبيب، ووصف الكفار بالغفلة وهم قد كذبوا وردوا في صدر الآيات من حيث غفلوا عما تتضمنه الآيات من الهدى والنجاة فعن ذلك غفلوا.

قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٣٧ الى ١٣٨]

وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (١٣٧) وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (١٣٨)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤٤١

قوله: الذين كانوا يستضعفون كناية عن بني إسرائيل لاستعباد فرعون لهم وغلبته عليهم، وقوله: مشارق الأرض ومغاربها قال الحسن وقتادة وغيرهما: يريد أرض الشام، وقال أبو جعفر النحاس: وقيل يراد أرض مصر وهو قول الحسن في كتاب النقاش، وقالت فرقة: يريد الأرض كلها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا يتجه إما على المجاز لأنه ملكهم بلادا كثيرة، وإما على الحقيقة في أنه ملك ذريتهم وهو سليمان بن داود ولكن الذي يليق بمعنى الآية وروي فيها هو أنه ملك أبناء المستضعفين بأعيانهم مشارق الأرض ومغاربها لا سيما بوصفه الأرض بأنها التي بارك فيها ولا يتصف بهذه الصفة وينفرد بها أكثر من غيرها إلا أرض الشام لما بها من الماء والشجر والنعم والفوائد، وحكى الطبري عن قائل لم يسمه وذكر الزهراوي أنه الفراء: أن مشارق الأرض ومغاربها نصب على الظرف أي يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها، وأن قوله: التي باركنا فيها معمول ل أورثنا، وضعفه الطبري، وكذلك هو قول غير متجه، والتي في موضع خفض نعت ل الأرض، ويجوز أن يكون في موضع نصب نعت لمشارق ومغارب، وقوله: وتمت كلمت ربك الحسنى أي ما سبق لهم في علمه وكلامه في الأزل من النجاة من عدوهم والظهور عليه، قاله مجاهد، وقال المهدوي: وهي قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض [القصص: ٥] وقيل هي قوله: عسى ربكم أن يهلك عدوكم." (١)

"بأحسنها يحتمل معنيين أحدهما التفضيل كأنه قال: إذا اعترض فيها مباحان فيأخذون الأحسن منهما كالعفو والقصاص، والصبر والانتصار.

قال القاضي أبو محمد: هذا على القول إن أفعل في التفضيل لا يقال إلا لما لهما اشتراك في المفضل فيه وأما على القول الآخر فقد يراد بالأحسن المأمور به بالإضافة للمنهي عنه لأنه أحسن منه، وكذلك الناسخ بالإضافة إلى المنسوخ ونحو هذا، وذهب إلى هذا المعنى الطبري.

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد هذا التأويل أنه تدخل فيه الفرائض وهي لا تدخل في التأويل الأول، وقد يمكن أن يتصور اشتراك في حسن من المأمور به والمنهي عنه ولو بحسب الملاذ وشهوات النفس الأمارة، **والمعنى الآخر** الذي يحتمله قوله: بأحسنها أن يريد بأحسن وصف الشريعة بجملتها، فكأنه قال: قد جعلنا لكم شريعة هي أحسن كما تقول: الله أكبر دون مقايسة ثم قال: فمرهم يأخذوا بأحسنها الذي شرعناه لهم، وفي هذا التأويل اعتراضات، وقرأ جمهور الناس «سأوريكم» ، وقرأ الحسن بن أبي الحسن «سأوريكم» قال أبو الفتح ظاهر هذه القراءة مردود وهو أبو سعيد المأثور فصاحته فوجهها أن المراد أريكم ثم أشبعت ضمة

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤٤٦

الهمزة ومطلت حتى نشأت عنها واو، ويحسن احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فمكن الصوت فيه.

وقرأ قسامة بن زهير «سأورثكم» قاله أبو حاتم، ونسبها المهدوي إلى ابن عباس، وثبتت الواو في خط المصحف فلذلك أشكل هذا الاختلاف مع أنا لا نتأول إلا أنها مرويات فأما من قرأها «سأوريكم» فالمعنى عنده سأعرض عليكم وأجعلكم تخشون لتعتبروا حال دار الفاسقين، والرؤية هنا رؤية العين إلا أن المعنى يتضمن الوعد للمؤمنين والوعيد للفاسقين ويدل على أنها رؤية العين تعدى فعلها وقد عدي بالهمزة إلى مفعولين، ولو كان من رؤية القلب لتعدى بالهمزة إلى ثلاثة مفاعيل، ولو قال قائل: المفعول الثالث يتضمنه المعنى فهو مقدر أي مدمرة أو خربة مسعرة على قول من قال: هي جهنم، قيل له: ولا يجوز حذف هذا المفعول والاقتصار دونه أنها داخلة على الابتداء والخبر ولو جوز لكان على قبح في اللسان لا يليق بكتاب الله عز وجل، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومقاتل وقتادة في كتاب النقاش دار الفاسقين مصر والمراد آل فرعون، وقال قتادة أيضا: «دار الفاسقين» الشام والمراد العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم، وقال مجاهد والحسن: «دار الفاسقين» جهنم والمراد الكفرة بموسى عامة، وقال النقاش عن الكلبي: دار الفاسقين دور ثمود وعاد والأمم الخالية: أي سنقصها عليكم فترونها.

قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٤٦ الى ١٤٧]

سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (١٤٦) والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (١٤٧)." (١)

"مع ألفاظ الآية، وقد أكثر الناس في روم الجمع بينهما فقال قوم: إن الآية مشيرة إلى هذا التناسل الذي في الدنيا، وأخذ بمعنى أوجد على المعهود وأن الإشهاد هو عند بلوغ المكلف وهو قد أعطي الفهم ونصبت له هذه الصنعة الدالة على الصانع، ونحا إلى هذا المعنى الزجاج، وهو معنى تحتمله الألفاظ لكن يرد عليه تفسير عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما الآية بالحديث المذكور، وروايتهما ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٥٣/٢

وطول الجرجاني في هذه المسألة ومدار كلامه على أن المسح وإخراج الذرية من أظهر آدم حسب الحديث، وقيل في الآية أخذ من ظهورهم إذ الإخراج من ظهر آدم الذي هو الأصل إخراج من ظهور بنيه الذين هم الفرع إذ الفرع والأصل شيء واحد، إلى كلام كثير لا يثبت للنقد، وقال غيره: إن جميع ما في الحديث من مسح بيمينه وضرب منكبه ونحو هذا إنما هي عبارة عن إيجاد ذلك النسم منه، و «اليمين» عبارة عن القدرة أو يكون الماسح ملكا بأمر الله عز وجل فتضمن الحديث صدر القصة وإيجاد النسم من آدم، وهذه زيادة على ما في الآية، ثم تضمنت الآية ما جرى بعد هذا من أخذ العهد، والنسم حضور موجودون هي تحتمل معنيين أحدهما أن يكون أخذ عاملا في عهد أو ميثاق تقدره بعد قوله ذريتهم ويكون قوله من ظهورهم لبيان جنس النبوة إذ المراد من الجميع التناسل ويشركه في لفظة بني آدم بنوه لصلبه وبنوه بالحنان والشفقة ويكون قوله: من ذريتهم بدلا من بني آدم، **والمعنى الآخر** أنه لما كانت كل نسمة هنالك لها نسبة إلى التي هي من ظهرها كأن تعيين تلك النسبة أخذ من الظهر إذ ستخرج منه فهي المستأنف فالمعنى وإذ عينوا بهذه النسبة وعرفوا بها فذلك أخذ ما وأخذ على هذا عامل في ذريتهم وليس بمعنى مسح وأوجد بل قد تقدم إيجادهم كما تقدم الحديث المذكور، فالحديث يزيد معنى على الآية وهو ذكر آدم وأول إيجاد النسم كيف كان.

وقال الطرطوشي إن هذا العهد يلزم البشر وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة كما يلزم الطلاق من شهد عليه به وهو قد نسيه إلى غير هذا مما ليس بتفسير ولا من طريقه.

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر: «ذرياتهم» جمع جمع وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي: «ذريتهم» والإفراد هنا جمع وقد تقدم القول على لفظ الذرية في سورة آل عمران.

وروي في قصص هذه الآية: أن الأنبياء عليهم السلام كانوا بين تلك النسم أمثال السرج وأن آدم عليه السلام رأى داود فأعجبه فقال: من هذا؟ فقيل: نبي من ذريتك فقال: كم عمره؟ فقيل ستون سنة، فقال زيدوه من عمري أربعين سنة فزيدت قال: وكان عمر آدم ألفا فلما أكمل تسعمائة وستين جاء ملك الموت فقال له آدم بقي لي أربعون سنة فرجع ملك الموت إلى ربه فأخبره فقال له قل له إنك أعطيتها لابنك داود فتوفي عليه السلام بعد أن خاصم في الأربعين، قال الضحاك بن مزاحم: من مات صغيرا فهو على العهد الأول ومن بلغ فقد أخذه العهد الثاني يعني الذي في هذه الحياة المعقولة الآن، وحكى الزجاج عن قوم أنهم قالوا

إن هذه الآية عبارة عن أن كل نسمة إذا ولدت وبلغت فنظرها في الأدلة المنصوبة عهد عليها في أن تؤمن وتعرف الله، وقد تقدم ذكر هذا القول وهو قول ضعيف منكب عن الأحاديث المأثورة مطرح لها.." (١)

"فاتقوا الله معناها في الكلام، اجعل بينك وبين المحذور وقاية، وقوله وأصلحوا ذات بينكم تصريح بأنه شجر بينهم اختلاف ومالت النفوس إلى التشاح، وذات في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته، والذي يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات وذات ذلك هي المأمور بإصلاحها أي نفسه وعينه، فحض الله عز وجل على إصلاح تلك الأجزاء فإذا صلحت تلك حصل إصلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم، وقد تستعمل لفظة الذات على أنها لزيمة ما تضاف إليه وإن لم تكن عينه ونفسه، وذلك في قوله: عليم بذات الصدور [الأنفال: ٤٣] وذات الشوكة [الأنفال: ٧] فإنها هاهنا مؤنثة قولهم: الذئب مغبوط بذي بطنه، وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه إنما هو ذو بطن بنت خارجة، ويحتمل ذات البين أن تكون هذه، وقد تقال الذات أيضا **بمعنى آخر** وإن كان يقرب من هذا، وهو قولهم فعلت كذا ذات يوم، ومنه قول الشاعر: [البسيط] .

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... ذات العشاء ولا تسري أفاعيها

وذكر الطبري عن بعضهم أنه قال: ذات بينكم الحال التي لبينكم كما ذات العشاء الساعة التي فيها العشاء.

قال القاضي أبو محمد: ورجحه الطبري وهو قول بين الانتقاض، وقال الزجاج البين هاهنا الوصل، ومثله قوله عز وجل: لقد تقطع بينكم [الأنعام: ٩٤] .

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا كله نظر، وقوله وأطيعوا الله ورسوله لفظ عام وسببه الأمر بالوقوف عند ما ينفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنائم، وقوله: إن كنتم مؤمنين أي كاملي الإيمان كما تقول لرجل إن كنت رجلا فافعل كذا أي إن كنت كامل الرجولة وجواب الشرط في قوله المتقدم وأطيعوا هذا عند سيبويه، ومذهب أبي العباس أن الجواب محذوف متأخر يدل عليه المتقدم تقديره إن كنتم مؤمنين أطيعوا، ومذهبه في هذا أن لا يتقدم الجواب الشرط.

قوله عز وجل:

[سورة الأنفال (٨) : الآيات ٢ الى 4]

إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون (٢)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤٧٥

الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (٤)

إنما لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع، ويصلح مع ذلك للحصر، فإذا دخل في قصة وساعد معناها على الانحصار صح ذلك وترتب كقوله أنما إلهكم إله واحد [الأنبياء: ١٠٨، فصلت: ٦] وغير ذلك من الأمثلة، وإذا كانت القصة لا تتأتى للانحصار بقيت «إنما» للمبالغة والتأكيد فقط، كقوله عليه السلام «إنما الربا في النسيئة» ، وكقوله «إنما الشجاع عنترة» ، وأما من قال «إنما» ، هي لبيان الموصوف فهي عبارة فاترة إذ بيان الموصوف يكون في مجرد الإخبار دون «إنما» ، وقوله هاهنا إنما." (١)

"وقوله إن كانوا مؤمنين أي على قولهم ودعواهم، وقوله ألم يعلموا الآية، قوله ألم تقرير ووعيد، وفي مصحف أبي بن كعب «ألم تعلم» على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو وعيد لهم، وقرأ الأعرج والحسن «ألم تعلموا» بالتاء، ويحادد معناه يخالف ويشاق، وهو أن يعطي هذا حده وهذا حده لهذا، وقال الزجاج: هو أن يكون هذا في حد وهذا في حد، وقوله فأن مذهب سيبويه أنها بدل من الأولى وهذا معترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى، والأولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد إذ لم يتم جواب الشرط، وتلك الجملة هي الخبر، وأيضا فإن الفاء تمانع البدل، وأيضا فهي في **معنى آخر** غير الأول فيقلق البدل، وإذا تلطف للبدل فهو بدل الاشتمال وقال غير سيبويه: هي مجردة لتأكيد الأولى وقالت فرقة من النحاة: هي في موضع خبر ابتداء تقديره فواجب أن له، وقيل المعنى فله أن له، وقالت فرقة:

هي ابتداء والخبر مضمر تقديره فإن له نار جهنم واجب، وهذا مردود لأن الابتداء ب «أن» لا يجوز مع إضمار الخبر، قاله المبرد: وحكي عن أبي علي الفارسي قول يقرب معناه من معنى القول الثالث من هذه التي ذكرنا لا أقف الآن على لفظه، وجميع القراء على فتح «أن» الثانية، وحكى الطبري عن بعض نحويي البصرة أنه اختار في قراءتها كسر الألف، وذكر أبو عمرو الداني أنها قراءة ابن أبي عبلة، ووجهه في العربية قوي لأن الفاء تقتضي القطع والاستئناف ولأنه يصلح في موضعها الاسم ويصلح الفعل وإذا كانت كذلك وجب كسرها.

قوله عز وجل:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٦٤ الى ٦٦]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٥٠٠

يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون (٦٤) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (٦٥) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين (٦٦)
قوله، يحذر خبر عن حال قلوبهم، وحذرهم إنما هو أن تتلى سورة ومعتقدهم هل تنزل أم لا ليس بنص في الآية لكنه ظاهر، فإن حمل على مقتضى نفاقهم واعتقادهم أن ذلك ليس من عند الله فوجه بين، وإن قيل إنهم يعتقدون نزول ذلك من عند الله وهم ينافقون مع ذلك فهذا كفر عناد، وقال الزجاج وبعض من ذهب إلى التحرز من هذا الاحتمال: معنى يحذر الأمر وإن كان لفظه لفظ الخبر كأنه يقول «ليحذر» ، وقرأ أبو عمرو وجماعة معه «أن تنزل» ، ساكنة النون خفيفة الزاي، وقرأ بفتح النون مشددة الزاي الحسن والأعرج وعاصم والأعمش، وأن من قوله أن تنزل، مذهب سيبويه أن، يحذر عامل فهي مفعوله، وقال غيره حذر إنما هي من هيئات النفس التي لا تتعدى مثل فزع وإنما التقدير يحذر المنافقون من أن تنزل عليهم سورة، وقوله قل استهزؤا لفظه الأمر ومعناه التهديد، ثم ابتدأ الإخبار عن أنه يخرج لهم إلى حيز الوجود ما يحذرونه، وفعل ذلك تبارك وتعالى في سورة براءة فهي تسمى الفاضحة لأنها فضحت المنافقين، وقال الطبري: كان المنافقون إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا شيئا من أمره قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فنزلت الآية في ذلك.." (١)

"الإعراض عن المعاني، يقول: فأنا لم أسألكم أجرا على ذلك ولا مالا، فيقع منكم قطع بي وتقصير بإرادتي، وإنما أجري على الذي بعثني، وقرأ نافع وأبو عمرو بخلاف عنه: «أجري» بسكون الياء، وقرأ «أجري» بفتح الياء الأعرج وطلحة بن مصرف وعيسى وأبو عمرو، وقال أبو حاتم: هما لغتان، والقراءة بالإسكان في كل القرآن، ثم أخبرهم بأن الله أمره بالإسلام والدين الحنيفي الذي هو توحيد الله والعمل بطاعته والإعداد للقائه، وقوله فكذبوه الآية، إخبار من الله عز وجل عن حال قوم نوح المكذبين له، وفي ضمن ذلك الإخبار توعد للكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم وضرب المثال لهم، أي أنتم بحال هؤلاء من التكذيب فسيكونون بحالهم من النقمة والتعذيب، والفلك: السفينة، والمفسرون وأهل الآثار مجمعون على أن سفينة نوح كانت واحدة، والفلك لفظ الواحد منه ولفظ الجمع مستو وليس به وقد مضى شرح هذا في الأعراف، وخلائف حمع خليفة. وقوله فانظر مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم يشاركه في معناها جميع الخلق، وفي هذه الآية أنه أغرق جميع من كذب بآيات الله التي جاء بها نوح، وهي مقتضية أيضا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٤/٣

أنه أنذرهم فكانوا منذرين، فلو كانوا جميع أهل الأرض كما قال بعض الناس لاستوى نوح ومحمد صلى الله عليه وسلم في البعث إلى أهل الأرض، ويرد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي» الحديث. ويترجح بهذا النظر أن بعثة نوح والغرق إنما كان في أهل صقع لا في أهل جميع الأرض.

قوله عز وجل:

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٧٤ الى ٧٥]

ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين (٧٤) ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (٧٥)

الضمير في قوله من بعده عائد على نوح عليه السلام والضمير في قومهم عائد على الرسل، ومعنى هذه الآيات كلها ضرب المثل لحاضري محمد صلى الله عليه وسلم، أي كما حل بهؤلاء يحل بكم، و «البينات» المعجزات والبراهين الواضحة، والضمير في قوله كانوا وفي ليؤمنوا عائد على قوم الرسل، والضمير في كانوا عائد على قوم نوح، وهذا قول بعض المتأولين، وقال بعضهم: بل تعود الثلاثة على قوم الرسل على معنى أنهم بادروا رسلهم بالتكذيب كلما جاء رسول ثم لجوا في الكفر وتمادوا فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم، وقال يحيى بن سلام من قبل، معناه من قبل العذاب.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا القول بعد، ويحتمل اللفظ عندي **معنى آخر** وهو أن تكون «ما» مصدرية والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل أي من سببه ومن جراه، ويؤيد هذا التأويل قوله كذلك نطبع، وقال بعض العلماء: عقوبة التكذيب الطبع على القلوب، وقرأ جمهور الناس: «نطبع» بالنون، وقرأ العباس بن الفضل: «يطبع» بالياء، وقوله كذلك أي هذا فعلنا بهؤلاء، ثم ابتدأ كذلك نطبع أي كفعلنا هذا والمعتدين هم الذين تجاوزوا طورهم." (١)

"قرأ الجمهور: «تولوا» بفتح اللام والتاء على معنى تتولوا، وقرأ عيسى الثقفي والأعرج: «تولوا» بضم التاء واللام، و «إن» شرط، والجواب في الفاء وما بعدها من قوله فقد أبلغتكم، والمعنى أنه ما علي كبير هم منكم إن توليتم فقد برئت ساحتي بالتبليغ، وأنتم أصحاب الذنب في الإعراض عن الإيمان.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٣٣/٣

ويحتمل أن يكون تولوا فعلا ماضيا، ويجيء في الكلام رجوع من غيبة إلى خطاب، أي فقل: قد أبلغكم. وقرأ جمهور «ويستخلف» بضم الفاء على معنى الخبر بذلك، وقرأ عاصم- فيما روى هبيرة عن حفص عنه- «ويستخلف» بالجزم عطفا على موضع الفاء من قوله فقد.

وقوله: ولا تضرونه شيئا يحتمل من المعنى وجهين:

أحدهما ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيئا أي لا ينتقص ملكه، ولا يختل أمره، وعلى هذا المعنى قرأ عبد الله بن مسعود: «ولا تنقصونه شيئا» .

والمعنى الآخر: ولا تضرونه أي ولا تقدرون إذا أهلككم على إضراره بشيء ولا على الانتصار منه ولا تقابلون فعله بكم بشيء يضره. ثم أخبرهم أن ربه حفيظ على كل شيء عالم به، وفي ترديد هذه الصفات ونحوها تنبيه وتذكير، و «الأمر» واحد الأمور، ويحتمل أن يكون مصدر أمر يأمر، أي أمرنا للريح أو لخزنتها ونحو ذلك، وقوله برحمة، إما أن يكون إخبارا مجردا عن رحمة من الله لحقتهم، وإما أن يكون قصدا إلى الإعلام أن النجاة إنما كملت بمجرد رحمة الله لا بأعماله فتكون الآية- على هذا- في معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل أحد الجنة بعمله» . قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمته» .

وقوله ونجيناهم من عذاب غليظ يحتمل أن يريد: عذاب الآخرة، ويحتمل أن يريد: وكانت النجاة المتقدمة من عذاب غليظ يريد الريح، فيكون المقصود على هذا، تعديد النعمة ومشهور عذابهم بالريح هو أنها كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفها وتحمل الظعينة كما هي ونحو هذا. وحكى الزجاج أنها كانت تدخل في أبدانهم وتخرج من أدبارهم وتقطعهم عضوا عضوا. وتعدى جحدوا بحرف جر لما نزل منزلة كفروا، وانعكس ذلك في الآية بعد هذا، وقوله: وعصوا رسله، شنعة عليهم وذلك أن في تكذيب رسول واحد تكذيب سائر الرسل وعصيانهم، إذ النبوات كلها مجمعة على الإيمان بالله والإقرار بربوبيته: ويحتمل أن يراد هود. وآدم، ونوح و «العنيد» : فعيل من «عند» إذا عتا. ومنه قول الشاعر:

[الرجز] .

إني كبير لا أطيق العندا أي الصعاب من الإبل، وكان التجبر والعناد من خلق عاد لقوتهم، وقوله وأتبعوا في هذه الدنيا." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٨٢/٣

"بظلمهم في كفرهم ومعاصيهم لكان ذلك العقاب يهلك منه جميع ما يدب على الأرض من حيوان فكأنه بالقحوط أو بأمر يصيبهم من الله تعالى، وعلى هذا التأويل قال بعض العلماء: كاد الجعل أن يهلك بذنوب بني آدم، ذكره الطبري، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى ليهزل الحوت في الماء والطير في الهواء بذنوب العصاة» ، وسمع أبو هريرة رجلا يقول: إن الظالم لا يهلك إلا نفسه، فقال أبو هريرة: بلى إن الله ليهلك الحبارى في وكرها هزلا بذنوب الظلمة، وقد نطقت الشريعة في أخبارها بأن الله تعالى أهلك الأمم بريها وعاصيها بذنوب العصاة منهم، وقالت فرقة: قوله: من دابة، يريد من أولئك الظلمة فقط، ويدل على هذا التخصيص، أن الله لا يعاقب أحدا بذنب أحد، واحتجت بقول الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى [الأنعام: ١٦٤] وهذا معنى آخر، وذلك أن الله تعالى لا يجعل العقوبة تقصد أحدا بسبب إذناب غيره، ولكن إذا أرسل عذابا على أمة عاصية، لم يمكن البري التخليص من ذلك العذاب، فأصابه العذاب لا بأنه له مجازاة، ونحو هذا قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة [الأنفال: ٢٥] وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال «نعم إذا كثر الخبث» ، ثم لا بد من تعلق ظلم ما بالأبرياء، وذلك بترك التغيير ومداهنة أهل الظلم ومداومة جوارهم، و «الأجل المسمى» في هذه الآية هو بحسب شخص شخص، وفي معنى الآية مع أمائرها اختصار وإيجاز، وقوله ما يكرهون يريد البنات، وما في هذا الموضع تقع لمن يعقل من حيث هو صنف وقرأ الحسن «ألسنتهم الكذب» بسكون النون كراهية توالي الحركات، وقرأ الجمهور «الكذب» بكسر الذال، ف أن بدل منه، وقرأ معاذ بن جبل وبعض أهل الشام «الكذب» بضم الكاف والذال والباء على صفة الألسنة، وأن لهم مفعول ب تصف، والحسنى قال مجاهد وقتادة: الذكور من الأولاد، وهو الأسبق من معنى الآية، وقالت فرقة يريد الجنة.

قال القاضي أبو محمد: ويؤيد هذا قوله لا جرم أن لهم النار ومعنى الآية على هذا التأويل يجعلون لله المكروه ويدعون مع ذلك أنهم يدخلون الجنة، كما تقول لرجل أنت تعصي الله، وتقول مع ذلك أنت تنجو، أي هذا بعيد مع هذا، ثم حكم عليهم بعد ذلك بالنار، وقد تقدم القول في لا جرم، وقرأ الجمهور «أن لهم» بفتح الهمزة، وإعرابها بحسب تقدير جرم، فمن قدرها بكسب فعلهم فهو نصب، ومن قدرها يوجب فهو رفع، وقرأ الحسن وعيسى بن عمران «إن لهم» بكسر الهمزة وقرأ السبعة سوى نافع «مفرطون» بفتح الراء وخفتها، ومعناه مقدمون إلى النار والعذاب، وهي قراءة الحسن والأعرج وأصحاب ابن عباس، وقد رويت عن نافع، وهو مأخوذ من فرط الماء وهم القوم الذين يتقدمون إلى المياه لإصلاح الدلاء والأرشية، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم «أنا فرطكم على الحوض» ومنه قول القطامي:

و ا ستعجلونا وكانوا من صحابتنا ... كما تعجل فراط لوراد

وقالت فرقة: مفرطون معناه مخلفون متركون في النار منسيون فيها، قاله سعيد بن جبير ومجاهد وابن أبي هند، وقال آخرون مفرطون معناه مبعدون في النار، وهذا قريب من الذي قبله، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع «مفرطون» بكسر الراء وتشديدها وفتح الفاء، ومعناه مقصرون في طاعة الله تعالى، وقد." (١)

"فهذا هو المرح، فنهي الإنسان في هذه الآية أن يكون مشيه في الأرض على هذا الوجه، ثم قيل له إنك لن تقطع الأرض وتمسحها بمشيك، ولن تبلغ أطوال الجبال فتنالها طولا، فإذا كنت لا تستوي في الأرض بمشيك فقصرك نفسك على ما يوجبه الحق من المشي والتصرف أولى وأحق، وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية والمراد الناس كلهم.

قال القاضي أبو محمد: وإقبال الناس على الصيد ونحوه تنزها دون حاجة إلى ذلك داخل في هذه الآية، وأما الرجل يستريح في اليوم النادر أو الساعة من يومه يجم بها نفسه في التفرج والراحة ليستعين بذلك على شغل من البر كقراءة علم أو صلاة، فليس ذلك بداخل في هذه الآية، وقرأت فرقة فيما حكى يعقوب «مرحا» بكسر الراء على بناء اسم الفاعل، وهذا المعنى يترتب على هذه القراءة، ولكن يحسن معها **معنى آخر** ذكره الطبري مع القراءة الأولى وهو بهذه القراءة أليق، وهو أن قوله لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا أراد به أنك أيها المرح المختال الفخور لا تخرق الأرض ولا تطاول الجبال بفخرك وكبرك، وذهب بالألفاظ إلى هذا المعنى، ويحسن ذلك مع القراءة بكسر الراء من المرح، لأن الإنسان نهي حينئذ عن التخلق بالمرح في كل أوقاته، إذ المشي في الأرض لا يفارقه، فلم ينه إلا عن يكون مرحا، وعلى القراءة الأخرى إنما نهي من ليس بمرح عن أن يمشي في بعض أوقاته مرحا فيترتب في «المرح» بكسر الراء أن يؤخذ بمعنى المتكبر المختال، وخرق الأرض قطعها، والخرق الواسع من الأرض ومنه قول الشاعر: [المتقارب]

وخرق تجاوزت مجهوله ... بوجناء خرق تشكى الكلالا

ويقال لثقب الأرض، وليس هذا المعنى في الآية، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق وقرأ الجراح الأعرابي «تخرق» بضم الراء، وقال أبو حاتم: لا تعرف هذه اللغة، وقوله تعالى: كل ذلك كان سيئه الآية، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وأبو جعفر والأعرج «سيئة» ، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي والحسن ومسروق «سيئه» على إضافة سيىء إلى الضمير، والإشارة

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٠٣/٣

على القراءة الأولى إلى ما تقدم ذكره مما نهي عنه كقول أف وقذف الناس والمرح وغير ذلك، والإشارة على القراءة الثانية إلى جميع ما ذكر في هذه الآيات من بر ومعصية، ثم اختص ذكر السيء منه بأنه مكروه عند الله تعالى، فأما من قرأ «سيئه» بالإضافة إلى الضمير فإعراب قراءته بين: وسيىء اسم كان ومكروها خبرها، وأما من قرأ «سيئة» فهي الخبر ل كان، واختلف الناس في إعراب قوله مكروها، فقالت فرقة هو خبر ثان ل كان حمله على لفظ كل، و «سيئة» محمول على المعنى في جميع هذه الأشياء المذكورة قبل، وقال بعضهم هو نعت ل سيئه لأنه لما كان تأنيثها غير حقيقي جاز أن توصف بمذكر.

قال القاضي أبو محمد: وضعف أبو علي الفارسي هذا، وقال إن المؤنث إذا ذكر فإنما ينبغي أن يكون ما بعده وفقه، وإنما التساهل أن يتقدم الفعل المسند إلى المؤنث وهو في صيغة ما يسند إلى المذكر ألا ترى أن قول الشاعر: [المتقارب]." (١)

"الآية في التوراة ذكر فيه ألف شيء مما يسبح سبحت له السماوات، سبحت له الأرض، سبح كذا، سبح كذا، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر: «يسبح له» بالياء، وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي «تسبح» بالتاء، والقراءتان حسنتان، وقرأ عبد الله بن مسعود وطلحة والأعمش «سبحت له السماوات» ، وقوله إنه كان حليما غفورا فيه تنبيه على إملائه لهم وصفحه عنهم في الدنيا وإمهاله لهم مع شنيع هذه المقالة، أي تقولون قولا ينزهه عنه كل شيء من المخلوقات، إنه كان حليما غفورا فلذلك أمهلكم.

قوله عز وجل:

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٤٥ الى ٤٧]

وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا (٤٥) وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا (٤٦) نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا (٤٧)

هذه الآية تحتمل معنيين: أحدهما أن الله تعالى أخبر نبيه أنه يحميه من الكفرة أهل مكة الذي كانوا يؤذونه في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد ويريدون مد اليد إليه، وأحوالهم في هذا المعنى مشهورة مروية، **والمعنى الآخر** أنه أعلمه أنه يجعل بين الكفرة وبين فهم ما يقرأه محمد عليه السلام حجابا، فالآية على

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٥٧/٣

هذا التأويل في معنى التي بعدها، وعلى التأويل الأول هما آيتان لمعنيين، وقوله مستورا أظهر ما فيه أن يكون نعتا للحجاب، أي مستورا عن أعين الخلق لا يدركه أحد برؤية كسائر الحجب، وإنما هو من قدرة الله وكفايته وإضلاله بحسب التأويلين المذكورين، وقيل التقدير مستورا به على حذف العائد وقال الأخفش مستورا بمعنى ساتر كمشؤوم وميمون فإنهما بمعنى شائم ويأمن.

قال القاضي أبو محمد: وهذا لغير داعية إليه، تكلف، وليس مثاله بمسلم، وقيل ه و على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر، وهذا معترض بأن المبالغة أبدا إنما تكون باسم الفاعل ومن اللفظ الأول، فلو قال حجابا حاجبا لكان التنظير صحيحا، وقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة الآية، الأكنة جمع كنان، وهو ما غطى الشيء، ومنه كنانة النبل، و «الوقر» الثقل في الأذن المانع من السمع، وهذه كلها استعارات للإضلال الذي حفهم الله به، فعبر عن كثرة ذلك وعظمه بأنهم بمثابة من غطى قلبه وصمت أذنه، وقوله وإذا ذكرت الآية، يريد إذا جاءت مواضع التوحيد في القرآن أثناء قراءتك فر كفار مكة من سماع ذلك إنكارا له واستبشاعا، إذ فيه رفض آلهتهم واطراحها، وقال بعض العلماء: إن ملأ قريش دخلوا على أبي طالب يزورونه فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ ومر بالتوحيد، ثم قال «يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم» ، فولوا ونفروا، فنزلت الآية، وأن تكون الآية وصف حال الفارين عنه في وقت توحيده في قراءته أبين وأجرى مع اللفظ، وقوله نفورا يصح أن يكون مصدرا في موضع الحال، ويصح أن يكون جمع نافر كشاهد وشهود، لأن فعولا من أبنية فاعل في." (١)

"في قراءة ابن مسعود وأبي «فرقناه عليه لتقرأه» أي أنزلناه شيئا بعد الشيء لا جملة واحدة ويتناسق هذا المعنى مع قوله لتقرأه على الناس على مكث، وهذا كان مما أراد الله من نزوله بأسباب تقع في الأرض من أقوال وأفعال في أزمان محدودة معينة، واختلف أهل العلم في كم القرآن من المدة؟ فقيل: في خمس وعشرين سنة، وقال ابن عباس: في ثلاث وعشرين سنة، وقال قتادة في عشرين سنة، وهذا بحسب الخلاف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الوحي بدأ وهو ابن أربعين، وتم بموته، وحكى الطبري عن الحسن البصري أنه قال: نزل القرآن في ثمان عشرة سنة، وهذا قول يختل لا يصح عن الحسن والله أعلم، وتأولت فرقة قوله عز وجل على مكث

أي على ترسل في التلاوة، وهو ترتيل، هذا قول مجاهد وابن عباس وابن جريج وابن زيد، والتأويل الآخر أي على مكث وتطاول في المدة شيئا بعد شيء، وقوله ونزلناه تنزيلا مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٤٦٠

ذكره في ألفاظ الآية، وأجمع القراء على ضم الميم من مكث، ويقال مكث ومكث بفتح الميم ومكث بكسرها، وقوله قل آمنوا به الآية تحقير للكفار، وفي ضمنه ضرب من التوعد، والمعنى أنكم لستم بحجة، فسواء علينا آمنتم أم كفرتم، وإنما ضر ذلك على أنفسكم، وإنما الحجة أهل العلم من قبله وهم بالصفة المذكورة، واختلف الناس في المراد ب الذين أوتوا العلم من قبله، فقالت فرقة: هم مؤمنو أهل الكتاب وقالت فرقة: هم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ومن جرى مجراهما.

وقيل إن جماعة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذاكروا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه، وقرئ عليهم منه شيء فخشعوا وسبحوا لله، وقالوا هذا وقت نبوة المذكور في التوراة، وهذه صفته، ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا إلى الإسلام هذا الجنوح، فنزلت الآية فيهم، وقالت فرقة: المراد ب الذين أوتوا العلم من قبله محمد صلى الله عليه وسلم، والضمير في قبله عائد على القرآن حسب الضمير في به، ويبين ذلك قوله إذا يتلى، وقيل الضميران لمحمد. واستأنف ذكر القرآن في قوله إذا يتلى، وقوله للأذقان أي لناحيتها، وهذا كما تقول تساقط لليد والفم أي لناحيتهما، وعليهما قال ابن عباس: المعنى للوجوه، وقال الحسن: المعنى للحى، و «الأذقان» أسافل الوجوه حيث يجتمع اللحيان، وهي أقرب ما في رأس الإنسان إلى الأرض، لا سيما عند سجوده، وقال الشاعر: [الطويل]

فخروا لأذقان الوجوه تنوشهم ... سباع من الطير العوادي وتنتف

وإن في قوله إن كان هي عند سيبويه المخففة من الثقيلة، واللام بعدها لام التوكيد، وهي عند الفراء النافية، واللام بمعنى إلا، ويتوجه في هذه الآية **معنى آخر** وهو أن يكون قوله آمنوا به أو لا تؤمنوا مخلصا للوعيد دون التحقير، والمعنى فسترون ما تجازون به، ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من أهل الكتاب، أي أن الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر، بل الذين أوتوا التوراة والإنجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة، إذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا.

قوله عز وجل:

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ١٠٩ الى ١١١]

ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (١٠٩) قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء

الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا (١١٠) وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا (١١١)." [١]

"فرقة: أراد كل ما على الأرض عموما وليس شيء إلا وفيه زينة من جهة خلقه وصنعته وإحكامه. وفي معنى هذه الآية، قول النبي عليه السلام: «الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» . وزينة مفعول ثان أو مفعول من أجله بحسب معنى «جعل» . وقوله لنبلوهم أيهم أحسن عملا أي لنختبرهم وفي هذا وعيد ما، قال سفيان الثوري: «أحسنهم عملا» أزهدهم فيها، وقال أبو عاصم العسقلاني: أحسن عملا: أترك لها.

قال القاضي أبو محمد: وكان أبي رضي الله عنه يقول: أحسن العمل أخذ بحق واتفاق في حق مع الإيمان وأداء الفرائض واجتناب المحارم، والإكثار من المندوب إليه. وقوله وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا، أي يرجع كل ذلك ترابا غير متزين بنبات ونحوه، و «الجرز» الأرض التي لا شيء فيها من عمارة وزينة، فهي البلقع، وهذه حالة الأرض العامرة الخالية بالدين لا بد لها من هذا في الدنيا جزءا جزءا من الأرض ثم يعمها ذلك بأجمعها عند القيامة، يقال: جرزت الأرض بقحط أو جراد أو نحوه إذا ذهب نباتها وبقيت لا شيء فيها ولا نفع، وأرضون أجراز، قال الزجاج: والجرز الأرض التي لا تنبت.

قال القاضي أبو محمد: وإنما ينبغي أن يقول: التي لم تنبت، و «الصعيد» وجه الأرض وقيل «الصعيد» التراب خاصة، وقيل «الصعيد» الأرض الطيبة وقيل، «الصعيد» الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة، وقوله تعالى: أم حسبت الآية، مذهب سيبويه في أم إذا جاءت دون أن يتقدمها ألف استفهام أنها بمعنى بل وألف الاستفهام كأنه قال: بل أحسبت إضرابا عن الحديث الأول واستفهاما عن الثاني وقال بعض النحويين: هي بمنزلة ألف الاستفهام، وأما معنى الكلام فقال الطبري: هو تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم على حسابه أن أصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى إنكار ذلك عليه أي لا تعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة، فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم وأشنع، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحاق، وذكر الزهراوي: أن الآية تحتمل معنى آخر وهو أن تكون استفهاما له هل علم أصحاب الكهف عجبا، بمعنى إثبات أنهم عجب وتكون فائدة تقريره جمع نفسه للام لأن جوابه أن يقول لم أحسب ولا علمته فيقال له: وصفهم عند ذلك والتجوز في هذا التأويل هو في لفظه حسبت فتأمله، والكهف النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار، وحكى النحاس عن أنس بن مالك أنه قال:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٤٩١

الكهف الجبل وهذا غير شهير في اللغة، واختلف الناس في الرقيم، فقال كعب، الرقيم القرية التي كانت بإزاء الكهف، وقال ابن عباس وقتادة: الرقيم الوادي الذي كان بإزائه وهو واد بين عصبان وأيلة دون فلسطين، وقال ابن عباس أيضا هو الجبل الذي فيه الكهف، وقال السدي: الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف، وقال ابن عباس الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى، وقيل من دين قبل عيسى، وقال ابن زيد: كتاب عمى الله علينا أمره ولم يشرح لنا قصته، وقالت فرقة: الرقيم كتاب في لوح نحاس، وقال ابن عباس: في لوح رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخا لهم ذكروا وقت فقدهم وكم كانوا وبني من كانوا، وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف ووضعوه على باب الكهف، ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قوما مؤرخين للحوادث وذلك من." (١)

"أنه خبر من الله أن جبريل لا يتنزل، قال هذا التأويل بعض المفسرين، ويرده قوله ما بين أيدينا لأنه لا يطرد معه وإنما يتجه أن يكون خبرا من جبريل أن القرآن لا يتنزل إلا بأمر الله في الأوقات التي يقدرها. ورويت قراءة الأعرج بضم الياء، وقرأ ابن مسعود «إلا بقول ربك» ، وقال ابن عباس وغيره: سبب هذه الآية، أن النبي عليه السلام أبطأ عنه جبريل مرة فلما جاءه قال «يا جبريل قد اشتقت إليك أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا» ، فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد والضحاك: سببها أن جبريل تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم عند قوله في السؤالات المتقدمة في سورة الكهف «غدا أخبركم» حتى فرح بذلك المشركون واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء جبريل ونزلت هذه في ذلك المعنى، فهي كالتي في الضحى، وهذه الواو التي في قوله وما نتنزل هي عاطفة جملة كلام على أخرى وواصلة بين القولين وإن لم يكن معناهما واحدا. وحكى النقاش عن قوم أن قوله وما نتنزل متصل بقوله إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا [مريم: ١٩] ، وهذا قول ضعيف، وقوله ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك لفظ يحتاج إلى ثلاث مراتب، واختلف المفسرون فيها، فقال أبو العالية «ما بين الأيدي» في الدنيا بأسرها إلى النفخة الأولى، «وما خلف» الآخرة من وقت البعث وما بين ذلك ما بين النفختين. وقال ابن جريج «ما بين الأيدي» هو ما مر من الزمن قبل إيجاد من في الضمير، «وما خلف» هو ما بعد موتهم إلى استمرار الآخرة وما بين ذلك هو مدة الحياة.

قال القاضي أبو محمد: والآية إنما المقصد بها الإشعار بملك الله تعالى لملائكة وأن قليل تصرفهم وكثيرة

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٩٧/٣

إنما هو بأمره وانتقالهم من مكان إلى مكان، إنما هو بحكمته إذ الأمكنة له وهم له، فلو ذهب بالآية إلى أن المراد ب «ما بين الأيدي وما خلف» الأمكنة التي فيها تصرفهم، والمراد ب ما بين ذلك هم أنفسهم ومقاماتهم لكان وجهها كأنه قال نحن مقيدون بالقدرة لا ننتقل ولا نتنزل إلا بأمر ربك. وقال ابن عباس وقتادة فيما روي وما أراه صحيحا عنهما «ما بين الأيدي هي الآخرة وما خلف هو الدنيا» ، وهذا مختل المعنى إلا على التشبيه بالمكان لأن ما بين اليد إنما هو ما تقدم وجوده في الزمن بمثابة التوراة والإنجيل من القرآن وقول أبي العالية إنما يتصور في بني آدم وهذه المقالة هي للملائكة فتأمله. وقوله وما كان ربك نسيا أي ممن يلحقه نسيان بعثنا إليكم في وقت المصلحة به فإنما ذلك عن قدر له أي فلا تطلب أنت يا محمد الزيارة أكثر مما شاء الله هذا ما تقتضيه قوة الكلام على التأويل الواحد أو فلا تهتم يا محمد بتأخيري ولا تلفت لفرح المشركين بذلك على التأويل الثاني ونسيا فعيل من النسيان والذهول عن الأمور، وقالت فرقة نسيا هنا معناه تاركا، ع: وفي هذا ضعف لأنه إنما نفي النسيان مطلقا فيتمكن ذلك في النسيان الذي هو نقص وأما الترك فلا ينتفي مطلقا ألا ترى قوله تعالى: وتركهم في ظلمات [البقرة: ١٧] وقوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض [الكهف: ٩٩] فلو قال نسيك أو نحوه من التقييد لصح حمله على الترك، ولا حاجة بنا أن نقول إن التقييد في النية لأن **المعنى الآخر** أظهر. وقرأ ابن مسعود «وما بين ذلك وما نسيك ربك» ، وروى أبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهي عافيته فاقبلوا» ثم تلا هذه الآية وقوله رب بدل من قوله وما كان ربك، وقوله فاعبده واصطبر لعبادته أمر بحمل تكاليف الشرع وإشعار ما بصعوبتها كالجهاد." (١)

"أشاقتك الظعائن يوم بانوا ... بذي الزي الجميل من الأثاث

وأنشد أبو العباس: [الوافر]

لقد علمت عرينة حيث كانت ... بأنا نحن أكثرهم أثاثا

وقرأ نافع بخلاف وأهل المدينة «وريا» بياء مشددة، وقرأ ابن عباس فيما روي عنه وطلحة «وريا» بياء مخففة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي «ورءيا» بهمزة بعدها ياء على وزن رعيا، ورويت عن نافع وابن عامر رواها أشهب عن نافع وقرأ أبو بكر عن عاصم «وريئا» بياء ساكنة بعدها همزة وهو على القلب وزنه فلعا وكأنه من راع وقال الشاعر: [الطويل]

وكل خليل راءني فهو قائل ... من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٤/٤

فأما القراءتان المهموزتان فهما من رؤية العين الرئي اسم المرئي والظاهر للعين كالطحن والسقي، قال ابن عباس الرئي المنظر قال الحسن «وريا» معناه صورا وأما المشددة الياء فقيل هي بمعنى المهموزة إلا أن الهمزة خففت لتستوي رؤوس الآي، وذكر منذر بن سعيد عن بعض أهل العلم أنه من «الري» في السقي كأنه أراد أنهم خير منهم بلادا وأطيب أرضا وأكثر نعما إذ جملة النعم إنما هي من الري والمطر، وأما القراءة المخففة الياء فضعيفة الوجه، وقد قيل هي لحن، وقرأ سعيد بن جبير ويزيد البربري وابن عباس أيضا «وزيا» بالزاي وهو بمعنى الملبس وهيئته تقول زييت بمعنى زينت، وأما قوله قل من كان في الضلالة الآية فقول يحتمل معنيين، أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء والابتهال كأنه يقول الأضل منا أو منكم «مد» الله له أي أملى له حتى يؤول ذلك إلى عذابه، **والمعنى الآخر** أن يكون بمعنى الخبر كأنه يقول من كان ضالا من الأمم فعادة الله فيه أنه «يمد» له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك إلى عذابه في الآخرة، فاللام في قوله فليمدد على المعنى الأول لام رغبة في صيغة الأمر، وعلى المعنى الثاني لام أمر دخلت في معنى الخبر ليكون أوكد وأقوى وهذا موجود في كلام العرب وفصاحتها.

قوله عز وجل:

حتى إذا رأوا ما يوعدون ...

حتى في هذه الآية حرف ابتداء دخلت على جملة وفيها معنى الغاية، وإذا شرط، وجوابها في قوله فسيعلمون والرؤية رؤية العين، والعذاب والساعة بدل من ما التي وقعت عليها." (١)

"على معنى «لأجل أني» أنا ربك فاخلع نعليك، ونودي قد توصل بحرف الجر وأنشد أبو علي: [الكامل]

ناديت باسم ربيعة بن مكدم ... ان المنوه باسمه الموثوق

واختلف المتأولون في السبب الذي من أجله أمر بخلع النعلين، فقالت فرقة كانتا من جلد حمار ميت فأمر بطرح النجاسة، وقالت فرقة بل كانت نعلاه من جلد بقرة ذكي لكن أمر بخلعها لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربة الوادي، وتحتمل الآية **معنى آخر** هو الأليق بها عندي، وذلك أن الله تعالى أمره أن يتواضع لعظم الحال التي حصل فيها، والعرف عند الملوك أن تخلع النعلان ويبلغ الإنسان إلى غاية تواضعه، فكأن موسى عليه السلام أمر بذلك على هذا الوجه، ولا نبالي كانت نعلاه من ميتة أو غيرها، والمقدس معناه المطهر، وطوى معناه مرتين مرتين، فقالت فرقة معناه قدس مرتين، وقالت فرقة معناه طويته أنت، أي

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/ ٢٩

سرت به، أي طويت لك الأرض مرتين من طيك، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي «طوى» بالتنوين على أنه اسم المكان، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «طوى» على أنه اسم البقعة دون تنوين، وقرأ هؤلاء كلهم بضم الطاء، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسر الطاء، وقرأت فرقة «طاوي» وقالت فرقة هو اسم الوادي، و «طوى» على التأويل الأول بمنزلة قولهم ثنى وثنى أي مثنيا، وقرأ السبعة غير حمزة «وأنا اخترتك» ويؤيد هذه القراءة تناسبها مع قوله أنا ربك وفي مصحف أبي بن كعب «وأني اخترتك» ، وقرأ حمزة «وأنا اخترناك» بالجمع وفتح الهمزة وشد النون، والآية على هذا بمنزلة قوله سبحان الذي أسرى بعبده [الإسراء: ١] ثم قال وآتينا [الإسراء: ٢] فخرج من إفراد إلى جمع، وقرأت فرقة وإنا اخترناك» بكسر الألف.

قال القاضي أبو محمد: وحدثني أبي رضي الله عنه قال: سمعت أبا الفضل بن الجوهري يقول: لما قيل لموسى فاستمع وقف على حجر، واستند إلى حجر، ووضع يمينه على شماله وألقى ذقنه على صدره، ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا. وقرأت فرقة «بالواد المقدس طاوي» وقوله وأقم الصلاة لذكري يحتمل أن يريد لتذكيري فيها أو يريد لأذكرك في عليين بها فالمصدر على هذا يحتمل الإضافة إلى الفاعل أو إلى المفعول واللام لام السبب، وقالت فرقة معنى قوله لذكري أي عند ذكري إذا ذكرتني وأمري لك بها، فاللام على هذا بمنزلتها في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس [الإسراء: ٧٨] وقرأت فرقة «للذكرى» ، وقرأت فرقة «لذكرى» بغير تعريف، وقرأت فرقة «للذكر» .

قوله عز وجل:

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٥ الى ١٨]

إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (١٥) فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى (١٦) وما تلك بيمينك يا موسى (١٧) قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى (١٨)

في قوله إن الساعة آتية تحذير ووعيد، أي اعبدني فإن عقابي وثوابي بالمرصاد، والساعة في." (١)

"قوله عز وجل:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ١٤ الى ١٧]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٩/٤

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤) من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد (١٦) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد (١٧)

لما ذكر تبارك وتعالى حالة من يعبده على حرف [الحج: ١١] وسفه رأيهم وتوعدهم بخسارة الآخرة عقب ذلك بذكر مخالفيهم من أهل الإيمان وذكر ما وعدهم به من إدخاله إياهم الجنة، ثم أخذت الآية في توبيخ أولئك الأولين وإسلامهم إلى رأيهم وإحالتهم على ما فيه عنتهم وليس فيه راحتهم كأنه يقول هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا أن الله تبارك وتءالى لن ينصر محمدا وأتباعه ونحن إنما أمرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك، فليمدد بسبب وليختنق ولينظر هل يذهب بذلك غيظه، قال هذا المعنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر قولهم دونك الحبل فاختنق، يقال ذلك للذي يريد من الأمر ما لا يمكنه، و «السبب» الحبل، و «النصر» معروف، إلا أن أبا عبيدة ذهب به إلى معنى الرزق كما قالوا أرض منصورة أي ممطورة وكما قال الشاعر: [الطويل]

وإنك لا تعطي امرأ فوق حقه ... ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره

وقال: وقف بنا سائل من بني أبي بكر فقال من ينصرني ينصره الله، والسماء على هذه الأقوال الهواء علوا فكأنه أراد سقفا أو شجرة أو نحوه وقال ابن زيد السماء هي المعروفة، وذهب إلى معنى آخر كأنه قيل لمن يظن أن الله تعالى لا ينصر محمدا إن كانت تظن ذلك فامدد بسبب إلى السماء واقطعه إن كنت تقدر على ذلك فإن عجزت فكذلك لا تقدر على قطع سبب محمد صلى الہ عليه وسلم إذ نصرته من هنالك والوحي الذي يأتيه.

قال القاضي أبو محمد: و «القطع» على هذا التأويل ليس بالاختناق بل هو جزم السبب، وفي مصحف ابن مسعود «ثم ليقطعه» بهاء، والجمهور على أن القطع هنا هو الاختناق، وقال الخليل: وقطع الرجل إذا اختنق بحبل أو نحوه ثم ذكر الآية، وتحتمل الآية معنى آخر وهو أن يراد به الكفار وكل من يغتاظ بأن ينصره الله ويطمع أن لا ينصر قيل له من ظن أن هذا لا ينصر فليمت كمدا هو منصور لا محالة فليختنق هذا الظان غيظا وكمدا ويؤيد هذا أن الطبري والنقاش قالا: ويقال نزلت في نفر من بني أسد وغطفان قالوا نخاف أن ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع، والمعنى الأول الذي قيل فيه

للعابدين على حرف [الحج: ١١] ليس بهذا ولكنه بمعنى من قلق واستبطأ النصر وظن أن محمدا لا ينصر فليختنق سفاهة إذ تعدى الأمر الذي حد له في الصبر وانتظار صنع الله، وقال مجاهد: الضمير في." (١)

"على العروش، وبئر، قيل هو معطوف على «العروش» وقيل على «القرية» وهو أصوب، وقرأت فرقة «وبيئر» بهمزة وسهلها الجمهور، وقرأت فرقة «معطلة» بفتح الميم وسكون العين وفتح الطاء وتخفيفها، والجمهور على «معطلة» بضم الميم وفتح العين وشد الطاء، و «المشيد» المبني بالشيد وهو الجص، وقيل «المشيد» المعلى بالآجر ونحو. فمن الشيد قول عدي بن زيد:

شاده مرمرا وجلله كلسا ... فللطير في ذراه وكور

شاد، بنى، بالشيد والأظهر في البيت أنه أراد علاه بالمرمر. وقالت فرقة في هذه الآية إن مشيد معناه معلى محصنا، وجملة معنى الآية تقتضي أنه كان كذلك قبل خرابه ثم وبخهم على الغفلة وترك الاعتبار بقوله، أفلم يسيروا في الأرض أي في البلاد فينظروا في أحوال الأمم المكذبة المعذبة، وهذه الآية تقتضي أن العقل في القلب وذلك هو الحق ولا ينكر أن للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ، فتكون، نصب بالفاء في جواب الاستفهام صرف الفعل من الجزم إلى النصب، وقوله فإنها لا تعمى الأبصار، لفظ مبالغة كأنه قال: ليس العمى عمى العين وإنما العمى حق العمى عمى القلب، ومعلوم أن الأبصار تعمى ولكن المقصد ما ذكرناه، وهذا كقوله عليه السلام، «ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بهذا الطواف» . والضمير في فإنها للقصة ونحوها من التقدير وقوله التي في الصدور، مبالغة كقوله يقولون بأفواههم [آل عمران: ١٦٧] كما تقول: نظرت إليه بعيني ونحو هذا، والضمير في يستعجلونك لقريش، وقوله ولن يخلف الله وعده، وعد ووعيد وإخبار بأن كل شيء إلى وقت محدود، و «الوعد» هنا مقيد بالعذاب فلذلك ورد في مكروه، وقوله وإن يوما عند ربك كألف سنة، قالت فرقة: معناه وإن يوما من أيام عذاب الله كألف سنة مما تعدون من هذه لطول العذاب وبؤسه، فكأن المعنى فما أجهل من يستعجل هذا وقالت فرقة معناه وإن يوما عند الله لإحاطته فيه وعلمه وإنفاذه قدرته كألف سنة عندكم ع وهذا التأويل يقتضي أن عشرة آلاف سنة وإلى ما لا نهاية له من العدد في حكم الألف ولكنهم قالوا ذكر الألف لأنه منتهى العدد دون تكرار فاقتصر عليه ع وهذا التأويل لا يناسب الآية، وقالت فرقة: إن المعنى أن اليوم عند الله كألف سنة من هذا العدد، من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم «إني لأرجو أن تؤخر أمتي نصف يوم» ، وقوله «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم» ذلك خمسمائة سنة، ومنه قول ابن عباس: مقدار الحساب

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١١١/٤

يوم القيامة ألف سنة فكأن المعنى وإن طال الإمهال فإنه في بعض يوم من أيام الله وكرر قوله وكأين لأنه جلب معنى آخر ذكر أولا القرى المهلكة دون إملاء بل بعقب التكذيب ثم ثنى بالمهملة لئلا يفرح هؤلاء بتأخير العذاب عنهم، وقرأت فرقة «تعدون» بالتاء، وقرأت فرقة «يعدون» بالياء على الغائب.

قوله عز وجل:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٤٩ الى ٥٤]

قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين (٤٩) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم (٥٠) والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم (٥١) وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم (٥٢) ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٤)." (١)

"«المرية» الشك، والضمير في قوله منه قالت فرقة هو عائد على القرآن، وقالت فرقة: على محمد عليه السلام، وقالت فرقة: على ما ألقى الشيطان [الحج: ٥٢] ، وقال سعيد بن جبير أيضا على سجود النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم، والساعة، قالت فرقة: أراد يوم القيامة، «واليوم العقيم» ، يوم بدر، وقالت فرقة: الساعة، موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر ونحوه، و «اليوم العقيم» ، يوم القيامة، ع وهذان القولان جيدان لأنهما أحرزا التقسيم ب أو ومن جعل الساعة و «اليوم العقيم» ، يوم القيامة، فقد أفسد رتبة أو، وسمي يوم القيامة أو يوم الاستئصال عقيما لأنه لا ليلة بعده ولا يوم، والأيام كأنها نتائج لمجيء واحد إثر واحد، فكأن آخر يوم قد عقم وهذه استعارة، وجملة هذه الآية توعد، وقوله الملك يومئذ لله، السابق منه أنه في يوم القيامة من حيث لا ملك فيه لأحد من ملوك الدنيا، ويجوز أن يريد به يوم بدر ونحوه من حيث ينفذ فيه قضاء الله وحده ويبطل ما سواه ويمضي حكمه فيمن أراد تعذيبه، فأما من تأوله في يوم القيامة فاتسق له قوله فالذين آمنوا إلى قوله مهين، ومن تأوله في يوم بدر ونحوه جعل قوله «فالذين آمنوا» ، ابتداء خبر عن حالهم المتركبة على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الإيمان والكفر. وقوله والذين هاجروا في سبيل الله الآية ابتداء معنى آخر وذلك أنه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢٧/٤

عبد الأسد قال بعض الناس: من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه فنزلت هذه الآية مسوية بينهم في أن الله تعالى يرزق جميعهم رزقا حسنا وليس هذا بقاض بتساويهم في الفضل، وظاهر الشريعة أن المقتول أفضل، وقال بعض الناس: المقتول والميت في سبيل الله شهيدان، ولكن للمقتول مزية ما أصابه في ذات الله، و «الرزق الحسن» ، يحتمل أن يريد به رزق الشهداء عند ربهم في البرزخ ويحتمل أن يريد بعد يوم القيامة في الجنة، وقرأت فرقة، «مدخلا» ، بضم الميم من أدخل فهو محمول على الفعل المذكور، وقرأت فرقة «مدخلا» بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدر تقديره فيدخلون مدخلا، وأسند الطبري عن سلامان بن عامر قال: كان فضالة برودس أميرا على الأرباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتيل والآخر متوفى فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل، فقال: أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه فو الذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت اقرؤوا قول الله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله الآية، إلى قوله حليم وقوله تعالى: ذلك، إلى قوله الكبير المعنى الأمر ذلك، ثم أخبر تعالى عمن عاقب من المؤمنين من ظلمه من الكفرة ووعد المبغي." (١)

"الضمير عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات والمعنى يحدث لكم سماع آياتي كبرا وطغيانا.

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا قول جيد وذكر منذر بن سعيد أن الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو متعلق بما بعده كأن الكلام ثم في قوله مستكبرين ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم، سامرا تهجرون، وقوله سامرا حال وهو مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سمر وسمر وسامر ومعناه سهر الليل مأخوذ من السمر وهو ما يقع على الأشخاص من ضوء القمر فكانت العرب تجلس للسمر تتحدث وهذا أوجب معرفتها بالنجوم لأنها تجلس في الصحراء فترى الطوالع من الغوارب، وقرأ الجمهور «سامرا» ، وقرأ أبو رجاء «سمارا» ، وقرأ ابن عباس وعكرمة وابن محيصن «سمرا» ومن هذه اللفظة قول الشاعر: [الكامل]

من دونهم إن جئتهم سمرا ... عزف القيان ومجلس غمر

فكانت قريش سمر حول الكعبة مجالس في أباطيلها وكفرها، وقرأ الجمهور «تهجرون» بفتح التاء وضم الجيم واختلف المتأولون في معناها فقال ابن عباس: معناها تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجر المعروف، وقال ابن زيد: من هجر المريض إذا هذى أي تقولون اللغو من القول وقاله أبو حاتم، وقرأ نافع وحده من السبعة «تهجرون» بضم التاء وكسر الجيم وهي قراءة أهل المدينة وابن محيصن وابن عباس أيضا ومعناه يقولون الفحش والهجر والعضاية من القول وهذه إشارة إلى سبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٣٠/٤

وأصحابه قاله ابن عباس أيضا وغيره، وفي الحديث «كنت نهيتكم عن زيادة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا» ، وقرأ ابن محيصن وابن أبي نهيك «تهجرون» بضم التاء وفتح الهاء وشد الجيم مكسورة وهو تضعيف هجر وتكثير الهجر والهجر على المعنيين المتقدمين، وقال ابن جني: لو قيل إن المعنى أنكم تبالغون في المهاجرة حتى أنكم وإن كنتم سمرا بالليل فكأنكم تهجرون في الهاجرة على غاية الافتضاح لكان وجها.

قال القاضي أبو محمد: ولا تكون هذه القراءة تكثير «تهجرون» بضم التاء، وكسر الجيم لأن أفعل لا يتعدى ولا يكثر بتضعيف إذ التضعيف والهمزة متعاقبان ثم وبخهم على إعراضهم بعد تدبر القول لأنهم بعد التدبر والنظر الفاسد، قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وسائر ذلك، وقوله أم جاءهم كذلك توبيخ أيضا والمعنى أأبدع لهم أمر لم يكن في الناس قبلهم بل قد جاء الرسل قبل كنوح وإبراهيم وإسماعيل وفي هذا التأويل من التجوز أن جعل سالف الأمم «آباء» إذ الناس في الجملة آخرهم من أولهم، ويحتمل اللفظ **معنى آخر** على أن يراد ب آباءهم الأولين من فرط من سلفهم في العرب فكأنه قال: أفلم يدبروا القول أم جاءهم أمر غريب من عند الله لم يأت آباءهم فبهر عقولهم ونبت أذهانهم عن أمر من أمور الله غريب في سلفهم والمعنى الأول أبين.

قوله عز وجل:

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٦٩ الى ٧١]

أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون (٦٩) أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (٧٠) ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون (٧١)." (١)

"على أحسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات، ومن قال إن الممثل به القرآن والإيمان فتقدير الكلام مثل نوره الذي هو الإيمان في صدر المؤمن في قلبه كمشكاة، أي كهذه الجملة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالأولين، لأن المشكاة ليست تقابل الإيمان، وتحتمل الآية **معنى آخر** ليس فيه مقابلة جزء من المثال لجزء من الممثل بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس، أي فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيه البشر، و «المشكاة» الكوة في الحائط غير النافذة، قاله

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٥٠/٤

ابن جبير وسعيد بن عياض وجمهور المفسرين، وهي أجمع للضوء، والمصباح فيها أكثر إنارة من غيرها، وقال مجاهد «المشكاة» العمود الذي يكون المصباح على رأسه، وقال أبو موسى «المشكاة» الحديدة أو الرصاصة التي يكون فيها الفتيل في جوف الزجاجة، وقال مجاهد أيضا «المشكاة» الحدائد التي يعلق بها القنديل، والأول أصح هذه الأقوال، وقوله في زجاجة لأنه جسم شفاف المصباح فيه أنور منه في غير الزجاج، والمصباح الفتيل بناره وأمال الكسائي فيما روى عنه أبو عمرو الداني الألف من «مشكاة» فكسر الكاف التي قبلها، وقرأ نصر بن عاصم «في زجاجة» بفتح الزاي، و «الزجاجة» كذلك وهي لغة، وقوله: كأنها كوكب دري أي في الإنارة والضوء وذلك يحتمل معنين: إما أن يريد أنها بالمصباح كذلك، وإما أن يريد أنها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك.

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا التأويل أبلغ في التعاون على النور، قال الضحاك «الكوكب الدري» الزهرة، وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم «دري» بضم الدال وشد الياء.

ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه، وإما أن يكون أصله دريء مهموز من الدرء وهو الدفع وخففت الهمزة. وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم «دريء» بالهمزة وهو فعيل من الدرء بمعنى أنها تدفع بعضها بعضا أو بمعنى أن بهاءها يدفع خفاءها، وفعيل بناء لا يوجد في الأسماء إلا في قولهم مريق للعصفور وفي السرية إذا اشتقت من السرو، ووجه هذه القراءة أبو علي، وضعفها غيره، وقرأ أبو عمرو والكسائي «دريء» على وزن فعيل بكسر الفاء من الدرء وهذه متوجهة، وقرأ قتادة «دريء» بفتح الدال والهمز قال أبو الفتح وهذا عزيز وإنما حفظ منه السكينة بشد الكاف، وقرأ سعيد بن المسيب وأبو رجاء ونصر بن عاصم «دري» بفتح الدال دون همزة، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وطلحة والأعمش والحسن وقتادة وابن وثاب وعيسى «توقد» بضم التاء أي الزجاجة، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة والحسن وابن محيصن «توقد» بفتح التاء والواو وشد القاف وضم الدال أي الزجاجة، وقرأ أبو عمرو أيضا وابن كثير «توقد» بفتح التاء والدال أي المصباح، وقرأ عاصم فيما روى عنه إسماعيل «يوقد» بالياء المرفوعة على معنى يوقد المصباح، قال أبو الفتح وقرأ السلمي والحسن وابن محيصن وسلام وقتادة «يوقد» بفتح الياء والواو والقاف والمشددة ورفع الدال أصله يتوقد، وقوله من شجرة أي من زيت شجرة، و «المباركة» المنمأة، و «الزيتون» من أعظم الثمار نماء واطراد أفنان وغضارة ولا سيما بالشام والرمان كذلك والعيان

يقضي بذلك، وقول أبي طالب يرثي مسافر بن أبي عمرو بن أمية «ابن شمس» : [الخفيف]

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو ... «وليت» يقولها المحزون." (١)

"واحد. والأحزاب: المتحزبون على أنبياء الله تعالى، ومثل الثاني بدل من الأول.

والدأب: العادة.

وقوله: وما الله يريد ظلما للعباد أي من نفسه أن يظلمهم هو عز وجل، فالإرادة هنا على بابها، لأن الظلم منه لا يقع البتة، وليس معنى الآية أن الله لا يريد ظلم بعض العباد لبعض، والبرهان وقوعه، ومحال أن يقع ما لا يريده الله تعالى.

وقوله: يوم التناد معناه ينادي قوم قوما ويناديهم الآخرون. واختلف المتأولون في التناد المشار إليه، فقال قتادة: هو نداء أهل الجنة أهل النار فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا [الأعراف: ٤٤] ، ونداء أهل النار لهم: أفيضوا علينا من الماء [الأعراف: ٥٠] . وقالت فرقة: بل هو النداء الذي يتضمنه قوله تعالى: يوم ندعوا كل أناس بإمامهم [الإسراء: ٧١] . وقال ابن عباس وغيره: هو التنادي الذي يكون بالناس عند النفخ في الصور نفخة الفزع في الدنيا وأنهم يفرون على وجوههم للفزع الذي نالهم وينادي بعضهم بعضا، وروي هذا التأويل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل أن يكون المراد التذكير بكل نداء في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة، ولها أجوبة بنداء وهي كثيرة منها ما ذكرناه، ومنها «يا أهل النار خلود لا موت» ، ومنها «يا أهل الجنة خلود لا موت» ، ومنها نداء أهل الغدرات والنداء لمقت الله [غافر: ١٠] ، والنداء لمن الملك اليوم [غافر: ١٦] إلى غير ذلك.

وقرأت فرقة: «التناد» بسكون الدال في الوصل، وهذا على إجرائهم الوصل مجرى الوقف في غير ما موضع، وقرأ نافع وابن كثير: «التنادي» بالياء في الوصل والوقف وهذا على الأصل. وقرأ الباقون «التناد» بغير ياء فيهما، وروي ذلك عن نافع وابن كثير، وحذفت الياء مع الألف واللام حملا على حذفها مع معاقبها وهو التنوين. وقال سيبويه: حذفت الياء تخفيفا. وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو صالح والكلبي: »التناد» بشد الدال، وهذا معنى آخر ليس من النداء، بل هو من ند البعير إذا هرب، وبهذا المعنى فسر ابن عباس والسدي هذه الآية، وروت هذه الفرقة في هذا المعنى حديثا أن الله تعالى إذا طوى السماوات نزلت ملائكة كل سماء فكانت صفا بعد صف مستديرة بالأرض التي عليها الناس للحساب، فإذا رأى العالم هول القيامة

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٨٤/٤

وأخرجت جهنم عنقها إلى أصحابها فر الكفار وندوا مدبرين إلى كل جهة فتردهم الملائكة إلى المحشر خاسئين لا عاصم لهم، قالت هذه الفرقة، ومصداق هذا الحديث في كتاب الله تعالى قوله: والملك على أرجائها [الحاقة: ١٧] وقوله تعالى: وجاء ربك والملك صفا صفا [الفجر: ٢٢] وقوله تعالى: يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا، لا تنفذون إلا بسلطان [الرحمن: ٣٣] .

وقوله تعالى: يوم تولون مدبرين معناه: على بعض الأقاويل في التنادي تفرون هروبا من المفزع وعلى بعضها تفرون مدبرين إلى النار. والعاصم: المنجي.." (١)

"بالمعاصي والكفر. و: تمرحون قال مجاهد معناه: الأشر والبطر. وقال ابن عباس: الفخر والخيلاء.

وقوله تعالى: ادخلوا معناه: يقال لهم قبل هذه المحاورة في أول الأمر ادخلوا، لأن هذه المخاطبة إنما هي بعد دخولهم وفي الوقت الذي فيه الأغلال في أعناقهم. و: أبواب جهنم هي السبعة المؤدية إلى طبقاتها وأدراكها السبعة. والمثوى: موضع الإقامة.

ثم أنس تعالى نبيه ووعده بقوله: فاصبر إن وعد الله حق أي في نصرك وإظهار أمرك، فإن ذلك أمر إما أن ترى بعضه في حياتك فتقر عينك به، وإما أن تموت قبل ذلك فإلى أمرنا وتعذيبنا يصيرون ويرجعون.

وقرأ الجمهور: «يرجعون» بضم الياء. وقرأ أبو عبد الرحمن ويعقوب «يرجعون» بفتح الياء. وقرأ طلحة بن مصرف ويعقوب في رواية الوليد بن حسان: بفتح التاء منقوطة من فوق.

وقوله تعالى: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الآية رد على العرب الذين قالوا: إن الله لا يبعث بشرا رسولا واستبعدوا ذلك.

وقوله تعالى: منهم من قصصنا قال النقاش: هم أربعة وعشرون.

وقوله تعالى: ومنهم من لم نقصص عليك روي من طريق أنس بن مالك عن النبي عليه السلام أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف رسول. وروي عن سلمان عن النبي عليه السلام قال: بعث الله أربعة آلاف نبي. وروي عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنه قال: بعث الله رسولا من الحبشة أسود، وهو الذي يقص على محمد.

قال القاضي أبو محمد: وهذا إنما ساقه على أن هذا الحبشي مثال لمن لم يقص، لا أنه هو المقصود وحده، فإن هذا بعيد.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٥٨/٤

وقوله تعالى: وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله رد على قريش في إنكارهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقولهم إنه كاذب على الله تعالى. والإذن يتضمن علما وتمكينا. فإذا اقترن به أمر قوي كما هو في إرسال النبي، ثم قال تعالى: فإذا جاء أمر الله أي إذا أراد الله إرسال رسول وبعثة نبي، قضى ذلك وأنفذه بالحق، وخسر كل مبطل وحصل على فساد آخرته، وتحتمل الآية **معنى آخر**، وهو أن يريد ب أمر الله القيامة، فتكون الآية توعدا لهم بالآخرة.

قوله عز وجل:

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٧٩ الى ٨٢]

الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون (٧٩) ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون (٨٠) ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون (٨١) أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢)." (١)

"المعنى: قل لهم يا محمد: وما اختلفتم فيه أيها الناس من تكذيب وتصديق وإيمان وكفر وغير ذلك، فالحكم فيه والمجازاة عليه ليست إلي ولا بيدي، وإنما ذلك إلى الله الذي صفاته ما ذكر من إحياء الموتى والقدرة على كل شيء، ثم قال: ذلكم الله ربي وعليه توكلي وإليه إنابتي ورجوعي، وهو فاطر السماوات والأرض، أي مخترعها وخالقها شق بعضها من بعض.

وقوله تعالى: جعل لكم من أنفسكم أزواجا يريد: زوج الإنسان الأنثى، وبهذه النعمة اتفق الذرء، وليست الأزواج هاهنا الأنواع، وأما الأزواج المذكورة مع الأنعام، فالظاهر أيضا والمتسق: أنه يريد: إناث الذكران، ويحتمل أن يريد الأنواع، والأول أظهر.

وقوله: يذرؤكم أي يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن، قاله مجاهد والناس، فلفظة ذرأ:

تزيد على لفظة: خلق **معنى آخر** ليس في خلق، وهو توالي الطبقات على مر الزمان.

وقوله: فيه الضمير عائد على الجعل الذي يتضمنه قوله: جعل لكم، وهذا كما تقول:

كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه. وقال القتبي: الضمير للتزويج، ولفظة: «في» مشتركة على معان، وإن كان أصلها الوعاء وإليه يردها النظر في كل وجه.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٧٠/٤

وقوله تعالى: ليس كمثله شيء الكاف مؤكدة للتشبيه، فبقي التشبيه أوكد ما يكون، وذلك أنك تقول: زيد كعمرو، وزيد مثل عمرو، فإذا أردت المبالغة التامة قلت: زيد كمثل عمرو، ومن هذا قول أوس بن حجر: [المتقارب]

وقتلى كمثل جذوع النخي ... ل يغشاهم سيل منهمر

ومنه قول الآخر: [البسيط]

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ... ما إن كمثلهم في الناس من أحد

فجرت الآية في هذا الموضع على عرف كلام العرب، وتفترق الآية مع هذه الشواهد متى أردت أن تتبع بذهنك هذا اللفظ فتقدر للجزوع مثلا موجودا وتشبه القتل بذلك المثل أمكنك أو لا يمكنك هذا في جهة الله تعالى إلا أن تجعل المثل ما يتحصل في الذهن من العلم بالله تعالى، إذ المثل والمثال واحد، وذهب الطبري وغيره إلى أن المعنى: ليس كهو شيء. وقالوا لفظة مثل في الآية توكيد أو واقعة موقع هو.

قال القاضي أبو محمد: ومما يؤيد دخول الكاف تأكيدا أنها قد تدخل على الكاف نفسها، وأنشد سيبويه: وصاليات ككما يؤثفين." (١)

"ومقصده، وهذا هو كما يقول لك إنسان معتقده وتفهم أنت من مقاطع كلامه وهيئته وقرائن أمره أنه على خلاف ما يقول، وهذا معنى قوله: في لحن القول ومن هذا المعنى قول النبي عليه السلام: «فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض» ، الحديث أي أذهب بها في جهات الكلام، وقد يكون هذا اللحن متفقا عليه: أن يقول الإنسان قولا يفهم السامعون منه معنى، ويفهم الذي اتفق مع المتكلم **معنى آخر**، ومنه الحديث الذي قال سعد بن معاذ وابن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: عضل والقارة وفي هذا المعنى قول الشاعر [مالك بن أسماء] : [الخفيف] وخير الحديث ما كان لحنا أي ما فهمه عنك صاحبك وخفي على غيره، فأخبر الله محمدا رسوله عليه السلام أن أقوالهم المحرقة التي هي على خلاف عقدهم ستتبين له فيعرفهم بها، واحتج بهذه الآية من جعل في التعريض بالقذف.

وقوله تعالى: والله يعلم أعمالكم مخاطبة للجميع من مؤمن وكافر.

وقرأ جمهور القراء: «ولنبلونكم» بالنون، وكذلك «نعلم» وكذلك «نبلوا» ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: «وليبلونكم الله» ، وكذلك «يعلم» «ويبلو» . وروى رويس عن يعقوب: «ويبلو» بالرفع على القطع والإعلام بأن ابتلاءه دائم. وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلنا، فإنك إن ابتليتنا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٨/٥

فضحتنا وهتكت أستارنا.

وقوله تعالى: حتى نعلم المجاهدين أي حتى يعلمهم مجاهدين قد خرج جهادهم إلى الوجود وبان تكسبهم الذي به يتعلق ثوابهم، وعلم الله بالمجاهدين قديم أزلي، وإنما المعنى ما ذكرناه.

وقوله تعالى: وصدوا يحتمل أن يكون المعنى: وصدوا غيرهم، ويحتمل أن يكون غير متعد، بمعنى: وصدوهم في أنفسهم.

وقوله: وشاقوا الرسول معناه: خالفوه، فكانوا في شق وهو في شق. وقوله: من بعد ما تبين لهم الهدى قالت فرقة: نزلت في قوم من بني إسرائيل فعلوا هذه الأفاعيل بعد تبينهم لأمر محمد عليه السلام من التوراة. وقالت فرقة: نزلت في قوم من المنافقين حدث النفاق في نفوسهم بعد ما كان الإيمان داخلها. وقال ابن عباس: نزلت في المطعمين سفرة بدر، و: «تبين الهدى» هو وجوده عند الداعي إليه.

وقالت فرقة: بل هي عامة في كل كافر، وألزمهم أنه قد تبين لهم الهدى من حيث كان الهدى بينا في نفسه، وهذا كما تقول لإنسان يخالفك في احتجاج على معنى التوبيخ له: أنت تخالف في شيء لا خفاء به عليك، بمعنى أنه هكذا هو في نفسه. وقوله: لن يضروا الله تحقير لهم.

وقوله: وسيحبط أعمالهم إما على قول من يرى أن أعمالهم الصالحة من صلة رحم ونحوه تكتب فيجيء هذا الإحباط فيها متمكنا، وإما على قول من لا يرى ذلك، فمعنى وسيحبط أعمالهم أنها عبارة عن إعدامه أعمالهم وإفسادها، وأنها لا توجد شيئا منتفعا به، فذلك إحباط على تشبيه واستعارة.." (١)

"يعن الدهان الحمر كل عشية ... بموسم بدر أو بسوق عكاظ

وقوله تعالى: لا يسئل عن ذنبه نفي للسؤال. وفي القرآن آيات تقتضي أن في القيامة سؤالا، وآيات تقتضي نفيه كهذه وغيرها، فقال بعض الناس ذلك في مواطن دون مواطن، وهو قول قتادة وعكرمة.

وقال ابن عباس وهو الأظهر في ذلك أن السؤال متى أثبت فهو بمعنى التوبيخ والتقرير، ومتى نفي فهو بمعنى الاستخبار المحض والاستعلام، لأن الله تعالى عليم بكل شيء. وقال الحسن ومجاهد: لا يسأل الملائكة عنهم، لأنهم يعرفونهم بالسيما، والسيما التي يعرف بها المجرمون هي سواد الوجوه وزرق العيون في الكفرة، قاله الحسن. ويحتمل أن يكون غير هذا من التشويهات.

واختلف المتأولون في قوله تعالى: فيؤخذ بالنواصي والأقدام. فقال ابن عباس: يؤخذ كل كافر بناصيته وقدميه فيطوى ويجمع كالحطب ويلقى كذلك في النار. وقال النقاش: روي أن هذا الطي على ناحية الصلب قعسا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢١/٥

وقاله الضحاك. وقال آخرون: بل على ناحية الوجه، قالوا فهذا معنى: فيؤخذ بالنواصي والأقدام. وقال قوم في كتاب الثعلبي: إنما يسحب الكفرة سحبا، فبعضهم يجر بقدميه، وبعضهم بناصيته، فأخبر في هذه الآية أن الأخذ يكون بالنواصي ويكون ب الأقدام.

وقوله: هذه جهنم قبله محذوف تقديره: يقال لهم على جهة التقريع والتوبيخ وفي مصحف ابن مسعود: «هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان» .

وقرأ جمهور الناس: «يطوفون» بفتح الياء وضم الطاء وسكون الواو. وقرأ طلحة بن مصرف: «يطوفون» بضم الياء وفتح الطاء وشد الواو. وقرأ أبو عبد الرحمن: «يطافون» ، وهي قراءة علي بن أبي طالب. والمعنى في هذا كله أنهم يترددون بين نار جهنم وجمرها وبين حميم وهو ما غلي في جهنم من مائع عذابها. والحميم: الماء السخن. وقال قتادة: إن العذاب الذي هو الحميم يغلي منذ خلق الله جهنم. وأنى الشيء: حضر، وأنى اللحم أو ما يطبخ أو يغلى: نضج وتناهى حره والمراد منه. ويحتمل قوله: آن أن يكون من هذا ومن هذا. وكونه من الثاني أبين، ومنه قوله تعالى: غير ناظرين إناه [الأحزاب: ٥٣] ومن **المعنى الآخر** قول الشاعر [عمرو بن حسان الشيباني] : [الوافر] أنى ولكل حاملة تمام ويشبه أن يكون الأمر في المعنيين قريبا بعضه من بعض، والأول أعم من الثاني.

قوله عز وجل:

[سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٤٦ الى ٥٧]

ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٧) ذواتا أفنان (٤٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٩) فيهما عينان تجريان (٥٠)

فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥١) فيهما من كل فاكهة زوجان (٥٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٣) متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان (٥٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٥)

فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٥٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٧)." [1]

"لدم الحيض طمث، ولدم الافتضاض طمث، فإذا نفي الافتضاض، فقد نفي القرب منهن بجهة الوطء.

قال الفراء: لا يقال طمث إلا إذا افتض. قال غيره: طمث، معناه: جامع بكرا أو غيرها.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٣٢/٥

واختلف الناس في قوله: ولا جان فقال مجاهد: الجن قد تجامع نساء البشر مع أزواجهن، إذا لم يذكر الزوج الله تعالى، فتنفي هذه الآية جميع المجامعات. وقال ضمرة بن حبيب: الجن لهم قاصرات الطرف من الجن نوعهم، فنفي في هذه الآية الافتضاض عن البشريات والجنيات.
قال القاضي أبو محمد: ويحتمل اللفظ أن يكون مبالغة وتأكيدا، كأنه قال: لم يطمثهن شيء، أراد العموم التام، لكنه صرح من ذلك بالذي يعقل منه أن يطمث. وقال أبو عبيدة والطبري: إن من العرب من يقول: ما طمث هذا البعير حبل قط، أي ما مسه.
قال القاضي أبو محمد: فإن كان هذا المعنى ما أدماه حبل، فهو يقرب من الأول. وإلا فهو **معنى آخر** غير الذي قدمناه.
وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: «ولا جأن» بالهمز.
وقوله عز وجل:

[سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٥٨ الى ٦٩]
كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٩) هل جزاء الإحسان إلا الإحسان (٦٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦١) ومن دونهما جنتان (٦٢)
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٣) مدهامتان (٦٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٥) فيهما عينان نضاختان (٦٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٧)
فيهما فاكهة ونخل ورمان (٦٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٩)
الياقوت والمرجان: هي من الأشياء التي قد برع حسنها واستشعرت النفوس جلالتها، فوقع التشبيه بها لا في جميع الأوصاف لكن فيما يشبه ويحسن بهذه المشبهات، ف الياقوت في إملاسه وشفوفه، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في صفة المرأة من نساء أهل الجنة: «يرى مخ ساقها من وراء العظم» . والمرجان في إملاسه وجمال منظره، وبهذا النحو من النظر سمت العرب النساء بهذه الأشياء كدرة بنت أبي لهب. ومرجانة أم سعيد وغير ذلك.
وقوله تعالى: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان آية، وعد وبسط لنفوس جميع المؤمنين لأنها عامة. قال ابن المنكدر وابن زيد وجماعة من أهل العلم: هي للبر والفاجر. والمعنى أن جزاء من أحسن بالطاعة أن يحسن إليه بالتنعيم. وحكى النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الآية: «هل جزاء التوحيد إلا الجنة» .

وقوله تعالى: ومن دونهما جنتان اختلف الناس في معنى: من دونهما، فقال ابن زيد وغيره معناه: أن هذين دون تينك في المنزلة والقدرة، والأوليان جنتا السابقين، والأخريان جنتا أصحاب اليمين.." (١)

"أنه التوحيد. والثاني: القرآن. والثالث: تبيان الفرائض. فأما دين الحق، فهو الإسلام. وفي قوله تعالى: ليظهره قولان: أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمعنى: ليعلمه شرائع الدين كلها، فلا يخفى عليه منها شيء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها راجعة إلى الدين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليظهر هذا الدين على سائر الملل. ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: عند نزول عيسى عليه السلام، فانه يتبعه أهل كل دين، وتصير الملل واحدة، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدوا الجزية، قاله أبو هريرة، والضحاك. والثاني: أنه عند خروج المهدي. قاله السدي.

والقول الثاني: أن إظهار الدين إنما هو بالحجج الواضحة، وإن لم يدخل الناس فيه.

[سورة التوبة (٩) : آية ٣٤]

يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (٣٤)

قوله تعالى: إن كثيرا من الأحبار الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى. وفي الباطل أربعة أقوال: أحدها: أنه الظلم، قاله ابن عباس. والثاني: الرشا في الحكم، قاله الحسن.

والثالث: الكذب، قاله أبو سليمان. والرابع: أخذه من الجهة المحظورة، قاله القاضي أبو يعلى:

والمراد: أخذ الأموال، وإنما ذكر الأكل لأنه معظم المقصود من المال. وفي المراد بسبيل الله ها هنا قولان: أحدهما: الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنه الحق في الحكم.

قوله تعالى: والذين يكنزون الذهب والفضة اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال «١» : أحدها:

أنها نزلت عامة في أهل الكتاب والمسلمين، قاله أبو ذر، والضحاك. والثاني: أنها خاصة في أهل الكتاب، قاله معاوية بن أبي سفيان. والثالث: أنها في المسلمين، قاله ابن عباس، والسدي. وفي الكنز المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما لم تؤد زكاته.

(٦٩٤) قال ابن عمر: كل مال أديت زكاته وإن كان تحت سبع أرضين فليس بكنز، وكل مال لا

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٣٤/٥

موقوف صحيح. وورد مرفوعا وهو ضعيف جدا. أخرجه البيهقي ٤/ ٨٢ بإسناد صحيح عن ابن عمر موقوفا، وقال هذا هو الصحيح موقوف، وقد روى سويد بن عبد العزيز وليس بالقوي مرفوعا، ثم ساق إسناده اه. وسويد هذا ضعيف متروك الحديث. وتوبع فقد أخرجه البيهقي ٤/ ٨٣ من وجه آخر عن ابن عمر مرفوعا وقال: ليس هذا بمحفوظ، والمشهور عن ابن عمر موقوفا. اه. وفي إسناده محمد بن كثير المصيصي الثقفي وهو ضعيف، فالراجح الوقف عليه، كما قال البيهقي رحمه الله. وأخرجه الطبري ١٦٦٦٨ عن ابن عمر وكره ١٦٦٦٦ بنحوه. انظر «تفسير ابن كثير» بتخريجنا عند هذه الآية.

---

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ١١٣: اختلفت الصحابة في المراد بهذه الآية، فذهب معاوية إلى أن المراد بها أهل الكتاب، وإليه ذهب الأصم، لأن قوله والذين يكنزون مذكور بعد قوله إن كثيرا من الأحبار والرهبان.... وقال أبو ذر وغيره: المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين وهو الصحيح، لأنه لو أراد أهل الكتاب خاصة لقال: ويكنزون، بغير «والذين» فلما قال «والذين» فقد استأنف **معنى آخر** يبين أنه عطف جملة على جملة، فالذين يكنزون كلام مستأنف وهو رفع على الابتداء.." (١)

"الباب السابع في إعراب الفعل

إعراب الفعل:

اعلم أن قوله: (أعوذ) يقتضي إسناد الفعل إلى الفاعل، فوجب علينا أن نبحث عن هذه المسائل.

المسألة الأولى: إذا قلنا في النحو فعل وفاعل، فلا نريد به ما يذكره علماء الأصول لأنا نقول: «مات زيد» وهو لم يفعل، ونقول من طريق النحو: مات فعل، وزيد فاعله، بل المراد أن الفعل لفظة مفردة دالة على حصول المصدر لشيء غير معين في زمان غير معين، فإذا صرحنا بذلك الشيء الذي حصل المصدر له فذاك هو الفاعل، ومعلوم أن قولنا حصل المصدر له أعم من قولنا حصل بإيجاده واختياره كقولنا قام، أولا باختياره كقولنا مات، فإن قالوا: الفعل كما يحصل في الفاعل فقد يحصل في المفعول، قلنا: إن صيغة الفعل من حيث هي تقتضي حصول ذلك المصدر لشيء ما هو الفاعل، ولا تقتضي حصوله للمفعول، بدليل أن الأفعال اللازمة غنية عن المفعول.

وجوب تقديم الفعل:

المسألة الثانية [وجوب تقديم الفعل] : الفعل يجب تقديمه على الفاعل، لأن الفعل- إثباتا كان أو نفيا

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٢٥٤

يقتضي أمرا ما يكون هو مسندا إليه، فحصول ماهية الفعل في الذهن يستلزم حصول شيء يسند الذهن ذلك الفعل إليه، والمنتقل إليه متأخر بالرتبة عن المنتقل عنه، فلما وجب كون الفعل مقدما على الفاعل في الذهن وجب تقدمه عليه في الذكر، فإن قالوا: لا نجد في العقل فرقا بين قولنا: «ضرب زيد» وبين قولنا: «زيد ضرب» قلنا: الفرق ظاهر، لأنا إذا قلنا زيد لم يلزم من وقوف الذهن على معنى هذا اللفظ أن يحكم بإسناد **معنى آخر** إليه، أما إذا فهمنا معنى لفظ ضرب لزم منه حكم الذهن بإسناد هذا المفهوم إلى شيء ما، إذا عرفت هذا فنقول: إذا قلنا: «ضرب زيد» / فقد حكم الذهن بإسناد مفهوم ضرب إلى شيء، ثم يحكم الذهن بأن ذلك الشيء هو زيد الذي تقدم ذكره، فحينئذ قد أخبر عن زيد بأنه هو ذلك الشيء الذي أسند الذهن مفهوم ضرب إليه، وحينئذ يصير قولنا: زيد مخبرا عنه وقولنا ضرب جملة من فعل وفاعل وقعت خبرا عن ذلك المبتدأ.

ارتباط الفعل بالفاعل:

المسألة الثالثة [ارتباط الفعل بالفاعل] : قالوا: الفاعل كالجزء من الفعل، والمفعول ليس كذلك، وفي تقريره وجوه: الأول: أنهم قالوا ضربت فأسكنوا لام الفعل لئلا يجتمع أربع متحركات، وهم يحترزون عن تواليها في كلمة واحدة، وأما بقرة فإنما احتملوا ذلك فيها لأن التاء زائدة، واحتملوا ذلك في المفعول كقولهم ضربك، وذلك يدل على أنهم اعتقدوا أن الفاعل جزء من الفعل، وأن المفعول منفصل عنه، الثاني: أنك تقول: الزيدان قاما أظهرت الضمير للفاعل، وكذلك إذا قلت زيد ضرب وجب أن يكون الفعل مسند إلى الضمير المستكن طردا للباب، والثالث:

وهو الوجه العقلي– أن مفهوم قولك ضرب هو أنه حصل الضرب لشيء ما في زمان مضى، فذلك الشيء الذي حصل له الضرب جزء من مفهوم قولك ضرب، فثبت أن الفاعل جزء من الفعل.." (١)

"فإن قالوا: لما حصل الوجود بمعنى الوجدان لزم حصول الوجود بمعنى الثبوت والتحقق إذ لو كان عدما محضا لما كان الأمر كذلك.

فنقول: هذا ضعيف من وجهين: الأول: أنه لا يلزم من حصول الوجود بمعنى الوجدان والمعرفة حصول الوجود بمعنى الثبوت، لما ثبت أن المعدوم قد يكون معلوما، والثاني: أنا بينا أن هذا البحث ليس إلا في اللفظ، فلا يلزم من حصول الاسم بحسب معنى حصول الاسم بحسب **معنى آخر**، ثم نقول: ثبت بإجماع المسلمين إطلاق هذا الاسم فوجب القول به.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٣/١

فإن قالوا: ألستم قلتم إن أسماء الله تعالى يجب كونها دالة على المدح والثناء، ولفظ الموجود لا يفيد ذلك؟.

قلنا عدلنا عن هذا الدليل بدلالة الإجماع، وأيضا فدلالة لفظ الموجود على المدح أكثر من دلالة لفظ الشيء عليه، وبيانه من وجوه: الأول: أنه عند قوم يقع لفظ الشيء على المعدوم كما يقع على الموجود، أما الموجود فإنه لا يقع على المعدوم البتة، فكان إشعار هذا اللفظ بالمدح أولى. الثاني: أن لفظ الموجود بمعنى المعلوم يفيد صفة المدح والثناء، لأنه يفيد أن بسبب كثرة الدلائل على وجوده وإلاهيته صار كأنه معلوم لكل أحد موجود عند كل أحد واجب الإقرار به عند كل عقل، فهذا اللفظ أفاد المدح والثناء من هذا الوجه، فظهر الفرق بينه وبين لفظ الشيء.

معنى قولنا ذات الله:

المسألة الثالثة: في الذات:

روى عبد الله الأنصاري الهروي في الكتاب الذي سماه «بالفاروق» أخبارا تدل على هذا اللفظ: أحدها: عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن من أعظم الناس أجرا الوزير الصالح من أمير يطيعه في ذات الله» ،

وثانيها:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم لم يكذب إلا في ثلاث ثنتين في ذات الله» ،

وثالثها:

عن كعب بن عجرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا عليا فإنه كان مخشوشا في ذات الله» ،

ورابعها:

عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الجهاد أفضل؟ قال: «أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله»

وخامسها:

عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للشيطان مصايد وفخوخا منها البطر بأنعم الله، والفخر بعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله» .

وأقول: إن كل شيء حصل به أمر من الأمور فإن كان اللفظ الدال على ذلك الشيء مذكرا قيل إنه ذو ذلك الأمر، وإن كان مؤنثا قيل إنها ذات ذلك الأمر، فهذه اللفظة وضعت لإفادة هذه النسبة والدلالة على ثبوت هذه الإضافة، إذا عرفت هذا فنقول: إنه من المحال أن تثبت هذه الصفة لصفة الثانية، وتلك الصفة الثانية تثبت لصفة ثالثة، وهكذا إلى غير النهاية، بل لا بد وأن تنتهي إلى حقيقة واحدة قائمة بنفسها مستقلة بماهيتها، وحينئذ يصدق على تلك الحقيقة أنها ذات تلك الصفات، فقولنا: «إنه ا ذات كذا وكذا إنما يصدق في الحقيقة على تلك الماهية القائمة بنفسها، فلهذا السبب جعلوا هذه اللفظة كاللفظة المفردة الدالة على هذه الحقيقة، ولما كان الحق تعالى قيوما في ذاته كان إطلاق اسم الذات عليه حقا وصدقا، وأما الأخبار التي رويناها عن الأنصاري الهروي فإن شيئا منها لا يدل على هذا المعنى، لأنه ليس المراد من لفظ الذات فيها حقيقة الله تعالى وماهيته." (١)

"السؤال الثاني: أنه إنما يقال: فلان ذاق العذاب إذا أدرك شيئا قليلا منه، والله تعالى قد وصف أنهم كانوا في أشد العذاب، فكيف يحسن أن يذكر بعد ذلك أنهم ذاقوا العذاب؟

والجواب: المقصود من ذكر الذوق الإخبار بأن إحساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كإحساس الذائق المذوق، من حيث إنه لا يدخل فيه نقصان ولا زوال بسبب ذلك الاحتراق.

ثم قال تعالى: إن الله كان عزيزا حكيما والمراد من العزيز: القادر الغالب، ومن الحكيم: الذي لا يفعل إلا الصواب، وذكرهما في هذا الموضع في غاية الحسن، لأنه يقع في القلب تعجب من أنه كيف يمكن بقاء الإنسان في النار الشديدة أبد الآباد! فقيل: هذا ليس بعجيب من الله، / لأنه القادر الغالب على جميع الممكنات، يقدر على إزالة طبيعة النار، ويقع في القلب أنه كريم رحيم، فكيف يليق برحمته تعذيب هذا الشخص الضعيف إلى هذا الحد العظيم؟ فقيل: كما أنه رحيم فهو أيضا حكيم، و الحكمة تقتضي ذلك. فإن نظام العالم لا يبقى إلا بتهديد العصاة، والتهديد الصادر منه لا بد وأن يكون مقرونا بالتحقيق صونا لكلامه عن الكذب، فثبت أن ذكر هاتين الكلمتين هاهنا في غاية الحسن.

[سورة النساء (٤) : آية ٥٧]

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا (٥٧)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١/١١٤

اعلم أنه قد جرت عادة الله تعالى في هذا الكتاب الكريم بأن الوعد والوعيد يتلازمان في الذكر على سبيل الأغلب، وفي الآية مسألتان:

المسألة الأولى: هذه الآية دالة على أن الإيمان غير العمل، لأنه تعالى عطف العمل على الإيمان، والمعطوف مغاير للمعطوف عليه. قال القاضي: متى ذكر لفظ الإيمان وحده دخل فيه العمل، ومتى ذكر معه العمل كان الإيمان هو التصديق، وهذا بعيد لأن الأصل عدم الاشتراك وعدم التغير، ولولا أن الأمر كذلك لخرج القرآن عن كونه مفيدا. فلعل هذه الألفاظ التي نسمعها في القرآن يكون لكل واحد منها معنى سوى ما نعلمه، ويكون مراد الله تعالى منه ذلك المعنى لا هذا الذي تبادرت أفهامنا إليه. هذا على القول بأن احتمال الاشتراك والإفراد على السوية، وأما على القول بأن احتمال البقاء على الأصل واحتمال التغيير متساويان فلا، لأن على هذا التقدير يحتمل أن يقال: هذه الألفاظ كانت في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم موضوعة لمعنى آخر غير ما نفهمه الآن، ثم تغيرت إلى هذا الذي نفهمه الآن. فثبت أن على هذين التقديرين يخرج القرآن عن كونه حجة، وإذا ثبت أن الاشتراك والتغيير خلاف الأصل اندفع كلام القاضي.

المسألة الثانية: اعلم أنه تعالى ذكر في شرح ثواب المطيعين أمورا: أحدها: أنه تعالى يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وقال الزجاج: المراد تجري من تحتها مياه الأنهار، واعلم أنه إن جعل النهر اسما لمكان الماء كان الأمر مثل ما قاله الزجاج، أما إن جعلناه في المتعارف اسما لذلك/ الماء فلا حاجة إلى هذا الإضمار، وثانيها: أنه تعالى وصفها بالخلود والتأبيد، وفيه رد على جهم بن صفوان حيث يقول: إن نعيم الجنة وعذاب النار ينقطعان، وأيضا أنه تعالى ذكر مع الخلود التأبيد، ولو كان الخلود عبارة عن التأبيد لزم التكرار وهو غير جائز، فدل هذا أن الخلود ليس عبارة عن التأبيد، بل هو عبارة عن طول المكث من غير بيان أنه منقطع." (١)

"ضمير لله تعالى، والملائكة مرفوعة بالابتداء، ويضربون خبر.

المسألة الخامسة: قال الواحدي: معنى يتوفى الذين كفروا يقبضون أرواحهم على استيفائها وهذا يدل على أن الإنسان شيء مغاير لهذا الجسد، وأنه هو الروح فقط لأن قوله: يتوفى الذين كفروا يدل على أنه استوفى الذات الكافرة، وذلك يدل على أن الذات الكافرة هي التي استوفيت/ من هذا الجسد، وهذا برهان ظاهر على أن الإنسان شيء مغاير لهذا الجسد، وقوله: يضربون وجوههم وأدبارهم قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف، وإذا ولوا ضربوا أدبارهم، فلا جرم قابلهم الله بمثله

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠٧/١٠

في وقت نزع الروح، وأقول فيه معنى آخر ألطف منه، وهو أن روح الكافر إذا خرج من جسده فهو معرض عن عالم الدنيا مقبل على الآخرة، وهو لكفره لا يشاهد في عالم الآخرة إلا الظلمات، وهو لشدة حبه للجسمانيات، ومفارقته لها لا ينال من مباعدته عنها إلا الآلام والحسرات، فسبب مفارقته لعالم الدنيا تحصل له الآلام بعد الآلام والحسرات، وبسبب إقباله على الآخرة مع عدم النور والمعرفة، ينتقل من ظلمات إلى ظلمات، فهاتان الجهتان هما المراد من قوله: يضربون وجوههم وأدبارهم.

ثم قال تعالى: وذوقوا عذاب الحريق وفيه إضمار، والتقدير: ونقول ذوقوا عذاب الحريق ونظيره في القرآن كثير قال تعالى: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا [البقرة: ١٢٧] أي ويقولان ربنا، وكذا قوله تعالى: ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا [السجدة: ١٢] أي يقولون ربنا. قال ابن عباس: قول الملائكة لهم: وذوقوا عذاب الحريق إنما صح لأنه كان مع الملائكة مقامع، وكلما ضربوا بها التهبت النار في الأجزاء والأبعاض، فذاك قوله: وذوقوا عذاب الحريق قال الواحدي: والصحيح أن هذا تقوله الملائكة لهم في الآخرة. وأقول: أما العذاب الجسماني فحق وصدق. وأما الروحاني فحق أيضا لدلالة العقل عليه، وذلك لأنا بينا أن الجاهل إذا فارق الدنيا حصل له الحزن الشديد بسبب مفارقة الدنيا المحبوبة، والخوف الشديد بسبب تراكم الظلمات عليه في عالم الخوف والحزن. والخوف والحزن كلاهما يوجبان الحرقة الروحانية، والنار الروحانية.

ثم قال تعالى: ذلك بما قدمت أيديكم قيل هذا إخبار عن قول الملائكة، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال الواحدي: يجوز أن يقال ذلك مبتدأ، وخبره قوله: بما قدمت أيديكم ويجوز أن يكون محل ذلك نصبا، والتقدير: فعلنا ذلك بما قدمت أيديكم.

المسألة الثانية: المراد من قوله: ذلك هذا أي هذا العذاب الذي هو عذاب الحريق، حصل بسبب ما قدمت أيديكم، وذكرنا في قوله: الم ذلك الكتاب أن معناه هذا الكتاب وهذا المعنى جائز.

المسألة الثالثة: ظاهر قوله: ذلك بما قدمت يقتضي أن فاعل هذا الفعل هو اليد، وذلك/ ممتنع من وجوه: أحدها: أن هذا العذاب إنما وصل إليهم بسبب كفرهم، ومحل الكفر هو القلب لا اليد. وثانيها: أن اليد ليست محلا للمعرفة والعلم، فلا يتوجه التكليف عليها، فلا يمكن إيصال العذاب إليها، فوجب حمل اليد هاهنا على القدرة، وسبب هذا المجازان اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل، فحسن جعل اليد كناية عن القدرة.." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥/٤٩٤

"منها إلى مرتبة أخرى وهي أن يقول: سيؤتينا الله من فضله ورسوله إما في الدنيا إن اقتضاه التقدير، وإما في الآخرة وهي أولى وأفضل.
والمرتبة الرابعة: أن يقول: إنا إلى الله راغبون فنحن لا نطلب من الإيمان والطاعة أخذ الأموال والفوز بالمناصب في الدنيا، وإنما المراد إما اكتساب سعادات الآخرة. وإما الاستغراق في العبودية على ما دل لفظ الآية عليه فإنه قال: إنا إلى الله راغبون ولم يقل: إنا إلى ثواب الله راغبون.
ونقل أن عيسى عليه السلام مر بقوم يذكرون الله تعالى فقال: ما الذي يحملكم عليه؟ قالوا: الخوف من عقاب الله، فقال: أصبتم ثم مر على قوم آخرين يذكرون الله، فقال: ما الذي يحملكم عليه، فقالوا: الرغبة في الثواب، فقال: أصبتم، ثم مر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا: لا نذكره للخوف من العقاب، ولا للرغبة في الثواب، بل لإظهار ذلة العبودية، وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته، وتشريف اللسان بالألفاظ الدالة على صفات قدسه وعزته.
فقال: أنتم المحقون المحققون.

[سورة التوبة (٩) : آية ٦٠]
إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (٦٠)
اعلم أن المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم في الصدقات، بين لهم أن مصرف الصدقات هؤلاء، ولا تعلق لي بها، ولا آخذ لنفسي نصيبا منها، فلم يبق لهم طعن في الرسول بسبب أخذ الصدقات.
وهاهنا مقامات:
المقام الأول: بيان الحكمة في أخذ القليل من أموال الأغنياء، وصرفها إلى المحتاجين من الناس.
والمقام الثاني: بيان حال هؤلاء الأصناف الثمانية المذكورين في هذه الآية.
أما المقام الأول: فنقول: الحكمة في إيجاب الزكاة أمور، بعضها مصالح عائدة إلى معطي الزكاة.
وبعضها عائدة إلى آخذ الزكاة.
أما القسم الأول: فهو أمور: الأول: أن المال محبوب بالطبع، والسبب فيه أن القدرة صفة من صفات الكمال محبوبة لذاتها، ولعينها لا لغيرها لأنه لا يمكن أن يقال: إن كل شيء فهو محبوب لمعنى آخر وإلا لزم، إما التسلسل وإما الدور، وهما محالان، فوجب الانتهاء في الأشياء المحبوبة إلى ما يكون محبوبا لذاته.

والكمال محبوب لذاته، والنقصان مكروه لذاته فلما كانت القدرة صفة كمال، وصفة الكمال محبوبة لذاتها، كانت القدرة محبوبة لذاتها. والمال سبب لحصول تلك القدرة، ولكمالها في حق البشر فكان أقوى أسباب القدرة في حق البشر هو المال، والذي يتوقف عليه المحبوب فهو محبوب، فكان المال محبوبا، فهذا هو السبب في كونه محبوبا إلا أن الاستغراق في حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت حكمة الشرع تكليف مالك المال بإخراج طائفة منه من يده، ليصير ذلك الإخراج كسرا من شدة الميل إلى المال، ومنعا من انصراف النفس بالكلية إليها وتنبيها لها على أن سعادة الإنسان لا تحصل عند الاشتغال بطلب المال وإنما تحصل/ بإنفاق المال في طلب مرضاة الله تعالى فإيجاب الزكاة علاج صالح متعين لإزالة مرض حب الدنيا عن القلب، فالله سبحانه أوجب الزكاة لهذه الحكمة. وهو المراد من قوله: خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها [التوبة: ١٠٣] أي تطهرهم وتزكيهم عن الاستغراق في طلب الدنيا.." (١)

"إلا بهذين الطريقين أعني لذة البطن والفرج. وأما الآلام: فإن كل جزء من أجزاء بدن الإنسان معه نوع آخر من الآلام، ولكل نوع منها خاصية ليست للنوع الآخر. والثالث: أن اللذات/ الجسمانية لا تكون خالصة ألبتة بل تكون ممزوجة بأنواع من المكاره، فلو لم يحصل في لذة الأكل والوقاع إلا إتعاب النفس في مقدماتها وفي لواحقها لكفى. الرابع: أن اللذات الجسمانية لا تكون باقية، فكلما كان الالتذاذ بها أكثر كانت الحسرات الحاصلة من خوف فواتها أكثر وأشد، ولذلك قال المعري:

إن حزنا في ساعة الموت أضعاف ... سرور في ساعة الميلاد

فمن المعلوم أن الفرح الحاصل عند حدوث الولد لا يعادل الحزن الحاصل عند موته. الخامس: أن اللذات الجسمانية حال حصولها تكون ممتنعة البقاء، لأن لذة الأكل لا تبقى بحالها، بل كما زال ألم الجوع زال الالتذاذ بالأكل ولا يمكن استبقاء تلك اللذة. السادس: أن اللذات الجسمانية التذاذ بأشياء خسيسة، فإنها التذاذ بكيفيات حاصلة في أجسام رخوة سريعة الفساد مستعدة للتغير، فأما اللذات الروحانية فإنها بالضد في جميع هذه الجهات، فثبت أن الفرح باللذات الجسمانية فرح باطل، وأما الفرح الكامل فهو الفرح بالروحانيات والجواهر المقدسة وعالم الجلال ونور الكبرياء.

والبحث الثاني: من مباحث هذه الآية أنه إذا حصلت اللذات الروحانية فإنه يجب على العاقل أن لا يفرح بها من حيث هي هي، بل يجب أن يفرح بها من حيث إنها من الله تعالى وبفضل الله وبرحمته، فلهذا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٧/١٦

السبب قال الصديقون: من فرح بنعمة الله من حيث إنها تلك النعمة فهو مشرك، أما من فرح بنعمة الله من حيث إنها من الله كان فرحه بالله، وذلك هو غاية الكمال ونهاية السعادة فقوله سبحانه: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا يعني فليفرحوا بتلك النعم لا من حيث هي هي، بل من حيث إنها بفضل الله وبرحمة الله، فهذه أسرار عالية اشتملت عليها هذه الألفاظ التي ظهرت من عالم الوحي والتنزيل، هذا ما تلخص عندنا في هذا الباب، أما المفسرون فقالوا: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن. وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله.

المسألة الرابعة: قرئ فلتفرحوا بالتاء، قال الفراء: وقد ذكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ بالتاء وقال: معناه فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار، قال وقريب من هذه القراءة قراءة أبي فبذلك فافرحوا والأصل في الأمر للمخاطب والغائب اللام نحو لتقم يا زيد وليقم زيد، وذلك لأن حكم الأمر في الصورتين واحد، إلا أن العرب حذفوا اللام من فعل المأمور المخاطب لكثرة استعماله، وحذفوا التاء أيضا وأدخلوا ألف الوصل نحو اضرب واقتل ليقع الابتداء به وكان الكسائي يعيب قولهم فليفرحوا لأنه وجده قليلا فجعله عيبا إلا أن ذلك هو الأصل،

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض المشاهد: «لتأخذوا مصافكم»

يريد به خذوا، هذا كله كلام/ الفراء. وقرئ تجمعون بالتاء ووجهه أنه تعالى عنى المخاطبين والغائبين إلا أنه غلب المخاطب على الغائب كما يغلب التذكير على التأنيث، فكأنه أراد المؤمنين هكذا قال أهل اللغة وفيه دقيقة عقلية وهو أن الإنسان حصل فيه معنى يدعوه إلى خدمة الله تعالى وإلى الاتصال بعالم الغيب ومعارج الروحانيات، وفيه معنى آخر يدعوه إلى عالم الحس والجسم واللذات الجسدانية، وما دام الروح متعلقا بهذا الجسد، فإنه لا ينفك عن حب الجسد، وعن طلب اللذات الجسمانية، فكأنه تعالى خاطب الصديقين العارفين،." (١)

"الملائكة والأنبياء فكيف يمكن حمل اللفظ عليه، وأما قوله إن ذلك محمول على أنهم كانوا يستثقلون سماع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإبصار صورته.

فالجواب أنه تعالى نفى الاستطاعة فحمله على معنى آخر خلاف الظاهر، وأيضا أن حصول ذلك الاستثقال إما أن يمنع من الفهم والوصول إلى الغرض أو لم يمنع، فإن منع فهو المقصود، وإن لم يمنع منه فحينئذ كان ذلك سببا أجنبيا عن المعاني المعتبرة في الفهم والإدراك، ولا تختلف أحوال القلب في العلم والمعرفة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧/٢٧٠

بسببه، فكيف يمكن جعله ذما لهم في هذا المعرض، وأيضا قد بينا مرارا كثيرة في هذا الكتاب أن حصول الفعل مع قيام الصارف محال، فلما بين تعالى كون هذا المعنى صارفا عن قبول الدين الحق وبين فيه أنه حصل حصولا على سبيل اللزوم بحيث لا يزول البتة في ذلك الوقت كان المكلف في ذلك الوقت ممنوعا عن الإيمان، وحينئذ يحصل المطلوب، وأما قوله فإنا نجعل هذه الصفة من صفة الأوثان فبعيد لأنه تعالى قال: يضاعف لهم العذاب ثم قال: ما كانوا يستطيعون السمع فوجب أن يكون الضمير في هذه الآية المتأخرة عائدا إلى عين ما عاد إليه الضمير المذكور في هذه الآية الأولى. وأما قوله: وما كانوا يبصرون فقيل: المراد منه البصيرة، وقيل: المراد منه أنهم عدلوا عن إبصار ما يكون حجة لهم.

الصفة الثانية عشرة: قوله: أولئك الذين خسروا أنفسهم

ومعناه أنهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى فكان هذا الخسران أعظم وجوه الخسران.

الصفة الثالثة عشرة: قوله: وضل عنهم ما كانوا يفترون

والمعنى أنهم لما باعوا الدين بالدنيا فقد خسروا، لأنهم أعطوا الشريف، ورضوا بأخذ الخسيس، وهذا عين الخسران في الدنيا ثم في الآخرة فهذا الخسيس يضيع ويهلك ولا يبقى منه أثر، وهو المراد بقوله: وضل عنهم ما كانوا يفترون.

الصفة الرابعة عشرة: قوله: لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون وتقريره ما تقدم، وهو أنه لما أعطى الشريف الرفيع ورضي بالخسيس الوضيع فقد خسر في التجارة. ثم لما كان هذا الخسيس بحيث لا يبقى بل لا بد وأن يهلك ويفنى انقلبت تلك التجارة إلى النهاية في صفة الخسارة، فلهذا قال: لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون وقوله لا جرم قال الفراء: إنها بمنزلة قولنا لا بد ولا محالة، ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا، تقول العرب: لا جرم أنك محسن، على معنى حقا إنك محسن، وأما النحويون فلهم فيه وجوه: الأول: لا حرف نفي وجزم، أي قطع، فإذا قلنا: لا جرم معناه أنه لا قطع قاطع عنهم أنهم في الآخرة هم الأخسرون. الثاني: قال الزجاج إن كلمة لا نفي لما ظنوا أنه ينفعهم، وجرم معناه كسب ذلك الفعل، والمعنى: لا ينفعهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة، وذكرنا جرم بمعنى كسب في تفسير قوله تعالى: لا يجرمنكم شنآن قوم [المائدة: ٢] قال الأزهري، وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب، الثالث: قال سيبويه والأخفش: لا رد على أهل الكفر كما ذكرنا وجرم معناه حق وصحح، والتأويل أنه حق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم. واحتج سيبويه بقول الشاعر:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ... جرمت فزاة بعدها أن يغضبوا

أراد حقت الطعنة فزارة أن يغضبوا.." (١)

"نفس الضحك، ومنهم من حمل هذا اللفظ على **معنى آخر** سوى الضحك. أما الذين حملوه على نفس الضحك فاختلفوا في أنها لم ضحكت، وذكروا وجوها: الأول: قال القاضي إن ذلك السبب لا بد وأن يكون سببا جرى ذكره في هذه الآية، وما ذاك إلا أنها فرحت بزوال ذلك الخوف عن إبراهيم عليه السلام حيث قالت الملائكة:

لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وعظم سرورها بسبب سروره بزوال خوفه، وفي مثل هذه الحالة قد يضحك الإنسان، وبالجملة فقد كان ضحكها بسبب قول الملائكة لإبراهيم عليه السلام لا تخف فكان كالبشارة، فقيل لها: نجعل هذه البشارة بشارتين، فكما حصلت البشارة بزوال الخوف، فقد حصلت البشارة أيضا بحصول الولد الذي كنتم تطلبونه من أول العمر إلى هذا الوقت وهذا تأويل في غاية الحسن. الثاني: يحتمل أنها كانت عظيمة الإنكار على قوم لوط لما كانوا عليه من الكفر والعمل الخبيث، فلما أظهروا أنهم جاءوا لإهلاكهم لحقها السرور فضحكت. الثالث:

قال السدي قال إبراهيم عليه السلام لهم: ألا تأكلون قالوا: / لا نأكل طعاما إلا بالثمن، فقال: ثمنه أن تذكروا اسم الله تعالى على أوله وتحمدوه على آخره، فقال جبريل لميكائيل عليهما السلام: «حق لمثل هذا الرجل أن يتخذه ربه خليلا» فضحكت امرأته فرحا منها بهذا الكلام.

الرابع: أن سارة قالت لإبراهيم عليه السلام أرسل إلى ابن أخيك وضمه إلى نفسك، فإن الله تعالى لا يترك قومه حتى يعذبهم، فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على إبراهيم عليه السلام، فلما أخبروه بأنهم إنما جاءوا لإهلاك قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها، فضحكت لشدة سرورها بحصول الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة. الخامس:

أن الملائكة لما أخبروا إبراهيم عليه السلام أنهم من الملائكة لا من البشر وأنهم إنما جاءوا لإهلاك قوم لوط طلب إبراهيم عليه السلام منهم معجزة دالة على أنهم من الملائكة فدعوا ربهم بإحياء العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي من الموضع الذي كان موضوعا فيه إلى مرعاه، وكانت امرأة إبراهيم عليه السلام قائمة فضحكت لما رأت ذلك العجل المشوي قد طفر من موضعه. السادس: أنها ضحكت تعجبا من أن قوما أتاهم العذاب وهم في غفلة. السابع: لا يبعد أن يقال إنهم بشروها بحصول مطلق الولد فضحكت،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧/٣٣٤

إما على سبيل التعجب فإنه يقال إنها كانت في ذلك الوقت بنت بضع وتسعين سنة وإبراهيم عليه السلام ابن مائة سنة، وإما على سبيل السرور. ثم لما ضحكت بشرها الله تعالى بأن ذلك الولد هو إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. الثامن: أنها ضحكت بسبب أنها تعجبت من خوف إبراهيم عليه السلام من ثلاث أنفس حال ما كان معه حشمه وخدمه.

التاسع: أن هذا على التقديم والتأخير والتقدير: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق فضحكت سرورا بسبب تلك البشارة فقدم الضحك، ومعناه التأخير. الثاني: هو أن يكون معنى فضحكت حاضت وهو منقول عن مجاهد وعكرمة قالا: ضحكت أي حاضت عند فرحها بالسلامة من الخوف، فلما ظهر حيضها بشرت بحصول الولد، وأنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت، قال أبو بكر الأنباري هذه اللغة إن لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم، حكى الليث في هذه الآية فضحكت طمثت، وحكى الأزهري، عن بعضهم أن أصله من ضحاك الطلعة يقال ضحكت الطلعة إذا انشقت.

واعلم أن هذه الوجوه كلها زوائد. وإنما الوجه الصحيح هو الأول.

ثم قال تعالى: ومن وراء إسحاق يعقوب وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع أما وجه." [١]

"المقصود إلا بهذه الواسطة وذلك في حق الله تعالى محال، وإذا ثبت بالدليل أنه يمتنع تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه بالعلل ثبت أن كل ظاهر أشعر به فإنه مؤول محمول على **معنى آخر**.

المسألة الثالثة: إنما شبه الكفر بالظلمات لأنه نهاية ما يتحير الرجل فيه عن طريق الهداية وشبه الإيمان بالنور لأنه نهاية ما ينجلي به طريق هدايته.

المسألة الرابعة: قال القاضي: هذه الآية فيها دلالة على إبطال القول بالجبر من جهات: أحدها: أنه تعالى لو كان يخلق الكفر في الكافر فكيف يصح إخراجه منه بالكتاب. وثانيها: أنه تعالى أضاف الإخراج من الظلمات إلى النور إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فإن كان خالق ذلك الكفر هو الله تعالى فكيف يصح من الرسول عليه الصلاة والسلام إخراجهم منه وكان للكافر أن يقول: إنك تقول: إن الله خلق الكفر فينا فكيف يصح منك أن تخرجنا منه فإن قال لهم: أنا أخرجكم من الظلمات التي هي كفر مستقبل لا واقع، فلهم أن يقولوا: إن كان تعالى سيخلقه فينا لم يصح ذلك الإخراج وإن لم يخلقه فنحن خارجون منه بلا إخراج. وثالثها: أنه صلى الله عليه وسلم إنما يخرجهم من الكفر بالكتاب بأن يتلوه عليهم ليتدبروه وينظروا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٧٤/١٨

فيه فيعلموا بالنظر والاستدلال كونه تعالى عالما قادرا حكيما ويعلموا بكون القرآن معجزة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وحينئذ يقبلوا منه كل ما أداه إليهم من الشرائع، وذلك لا يصح إلا إذا كان الفعل لهم ويقع باختيارهم، ويصح منهم أن يقدموا عليه ويتصرفوا فيه.

والجواب عن الكل أن نقول: الفعل الصادر من العبد إما أن يصدر عنه حال استواء الداعي إلى الفعل والترك أو حال رجحان أحد الطرفين على الآخر. والأول: باطل، لأن صدور الفعل رجحان لجانب الوجود على جانب العدم، وحصول الرجحان حال حصول الاستواء محال. والثاني: عين قولنا لأنه يمتنع صدور الفعل عنه إلا بعد حصول الرجحان، فإن كان ذلك الرجحان منه عاد السؤال، وإن لم يكن منه بل من الله تعالى، فحينئذ يكون المؤثر الأول هو الله تعالى وذلك هو المطلوب والله أعلم.

المسألة الخامسة: احتج أصحابنا على صحة قولهم في أن فعل العبد مخلوق لله تعالى بقوله تعالى: بإذن ربهم فإن معنى الآية أن رسول صلى الله عليه وسلم لا يمكنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور إلا بإذن ربهم، والمراد بهذا الإذن إما الأمر، وإما العلم، وإما المشيئة والخلق. وحمل الإذن على الأمر محال، لأنه الإخراج من الجهل إلى العلم لا يتوقف على الأمر، فإنه سواء حصل الأمر أو لم يحصل، فإن الجهل متميز عن العلم والباطل متميز عن الحق، وأيضا حمل الإذن على العلم محال، لأن العلم يتبع المعلوم على ما هو عليه فالعلم بالخروج من الظلمات إلى النور تابع لذلك الخروج ويمتنع أن يقال إن حصول ذلك الخروج تابع للعلم بحصول ذلك الخروج ولما بطل هذان القسمان لم يبق إلا أن يكون المراد من الإذن المشيئة والتخليق، وذلك يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكنه إخراج الناس من الظلمات إلى النور إلا بمشيئة الله وتخليقه.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون المراد من الإذن الإلطاف.

قلنا: لفظ اللطف لفظ مجمل ونحن نفصل القول فيه فنقول: المراد بالإذن إما أن يكون أمرا يقتضي ترجيح جانب الوجود على جانب العدم أو لا يقتضي ذلك، فإن كان الثاني لم يكن فيه أمر البتة، فامتنع أن يقال: إنه مما حصل بسببه ولأجله فبقي الأول وهو أن المراد من الإذن معنى يقتضي ترجيح جانب الوجود على." (١)

"الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

[العنكبوت: ٤٥] والأقرب أن لا تكون هذه الأشياء تفسيرا لكونهم متقين، وذلك لأن كمال السعادة لا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٧/١٩

يحصل إلا بترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي، فالترك هو التقوى، والفعل إما فعل القلب، وهو الإيمان، أو فعل الجوارح، وهو الصلاة والزكاة، وإنما قدم التقوى الذي هو الترك على الفعل الذي هو الإيمان والصلاة والزكاة، لأن القلب كاللوح القابل لنقوش العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، واللوح يجب تطهيره أولا عن النقوش الفاسدة، حتى يمكن إثبات النقوش الجيدة فيه، وكذا القول في الأخلاق، فلهذا السبب قدم التقوى وهو ترك ما لا ينبغي، ثم ذكر بعده فعل ما ينبغي.

المسألة الثالثة: قال صاحب «الكشاف» : الإيمان إفعال من الأمن، ثم يقال آمنه إذا صدقه، وحقيقته آمنه من التكذيب والمخالفة، وأما تعديته بالباء فلتضمنه معنى «أقر وأعترف» وأما ما حكى أبو زيد: ما آمنت أن أجد صحابة أي ما وثقت، فحقيقته صرت ذا أمن، أي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق. وأقول: اختلف أهل القبلة في مسمى الإيمان في عرف الشرع ويجمعهم فرق أربع.

الفرقة الأولى: الذين قالوا: الإيمان اسم لأفعال القلوب والجوارح والإقرار باللسان، وهم المعتزلة والخوارج والزيدية، وأهل الحديث، أما الخوارج فقد اتفقوا على أن الإيمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا أو نقليا من الكتاب والسنة، ويتناول طاعة الله في جميع ما أمر الله به من الأفعال والتروك صغيرا كان أو كبيرا. فقالوا مجموع هذه الأشياء هو الإيمان وترك كل خصلة من هذه الخصال كفر، وأما المعتزلة فقد اتفقوا على أن الإيمان إذا عدي بالباء فالمراد به التصديق، ولذلك يقال فلان آمن بالله وبرسوله، ويكون المراد التصديق، إذ الإيمان بمعنى أداء الواجبات لا يمكن فيه هذه التعدية، فلا يقال فلان آمن بكذا إذا صلى وصام، بل يقال فلان آمن بالله كما يقال صام وصلى لله، فالإيمان المعدى بالباء يجري على طريقة أهل اللغة، أما إذا ذكر مطلقا غير معدى فقد اتفقوا على أنه منقول من المسمى اللغوي- الذي هو التصديق- إلى معنى آخر، ثم اختلفوا فيه على وجوه: أحدها: أن الإيمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة أو مندوبة، أو من باب الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات، وهو قول واصل بن عطاء وأبي الهذيل والقاضي عبد الجبار بن أحمد. وثانيها: أنه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل، وهو قول أبي علي وأبي هاشم. وثالثها: أن الإيمان عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد، فالمؤمن عند الله كل من اجتنب كل الكبائر، والمؤمن عندنا كل من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد، وهو قول النظام، ومن أصحابه من قال: شرط كونه مؤمنا عندنا وعند الله اجتناب الكبائر كلها. وأما أهل الحديث فذكروا وجهين: الأول: أن المعرفة إيمان كامل وهو الأصل، ثم بعد ذلك كل طاعة إيمان على حدة، وهذه الطاعات لا

يكون شيء منها إيمانا إلا إذا كانت مرتبة على الأصل الذي هو المعرفة. وزعموا أن الجحود وإنكار القلب كفر، ثم كل معصية بعده كفر على حدة، ولم يجعلوا شيئا من الطاعات إيمانا ما لم توجد المعرفة والإقرار، ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والإنكار، لأن الفرع لا يحصل بدون ما هو أصله، وهو قول عبد الله بن سعيد بن كلاب. الثاني:

زعموا أن الإيمان اسم للطاعات كلها وهو إيمان واحد وجعلوا الفرائض والنوافل كلها من جملة الإيمان، ومن ترك شيئا من الفرائض فقد انتقص إيمانه، ومن ترك النوافل لا ينتقص إيمانه، ومنهم من قال: الإيمان اسم للفرائض دون النوافل.." (١)

"الأول: الدلائل العقلية الدالة على أنه لا يجوز من الله أن يفعل ذلك. الثاني: أنه قال: وأضلهم السامري ولو كان الله خلق الضلال فيهم لم يكن لفعل السامري فيه أثر وكان يبطل قوله: وأضلهم السامري وأيضا فلأن موسى عليه السلام لما طالبهم بذكر سبب تلك الفتنة قال: أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فلو حصل ذلك بخلق الله تعالى لكان لهم أن يقولوا السبب فيه أن الله خلقه فينا لا ما ذكرت فكان يبطل تقسيم موسى عليه السلام وأيضا فقال: أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ولو كان ذلك بخلقه لاستحال أن يغضب عليهم فيما هو الخالق له ولما بطل ذلك وجب أن يكون لقوله: فتنا معنى آخر وذلك لأن الفتنة قد تكون بمعنى الامتحان. يقال: فتنت الذهب بالنار إذا امتحنته بالنار لكي يتميز الجيد من الرديء فههنا شدد الله التكليف عليهم وذلك لأن السامري لما أخرج لهم ذلك العجل صاروا مكلفين بأن يستدلوا بحدوث جملة العالم والأجسام على أن لها إلها ليس بجسم وحينئذ يعرفون أن العجل لا يصلح للإلهية فكان هذا التعبد تشديدا في التكليف فكان فتنة والتشديد في التكليف موجود قال تعالى: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون [العنكبوت: ٢] هذا تمام كلام المعتزلة قال الأصحاب: ليس في ظهور صوت عن عجل متخذ من الذهب شبهة أعظم مما في الشمس والقمر والدليل الذي ينفي كون الشمس والقمر إلها أولى بأن ينفي كون ذلك العجل إلها فحينئذ لا يكون حدوث ذلك العجل تشديدا في التكليف فلا يصح حمل الآية عليه فوجب حمله على خلق الضلال/ فيهم، قولهم: أضاف الإضلال إلى السامري قلنا: أليس أن جميع المسببات العادية تضاف إلى أسبابها في الظاهر وإن كان الموجد لها هو الله تعالى فكذا هاهنا وأيضا قرئ وأضلهم السامري أي وأشدهم ضلالا السامري وعلى هذا لا يبقى للمعتزلة الاستدلال، ثم الذي يحسم مادة ا‍رشغب التمسك بفصل الداعي على ما سبق

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢/ ٢٧٠

تقريره في هذا الكتاب مرارا كثيرة.
المسألة الثانية: المراد بالقوم هاهنا هم الذين خلفهم مع هارون عليه السلام على ساحل البحر وكانوا ستمائة ألف افتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفا.
المسألة الثالثة: قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية سعيد بن جبير: كان السامري علجا من أهل كرمان وقع إلى مصر وكان من قوم يعبدون البقر والذي عليه الأكثرون أنه كان من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة، قال الزجاج وقال عطاء عن ابن عباس: بل كان رجلا من القبط جارا لموسى عليه السلام وقد آمن به.
المسألة الرابعة: روي في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا: قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك والتوفيق بين هذا وبين قوله لموسى عند مقدمه: فإنا قد فتنا قومك من بعدك من وجهين. الأول: أنه تعالى أخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته. الثاني: أن السامري شرع في تدبير الأمر لما غاب موسى عليه السلام وعزم على إضلالهم حال مفارقة موسى عليه السلام وكأنه قدر الفتنة موجودة.
المسألة الخامسة: إنما رجع موسى عليه السلام بعد ما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة.
المسألة السادسة: ذكروا في الأسف وجوها. أحدها: أنه شدة الغضب وعلى هذا التقدير لا يلزم التكرار لأن قوله: غضبان يفيد أصل الغضب وقوله: أسفا يفيد كماله. وثانيها: قال الأكثرون حزنا وجزعا يقال أسف." (١)

"المسألة الثالثة: إنما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكون أقرب إلى تلافي الذنوب والتحرر عنها خوفا من ذلك والله أعلم.
المسألة الرابعة: إنما لم يعين الوقت لأجل أن كتمانه أصلح، كما أن كتمان وقت الموت أصلح.
المسألة الخامسة: الفائدة في تسمية يوم القيامة بيوم الحساب أن الحساب هو الكاشف عن حال المرء فالخوف من ذكره أعظم.
المسألة السادسة: يجب أن يكون المراد بالناس من له مدخل في الحساب وهم المكلفون دون من لا مدخل له، ثم قال ابن عباس: المراد بالناس المشركون. وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين أما قوله تعالى: وهم في غفلة معرضون فاعلم أنه تعالى وصفهم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٧/٢٢

بأمرين الغفلة والإعراض. أما الغفلة فالمعنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ثم إذا انتبهوا من سنة الغفلة ورقدة الجهالة مما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم.

أما قوله: ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن أبي عبلة محدث بالرفع صفة للمحل.

المسألة الثانية: إنما ذكر الله تعالى ذلك بيانا لكونهم معرضين، وذلك لأن الله تعالى يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويظهر لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون، فما يزيدهم ذلك إلا لعبا واستسخارا.

المسألة الثالثة: المعتزلة احتجوا على حدوث القرآن بهذه الآية فقالوا: القرآن ذكر والذكر محدث فالقرآن محدث، بيان أن القرآن ذكر قوله تعالى في صفة القرآن: إن هو إلا ذكر للعالمين [ص: ٨٧] وقوله: وإنه لذكر لك ولقومك [الزخرف: ٤٤] وقوله: ص والقرآن ذي الذكر [ص: ١] وقوله: إنا نحن نزلنا الذكر [الحجر: ٩] وقوله: إن هو إلا ذكر وقرآن مبين [يس: ٦٩] وقوله: وهذا ذكر مبارك أنزلناه [الأنبياء: ٥] وبيان أن الذكر محدث قوله في هذا الموضع: ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله في سورة الشعراء: وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث [الشعراء: ٥] ثم قالوا فصار مجموع هاتين المقدمتين المنصوصتين كالنص في أن القرآن محدث والجواب من وجهين: الأول: أن قوله: إن هو إلا ذكر للعالمين وقوله:

وهذا ذكر مبارك إشارة إلى المركب من الحروف والأصوات فإذا ضممنا إليه قوله: ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث لزم حدوث المركب من الحروف والأصوات وذلك مما لا نزاع فيه بل حدوثه معلوم بالضرورة، وإنما النزاع في قدم كلام الله تعالى **بمعنى آخر**. الثاني: أن قوله: ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا بل على ذكر ما محدث كما أن قول القائل لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل إلا يبغضونه، فإنه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون/ فاضلا بل على أن في الرجال من هو فاضل وإذا كان كذلك فالآية لا تدل إلا على أن بعض الذكر محدث فيصير نظم الكلام هكذا القرآن ذكر وبعض الذكر محدث وهذا لا ينتج شيئا كما أن قول القائل: الإنسان حيوان وبعض الحيوان فرس لا ينتج شيئا فظهر أن الذي ظنوه." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١١٩/٢٢

"والأظفار ونتف الإبط وحلق العانة، والمراد من القضاء إزالة التفث، وقال القفال قال نفطويه: سألت أعرابيا فصيحا ما معنى قوله: ثم ليقضوا تفثهم؟ فقال ما أفسر القرآن ولكنا نقول للرجل ما أتفثك وما أدرنك، ثم قال القفال وهذا أولى من قول الزجاج لأن القول قول المثبت لا قول النافي.

أما قوله: وليوفوا نذورهم فقرىء بتشديد الفاء ثم يحتمل ذلك ما أوجبه الدخول في الحج من أنواع المناسك، ويحتمل أن يكون المراد ما أوجبوه بالنذر الذي هو القول، وهذا القول هو الأقرب فإن الرجل إذا حج أو اعتمر فقد يوجب على نفسه من الهدي وغيره ما لولا إيجابه لم يكن الحج يقتضيه فأمر الله تعالى بالوفاء بذلك.

أما قوله: وليطوفوا بالبيت العتيق فالمراد الطواف الواجب وهو طواف الإفاضة والزيارة، أما كون هذا الطواف بعد الوقوف ورمي الجمار والحلق، ثم هو في يوم النحر أو بعده ففيه تفصيل، وسمي البيت العتيق لوجوه:

أحدها: العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن. وثانيها:

لأنه أعتق من الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وهو قول ابن عباس وقول ابن الزبير، ورووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما قصد أبرهة فعل به ما فعل، فإن قيل فقد تسلط الحجاج عليه فالجواب: قلنا ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به عبد الله بن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه وثالثها: لم يملك قط عن ابن عيينة ورابعها: أعتق من الغرق عن مجاهدو خامسها: بيت كريم من قولهم عتاق الطير والخيل، واعلم أن اللام في ليقضوا وليوفوا وليطوفوا لام الأمر، وفي قراءة ابن كثير ونافع والأكثرين تخفيف هذه اللامات وفي قراءة أبي عمرو تحريكها بالكسر.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٣٠ الى ٣٢]

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١) ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢)

قال صاحب «الكشاف» ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني فإذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا، والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها يحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه،

ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج، وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس: الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمشعر الحرام، وقال المتكلمون ولا تدخل النوافل في حرمات الله تعالى: فهو خير له عند ربه أي فالتعظيم خير له للعلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظها، وقوله: عند ربه يدل على الثواب المدخر لأنه لا يقال عند ربه فيما قد حصل من الخيرات، قال الأصم فهو خير له من التهاون بذلك، ثم إنه تعالى عاد إلى بيان حكم الحج فقال: وأحلت لكم الأنعام فقد كان يجوز أن يظن أن الإحرام إذا حرم الصيد وغيره فالأنعام أيضا تحرم فبين الله تعالى أن الإحرام لا يؤثر فيها فهي محللة، واستثنى منه ما يتلى في كتاب الله من المحرمات من النعم وهو المذكور في سورة [المائدة: ١، ٣] وهو قوله تعالى: غير محلي الصيد." (١)

"قالوا

فإن قيل: فلم لم يذكر المصدقين، كما ذكر المكذبين، وقال إلا قال بعضهم صدقت، وبعضهم كذبت؟

نقول لأن المقصود التسلية وهي على التكذيب، فكأنه تعالى قال: لا تأس على تكذيب قومك، فإن أقواما قبلك كذبوا، ورسلا كذبوا. ثم قال تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٥٣]

أتواصوا به بل هم قوم طاغون (٥٣)

أي بذلك القول، وهو قولهم ساحر أو مجنون ومعناه التعجيب، أي كيف اتفقوا على قول واحد كأنهم تواطؤا عليه، وقال بعضهم لبعض: لا تقولوا إلا هذا، ثم قال: لم يكن ذلك على التواطؤ، وإنما كان لمعنى جامع هو أن الكل أترفوا فاستغنوا فنسوا الله وطغوا فكذبوا رسله، كما أن الملك إذا أمهل أهل بقعة، ولم يكلفهم بشيء، ثم قعد بعد مدة وطلبهم إلى بابه يصعب عليهم لاتخاذهم القصور والجنان، وتحسين بلادهم من الوجوه الحسان، فيحملهم ذلك على العصيان، والقول بطاعة ملك آخر. ثم قال تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٥٤]

فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤)

هذه تسلية أخرى، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان من كرم الأخلاق ينسب نفسه إلى تقصير،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٢/٢٣

ويقول إن عدم إيمانهم لتقصيري في التبليغ/ فيجتهد في الإنذار والتبليغ، فقال تعالى: قد أتيت بما عليك، ولا يضرك التولي عنهم، وكفرهم ليس لتقصير منك، فلا تحزن فإنك لست بملوم بسبب التقصير، وإنما هم الملومون بالإعراض والعناد. ثم قال تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٥٥]

وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥)

يعني ليس التولي مطلقا، بل تول وأقبل وأعرض وادع، فلا التولي يضرك إذا كان عنهم، ولا التذكير ينفع إلا إذا كان مع المؤمنين، وفيه **معنى آخر** ألطف منه، وهو أن الهادي إذا كانت هدايته نافعة يكون ثوابه أكثر، فلما قال تعالى: فتول كان يقع لمتوهم أن يقول، فحينئذ لا يكون للنبي صلى الله عليه وسلم ثواب عظيم، فقل بلى وذلك لأن في المؤمنين كثرة، فإذا ذكرتهم زاد هداهم، وزيادة الهدى من قوله كزيادة القوم، فإن قوما كثيرا إذا صلى كل واحد ركعة أو ركعتين، وقوما قليلا إذا صلى كل واحد ألف ركعة تكون العبادة في الكثرة كالعبادة عن زيادة العدد، فالهادي له على عبادة كل مهتد أجر، ولا ينقص أجر المهتدي، قال تعالى: إن لك لأجرا [القلم: ٣] أي وإن توليت بسبب انتفاع المؤمنين بل وحالة إعراضك عن المعاندين، وقوله تعالى: فإن الذكرى تنفع المؤمنين يحتمل وجوها: أحدها: أن يراد قوة يقينهم كما قال تعالى: ليزدادوا إيمانا [الفتح: ٤] وقال تعالى: فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا [التوبة: ١٢٤] وقال تعالى: زادهم هدى وآتاهم تقواهم [محمد: ١٧] ثانيها: تنفع المؤمنين الذين بعدك فكأنك إذا أكثرت التذكير بالتكرير نقل عنك ذلك بالتواتر فينتفع به من يجيء بعدك من المؤمنين ثالثها: هو أن الذكرى إن أفاد إيمان كافر فقد نفع مؤمنا لأنه صار مؤمنا، وإن لم يفد يوجد حسنة ويزاد في حسنة المؤمنين فينتفعوا، وهذا هو الذي قيل في قوله تعالى: تلك الجنة التي أورثتموها [الزخرف: ٧٢] . ثم قال تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٥٦]

وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦)." (١)

"الذين يجتنبون لأن ذلك يدل على أنهم لا يقربونه فكأنه قال: لا يقربونه إلا مقاربة من غير مواقعة وهو اللمم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٩١/٢٨

ثم قال تعالى: إن ربك واسع المغفرة وذلك على قولنا: الذين يجتنبون ابتداء الكلام في غاية الظهور، لأن المحسن مجزى وذنبه مغفور، ومجتنب الكبائر كذلك ذنبه الصغير مغفور، والمقدم على الكبائر إذا تاب مغفور الذنب، فلم يبق ممن لم تصل إليهم مغفرة إلا الذين أساؤا وأصروا عليها، فالمغفرة واسعة وفيه **معنى آخر** لطيف، وهو أنه تعالى لما أخرج المسيء عن المغفرة بين أن ذلك ليس لضيق فيها، بل ذلك بمشيئة الله تعالى، ولو أراد الله مغفرة كل من أحسن وأساء لفعل، وما كان يضيق عنهم مغفرته، والمغفرة من الستر، وهو لا يكون إلا على قبيح، وكل من خلقه الله إذا نظرت في فعله، ونسبته إلى نعم الله تجده مقصرا مسيئا، فإن من جازى المنعم بنعم لا تحصى مع استغنائه الظاهر، وعظمته الواضحة بدرهم أو أقل منه يحتاج إلى ستر ما فعله.

ثم قال تعالى: هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وفي المناسبة وجوه أحدها: هو تقرير لما مر من قوله: هو أعلم بمن ضل [النجم: ٣٠] كأن العامل من الكفار يقول: نحن نعمل أمورا في جوف الليل المظلم، وفي البيت الخالي فكيف يعلمه الله تعالى؟ فقال: ليس عملكم أخفى من أحوالكم وأنتم أجنة في بطون أمهاتكم، والله عالم بتلك الأحوال ثانيها: هو إشارة إلى الضال والمهتدي حصلا على ما هما عليه بتقدير الله، فإن الحق علم أحوالهم وهم في بطون الأمهات، فكتب على البعض أنه ضال، والبعض أنه مهتد ثالثها: تأكيد وبيان للجزاء، وذلك لأنه لما قال: ليجزي الذين أساؤا بما عملوا [النجم: ٣١] قال الكافرون: هذا الجزاء لا يتحقق إلا بالحشر، وجمع الأجزاء بعد تفرقها وإعادة ما كان لزيد من الأجزاء في بدنه من غير اختلاط غير ممكن، فقال تعالى: هو أعلم بكم إذ أنشأكم فيجمعها بقدرته على وفق علمه كما أنشأكم، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: العامل في: إذ يحتمل أن يكون ما يدل عليه: أعلم أي علمكم وقت الإنشاء، ويحتمل أن يكون اذكروا فيكون تقريرا لكونه عالما ويكون تقديره: هو أعلم بكم وقد تم الكلام، ثم يقول:

إن كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال إنشائكم من التراب.

المسألة الثانية: ذكرنا مرارا أن قوله: من الأرض من الناس من قال آدم فإنه من تراب، وقررنا أن كل أحد أصله من التراب، فإنه يصير غذاء، ثم يصير نطفة.

المسألة الثالثة: لو قال قائل: لا بد من صرف إذ أنشأكم من الأرض إلى آدم، لأن وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم عائد إلى غيره، فإنه لم يكن جنينا، ولو قلت بأن قوله تعالى/ إذ أنشأكم عائد إلى جميع الناس، فينبغي أن يكون جميع الناس أجنة في بطون الأمهات، وهو قول الفلاسفة؟ نقول ليس كذلك، لأنا نقول:

الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب، وقوله تعالى: هو أعلم بكم خطاب مع كل من بعد الإنزال على قول، ومع من حضر وقت الإنزال على قول، ولا شك أن كل هؤلاء من الأرض وهم كانوا أجنة.
المسألة الرابعة: الأجنة هم الذين في بطون الأمهات، وبعد الخروج لا يسمى إلا ولدا أو سقطا، فما فائدة." (١)

"[سورة الرحمن (٥٥) : آية ٩]
وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩)
وقوله تعالى: وأقيموا الوزن بالقسط يدل على أن المراد من قوله: ألا تطغوا في الميزان هو بمعنى لا تطغوا في الوزن، لأن قوله: وأقيموا الوزن كالبيان لقوله: ألا تطغوا في الميزان وهو الخروج عن إقامته بالعدل، وقوله: وأقيموا الوزن بالقسط يحتمل وجهين أحدهما: أقيموا بمعنى قوموا به كما في قوله تعالى: وأقيموا الصلاة [البقرة: ٤٣] أي قوموا بها دواما، لأن الفعل تارة يعدى بحرف الجر، وتارة بزيادة الهمزة، تقول: أذهبه وذهب به ثانيها: أن يكون أقيموا بمعنى قوموا، يقال: في العود أقمته وقومته، والقسط العدل، فإن قيل: كيف جاء قسط بمعنى جار لا بمعنى عدل؟ نقول: القسط اسم ليس بمصدر، والأسماء التي لا تكون مصادر إذا أتى بها آت أو وجدها موجد، يقال فيها: أفعل بمعنى أثبت، كما قال: فلان أطرف وأتحف وأعرف بمعنى جاء بطرفة وتحفة وعرف، وتقول: أقبض السيف بمعنى أثبت له قبضة، وأعلم الثوب بمعنى جعل له علما، وأعلم بمعنى أثبت العلامة، وكذا ألجم الفرس وأسرج، فإذا أمر بالقسط أو أثبته فقد أقسط، وهو بمعنى عدل، وأما قسط فهو فعل من اسم ليس بمصدر، والاسم إذا لم يكن مصدرا في الأصل، ويورد عليه فعل فربما يغيره عما هو عليه في أصله، مثاله الكتف إذا قلت كتفته كتافا فكأنك قلت: أخرجته عما كان عليه من الانتفاع وغيرته، فإن معنى كتفته شددت كتفيه بعضهما إلى بعض فهو مكتوف، فالكتف كالقسط صارا مصدرين عن اسم وصار الفعل معناه تغير عن الوجه الذي ينبغي أن يكون، وعلى هذا لا يحتاج إلى أن يقال: القاسط والمقسط ليس أصلهما واحدا وكيف كان يمكن أن يقال: أقسط بمعنى أزال القسط، كما يقال: أشكى بمعنى أزال الشكوى أو أعجم بمعنى أزال العجمة، وهذا البحث فيه فائدة فإن قول القائل: فلان أقسط من فلان وقال الله تعالى: ذلكم أقسط عند الله [البقرة: ٢٨٢] والأصل في أفعل التفضيل أن يكون من الثلاثي المجرد تقول: أظلم وأعدل من ظالم وعادل، فكذلك أقسط كان ينبغي أن يكون من قاسط، ولم يكن كذلك، لأنه على ما بينا الأصل القسط، وقسط فعل فيه لا على الوجه، والإقساط

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧١/٢٩

إزالة ذلك، ورد القسط إلى أصله، فصار أقسط موافقا للأصل، وأفعل التفضيل يؤخذ مما هو أصل لا من الذي فرع عليه، فيقال: أظلم من ظالم لا من متظلم وأعلم من عالم لا من معلم، والحاصل أن الأقسط وإن كان نظرا إلى اللفظ، كان ينبغي أن يكون من القاسط، لكنه نظرا إلى المعنى، يجب أن يكون من المقسط، لأن المقسط أقرب من الأصل المشتق وهو القسط، ولا كذلك الظالم والمظلم، فإن الأظلم صار مشتقا من الظالم، لأنه أقرب إلى الأصل لفظا ومعنى، وكذلك العالم والمعلم والخبر والمخبر.

ثم قال: ولا تخسروا الميزان أي لا تنقصوا الموزون. والميزان ذكره الله تعالى ثلاث مرات كل مرة **بمعنى آخر**، فالأول هو الآلة ووضع الميزان [الرحمن: ٧] ، والثاني بمعنى المصدر ألا تطغوا في الميزان [الرحمن: ٨] أي الوزن، والثالث للمفعول: ولا تخسروا الميزان أي الموزون، وذكر الكل بلفظ الميزان لما بينا أن الميزان أشمل للفائدة وهو كالقرآن ذكره الله تعالى بمعنى المصدر في قوله تعالى: فاتبع قرآنه

[القيامة: ١٨] وبمعنى المقروء في قوله: إن علينا جمعه وقرآنه

[القيامة: ١٧] وبمعنى الكتاب الذي فيه المقروء في/ قوله تعالى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال [الرعد: ٣١] فكأنه آلة ومحل له، وفي قوله تعالى: آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم [الحجر: ٨٧] وفي كثير من المواضع ذكر القرآن لهذا." (١)

"يليق بعقل البشر وفكره القاصر، مع الاعتراف بأنه سبحانه منزه عن تصرفات الأفكار والأوهام، وعلائق العقول والأفهام.

المسألة الخامسة: قال الجبائي: يوصف الله تعالى بأنه واحد من وجوه أربعة: لأنه ليس بذي أبعاض، ولا بذي أجزاء، ولأنه منفرد بالقدم، ولأنه منفرد بالإلهية، ولأنه منفرد بصفات ذاته نحو كونه عالما بنفسه، وقادرا بنفسه، وأبو هاشم يقتصر على ثلاثة أوجه: فجعل تفرده بالقدم، وبصفات الذات وجها واحدا، قال القاضي: وفي هذه الآية المراد تفرده بالإلهية فقط، لأنه أضاف التوحيد إلى ذلك، ولذلك عقبه بقوله: لا إله إلا هو وقال أصحابنا: إنه سبحانه وتعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، أما أنه واحد في ذاته فلأن تلك الذات المخصوصة التي هي المشار إليها بقولنا هو الحق سبحانه وتعالى إما أن تكون حاصلة في شخص آخر سواه، أو لا تكون، فإن كان الأول كان امتياز ذاته المعينة عن **المعنى الآخر**، لا بد وأن يكون بقيد زائد، فيكون هو في نفسه مركبا بما به الاشتراك وما به الامتياز، فيكون ممكنا معلولا مفتقرا وذلك محال، وإن لم يكن فقد ثبت أنه سبحانه واحد في ذاته لا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٤٣/٢٩

قسيم له، وأما أنه واحد في صفاته فلأن موصوفيته سبحانه بصفات متميزة عن موصوفية غيره بصفات من وجوه. أحدها: أن كل ما عداه فان، لأن حصول صفاته له لا تكون من نفسه بل من غيره وهو سبحانه يستحق حصول صفاته لنفسه لا لغيره.

وثانيها: أن صفات غيره مختصة بزمان دون زمان لأنها حادثة، وصفات الحق ليست كذلك. وثالثها: أن صفات الحق غير متناهية بحسب/ المتعلقات، فإن علمه متعلق بجميع المعلومات وقدرته متعلقة بجميع المقدورات، بل له في كل واحد من المعلومات الغير المتناهية معلومات غير متناهية لأنه يعلم في ذلك الجوهر الفرد أنه كيف كان ويكون حاله بحسب كل واحد من الأحياز المتناهية وبحسب كل واحد من الصفات المتناهية فهو سبحانه واحد في صفاته من هذه الجهة. ورابعها: أنه سبحانه ليست موصوفية ذاته بتلك الصفات بمعنى كونها حالة في ذاته وكون ذاته محلا لها، ولا أيضا بحسب كون ذاته مستكملة بها لأنا بينا أن الذات كالمبدأ لتلك الصفات فلو كانت الذات مستكملة بالصفات لكان المبدأ ناقصا لذاته مستكملا بالممكن لذاته وهو محال، بل ذاته مستكملة لذاته ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال معه إلا أن التقسيم يعود في نفس الاستكمال فينتهي إلى حيث تقصر العبارة عن الوفاء به، خامسها: أنه لا خبر عند العقول من كنه صفاته كما لا خبر عندها من كنه ذاته، وذلك لأنا لا نعرف من علمه إلا أنه الأمر الذي لأجله ظهر الإحكام والإتقان في عالم المخلوقات، فالمعلوم من علمه أنه أمر ما لا ندري أنه ما هو ولكن نعلم منه أنه يلزمه هذا الأثر المحسوس، وكذا القول في كونه قادرا وحيا، فسبحان من ردع بنور عزته أنوار العقول والأفهام، وأما إنه سبحانه وتعالى واحد في أفعاله فالأمر ظاهر لأن الموجود إما واجب وإما ممكن، فالواجب هو هو، والممكن ما عداه وكل ما كان ممكنا فإنه يجوز أن لا يوجد ما لم يتصل بالواجب ولا يختلف هذا الحكم باختلاف أقسام الممكنات سواء كان ملكا أو ملكا أو كان فعلا للعباد أو كان غير ذلك فثبت أن كل ما عداه فهو ملكه وملكه وتحت تصرفه وقهره وقدرته واستيلائه، وعند هذا تدرك شمة من روائح أسرار قضائه وقدره، ويلوح لك شيء من حقائق قوله: إنا كل شيء خلقناه بقدر [القمر: ٤٩] وتعرف أن الموجود ليس البتة إلا ما هو هو، وما هو له وإذا وقعت سفينة الفكرة في هذه اللجة، فلو سارت إلى الأبد لم تقف، لأن السير إنما يكون من شيء إلى شيء، فالشيء الأول." (١)

"واعلم أنه تعالى لما بين أن الحولين الكاملين هو تمام مدة الرضاع وجب حمل هذه الآية على غير ذلك حتى لا يلزم التكرار، ثم اختلفوا فمنهم من قال: المراد من هذه الآية أن الفطام قبل الحولين جائز

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤٨/٤

ومنهم من قال:
إنها تدل على أن الفطام قبل الحولين جائز، وبعده أيضا جائز وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
حجة القول الأول أن ما قبل الآية لما دل على جواز الفطام عند تمام الحولين كان أيضا دليلا على جواز الزيادة على الحولين وإذا كان كذلك بقيت هذه الآية دالة على جواز الفطام قبل تمام الحولين فقط.
وحجة القول الثاني أن الولد قد يكون ضعيفا فيحتاج إلى الرضاع ويضر به فطمه كما يضر ذلك قبل الحولين، وأجاب الأولون أن حصول المضرة في الفطام بعد الحولين نادر وحمل الكلام على المعهود واجب والله أعلم.
القول الثاني: في تفسير الفصال، وهو أن أبا مسلم لما ذكر القول الأول قال: ويحتمل **معنى آخر**، وهو أن يكون المراد من الفصال إيقاع المفاصلة بين الأم والولد إذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع بسبب ذلك ضرر إلى الولد.
المسألة الثانية: التشاور في اللغة: استجماع الرأي، وكذلك المشورة والمشورة مفعلة منه كالمعونة، وشرت العسل استخرجته، وقال أبو زيد: شرت الدابة وأشرتها أي أجريتها لاستخراج جريها، والشوار متاع البيت، لأنه يظهر للناظر، وقالوا: شورته فتشور، أي خجلته، والشارة هيئة الرجل، لأنه ما يظهر من زيه ويبدو من زينته، والإشارة إخراج ما في نفسك، وإظهاره للمخاطب بالنطق وبغيره.
المسألة الثالثة: دلت الآية على أن الفطام في أقل من حولين لا يجوز إلا عند رضا الوالدين وعند المشاورة مع أرباب التجارب وذلك لأن الأم قد تمل من الرضاع فتحاول الفطام والأب أيضا قد يمل من إعطاء الأجرة على الإرضاع، فقد يحاول الفطام دفعا لذلك، لكنهما قلما يتوافقان على الإضرار بالولد لغرض النفس، ثم بتقدير توافقهما اعتبر المشاورة مع غيرهما، وعند ذلك يبعد أن تحصل موافقة الكل على ما يكون فيه إضرار بالولد، فعند اتفاق الكل يدل على أن الفطام قبل الحولين لا يضره البتة فانظر إلى إحسان الله تعالى بهذا الطفل الصغير كم شرط في جواز إفطامه من الشرائط دفعا للمضار عنه، ثم عند اجتماع كل هذه الشرائط لم يصرح بالإذن/ بل قال: فلا جناح عليكم وهذا يدل على أن الإنسان كلما كان أكثر ضعفا كانت رحمة الله معه أكثر وعناية به أشد.
قوله تعالى: وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير.

اعلم أنه تعالى لما بين حكم الأم وأنها أحق بالرضاع، بين أنه يجوز العدول في هذا الباب عن الأم إلى غيرها ثم في الآية مسائل:
المسألة الأولى: قال صاحب «الكشاف» : استرضع منقول من أرضع، يقال: أرضعت المرأة الصبي واسترضعها الصبي، فتعديه إلى مفعولين، كما تقول: أنجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى: أن تسترضعوا المراضع أولادكم، فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه، كما تقول: استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته، وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن آخرهما عبارة عن الأول، وقال الواحدي: أن تسترضعوا." (١)

"رؤف بالعباد

وهو الموعد ليعلم العبد أن وعده ورحمته، غالب على وعيده وسخطه والرابع: وهو أن لفظ العباد في القرآن مختص، قال تعالى: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا [الفرقان: ٦٣] وقال تعالى:
عينا يشرب بها عباد الله [الإنسان: ٦] فكان المعنى أنه لما ذكر وعيد الكفار والفساق ذكر وعد أهل الطاعة فقال: والله رؤف بالعباد أي كما هو منتقم من الفساق، فهو رؤوف بالمطيعين والمحسنين.

[سورة آل عمران (٣) : آية ٣١]

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١)

اعلم أنه تعالى لما دعا القوم إلى الإيمان به، والإيمان برسله على سبيل التهديد والوعيد، دعاهم إلى ذلك من طريق آخر وهو أن اليهود كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه [المائدة: ١٨] فنزلت هذه الآية،
ويروى أنه صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام فقال: يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة إبراهيم، فقالت قريش: إنما نعبد هذه حبا لله تعالى ليقربونا إلى الله زلفى، فنزلت هذه الآية،

ويروى أن النصارى قالوا: إنما نعظم المسيح حبا لله، فنزلت هذه الآية،

وبالجملة فكل واحد من فرق العقلاء يدعي أنه يحب الله، ويطلب رضاه وطاعته فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل إن كنتم صادقين في ادعاء محبة الله تعالى فكونوا منقادين لأوامره محترزين عن مخالفته، وتقدير الكلام: أن من كان محبا لله تعالى لا بد وأن يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه، وإذا قامت

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٤/٦

الدلالة القاطعة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبت متابعته، فإن لم تحصل هذه المتابعة دل ذلك على أن تلك المحبة ما حصلت.

وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: أما الكلام المستقصى في المحبة، فقد تقدم في تفسير قوله تعالى: والذين/ آمنوا أشد حبا لله [البقرة: ١٦٥] والمتكلمون مصرون على أن محبة الله تعالى عبارة عن محبة إعظامه وإجلاله، أو محبة طاعته، أو محبة ثوابه، قالوا: لأن المحبة من جنس الإرادة، والإرادة لا تعلق لها إلا بالحوادث وإلا بالمنافع. واعلم أن هذا القول ضعيف، وذلك لأنه لا يمكن أن يقال في كل شيء إنه إنما كان محبوبا لأجل معنى آخر وإلا لزم التسلسل والدور، فلا بد من الانتهاء إلى شيء يكون محبوبا بالذات، كما أنا نعلم أن اللذة محبوبة لذاتها، فكذلك نعلم أن الكمال محبوب لذاته، وكذلك أنا إذا سمعنا أخبار رستم واسفنديار في شجاعتهما مال القلب إليهما مع أنا نقطع بأنه لا فائدة لنا في ذلك الميل، بل ربما نعتقد أن تلك المحبة معصية لا يجوز لنا أن نصر عليها، فعلمنا أن الكمال محبوب لذاته، كما أن اللذة محبوبة لذاتها، وكمال الكمال لله سبحانه وتعالى، فكان ذلك يقتضي كونه محبوبا لذاته من ذاته ومن المقربين عنده الذين تجلى لهم أثر من آثار كماله وجلاله قال المتكلمون: وأما محبة الله تعالى للعبد فهي عبارة عن إرادته تعالى إيصال الخيرات والمنافع في الدين والدنيا إليه.

المسألة الثانية: القوم كانوا يدعون أنهم كانوا محبين لله تعالى، وكانوا يظهرون الرغبة في أن يحبهم الله تعالى، والآية مشتملة على أن الإلزام من وجهين أحدهما: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني، لأن المعجزات دلت على أنه تعالى أوجب عليكم متابعتي الثاني: إن كنتم تحبون أن يحبكم الله فاتبعوني لأنكم إذا اتبعتموني فقد أطعتم الله، والله تعالى يحب كل من أطاعه، وأيضا فليس في متابعتي إلا أني دعوتكم إلى طاعة الله تعالى وتعظيمه وترك تعظيم غيره، ومن أحب الله كان راغبا فيه، لأن المحبة توجب الإقبال بالكلية على المحبوب، والإعراض بالكلية عن غير المحبوب.." (١)

"[سورة التوبة (٩) : آية ١٢٢]

وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (١٢٢)

وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٩٧/٨

أن يتثبطوا جميعا فإنه يخل بأمر المعاش. فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة. ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها. ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وإنذارهم، وتخصيصه بالذكر لأنه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد. لعلهم يحذرون إرادة أن يحذروا عما ينذرون منه، واستدل به على أن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة إلى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا، فلو لم يعتبر الأخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك، وقد أشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي «المرصاد» . وقد قيل للآية **معنى آخر** وهو أنه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفير وانقطعوا عن التفقه، فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو، وفي رجعوا للطوائف أي ولينذروا البواقي قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم.

[سورة التوبة (٩) : آية ١٢٣]

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين (١٢٣)

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا بإنذار عشيرته الأقربين، فإن الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح. وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر. وقيل الروم فإنهم كانوا يسكنون الشأم وهو قريب من المدينة. وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال. وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها. واعلموا أن الله مع المتقين بالحراسة والإعانة.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١٢٤ الى ١٢٥]

وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون (١٢٤) وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (١٢٥)

وإذا ما أنزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكار واستهزاء. أيكم زادته هذه السورة.

إيمانا وقرئ «أيكم» بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته. فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا بزيادة العلم

الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم. وهم يستبشرون بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم.
وأما الذين في قلوبهم مرض كفر. فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا بها مضموما إلى الكفر بغيرها. وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١٢٦ الى ١٢٧]
أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون (١٢٦) وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون (١٢٧)." (١)
"[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]
قال فاخرج منها فإنك رجيم (٣٤) وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين (٣٥)
قال فاخرج منها من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة. فإنك رجيم مطرود من الخير والكرامة، فإن من يطرد يرجم بالحجر أو شيطان يرجم بالشهب، وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته.
وإن عليك اللعنة هذا الطرد والإبعاد. إلى يوم الدين فإنه منتهى أمد اللعن، فإنه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله: فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين **بمعنى آخر** ينسى عنده هذه. وقيل إنما حد اللعن به لأنه أبعد غاية يضر بها الناس، أو لأنه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٣٦ الى ٣٨]
قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (٣٦) قال فإنك من المنظرين (٣٧) إلى يوم الوقت المعلوم (٣٨)
قال رب فأنظرني فأخرني، والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فإنك رجيم. إلى يوم يبعثون أراد أن يجد فسحة في الإغواء أو نجاة من الموت، إذ لا موت بعد وقت البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني.
قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه أجلك عند الله، أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الأولى عند الجمهور، ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة، واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث، إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل، وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين، ولا يلزم من ذلك أن لا يموت فلعله يموت أول اليوم

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٠٢/٣

ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه، وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على منصب إبليس لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٣٩ الى ٤٠]

قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين (٣٩) إلا عبادك منهم المخلصين (٤٠)

قال رب بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه. لأزينن لهم في الأرض والمعنى أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله: أخلد إلى الأرض وفي انعقاد القسم بأفعال الله تعالى خلاف. وقيل للسببية والمعتزلة أولوا الاغواء بالنسبة إلى الغي، أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام، أو بالإضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن إمهال الله له، وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على إغواء بني آدم بأن الله تعالى علم منه وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل أو لم يمهل، وأن في إمهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب، وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الألباب. ولأغوينهم أجمعين ولأحملنهم أجمعين على الغواية.

إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي.

وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر في كل القرآن أي الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

قال هذا صراط علي مستقيم (٤١) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (٤٢)

قال هذا صراط علي حق علي أن أراعيه. مستقيم لا انحراف عنه، والإشارة إلى ما تضمنه." (١)

"لفظه أمر وتخيير: ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه: إما الحق الذي ينجيه، أو الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديد سرادقها السرادق في اللغة: ما أحاط بالشيء كالسور والجدار، وأما سرادق جهنم فقيل: حائط من نار، وقيل: دخان كالمهل وهو دردي الزيت إذ انتهى حره روى ذلك عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى اله وسلم وقيل:

ما أذيب من الرصاص وشبهه مرتفقا أي شيء يرتفق به، فهو من الرفق، وقيل: يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء أولئك لهم خبر إن، وإنا لا نضيع: اعتراض، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون إنا لا نضيع

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣/٢١١

الخبر، وأولئك استئناف، ويقوم العموم في قوله: من أحسن مقام الضمير الرابط أو يقدر من أحسن عملا منه، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أساور جمع أسوار وسوار، وهو ما يجعل في اليد، وقيل: أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار من سندس وإستبرق السندس: رقيق الديباج، والإستبرق الغليظ منه الأرائك الأسرة والفرش.

واضرب لهم الضمير للكفار الذين قالوا: أطرد فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم: أي مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين، وهما أخوان من بني إسرائيل:

أحدهما مؤمن، والآخر كافر: ورثا مالا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيره الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر، وروي أن اسم المؤمن تمليخا، واسم الكافر فطروس، وقيل: كانا شريكين اقتسما المال، فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله أكلها بضم الهمزة اسم لما يؤكل، ويجوز ضم الكاف وإسكانها ولم تظلم أي لم تنقص وكان له ثمر بضم الثاء والميم، أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقتادة، وقيل: هو الذهب والفضة خاصة، وهو من ثمر ماله إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفا، وأما بفتح الثاء والميم، فهو المأكول من الشجر، ويحتمل **المعنى الآخر** وهو يحاوره أي يراجعه في الكلام وأعز نفرا يعني الأنصار والخدم ودخل جنته أفرد الجنة هنا، لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين، إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة وهو ظالم لنفسه إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه." (١)

"ذلك أنه قال قولا ظاهره الكذب، وإن كان القصد به **معنى آخر**، ويدل على ذلك قوله فسئلوهم إن كانوا ينطقون لأنه أراد به أيضا تبكيتهم وبيان ضلالهم

فرجعوا إلى أنفسهم أي رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة فقالوا إنكم أنتم الظالمون أي الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شيء أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه إنه لمن الظالمين، وفي تعنيفه على أعين الناس ثم نكسوا على رؤسهم استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أي فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم، وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم، ويحتمل أن يكون نكسوا على رؤوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون: اعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/٤٦٥

رؤوسهم حقيقة: أي أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة أف لكم تقدم الكلام على أف في [الإسراء: ٢٣] قالوا حرقوه لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم قلنا يا نار كوني بردا وسلاما أي ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة، واختلف كيف بردت النار؟ فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحر، والإحراق، وقيل: دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها، وقيل: خلق بينه وبينها حائلا، ومعنى السلام هنا السلامة، وقد روى أنه لو لم يقل: سلاما لهلك إبراهيم من البرد. وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه.

إلى الأرض التي باركنا فيها هي الشام خرج إليها من العراق، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها نافلة أي عطية، والتنفيل العطاء، وقيل سماه: نافلة لأنه عطاء بغير سؤال، فكأنه تبرع، وقيل: الهبة إسحاق، والنافلة يعقوب، لأنه سأل إسحاق بقوله: هب لي من الصالحين فأعطى يعقوب زيادة على ما سأل، واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول يهدون بأمرنا أي يرشدون الناس بإذننا

ولوطا قيل: إنه انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناه، والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضا، وقيل بفعل مضمر تقديره: اذكر آتيناه حكما أي حكما بين الناس: أو." (١)

"سورة المؤمنون

مكية وآياتها ١١٨ نزلت بعد الأنبياء بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة المؤمنون) الذين هم في صلاتهم خاشعون الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات والبكاء والتضرع، وقد عد بعض الفقهاء [الأوزاعي] الخشوع في فرائض الصلاة، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: لا يكتب للعبد في صلاته إلا ما عقل منها «١» ، والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع عن اللغو معرضون اللغو هنا: الساقط من الكلام كالسب واللهو، والكلام بما لا يعني، وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعا، ومعنى الإعراض عنه: عدم الاستماع إليه والدخول فيه، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى للزكاة فاعلون أي مؤدون، فإن قيل: لم قال فاعلون ولم يقل

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢٥/٢

مؤدون؟ فالجواب أن الزكاة لها معنيان أحدهما:

الفعل الذي يفعله المزكي أي أداء ما يجب على المال، والآخر المقدار المخرج من المال كقولك:

هذه زكاة مالي، والمراد هنا الفعل لقوله «فاعلون» ويصح **المعنى الآخر** على حذف تقديره:

هم لأداء الزكاة فاعلون على أزواجهم هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله غير ملومين أي لا يلامون على أزواجهم ويمكن أن يتعلق بقوله حافظون على أن يكون على بمعنى عن أو ما ملكت أيمانهم يعني النساء المملوكات، وراء ذلك يعني ما سوى الزوجات والمملوكات

لأماناتهم وعهدهم يحتمل أن يريد أمانة الناس وعهدهم وأمانة الله وعهده في دينه أو العموم، والأمانة أعم من العهد، لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد

---

(١) . قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: لم أجده مرفوعا وقال: روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب: لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه ج ١/ ١٥٩.." (١)

"قريش: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم [الأنبياء: ٩٨] امتعضوا من ذلك، وقال عبد الله بن الزبعرى: أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال: خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا، وقد علمت أن النصارى عبدوه، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك، وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فأنزل الله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء: ١٠١] ، ونزلت هذه الآية، فالمعنى على هذا: لما ضرب ابن الزبعرى عيسى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة النصارى إياه، إذا قريش من هذا المثل يصدون: أي يضحكون ويصيحون من الفرح، وهذا المعنى إنما يجري على قراءة يصدون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح.

وقالوا أآلهتنا خير أم هو «1» يعنون بهو عيسى، والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، لأنه خير من آلهتنا، وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكره الزمخشري في تفسير الآية التي قبله، وأما على ما ذكر ابن عطية فهذا ابتداء **معنى آخر**، وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولا آخر: وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا: نحن أهدى من النصارى،

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/ ٤٨

لأنهم عبدوا آدميا ونحن عبدنا الملائكة، وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فمقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى. وقيل: إن قولهم أم هو: يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم، فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى. قالوا: أآلهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آلهتهم على محمد والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور، ويدل على ذلك تقدم ذكره ما ضربوه لك إلا جدلا أي ما ضربوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزبعرى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى: حصب جهنم، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه يعني عيسى والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات، وغير ذلك ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون في معناها قولان: أحدهما لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة يسكنون الأرض ويخلفون فيها بني آدم، فقوله منكم يتعلق ببدل المحذوف أو بيخلفون، والآخر لو نشاء لجعلنا منكم، أي لولدنا منكم أولادا ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم، فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشري.

---

(١) . قرأ نافع: آلهتنا. وقرأ أهل الكوفة: أآلهتنا.." [١]

"غير الهدى فأعرضوا عنه. وروي عن ابن عباس أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد؟ فقال: على ملة إبراهيم. قال: إن إبراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله الآية. فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة.

وروي عنه أيضا أن رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم. فقال النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو: جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيني وبينكم التوراة» فقالوا: قد أنصفت. فقال من أعلمكم بالتوراة؟ فقالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٢٦٢

للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أأنت ابن صوريا؟ قال: نعم قال: أنت أعلم اليهود بالتوراة. قال: كذلك يزعمون. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له: اقرأ فقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام: يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها: أن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما، وإن كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون إلى كتاب الله يعني القرآن أو التوراة على اختلاف الروايتين ليحكم بينهم أي ليقضي بينهم وإضافة الحكم إلى الكتاب هو على سبيل المجاز ثم يتولى فريق منهم يعني الرؤساء والعلماء وهم معرضون يعني عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلماء، والذين أعرضوا هم الأتباع.

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٢٤ الى ٢٦]
ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (٢٤) فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (٢٥) قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير (٢٦)

ذلك بأنهم يعني ذلك التولي والإعراض إنما حصل بسبب أنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات تقدم تفسيره في سورة البقرة وغرهم أي وأطمعهم في دينهم ما كانوا يفترون أي يحلفون ويكذبون قيل: هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل: هو قولهم: لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل فكيف إذا جمعناهم أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم أي في يوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت أي لا شك فيه أنه كائن وواقع وهو يوم القيامة، وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعد لهم في ذلك اليوم، وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وإن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم. قيل: إن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود تفضحهم على رؤوس الأشهاد ثم يؤمر بهم إلى النار وهم لا يظلمون أي لا ينقص من حسناتهم إن كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيئاتهم. قوله عز وجل: قل اللهم مالك الملك قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فأنزل الله هذه الآية. وقال

ابن عباس: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد أمته ملك فارس والروم، فقال المنافقون واليهود: هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقيل: إن اليهود قالوا: والله لا نطيع رجلا جاء ينقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله لما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره. وقيل: إن الميم فيه **معنى آخر**." (١)

"الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم، والأسباط هم أولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا أنبياء ثم جمع جميع الأنبياء فقال والنبيون أي وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته أنه يؤمن بجميع الأنبياء. فإن قلت: لم عدي أنزل في «هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء». قلت لوجود المعنيين جميعا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وتارة **بالمعنى الآخر** ونحن له مسلمون أي موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا. قوله عز وجل: ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه يعني أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام وأن كل دين سواه غير مقبول عنده لأن الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه وهو في الآخرة من الخاسرين يعني الذين وقعوا في الخسارة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة: في قوله: ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا. قوله عز وجل: كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد الأنصاري وطعمة بن أبيرق وحجوج بن الأسلت. وقال ابن عباس: نزلت في اليهود والنصارى وذلك أن اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون: قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قوما كفروا أي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم أي تصديقهم إياه وإقرارهم به وبما جاء به من عند ربه وشهدوا أن الرسول حق يعني وبعد أن أقروا وشهدوا أن محمدا رسول الله إلى خلقه وأنه حق وصدق وجاءهم البينات يعني الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٢٣٥

بمثلها ثبتت النبوة والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يوفقهم إلى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى أنهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الآخرة إلى الجنة والثواب. فإن قلت: كيف قال في أول الآية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال في آخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار؟ قلت: ليس فيه تكرار لأن قوله كيف يهدي الله قوما كفروا إنما هو مختص بأولئك المرتدين عن الإسلام ثم إنه تعالى عمم ذلك الحكم في آخر الآية فقال: والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الإسلام والكافر الأصلي وإنما سمي الكافر ظالما لأنه وضع العبادة في غير موضعها.

[سورة آل عمران (٣): الآيات ٨٧ الى ٩٠]

أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (٨٧) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (٨٨) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (٨٩) إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون (٩٠)

أولئك جزاؤهم يعني الذين كفروا بعد إيمانهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها أي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون أي لا يؤخرون عن وقت العذاب لا يؤخر عنهم من وقت إلى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال: إلا الذين تابوا من بعد ذلك يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أل الحارث بن سويد الأنصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الله فبعث بها إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه، فأقبل إلى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن إسلامه وأصلحوا أي وضموا إلى التوبة الأعمال الصالحة فبين أن التوبة وحدها لا تكفي حتى." (١)

"وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ضمير الغيبة في جاؤوكم لليهود والمعاصرين للرسول وخاصة بالمنافقين منهم قاله: ابن عباس، وقتادة، والسدي، وهو على حذف مضاف. إذ ظاهر الضمير أنه عائد على من قبله التقدير: وإذا جاؤوكم أهلهم أو نساؤهم. وتقدم من قولنا: أن يكون من لعنه الله إلى آخره عبارة عن المخاطبين في قوله: قل يا أهل الكتاب «١» وأنه مما وضع الظاهر موضع المضمر فكأنه قيل: أنتم فلا يحتاج هذا إلى حذف مضاف.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٦٦/١

كان جماعة من اليهود يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبر الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون كما دخلوا، لم يتعلقوا بشيء مما سمعوا من تذكير وموعظة، فعلى هذا الخطاب في جاؤوكم للرسول، وقيل: للمؤمنين الذين كانوا بحضرة الرسول.

وهاتان الجملتان حالان، وبالكفر وبه حالان أيضا أي: ملتبسين. ولذلك دخلت قد تقريبا لها من زمان الحال **ولمعنى آخر** وهو: أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لإظهار ما كتموه، فدخل حرف التوقع وخالف بين جملتي الحال اتساعا في الكلام. وقال ابن عطية: وقوله: وهم، تخليص من احتمال العبارة أن يدخل قوم بالكفر وهم قد خرجوا به، فأزال الاحتمال قوله تعالى: وهم قد خرجوا به، أي هم بأعيانهم انتهى. والعامل في الحالين آمنا أي: قالوا ذلك وهذه حالهم. وقيل: معنى هم للتأكيد في إضافة الكفر إليهم، ونفى أن يكون من الرسول ما يوجب كفرهم من سوء معاملته لهم، بل كان يلطف بهم ويعاملهم بأحسن معاملة. فالمعنى: أنهم هم الذين خرجوا بالكفر باختيار أنفسهم، لا أنك أنت الذي تسببت لبقائهم في الكفر. والذي نقول: إن الجملة الاسمية الواقعة حالا المصدرة بضمير ذي الحال المخبر عنها بفعل أو اسم يتحمل ضمير ذي الحال آكد من الجملة الفعلية، من جهة أنه يتكرر فيها المسند إليه فيصير نظير: قام زيد زيد. ولما كانوا حين جاءوا الرسول أو المؤمنين قالوا: آمنا ملتبسين بالكفر، كان ينبغي لهم أن لا يخرجوا بالكفر، لأن رؤيته صلى الله عليه وسلم كافية في الإيمان. ألا ترى إلى قول بعضهم حين رأى الرسول: علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب، مع ما يظهر لهم من خوارق الآيات وباهر الدلالات، فكان المناسب أنهم وإن كانوا دخلوا بالكفر أن لا يخرجوا به، بل يخرجون بالرسول مؤمنين ظاهرا وباطنا. فأكد وصفهم بالكفر بأن كرر المسند إليه تنهيبا على

---

(١) سورة المائدة: ٥/ ٥٩.." (١)

"تحليفه فعلمنا أنهما ليسا من المسلمين وبسبب النزول وهو شهادة النصرانيين على بديل وكان مسلما وبأن أبا موسى قضى بشهادة يهوديين بعد أن حلفهما وما أنكر عليه أحد من الصحابة فكان ذلك إجماعا وباتفاق أكثر الأمة على أن سورة المائدة من آخر ما نزل وليس فيها منسوخ.

وقال أبو جعفر النحاس ناصرا للقول الأول: هذا ينبني على معنى غامض في العربية وذلك أن **معنى آخر** في العربية من جنس الأول تقول مررت بكريم وكريم آخر فقوله آخر يدل على أنه من جنس الأول ولا يجوز

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٣١٠

عند أهل العربية مررت بكريم وخسيس آخر ولا مررت برجل وحمار آخر فوجب من هذا أن يكون معنى قوله أو آخران من غيركم أي عدلان والكفار لا يكونون عدولا انتهى. وما ذكره في المثل صحيح إلا أن الذي في الآية مخالف للمثل التي ذكرها النحاس في التركيب لأنه مثل بآخر وجعله صفة لغير جنس الأول. وأما الآية فمن قبيل ما تقدم فيه آخر على الوصف واندرج آخر في الجنس الذي قبله ولا يعتبر جنس وصف الأول تقول:

جاءني رجل مسلم وآخر كافر ومررت برجل قائم وآخر قاعد واشتريت فرسا سابقا وآخر مبطئا فلو أخرت آخر في هذه المثل لم تجز المسألة لو قلت: جاءني رجل مسلم وكافر آخر ومررت برجل قائم وقاعد آخر واشتريت فرسا سابقا ومبطئا آخر لم يجز وليست الآية من هذا القبيل إلا أن التركيب فيها جاء اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فآخران من جنس قوله اثنان ولا سيما إذا قدرته رجلان اثنان فآخران هما من جنس قولك رجلان اثنان ولا يعتبر وصف قوله ذوا عدل منكم وإن كان مغايرا لقوله من غيركم كما لا يعتبر وصف الجنس في قولك عندي رجلان اثنان مسلمان وآخران كافران إذ ليس من شرط آخر إذا تقدم أن يكون من جنس الأول بعيد وصفه وهو على ما ذكرته هو لسان العرب قال الشاعر:

كانوا فريقين يصغون الزجاج على ... قعس الكواهل في أشداقها ضخم

وآخرين على الماذي فوقهم ... من نسج داود أو ما أورثت إرم

التقدير كانوا فريقين فريقا أو ناسا يصغون الزجاج ثم قال وآخرين ترى المأذي، فآخرين من جنس قولك فريقا، ولم يعبره بوصفه وهو قوله يصغون الزجاج لأن الشاعر قسم من ذكر إلى قسمين متباينين بالوصفين متحدي الجنس، وهذا الفرق قل من يفهمه فضلا عمن يعرفه، وأما القول الثالث الذي حكاه الزمخشري وهو أنه منسوخ، وحكاه عن مكحول، فهو قول زيد بن أسلم والنخعي ومالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من الفقهاء إلا أن أبا حنيفة خالفهم فقال: تجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض لا على المسلمين،." (١)

"النفي فيشكل معنى هذه القراءة لأنه يكون المعنى وما يشعركم أيها الكفار بانتفاء إيمانكم إذا جاءتكم الآية المقترحة، والذي يناسب صدر الآية وما يشعركم بوقوع الإيمان منكم إذا جاءت، وقد يصح أن يكون التقدير: وأي شيء يشعركم بانتفاء الإيمان إذا جاءت، أي لا يقع ذلك في خواطركم بل أنتم مصممون على الإيمان إذا جاءت، وأنا أعلم أنكم لا تؤمنون إذا جاءت لأنكم مطبوع على قلوبكم. وكم آية

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٩٣/٤

جاءتكم فلم تؤمنوا. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن ما في قوله ما يشعركم نافية والفاعل بيشعركم ضمير يعود على الله، ويتكلف معنى الآية على جعلها نافية، سواء فتحت أن أم كسرت. ومتعلق لا يؤمنون محذوف وحسن حذفه كون ما يتعلق به وقع فاصلة، وتقديره لا يؤمنون بها وقد اتضح من ترتيب هذه القراءات الأربع أنه لا يصلح أن يكون الخطاب للمؤمنين على الإطلاق ولا للكفار على الإطلاق، بل الخطاب يكون على ما يصح به المعنى التي للقراءة.

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون الظاهر أن قوله: ونقلب جملة استئنافية أخبر تعالى أنه يفعل بهم ذلك وهي إشارة إلى الحيرة والتردد وصرف الشيء عن وجهه. والمعنى أنه تعالى يحولهم عن الهدى ويتركهم في الضلال والكفر. وكما للتعليل أي يفعل بهم ذلك لكونهم لم يؤمنوا به أول وقت جاءهم هدى الله كما قال تعالى: وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون «١» ويؤكد هذا **المعنى آخر** الآية ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي ونتركهم في تغمطهم في الشر والإفراط فيه يتحيرون، وهذا كله إخبار من الله تعالى بفعله بهم في الدنيا. وقالت فرقة: هذا الإخبار هو على تقدير: أنه لو جاءت الآية التي اقترحوها صنعنا بهم ذلك. ولذلك قال الزمخشري ونقلب أفئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أي فنطبع على أبصارهم وقلوبهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها، لكونهم وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم ونصرفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه انتهى.

---

(١) سورة التوبة: ٩/ ١٢٥.." (١)

"فادخلوا أبواب جهنم «١» ويجوز أن تكون في باقية على مدلولها من الظرفية وفي النار كذلك ويتعلقان بلفظ ادخلوا وذلك على أن يكون في النار بدل اشتمال كقوله قتل أصحاب الأخدود النار «٢» ويجوز أن يتعدى الفعل إلى حرفي جر بمعنى واحد على طريقة البدل.

كلما دخلت أمة لعنت أختها كلما للتكرار ولا يستوي ذلك في الأمة الأولى فالاحقة تلعن السابقة أو يلعن بعض الأمة الداخلة بعضها ومعنى أختها أي في الدين والمعنى كلما دخلت أمة من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان وغيرهم من الكفار، وقال الزمخشري: أختها التي ضلت بالاقتداء بها انتهى، والمعنى أن أهل النار

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٦١٦

يلعن بعضهم بعضا ويعادي بعضهم بعضا ويكفر بعضهم ببعض، كما جاء في آيات أخر.

حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار حتى غاية لما قبلها والمعنى أنهم يدخلون فوجا ففوجا لاعنا بعضهم بعضا إلى انتهاء تداركهم وتلاحقهم في النار واجتماعهم فيها وأصل اداركوا تداركوا أدغمت التاء في الدال فاجتلبت همزة الوصل، قال ابن عطية، وقرأ أبو عمرو واداركوا بقطع ألف الوصل، قال أبو الفتح: هذا مشكل ولا يسوغ أن يقطعها ارتجالا فذلك إنما يجيء شاذا في ضرورة الشعر في الاسم أيضا لكنه وقف مثل وقفة المستنكر ثم ابتدأ فقطع، وقرأ مجاهد بقطع الألف وسكون الدال وفتح الراء بمعنى أدرك بعضهم بعضا، وقرأ حميد أدركوا بضم الهمزة وكسر الراء أي أدخلوا في إدراكها، وقال مكي في قراءة مجاهد: إنها ادركوا بشد الدال المفتوحة وفتح الراء قال وأصلها ادتركوا وزنها افتعلوا، وقرأ ابن مسعود والأعمش تداركوا ورويت عن أبي عمر انتهى، وقال أبو البقاء، وقرىء إذا اداركوا بألف واحدة ساكنة والدال بعدها مشددة وهو جمع بين ساكنين وجاز في المنفصل كما جاز في المتصل، وقد قال بعضهم: اثنا عشر بإثبات الألف وسكون العين انتهى ويعني بقوله كما جاز في المتصل نحو الضالين وجان وأخراهم الأمة الأخيرة في الزمان التي وجدت ضلالات مقررة مستعملة لأولاهم التي شرعت ذلك وافترت وسلكت سبيل الضلال ابتداء أو أخراهم منزلة ورتبة وهم الأتباع والسفلة لأولاهم منزلة ورتبة وهم القادة المتبوعون، أو أخراهم في الدخول إلى النار وهم الأتباع لأولاهم دخولا وهم القادة أقوال آخرها لمقاتل، وقال ابن عباس: آخر أمة لأول أمة وأخرى هنا بمعنى آخرة مؤنث آخر فمقابل أول لا مؤنث له آخر بمعنى غير لقوله وزر أخرى «٣» واللام في

(١- ٢) سورة النحل: ١٦/ ٢٩.

(٣) سورة الأنعام: ٦/ ١٦٤ وغيرها.." (١)

"أوقع لأن سم الإبرة يضرب بها المثل في الضيق والجمل وهو هذا الحيوان المعروف يضرب به المثل في عظم الجثة كما ذكرنا، وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة وذلك منه استجهال للسائل ومنع منه أن يتكلف له معنى آخر، وقرأ عبد الله وقتادة وأبو رزين وابن مصرف وطلحة بضم سين سم، وقرأ أبو عمران الحوفي وأبو نهيك والأصمعي عن نافع بكسر السين، وقرأ عبد الله وأبو رزين وأبو مجلز المخيط بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء، وقرأ طلحة بفتح الميم.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/٤٩

وكذلك نجزي المجرمين أي مثل ذلك الجزاء نجزي أهل الجرائم، وقال الزمخشري ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأن كل من أجرم عوقب ثم كرره تعالى فقال وكذلك نجزي الظالمين لأن كل مجرم ظالم لنفسه انتهى، وفيه دسيسة الاعتزال.

لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب كما قال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل «١» والغواشي جميع غاشية، قال ابن عباس والقرظي وابن زيد: هي اللحف، وقال عكرمة: يغشاهم الدخان من فوقهم، وقال الزجاج: غاشية من النار، وقال الضحاك:

المهاد الفرش والغواشي اللحف والتنوين في غواش تنوين صرف أو تنوين عوض قولان وتنوين عوض من الياء أو من الحركة قولان كل ذلك مقرر في علم النحو، وقرىء غواش بالرفع كقراءة عبد الله وله الجوار المنشآت «٢» .

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون لما أخبر بوعيد الكفار أخبر بوعد المؤمنين وخبر والذين الجملة من لا نكلف نفسا منهم أو الجملة من أولئك وما بعده وتكون جملة لا نكلف اعتراضا بين المبتدأ والخبر، وفائدته أنه لما ذكر قوله وعملوا الصالحات نبه على أن ذلك العمل وسعهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم محالها يوصل إليها بالعمل السهل من غير مشقة، وقال القاضي أبو بكر بن الطيب: لم يكلف أحدا في نفقات الزوجات إلا ما وجد وتمكن منه دون ما لا تناله يده ولم يرد إثبات الاستطاعة قبل الفعل، ونظيره لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها «٣» انتهى، وليس السياق يقتضي ما ذكره، وقال الزمخشري: جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه

---

(١) سورة الزمر: ٣٩/ ١٦.

(٢) سورة الرحمن: ٥٥/ ٢٤.

(٣) سورة الطلاق: ٦٥/ ٧.." [1]

"هنا يسئلونك عن الأنفال حكمها ولمن تكون ولذلك جاء الجواب قل الأنفال لله والرسول وقد يكون السؤال لاقتضاء مال ونحوه فيتعدى إذ ذاك لمفعولين تقول سألت زيادا مالا وقد جعل بعض المفسرين

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٢/٥

السؤال هنا بهذا المعنى وادعى زيادة عن، وأن التقدير يسألونك الأنفال، وهذا لا ضرورة تدعو إلى ذلك، وينبغي أن تحمل قراءة من قرأ بإسقاط عن على إرادتها لأن حذف الحرف، وهو مراد معنى، أسهل من زيادته لغير معنى غير التوكيد وهي قراءة سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وعلي بن الحسين وولديه زيد ومحمد الباقر وولده جعفر الصادق

وعكرمة وعطاء والضحاك وطلحة بن مصرف. وقيل عن بمعنى من أي يسألونك من الأنفال ولا ضرورة تدعوا إلى تضمين الحرف معنى الحرف، وقرأ ابن محيصن علنفال نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف وحذف الهمزة واعتد بالحركة المعارضة فأدغم نحو، وقد تبين لكم.

ومعنى قل الأنفال لله والرسول ليس فيها لأحد من المهاجرين ولا من الأنصار ولا فوض إلى أحد بل ذلك مفوض لله على ما يريده وللرسول حيث هو مبلغ عن الله الأحكام وأمرهم بالتقوى ليزول عنهم التخاصم ويصيروا متحابين في الله وأمر بإصلاح ذات البين وهذا يدل على أنه كانت بينهم مباينة ومباعدة ربما خيف أن تفضي بهم إلى فساد ما بينهم من المودة والمعافاة، وتقدم الكلام على ذات في قوله بذات الصدور «١» ، والبين هنا الفراق والتباعد وذات هنا نعت لمفعول محذوف أي وأصلحوا أحوالا ذات افتراقكم لما كانت الأحوال ملابسة للبين أضيفت صفتها إليه كما تقول اسقني ذا إنائك أي ماء صاحب إنائك لما لا بس الماء الإناء وصف بذا وأضيف إلى الإناء والمعنى اسقني ما في الإناء من الماء. قال ابن عطية: وذات في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته والذي يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات وذات ذلك هو المأمور بإصلاحها أي نفسه وعينه فحض الله على إصلاح تلك الأجزاء وإذا حصلت تلك حصل إصلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم، وقد تستعمل لفظة الذات على أنها لزيمة ما يضاف إليه وإن لم يكن نفسه وعينه وذلك في قوله عليم بذات الصدور «٢» وذات الشوكة ويحتمل ذات البين أن تكون هذه وقد يقال الذات أيضا **بمعنى آخر** وإن كان يقرب من هذا وهو قولهم فعلت كذا ذات يوم ومنه قول الشاعر:

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... ذات العشاء ولا تسري أفاعيها

---

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١١٩ وغيرها.

(٢) سورة المائدة: ٥/ ٧ وغيرها.." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/٢٦٩

"وفعل الشرط ليس ماضي اللفظ ولا مضارعا مقرونا بلم، وذلك إن جاء في كلامهم فمخصوص بالضرورة. وأيضا فتجد الكلام تاما دون تقدير هذا الجواب. ونقلوا عن سيبويه أن أن بدل من أنه. قال ابن عطية: وهذا معترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى.
والأولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد أن لم يتم جواب الشرط، وتلك الجملة هي الخبر. وأيضا فإن الفاء مانع البدل وأيضا، فهي **معنى آخر** غير الأول، فيقلق البدل. وإذا تلطف للبدل فهو بدل اشتمال انتهى. وقال أبو البقاء: وهذا يعني البدل ضعيف لوجهين:
أحدهما: أن الفاء التي معها تمنع من ذلك، والحكم بزيادتها ضعيف. والثاني: أن جعلها بدلا يوجب سقوط جواب الكلام انتهى. وقيل: هو على إسقاط اللام أي: فلأن له نار جهنم، فالفاء جواب الشرط، ويحتاج إلى إضمار ما يتم به جواب الشرط جملة أي:
فمحادته لأن له نار جهنم. وقرأ ابن أبي عبلة: فإن له بالكسر في الهمزة حكاها عنه أبو عمرو الداني، وهي قراءة محبوب عن الحسن، ورواية أبي عبيدة عن أبي عمرو، ووجهه في العربية قوي لأن الفاء تقتضي الاستئناف، والكسر مختار لأنه لا يحتاج إلى إضمار، بخلاف الفتح. وقال الشاعر:
فمن يك سائلا عني فإني ... وجروة لا ترود ولا تعار
وعلى هذا يجوز في أن بعد فاء الجزاء وجهان: الفتح، والكسر. ذلك لأن كينونة النار له خالدا فيها هو الهوان العظيم كما قال: ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته «١» .
يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون:
كان المنافقون يعيبون الرسول ويقولون: عسى الله أن لا يفشي سرنا فنزلت، قاله مجاهد. وقال السدي: قال بعضهم: وددت أني جلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فنزلت.
وقال ابن كيسان: وقف جماعة منهم للرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به فأخبره جبريل عليه السلام فنزلت.
وقيل قالوا في غزوة تبوك:
أيرجو هذا الرجل أن يفتح له قصور الشام وحصونها: هيهات هيهات فأنزل الله قل استهزؤوا.
والظاهر أن يحذر خبر، ويدل عليه إن الله مخرج ما تحذرون. فقيل: هو واقع منهم حقيقة لما شاهدوا الرسول يخبرهم بما يكتمونه، وقع الحذر والخوف في قلوبهم. وقال الأصم: كانوا يعرفونه رسولا من عند الله فكفروا حسدا، واستبعد القاضي في العالم بالله

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٩٢. [.....]."[1]

"من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين: من بعده أي: من بعد نوح رسلا إلى قومهم، يعني هودا وصالحا ولوطا وإبراهيم وشعيبا. والبينات: المعجزات، والبراهين الواضحة المثبتة لما جاءوا به. وجاء النفي مصحوبا بلام الجحود ليدل على أن إيمانهم في حيز الاستحالة والامتناع، والضمير في كذبوا عائد على من عاد عليه ضمير كانوا وهم قوم الرسل. والمعنى: أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية وتكذيب للحق، فتساوت حالتهم قبل البعثة وبعدها، كأن لم يبعث إليهم أحد. ومن قبل متعلق بكذبوا أي: من قبل بعثه الرسل. وقيل: المعنى أنهم بادروا رسلهم بالتكذيب كلما جاء رسول، ثم لجوا في الكفر وتمادوا، فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم من قبل لجهم في الكفر وتماديهم. وقال يحيى بن سلام: من قبل معناه من قبل العذاب، وهذا القول فيه بعد. وقيل: الضمير في كذبوا عائد على قوم نوح أي: فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح، يعني: أن شنشنتهم واحدة في التكذيب. قال ابن عطية، ويحتمل اللفظ عندي **معنى آخر** وهو: أن تكون ما مصدرية، والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل أي: من سببه ومن جرائه، ويؤيد هذا التأويل كذلك نطبع انتهى. والظاهر أن ما موصولة، ولذلك عاد الضمير عليها في قوله: بما كذبوا به. ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائد على مذكور، فتحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير. وقرأ الجمهور:

نطبع بالنون، والعباس بن الفضل بالياء، والكاف للتشبيه أي: مثل ذلك الطبع المحكم الذي يمتنع زواله نطبع على قلوب المعتدين المجاوزين طورهم والمبالغين في الكفر.

ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين. فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون أي: من بعد أولئك الرسل بآياتنا وهي المعجزات التي ظهرت على يديه، ولا يخص قوله: وملائه بالأشراف، بل هي عامة لقوم فرعون شريفهم ومشروفهم. فاستكبروا تعاظموا عن قبولها، وأعظم الكبر أن يتعاظم العبيد عن قبول رسالة ربهم بعد تبينها واستيضاحها، وباجترامهم الآثام العظيمة استكبروا واجترءوا على ردها. والحق هو العصا واليد قالوا لحبهم الشهوات: إن هذا لسحر مبين، وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويها وباطلا، ولم يقولوا إن هذا لسحر مبين إلا عند معاينة العصا وانقلابها، واليد وخروجها

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/٤٥٢

بيضاء، ولم يتعاطوا إلا مقاومة العصا وهي معجزة موسى الذي وقع فيها عجز المعارض. وقرأ مجاهد، وابن جبير،." (١)

"فلان، أي أنه مطيع له يصرفه كيف يشاء. ثم أخبر أن أفعاله تعالى في غاية الإحكام، وعلى طريق الحق والعدل في ملكه، لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده من توكل عليه، قوله الصدق، ووعده الحق.

وقرأ الجمهور: فإن تولوا أي تتولوا مضارع تولى. وقرأ الأعرج وعيسى الثقفي: تولوا بضم التاء واللام مضارع ولى، وقيل: تولوا ماض ويحتاج في الجواب إلى إضمار قول، أي: فقل لهم قد أبلغتكم، ولا حاجة تدعو إلى جعله ماضيا وإضمار القول. وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون تولوا فعلا ماضيا، ويكون في الكلام رجوع من غيبة إلى خطاب أي: فقد أبلغتكم انتهى. فلا يحتاج إلى إضمار، والظاهر أن الضمير في تولوا عائد على قوم هود، وخطاب لهم من تمام الجمل المقولة قبل. وقال التبريزي: هو عائد على كفار قريش، وهو من تلوين الخطاب، انتقل من خطاب قوم هود إلى الإخبار عمن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكأنه قيل: أخبرهم عن قصة قوم هود، وادعهم إلى الإيمان بالله لئلا يصيبهم كما أصاب قوم هود، فإن تولوا فقل لهم: قد أبلغتكم. وجواب الشرط هو قوله: فقد أبلغتكم، وصح أن يكون جوابا، لأن في إبلاغه إليهم رسالته تضمن ما يحل بهم من العذاب المستأصل، فكأنه قيل: فإن تتولوا استؤصلتم بالعذاب. ويدل على ذلك الجملة الخبرية وهي قوله: ويستخلف ربي قوما غيركم.

وقال الزمخشري: (فإن قلت) : الإبلاغ كان قبل التولي، فكيف وقع جزاء للشرط؟

(قلت) : معناه فإن تولوا لم أعاقب على تفريط في الإبلاغ، فإن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول. وقال ابن عطية: المعنى أنه ما علي كبيرهم منكم إن توليتم فقد برئت ساحتي بالتبليغ، وأنتم أصحاب الذنب في الإعراض عن الإيمان. وقرأ الجمهور: ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر المستأنف أي: يهلككم ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم. وقرأ حفص في رواية هبيرة: بجزمها عطفا على موضع الجزاء، وقرأ عبد الله كذلك، وبجزم ولا تضروه، وقرأ الجمهور: ولا تضرونه أي شيئا من الضرر بتوليتكم، لأنه تعالى لا تجوز عليه المضار والمنافع. قال ابن عطية: يحتمل من المعنى وجهين: أحدهما: ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيئا أي:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٩٠/٦

لا ينقص ملكه، ولا يختل أمره، وعلى هذا المعنى قرأ عبد الله بن مسعود ولا تنقصونه شيئا. **والمعنى الآخر**: ولا تضرونه أي: ولا تقدرون إذا أهلككم على إضراره بشيء، ولا." (١)

"فكرة وتذكر، فناسب ذكر الفعل إذ هو مشعر بالتجدد، ولما كانت حالة السجود ليست تتجدد في كل وقت عبر فيها بالاسم.

ويزيدهم أي ما تلي عليهم خشوعا أي تواضعا. وقال عبد الأعلى التيمي:

من أوتي من العلم ما لا يبكيه خليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه لأن تعالى نعت العلماء فقال: إن الذين أوتوا العلم الآية. وقال ابن عطية: ويتوجه في هذه الآية **معنى آخر**، وهو أن يكون قوله قل آمنوا به أو لا تؤمنوا مخلصا للوعيد دون التحقير، المعنى فسترون ما تجازون به، ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من أهل الكتاب أي إن الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر بل كان الذين أوتوا التوراة والإنجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة إذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا انتهى. وقد تقدمت الإشارة إلى طرف من هذا.

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا.

قال ابن عباس: تهجد الرسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده: «يا رحمن يا رحيم» . فقال المشركون: كان محمد يدعو إلها واحدا فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن، ما الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت قاله في التحرير. ونقل ابن عطية نحوا منه عن مكحول. وقال عن ابن عباس: سمعه المشركون يدعو يا الله يا رحمن، فقالوا: كان يدعو إلها واحدا وهو يدعو إلهين فنزلت.

وقال ميمون بن مهران: كان عليه السلام يكتب: باسمك اللهم حتى نزلت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه، فما الرحمن؟ فنزلت:

وقال الضحاك: قال أهل الكتاب للرسول صلى الله عليه وسلم: إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم، فنزلت لما لجوا في إنكار القرآن أن يكون الله نزله على رسوله عليه السلام وعجزوا عن معارضته، وكان عليه الصلاة والسلام قد جاءهم بتوحيد الله والرفض لآلهتهم عدلوا إلى رميه عليه الصلاة والسلام بأن ما نهاهم عنه رجع هو إليه، فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ادعوا الله الآية.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٦٩/٦

والظاهر من أسباب النزول أن الدعاء هنا
قوله يا رحمن يا رحيم أو يا الله يا رحمن من الدعاء
بمعنى النداء والمعنى: إن دعوتم الله فهو اسمه وإن دعوتم الرحمن فهو صفته. قال الزمخشري: والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى إلى مفعولين، تقول: دعوته زيدا ثم تترك أحدهما." (١)

"وإنا لجاعلون أي مصيرون ما عليها مما كان زينة لها أو ما عليها مما هو أعم من الزينة وغيره صعيدا ترابا جرزا لا نبات فيه، وهذا إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عن ما تضمنته أيدي المترفين من زينتها، إذ مآل ذلك كله إلى الفناء والحاق. وقال الزمخشري: ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة بهجته وإماطة حسنه وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك انتهى. قيل: والصعيد ما تصاعد على وجه الأرض. وقال مجاهد: الأرض التي لا نبات بها. وقال السدي الأملس المستوي. وقيل: الطريق.

وفي الحديث: «إياكم والقعود على الصعدات» .

أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا.

أم هنا هي المنقطعة فتتقدر ببل والهمزة. قيل: للإضراب عن الكلام الأول بمعنى الانتقال من كلام إلى آخر لا بمعنى الإبطال، والهمزة للاستفهام. وزعم بعض النحويين أن أم هنا بمعنى الهمزة فقط، والظاهر في أم حسبت أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم. فقال مجاهد: لم ينهه عن التعجب وإنما أراد كل آياتنا كذلك. وقال قتادة:

لا يتعجب منها فالعجائب في خلق السموات والأرض أكثر. وقال ابن عباس: سألوك عن ذلك ليجعلوا جوابك علامة لصدقك وكذبك، وسائر آيات القرآن أبلغ وأعجب وأدل على صدقك. وقال الطبري: تقرير له عليه السلام على حسبانه أن أصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى إنكار ذلك عليه أن لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة، فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم. قال: وهو قول ابن

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٢٦/٧

عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحاق. وقال الزهراوي: يحتمل معنى آخر وهو أن يكون استفهاما له هل علم أن أصحاب الكهف ... كانوا من آياتنا عجبا بمعنى إثبات أنهم عجب، ويكون فائدة تقريره جمع نفسه للأمر لأن جوابه أن يقول لم أحسب ولا علمته، فيقال له وصفهم عند ذلك والتجوز في هذا." (١)

"وقرأ الحسن وزيد بن علي وابن عامر اشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها فعلا مضارعا مجزوما على جواب الأمر وعطف عليه وأشركه. وقال صاحب اللوامح عن الحسن أنه قرأ أشدد به مضارع شدد للتكثير، والتكرير أي كلما حزنني أمر شددت به أزري. وقرأ الجمهور اشدد وأشركه على معنى الدعاء في شد الأزر وتشريك هارون في النبوة، وكان الأمر في قراءة ابن عامر لا يريد به النبوة بل يريد تدبيره ومساعدته لأنه ليس لموسى أن يشرك في النبوة أحدا. وفي مصحف عبد الله أخي واشدد.

وقال الزمخشري: ويجوز فيمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هارون انتهى. وهو خلاف الظاهر فلا يصار إليه لغير حاجة، وكان هارون أكبر من موسى بأربعة أعوام، وجعل موسى ما رغب فيه وطلبه من نعم سببا تلزم منه العبادة والاجتهاد في أمر الله والتظافر على العبادة والتعاون فيها مثير للرغبة والتزيد من الخير.

كي نسبحك ننزهك عما لا يليق بك ونذكرك بالدعاء والثناء عليك وقدم التسبيح لأنه تنزيهه تعالى في ذاته وصفاته وبراءته عن النقائص، ومحل ذلك القلب والذكر والثناء على الله بصفات الكمال ومحله اللسان، فلذلك قدم ما محله القلب على ما محله اللسان. وكثيرا نعت لمصدر محذوف أو منصوب على الحال، أي نسبحك التسبيح في حال كثرتهم على ما ذهب إليه سيبويه إنك كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا. والسؤل فعل بمعنى المسئول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول، والمعنى أعطيت طلبتك وما سألته من شرح الصدر وتيسر الأمر وحل العقدة، وجعل أخيك وزيرا وذلك من المنة عليه.

ثم ذكره تعالى تقديم منته عليه على سبيل التوقيف ليعظم اجتهاده وتقوى بصيرته ومرة معناه منة وأخرى تأنيث آخر بمعنى غير أي منة غير هذه المنة، وليست أخرى هنا بمعنى آخرة فتكون مقابلة للأولى، وتخيل ذلك بعضهم فقال: سماها أخرى وهي أولى لأنها أخرى في الذكر والأخرى لفظ مشترك يكون تأنيث الآخر بفتح الخاء وتأنيث الآخر بمعنى آخره، فهذه يلحظ فيها معنى التأخر. والمعنى أني قد حفظتك وأنت طفل رضيع فكيف لا أحفظك وقد أهلتك للرسالة. وفي قوله مرة أخرى إجمال يفسره قوله إذ أوحينا إلى أمك. قال الجمهور: هي وحي إلهام كقوله وأوحى ربك إلى النحل «١» . وقيل: وحي إعلام إما بإراءة

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٤١/٧

ذلك في منام، وإما ببعث ملك إليها

---

(١) سورة النحل: ١٦/ ٦٨.." (١)

"وقدره الزمخشري الأمر أو الشأن ذلك قال كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا وقد كان كذا انتهى. وقيل: مبتدأ محذوف الخبر أي ذلك الأمر الذي ذكرته. وقيل في موضع نصب تقديره امتثلوا ذلك ونظير هذه الإشارة البليغة قول زهير وقد تقدم له جمل في وصف هرم:

هذا وليس كمن يعيا بخطبته ... وسط الندى إذا ما ناطق نطقا

وكان وصفه قبل هذا بالكرم والشجاعة، ثم وصفه في هذا البيت بالبلاغة فكأنه قال: هذا خلقه وليس كمن يعيا بخطبته، والحرمات ما لا يحل هتكه وجميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها حرمه، والظاهر عمومه في جميع التكاليف، ويحتمل الخصوص بما يتعلق بالحج وقاله الكلبي قال: ما أمر به من المناسك، وعن ابن عباس هي جميع المناهي في الحج: فسوق وجدال وجماع وصيد. وعن ابن زيد هي خمس المشعر الحرام، والمسجد الحرام، والبيت الحرام، والشهر الحرام، والمحرم حتى يحل. وضمير فهو عائد على المصدر المفهوم من قوله ومن يعظم أي فالتعظيم خير له عند ربه أي قربة منه وزيادة في طاعته يثيبه عليها، والظاهر أن خيرا هنا ليس أفعل تفضيل.

وأحلت لكم بهيمة الأنعام دفعا لما كانت عليه من تحريم أشياء برأيها كالبحيرة والسائبة، ويعني بقوله إلا ما يتلى عليكم ما نص في كتابه على تحريمه، والمعنى ما يتلى عليكم آية تحريمه.

ولما حث على تعظيم حرمات الله وذكر أن تعظيمها خير لمعظمها عند الله أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول أعظم الحرمات، وجمعا في قران واحد لأن الشرك من باب الزور لأن المشرك يزعم أن الوثن يستحق العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله. ومن في من الأوثان لبيان الجنس، ويقدر بالموصول عندهم أي الرجس الذي هو الأوثان، ومن أنكر أن تكون من لبيان الجنس جعل من لابتداء الغاية فكأنه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبدأه الذي منه يلحقهم إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس، وعلى القول الأول يكون

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧/٣٢٩

النهي عن سائر الأرجاس من موضع غير هذا.

قال ابن عطية: ومن قال أن من للتبعيض قلب معنى الآية فأفسده انتهى. وقد." (١)

"المرية: الشك. والضمير في منه قيل: عائد على القرآن. وقيل: على الرسول.

وقيل: ما ألقى الشيطان، ولما ذكر حال الكافرين أولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد إلى شرح حال الكافرين، والظاهر أن الساعة يوم القيامة. قيل: واليوم العقيم يوم بدر. وقيل:

ساعة موتهم أو قتلهم في الدنيا كيوم بدر، واليوم العقيم يوم القيامة.

وقال الزمخشري: اليوم العقيم يوم بدر، وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن، أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز.

وقيل: هو الذي لا خير فيه يقال: ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا.

وقيل: لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وعن الضحاك: إنه يوم القيامة وإن المراد بالساعة مقدماته ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم يوم القيامة كأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير انتهى. وقال ابن عطية: وسمي يوم القيامة أو يوم الاستئصال عقيما لأنه لا ليلة بعده ولا يوم، والأيام كلها نتائج يجيء واحد إثر واحد، وكان آخر يوم قد عقم وهذه استعارة، وجملة هذه الآية توعد انتهى. وحتى غاية لاستمرار مريتهم، فالمعنى حتى تأتيهم الساعة أو عذاب يوم عقيم فتزول مريتهم ويشاهدون الأمر عيانا.

والتنوين في يومئذ تنوين العوض، والجملة المعوض منها هذا التنوين هو الذي حذف بعد الغاية أي الملك يوم تزول مريتهم وقدره الزمخشري أولا يوم يؤمنون وهو لازم لزوال المرية، فإنه إذا زالت المرية آمنوا، وقدر ثانيا كما قدرنا وهو الأولى. والظاهر أن هذا اليوم هو يوم القيامة من حيث إنه لا ملك فيه لأحد من ملوك الدنيا كما قال تعالى لمن الملك اليوم «١» ويساعد هذا التقسيم بعده، ومن قال إنه يوم بدر ونحوه فمن حيث ينفذ قضاء الله وحده ويبطل ما سواه ويمضي حكمه فيمن أراد تعذيبه، ويكون التقسيم إخبارا متركبا على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الإيمان والكفر وألفاظ التقسيم ومعانيها واضحة لا تحتاج إلى شرح. وقابل النعيم بالعذاب ووصفه بالمهين مبالغة فيه.

والذين هاجروا الآية هذا ابتداء **معنى آخر**، وذلك أنه لما مات عثمان بن مظعون وأبو سلمة بن عبد الأسد

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٠٤/٧

قال بعض الناس: من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف

---

(١) سورة غافر: ٤٠/ ١٦.." (١)

"موضع خفض على اللفظ، وفي موضع رفع على الموضع، واحتمل أن ينسحب النفي على الوصف فقط، فيكون من شفيع، ولكنه لا يطاع، أي لا تقبل شفاعته، واحتمل أن ينسحب النفي على الموصوف وصفته: أي لا شفيع فيطاع، وهذا هو المقصود في الآية أن الشفيع عند الله إنما يكون من أوليائه تعالى، ولا تكون الشفاعة إلا لمن ارتضاه الله وأيضا فيكون في زيادة التفضل والثواب ولا يمكن شيء من هذا في حق الكافر. وعن الحسن: والله لا يكون لهم شفيع ألبتة، يعلم خائنة الأعين، كقوله:

وإن سقيت كرام الناس فاسقينا أي الناس الكرام، وجوزوا أن تكون خائنة مصدرا، كالعافية والعاقبة، أي يعلم خيانة الأعين. ولما كانت الأفعال التي يقصد بها التكتم بدنية، فأخفاها خائنة الأعين من كسر جفن وغمز ونظر يفهم معنى ويريد صاحب معنى آخر وقلب، وهو ما تحتوي عليه الضمائر، قسم ما ينكتم به إلى هذين القسمين، وذكر أن علمه متعلق بهما التعلق ا لتام. وقال الزمخشري: ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين، لأن قوله: وما تخفي الصدور لا يساعد عليه. انتهى، يعني أنه لا يناسب أن يكون مقابل المعنى إلا المعنى، وتقدم أن الظاهر أن يكون التقدير الأعين الخائنة، والظاهر أن قوله: يعلم خائنة الأعين الآية متصل بما قبله، لما أمر بإنكاره يوم الآزفة، وما يعرض فيه من شدة الكرب والغم، وأن الظالم لا يجد من يحميه من ذلك، ولا من يشفع له.

ذكر اطلاعه تعالى على جميع ما يصدر من العبد، وأنه مجازى بما عمل، ليكون على حذر من ذلك اليوم إذا علم إن الله مطلع على أعماله. وقال ابن عطية: يعلم خائنة الأعين متصل بقوله: سريع الحساب، لأن سرعة حسابه للخلق إنما هي بعلمه الذي لا يحتاج معه إلى روية وفكر، ولا لشيء مما يحتاجه المحاسبون. وقالت فرقة: يعلم متصل بقوله: لا يخفى على الله منهم شيء، وهذا قول حسن، يقويه تناسب المعنيين، ويضعفه بعد الآية من ال آية وكثرة الحائل. انتهى. وقال الزمخشري: فإن قلت: بم اتصل قوله: يعلم خائنة الأعين؟ قلت: هو خبر من أخبار هو في قوله: هو الذي يريكم البرق «١» ، مثل:

يلقي الروح، ولكن من يلقي الروح قد علل بقوله: لينذر يوم التلاق، ثم أسقط

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥٢٨/٧

(١) سورة الرعد: ١٣/ ١٢.." (١)

"أي أنواعا كثيرة، ذكورا وإناثا، أو أزواجا إناثا. يذرؤكم فيه، قال ابن عباس: أي يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها. وقال ابن زيد: يرزقكم فيه، وهو قريب من القول قبله.

وقال مجاهد: يخلقكم في بطون الإناث. وقال ابن زيد أيضا: يذرأكم فيما خلق من السموات والأرض.

وقال الزجاج: يكثركم به، أي فيه، أي يكثركم في خلقكم أزواجا.

وقال علي بن سليمان: ينقلكم من حال إلى حال. وقال ابن عطية: الضمير في فيه للجعل، أي يخلقكم ويكثركم في الجعل، كما تقول: كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه، قال:

ولفظة ذرأ تزيد على لفظة خلق معنى آخر ليس في خلق، وهو توالي الطبقات على مر الزمان.

وقال الزمخشري: يذرؤكم: يكثركم، يقال ذرأ الله الخلق: بثهم وكثرهم، والذرء والذروء والذرواء أخوات في هذا التدبير، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل. والضمير في يذرؤكم يرجع إلى المخاطبين والأنعام، مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغير مما لا يعقل، وهي من الأحكام ذات العلتين. انتهى. وقوله: وهي من الأحكام ذات العلتين، اصطلاح غريب، ويعني أن الخطاب يغلب على الغيبة إذا اجتمعا فتقول: أنت وزيد تقومان والعاقل يغلب على غير العاقل إذا اجتمعا، فتقول: الحيوان وغيرهم يسبحون خالقهم. قال الزمخشري فإن قلت: ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير؟ وهلا قيل: يذرؤكم به؟ قلت: جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير. ألا تراك تقول للحيوان في خلق الأزواج تكثير؟ كما قال تعالى: ولكم في القصاص حياة «١» انتهى. ليس كمثله شيء، تقول العرب: مثلك لا يفعل كذا، يريدون به المخاطب، كأنهم إذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان نفيا عن الشخص، وهو من باب المبالغة، ومثل الآية قول أوس بن حجر:

ليس كمثل الفتى زهير ... خلق يوازيه في الفضائل

وقال آخر:

وقتلى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر وقال آخر:

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ... ما إن كمثلهم في الناس من أحد

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٩/٢٤٧

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٧٩.." (١)

"بمعنى آخر فقال:» ما جاء مستأسرا فهم الأسرى، وما صار في أيديهم فهم الأسارى، وحكى النقاش عن ثعلب أنه لما سمع هذا الفرق قال: «هذا كلام المجانين» ، وهي جرأة منه على أبي عمرو، وحكي عن المبرد أنه يقال: «أسير وأسراء كشهيد وشهداء» .

والأسير مشتق من الإسار وهو القيد الذي يربط [به المحمل، فسمي الأسير أسيرا لشدة وثاقه، ثم اتسع فيه فسمي كل مأخوذ بالقهر أسيرا وإن لم يربط] . والأسر: الخلق في قوله تعالى ﴿وشددنآ أسرهم﴾ [الإنسان: ٢٨] ، وأسرة الرجل من يتقوى بهم، والأسر احتباس البول، رجل مأسور [أذا] أصابه ذلك: وقالت العرب: «أسر قتبه» أي: شده. قال الأعشى:

٥٩١ - وقيدني الشعر في بيته ... كما قيد الآسرات الحمارا

يريد أنه بلغ في الشعر النهاية حتى صار له كالبيت لا يبرح عنه.

قوله: ﴿تفادوهم﴾ قرأ نافع وعاصم والكسائي: «تفادوهم» ، وهو جواب الشرط فلذلك حذفت نون الرفع، وهل القراءتان بمعنى واحد، ويكون معنى فاعل مثل معنى فعل المجرد نحو: عاقبت وسافرت، أو بينهما." (٢)

"للتنويع، وعدل عن اسم الفاعل، فلم يقل:» أو مسافرا «إشعارا بالاستعلاء على السفر لما فيه من الاختيار بخلاف المرض فإنه قهري.

قوله: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ الجمهور على رفع» فعدة «، وفيه وجوه أحدها، أنه مبتدأ والخبر محذوف: إما قبله تقديره: فعليه عدة، أو بعده أي: فعدة أمثل به. الثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف أي: فالواجب عدة. الثالث: أن يرتفع بفعل محذوف، أي: فتجزيه عدة. وقرىء: «فعدة» نصبا بفعل محذوف، تقديره: فليصم عدة. وكأن أبا البقاء لم يطلع على هذه القراءة فإنه قال: «ولو قرىء بالنصب لكان مستقيما» . ولا بد من حذف مضاف تقديره: «فصوم عدة» ومن حذف جملة بين الفعلين ليصح الكلام تقديره: فأفطر فعدة، ونظيره: ﴿أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ [الشعراء: ٦٣] أي: فضرب فانفلق. و «عدة» بمعنى معدودة كالطحن والذبح. ونكر قوله «فعدة» ولم يقل «فعدتها» اتكالا على المعنى. و «من أيام» في محل رفع

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٢٦/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٨٢/١

أو نصب على حسب القراءتين صفة لعدة.

قوله: ﴿أخر﴾ صفة لأيام. و «أخر» على ضربين، ضرب: جمع «أخرى» تأنيث «آخر» الذي هو أفعل تفضيل. وضرب جمع أخرى **بمعنى آخرة**، تأنيث: «آخر» المقابل لأول، ومنه قوله تعالى: ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ [الأعراف: ٤٩] . فالضرب الأول لا ينصرف، والعلة المانعة له من الصرف: الوصف والعدل.

واختلف النحويون في كيفية العدل، فقال الجمهور: إنه عدل عن الألف واللام، وذلك أن «أخر» جمع أخرى، وأخرى تأنيث «آخر» وآخر أفعل تفضيل، وأفعل التفضيل لا يخلو عن أحد ثلاثة استعمالات: إما مع أل وإما مع «من» وإما مع الإضافة. لكن «من ممتنعة لأنها معها يلزم الإفراد والتذكير، ولا إضافة/ في اللفظ، فقدرنا عدله عن الألف واللام، وهذا كما قالوا في» سحر «إنه عدل عن." (١)

"فاعلاء نحو: قاصعاء وراهطاء تجمع على فواعل، وأنشد ابن الأعرابي على إحدى وإحد قول الشاعر:

١١٢٨ - حتى استثاروا بي إحدى الإحد ... ليثا هزبرا ذا سلاح معتدي

قال: يقال: هو إحدى الإحد، وأحد الأحدين، وواحد الآحاد، كما يقال: واحد لا مثل له، وأنشد البيت.

واعلم أن» إحدى «لا تستعمل إلا مضافة إلى غيرها، فيقال: إحدى الإحد وإحداهما، ولا يقال: جاءتني إحدى، ولا رأيت إحدى، وهذا بخلاف مذكره.

و» الأخرى «تأنيث» آخر «الذي هو أفعل التفضيل، وتكون **بمعنى آخرة**، كقوله تعالى: ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾

[الأعراف: ٣٨] ، يجمع كل منهما على «أخر» ، ولكن جمع الأولى ممتنع من الصرف، وفي علته خلاف، وجمع/ الثانية منصرف، وبينهما فرق في المعنى، وهذا كله سأوضحه إن شاء الله تعالى في الأعراف فإنه أليق به.

قوله: ﴿ولا يأب الشهدآء﴾ مفعوله محذوف لفهم المعنى، أي: لا يأبون إقامة الشهادة، وقيل: المحذوف مجرور لأن «أبى» بمعنى امتنع، فيتعدى تعديته أي من إقامة الشهادة.

و ﴿إذا ما دعوا﴾ ظرف ل «يأب» أي: لا يمتنعون في وقت دعوتهم." (٢)

"أي: ولم تميلوا، وميلا. وأما قولهم: «ما يعيج زيد بالدواء» أي: ما ينتفع به فمن مادة أخرى **ومعنى آخر**. والعاج: هذا العظم ألفه مجهولة، لا نعلم: أمنقلبة عن واو أو ياء، وفي الحديث: أنه قال لثوبان «اشتر

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٢٧٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٦٦٧

لفاطمة سوارا من عاج» قال القتيبي: «العاج: الذبل» ، وقال أبو خراش الهذلي في امرأة:

١٣٦٦ - فجاءت كخاصي العير لم تحل جاجة ... ولا عاجة منها تلوح على وشم

قال الأصمعي: «العاجة: الذبلة، والجاجة: تخمين خرزة ما يساوي فلسا، وقوله كخاصي العير: هذا مثل تقوله العرب لمن جاء مستحييا من أمر فيقال:» «جاء كخاصي العير» والعير: الحمار، يعنون جاء مستحييا. ويقال: عاج بالمكان وعوج به أي: أقام وقطن وفي حديث اسماعيل عليه السلام: «ها أنتم عائجون» أي مقيمون، وأنشدوا لجرير:

١٣٦٧ - هل انتم عائجون بنا لغنا ... نرى العرصات أو أثر الخيام

كذا أنشد هذا البيت الهروي مستشهدا به على الإقامة، وليس بظاهر، بل المراد بعائجون في البيت مائلون وملتفتون، وفي الحديث: «ثم عاج رأسه إليها» أي التفت إليها.." (١)

"هو قول البصريين غير الأخفش بأنه قد قرىء قوله تعالى: ﴿دينا قيما ملة إبراهيم﴾ [الأنعام: ١٦١] وقوله: ﴿البيت الحرام قيما للناس﴾ [المائدة: ٩٧] ولا يصح معنى القيمة فيهما. وقد رد عليه الناس بأنه لا يلزم من عدم صحة معناه في الآيتين المذكورتين ألا يصح هنا، إذ معناه هنا لائق، وهناك **معنى آخر** يليق بالآيتين المذكورتين كما سيأتي.

وأما قراءة باقي السبعة فهو مصدر» قام «والأصل قوام، فأبدلت الواو ياء للقاعدة المعروفة، والمعنى: التي جعلها الله سبب قيام أبدانكم أي: بقائها. وقال الزمخشري:» أي تقومون بها وتنتعشون «.

وأما قراءة عبد الله بن عمر ففيها وجهان، أحدهما: أنه مصدر قاوم ك لاوذ لواذا، صحت الواو في المصدر/ كما صحت في الفعل. والثاني: أنه اسم لما يقوم به الشيء، وليس بمصدر كقولهم: هذا ملاك الأمر» أي ما يملك به.

وأما قراءة الحسن ففيها وجهان، أحدهما: أنه اسم مصدر كالكلام والدوام والسلام. والثاني: أنه لغة في القوام المراد به القامة، والمعنى: التي جعلها الله سبب بقاء قاماتكم، يقال: جارية حسنة القوام والقوام والقامة، كله بمعنى واحد. وقال أبو حاتم: «قوام بالفتح خطأ» قال: «لأن القوام امتداد القامة» ، وقد تقدم تأويل ذلك على أن الكسائي قال: «هو بمعنى القوام» أي بالكسر، يعني أنه مصدر.." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٢٨/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٨٢/٣

"وكذلك عطف «من خلفهم» على «من بين» ، و «سدا» على «سدا» وكذلك البيت عطف فيه «أديمها» على المفعول الأول ل «تراها» و «نغلا» على الثاني وهو «كشبه» و «يوما» الثاني على «يوما» الأول، فلا فصل فيه حينئذ، وحينئذ يقال: ينبغي لأبي علي أن يمنع مطلقا، ولا يستثني الضرورة، فإن ما استشهد به مؤول عل ما ذكرت. فإن قيل: إنما لم يجعله أبو علي من ذلك لأنه يؤدي إلى تخصيص الظرف الثاني بما وقع في الأول، وهو انه تراها كشبه أردية العضب في اليوم الأول والثاني؛ لأن حكم المعطوف حكم المعطوف عليه فهو نظير قولك: «ضربت زيدا يوم الجمعة ويوم السبت، ف» يوم السبت «مقيد بضرب زيد كما يقيد به يوم الجمعة، لكن الغرض أن اليوم الثاني في البيت مقيد بقيد آخر وهو رؤية أديمها نغلا، فالجواب: انه لو تركنا والظاهر من غير تقييد الظرف الثاني **بمعنى آخر** كان الحكم كما ذكرت؛ لأنه الظاهر كما ذكرت في مثالك:» ضربت زيدا يوم الجمعة ويوم السبت «أما إذا قيدته بشي آخر فقد ترك ذلك الظاهر لهذا النص، ألا تراك تقول:» ضربت زيدا يوم الجمعة وعمرا يوم السبت «فكذلك هذا، وهو موضع يحتاج لتأمل.

وأما «فبشرناها بإسحاق» ف «يعقوب» ليس مجرورا عطفا على «إسحاق» بل منصوبا بإضمار فعل أي: ووهبا لها يعقوب، ويدل عليه قراءة الرفع فإنها مؤذنة بانقطاعه من البشارة به، كيف وقد تقدم أن هذا القائل يقول: إنه متى كان المعطوف عليه مجرورا؟ أعيد مع المعطوف الجار. وأما ﴿أن تؤدوا الأمانات﴾ فلا دلالة فيها أيضا لأن «إذا» ظرف لا بدل له من عامل، وعامله: إما «أن تحكموا» وهو الظاهر / من حيث المعنى، وإما «يأمركم» ، فالأول ممتنع وإن كان المعنى عليه؛ لأن ما في حيز الموصول لا يتقدم عليه عند." (١)

"وهذا موضع يحتمل أن يكتب فيه أوراق من الشواهد، قد بوب النحويون له بابا ورتبوا عليه مسائل وأصلوه بقوله: «هذا جحر ضب خرب» حتى اختلفوا في جواز جر التثنية والجمع، فأجاز الاتباع فيهما جماعة من حذاقهم قياسا على المفرد المسموع، ولو كان لا وجه له بحال لاقتصروا فيه على المسموع فقط، ويتأيد ما ذكرناه أن الجر في الآية قد أجيز غيره - وهو الرفع والنصب - والرفع والنصب غير قاطعين ولا ظاهرين على أن حكم الرجلين المسح، فكذلك الجر يجب أن يكون كالنصب والرفع في الحكم دون الإعراب «انتهى.

أما قوله:» إن ﴿وحور عين﴾ من هذا الباب فليس بشيء، لأنه: إما [أن] يقدر عطفهما على ما تقدم بتأويل

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١١/٤

ذكره الناس كما سيتأتي أو بغير تأويل، وإما أن لا يعطفهما، فإن عطفهما على ما تقدم وجب الجر، وإن لم يعطفهما لم يجز الجر، وأما جرهما على ما ذكره الناس فقيل: لعطفهما على المجرور بالباء قبلهما على تضمين الفعل المتقدم «يتلذذون وينعمون بأكواب وكذا وكذا» أولا يضمن الفعل شيئا ويكون لطواف الوالدان بالحور العين على أهل الجنة لذاذة لهم بذلك، والجواب إنما يكون حيث يستحق الاسم غير الجر فيجر لمجاورة ما قبله، وهذا – كما ترى – قد صرح هو به أنه معطوف على «بأكواب» غاية ما في الباب أنه جعله مختلف المعنى، يعنى أنه عنده لا يجوز عطفهما على «بأكواب» إلا **بمعنى آخر** وهو تضمين الفعل، وهذا لا يقدح في العطفية. وأما البيت فجر «موثق» ليس لجواره «ل» منقلت «وإنما هو مراعات للمجرور ب» غير «، لأنهم نصوا على أنك إذا جئت بعد» غير «ومخفوضها بتابع جاز أن يتبع لفظ» غير «وأن يتبع المضاف إليه، وأنشدوا البيت، ويروى:» لم يبق فيها طريد غير منفلت «وأما باقي الأمثلة التي أوردها فليست من المجاوره التي تؤثر في تغيير الإعراب، وقد تقدم أن النحويين خصصوا ذلك بالنعت وأنه قد جاء في التوكيد ضرورة.." (١)

"وهذا واضح أي: قالوا آمنا في هذه الحال. و «قد» في «وقد دخلوا» «وقد خرجوا» لتقريب الماضي في الحال. وقال الزمخشري: **«ولمعنى آخر** وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم فكان الرسول عليه السلام متوقعا لإظهار الله تعالى ما كتموه، فدخل حرف التوقع، وهو متعلق بقوله» قالوا آمنا «أي: قالوا ذلك وهذه حالهم» يعني بقوله: «وهو متعلق» أي: والحال، وقوة كلامه تعطي أن صاحب الحال وعاملها الجملة المحكية بالقول. و «بالكفر» متعلق بمحذوف لأنه حال من فاعل «دخلوا» فيه حال من حال أي: دخلوا ملتبسين بالكفر أي: ومعهم الكفر كقولهم: «خرج زيد بثابه» وقراءة من قرأ: ﴿تنبت بالدهن﴾ أي: وفيها الدهن، ومنه ما أنشد الأصمعي:

١٧٦ – ١– ومستنة كاستنان الخرو ... ف قد قطع الحبل بالمرود

أي: ومروده فيه، وكذلك «به» أيضا حال من فاعل «خرجوا» .

وقوله: ﴿وهم﴾ مبتدأ، و «قد خرجوا» خبره، والجملة حال أيضا عطف على الحار قبلها، وإنما جاءت الأولى فعلية والثانية اسمية تنبيها على فرط تهالكهم في الكفر، وذلك أنهم كان ينبغي لهم إذا دخلوا على الرسول عليه السلام أن يؤمنوا، لما يرون من حسن سمته وهيبته وما يظهر على يديه." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢١٤/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٤٠/٤

"والصمم لا عليهم، و «منهم» صفة له بمعنى أنه صادر منهم، وهذا الثاني غير ظاهر. وقدره الزمخشري فقال: «أولئك كثير منهم» الوجه الخامس: أن «كثير» مبتدأ والجملة الفعلية قبله خبر، ولا يقال: إن الفعل متى وقع خبرا وجب تأخيره لأن ذلك مشروط بكون الفاعل مستترا نحو: «زيد قام» لأنه لو قدم فقيل: قام زيد لألبس بالفاعل، فإن قيل: وهذا أيضا يلبس بالفاعل في لغة «أكلوني البراغيث» فالجواب أنها لغة ضعيفة لا نبالي بها. وضعف أبو البقاء هذا الوجه **بمعنى آخر** فقال: «لأن الفعل قد وقع في موضعه فلا ينوى به غيره» وفيه نظر لأنا لا نسلم أنه وقع موقعه، وإنما كان واقعا موقعه لو كان مجردا من علامة. ومثل هذه الآية أيضا قوله تعالى: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبيا: ٣] .

والجمهور على «عموا وصموا» بفتح العين والصاد، والأصل: عميوا وصمموا كشربوا، فأعل الأول بالحذف، والثاني: بالإدغام. وقرأ يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي بضم العين والصاد وتخفيف الميم من «عموا» قال الزمخشري: «على تقدير / عماهم الله وصمهم أي: رماهم وضربهم بالعمى والصمم، كما يقال: نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك» ولم يعترض عليه الشيخ، وكان قد قال قبل ذلك بعد أن حكى القراءة: «جرت مجرى زكم الرجل وأزكمه الله، وحم وأحمه الله، ولا يقال: زكمه الله ولا حمه، كما لا يقال: عميته ولا صممته، وهي أفعال جاءت مبنية." (١)

"**معنى آخر** وهو التحضيض، فلا يلزم من الجواز في الأصل الجواز بعد حدوث معنى جديد.." (٢)

"قوله تعالى: ﴿وأنتم حرم﴾ : في محل نصب على الحال من فاعل «تقتلوا» ، و «حرم» جمع حرام، وحرام يكون للمحرم وإن كان في الحل ولمن في الحرم وإن كان حلالا، وهما سيان في النهي عن قتل الصيد، وقد تقدم الكلام على هذه اللفظة. قوله: ﴿منكم﴾ في محل نصب على الحال من فاعل «قتله» أي: كائنا منكم. وقيل: «من» للبيان وليس بشيء، لأن كل من قتل صيدا حكمه كذلك. فإن قلت: هذا وارد أيضا على جعله حالا. قلت: لم يقصد لذلك مفهوم حتى إنه لو قتله غيركم لم يكن عليه جزاء، لأنه قصد بالخطاب **معنى آخر** وهو المبالغة في النهي عن قتل الصيد.

قوله: ﴿متعمدا﴾ حال أيضا من فاعل «قتله» فعلى رأي من يجوز تعدد الحال يجيز ذلك هنا، ومن منع يقول: إن «منكم» للبيان حتى لا تتعدد الحال، و «من» يجوز أن تكون شرطية وهو الظاهر، وموصولة، والفاء لشبهها بالشرطية، ولا حاجة إليه وإن كانوا فعلوه في مواضع. قوله: «فجزاء» الفاء جواب الشرط أو

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٧٢/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٧٨/٤

زائدة لشبه المبتدأ بالشرط، فعلى الأول الجملة بعدها في محل جزم، وعلى الثاني في محل رفع، وما بعد «من» على الأول في محل." (١)

"أرأيتكن «ثم ذكر مذهب الفراء ثم قال:» وفيما ذكرنا إبطال لمذهبه «.

وقد انتصر أبو بكر بن الأنباري لمذهب الفراء بأن قال:» لو كانت الكاف توكيدا لوقعت التثنية والجمع بالتاء، كما يقعان بها عند عدم الكاف، فلما فتحت التاء في خطاب الجمع ووقع ميسم الجمع لغيرها كان ذلك دليلا على أن الكاف غير توكيد. ألا ترى أن الكاف لو سقطت لم يصلح أن يقال لجماعة: أرأيت، فوضح بهذا انصراف الفعل إلى الكاف وأنها واجبة لازمة مفتقر إليها «. وهذا الذي قاله أبو بكر باطل بالكاف اللاحقة لاسم الإشارة، فإنها يقع عليها ميسم الجمع، ومع ذلك هي حرف.

وقال الفراء:» موضع الكاف نصب، وتأويلها رفع؛ لأن الفعل يتحول عن التاء إليها، وهي بمنزلة الكاف في «دونك» إذا أغري بها، كما تقول: «دونك زيدا» فتجد الكاف في اللفظ خفضا وفي المعنى رفعا، لأنها مأمورة، فكذلك هذه الكاف موضعها نصب وتأويلها رفع «. قلت: وهذه الشبهة باطلة مما تقدم، والخلاف في» دونك «و» إليك «وبابهما مشهور تقدم التنبيه عليه غير مرة.

وقال الفراء أيضا كلاما حسنا رأيت أن أذكره فإنه مبين نافع، قال:» للعرب في «أرأيت» لغتان ومعنيان، أحدهما رؤية العين، فإذا أردت هذا عديت الرؤية بالضمير إلى المخاطب ويتصرف تصرف سائر الأفعال، تقول للرجل: «أرأيتك على غير هذه الحال» تريد: هل رأيت نفسك، ثم تثني وتجمع فتقول: أرأيتماكما، أرأيتموكم، أرأيتكن، **والمعنى الآخر**: أن تقول «أرأيتك» وأنت تريد معنى أخبرني، كقولك: أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل أي: أخبرني، وتترك التاء – إذا أردت هذا المعنى – موحدة على كل حال تقول:." (٢)

"انتفاء الاحتياج على حد سواء، لأنه في الأول لامتناع الدخول، وفي الثاني لكثرته لا لامتناعه «.

قلت: أما امتناعها في المثال الأول فلأن النحويين نصوا على أن الجملة الحالية إذا دخل عليها حرف عطف امتنع دخول واو الحال عليها، والعلة فيه المشابهة اللفظية، ولأن واو الحال في الأصل عاطفة.

ثم قال الشيخ:» وأما قول الزمخشري فالصحيح إلى آخره فتعليله ليس بصحيح، لأن واو الحال ليست بحرف عطف فيلزم من ذكرها اجتماع حرفي عطف؛ لأنها لو كانت حرف عطف للزم أن يكون ما قبلها حالا حتى تعطف حالا على حال، فمجيئها فيما لا يمكن أن يكون حالا دليل على أنها ليست واو عطف

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٤١٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٦٢١

ولا لحظ فيها معنى واو عطف تقول: «جاء زيد والشمس طالعة» فجاء زيد ليس بحال فتعطف عليها جملة حال، وإنما هذه الواو مغايرة لواو العطف بكل حال، وهي قسم من أقسام الواو، كما تأتي للقسم وليست فيه للعطف كما إذا قلت: «والله ليخرجن» . قلت: أبو القاسم لم يدع في واو الحال أنها عاطفة، بل يدعي أن أصلها العطف، ويدل على ذلك قوله: استعيرت للوصل، فلو كانت عاطفة على حالها لما قال: استعيرت، فدل قوله ذلك على أنها خرجت عن العطف واستعملت **لمعنى آخر**، لكنها أعطيت حكم أصلها في امتناع مجامعها لعاطف آخر. وأما تسميتها حرف عطف فباعتبار أصلها، ونظير ذلك واو «مع» فإنهم نصوا على أن أصلها واو العطف، ثم استعملت في المعية، فكذلك واو الحال، لا امتناع أن يكون أصلها واو العطف/.." (١)

"فعلى أنثى أفعل الذي للمفاضلة، والمعنى على هذا كما قال الزمخشري:» أخراهم منزلة، وهم الأتباع والسفلة، لأولاهم منزلة وهم السادة والرؤساء «، ويحتمل أن تكون» أخرى «**بمعنى آخرة** تأنيث آخر مقابل لأول، لا تأنيث» آخر «الذي للمفاضلة كقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [فاطر: ١٨] .

والفرق بين أخرى **بمعنى آخرة** وبين أخرى تأنيث آخر بزنة أفعل للتفضيل أن التي للتفضيل لا تدل على الانتهاء كما لا يدل عليه مذكرها، ولذلك يعطف أمثالها عليها في نوع واحد تقول: مررت بامرأة وأخرى وأخرى، كما تقول: برجل وآخر وآخر، وهذه تدل على الانتهاء كما يدل عليه مذكرها ولذلك لا يعطف أمثالها عليها، ولأن الأولى تفيد إفادة» غير «، وهذه لا تفيد إفادة» غير «.

والظاهر في هذه الآية الكريمة أنهما ليستا للتفضيل بل لما ذكرت لك/.

وقوله: ﴿لأولاهم﴾ اللام للتعليل أي لأجل، ولا يجوز أن تكون التي للتبليغ كهي في قولك: قلت لزيد افعل. قال الزمخشري: «لأن خطابهم مع الله لا معهم» وقد بسط القول قبله في ذلك الزجاج فقال: «والمعنى: وقالت أخراهم: يا ربنا هؤلاء أضلونا، لأولاهم» فذكر نحوه. قلت: وعلى هذا فاللام الثانية في قوله «أولاهم لأخراهم» يجوز أن تكون للتبليغ، لأن خطابهم معهم بدليل قوله: «فما كان لكم علينا من فضل، فذوقوا بما كنتم تكسبون» .

وقوله «ضعفا» قال أبو عبيدة: «الضعف: مثل الشيء مرة واحدة» قال." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٥١/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣١٥/٥

"قوله تعالى: ﴿لأكثرهم﴾ : الظاهر أنه متعلق بالوجدان كقولك: ما وجدت له مالا أي: ما صادفت له مالا ولا لقيته. الثاني: أن يكون حالا من «عهد» لأنه في الأصل صفة نكرة فلما قدم عليها نصب على الحال، والأصل: وما وجدنا عهدا لأكثرهم، وهذا ما لم يذكر أبو البقاء غيره. وعلى هذين الوجهين ف «وجد» متعدية لواحد وهو «من عهد» ، و «من» مزيدة فيه لوجود الشرطين. الثالث: أنه في محل نصب مفعولا ثانيا لوجد إذ هي بمعنى علمية، والمفعول هو «من عهد» . وقد يترجح هذا بأن «وجد» الثانية علمية لا وجدانية بمعنى الإصابة، وسيأتي دليل ذلك. فإذا تقرر هذا فينبغي أن تكون الأولى كذلك مطابقة للكلام ومناسبة له. ومن يرجح الأول يقول: إن الأولى لمعنى، والثانية **لمعنى آخر**.

قوله: ﴿وإن وجدنآ﴾ «إن» هذه هي المخففة، وليست هنا عاملة لمباشرتها الفعل فزال اختصاصها المقتضي لإعمالها. وقال الزمخشري: «وإن الشأن والحديث وجدنا» فظاهر هذه العبارة أنها معملة، وأن اسمها ضمير الأمر." (١)

"والجواب على قوله محذوف، وفعل الشرط مضارع غير مقترن ب لم «، وأيضا فإنا نجد الكلام تاما بدون هذا الذي قدره» .

وقد نقل عن سيبويه أنه قال: «الثانية بدل من الأولى» ، وهذا لا يصح عن سيبويه فإنه ضعيف أو ممتنع. وقد ضعفه أبو البقاء بوجهين، أحدهما: أن الفاء تمنع من ذلك، والحكم بزيادتها ضعيف. والثاني: أن جعلها بدلا يوجب سقوط جواب «من» من الكلام «. وقال ابن عطية:» وهذا يعترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى، والأولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد، إذ لم يأت جواب الشرط، وتلك الجملة هي الخبر. وأيضا فإن الفاء تمانع البدل، [وأيضا] فهي في **معنى آخر** غير البدل فيقلق البدل «.

وقال بعضهم:» فيجب على تقدير اللام أي: فلأن له نار جهنم وعلى هذا فلا بد من إضمار شيء يتم به جواب الشرط تقديره: فمحادته لأن له نار جهنم «.

وهذه كلها تكلفات لا يحتاج إليها، فالأولى ما تقدم ما ذكره: وهو أن يكون ﴿فأن له نار جهنم﴾ في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف، وينبغي أن تقدره متقدما عليها كما فعل الزمخشري وغيره أي: فحق أن له نار جهنم. وقدره غيره متأخرا أي: فأن له نار جهنم واجب. كذا قدره الأخفش. وردوه عليه بأنها لا يبتدأ بها، وهذا لا يلزمه فإنه يجيز الابتداء ب «أن» المفتوحة من." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٩٩/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧٨/٦

"والنيل مصدر فيحتمل أن يكون على بابه، وأن يكون واقعا موقع المفعول به، وليست ياؤه مبدلة من واو كما زعم بعضهم، بل ناله ينوله مادة أخرى **ومعنى آخر** وهو المناولة، يقال: نلته أنوله، أي: تناولته ونلته أنيله، أي: أدركته.." (١)

"متعلق ب «جاؤوهم» ، أو بمحذوف على أنه حال، أي: ملتبسين بالبينات. وقوله: «ليؤمنوا» أتى بلام الجحود توكيدا. والضمير في «كذبوا» عائد على من عاد عليه الضمير في «كانوا» وهم قوم الرسل. والمعنى: أن حالهم بعد بعث الرسل كحالهم قبلها في كونهم أهل جاهلية، وقال أبو البقاء ومكي: «إن الضمير في» كانوا «يعود على قوم الرسل، وفي» كذبوا «يعود على قوم نوح، والمعنى: فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح، أي: بمثله. ويجوز أن تكون الهاء عائدة على نوح نفسه من غير حذف مضاف، والتقدير: فما كان قوم الرسل بعد نوح ليؤمنوا بنوح، إذ لو آمنوا به لآمنوا بأنبيائهم. و» من قبل «متعلق ب» كذبوا «أي من قبل بعثة الرسل. وقيل: الضمائر كلها تعود على قوم الرسل **بمعنى آخر**: وهو أنهم بادروا رسلهم بالتكذيب، كلما جاء رسول لجوا في الكفر وتمادوا عليه فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم من قبل لجهم في الكفر وتماديهم.

وقال ابن عطية:» ويحتمل اللفظ عندي **معنى آخر**، وهو أن تكون «ما» مصدرية، والمعنى: فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل، أي: من سببه ومن جزائه، ويؤيد هذا التأويل «كذلك نطبع» ، وهو كلام يحتاج لتأمل «. قال الشيخ:» والظاهر أن «ما» موصولة، ولذلك عاد الضمير عليها في قوله: ﴿بما كذبوا به﴾ ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عائد على مذكور، فتحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير «. قلت: الشيخ بناه على قول جمهور النحاة في عدم كون» ما «." (٢)

"و «مرة» مصدر. و «أخرى» تأنيث أخر بمعنى غير. وزعم بعضهم أنها **بمعنى آخرة**، فتكون مقابلة للأولى، وتحيل لذلك بأن قال: «سماها أخرى وهي أولى لأنها أخرى في الذكر» .." (٣)

"قوله: ﴿ذلك﴾ : خبر مبتدأ مضمر أي: الأمر والشأن ذلك. قال الزمخشري: «كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في **معنى آخر** قال: هذا وقد كان كذا» . وقدره ابن عطية: «فرضكم ذلك، أو الواجب ذلك» . وقيل: هو مبتدأ خبره محذوف. أي: ذلك الأمر الذي ذكرته.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٣٨/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٤٥/٦

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٤/٨

وقيل: في محل نصب أي: امتثلوا ذلك. ونظير هذه الإشارة قول زهير، بعد تقدم جمل في وصف هرم ابن سنان:

٣٣٨٦ - هذا وليس كمن يعيا بخطبته ... وسط الندي إذا ما ناطق نطقا

قوله: «فهو» «هو» ضمير المصدر المفهوم من قوله ﴿ومن يعظم﴾ أي: وتعظيمه حرمات الله خير له كقوله تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب﴾ [المائدة: ٨] و «خير» هنا ظاهرها التفضيل بالتأويل المعروف.

قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ يجوز أن يكون استثناء متصلا، ويصرف إلى ما يحرم من بهيمة الأنعام لسبب عارض كالموت ونحوه، وأن يكون استثناء منقطعا؛ إذ ليس فيها محرم وقد تقدم تقرير هذا الوجه أول المائدة.." (١)

"السعادة. وقيل: على الأمم. والظاهر أن «سابقون» هو الخبر. و «لها» متعلق به قدم للفاصلة وللاختصاص. واللام قيل: بمعنى إلى. يقال: سبقت له وإليه بمعنى. ومفعول «سابقون» محذوف تقديره: سابقون الناس إليها. وقيل: اللام للتعليل أي: سابقون الناس لأجلها. وتكون هذه الجملة مؤكدة للجملة قبلها، وهي «يسارعون في الخيرات» ولأنها تفيد **معنى آخر** وهو الثبوت والاستقرار بعدما دلت الأولى على التجدد.

وقال الزمخشري: «أي فاعلون السبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها» . قال الشيخ: «وهذان القولان عندي واحد» . قلت: ليسا بواحد إذ مراده بالتقدير الأول أن لا يقدر للسبق مفعول البتة، وإنما الغرض الإعلام بوقوع السبق منهم غير نظر إلى من سبقوه كقوله: ﴿يحيي ويميت﴾ [البقرة: ٢٥٨] ﴿وكلوا واشربوا﴾ [البقرة: ١٨٧] «يعطي ويمنع» وغرضه في الثاني تقدير مفعول حذف للدلالة، واللام للعلة في التقديرين.

وقال الزمخشري أيضا: «أو إياها سابقون أي: ينالونها قبل الآخرة، حيث عجلت لهم في الدنيا» . قلت: يعني أن «لها» هو المفعول ب «سابقون» وتكون اللام قد زيدت في المفعول. وحسن زيادتها شيئان، / كل منهما لو انفرد لاقتضى الجواز: كون العامل فرعا، وكونه مقدما عليه معموله. قال الشيخ: «ولا يدل لفظ» لها سابقون «على هذا التفسير لأن سبق الشيء." (٢)

"قوله: «وخاتم» قرأ عاصم بفتح التاء، والباقون بكسرها. فالفتح اسم للآلة التي يختم بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه، هذا هو المشهور. وذكر أبو البقاء فيه أوجها أخر منها: أنه في معنى

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٦٩/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٥٤/٨

المصدر قال: «كذا ذكر في بعض الأعاريب» . قلت: وهو غلط محض كيف وهو يحوج إلى تجوز وإضمار؟ ولو حكي هذا في «خاتم» بالكسر لكان أقرب؛ لأنه قد يجيء المصدر على فاعل وفاعلة. وسيأتي ذلك قريبا. ومنها: أنه اسم **بمعنى آخر**. ومنها: أنه فعل ماض مثل قاتل فيكون «النبيين» مفعولا به قلت: ويؤيد هذا قراءة عبد الله «ختم النبيين» .

والكسر على أنه اسم فاعل، ويؤيده قراءة عبد الله المتقدمة. وقال بعضهم: هو بمعنى المفتوح، يعني **بمعنى آخرهم**.." (١)

"بالتشديد وباقيهم بالتخفيف وهما بمعنى واحد؛ لأن خرب عداه أبو عمرو بالتضعيف، وهم بالهمزة. وعن أبي عمرو أنه فرق **بمعنى آخر** فقال: «خرب بالتشديد: هدم وأفسد، وأخرب بالهمزة: ترك الموضع خرابا وذهب عنه. واختار الهذلي قراءة أبي عمرو لأجل التكثير. ويجوز أن يكون» يخربون «تفسيرا للرعب فلا محل له أيضا.." (٢)

"الشيخ:» وهذا رجوع منه عن مذهبه: وهو أن «لن» تقتضي النفي على التأبيد إلى مذهب الجماعة وهو أنها لا تقتضيه «قلت: وليس فيه رجوع، غاية ما فيه أنه سكت عنه، وتشريكه بين» لا «و» لن «في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص» لن «**بمعنى آخر**. وقد تقدم الكلام على هذا بأشبع منه هنا في البقرة.." (٣)

"والمعنى: التخيير بين أمرين: بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت، وبين أن يختار أحد الأمرين، وهما: النقصان من النصف والزيادة عليه، قاله الزمخشري: وقد ناقشه الشيخ: بأنه يلزمه تكرار في اللفظ؛ إذ يصير التقدير: قم نصف الليل إلا قليلا من نصف الليل، أو انقص من نصف الليل. قال: «وهذا تركيب ينزه القرآن عنه» . قلت: الوجه فيه إشكال، لا من هذه الحيثية فإن الأمر فيها سهل، بل **لمعنى آخر** [سأذكره قريبا إن شاء الله] .

وقد جعل أبو البقاء هذا الوجه مرجوحا فإنه قال: «والثاني هو بدل من قليلا يعني النصف قال:» وهو أشبه بظاهر الآية لأنه قال: «أو انقص منه أو زد عليه» ، والهاء فيهما للنصف. فلو كان الاستثناء من النصف لصار التقدير: قم نصف الليل إلا قليلا أو انقص منه قليلا، والقليل المستثنى غير مقدر، فالنقصان منه لا

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٢٩/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٧٩/١٠

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٢٩/١٠

يعقل «. قلت: الجواب عنه: أن بعضهم قد عين هذا القليل: فعن الكلبي ومقاتل: هو الثلث، فلم يكن القليل غير مقدر. ثم إن في قوله تناقضا لأنه قال:» والقليل المستثنى غير مقدر، فالنقصان منه [لا يعقل «] فأعاد الضمير على القليل، وفي الأول أعاده على النصف.." (١)

"لشيء يفهم الجمع، أي: طائفة أو فرقة ناشئة، وإلا ففاعل لا يجمع على فاعلة.

الرابع: أن» ناشئة الليل «ساعاته؛ لأنها تنشأ شيئا بعد شيء. وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء، وما كان قبلها فليس بناشئة. وخصصتها عائشة رضي الله عنها **بمعنى آخر**: وهو أن يكون بعد النوم، فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة.

قوله: ﴿وطأ﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف. والباقون بفتح الواو وسكون الطاء. وقرأ قتادة وشبل عن أهل مكة» وطئا «. وظاهر كلام أبي البقاء يؤذن أنه قرىء بفتح الواو مع المد فإنه قال:» وطاء بكسر الواو بمعنى: مواطأة، وبفتحها اسم للمصدر، و «وطئا» على فعل، وهو مصدر وطيء «فالوطاء مصدر واطأ كقتال مصدر قاتل. والمعنى: أنها أشد مواطأة، أي: يواطيء قلبها لسانها، إن أردت النفس، أو يواطيء فيها قلب القائم لسانه، إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات، أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص، والوطء بالفتح أو الكسر على معنى: أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل، أو أثقل وأغلظ من صلاة النهار على المصلي، من قوله." (٢)

"قالوا: وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفا. قال البخاري في أول كتاب التفسير: وسميت أم الكتب، أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة (١) وقيل: إنما (٢) سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله (٣) إلى ما تضمنته. قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمر (٤) أو مقدم لأمر -إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع -أما، فتقول (٥) للجلدة التي تجمع الدماغ، أم الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أما، واستشهد (٦) بقول ذي الرمة:

على رأسه أم لنا نقتدي بها ... جماع أمور ليس (٧) نعصي لها أمرا (٨)

يعني: الرمح. قال: وسميت مكة: أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها، وقيل: لأن الأرض دحيت منها.

ويقال لها أيضا: الفاتحة؛ لأنها تفتتح بها القراءة، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام، وصح

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥١١/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥١٨/١٠

تسميتها بالسبع المثاني، قالوا: لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة، وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله (٩) . قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا ابن أبي ذئب وهاشم بن هاشم عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأم القرآن: " هي أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم (١٠) " (١١) . ثم رواه عن إسماعيل بن عمر عن ابن أبي ذئب به، وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني " (١٢) . وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه في تفسيره: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، ثنا محمد بن غالب بن حارث، ثنا إسحاق بن عبد الواحد الموصلي، ثنا المعافى بن عمران، عن عبد الحميد بن جعفر، عن نوح بن أبي بلال، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحمد لله رب العالمين سبع آيات: بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي أم الكتاب (١٣) " (١٤) .

---

(١) صحيح البخاري (٨/١٥٥) "فتح".

(٢) في أ: "أنها".

(٣) في أ: "إليها".

(٤) في أ: "كل أمر جامع أمرا"، وفي و: "كل جامع أمرا".

(٥) في أ: "فيقول".

(٦) في أ: "واستشهدوا".

(٧) في أ، و: "لا".

(٨) تفسير الطبري (١/١٠٧) .

(٩) في أ: "الله تعالى".

(١٠) في جـ: "العظيم الذي أوتيته".

(١١) المسند (٢/٤٤٨) .

(١٢) تفسير الطبري (١/١٠٧) .

(١٣) بعدها في أ، جـ: "وفاتحة الكتاب".
(١٤) ورواه الثعلبي في تفسيره (١/ق ١٨) من طريق محمد بن حسان عن المعافى بن عمران عن عبد الحميد به، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٤٥) من طريق نوح بن أبي بلال عن المقبري به.." (١)

"بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ مبتدأ و ﴿يقولون آمنا به﴾ خبره. وأما إن أريد بالتأويل **المعنى الآخر** (١) وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: ﴿نبئنا بتأويله﴾ [يوسف: ٣٦] أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على: ﴿والراسخون في العلم﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يقولون آمنا به﴾ حالا (٢) منهم، وساغ هذا، وهو أن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه، كقوله: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ إلى قوله: ﴿ [والذين جاءوا من بعدهم] (٣) يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا [الذين سبقونا بالإيمان] (٤) ﴾ الآية [الحشر: ٨-١٠] ، وكقوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ [الفجر: ٢٢] أي: وجاءت الملائكة صفوفا صفوفا.

وقوله إخبارا عنهم أنهم ﴿يقولون آمنا به﴾ أي: بالمتشابه ﴿كل من عند ربنا﴾ أي: الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق، وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له؛ لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد لقوله: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء: ٨٢] ولهذا قال تعالى: ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا فياض الرقي، حدثنا عبد الله (٥) بن يزيد -وكان قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أنسا، وأبا أمامة، وأبا الدرداء، رضي الله عنهم، قال: حدثنا أبو الدرداء، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم، فقال: "من برت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن أعف (٦) بطنه وفرجه، فذلك من الراسخين في العلم" (٧) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عمر بن شعيب عن أبيه، عن جده قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتدارءون فقال: "إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٠٢/١

كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل (٨) كتاب الله ليصدق بعضه بعضا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه" (٩) .

---

(١) في أ: "الأخير".

(٢) في ر: "حال" وهو خطأ.

(٣) زيادة من أ، و.

(٤) زيادة من أ، و.

(٥) في و: "عبيد الله".

(٦) في أ، و: "عف".

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (٧٢/٢) ورواه الطبري (٢٠٧/٦) والطبراني في الكبير كما في الدر (١٥١/٢) من طريق عبد الله بن يزيد به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٤/٦) : "عبد الله بن يزيد ضعيف".

(٨) في جـ، ر، أ، و: "نزل".

(٩) المسند (١٨٥/٢) ورواه ابن ماجة برقم (٨٥) والبغوي في شرح السنة (٢٦٠/١) من طريق عمرو بن شعيب به. وقال البوصيري في "زوائد ابن ماجة" (٥٨/١) : "إسناده صحيح ورجاله ثقات".." [١]

"﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٨٤) ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (٨٥) ﴾

يقول تعالى منكرا على من أراد دينا سوى دين الله، الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، وهو عبادته وحده لا شريك له، الذي ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض﴾ أي: استسلم له من فيهما طوعا وكرها، كما قال تعالى: ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد:١٥] وقال تعالى: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون. ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون. يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٤٨ -٥٠] .

فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرها، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٢/٢

الذي لا يخالف ولا يمانع. وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية، على **معنى آخر** فيه غرابة، فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني:

حدثنا أحمد بن النضر العسكري، حدثنا سعيد بن حفص النفيلي، حدثنا محمد بن محصن العكاشي، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ أما من في السماوات فالملائكة، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام، وأما كرها فمن أتي به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال، يقادون إلى الجنة وهم كارهون" (١) .

وقد ورد في الصحيح: "عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل" (٢) وسيأتي له شاهد من وجه آخر ولكن المعنى الأول للآية أقوى.

وقد قال وكيع في تفسيره: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ قال: هو كقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان:٢٥] .

وقال أيضا: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ قال: حين أخذ الميثاق.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٩٤/١١) وهنا سقط اسم ابن عباس، فالإسناد عنده: عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم به. قال الهيثمي في المجمع (٣٢٦/٦) : "فيه محمد بن محصن العكاشي وهو متروك".

(٢) صحيح البخاري (٣٠١٠) .." [1]

"والأنبياء، عليهم السلام، في أمكنة كثيرة.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿مثاني﴾ قال: القرآن يشبه بعضه بعضا، ويرد (١) بعضه على بعض.

وقال بعض العلماء: ويروى عن سفيان بن عيينة معنى قوله: ﴿متشابها مثاني﴾ أن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد، فهذا من المتشابه، وتارة تكون بذكر الشيء وضده، كذكر المؤمنين ثم الكافرين، وكصفة الجنة ثم صفة النار، وما أشبه هذا، فهذا من المثاني، كقوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار:١٤، ١٣] ، وكقوله ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ [المطففين:٧] ، إلى أن قال: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ [المطففين:١٨] ، ﴿هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦٩/٢

[ص:٤٩] ، إلى أن قال: ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب﴾ [ص:٥٥] ، ونحو هذا من السياقات فهذا كله من (٢) المثاني، أي: في معنيين اثنين، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضا، فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [آل عمران:٧] ، ذاك **معنى آخر**.

وقوله: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد. والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمته (٣) ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار (٤) من وجوه:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات لأبيات، من أصوات القينات.

الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا، بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ [الأنفال:٢-٤] وقال تعالى: ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ [الفرقان:٧٣] أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمعانيها؛ فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم [أي يرون غيرهم قد سجد فيسجدون تبعا له] . (٥) .

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة، رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك؛ ولهذا فازوا بالقدح المعلى في الدنيا والآخرة.

قال عبد الرزاق: حدثنا معمر قال: تلا قتادة، رحمه الله: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾

---

(١) في أ: "يردد".

(٢) في أ: "في".

(٣) في ت: "من رحمة الله".

(٤) في ت، س، أ: "الفجار".

(٥) زيادة من أ.." [١]

"أما المعتزلة فقد اتفقوا على أن الإيمان إذا عدي بالباء، فالمراد به التصديق؛ إذ الإيمان بمعنى أداء الواجبات لا يمكن فيه هذه التعدية، فلا يقال: فلان آمن بكذا إذا صلى وصام، بل يقال: فلان آمن بالله كما يقال: صام وصلى لله، فالإيمان المعدى بالباء يجري على طريقة أهل اللغة.

أما إذا ذكر مطلقا غير معدى، فقد اتفقوا على أنه منقول من المسمى اللغوي - الذي هو التصديق - إلى **معنى آخر**، ثم اختلفوا فيه على وجوه:

أحدها: أن الإيمان عبارة عن فعل كل الطاعات، سواء كانت واجبة أم مندوبة، أو من باب الأقوال أو الأفعال، أو الاعتقادات، وهو قول واصل بن عطاء، وأبي الهذيل، والقاضي عبد الجبار بن أحمد.

وثانيها: أنه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل، وهو قول أبي علي وأبي هاشم.." [٢]

"ونقل عن سيبويه أنه قال: الثانية بدل من الأولى. وهذا لا يصح عن سيبويه، فإنه ضعيف، أو ممتنع، وقد ضعفه أبو البقاء بوجهين:

أحدهما: أن الفاء تمانع من ذلك والحكم بزيادتها ضعيف.

والثاني: أن جعلها بدلا يوجب سقوط جواب «من» من الكلام. وقال ابن عطية «وهذا يعترض بأن الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى، والأولى في هذا الموضع لم يأت خبرها بعد، إذ لم يأت جواب الشرط، وتلك الجملة هي الخبر، وأيضا فإن الفاء تمانع البدل، فهي **معنى آخر** غير ابلدل فيقلق البدل» .

وقال بعضهم: فتحت على تقدير اللام، أي: فلأن له نار جهنم. وهذه كلها تكلفات، لا يحتاج إليها.

فالأولى ما تقدم ذكره، وهو أن يكون «أن له نار جهنم» في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف، وينبغي أن يقدره متقدما عليها، كما فعل الزمخشري، وغيره، أي: فحق أن له نار جهنم. وقدره غيره متأخرا، أي: فأن له نار جهنم واجب، كذا قدره الأخفش وردوه عليه بأن٥١ لا يبتدأ بها.

وهذا لا يلزمه، فإنه يجيز الابتداء ب «أن» المفتوحة من غير تقديم خبره. وغيره لا يجيز الابتداء بها إلا بشرط تقدم «أما» ، نحو: أما أنك ذاهب فعندي، أو بشرط تقدم الخبر، نحو: عندي أنك منطلق. وقيل:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٩٤/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٨٢/١

«فأن له» خبر مبتدأ محذوف أي: فالواجب أن له، وهذه الجملة التي بعد الفاء مع الفاء في محل جزم، جوابا للشرط. وقرأ أبو عمرو فيما رواه أبو عبيدة، والحسن، وابن أبي عبلة: «فإن» بالكسر وهي قراءة حسنة قوية، تقدم أنه قرأ بها بعض السبعة في الأنعام، وتقدم هناك توجيهها.

والمحادة: المخالفة، والمعاندة، ومجاوزة الحد، والمعاداة. قيل: مشتقة من الحد وهو حد السلاح الذي يحارب به من الحديد. وقيل: من الحد الذي هو الجهة كأنه في حد غير حد صاحبه كقولهم: شاقه، أي: كان في شق غير شق صاحبه وعاداه، أي: كان في عدوة غير عدوته. قال ابن عباس: معناه: يخالف الله وقيل: يحارب الله، وقيل: يعاند الله، وقيل: يعادي الله.

واختار بعضهم قراءة الكسر، بأنها لا تحوج إلى إضمار، ولم يرو قوله: [الوافر]

٢٨٠٨ - فمن يك سائلا عني فإني ... وجروة لا تعار ولا تباع." (١)

"بمعنى: الوطء وأن يكون مكانا، والأول أظهر؛ لأن فاعل «يغيظ» يعود عليه من غير تأويل، بخلاف كونه مكانا، فإنه يعود على المصدر، وهو الوطء، الدال عليه مكان الموطىء. والمعنى: لا يضع الإنسان قدمه، ولا يضع فرسه حافره، ولا يضع بعيره خفه، بحيث يصير ذلك سببا لغيظ الكفار. قوله: «يغيظ الكفار» قال ابن الأعرابي: يقال: غاظه، وغيظه، وأغاظه بمعنى واحد، أي: أغضبه. وقرأ زيد بن علي «يغيظ» بضم الياء.

وقوله: ﴿ولا ينالون من عدو نيلا﴾ النيل: مصدر؛ فيحتمل أن يكون على بابه، وأن يكون واقعا موقع المفعول به، وليس ياؤه مبدلة من «واو» كما زعم بعضهم، بل ناله ينوله مادة أخرى، **وبمعنى آخر**، وهو «المناولة» ، يقال: نلته أنوله، أي: تناولته، ونلته أناله، أي: أدركته.

والمعنى: ولا ينالهم من العدو أسرا، أو قتلا، أو هزيمة قليلا كان أو كثيرا ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ أي كان ذلك قربة عند الله لهم.

قال قتادة: «هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه فليس لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر» وقال ابن زيد: هذا حين كان المسلمون قلة فلما كثروا نسخها الله بقوله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كآفة﴾ . وقال عطية: ما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله إذا دعاهم، وهذا هو الصحيح؛ لأن إجابة الرسول واجبة، وكذلك غيره من الأئمة.

قال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعين وابن المبارك، وابن جابر، وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣٤/١٠

الآية: إنها لأول هذه الأمة وآخرها، وذلك لأنا لو سوغنا للمندوب أن يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدي ذلك إلى تعطيل الجهاد.

قوله: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة﴾ أي: تمرة فما فوقها، وعلاقة سوط فما فوقها ﴿ولا يقطعون واديا﴾ قال الزمخشري: «الوادي» : كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسبيل، وهو في الأصل فاعل من: ودى، إذا سال، ومنه «الودي» . وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض. وجمع على «أودية» ، وليس بقياس، وكان قياسه «الأوداي» ، ك «أواصل» جمع: «واصل» ، والأصل: وواصل، قلبت «الواو» الأولى همزة. وهم قد يستثقلون واحده، حتى قالوا: «أقيت» في «وقيت» . وحكى الخليل، وسيبويه، في تصغير واصل اسم رجل «أويصل» ، ولا يقولون غيره قال النحاس «ولا أعرف فاعلا وأفعلة سواه» وقد استدرك هذا عليه؛ فزادوا: ناد وأندية؛ وأنشدوا: [الطويل]." (١)

"وقال أبو البقاء ومكي: إن الضمير في كانوا يعود على قوم الرسل، وفي «كذبوا» يعود على قوم نوح، والمعنى: فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح، أي: بمثله، ويجوز أن تكون الهاء عائدة على نوح نفسه، من غير حذف مضاف، والتقدير: فما كان قوم الرسل بعد نوح ليؤمنوا بنوح؛ إذ لو آمنوا به، لآمنوا بأنبيائهم.

و «من قبل» متعلق ب «كذبوا» أي: من قبل بعثة الرسل.

وقيل: الضمائر كلها تعود على قوم الرسل **بمعنى آخر**: وهو أنهم بادروا رسلهم بالتكذيب، كلما جاء رسول، لجوا في الكفر، وتمادوا عليه، فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم من قبل لجهم في الكفر، وتماديهم.

وقال ابن عطية: ويحتمل اللفظ عندي **معنى آخر**، وهو أن تكون «ما» مصدرية، والمعنى: فكذبوا رسلهم، فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل، أي: من سببه ومن جرائه، ويؤيد هذا التأويل: «كذلك نطبع» وهو كلام يحتاج إلى ت أمل.

قال أبو حيان: والظاهر أن «ما» موصولة؛ ولذلك عاد الضمير عليها في قوله: ﴿بما كذبوا به من قبل﴾ ولو كانت مصدرية، بقي الضمير غير عائد على مذكور؛ فتحتاج أن يتكلف ما يعود عليه الضمير.

قال شهاب الدين - رحمه الله -: «الشيخ بناه على قول جمهور النحاة: في عدم كون» ما «المصدرية اسما؛ فيعود عليها ضمير، وقد تقدم مرارا، أن مذهب الأخفش، وابن السراج: أنها اسم فيعود عليها الضمير»

.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣٧/١٠

قرأ العامة: «نطبع» بالنون الدالة على تعظيم المتكلم. وقرأ العباس بن الفضل: بياء الغيبة، وهو الله – تعالى –؛ ولذلك صرح به في موضع آخر: ﴿كذلك يطبع الله﴾ [الأعراف: ١٠١] . والكاف نعت لمصدر محذوف، أو حال من ذلك المصدر على حسب ما عرفته من الخلاف، أي: مثل ذلك الطبع المحكم الممتنع زواله، نطبع على قلوب المعتدين على خلق الله.

فصل

احتج أهل السنة على أنه – تعالى – قد يمنع المكللإ عن الإيمان بهذه الآية.

قالت المعتزلة: فقد قال – تعالى –: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾ [النساء: ١٥٥] ولو كان هذا الطبع مانعا، لما صح هذا الاستثناء، وقد تقدم البحث في ذلك عند قوله – تعالى –: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ [البقرة: ٧] .." (١)

"قوله: ﴿لتخرج الناس﴾ متعلق ب «أنزلناه» . وقرىء (ليخرج الناس) بفتح الياء وضم الراء، من خرج يخرج. «الناس» رفعا على الفاعلية.

قالت المعتزلة: اللام في «لتخرج» لام الغرض والحكمة، تدل على أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذا الغرض، فدل على أن أقوال الله تعالى وأفعاله معللة برعاية المصالح.

وأجيب: بأن من فعل فعلا لأجل شيء أخر، فهذا إنما يفعله إذا كان عاجزا عن تحصيل ذلك المقصود إلا بهذه الواسطة، وذلك محال في حق الله تعالى، وإذا ثبت بالدليل منع تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه بالعلل؛ ثبت أن كل ظاهر أشعر به فهو مؤول على **معنى آخر**.

فصل

قوله تعالى: ﴿من الظلمات﴾ أي: لتدعوهم من ظلمات [الظلال] إلى نور الإيمان.

قال القاضي رحمه الله: هذه الآية تبطل القول بالجبر من جهات:

أحدها: أنه تعالى لو خلق الكفر في الكافر، فكيف يصح إخراجه منه الكتاب.

وثانيها: أنه تعالى أضاف الإخراج من الظلمات إلى النور إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فإن كان خالق الكفر هو الله تعالى فكيف يصح من الرسول صلوات الله وسلامه عليه إخراجهم منه، وكان للكافر أن يقول: إنك تقول: إن الله خلق الكفر فينا فكيف يصح منك أن تخرجنا؟ .

فإن قال لهم: أنا أخرجكم من الظلمات التي هي كفر مستقبل لا واقع فلهم أن يقولوا: إنه كان الله سيخلقه

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٨٢/١٠

فينا لم يصح ذلك الإخراج، وإن لم يخلقه الله فنحن خارجون منه بلا إخراج.
وثالثها: أنه صلوات الله وسلامه عليه إنما يخرجهم من الكفر بالكتاب بأن يتلوه عليه ليتدبروهن؛ ولينظروا فيه فيعلموا بالنظر، والاستدلال كونه تعالى علما قادرا حكيما، ويعلموا بكون القرآن معجزة صدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه فحينئذ يقبلوا منه كل ما جاءهم من الشرائع، وذلك إنما يكون إذا كان الفعل ويقع باختيارهم، ويصح منهم أن يقدموا عليه ويتصرفوا فيه.
والجواب عن الكل: أن يقال: الفعل الصادر من العبد.
إما أن يصدر عنه حال استواء الداعي إلى الفعل والترك.." (١)
"قوله تعالى: ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ فعل بمعنى مفعول كقولك: خبز بمعنى مخبوز وأكل بمعنى مأكول، ولا ينقاس و «مرة» مصدر، و «أخرى» تأنيث آخر بمعنى: غير، وزعم بعضهم أنها **بمعنى آخرة** فتكون مقابلة للأولى، وتخيل لذلك بأن قال سمها أخرى وهي أولى، لأنها أخرى في الذكر.
فصل
إن موسى عليه السلام لما سأل ربه تلك الأمور الثمانية، وكان في المعلوم أن قيامه بما كلفه (لا يتم إلا بإجابته إليها، لا جرم أجابه الله تعالى إليها ليكون أقدر على إبلاغ ما كلف به) فقال: ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ فنبه بذلك على أمور:." (٢)
"يكون لقوله: «فتنا» **معنى آخر**، وذلك لأن الفتنة قد تكون بمعنى الامتحان، يقال: فتنت الذهب بالنار إذا امتحنته بالنار فتميز الجيد من الرديء، فهاهنا شدد الله التكليف عليهم، لأن السامري، لما أخرج لهم العجل صاروا مكلفين بأن يستدلوا بحدوث جملة العالم والأجسام على أن له إلها بجسم وحينئذ يعرفون أن العجل لا يصلح للإلهية فكان هذا التعبد تشديدا في التكليف، (والتشديد في التكليف) موجود.
قال تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾
[العنكبوت: ٢] .
والجواب: ليس في ظهور صوت من عجل متخذ من الذهب شبهة أعظم مما في الشمس والقمر، والدليل الذي ينفي كون الشمس والقمر إلها أولى بأن ينفي كون العجل إلها، فحينئذ لا يكون حدوث العجل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢٩/١١
(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣١/١٣

تشديدا في التكليف ولا يصح حمل الآية عليه، فوجب حمله على خلق الضلال فيهم.
وقوله: أضاف الإضلال إلى السامري. قلنا: أليس أن جميع المسببات العادية تضاف إلى أسباب من الظاهر وإن كان الموجد هو الله – تعالى – فكذا هاهنا. وأيضا قرئ «وأضلهم السامري» أي: وأشد ضلالهم السامري، وعلى هذا لا يبقى للمعتزلة استدلال، ثم الذي يحسم مادة الشغب مسألة الداعي. وقوله: «وأضلهم السامري» العامة على أنه فعل ماض مسند إلى السامري.
وقرأ أبو معاذ «وأضلهم» مرفوعا بالابتداء، وهو أفعل تفضيل، و «السامري» خبره.
ومعنى «أضلهم» أي: دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل، وأضاف الإضلال إلى السامري، لأنهم ضلوا بسببه.
قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: كان السامري علجا من أهل كرمان وقع إلى مصر، وكان من قوم يعبدون البقر، والأكثرون." (١)

"﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ وقوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾ [الشعراء: ٥] فالجواب من وجهين:
الأول: أن قوله تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ [يوسف: ١٠٤، ص: ٨٧، التكوير: ٢٧] وقوله ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ [الأنبياء: ٥٠] إشارة إلى المركب من الحروف والأصوات، وذلك مما لا نزاع فيه بل حدوثه معلوم بالضرورة، وإنما النزاع في قدر كلام الله تعالى **بمعنى آخر**.
الثاني: أن قوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ لا يدل على حدوث كل ما كان ذكرا، كما أن قول القائل: لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل إلا يبغضونه فإنه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون فاضلا بل على أن من الرجال من هو فاضل، وإذا كان كذلك فالآية لا تدل إلا على أن بعض الذكر محدث، فيصير نظم الكلام: القرآن ذكر، وبعض الذكر محدث، وهذا لا ينتج شيئا، فظهر أن الذي ظنوه قاطعا لا يفيد ظنا ضعيفا فضلا عن القطع.
قوله: «لاهية» يجوز أن تكون حالا من فاعل «استمعوه» عند من يجيز تعدد الحال، فيكون الحالان مترادفين.." (٢)

"فالجواب: أنه ما قصد التسلط على البيت وإنما تحصن به عبد الله بن الزبير فاحتال لإخراجه ثم بناه وقال ابن عيينة: لم يملك قط. وقال مجاهد: أعتق من الغرق.

---
(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٥٠/١٣
(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤٥/١٣

وقيل: لأنه بيت كريم من قولهم: عتاق الخيل والطير.

فصل

والطواف ثلاثة أطواف:

الأول: طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا، يرمل ثلاثا من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه، ويمشي أربعا وهذا الطواف سنة لا شيء على تاركه.

والثاني: طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، ويسمى أيضا طواف الزيارة وطواف الصدر، وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به.

والثالث: طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا، فمن تركه فعليه دم إلا الحائض والنفساء، فلا وداع عليهما لما روى ابن عباس قال: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه أرخص للمرأة الحائض. والرمل يختص بطواف القدوم، ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع.

قوله

تعالى

: ﴿ذلك

ومن يعظم حرمات الله﴾ الآية. «ذلك» خبر مبتدأ مضمر، أي: الأمر والشأن ذلك، قال الزمخشري: كما يقدم الكاتب جملة من كلامه في بعض المعاني، فإذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا، وقد كان كذا. وقدره ابن عطية: فرضكم ذلك أو الواجب ذلك. وقيل: هو مبتدأ خبره محذوف، أي ذلك." (١)

"قدم للفاصلة وللاختصاص. واللام، قيل: بمعنى (إلى) ، يقال: سبقت له، وإليه، بمعنى ومفعول «سابقون» محذوف، تقديره: سابقون الناس إليها. وقيل: اللام للتعليل، أي: سابقون الناس لأجلها. وتكون هذه الجملة مؤكدة للجملة قبلها، وهي ﴿يسارعون في الخيرات﴾ ، ولأنها تفيد معنى آخر وهو الثبوت والاستقرار بعدما دلت الأولى على التجدد.

وقال الزمخشري: أي: فاعلون السبق لأجلها، أو سابقون الناس لأجلها قال أبو حيان وهذان القولان عندي واحد. قال شهاب الدين: ليسا بواحد إذ مراده بالتقدير الأول: أن لا يقدر السبق مفعول ألبتة، وإنما الغرض الإعلام بوقوع السبق منهم من غير نظر إلى من سبقوه كقوله: «يحيي ويميت» ، و «كلوا واشربوا» ، و

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٨/١٤

«يعطي ويمنع» وغرضه في الثاني تقدير مفعول حذف لدلالة، واللام للعلة في التقديرين وقال الزمخشري أيضا: أو: إياها سابقون. أي: ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا. قال شهاب الدين: يعني أن «لها» هو المفعول ب «سابقون» ، وتكون اللام قد زيدت في المفعول، وحسن زيادتها شيئان كل منهما لو انفرد لاقتضى الجواز، كون العامل فرعا، وكونه مقدما عليه معموله. قال أبو حيان: ولا يدل لفظ «لها سابقون» على هذا التفسير، لأن سبق الشيء الشيء يدل على تقديم السابق على المسبوق، فكيف يقول: وهم يسبقون الخيرات، هذا لا يصح. قال شهاب الدين: ولا أدري عدم الصحة من أي جهة، وكأنه تخيل أن السابق يتقدم على المسبوق فكيف يتلاقيان؟ لكنه كان ينبغي أن يقول: فكيف يقول: وهم ينالون الخيرات، وهم لا يجامعونها، لتقدمهم عليها إلا أن يكون قد سبقه القلم فكتب بدل (وهم ينالون) (وهم يسبقون) وعلى كل." (١)

"أي أنت، وهذا البيت يروونه أيضا «ولكن زنجي» بالرفع، شاهدا على حذف امسها، أي «ولكنك»

.

وقرأ زيد بن علي، وابن أبي عبلة بتخفيفها ورفع «رسول» على الابتداء، والخبر مقدر أي هو، أو بالعكس أي ولكن هو رسول كقوله:

٤٠٩٤ - ولست الشاعر السفساف فيهم ... ولكن مدره الحرب العوان

أي ولكن أنا مدره.

قوله: «وخاتم النبيين» قرأ عاصم بفتح التاء والباقون بسكرهان فالفتح اسم للآلة التي يختم بها كالطابع والقالب، لما يطبع به، ويقلب فيه هذا هو المشهور، وذكر أبو البقاء فيه أوجها أخر منها أنه في معنى المصدر قال: كذا ذكر في بعض الأعاريب، قال شهاب الدين: وهو لغط محض كيف وهو محوج إلى تجوز أو إضمار، ولو حكى هذا في خاتم - بالكسر - لكان أقرب، لن قد يجيء المصدر على فاعل وفاعلة وسيأتي ذلك قريبا، ومنها أنه اسم بمعنى «آخر» ومنها أنه فعل ماض مثل «قاتل» فيكون «النبيين» مفعولا به، قال شهاب الدين: ويؤيد هذا قراءة عبد الله المتقدمة. وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني **بمعنى آخرهم** لأنه قد ختم النبيين فهو خاتم.

فصل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣٣/١٤

قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون من بعده نبيا، وروى عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا." (١)

"السريع ومار الدم على وجهه والمور – أي بالضم – التراب المتردد به الريح.

وأكد بالمصدرية دفعا للمجاز أي هذان الجرمان العظيمان مع كثافتهما يقع ذلك منهما حقيقة.

وقال ابن الخطيب: فيه فائدة جليلة، وهي أن قوله: «وتسير الجبال» يحتمل أن يكون بيانا لكيفية مور السماء؛ لأن الجبال إذا سارت وسيرت معها سكانها يظهر السماء كالسائرة إلى خلاف تلك الجهة، كما يشاهده راكب السفينة، فإنه يرى الجبل الساكن متحركا فكان لقائل أن يقول: السماء تمور في رأي العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائرا راكب السفينة، والسماء إذا كانت كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفزع لا في الأرض ولا في السماء.

فصل

لما ذكر أن العذاب واقع بين أنه متى يقع العذاب، فقال: يوم تمور السماء مورا، قال المفسرون: أي تدور كما يدور الرحا وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة.

قال عطاء الخراساني: يختلف أجزاؤها بعضها في بعض.

وقيل: تضطرب. ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ فتزول عن أماكنها، وتصير هباء منثورا، وهذا إيذان وإعلام بأن لا عود إلى السماء لأن الأرض والجبال والسماء والنجوم كلها لعمارة الدنيا والانتفاع لبني آدم فإذا لم يبق فيها نفع فلذلك أعدمها الله تعالى.

قوله: ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ يومئذ منصوب «بويل» والخبر «للمكذبين» . والفاء في قوله «فويل» قال مكي: جواب الجملة المتقدمة وحسن ذلك، لأن في الكلام معنى الشرط، لأن المعنى إذا كان ما ذكر فويل.

قال ابن الخطيب: أي إذا علم أن عذاب الله واقع، وأنه ليس له دافع فويل إذن للمكذبين؛ فالفاء لاتصال المعنى، ولمعنى آخر وهو الإيذان بأمان أهل الإيمان، لأنه لما قال: إن عذاب ربك لواقع وأنه ليس له دافع لم يبين موقعه بمن، فلما قال: ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ علم المخصوص (به) وهو المكذب.

فإن قيل: إذا قلت بأن قوله: ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ بيان لمن يقع به العذاب فمن." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٥٥٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/١١٩

"وهذه الآية تدل على أن الأمور كلها من الله تعالى، لأن الآية دلت على أن وقوع ذلك بالرعب صار سببا في إقدامهم على بعض الأفعال، وبالجملة فالفعل لا يحصل إلا عند حصول داعية متأكدة في القلب، وحصول تلك الداعية لا يكون إلا من الله تعالى، فكانت الأفعال بأسرها مستندة إلى الله – تعالى – بهذا الطريق.

قوله: ﴿يخربون بيوتهم﴾ يجوز أن يكون مستأنفا للإخبار به، وأن يكون حالا من ضمير «قلوبهم» ، وليس بذاك.

وقرأ أبو عمرو: «يخربون» بالتشديد، وباقيهم: بالتخفيف.

وهما بمعنى؛ لأن «خرب» عداه أبو عمرو بالتضعيف، وهم بالهمزة.

وعن أبي عمرو: أنه فرق بمعنى آخر، فقال: «خرب» – بالتشديد – هدم وأفسد، و «أخرب» – بالهمزة – ترك الموضع خرابا، وذهب عنه، وهو قول الفراء.

قال المبرد: ولا أعلم لهذا وجها.

و «يخربون» من خرب المنزل وأخربه صاحبه، كقوله: «علم وأعلم، وقام وأقام» .

وإذا قلت: «يخربون بيوتهم» من التخريب فإنما هو تكثير؛ لأن ذكر «بيوتا» تصلح للتقليل والتكثير.

وزعم سيبويه أنهما يتعاقبان في بعض الكلام، فيجري كل واحد مجرى الآخر، نحو: «فرحته وأفرحته» .

قال الأعشى: [المتقارب]

٤٧٣٦ – ... ... وأخربت من أرض قوم ديارا

واختار الهذلي قراءة أبي عمرو لأجل التكثير.

ويجوز أن يكون «يخربون» تفسيرا للرعب فلا محل له أيضا.

قال أبو عمرو: وإنما اخترت التشديد؛ لأن الإخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن." (١)

"عمر: كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بني النضير، وما كان مثلها فهذه آية واحدة، ومعنى متحد.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿مآ أفآء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول﴾ ، وهذا كلام مبتدأ غير الأول لمستحق غير الأول وسمى الآية الثانية آية الغنيمة، ولا شك في أنه معنى آخر باستحقاق آخر لمستحق آخر، بيد أن الآية الأولى والثانية مشتركتان في أن كل واحدة منهما تضمنت شيئا أفاء الله على

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/٥٦٦

رسوله، واقتضت الآية الأولى أنه حاصل بغير قتال، واقتضت آية «الأنفال» أنه حاصل بقتال، وعريت الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿مآ أفآء الله على رسوله من أهل القرى﴾ ، عن ذكر حصوله بقتال، أو بغير قتال، فمن ها هنا نشأ الخلاف.

فقالت طائفة: هي ملحقة بالأولى، وهو مال الصلح كله ونحوه.

وقالت طائفة: هي ملحقة بآية «الأنفال» ، واختلفوا هل هي منسوخة كما تقدم أو محكمة؟ .

قال القرطبي: «وإلحاقها بالتي قبلها؛ لأن فيه تجديد فائدة ومعنى» .

وقد قيل: إن سورة «الحشر» نزلت بعد «الأنفال» ، ومن المحال أن ينسخ المتقدم المتأخر.

فصل في أموال الأئمة والولاة

الأموال التي للأئمة والولاة فيها مدخل ثلاثة أضرب:

الأول: ما أخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات والزكوات.

والثاني: الغنائم، وهو ما يحصل في أيدي المسلمين من أموال الكفار بالحرب والقهر والغلبة.

والثالث: الفيء، وهو ما رجع للمسلمين من أموال الكفار عفوا صفوا من غير قتال، ولا إيجاف كالصلح والجزية والخراج والعشور والمأخوذ من تجار الكفار.

ومثله أن يهرب المشركون، ويتركون أموالهم، أو يموت منهم أحد في دار الإسلام ولا وارث له.

فأما الصدقة فمصرفها الفقراء والمساكين والعاملون عليها حسب ما ذكره تعالى في سورة التوبة.

وأما الغنائم فكانت في صدر الإسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما شاء كما قال في «الأنفال» : ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ [الأنفال: ١] ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ [الأنفال: ٤١]." (١)

"والعامة: بضم الواو وهو في الأصل واو الضمير.

وابن السميفع وابن يعمر وابن إسحاق: بكسرها، وهو أصل التقاء الساكنين.

وابن السميفع أيضا: بفتحها وهذا طلب للتخفيف.

وتقدم نحوه في: ﴿اشتروا الضلالة﴾ [البقرة: ١٦] .

وحكى الكسائي إبدال الواو همزة.

قوله: ﴿ولا يتمنونه﴾ ، وقال في البقرة: ﴿ولن يتمنوه﴾ [البقرة: ٩٥] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٧٧/١٨

قال الزمخشري: لا فرق بين «لا» و «لن» في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل إلا أن في «لن» تأكيدا وتشديدا ليس في «لا» فأتي مرة بلفظ التأكيد «ولن يتمنوه» ومرة بغير لفظه «ولا يتمنونه» .

قال أبو حيان: «وهذا رجوع عن مذهبه وهو أن» لن «تقتضي النفي على التأبيد إلى مذهب الجماعة وهو أنها لا تقتضيه» .

قال شهاب الدين: وليس فيه رجوع، غاية ما فيه أنه سكت عنه، وتشريكه بين «لا» و «لن» في نفي المستقبل لا ينفي اختصاص «لن» **بمعنى آخر.**

وتقدم الكلام على هذا مشبعا في «البقرة» .

فصل

المعنى: «ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم» أي: أسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلو تمنوه لماتوا، فكان ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية.

«قال عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الآية:» والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات «» .

وفي هذا إخبار عن الغيب ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مضى الكلام على هذه الآية في «البقرة» عند قوله: ﴿فتمنوا الموت﴾ [البقرة: ٩٤] .." (١)

"أحدها: أن «نصفه» بدل من «الليل» بدل بعض من كل، و «إلا قليلا» استثناء من النصف، كأنه قيل: [قم أقل من نصف الليل، والضمير في «منه» و «عليه» عائد على النصف، والمعنى: التخيير بين أمرين: بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت] ، وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف، والزيادة عليه، قاله الزمخشري.

وناقشه أبو حيان: «بأنه يلزم منه تكرار اللفظ، ويصير التقدير: قم نصف الليل إلا قليلا من نصف الليل، قال: وهذا تركيب ينزه القرآن عنه» .

قال شهاب الدين: والوجه في إشكال، لكن لا من هذه الحيثية، فإن الأمر فيها سهل بل **لمعنى آخر** - سأذكره إن شاء الله تعالى قريبا -، وجعل أبو البقاء هذا الوجه مرجوحا فإنه قال: والثاني: هو بدل من «قليلا» - يعني النصف - قال: وهو أشبه بظاهر الآية لأنه قال: «أو انقص منه» ، «أو زد عليه» ، والهاء فيهما للنصف، فلو كان الاستثناء من النصف لصار التقدير: قم نصف الليل إلا قليلا، أو انقص منه قليلا،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٧/١٩

والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل.
قال شهاب الدين: «والجواب عنه: أن بعضهم قد عين هذا القليل، فعن الكلبي، ومقاتل: هو الثلث فلم يكن القليل غير مقدر، ثم إن في قوله تناقضا فإنه قال:» والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل «، فأعاد الضمير على القليل، وفي الأول أعاده على النصف، ولقائل أن يقول: قد ينقدح هذا الوجه بإشكال قوي، وهو أنه يلزم منه تكرار المعنى الواحد، وذلك أن قوله: قم نصف الليل إلا قليلا، بمعنى أنقص من نصف الليل، لأن ذلك القليل، هو بمعنى النقصان وأنت إذا قلت:» قم نصف الليل إلا القليل من النصف، وقم نصف الليل، أو انقص من النصف «وجدتهما بمعنى واحد، وفيه دقة فتأمله، ولم يذكر الحوفي غير هذا الوجه المتقدم، وقد عرف ما فيه، وممن ذهب إليه أيضا الزجاج فإنه قال:» نصفه «بدل من» الليل «و» إلا قليلا «ا ستثناء من النصف، والضمير في» منه «و» عليه «عائد للنصف، والمعنى: قم نصف الليل، أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث، أو زد عليه إلى الثلثين، فكأنه قال: قم ثلثي الليل، أو نصفه، أو ثلثه» .
قال شهاب الدين: «والتقديرات التي يبرزونها ظاهرة حسنة إلا أن التركيب لا يساعد عليها لما عرفت من الإشكال المذكور آنفا» .
الثاني: أن يكون «نصفه» بدلا من «قليلا» وإليه ذهب الزمخشري وأبو البقاء، وابن عطية.." (١)
"قال بعضهم: والدليل على اعتبار هذا المعنى أنهم جمعوا» مريضا وميتا وهالكا «على» فعلى «فقالوا:» مرضى وموتى وهلكى «لما جمعها المعنى الذي في» قتلى وجرحى «.
الثاني: أن» أسارى «جمع» أسير «، وقد وجدنا» فعيلا «يجمع على» فعالى «قالوا: شيخ قديم، وشيوخ قدامى. وفيه نظر، فإن هذا شاذ لا يقاس عليه.
الثالث: أنه جمع» أسير «أيضا، وإنما ضموا الهمزة من» أسارى «وكان أصلها الفتح ك» نديم وندامى «كما ضمت الكاف والسين من» كسالى «و» سكارى «وكان الأصل فيهما الفتح نحوك» عطشان وعطاشى «.
الرابع: أنه جمع» أسرى «الذي هو جمع» أسير «فيكون جمع الجمع.
وأما قراءة حمزة فواضحة؛ لأن» فعلى «ينقاس في» فعيل «نحو:» جريح وجرحى «و» قتيل وقتلى «و» مريض ومرضى «.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/٤٥٤

وأما» أسارى «بالفتح فقد تقدم أنها أصل أسارى بالضم عند بعضهم، ولم يعرف أهل اللغة فرقا بين» أسارى «و» أسرى «إلا ما حكاه أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء، فإنه قال:» ما كان في الوثاق «فهم الأسارى، وما كان في اليد، فهم الأسرى» ونقل بعضهم عنه الفرق **بمعنى آخر**، فقال: «ما جاء مستأسرا فهم الأسرى، وما صار في أيديهم، فهم الأسارى» ، وحكى النقاش من ثعلب؛ أنه لما سمع هذا الفرق قال: «هذا كلام المجانين» ، وهي جرآة منه على أبي عمرو، وحكى عن المبرد أنه يقال: «أسير وأسراء» ك «شهيد وشهداء» و «الأسير» : مشتق من «الإسار» وهو القيد الذي يربط به من المحمل، فسمي الأسير أسيرا، وإن لم يربط، والأسر: الخلق في قوله:

﴿وشددنآ أسرهم﴾ [الإنسان: ٢٩] وأسرة الرجل: من يتقوى بهم، والأسر: احتباس البول، ورجل مأسوقر: أصابه ذلك؛ وقالت العرب: أسر قتبه: أي: شده؛ قال الأعشك [المتقارب]

٦٣٦ - وقيدني الشعر في بيته ... كما قيد الآسرات الحمارا

يريد: أنه بلغ في الشعر النهاية؛ حتى صار له كالبيت الذي لا يبرح عنه.

قوله: «تفادوهم» قرأ نافع وعاصم والكسائيك «تفادوهم» ، وهو جواب الشرط، فلذلك حذف نون الرفع، وقرأ الباقون: «تفدوهم» ، وهل القراءتان بمعنى واحد، ويكون معنى «فاعل» مثل معنى «فعل» المجرد مثل: «عاقبت وسافرت» أو بينهما فرق؟ خلاف مشهور، ثم اختلف الناس في ذلك الفرق ما هو؟." (١)

"هو تأنيث «أحد» يقابلونها به في: أحد عشر وإحدى عشرة وأحد وعشرين وإحدى وعشرين، وتجمع «إحدى» على «إحد» نحو: كسرة وكسر.

قال أبو العباس: «جعلوا الألف في الإحدى بمنزلة التاء في» الكسرة «، فقالوا في جمعها:» إحد «؛ كما قالوا: كسرة وكسر؛ كما جعلوا مثلها في الكبرى والكبر، والعليا والعلى، فكما جعلوا هذه كظلمة، وظلم جعلوا الأول كسدرة وسدر» قال: «وكما جعلوا الألف المقصورة بمنزلة التاء فيما ذكر؛ وجعلوا الممدودة أيضا بمنزلتها في قولهم» قاصعاء وقواصع «و» داماء ودوام «، يعني: أن فاعلة نحو: ضاربة تجمع على ضوارب، كذا فاعلاء؛ نحو: قاصعاء، وراهطاء تجمع على فواعل؛ وأنشد ابن الأعرابي على إحدى وإحد قول الشاعر: [الرجز]

١٢٨٦ - حتى استثاروا بي إحدى الإحد ... ليثا هزبرا ذا سلاح معتدي

قال: يقال: هو إحدى الإحد، وأحد الأحدين، وواحد الآحاد، كما يقال: واحد لا مثل له، وأنشد البيت.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢/٢٥١

واعلم أن «إحدى» لا تستعمل إلا مضافة إلى غيرها؛ فيقال: إحدى الإحد وإحداهما، ولا يقال: جاءتني إحدى، ولا رأيت إحدى، وهذا بخلاف مذكرها.

و «الأخرى» تأنيث «آخر» الذي هو: أفعل التفضيل، وتكون **بمعنى آخرة**؛ كقوله تعالى: ﴿قالت أخراهم لأولاهم﴾ [الأعراف: ٣٨] ، ويجمع كل منهما على «أخر» ، ولكن جمع الأولى ممتنع من الصرف، وفي علته خلاف، وجمع الثانية منصرف، وبينهما فرق يأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى في الأعراف.

فصل

أجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال، حتى يثبت برجل وامرأتين، واختلفوا في غير الأموال، فقال سفيان الثوري وأصحاب الرأي: تجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات.

وذهب جماعة إلى أن غير المال، لا يثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي، وأحمد إلى: أن ما يطلع عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع، والثيوبة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين، وبشهادة أربع نسوة.

وعن أحمد: يثبت بشهادة امرأة عدل، واتفقوا على أن شهادة النساء لا تجوز في العقوبات.." (١)

"كالخشب المتصب، ونحوه، والعوج يقال فيما يدرك بفكر وبصيرة، كما يكون في أرض بسيطة عوج، فيعرف تفاوته بالبصيرة، وكالدين والمعاش، وهذا قريب من قول ابن فارس؛ لأنه كثيرا ما يأخذ منه.

وقد سأل الزمخشري في سورة طه قوله تعالى: ﴿لا ترى فيها عوجا ولاا أمتا﴾ [طه: ١٠٧]- سؤالا، حاصله: أنه كيف قيل: عوج - بالكسر - في الأعيان، وإنما يقال في المعاني؟

وأجاب هناك بجواب حسن - يأتي إن شاء الله.

والسؤال إنما يجيء على قول أبي عبيدة والزجاج المتقدم، وأما على قول ابن فارس والراغب فلا يرد، ومن مجيء العوج بمعنى الميل من حيث الجملة قول الشاعر: [الوافر]

١٥٤٦ - تمرون الديار ولم تعوجوا ... كلامكم علي إذن حرام

وقول امرئ القيس: [الكامل]

١٥٤٧ - عوجا على الطلل المحيل لأننا ... نبكي الديار كما بكى ابن حذام

أي: ولم تميلوا، وميلا.

وأما قولهم: ما يعوج زيد بالدواء - أي: ما ينتفع به - فمن مادة أخرى **ومعنى آخر**.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/٤٩٥

والعاج: العظم، ألفه مجهولة لا يعلم منقلبة عن واو أو عن ياء؟ وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لثوبان: «اشتر لفاطمة سوارا من عاج» .

قال القتيبي: العاج الذبل؛ وقال أبو خراش الهذلي في امرأة: [الطويل]

١٥٤٨ - فجاءت كخاصي العير لمتحل عاجة ... ولا جاجة منها تلوح على وشم

قال الأصمعي: العاجة: الذبلة، والجاجة - بجيمين - خرزة ما تساوي فلسا.

وقوله: كخاصي العير، هذا مثل تقوله العرب لمن جاء مستحيا من أمر، فيقال: جاء كخاصي العير.." (١)

"هذه اللفظة، قيل: هي مركبة من كاف التشبيه، ومن «أي» ، وقد حدث فيهما بعد التركيب معنى التكثير، المفهوم من «كم» الخبرية، ومثلها في التركيب وإفهام التكثير: «كذا» في قولهم: له عندي كذا درهما، والأصل: كاف التشبيه و «ذا» الذي هو اسم إشارة، فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير، ف «كم» الخبرية وكأين وكذا كلها بمعنى واحد، وقد عهدنا في التركيب إحداث معنى آخر؛ ألا ترى أن «لولا» حدث لها معنى جديد، وكان من حقها - على هذا - أو يوقف عليها بغير نون؛ لأن التنوين يحذف وقفا، إلا أن الصحابة كتبتها «كأين» - بثبوت النون -، فمن ثم وقف عليها جمهور القراء بالنون؛ اتباعا لرسم المصحف.." (٢)

"لاعتلال فعله أولى، ألا ترى إلى صحة الجمع مع اعتلال مفرده في معيشة، ومعايش، ومقامة، ومقاوم، ولم يصححوا مصدرا أعلوا فعله.

الثاني: أنه جمع «قيمة» ك «ديم» في جمع «ديمة» ، والمعنى: أن الأموال كالقيم للنفوس؛ لأن بقاءها بها، وقد رد الفارسي هذا الوجه، وإن كان هو قول البصريين غير الأخفش، بأنه قد قرئ قوله تعالى: ﴿دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا﴾ [الأنعام: ١٦١] وقوله: ﴿البيت الحرام قياما للناس﴾ [المائدة: ٩٧] . ولا يصح معنى القيمة فيهما، وقد رد عليه الناس بأنه لا يلزم من عدم صحة معناه في الآيتين المذكورتين ألا يصح هنا، إذ معناه لائق، وهناك معنى آخر يليق بالآيتين المذكورتين كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وأما قراءة باقي السبعة فهو مصدر «قام» والأصل «قوام» ، فأبدلت الواو ياء للقاعدة المعروفة، والمعنى: التي جعلها الله سبب قيام أبدانكم أي: بقائها.

وقال الزمخشري: «أي: تقومون بها وتنتعشون بها» .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٣/٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٧٩/٥

وأما قراءة عبد الله بن عمر ففيها وجهان:

أحدهما: أنه مصدر قاوم ك «لاوذ، لواذا» صحت الواو في المصدر كما صحت في الفعل.

الثاني: أنه اسم لما يقوم به الشيء، وليس بمصدر كقولهم: «هذا ملاك الأمر» أي: ما يملك به الأمر.

وأما قراءة الحسن ففيها وجهان:

أحدهما: أنه اسم مصدر كالكلام، والدوام، والسلام.

والثاني: أنه لغة من القوام المراد به القامة، والمعنى: التي جعلها الله سبب بقاء قاماتكم، يقال: جارية حسنة القوام، والقوام، والقمة كله بمعنى واحد.

وقال أبو حاتم قوام بالفتح خطأ، قال: لأن القوام امتداد القامة، وقد تقدم تأويل ذلك على أن الكسائي قال: هو بمعنى القوام أي بالكسر، يعني أنه مصدر، وأما «قوما» فهو مصدر جاء على الأصل، أعني: الصحيح العين كالعوض، والحول.

فصل

لما أمر في الآية الأولى بإيتاء اليتامى أموالهم، وبدفع صدقات النساء إليهن فكأنه." (١)

"فإن قيل: إنما لم يجعله أبو علي من ذلك؛ لأنه يؤدي إلى تخصيص الظرف الثاني بما وقع في الأول، وهو أنه تراها كشبه أردية العصب في اليوم الأول والثاني؛ لأن حكم [المعطوف حكم] المعطوف عليه، فهو نظير قولك: ضربت زيدا يوم الجمعة، ويوم السبت، ف «يوم» السبت مقيد بضرب [زيد كما يقيد به يوم الجمعة، لكن الغرض أن اليوم الثاني في البيت مقيد بقيد آخر] وهو رؤية أديمها نغلا.

فالجواب: أنه لو تركنا [و] الظاهر من غير تقييد الظرف الثاني **بمعنى آخر** كان الحكم كما ذكرت [لأن الظاهر كما ذكرت] في مثالك: ضربت زيدا يوم الجمعة [وعمرا] يوم السبت [أما إذا قيدته بشيء آخر، فقد تركت ذلك الظاهر لهذا النص، ألا ترضاك تقول: ضربت زيدا يوم الجمعة، وعمرا يوم السبت] ، فكذلك هذا، وهو موضع يحتاج لتأمل.

وأما «فبشرناها بإسحاق» ، فيعقوب ليس مجرورا عطفا على إسحاق، بل منصوبا بإضمار فعل أي: ووهبنا لها يعقوب، ويدل عليه قراءة الرفع، فإنها مؤذنة بانقطاعه من البشارة [به] ، كيف وقد تقدم أن هذا القائل يقول: إنه متى كان المعطوف عليه مجرورا، أعيد مع المعطوف الجار. [و] أما «أن يؤدوا الأمانات» ، فلا دلالة فيها أيضا؛ لأن «إذا» ظرف لا بد من عامل، وعامله إما ﴿أن تحكموا﴾ وهو الظاهر من حيث

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨١/٦

المعنى، وإما ﴿يأمركم﴾ فالأول ممتنع، وإن كان المعنى عليه؛ لأن ما في حيز الموصول لا يتقدم عليه عند البصريين، وأما الكوفيون فيجوزون ذلك، ومنه الآية عندهم، واستدلوا بقوله: [الرجز]

١٨١١ - ... ... كان جزائي بالعصا أن أجلدا

وقد جاء ذلك في المفعول الصريح في قوله: [الكامل]

١٨١٢ - ... ... وشفاء غيك خابرا أن تسألي." (١)

"المسموع فقط، ويتأيد ما ذكرناه أن الجر في الآية قد أجيز غيره وهو الرفع والنصب، والرفع والنصب غير قاطعين ولا ظاهرين، على أن حكم الرجلين المسح، فكذلك الجر يجب أن يكون كالنصب والرفع في الحكم دون الإعراب. انتهى.

قال شهاب الدين: أما قوله: إن ﴿وحور عين﴾ [الواقعة: ٢٢] من هذا الباب فليس بشيء؛ لأنه إما أن يقدر عطفهما على ما [تقدم بتأويل] ذكره الناس كما سيأتي، أو بغير تأويل.

وإما ألا يعطفهما، [فإن عطفهما على ما تقدم، وجب الجر، وإن لم يعطفهما لم يجب الجر، وأما جرهما على ما ذكره الناس فقيل: لعطفهما] على المجرور بالياء قبلهما على تضمين الفعل المتقدم «يتلذذون وينعمون بأكواب وكذا وكذا» .

أو لا يضمن الفعل شيئا، ويكون لطواف الولدان بالحور العين على أهل الجنة لذاذة لهم بذلك، والجوار إنما يكون حيث يستحق الاسم غير الجر، فيجر لمجاورة ما قبله، وهذا كما ترى قد صرح هو أنه معطوف على «بأكواب» .

غاية ما في الباب أنه جعله مختلف المعنى، يعني أن عنده لا يجوز عطفهما على «بأكواب» إلا بمعنى آخر، وهو تضمين الفعل، وهذا لا يقدح في العطفية.

وأما البيت فجر «موثق» ليس لجواره ل «منفلت» وإنما هو مراعاة للمجرور ب «غير» ؛ لأنهم نصوا على أنك إذا جئت بعد «غير» ومخفوضها بتابع جاز أن يتبع لفظ «غير» ، وأن يتبع المضاف إليه، وأنشدوا البيت، ويروى: [البسيط]

١٩٤١ - لم يبق [فيها طريد] غير منفلت ... أو موثق في حبال القوم مجنوب

وأما باقي الأمثلة التي أوردها فليس من المجاورة التي تؤثر في التغيير، أي تغيير الإعراب، وقد تقدم أن النحويين خصصوا ذلك بالنعت، وأنه قد جاء في التوكيد ضرورة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٤٣٨

والتخريج الثاني: أنه معطوف على «برءوسكم» لفظا ومعنى، ثم نسخ ذلك بوجوب الغسل، وهو حكم باق، وبه قال جماعة، أو يحمل مسح الأرجل على بعض الأحوال، وهو لبس الخف، ويعزى للشافعي.

التخريج الثالث: أنها جرت منبهة على عدم الإسراف باستعمال الماء؛ لأنها مظنة لصب الماء [كثيرا] ، فعطفت على الممسوح، والمراد غسلها كما تقدم.." (١)

"قوله تعالى: ﴿وإذا جآءوكم قالوا آمنا﴾ : الضمير المرفوع لليهود المعاصرين؛ فحينئذ: لا بد من حذف مضاف، أي: وإذا جاءكم ذريتهم، أو نسلهم؛ لأن أولئك المجعول منهم القردة والخنازير، لم يجيئوا، ويجوز ألا يقدر مضاف محذوف؛ وذلك على أن يكون قوله ﴿من لعنه الله﴾ [المائدة: ٦٠] إلى آخره عبارة عن المخاطبين في قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب﴾ [المائدة: ١٩] ، وأنه مما وضع فيه الظاهر موضع المضمر، وكأنه قيل: أنتم، كذا قاله أبو حيان، وفيه نظر؛ فإنه لا بد من تقدير مضاف في قوله تعالى: ﴿وجعل منهم القردة﴾ [المائدة: ٦٠] ، تقديره: وجعل من آبائكم أو أسلافكم، أو من جنسكم؛ لأن المعاصرين ليسوا مجعولا منهم بأعيانهم، فسواء جعله مما ذكر أم لا، لا بد من حذف مضاف.

قوله تعالى: ﴿وقد دخلوا بالكفر﴾ هذه جملة حالية، وفي العامل فيها وجهان:

أحدهما - وبه بدأ أبو البقاء -: أنه «قالوا» ، أي: قالوا كذا في حال دخولهم كفرة وخروجهم كفرة، وفيه نظر؛ إذ المعنى يأباه.

والثاني: أنه «آمنا» ، وهذا واضح، أي: قالوا آمنا في هذه الحال، و «قد» في «وقد دخلوا» «وقد خرجوا» لتقريب الماضي من الحال، وقال الزمخشري: «**ولمعنى آخر**، وهو: أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم؛ فكان الرسول - عليه السلام - متوقعا لإظهار الله تعالى - ما كتموه، فدخل حرف التوقع، وهو متعلق بقوله» قالوا آمنا «، أي: قالوا ذلك وهذه حالهم» ، يعني بقوله: «وهو متعلق» ، أي: والحال، وقوة كلامه تعطي: أن صاحب الحال وعاملها الجملة المحكية بالقول، و «بالكفر» متعلق بمحذوف؛ لأنه حال من فاعل «دخلوا» ، فهي حال من حال، أي: دخلوا ملتبسين بالكفر، أي: ومعهم الكفر؛ كقولهم: «خرج زيد بثيابه» ، وقراءة من قرأ: ﴿تنبت بالدهن﴾ [المؤمنون: ٢٠] ، أي: وفيها الدهن؛ ومنه ما أنشد الأصمعي: [الطويل]." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢٧/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢١/٧

"لأنه لو قدم، فقيل: «قام زيد» ، لألبس بالفاعل، فإن قيل: وهذا أيضا يلبس بالفاعل في لغة «أكلوني البراغيث» ، فالجواب: أنها لغة ضعيفة لا نبالي بها، وضعف أبو البقاء هذا الوجه **بمعنى آخر**، فقال: «لأن الفعل قد وقع في موضعه، فلا ينوى به غيره» ، وفيه نظر؛ لأنا لا نسلم أنه وقع موقعه، وإنما كان واقعا لو كان مجردا من علامة، ومثل هذه الآية أيضا قوله تعالى: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] .

والجمهور على «عموا وصموا» بفتح العين والصاد، والأصل: عميوا وصمموا؛ كشربوا، فأعل الأول بالحذف، والثاني بالإدغام، وقرأ يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي بضم العين والصاد وتخفيف الميم من «عموا» ، قال الزمخشري: «على تقدير عماهم الله وصمهم، أي: رماهم وضربهم بالعمى والصمم؛ كما يقال: نزكته إذا ضربته بالنيزك، وركبته إذا ضربته بركبتك» ، ولم يعترض عليه أبو حيان - رحمه الله -، وكان قد قال قبل ذلك بعد أن حكى القراءة: «جرت مجرى زكم الرجل، وأزكمه الله، وحم وأحمه الله، ولا يقال: زكمه الله ولا حمه؛ كما لا يقال: عميته ولا صممته، وهي أفعال جاءت مبنية للمفعول الذي لم يسم فاعله، وهي متعدية ثلاثية، فإذا بنيت للفاعل، صارت قاصرة، فإذا أردت بناءها للفاعل متعدية، أدخلت همزة النقل، وهي نوع غريب في الأفعال» . انتهى، فقوله: «كما لا يقال عميته ولا صممته» يقتضي أن الثلاثي منها لا يتعدى، والزمخشري قد قال على تقدير: «عماهم الله وصمهم» فاستعمل ثلاثية متعديا، فإن كان ما قاله أبو حيان صحيحا، فينبغي أن يكون كلام الزمخشري فاسدا أو بالعكس.

وقرأ ابن أبي عبلة «كثيرا» نصبا؛ على أنه نعت لمصدر محذوف، وتقدم غير مرة أنه عند سيبويه حال، وقال مكي: «ولو نصبت» كثيرا «في الكلام، لجاز أن تجعله نعتا لمصدر محذوف، أي: عمى وصمما كثيرا» ، قلت: كأنه لم يطلع عليها قراءة، أو لم تصح عنده؛ لشذوذها.

وقوله: «فعموا» عطفه بالفاء، وقوله: ﴿ثم عموا وصموا﴾ عطفه ب «ثم» ، وهو معنى حسن؛ وذلك أنهم عقيب الحسبان، حصل لهم العمى والصمم من غير تراخ، وأسند الفعلين إليهم، بخلاف قوله: ﴿فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد: ٢٣] ، لأن هذا فيمن لم يسبق له هداية، وأسند الفعل الحسن لنفسه في قوله: ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ ، وعطف قوله: «ثم عموا» بحرف التراخي؛ دلالة على أنهم تمادوا في الضلال إلى وقت التوبة.." (١)

"حاصل بالضمير، فكأنه قيل: كافرهم، وليسوا كلهم بقوا على الكفر» . انتهى، يعني: هذا تقدير لكونها تبعيضية، وهو معنى كونها في محل نصب على الحال.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٤٥٧

وقوله تعالى: «أفلا يتوبون» : تقدم نظيره مرارا، وأن فيه رأيين: رأي الجمهور: تقديم حرف العطف على الهمزة تقديرا، ورأي أبي القاسم: بقاؤه على حاله وحذف جملة معطوف هذا عليها، والتقدير: أيثبتون على كفرهم، فلا يتوبون، والاستفهام فيه قولان:

أظهرهما: أنه للتعجب من حالهم: كيف لا يتوبون ويستغفرون من هذه المقالة الشنعاء؟

والثاني: أنه بمعنى الأمر، وهو رأي ابن زياد الفراء؛ كأنه قال: توبوا واستغفروا من هاتين المقالتين؛ كقوله تعالى:

﴿فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩١] . وكلام ابن عطية يفهم أنه للتحضيض، قال: «رفق جل وعلا بهم بتحضيضه إياهم على التوبة وطلب المغفرة» ، يعني بذلك من حيث المعنى، وإلا ففهم التحضيض من هذا اللفظ غير مسلم، وكيف يعقل أن حرف العطف فصل بين الهمزة و «لا» المفهمة للتحضيض؟ [فإن قلت] :

هذا إنما يشكل على قولنا: إن «ألا» التحضيضية بسيطة غير مركبة، فلا يدعى فيها الفصل بحرف العطف، أما إذا قلنا: إنها همزة الاستفهام دخلت على «لا» النافية، وصار معناهما التحضيض، فلا يضر الفصل بحرف العطف؛ لأنه عهد في «لا» النافية الداخل عليها همزة الاستفهام، فالجواب: أنه لا يجوز مطلقا؛ لأن ذلك المعنى قد انسلخ وحدث **معنى آخر**، وهو التحضيض؛ فلا يلزم من الجواز في الأصل الجواز بعد حدوث معنى جديد.." (١)

"فوصفوها بكونها فواسق، فدل على أن كونها فواسق علة لحل قتلها.

ومعنى كونها فواسق كونها مؤذية، والأذى في السباع أقوى منها، فوجب جواز قتلها.

قوله تعالى: ﴿وأنتم حرم﴾ : في محل نصب على الحال من فاعل» تقتلوا «، و» حرم «جمع حرام، وحرام يكون للمحرم، وإن كان في الحل، ولمن في الحرم، وإن كان حلالا، وهما سيان في النهي عن قتل الصيد وهل يدخل فيه المحرم بالعمرة؟ فيه خلاف، وهذه الآية نزلت في رجل يقال له: أبو اليسر شد على حمار وحشي وهو محرم فقتله، وهذا يدل على المنع من القتل ابتداء، والمنع منه تسببا، فليس له أن يتعرض للصيد ما دام محرما، لا بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطير، سواء كان الصيد صيد الحل أو الحرم، وأما الحلال فله أن يتصيد في الحل وفي الحرم.

قوله تعالى:» منكم «في محل نصب على الحال من فاعل» قتله «، أي: كائنا منكم، وقيل:» من «للبيان،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٦٢/٧

وليس بشيء؛ لأن كل من قتل صيدا حكمه كذلك، فإن قلت: هذا وارد أيضا على جعله حالا، فالجواب: لم يقصد لذلك مفهوم؛ حتى إنه لو قتله غيركم، لم يكن عليه جزاء؛ لأنه قصد بالخطاب **معنى آخر**، وهو المبالغة في النهي عن قتل الصيد.

قوله:» متعمدا «حال أيضا من فاعل» قتله «، فعلى رأي من يجوز تعدد الحال، يجيز ذلك هنا، ومن منع يقول: إن» منكم «للبيان؛ حتى لا تتعدد الحال، و» من «يجوز أن تكون شرطية، وهو الظاهر، وموصولة، والفاء لشبهها بالشرطية، ولا حاجة إليه وإن كانوا فعلوه في مواضع.

قوله تعالى: «فجزاء» الفاء جواب الشرط أو زائدة؛ لشبه المبتدأ بالشرط؛ فعلى الأول: الجملة بعدها في محل جزم؛ وعلى الثاني: في محل رفع، وما بعد «من» على الأول في محل جزم؛ لكونه شرطا؛ وعلى الثاني: لا محل له لكونه صلة، وقرأ الكوفيون: «فجزاء مثل» بتنوين «جزاء» [ورفعه] ورفع «مثل» ، وباقي السبعة برفعه مضافا إلى «مثل» ، ومحمد بن مقاتل بتنوين «جزاء» ، ونصبه، ونصب «مثل» ، والسلمي برفع «جزاء» منونا، ونصب «مثل» ، وقرأ عبد الله «فجزاؤه» برفع «جزاء» مضافا لضمير «مثل» رفعا.." (١)

"وقد انتصر أبو بكر بن الأنباري لمذهب القراء بأن قال:» لو كانت «الكاف» توكيدا لوقعت التثنية والجمع بالتاء، كما يقعان بها عند عدم «الكاف» ، فلما فتحت «التاء» في خطاب الجمع ووقع ميسم الجمع لغيرها كان ذلك دليلا على أن «الكاف» غير توكيد.

ألا ترى أن «الكاف» لو سقطت لم يصلح أن يقال لجماعة: أرأيت، فوضح بهذا انصراف الفعل إلى «الكاف» ، وأنها واجبة لازمة مفتقر إليها «.

وهذا الذي قاله أبو بكر باطل بالكاف اللاحقة لاسم الإشارة، فإنها يقع عليها ميسم الجمع، ومع ذلك هي حرف.

وقال الفراء:» موضع «الكاف» نصب، وتأويلها رفع؛ لأن الفعل يتحول عن «التاء» إليها، وهي بمنزلة «الكاف» في «دونك» إذا أغري بها، كما تقول: «دونك زيدا» فتجد «الكاف» في اللفظ خفضا، وفي المعنى رفعا؛ لأنها مأمورة، فكذلك هذه «الكاف» موضعها نصب، وتأويلها رفع «.

قال شهاب الدين:» وهذه الشبهة باطلة لما تقدم، والخلاف في «دونك» و «إليك» وبابهما مشهور تقدم التنبيه عليه مرارا «.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥١٦/٧

وقال الفراء أيضا كلاما حسنا [رأيت أن أذكره فإنه مبين نافع] قال: للعرب في» أرأيت «لغتان ومعنيان: أحدهما: رؤية العين، فإذا رأيت هذا عديت الرؤية بالضمير إلى المخاطب، ويتصرف سائر الأفعال، تقول للرجل:» أرأيتك على غير هذه الحال «، تريد: هل رأيت نفسك، ثم تثني وتجمع فتقول:» أرأيتماكما، أرأيتموكم، أرأيتكن «.

والمعنى الآخر: أن تقول:» أرأيتك «وأنت تريد معنى» أخبرني «، كقولك: أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل، أي: أخبرني، وتترك» التاء «إذا أردت هذا المعنى موحدة؛ لأنهم كل حال تقول:» أرأيتكما، أرأيتكم، أرأيتكن «، وإنما تركت العرب» التاء «واحدة؛ لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل واقعا من المخاطب على نفسه، فاكتفوا من علامة المخاطب بذكره في المكان، وتركوا» التاء «على التذكير والتوحيد إذا لم يكون الفعل واقعا، والرؤية من الأفعال الناقصة التي يعديها المخاطب إلى نفسه بالمكنى مثل: ظنتني ورأيتني، ولا يقولون ذلك في الأفعال التامة، لا يقولون خارجا؟ وذلك أنهم أرادوا الفصل بين الفعل الذي قد يلغى، وبين الفعل الذي لا يجوز إلغاؤه، ألا ترى أنك تقول:» أنا أضن خارج «فتلغي» أظن «وقال الله تعالى ﴿أن رآه استغنى﴾ [العلق: ٧] ولم يقل: رأى نفسه.." (١)

"عطف؛ لأن واو الحال [هي] واو العطف استعيرت للوصل، فقولك: «جاء زيد راجلا أو هو فارس» كلام فصيح وارد على حده، وأما «جاءني زيد هو فارس» فخبيث.

قال أبو حيان: أما [بعض النحويين الذي أبهمه] الزمخشري فهو الفراء، وأما قول الزجاج: كلا التمثيلين لم يحتج فيه إلى الواو؛ لأن الذكر قد عاد على الأول ففيه إبهام وتعيينه أنه يمتنع دخولها في المثال الأول [ويجوز في المثال] الثاني؛ فليس انتفاء الاحتياج على حد سواء؛ لأنه في الأول لامتناع الدخول، وفي الثاني لكثرته لا لامتناعه.

قال شهاب الدين: أم امتناعها في المثال الأول؛ فلأن النحويين نصوا على أن الجلمة الحالية إذا دخل عليها حرف عطف امتنع دخول واو الحال عليها، والعلة فيه المشابهة اللفظية؛ ولأن واو الحال في الأصل عاطفة، ثم قال أبو حيان. وأما قول الزمخشري فالصحيح إلى آخره، فتعليله ليس بصحيح؛ لأن واو الحال ليست بحرف عطف فيلزم من ذكره ا اجتماع حرلإي عطف؛ لأنها لو كانت حرف عطف للزم أن يكون ما قبلها حالا، حتى يعطف حالا على حال، فمجيئها فيما لا يمكن أن يكون حالا دليل على أنها ليست واو عطف، ولا لحظ فيها معنى واو عطف تقول: «جاء زيد، والشمس طالعة» فجاء زيد ليس بحال فيعطف

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣٨/٨

عليها جملة حال، وإنما هذه الواو مغايرة لواو العطف بكل حال، وهي قسم من أقسام الواو كما تأتي للقسم، وليست فيه للعطف كما إذا قلت: «والله ليخرجن» .

قال شهاب الدين: أبو القاسم لم يدع في واو الحال أنها عاطفة، بل يدعي أن أصلها العطف، ويدل على ذلك قوله: استعيرت للوصول، فلو كانت عاطفة على حالها لما قال: استعيرت فدل قوله ذلك على أنها خجرت عن العطف، واستعملت لمعنى آخر لكنها أعطيت حكم أصلها في امتناع مجامعتها لعاطف آخر.

وأما تسميتها حرف عطف، فباعتبار أصلها ونظير ذلك أيضا واو «مع» فإنهم نصوا على أن أصلها واو عطف، ثم استعملت في المعية، فكذلك واو الحالن لامتناع أن يكون أصلها واو العطف.

ثم قال أبو حيان: «وأما قوله» فخبيث «فليس بخبيث؛ وذلك أنه بناه على أن الجلمة الحالية إذا كانت اسمية، وفيها ضمير ذي الحال فحذف الواو منها [شاذ] وتبع في ذلك الفراء، وليس بشاذ بل هو كثير في النظم والنثر.

قال شهاب الدين: قد يبق أبا القاسم في تسمية هذه الواو حرف عكف الفراء، وأبو بكر بن الأنباري.." (١)

"وروى عنه غيره «أدركوا» بفتح الهمزة مقطوعة، وسكون الدال وفتح الراء، أي: أدرك بعضهم بعضا.

وقال أبو البقاء: وقرئ: «إذا اداركوا» بألف واحد ساكنة بعدها دال مشددة، وهو جمع بين ساكنين، وجاز في المفنصل كما جاز في المتصل، وقد قال بعضهم: «اثنا عشر» بإثبات الألف وسكون العين، يعني بالمتصل نحو: «الضالين» وجان، ومعنى المنفصل أن ألف «إذا» من كلمة، والساكن الثاني من كلمة أخرى.

و «اداركوا» بمعنى تلاحقوا، وتقدم تفسير هذه المادة [النساء: ٧٨] .

و «جميعا» حال من فاعل «اداركوا» .

قوله: ﴿أولاهم لأخراهم﴾ يحتمل أن تكون فعلى أنثى أفعل الذي للمفاضلة، والمعنى على هذا كما قال الزمخشري: «أخراهم منزلة، وهم الأتباع [والسفلة] ، لأولاهم منزلة وهم القادة والرؤساء» .

ويحتمل أن تكون «أخرى» بمعنى آخرة تأنيث آخر مقابل الأول، لا تأنيث «آخر» الذي للمفاضلة كقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [فاطر: ١٨] .

والفرق بين أخرى بمعنى آخرة، وبين أخرى تأنيث آخر بزنة أفعل للتفضيل، أن التي للتفضيل لا تدل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦/٩

على الانتهاء، كما لا يدل عليه مذكرها، ولذلك يعطف أمثالها عليها في نوع واحد تقول: مررت بأمراة وأخرى وأخرى كما تقول: مررت برجل وآخر وآخر، وهذه تدل على الانتهاء، كما يدل مذكرها، ولذلك لا يعطف أمثالها عليها، ولأن الأولى تفيد إفادة «غير» ، وهذه لا تفيد إفادة «غير» .

والظاهر في هذه الآية الكريمة أنهما ليستا للتفضيل، بل لما ذكرنا.

قال ابن عباس ومقاتل: «أخراهم دخولا في النار لأولاهم دخولا فيها» .

واللام في «لأولاهم» للتعليل أي: لأجل، ولا يجوز أن تكون التي للتبليغ كهي في قولك: قلتث لزيد افعل.

قال الزمخشري: «لأن خطابهم مع الله لا معهم» ، وقد بسط القول قبله في ذلك الزجاج فقال: «والمعنى: وقالت أخراهم: يا ربنا هؤلاء أضلونا، لأولاهم» فذكر نحوه.

قال شهاب الدين: وعلى هذا فاللام الث انية في قوله: «أولاهم لأخراهم» يجوز أن." [1]

"الظاهر أنه متعلق بالوجدان كقولك: ما وجدت له مالا أي: ما صادفت له مالا ولا لقيته.

الثاني: أن يكون حالا من «عهد» ؛ لأنه في الأل صفة نكرة فلما قدم عليها نصب على الحال، والأصل: ما وجدنا عهدا لأكثرهم، وهذا ما لم يذكر أبو البقاء غيره.

وعلى هذين الوجهين ف «وجد» متعدية لواحد وهو «من عهد» ، و «من» مزيدة فيه لوجود الشرطين.

الثالث: أنه في محل نصب مفعولا ثانيا لوجد إذ هي بمعنى علمية، والمفعول هو «من عهد» . وقد يترجح هذا بأن «وجد» الثانية علمية لا وجدانية بمعنى الإصابة، وسيأتي دليل ذلك. وإذا تقرر هذا فينبغي أن تكون الأولى كذلك مطابقة للكلام ومناسبة له، ومن يرجح الأول يقول: إن الأولى لمعنى: والثانية **لمعنى آخر.**

فصل في معنى الآية

قال ابن عباس: يريد: وما وجدنا لأكثرهم من عهد، الوفاء بالعهد الذي عاهدهم عليه وهم في صلب آدم حيث قال: ﴿ألست بربكم﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

وقال ابن مسعو د: «المراد بالعهد هاهنا الإيمان، لقوله تعالى: ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ [مريم: ٨٧] أي قال: لا إله إلا الله» .

وقيل: المراد بالعهد وضع الأدلة على صحة التوحيد والنبوة [تقديره:] وما وجدنا لأكثرهم من الوفاء بالعهد.

قوله: «وإن وجدنا» «إن» هذه هي المخففة وليس هنا عاملة لمباشرتها الفعل فزال اختصاصها المقتضي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠٨/٩

لإعمالها.

وقال الزمخشري: «وإن الشأن والحديث وجدنا» .

فظاهر هذه العبارة أنها معملة، وأن اسمها ضمير الأمر والشأن، وقد صرح أبو البقاء هنا بأنها معملة، وأن اسمها محذوف، إلا أنه لم يقدر ضمير الحديث بل غيره فقال: «واسمها محذوف أي: إنا وجدنا» . وهذا مذهب النحويين أعني اعتقاد إعمال المخفف من هذه الحروف في «أن» المفتوحة على الصحيح، وفي «كأن» التشبيهية، وأما «إن» المخففة المكسورة فلا. وقد تقدم إيضاحه.

ووجدنا هنا متعدية لاثنين أولهما «أكثرهم» ، والثاني «لفاسقين» ، قال الزمخشري: والوجود بمعنى العلم من قولك: وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول «إن» المخففة، واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما يعني أنها مختصة." (١)

"قوله: «لأكثرهم» فيه وجوه:

الظاهر أنه متعلق بالوجدان كقولك: ما وجدت له مالا أي: ما صادفت له مالا ولا لقيته.

الثاني: أن يكون حالا من «عهد» ؛ لأنه في الأصل صفة نكرة فلما قدم عليها نصب على الحال، والأصل: ما وجدنا عهدا لأكثرهم، وهذا ما لم يذكر أبوا البقاء غيره.

وعلى هذين الوجهين ف «وجد» متعدية لواحد وهو «من عهد» ، و «من» مزيدة فيه لوجود الشرطين.

الثالث: أنه في محل نصب مفعولا ثانيا لوجد إذ هي بمعنى علمية، والمفعول هو «من عهد» . يترجح هذا بأن «وجد» الثانية علمية لا وجدانية بمعنى الإصابة، وسيأتي دليل ذلك. وإذا تقرر هذا فينبغي أن تكون الأولى كذلك مطابقة للكلام ومناسبة له، ومن يرجح الأول يقول: إن الأولى لمعنى، والثانية **لمعنى آخر.**

فصل في معنى الآية

قال ابن عباس: يريد: وما وجدنا لأكثرهم من عهد، الوفاء بالعهد الذي عاهدهم عليه وهم في صلب آدم حيث قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

وقال ابن مسعود: «المراد بالمعهد هاهنا الإيمان، لقوله تعالى: ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ [مريم: ٨٧] أي قال: لا إله إلا الله» .

وقيل: المراد بالعهد وضع الأدلة على صحة التوحيد والنبوة [تقديره:] وما وجدنا لأكثرهم من الفواء بالعهد.

قوله: «وإن وجدنا» «إن» هذه هي المخففة وليس هنا عاملة لمباشرتها الفعل فزال اختصاصها المقتضي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٢٤٣

لإعمالها.

وقال الزمخشري: «وإن الشأن والحديث وجدنا» .

فظاهر هذه العبارة أنها معملة، وأن اسمها ضمير الأمر والشأن، وقد صرح أبو البقاء هنا بأنها معملة، وأن اسمها محذوف، إلا أنه لم يقدره ضمير الحديث بل غيره فقال: «واسمها محذوف أي: إنا وجدنا» .

وهذا مذهب النحويين أعني اعتقاد إعمال المخفف من هذه الحروف في «أن» المفتوحة على الصحيح، وفي «كأن» التبيهية، وأما «إن» المخففة المكسورة فلا. وقد تقدم إيضاحه.

ووجدنا هنا متعدية لاثنين أولهما »أكثرهم» ، والثاني «لفاسقين» ، قال الزمخشري: والوجود بمعنى العلم من قولك: وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول «إن» المخففة، واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما يعني أنها مختصة بالابتداء، وبالأفعال الناسخة له، وهذا مذهب الجمهور، وقد تقدم الخلاف عن الأخفش أنه يجوز على غيرها، وتقدم دليله على ذلك، واللام فارقة وقيل: هي عوض من التشديد.

قال مكي: «ولزمت اللام في خبرها عوضا من التشديد والمحذوف الأول» ، وقد تقدم أن بعض الكوفيين يجعلون «إن» نافية، واللام بمعنى «إلا» في قوله تعالى:

﴿وإن كانت لكبيرة﴾ [البقرة: ١٤٣] .

ومعنى فاسقين خارجين عن الطاعة، ماريقين عن الدين، وقيل: ناقضين العهد.

وقوله: «لأكثرهم» ، و «أكثرهم» ، و «من بعدهم» : إن جعلنا هذه الضمائر كلها للأمم السالفة فلا اعتراض، وإن جعلنا الضمير في «لأكثرهم» و «أكثرهم» لعموم الناس والضمير في «من بعدهم» للأمم السالفة كانت هذه الجملة - أعني ما وجدنا - اعتراضا كذلك قاله الزمخشري، وفيه نظر؛ لأنه إذا كان الأول عاما ثم ذكر شيء يندرج فيه ما بعده وما قبله كيف يجعل ذلك العام معترضا بين الخاصين.

وأيضا، فالنحويون إنما يعرفون الاعتراض فيما اعترض به بين متلازمين، إلا أن أهل البيان عندهم الاعتراض أعم من ذلك، حتى إذا أتي بشيء بين شيئين مذكورين في قصة واحدة سموه اعتراضا.." (١)

"قوله: قال بئسما هذا جواب «لما» وتقدم الكلام على «بئسما» ، ولكن المخصوص بالذم محذوف، والفاعل مستتر يفسره «ما خلفتموني» والتقدير: بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم.

فصل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٤٤/٩

فإن قيل: ما معنى قوله: «من بعدي» بعد قوله «خلفتموني» ؟

فالجواب: معناه: من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله، ونفي الشركاء، وإخلاص العبادة له، أو من بعد ما كتب: احمل بني إسرائيل على التوحيد، وامنعهم من عبادة البقر حين قالوا: ﴿اجعل لنآ إلها كما لهم آلهة﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، ومن حق الخفاء أن يسيروا سيرة المستخلفين.

قوله: ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ : في «أمر» وجهان، أحدهما: أنه منصوب على المفعول بعد إسقاط الخافض، وتضمين الفعل معنى ما يتعدى بنفسه، والأصل: أعجلتم عن أمر ربكم.

قال الزمخشري: يقال: عجل عن الأمر: ذا تركه غير تام، ونقيضه تم عليه، وأعجله عنه غيره، ويضمن معنى «سبق» فيتعدى تعديته.

فيقال: عجلت الأمر، والمعنى: »أعجلتم عن أمر ربكم» .

والثاني: أنه متعد بنفسه غير مضمن **معنى آخر**، حكى يعقوب عجلت الشيء سبقته، وأعجلت الرجل: استعجلته، أي: حملته على العجلة.

فصل

قال الواحدي: «معنى العجلة: التقدم بالشيء قبل وقته، ولذلك صارت مذمومة والسرعة غر مذمومة، لأن معناها: عمل الشيء في أول أوقاته» .

ولقائل أن يقول: لو كانت العجلة مذمومة فلم قال موسى: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ [طه: ٨٤] .

قال ابن عباس: معنى ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ يعني: ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن: وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين، وذلك أنهم قدروا أنه إن لم يأت على رأس الثلاثين، فقد مات.

وقال عطاء: يريد أعجلتم سخط ربكم.

وقال الكلبي: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم.." (١)

"وخطابه للملائكة متقرر قديم في الأزل بشرط وجودهم وفهمهم، وهذا هو الباب كله في أوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته.

- الذي ذكر في تعريف تلك الصفة هو ذاتياتها بحسب الاصطلاح.

والثاني: مبني على أن لها قبل المعنى الاصطلاحي معنى وضع الواضع اللفظ ليدل عليه، فذلك المعنى ثان

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٣٢٣

بعد أول، فهو عارض والتعريف بالعوارض رسم. وجزم البعض من المحققين بأنها رسوم لأن الاطلاع على ذاتيات تلك الصفات غير ممكن. والحد ما تركب من الذاتيات: الجنس، والفصل. وحيث إن الذاتيات لم يطلع عليها فلا تكون إلا رسوما لأنها بخواص هذه الصفات فقط لأن الخواص مأخوذة في تعريف الصفات حيث أخذ في تعريف صفة الكلام أنها تتعلق دلالة ... وفي تعريف صفة القدرة أنها تتعلق تعلق تأثير.

وعلى كل ف «صفة» يشمل الصفة القديمة والحادثة. «قديمة» : فصل أو كالفصل- مخرج لغير الصفة القديمة، وهو الصفة الحادثة. ثم الأقوال في القديم والأزلي ثلاثة:

الأول: القديم هو الذي لا ابتداء لوجوده. والأزلي: ما لا أول له، عدميا كان أو وجوديا. فكل قديم أزلي ولا عكس.

الثاني: القديم هو القائم بنفسه الذي لا أول لوجوده. والأزلي: ما لا أول له عدميا كان أو وجوديا، قائما بنفسه أو غيره.

الثالث: القديم والأزلي: ما لا أول له، عدميا كان أو وجوديا، قائما بنفسه أولا.

فعلى الأول: الصفات السلبية لا توصف بالقدم، وتوصف بالأزلية، بخلاف ذات الله تعالى والصفات الثبوتية فإنها توصف بالقدم والأزلية.

وعلى الثاني: الصفات مطلقا لا توصف بالقدم، وتوصف بالأزلية، بخلاف ذاته تعالى فإنها توصف بكل منهما.

وعلى الثالث: كل من الذات والصفات مطلقا يوصف بالقدم والأزلية. فالقديم في التعريف صحيح على الرأي الأول والثالث، بخلافه على الثاني «قائمة بذاته» . وللقيام معنيان:

قيام: بمعنى التبعية في التحيز كما في العرض بالنسبة لجوهره. وليس قيام صفة الله بذاته على هذا النحو إذ لا تحيز للذات حتى تتبعها الصفة فيه. وقيام: **بمعنى آخر** هو اختصاص الناعت بالمنعوت.

وهو المراد بقيام الصفة بذاته تعالى.

«ليس بحرف ولا صوت» : لأنه معنى نفسي، وتلك أعراض مشروط حدوث بعضها بانقضاء البعض إذ امتناع التكلم بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الأول بدهي خلافا للحنابلة، والحشوية، والكرامية القائلين بأن كلامه منتظم من كلمات قائمة بذاته تعالى. قديم عند الحنابلة، حادث عند الكرامية. «منافية للسكوت والآفة» : السكوت عدم التكلم مع القدرة عليه.

والآفة: عدم مطاوعة الآلة، إما بحسب الفطرة كما في الخرس، أو من جهة ضعفها كما في الطفولية.

ولقائل أن يقول: هذا إنما يصدق على الكلام اللفظي دون النفسي إذ السكوت والخرس إنما ينافيان التلفظ. ويجاب بأن المراد ب «السكوت والآفة» : الباطنيان، بأن لا يريد في نفسه الكلام، أو لا يقدر عليه، ويتلخص في أنه كما أن الكلام لفظي ونفسي، كذلك ضده، وهو السكوت والخرس: لفظي وباطني، -." (١)

"وذهبت أرواحهم، ثم ردوا لاستيفاء آجالهم، فحين حصلوا في ذلك الهمود، جعل موسى

- وكان سلوكهم بهذا الطريق كافيا في الاستدلال على الوقوع بالدليل النقلي، وتفصيل ذلك مذكور في كتب العقائد.

وكذلك اتفقت كلمة الأشاعرة على وقوع رؤيته (تعالى) في الآخرة، واستدلوا على ذلك بالكتاب، والسنة، والإجماع:

أما دلالة الكتاب: فقوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة [القيامة: ٢٢- ٢٣] فالآية صريحة في أن وجوه المؤمنين المخلصين يوم القيامة متهللة من عظيم المسرة، يشاهد عليها نضرة النعيم. إلى ربها ناظرة أن تراه مستغرقة في مطالعة جماله، بحيث تغفل عما سواه ففي حديث جابر، وقد رواه ابن ماجة: «فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحجب عنهم» والحجاب من قبلهم لا من قبله (عز وجل) ، فهذا يدل على أن المراد من النظر حقيقته، وهو الرؤية.

ووجه الاحتجاج في الآية الكريمة: أن النظر في الآية جاء موصولا بإلى، وكل ما كان كذلك فهو بمعنى الرؤية، فالنظر في الآية بمعنى الرؤية.

أما الصغرى، فدليلها الآية، وأما الكبرى، فيستدل لها بشهادة النقل عن أئمة اللغة وتتبع موارد الاستعمال، فقد نقل عن أهل اللغة أن للنظر معان عدة يتميز بعضها عن بعض بواسطة التعدية فقد جاء النظر بمعنى الانتظار متعديا بنفسه قال الله تعالى: انظرونا نقتبس من نوركم [الحديد: ١٣] أي:

انتظرونا، وقول الشاعر: [الوافر]

وإن يك صدر هذا اليوم ولى ... فإن غدا لناظره قريب

أي ينتظره.

وجاء بمعنى التفكر ويستعمل ب «في» يقال: نظرت في الأمر الفلاني، أي تفكرت فيه: وجاء بمعنى الرأفة

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢١٢/١

والتعطف، ويتعدى باللام، يقال: نظر الأمير لفلان، أي رأف به وتعطف.

وجاء بمعنى الرؤية، ويستعمل ب «إلى» قال الشاعر: [الطويل]

نظرت إلى من أحسن الله وجهه ... فيا نظرة كادت على رامق تقضي

ومثل ذلك النظر في الآية إذ جاء موصولا ب «إلى» ، فيجب حمله على الرؤية، فتكون واقعة في ذلك اليوم، وهو المطلوب. ولا يعكر أن النظر المستعمل ب «إلى» يأتي **بمعنى آخر** غير الرؤية كالتأخير كما في قوله تعالى: فنظرة إلى ميسرة [البقرة: ٢٨٠] . لأن لفظة «إلى» في الآية ليست صلة للنظر، بل لبيان المدة.

وقد اعترضت المعتزلة هذا الدليل، فمنعت صغراه (النظر في الآية موصول بإلى) قالوا: لا نسلم أن النظر في الآية موصول ب «إلى» لأنها ليست حرفا، بل هي اسم بمعنى النعمة واحد الآلاء، ومفعول به للنظر، يشهد لذلك ما قيل عن أهل اللغة أن الآلاء واحدها آلى، وأيلى، وألو، وألى، وإلى. قال الأعشى:

أبيض لا يرهبه النزال ولا ... يقطع رحما ولا يخون إلي

أي نعمة أو بمعنى «عند» يؤيده قول الشاعر:

فهل لكم فيما إلى فإنني ... طبيب بما أعيى النطاس حذيما

أي فيما عند. -[.....]." (١)

"لتغليظه لأن إجماع المفسرين لا يمنع من إطلاقه لغة **بمعنى آخر** في غير الآية. انتهى.

وقوله تعالى: كلوا ... الآية: معناه: وقلنا: كلوا، فحذف اختصارا لدلالة الظاهر عليه، والطيبات، هنا جمعت الحلال واللذيذ.

ص «١» : وقوله: وما ظلمونا: قدر ابن عطية قبل هذه الجملة محذوفا، أي:

فعصوا، وما ظلمونا، وقدر غيره: فظلموا، وما ظلمونا، ولا حاجة إلى ذلك لأن ما تقدم عنهم من القبائح يغني عنه. انتهى.

ت: وقول أبي حيان: «لا حاجة إلى هذا التقدير ... » إلى آخره: يرد بأن المحذوفات في الكلام الفصيح هذا شأنها لا بد من دليل في اللفظ يدل عليها إلا أنه يختلف ذلك في الوضوح والخفاء، فأما حذف ما لا دليل عليه، فإنه لا يجوز.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٤٢/١

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٥٨ الى ٦٠]
وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٥٩) وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٦٠)
وقوله تعالى: وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون وإذ استسقى موسى لقومه.
القرية: المدينة سميت بذلك لأنها تقرت، أي: اجتمعت ومنه: قريت الماء في الحوض، أي: جمعته، والإشارة بهذه إلى بيت المقدس في قول الجمهور.
وقيل: إلى أريحا، وهي قريب من بيت المقدس، قال عمر بن شبة «٢» : كانت

---

(١) «المجيد» (ص ٢٥٩) .
(٢) عمر بن شبة- واسمه زيد- بن عبيدة بن ريطة النميري، البصري، أبو زيد، شاعر، راوية، مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل «البصرة» . توفي ب «سمراء» سنة (٢٦٢) هـ، له تصانيف، منها: «كتاب الكتاب» ، و «النسب» ، و «أخبار بني نمير» ، و «أخبار المدينة» جزء منه، و «تاريخ البصرة» ، و «أمراء الكوفة» ، و «أمراء البصرة» ، و «أمراء المدينة» ، و «أمراء مكة» ، و «كتاب السلطان» ، و «مقتل عثمان» ، و «السقيفة» ، و «جمهرة أشعار العرب» ، و «الشعر والشعراء» ، و «الأغاني» .
ينظر: «الأعلام» (٥/ ٤٧- ٤٨) ، و «تهذيب التهذيب» (٧/ ٤٦٠) ، و «الوفيات» (١/ ٣٧٨) .
[.....]."(١)

"وخاسئين: معناه: مبعدين أذلاء صاغرين كما يقال للكلب، وللمطرود:
اخسأ، وروي في قصصهم أن الله تعالى مسخ العاصين قردة في الليل، فأصبح الناجون

- ١- فعل الأمر: وذلك بصيغته المعروفة مثل قوله تعالى: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة [الحج: ٧٨] .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٤٦/١

٢- صيغة المضارع المقترن ب «لام الأمر» مثل قوله تعالى: فمن شهد منكم الشهر فليصمه [البقرة: ١٨٥] .

ومثل: وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق [الحج: ٢٩] .

ومثل: لينفق ذو سعة من سعته [الطلاق: ٧] .

٣- صيغة المصدر القائم مقام فعل الأمر: مثل قوله تعالى: فكفارته إطعام عشرة مساكين [المائدة: ٨٩] .

ومثل قوله تعالى: فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب [محمد: ٤] .

٤- جملة خبرية يراد بها الطلب: مثل قوله تعالى: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة [البقرة: ٢٣٣] .

إذ ليس المراد من هذا النص الإخبار عن حصول الإرضاع من الوالدات لأولادهن، وإنما المراد هو أمر الوالدات بإرضاع أولادهن، وطلب إيجاده منهن.

ومثل قوله تعالى: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا [النساء: ١٤١] .

فإن الظاهر من هذه الآية أنها للخبر، وإنما المراد بها أمر المؤمنين ألا يمكنوا الكافرين من التجبر عليهم، والتكبر بأية صفة كانت.

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان: «لا تنكح البكر حتى تستأذن» .

وقد اتفق الأصوليون على أن صيغة الأمر تستعمل في مدلولات كثيرة، لكن لا تدل على واحد من هذه المدلولات بعينه إلا بقرينة، وهذه المدلولات هي كما ذكرها المصنف رحمه الله.

وقد اختلفت آراء العلماء في تعداد هذه الصيغ زيادة، ونقصا، وسبب ذلك تداخل هذه الصيغ مع بعضها، واختلاف وجهات النظر في المعنى، وفي القرينة التي تحدد وجه الاستعمال.

واتسعت دائرة الاختلاف بين العلماء والأصوليين فيما يدل عليه الأمر حقيقة حيث إن دوران الأمر على أوجه كثيرة- كما سبق- لا يدل على أنه حقيقة في كل منها.

فإذا ورد أمر من الأوامر في القرآن الكريم، أو في السنة النبوية، فهل يعتبر هذا الأمر دالا على الوجوب؟ أم الندب؟ أم الإباحة؟ أم **لمعنى آخر؟**

إن خصوصية التعجيز، والتحقير، والتسخير ... وغير هذه المعاني غير مستفاد من مجرد صيغة الأمر، بل إنما تفهم هذه المعاني من القرائن، وعليه فلا خلاف في أن صيغة الأمر ليست حقيقية في جميع الوجوه

السابقة.

وللعلماء آراء متعددة في دلالة الصيغة على الوجوب، أو على الندب، أو على غيرهما، فقد اتفق العلماء على أن صيغة الأمر لا تدل على أي معنى من المعاني المتقدمة إلا بقرينة، كما قلنا سابقا.

وقد اختلفوا فيما إذا تجردت هذه الصيغة عن القرينة، فهل تدل على الوجوب؟ أم على الندب؟ أم على الإباحة؟

المذهب الأول: وهو لجمهور العلماء حيث ذهبوا إلى أن صيغة «افعل» تدل على الوجوب حقيقة، -." (١)

"[سورة البقرة (٢) : الآيات ١١٨ الى ١٢٠]

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون (١١٨) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم (١١٩) ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير (١٢٠)

وقوله تعالى: وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله ... الآية: قال الربيع والسدي: هم كفار العرب «١» ، وقد طلب عبد الله بن أمية وغيره من النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا، وقال مجاهد: هم النصارى «٢» ، وقال ابن عباس: المراد من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود لأن رافع بن حريملة قال للنبي/ صلى الله عليه وسلم: أسمعنا كلام الله «٣» ، وقيل: الإشارة إلى ٣٤ أجميع هذه الطوائف لأنهم كلهم قالوا هذه المقالة، ولولا تحضيض بمعنى «هلا» ، والآية هنا العلامة الدالة، والذين من قبلهم هم اليهود والنصارى في قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب، وهم اليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى، وهم الأمم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون العرب والنصارى واليهود وتشابه القلوب هنا في طلب ما لا يصح أو في الكفر.

وقوله تعالى: قد بينا الآيات لقوم يوقنون قرينة تقتضي أن اليقين صفة لعلمهم، وقرينة أخرى أن الكلام مدح لهم.

وقوله تعالى: إنا أرسلناك بالحق بشيرا، أي: لمن آمن، ونذيرا لمن كفر، وقرأ نافع وحده «٤» ولا تسأل، أي: لا تسأل عن شدة عذابهم كما تقول: فلان لا تسأل عنه، تعني أنه في نهاية تشهره من خير أو شر.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٥٧/١

ت: وزاد في «مختصر الطبري» ، قال: وتحتمل هذه القراءة معنى آخر، وهو،

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٥٦٠) برقم (١٨٦٦) عن الربيع بلفظ: «هم كفار العرب» ، وبرقم (١٨٦٧) عن السدي: «فهم العرب» اهـ.

وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٠٢) .

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٥٦٠) برقم (١٨٦٢) ، (١٨٦٣) من طريقين عن مجاهد.

وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٠٢) ، والبغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٠٩) .

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٥٦٠) برقم (١٨٦٤) وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٠٢) ، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢٠٨) ، وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير وابن أبي حاتم. وذكره الشوكاني في «تفسيره» (١/ ١٩٩) .

(٤) ينظر: «السبعة» (١٦٩) ، و «الكشف» (١/ ٢٦٢) ، و «حجة القراءات» (١١١) ، و «الحجة للقراء السبعة» (٢/ ٢٠٩) ، و «العنوان» (٧١) ، و «شرح طيبة النشر» (٤/ ٦٠) ، و «معاني القراءات» (١/ ١٧٠) ، و «شرح شعلة» (٢٧٤) ، و «إتحاف» (١/ ٤١٤) .." [١]

"العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق «١» ، أي: أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه، وهو قول حسن بارع.

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٢٩]

الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (٢٢٩)

وقوله تعالى: الطلاق مرتان ... الآية: قال عروة بن الزبير وغيره: نزلت هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه أن يرتجع دون تجديد مهر وولي «٢» ، وقال ابن عباس وغيره: المراد بالآية التعريف بسنة الطلاق، وأن من طلق اثنتين، فليتق الله في الثالثة، فإما تركها غير مظلومة شيئا من حقها، وإما أمسكها محسنا عشرتها «٣» .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١/٣٠٩

ع «٤» : والآية تتضمن هذين المعنيين.

٥٦ ب ص: الطلاق: مبتدأ على حذف مضاف، أي: عدد الطلاق، ومرتان: خبره.

انتهى.

والإمساك بالمعروف: هو الارتجاع بعد الثانية إلى حسن العشرة، والتسريح: يحتمل لفظه معنيين:

أحدهما: تركها تتم العدة من الثانية، وتكون أملك بنفسها، وهذا قول السدي، والضحاك «٥» .

والمعنى الآخر: أن يطلقها ثالثة، فيسرحها بذلك، وهذا قول مجاهد، وعطاء، وغيرهما، وإمساك: مرتفع بالابتداء والخبر أمثل أو أحسن.

وقوله تعالى: ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ... الآية: خطاب

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٦) .

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٦٩) رقم (٤٧٨٣) ، وذكره البغوي (١/ ٢٠٦) ، وابن عطية (١/ ٣٠٦) ، والسيوطي (١/ ٤٩٤) ، وعزاه لمالك، والشافعي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن عروة.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٤٧٠- ٤٧١) برقم (٤٧٩١) ، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٦) .

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٦) .

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٤٧٢- ٤٧٣) ، برقم (٤٨٠٠- ٤٨٠٧) عن السدي، وأرقام (٤٨٠١- ٤٨٠٢- ٤٨٠٣- ٤٨٠٨) عن الضحاك، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٦) . [.....]."[1]

"وقوله تعالى: وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر ... الآية: يقال: نذر الرجل كذا، إذا التزم فعله.

وقوله تعالى: فإن الله يعلمه. قال مجاهد: معناه: يحصيه، وفي الآية وعد ووعيد، أي: من كان خالص النية، فهو مثاب، ومن أنفق رياء أو **لمعنى آخر** مما يكشفه المن والأذى، ونحو ذلك، فهو ظالم يذهب فعله باطلا، ولا يجد ناصرا فيه.

وقوله تعالى: إن تبدوا الصدقات فنعما هي ... الآية: ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوع، قال ابن عباس: جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها، يقال: بسبعين ضعفا، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها، يقال: بخمسة وعشرين ضعفا، قال: وكذلك جميع الفرائض

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١/ ٤٥٨

والنوافل في الأشياء كلها «١» .

ع «٢» : ويقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «صلاة الرجل في بيته أفضل من صلاته في المسجد إلا المكتوبة» «٣» ، وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء، والنوافل عرضة لذلك، قال الطبري «٤» : أجمع الناس على أن إظهار الواجب أفضل.

وقوله تعالى: فنعما هي: ثناء على إبداء الصدقة، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء، والتقدير: نعم شيء إبداؤها، فالإبداء هو المخصوص بالمدح/ وخرج أبو ٧١ أداود في «سننه» ، عن أبي أمامة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «انطلق برجل إلى باب الجنة، فرفع رأسه، فإذا على باب الجنة مكتوب: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض الواحد بثمانية عشر لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج، والصدقة ربما وضعت في غني، وخرجه ابن ماجة في «سننه» ، قال: حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم، حدثنا هشام بن خالد «٥» ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك «٦» ، عن أبيه، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩٣) برقم (٦١٩٥) ، وذكره الماوردي في «النكت» (١/ ٣٤٥) ، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٦٥) ، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٢٣) .

(٢) ذكره ابن عطية (١/ ٣٦٥) .

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ذكره الطبري (٣/ ٩٣) .

(٥) هشام بن خالد الأزرق، أبو مروان الدمشقي. عن الوليد بن مسلم وجماعة. وعنه أبو داود وابن ماجه. قال أبو حاتم: صدوق. قال عمرو بن دحيم: مات سنة تسع وأربعين ومائتين.

ينظر: «الخلاصة» (٣/ ١١٣) .

(٦) خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، الهمداني، أبو هاشم الدمشقي، عن أبيه وأبي روق، وعنه-[.....]." (١)

"فيشبه عند من لم ينعم النظر شيئا حلالا وكذلك الآية: يكون لها في نفسها معنى صحيح، فيشبه عند من لم ينعم النظر، أو عند الزائغ **معنى آخر** فاسدا، فربما أراد الاعتراض به على كتاب الله، هذا عندي معنى الإحكام والتشابه في هذه الآية.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١/٥٢٧

- فأما حديث النعمان، فأخرجه البخاري (١/ ١٥٣) في الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢) ، و (٤/ ٣٤٠) في البيوع: باب الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشتبهات (٢٠٥١) ، ومسلم (٣/ ١٢١٩- ١٢٢١) ، في المساقاة: باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٠٧، ١٠٨/ ١٥٩٩) ، وأبو داود (١/ ٢٦٣) في البيوع، باب في اجتناب الشبهات (٣٣٢٩، ٣٣٣٠) . والنسائي (٧/ ٢٤١) في البيوع:
باب اجتناب الشبهات في الكسب. والترمذي (٣/ ٥١١) في البيوع: باب ما جاء في ترك الشبهات (١٢٠٥) . وابن ماجة (٢/ ١٣١٨) في الفتن، باب الوقوف عند الشبهات (٣٩٨٤) ، وأحمد (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠) ، والدارمي (٢/ 452) في البيوع، باب في الحلال بين، والحرام بين. والحميدي (٩١٨) ، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٢٤) ، والبيهقي (٥/ ٢٦٤) في البيوع: باب طلب الحلال، واجتناب الشهوات، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٦٩- ٢٧٠) ، والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص ٣١٧) .
والبغوي في «شرح السنة» بتحقيقنا (٤/ ٢٠٧) في البيوع: باب الاتقاء عن الشبهات (٢٠٢٤) ، من طرق عن الشعبي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله. وإذا فسدت فسد الجسد كله. إلا وهي القلب» .
وأخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧) ، ثنا هاشم بن القاسم، ثنا شيبان، عن عاصم، عن خيثمة. والشعبي عن النعمان مرفوعا بنحوه.
وق ا ل الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وأما حديث عمار بن ياسر، فأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٦٥٣) . والطبراني في «الكبير» ، و «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٧٦) ، من طريق موسى بن عبيدة، أخبرني سعد بن إبراهيم عمن أخبره، عن عمار بن ياسر رفعه: «إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما شبهات. من توقاهن كن وقاء لدينه، ومن يوقع فيهن يوشك أن يواقع الكبائر، كالمرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه، لكل ملك حمى» .
وقال الهيثمي (٤/ ٧٦، ١٠/ ٢٩٦) : فيه موسى بن عبيدة، وهو متروك. وقال الحافظ في «المطالب» (١٢٥٤) : إسناده ضعيف.
وأما حديث ابن عباس، فأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٤٠٤) برقم (١٠٨٢٤) ، من طريق الوليد بن

شجاع، حدثني أبي، ثنا سابق الجزري أن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب أخبره عن عبد الرحمن بن الحارث، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك شبهات. فمن أوقع بهن فهو قمن أن يأثم، ومن اجتنبهن فهو أوفر لدينه، كمرتع إلى جنب حمى أوشك أن يقع فيه، ولكل ملك حمى، وحمى الله الحرام» .

قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٩٧) فيه سابق الجزري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وأما حديث جابر، فأخرجه الخطيب في «التاريخ» (٦/ ٧٠) ، من طريق سعيد بن زكريا المدائني، حدثنا الزبير بن-." (١)

"بعدهم كسعد بن الربيع «١» ، ووصيته يومئذ للأنصار، وأنس بن النضر «٢» ، وغيرهما، ثم يدخل في الآية الشاكرون إلى يوم القيامة، وقال علي (رضي الله عنه) في تفسير هذه الآية «٣» : الشاكرون الثابتون على دينهم أبو بكر، وأصحابه، وكان يقول: أبو بكر/ أمير الشاكرين إشارة منه إلى صدع أبي بكر بهذه الآية يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم، وثبوته في ذلك الموطن، وثبوته في أمر الردة، وسائر المواطن التي ظهر فيها شكره، وشكر الناس بسببه، ثم أخبر عز وجل عن النفوس أنها إنما تموت بأجل مكتوب محتوم عند الله تعالى، أي:

فالجبن والخور لا يزيد في الأجل، والشجاعة والإقدام لا ينقص منه، وفي هذه الآية تقوية للنفوس في الجهاد، وفيها رد على المعتزلة في قولهم بالأجلين.

وقوله سبحانه: ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ... الآية، أي: نؤت من شئنا منها ما قدر له يبين ذلك قوله تعالى: من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد [الإسراء: ١٨] ، وقرينة الكلام تقتضي أنه لا يؤتى شيئا من الآخرة لأن من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا، فلا نصيب له في الآخرة، والأعمال بالنيات، وقرينة الكلام من قوله: ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها لا تمنع أن يؤتى نصيبا من الدنيا، قال ابن فورك في قوله تعالى: وسنجزي الشاكرين: إشارة إلى أنه ينعمهم بنعم الدنيا، لا أنهم يقصرون على الآخرة «٤» .

ثم ضرب سبحانه المثل للمؤمنين بمن سلف من صالح الأمم الذين لم يثنهم عن دينهم قتل الكفار لأنبيائهم، فقال: وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ... الآية: وفي «كأين» لغات، فهذه اللغة أصلها «٥» لأنها كاف التشبيه دخلت على «أي» ، و «كأين» في

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢/٩

(١) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، الأنصاري، الخزرجي، أحد نقباء الأنصار. ينظر: «الإص ابة» (٣/ ٤٩) . [.....]

(٢) أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري، الخزرجي، عم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: «الإصابة» (١/ ٢٨١) .

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥٥) برقم (٧٩٣٧) ، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٥١٦) ، والسيوطي بنحوه في «الدر المنثور» (٢/ ١٤٥) ، وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٥١٨) .

(٥) هذه اللفظة قيل: مركبة من كاف التشبيه ومن «أي» ، وحدث فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من «كم» الخبرية، ومثلها في التركيب وإفهام التكثير: «كذا» في قولهم: «له عندي كذا كذا درهما» والأصل:

كاف التشبيه و «ذا» الذي هو اسم إشارة، فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير، وكم الخبرية و «كأين» و «كذا» كلها بمعنى واحد، وقد عهدنا في التركيب إحداث **معنى آخر** ألا ترى أن «لولا» حدث لها معنى جديد. «وكأين» من حقها على هذا أن يوقف عليها بغير نون لأن التنوين يحذف وقفا، إلا أن-."
(١)

"ومنه قوله تعالى: ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه [الأنعام: ٢٨] .

والوجه الثاني: أن تكون بمعنى «صار» ، وعاملة عملها، ولا تتضمن أن الحال قد كانت متقدمة ومنه قول الشاعر: [البسيط]

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا «١»

ومنه قول الآخر:

وعاد رأسي كالثغامة ... «٢»

ومنه قوله تعالى: حتى عاد كالعرجون القديم [يس: ٣٩] ، على أن هذه محتملة بقوله في الآية: أو لتعودن، وشعيب عليه السلام لم يك قط كافرا، فيقتضي أنها بمعنى «صار» ، وأما في جهة المؤمنين به بعد كفرهم، فيترتب **المعنى الآخر**، ويخرج عنه شعيب، وقوله: أولو كنا كارهين توقيف منه لهم على شنعة المعصية،

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١١٧/٢

وطلب أن يقروا بألسنتهم بإكراه المؤمنين على الإخراج ظلما وغشما.

قال ص: قد افترينا: هو بمعنى المستقبل لأنه سد مسد جواب الشرط، وهو: إن عدنا أو هو جوابه، على قول. انتهى.

وقوله: إلا أن يشاء الله ربنا يحتمل أن يريد إلا أن يسبق علينا في ذلك من الله سابق سوء، وينفذ منه قضاء لا يرد.

قال ع «٣» : والمؤمنون هم المجوزون لذلك، وأما شعيب، فقد عصمته النبوة، وهذا أظهر مما يحتمل القول، ويحتمل أن يريد استثناء ما يمكن أن يتعبد الله به المؤمنين مما يفعله الكفار من القربات.

---

٢٩٩) و «الحماسة البصرية» (٢/ ١٠٥) و «خزانة الأدب» (١٠/ ٤٥٠) و «شرح عمدة الحافظ» ص: (٥٠٥) ، و «مجالس ثعلب» ص: (٥٩٧، ٥٩٨) .

(١) روي البيت هكذا:

هذي المفاخر لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا هو لأبي الصلت الثقفي والد أمية في «الشعر والشعراء» ص: (٤٦٩) ، و «العقد الفريد» (٢/ ٢٣) ولأمية بن أبي الصلت في «ديوانه» ص: (٥٢) ، وللنابغة الجعدي في «ديوانه» ص: (١١٢) ، وللثقفي في «شرح المفصل» (٨/ ١٠٤) .

(٢) وهو من شواهد «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٢٩) . ويروى في «اللسان» : [ثغم] برواية: وصار رأس الشيخ كثغامة وعليه يكون من بحر الرجز، وفي «القاموس» : والرأس صار كالثغامة بياضا.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٢٨) .." (١)

"دنا منها، تباعدت منه، ومشت فإذا رجع عنها اتبعته، فلما رأى ذلك أيقن أن هذا من أمور الله الخارقة للعادة، ونودي، وانقضى أمره كله في تلك الليلة هذا «١» قول الجمهور، وهو الحق، وما حكي عن ابن عباس: أنه قال: أقام في ذلك الأمر حولا، فغير صحيح عن ابن عباس «٢» .

وآنست: معناه: أحسست، والقبس: الجذوة من النار، تكون على رأس العود.

والهدى: أراد هدى الطريق، أي: لعلي أجد مرشدا لي، أو دليلا.

وفي قصة موسى بأسرها في هذه السورة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما لقي في تبليغه من المشقات صلى الله عليه وسلم والضمير في قوله: أتاها: عائد على النار.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥٦/٣

وقوله: «نودي» : كناية عن تكليم الله تعالى له (عليه السلام) .

وقرأ نافع «٣» وغيره: إني- بكسر الهمزة- على الابتداء، وقرأ أبو عمرو، وابن كثير: «أني» - بفتحها- على معنى: لأجل أني أنا ربك، فاخلع نعليك.

واختلف في السبب الذي من أجله أمر بخلع ال‍نعلين: فقالت فرقة: كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بطرح النجاسة.

وقالت فرقة: بل كانت نعلاه من جلد بقرة ذكي لكن أمر بخلعهما لينال بركة الوادي المقدس، وتمس قدماه تربة الوادي.

قال ع «٤» : وتحتمل الآية **معنى آخر**، هو الأليق بها عندي وهو: أن الله تعالى أمره أن يتأدب، ويتواضع لعظم الحال التي حصل فيها، والعرف عند الملوك: أن تخلع

---

(١) في ج: هذا هو.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٨) .

(٣) وكذلك قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، غير أن نافعا فتح الياء، وأسكنها الباقون.

ينظر: «السبعة» (٤١٧) ، و «الحجة» (٥/ ٢١٨) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ٢٨) ، و «معاني القراءات» (٢/ ١٤٣) ، و «شرح الطيبة» (٥/ ٣٩) ، «وحجة القراءات» (٤٥١) ، و «شرح شعلة» (٤٩٠) ، و «إتحاف» (٢/ ٢٤٤) .

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩) .." [(١)]

"ذكرنا وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصرعة» «١» ، و «ليس المسكين بهذا الطواف» «٢» ، والضمير في فإنها للقصة ونحوها من التقدير، والضمير في يستعجلونك لقريش.

وقوله: ولن يخلف الله وعده وعيد وإخبار بأن كل شيء إلى وقت محدود، والوعد هنا مقيد بالعذاب.

وقوله سبحانه: وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون/ قالت فرقة: معناه ٢٧ أوإن يوما من أيام عذاب الله كألف سنة من هذه لطول العذاب وبؤسه، فكان المعنى أي من هذه السنين فما أجهل من يستعجل هذا، وكرر قوله: وكأين لأنه جلب **معنى آخر** ذكر أولا القرى المهلكة دون إملاء بل بعقب التكذيب، ثم ثنى سبحانه بالممهلة لئلا يفرح هؤلاء بتأخير العذاب عنهم، وباقي الآية بين، والرزق الكريم: الجنة، ومعاجزين

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/ 54

معناه: مغالبين، كأنهم طلبوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي تعجيزهم فصارت مفاعلة.

[سورة الحج (٢٢) : آية ٥٢]
وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم (٥٢)
وقوله سبحانه: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ... الآية.
قلت: قال [القاضي أبو الفضل] «٣» عياض: وقد توجهت هاهنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من: «أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة «والنجم» وقال: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى [النجم: ١٩، ٢٠] قال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى» «٤» .

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٠٦) كتاب «حسن الخلق» : باب ما جاء في الغضب، حديث (١٢) ، والبخاري (١٠/ ٥٣٥) كتاب «الأدب» : باب الحذر من الغضب، حديث (٦١١٤) ، ومسلم (٤/ ٢٠١٤) كتاب «البر والصلة» : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، حديث (١٠٧/ ٢٦٠٩) ، وأحمد (٢/ ٢٣٦) ، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٥٣١- بتحقيقنا) ، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٢١٢) من حديث أبي هريرة.
(٢) تقدم تخريجه. [.....]
(٣) سقط في ج.
(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٥٣) رقم (١٢٤٥٠) ، والبزار في «مسنده» كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٩١) ، وابن مردويه كما في المصدر السابق، كلهم من طريق يوسف بن حماد ثنا أمية بن خالد، ثنا-." (١)

"فتخبت له قلوبهم: معناه: تتطامن وتخضع، وهو مأخوذ من الخبت وهو المطمئن من الأرض كما تقدم.
ولا يزال الذين كفروا في مرية منه أي: من القرآن، والمرية: الشك، حتى تأتيهم الساعة يعني يوم القيامة، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم قيل: يوم بدر، وقيل:

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢٩/٤

الساعة ساعة موتهم، واليوم [العقيم] «١» يوم القيامة.

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٥٨ الى ٦٢]

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم (٥٩) ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠) ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢)

وقوله سبحانه: والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ... الآية، ابتداء **معنى آخر** وذلك أنه لما مات عثمان بن مظعون، وأبو سلمة بن عبد الأسد قال بعض الناس: من قتل من المهاجرين أفضل ممن مات حتف أنفه. فنزلت هذه الآية مسوية بينهم في أن الله تعالى يرزق جميعهم رزقا حسنا، وليس هذا بقاض بتساويهم في الفضل، وظاهر الشريعة أن المقتول أفضل، وقد قال بعض الناس: المقتول والميت في سبيل الله شهيدان، ولكن للمقتول مزية ما أصابه في ذات الله، والرزق الحسن يحتمل: أن يريد به رزق الشهداء عند ربهم في البرزخ، ويحتمل أن يريد بعد يوم القيامة في الجنة «٢» ، وقرأت «٣» فرقة: «مدخلا» - بضم الميم- من أدخل فهو محمول على الفعل [المذكور، وقرأت فرقة: «مدخلا» - بفتح الميم- من دخل فهو محمول على فعل] «٤» مقدر تقديره:

فيدخلون مدخلا، ثم أخبر سبحانه عمن عاقب من المؤمنين من ظلمه من الكفرة، ووعد المبغي عليه بأنه ينصره، وذلك أن هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في

---

(١) سقط في ج.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ١٣٠) .

(٣) بفتح الميم قرأ نافع، وبضمها قرأ الباقون.

ينظر: «السبعة» (٤٣٩، ٤٤٠) ، و «الحجة» (٥/ ٢٨٤) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ٨٣) ، و «العنوان» (١٣٥) ، و «حجة القراءات» (٤٨١) ، و «إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٢٧٨) .

(٤) سقط في ج.." (١)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٣٤/٤

"وقوله تعالى: الله نور السماوات والأرض ... الآية: النور في كلام العرب الأضواء المدركة بالبصر، ويستعمل مجازا فيما صح من المعاني ولاح فيقال: كلام له نور، ومنه الكتاب المنير، والله تعالى ليس كمثله شيء فواضح أنه ليس من الأضواء المدركة، ولم يبق إلا أن المعنى منور السموات والأرض، أي: به وبقدرته أنارت أضواؤها، واستقامت أمورها، كما تقول: الملك نور الأمة، أي: به قوام أمورها وصلاح جملتها، والأمر في الملك مجاز، وهو في صفة الله تعالى حقيقة محضة، وقرأ «١» أبو عبد الرحمن السلمي وغيره: «الله نور» - بفتح النون والواو المشددة وفتح الراء- والضمير في نوره يعود على الله تعالى قاله جماعة، وهو إضافة خلق إلى خالق، كما تقول: ناقة الله، وبيت الله، ثم اختلفوا في المراد بهذا النور، فقيل: هو محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: هو المؤمن، وقيل: هو الإيمان والقرآن، وفي قراءة أبي بن كعب: «مثل نور المؤمنين» والمشكاة: هي الكوة غير النافذة فيها القنديل ونحوه، وهذه الأقوال الثلاثة يطرد فيها مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل، فعلى قول من قال: الممثل محمد صلى الله عليه وسلم- وهو قول كعب الأحبار- فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المشكاة أو صدره، والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه، والزجاجة: قلبه، والشجرة المباركة: هي الوحي، والزيت: هو الحجج والبراهين. وعلى قول من قال: إن الممثل به هو المؤمن- وهو قول أبي بن كعب «٢» -، فالمشكاة صدره، والمصباح: الإيمان والعلم، والزجاجة: قلبه، والشجرة القرآن، وزيتها: هو الحجج، والحكمة التي تضمنها قول أبي فهو على أحسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي في قبور الأموات، وتحتمل الآية **معنى آخر**، وهو أن يريد: مثل نور الله الذي هو هداه في الوضوح كهذه الجملة من النور، الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور، الذي هو بين أيديكم أيها البشر وقال أبو موسى:

المشكاة: الحديدة أو الرصاصة التي يكون فيها القنديل في جوف الزجاجة، والأول أصح.

---

(١) وقرأ بها عبد الله بن أبي ربيعة.

ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٨٣) ، و «البحر المحيط» (٦/ ٤١٨) ، وزاد نسبتها إلى علي بن أبي طالب، وأبي جعفر، وعبد العزيز المكي، وزيد بن علي، وثابت بن أبي حفصة، والقورصي، ومسلمة بن عبد الملك.

وينظر: «الدر المصون» (٥/ ٢١٩) .

(٢) أخرجه الطبري (٢٦٠٨٨) ، وذكره البغوي (٣/ ٣٤٥) ، وابن عطية (٤/ ١٨٣) ، وابن كثير (٣/

٢٨٩) ، والسيوطي (٥/ ٨٧) وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن أبي بن كعب.." (١)

"ولذلك استكان هو، وراجع بقوله: ما أريكم إلا ما أرى واختلف الناس من المراد بقوله تعالى: وقال الذي آمن، فقال الجمهور: هو المؤمن المذكور قص الله تعالى أقاويله إلى آخر الآيات، وقالت فرقة: بل كلام ذلك المؤمن قد تم وإنما أراد تعالى:

ب الذي آمن موسى ع محتجين بقوة كلامه، وذكر عذاب الآخرة وغير ذلك ولم يكن كلام الأول إلا بملاينة لهم.

وقوله: مثل يوم الأحزاب أي: مثل يوم من أيامهم لأن عذابهم لم يكن في عصر واحد، والمراد بالأحزاب المتحزبون على الأنبياء، ومثل الثاني: بدل من الأول، والدأب: العادة، «ويوم التنادي» معناه: يوم ينادي قوم قوما، ويناديهم الآخرون واختلف في التنادي المشار إليه، فقال قتادة: هو نداء أهل الجنة أهل النار، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا «١» [الأعراف: ٤٤] وقيل: هو النداء الذي يتضمنه قوله تعالى: يوم ندعوا كل أناس بإمامهم [الإسراء: ٧١] قال ع «٢» : ويحتمل/ أن يكون المراد التذكير بكل نداء في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة وذلك كثير. وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو صالح: «يوم التناد» بشد الدال «٣» وهذا معنى آخر ليس من النداء، بل هو من: ند البعير:

إذا هرب وبهذا المعنى فسر ابن عباس والسدي هذه «٤» الآية، وروت هذه الفرقة، في هذا المعنى حديثا أن الله تعالى إذا طوى السموات نزلت ملائكة كل سماء، فكانت صفا بعد صف مستديرة بالأرض التي عليها الناس للحساب فإذا رأى الخلق هول القيامة، وأخرجت جهنم عنقا إلى أصحابها، فر الكفار وندوا مدبرين إلى كل جهة، فتردهم الملائكة إلى المحشر لا عاصم لهم، والعاصم: المنجي.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦) برقم: (٣٠٣٣١) ، (٣٠٣٣٢) عن قتادة، (٣٠٣٣٣) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٨) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٦) ، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٨) .

(٣) وقرأ بها الكلبي.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/١٨٨

ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٤٣) ، و «الشواذ» ص: (١٣٣) ، و «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٨) ، و «البحر المحيط» (٧/ ٤٤٤) ، وزاد نسبتها إلى ابن مقسم، والزعفراني. وهي في «الدر المصون» (٦/ ٣٩) .

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٧) برقم: (٣٠٣٣٥) عن الضحاك، (٣٠٣٣٦) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٧) ، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٨) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٩) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٦) ، وعزاه لابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن الضحاك.." (١)

"[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٩ الى ١٢]

أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير (٩) وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب (١٠) فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١) له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢)

وقوله تعالى: أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي ... الآية، قوله: أم اتخذوا: كلام مقطوع مما قبله، وليست بمعادلة، ولكن الكلام كأنه أضرب عن حجة لهم أو مقالة مقررة، فقال: بل اتخذوا هذا مشهور قول النحويين في مثل هذا، وذهب بعضهم إلى أن «أم» هذه هي بمنزلة ألف الاستفهام دون تقدير إضراب، ثم أثبت الحكم بأنه عز وجل هو الولي الذي تنفع ولايته.

وقوله تعالى: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ... الآية، المعنى: قل لهم يا محمد: وما اختلفتم فيه، أيها الناس، من تكذيب وتصديق، وإيمان وكفر، وغير ذلك فالحكم فيه والمجازاة عنه ليست إلي ولا بيدي وإنما ذلك إلى الله تعالى، الذي صفاته ما ذكر من إحياء الموتى والقدرة على كل شيء.

وقوله تعالى: جعل لكم من أنفسكم أزواجا يريد: زوج الإنسان الأنثى، وبهذه/ النعمة اتفق الذرء، وليست الأزواج هاهنا الأنواع.

وقوله: ومن الأنعام أزواجا الظاهر أيضا فيه والمتسق أنه يريد إناث الذكران، ويحتمل أن يريد الأنواع، والأول أظهر.

وقوله: يذرؤكم أي: يخلقكم نسلا بعد نسل، وقرنا بعد قرن قاله مجاهد والناس، فلفظة «ذرأ» تزيد على

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١١٤/٥

لفظة «خلق» معنى آخر ليس في «خلق» ، وهو توالي طبقات على مر الزمان.
وقوله: فيه الضمير عائد على الجعل يتضمنه قوله: جعل لكم وهذا كما تقول: كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه، وقال القتبي: الضمير للتزويج، ولفظة «في» مشتركة على معان، وإن كان أصلها الوعاء، وإليه يردها النظر في كل وجه.
وقوله تعالى: ليس كمثله شيء الكاف مؤكدة للتشبيه، فنفي التشبيه أوكد ما يكون وذلك أنك تقول: زيد كعمرو، وزيد مثل عمرو، فإذا أردت المبالغة التامة قلت:
زيد كمثل عمرو، وجرت الآية في هذا الموضع على عرف كلام العرب، وعلى هذا المعنى." (١)

"بهم فليس في إضاعتها فقط من الشناعة ما في إضاعتها مع مؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على أن ذلك يقضي إلى كون ذكر ما فصل من أول السورة إلى هنا ضائعا وأبعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في أيديهم بناء على أنه يستعمل اتساعا في إيثار أحد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فإنه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الأنسب بتجاوب أطراف النظم الكريم وأما إذا جعل ترجمة عن جناية أخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة دينه بما كانوا يشاهدونه من نعوته عليه الصلاة والسلام في التوراة وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فإنها ضلالة مضاعفة ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته أي استشف فيها وأصاب الربح وإسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران إليها وهو لأربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته إلى ما يلابسهم وإيرادهما إثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشا عنه كل أحد للإشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك أن التجارة في نفسها

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/١٥١

استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من إيثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة إذ ليس من ضروريات الترشيح أن يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به إلا تقويتها كما في قولك رأيت أسد وافي البراثن فإنك لا تريد به إلا زيادة تصوير للشجاع وأنه أسد كامل من غير أن تريد بلفظ البراثن **معنى آخر** بل قد يكون مستعار من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لأصل الاستعارة كما في قوله

فلما رأيت النسر عز ابن دأية ... وعشش في وكريه جاش له صدري

فإن لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للرأس واللحية أو للفودين أعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الأصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن دأية للشعر الأسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرىء تجارتهم وتعددها لتعدد المضاف إليهم ﴿وما كانوا مهتدين﴾ أي إلى طرق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة أخرى لبقاء الأصل وأما إتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فأضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بألف منزل فالجملة راجعة إلى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتيب على الاشتراء." (١)

"ثم طلب منه إظهار المعجزة، فقال:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٠٦ الى ١١٢]

قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين (١٠٦) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (١٠٧) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (١٠٨) قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم (١٠٩) يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون (١١٠)

قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين (١١١) يأتوك بكل ساحر عليم (١١٢)

قلت: يقال: أرجأ، بالهمز، يرجىء **بمعنى آخر** فمن قرأ بالهمزة فعلى الأصل، ومن قرأه بغير الهمزة فيحتمل أن يكون بمعنى المهموز، وسهلت الهمزة، أو يكون بمعنى الرجاء، أي: أطمعه، وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان، وأما إسكانها فلغة أجرى فيها الوصل مجرى الوقف. وقد تتبع البيضاوي توجيه القراءات، فانظره إن

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤٩/١

شئت.

يقول الحق جل جلاله: قال فرعون لموسى عليه السلام: إن كنت جئت بآية من عند من أرسلك، كما ذكرت، فأت بها وأحضرها ليثبت بها صدقك إن كنت من الصادقين في دعواك، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين أي: ظاهر أمره، لا يشك في أنه ثعبان، وهي الحية العظيمة.

روي أنه لما ألقاها صار ثعبانا أشعر، فاغرا فاه، بين لحييه ثمانون ذراعا، وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر، ثم توجه نحو فرعون، فهرب منه وأحدث، وانهزم الناس مزدحمين، فمات منهم خمسة وعشرون ألفا، وصاح فرعون: يا موسى، أنشدك الذي أرسلك خذه، وأنا أومن بك، وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذه فعاد عصا. قاله البيضاوي.

ثم أظهر له معجزة أخرى: ونزع يده من جيبه، أو من تحت إبطه، فإذا هي بيضاء للناظرين أي: بيضاء بياضا خارجا عن العادة، يجتمع عليها النظارة، أو بيضاء للنظار، لا أنها كانت بيضاء في خلقتها، بل كانت شديدة الأدمة كلون صاحبها. روي أنه كان شديد الأدمة فأدخل يده في جيبه أو تحت إبطه، ثم نزعها، فإذا هي بيضاء نورانية، غلب شعاعها شعاع الشمس.

قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم، قيل: قاله هو وأشراف قومه، على سبيل المشاورة في أمره، فحكى عنه في سورة الشعراء، وعنهم هنا، أو قاله هو ووافقوه عليه، كعادة جلساء الملوك مع أتباعهم.

يريد أن يخرجكم من أرضكم بالحيل، أو بالقتال، أو بإخراج بني إسرائيل، وكانوا خداما لهم، فتخرب البلد." (١)

"قال البيضاوي: وقد قيل: للآية معنى آخر، وهو أنه لما نزل في المتخلفين ما نزل تسابق المؤمنون إلى النفير، وانقطعوا عن التفقه، فأمروا ان ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد، ويبقى أعقابهم يتفقهون، حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، لأن الجدال بالحجة هو الأصل، والمقصود من البعثة، فيكون الضمير في ليتفقهوا، ولينذروا: للفرق البواقي بعد الطوائف النافرة للغزو، وفي رجعوا: للطوائف النافرة، أي: ولينذروا البواقي من قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم. هـ. وتقدير الآية على هذا: فلولا نفر من كل فرقة طائفة، وجلس طائفة ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم الخارجين للغزو إذا رجعوا إليهم من غزوهم. والله تعالى أعلم.

الإشارة: قال القشيري: لو اشتغل الكل بالتفقه في الدين لتعطل عليهم المعاش، ولمنعهم الكافر عن درك

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٤٥

المطلوب، فجعل ذلك فرضا على الكفاية. ويقال: المسلمون على مراتب: فعوامهم كالرعية للملك وكتبة الحديث كخزنة الملك. وأهل القرآن كحفاظ الدفاتر ونفائس الأموال. والفقهاء بمنزلة الوكلاء إذ الفقيه يوقع الحكم عن الله.

وعلماء الأصول كالقواد وامراء الجيوش. والأولياء كأركان الباب. وأرباب القلوب وأصحاب الصفاء كخواص الملك وجلسائه. فشغل قوما بحفظ أركان الشرع، وآخرين بإمضاء الأحكام، وآخرين بالرد على المخالفين، وآخرين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل قوما مفردين لحضور القلب وهم أصحاب الشهود، ليس لهم شغل، يراعون مع الله أنفاسهم، وهم أصحاب الفراغ، لا يستفزهم طلب، ولا يهزهم أمر، فهم بالله لله، بمحو ما سوى الله، واما الذين يتفقهون في الدين فهم الداعون إلى الله، وإنما يفهم الخلق عن الله بمن كان يفهم عن الله. هـ.

قوله: وأما الذين يتفقهون.. الخ، الداعون إلى الله على الحقيقة هم العارفون بالله، وهم أصحاب الشهود، الذين وصفهم قبل، وأما الفقهاء في الدين فإنما يدعون إلى أحكام الله، وتعلم دينه دون معرفة ذاته وصفاته فدعواهم ضعيفة التأثير، فلا ينهض على أيديهم ما ينهض على أيدي العارفين.

وقال الورتجبي، في قوله تعالى: (ليتفقهوا في الدين) : قال المرتعش: السياحة والأسفار على ضربين: سياحة لتعلم احكام الدين وأساس الشريعة، وسياحة لآداب العبودية ورياضة الأنفس، فمن رجع عن سياحة الأحكام قام بلسانه يدعو الخلق إلى ربه، ومن رجع من سياحة الأدب والرياضة قام في الخلق يهديهم لأخلاقه وشمائله.

وسياحة هي سياحة الحق، وهي رؤية أهل الحق والتأدب بآدابهم، فهذا بركته تعم البلاد والعباد. هـ.." (١)

"يعبدوا معه، مشيرا إلى الذي لم يكسره. وعن الكسائي: أنه يقف على (بل فعله) أي: فعله من فعله، ثم ابتدأ:

كبيرهم هذا يخبركم فسلوه ... الخ، والأكثر: أنه لا وقف، والفاعل: كبيرهم. و «هذا» : بدل، أو وصف، ونسب الفعل إلى كبيرهم، وقصده تقريره لنفسه وإسناده لها، على أسلوب تعريضي تبكيتا لهم، وإلزاما للحجة عليهم، لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم، وأنه لا يصلح للألوهية، وهذا كما لو كتبت كتابا بخط أنيق، وأنت شهير بحسن الخط، ومعك صاحب أمي، فقال لك قائل: أأنت كتبت هذا؟ فتقول: بل كتبه هذا، وهو يعلم أنه أمي لا يحسن الكتابة، فهو تقرير لإثبات الكتابة لك على أبلغ وجه.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٤٢/٢

قال الكواشي: ومن الجائز أن يكون أذن الله تعالى له في ذلك كما أذن ليوسف حين نادى على إخوته: إنكم لسارقون «١» ، ولم يكونوا سارقين لما في ذلك من المصلحة لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح، وسألوا، علموا أن كبيرهم لم يفعل شيئا، وأنه عاجز عن النطق، فضلا عن الفعل، فلا يجوز أن يعبد، ولا يستحق العبادة إلا القادر الفعال. هـ.

وقيل: اسند الفعل إلى كبيرهم لأنه الحامل له على كسرها، حيث رآه يعظم أكثر منها، ويعبد من دون الله، فاشتد غضبه حتى كسرها، وهو بعيد إذ لو كان كذلك لكسره أولا، فتحصل أنه عليه السلام إنما قصد التعريض بعبادتهم، لا الإخبار المحض، حتى يكون كذبا. فإن قلت: قد ورد في الحديث إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات «٢» ؟

فالجواب: أن معنى ذلك: أنه قال قولا ظاهره الكذب، وإن كان القصد به **معنى آخر**. قاله ابن جزي.

ثم قال لهم: فسئلوهم عن حالهم، إن كانوا ينطقون فتجيبكم بمن كسرهم، وأنتم تعلمون عجزهم عنه، فرجعوا إلى أنفسهم أي: رجعوا إلى عقولهم، وتفكروا بقلوبهم، وتذكروا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإخبار بمن كسره، فكيف يستحق أن يكون معبودا؟ فقالوا أي: قال بعضهم لبعض: إنكم أنتم الظالمون على الحقيقة، حيث عبدتم من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لأن من لا يدفع عن رأسه الفأس، فكيف يدفع عن عابده البأس! فأنتم الظالمون بعبادتها لا من ظلمتموه بقولكم: (إنه لمن الظالمين) . أو: أنتم الظالمون لا من كسرها، ثم نكسوا على رؤسهم، وردوا إلى أسفل سافلين، أجري الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة، أي: انقلبوا إلى المجادلة، بعد ما استقاموا بالمراجعة، شبه عودهم

---

(١) من الآية ٧٠ من سورة يوسف.

(٢) الحديث أخرجه البخاري فى (أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا.) ومسلم فى «الفضائل، باب من فضائل إبراهيم» من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.." [1]

"فاطر السماوات والأرض خالقهما ومظهرهما، وهو خبر ثان لذلكم، أو عن مضمر، جعل لكم من أنفسكم من جنسكم أزواجا نساء ومن الأنعام أزواجا أي: وجعل للأنعام من جنسها أزواجا، أو: خلق لكم من الأنعام أصنافا ذكورا وإناثا، يذرؤكم فيه أي: يكثركم فيما ذكر من التدبير البديع، من: الذرء، وهو البث، فجعل الناس والأنعام أزواجا، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، واختير لفظ «فيه»

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٧٣/٣

على «به» لأنه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير. والضمير في «يذرؤكم» يرجع إلى المخاطبين والأنعام، مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على غيرهم.

وقال الهروي: يذرؤكم فيه أي: يكثركم بالتزويج، كأنه قال: يذرؤكم به. هـ. وقال ابن عطية: لفظة «ذرأ» تزيد على لفظة «خلق» **معنى آخر**، ليس في خلق، وهو توالي طبقاته على مر الزمان، وقوله: «فيه» الضمير عائد على الجعل. وقال القتبي: الضمير للتزويج. هـ.

ليس كمثله شيء أي: ليس مثله شيء [في شأن] «١» من الشئون، التي من جملتها هذا التدبير البديع.

قيل:

إن كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفي التماثل لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة. قال ابن عطية: الكاف مؤكدة للتشبيه، فنفي التشبيه أوكد ما يكون، وذلك أنك تقول: زيد كعمرو، وزيد مثل عمر، فإذا أردت المبالغة التامة قلت:

زيد كمثل عمرو، وجرت الآية في هذا الموضع على عرف كلام العرب، وعل هذا المعنى شواهد كثيرة. هـ.

قال النسفي: وقيل: المثل زائد، والتقدير: ليس كهو شيء، كقوله تعالى: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به «٢» ، وهذا لأن المراد نفي المثلية، وإذا لم نجعل الكاف أو المثل زيادة كان إثبات المثل. هـ. والجواب ما تقدم لابن عطية.

وقيل: الآية جرت على طريق الكناية، كقولهم: مثلك لا يبخل، وغيرك لا يجود، أي: أنت لا تبخل لأنه إذا نفي البخل عمن هو مثله كان نفيه عنه أولى.

ثم قال تعالى: وهو السميع البصير سميع لجميع المسموعات بلا آذان، بصير بجميع المبصرات بلا أجفان. وذكرهما لئلا يتوهم أنه لا صفة له، كما لا مثل له، وقدم تنزيهه عن المماثلة على وصفه بالسمع والبصر ليعلمنا أن سمعه وبصره ليس كسمعنا وبصرنا.

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس فى الأصول الخطية، وأثبته من تفسير أبى السعود- رحمه الله.

(٢) الآية ١٣٧ من سورة البقرة.." (١)

"ما تقرر في الأصول من أن مفهوم المخالفة إذا كان محتملا **لمعنى آخر**، غير مخالفته لحكم المنطوق، يمنعه ذلك من الاعتبار.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٩٩/٥

قال صاحب «جمع الجوامع» في الكلام على مفهوم المخالفة: وشرطه ألا يكون المسكوت ترك لخوف ونحوه، إلى أن قال: أو غيره مما يقتضي التخصيص بالذكر، فإذا علمت ذلك، فاعلم أن قوله تعالى: الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى، يدل على قتل الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى، ولم يتعرض لقتل الأنثى بالذكر، أو العبد بالحر، ولا لعكسه بالمنطوق.

ومفهوم مخالفته هنا غير معتبر ؛ لأن سبب نزول الآية، أن قبيلتين من العرب اقتتلتا، فقالت إحداهما: نقتل بعبدنا فلان بن فلان، وبأمتنا فلانة بنت فلان، تطاولا منهم عليهم، وزعما أن العبد منهم بمنزلة الحر من أولئك، وأن أنثاهم أيضا بمنزلة الرجل من الآخرين، تطاولا عليهم، وإظهارا لشرفهم عليهم، ذكر معنى هذا القرطبي، عن الشعبي، وقتادة.

وروى ابن أبي حاتم نحوه عن سعيد بن جبير، نقله عنه ابن كثير في تفسيره، والسيوطي في أسباب النزول، وذكر ابن كثير أنها نزلت في قريظة والنضير، لأنهم كان بينهم قتال، وبنو النضير يتطاولون على بني قريظة. فالجميع متفق على أن سبب نزولها أن قوما يتطاولون على قوم، ويقولون: إن العبد منا لا يساويه العبد منكم، وإنما يساويه الحر منكم، والمرأة منا لا تساويها المرأة منكم، وإنما يساويها الرجل منكم، فنزل القرآن مبينا أنهم سواء، وليس المتطاول منهم على صاحبه بأشرف منه، ولهذا لم يعتبر مفهوم المخالفة هنا.

وأما قتل الحر بالعبد، فقد اختلف فيه، وجمهور العلماء على أنه لا يقتل حر بعبد، منهم مالك، وإسحاق، وأبو ثور، والشافعي، وأحمد.

وممن قال بهذا أبو بكر، وعمر، وعلي، وزيد، وابن الزبير – رضي الله عنهم – وعمر بن عبد العزيز، وعطاء، والحسن، وعكرمة، وعمرو بن دينار، كما نقله عنهم ابن قدامة في المغني، وغيره.

وقال أبو حنيفة: يقتل الحر بالعبد: وهو مروي عن سعيد بن المسيب، والنخعي، وقتادة، والثوري، واحتج هؤلاء على قتل الحر بالعبد، بقوله – صلى الله عليه وسلم –: «المؤمنون تتكافأ." (١)

"قال: حمر، قال «: هل فيها من أورق» ؟ قال: إن فيها لورقا، قال «: ومن أين جاءها ذلك» ؟ قال: لعل عرقا نزعه، قال «: وهذا الغلام الأسود لعل عرقا نزعه» ، قالوا: ولأن التعريض محتمل **لمعنى آخر** غير القذف، وكل كلام يحتمل معنيين لم يكن قذفا، هذا هو حاصل حجة من قالوا بأن التعريض بالقذف، لا يوجب الحد، وإنما يجب الحد بالتصريح بالقذف.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٨٢/١

وذهبت جماعة آخرون من أهل العلم إلى أن التعريض بالقذف يجب به الحد، وهو مذهب مالك وأصحابه، وقال ابن قدامة في «المغني» : وروى الأثرم وغيره، عن الإمام أحمد أن عليه الحد، يعني المعرض بالقذف، قال: وروي ذلك عن عمر - رضي الله عنه - وبه قال إسحاق إلى أن قال: وقال معمر: إن عمر كان يجلد الحد في التعريض، اهـ.

واحتج أهل هذا القول بأدلة منها ما ذكره القرطبي، قال: والدليل لما قاله مالك: هو أن موضوع الحد في القذف، إنما هو لإزالة المعرة التي أوقعها القاذف بالمقذوف، وإذا حصلت المعرة بالتعريض، وجب أن يكون قذفا كالتصريح والمعول على الفهم، وقد قال تعالى مخبرا عن قوم شعيب أنهم قالوا له: إنك لأنت الحليم الرشيد [١١ \ ٨٧] ، أي: السفيه الضال، فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره المدح في أحد التأويلات حسب ما تقدم في سورة «هود» ، وقال تعالى في أبي جهل: ذق إنك أنت العزيز الكريم [٤٤ \ ٤٩] ، وقال تعالى في الذين قذفوا مريم أنهم قالوا: يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا [١٩ \ ٢٨] ، فمدحوا أباها، ونفوا عن أمها البغاء، أي: الزنى وعرضوا لمريم بذلك، ولذلك قال تعالى: وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما [٤ \ ١٥٦] ، وكفرهم معروف والبهتان العظيم هو التعريض لها، أي: ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي: أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد، وقال تعالى: قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين [٣٤ \ ٢٤] ، فهذا اللفظ قد فهم منه أن المراد به أن الكفار على غير هدى، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الهدى، ففهم من هذا التعريض ما يفهم من صريحه، اهـ محل الغرض من كلام القرطبي مع تصرف قليل لإيضاح المراد.

وحاصل كلام القرطبي المذكور: أن من أدلة القائلين بوجوب الحد بالتعريض آيات قرآنية، وبين وجه دلالتها على ذلك كما رأيته، وذكر أن من أدلتهم أن المعرة اللاحقة." (١)

"قوله تعالى: وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. المنقلب هنا المرجع والمصير، والأظهر أنه هنا مصدر ميمي، وقد تقرر في فن الصرف أن الفعل إذا زاد على ثلاثة أحرف كان كل من مصدره الميمي، واسم مكانه، واسم زمانه على صيغة اسم المفعول.

والمعنى: وسيعلم الذين ظلموا أي مرجع يرجعون، وأي مصير يصيرون، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة، من أن الظالمين سيعلمون يوم القيامة المرجع الذي يرجعون، أي: يعلمون العاقبة السيئة التي هي مآلهم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٣٦/٥

ومصيرهم ومرجعهم، جاء في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى: كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين [١٠٢ \ ٣ - ٧] وقوله تعالى: وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا [٢٥ \ ٤٢] وقوله تعالى: وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار [١٣ \ ٤٢] والآيات بمثل ذلك كثيرة جدا.

وقوله: أي منقلب، ما ناب عن المطلق من قوله: ينقلبون، وليس مفعولا به، لقوله: وسيعلم، قال القرطبي: وأي منصوب ينقلبون، وهو بمعنى المصدر، ولا يجوز أن يكون منصوبا بـ سيعلم، لأن أيا وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها فيما ذكره النحويون، قال النحاس: وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر، فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض، انتهى منه. والعلم عند الله تعالى.." (١)

"وبين أنها صفة تأثير كالقدرة في قوله تعالى: قال ياإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي، فتصريحه تعالى بأنه خلق نبيه آدم بهذه الصفة العظيمة التي هي صفات كماله وجلاله يدل على أنها من صفات التأثير كما ترى.

ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة، لإجماع أهل الحق والباطل، كلهم على أنه لا يجوز تثنية القدرة.

ولا يخطر في ذهن المسلم المراجع عقله دخول الجارحة التي هي عظم ولحم ودم في معنى هذا اللفظ الدال على هذه الصفة العظيمة من صفات خالق السماوات والأرض.

فاعلم أيها المدعي أن ظاهر لفظ اليد في الآية المذكورة وأمثالها لا يليق بالله ؛ لأن ظاهرها التشبيه بجارحة الإنسان، وأنها يجب صرفها عن هذا الظاهر الخبيث، ولم تكتف بهذا حتى ادعيت الإجماع على صرفها عن ظاهرها - أن قولك هذا كله افتراء عظيم على الله تعالى، وعلى كتابه العظيم، وأنك بسببه كنت أعظم المشبهين والمجسمين، وقد جرك شؤم هذا التشبيه إلى ورطة التعطيل، فنفيت الوصف الذي أثبته الله في كتابه لنفسه بدعوى أنه لا يليق به، وأولته بمعنى آخر من تلقاء نفسك بلا مستند من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا قول أحد من السلف.

وماذا عليك لو صدقت الله، وآمنت بما مدح به نفسه على الوجه اللائق بكماله وجلاله من غير كيف، ولا تشبيه، ولا تعطيل؟

وبأي موجب سوغت لذهنك أن يخطر فيه صفة المخلوق عند ذكر صفة الخالق؟

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٠٨/٦

هل تلتبس صفة الخالق بصفة المخلوق عن أحد حتى يفهم صفة المخلوق من اللفظ الدال على صفة الخالق؟

فاخش الله يا إنسان، واحذر من التقول على الله بلا علم، وآمن بما جاء في كتاب الله مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه.

واعلم أن الله الذي أحاط علمه بكل شيء لا يخفى عليه الفرق بين الوصف اللائق به والوصف غير اللائق به، حتى يأتي إنسان فيتحكم في ذلك فيقول: هذا الذي وصفت به." (١)

"بعلمه كالمتشابه، أو كان مما يعلمه الراسخون في العلم، كما قال الله عنهم: والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا [٣ \ ٧] .

فلا شك أن قوله تعالى: لما خلقت بيدي من عند ربنا، وقوله تعالى: والله على كل شيء قدير [٢ \ ٢٨٤] من عند ربنا أيضا فيجب علينا الإيمان بالجميع ؛ لأنه كله من عند ربنا.

أما الذي يفرق بينه، وهو عالم بأن كله من عند ربه، بأن هذا يشتق منه، وهذا لا يشتق منه فقد آمن ببعض الكتاب دون بعض.

والمقصود أن كل ما جاء من عند الله يجب الإيمان به، سواء كان من المتشابه، أو من غير المتشابه، وسواء كان يشتق منه أو لا.

ومعلوم أن مالكا - رحمه الله - سئل كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب.

وما يزعمه بعضهم من أن القدرة والإرادة مثلا ونحوهما ليست كاليد، والوجه، بدعوى أن القدرة والإرادة مثلا ظهرت آثارهما في العالم العلوي والسفلي، بخلاف غيرهما كصفة اليد ونحوها فهو من أعظم الباطل.

ومما يوضح ذلك أن الذي يقوله هو وأبوه وجده من آثار صفة اليد التي خلق الله بها نبيه آدم.

ونحن نرجو أن يغفر الله تعالى للذين ماتوا على هذا الاعتقاد ؛ لأنهم لا يقصدون تشبيه الله بخلقه، وإنما يحاولون تنزيهه عن مشابهة خلقه.

فقصدهم حسن، ولكن طريقهم إلى ذلك القصد سيئة.

وإنما نشأ لهم ذلك السوء بسبب أنهم ظنوا لفظ الصفة التي مدح الله بها نفسه يدل ظاهره على مشابهة صفة الخلق فنفوا الصفة التي ظنوا أنها لا تليق قصدا منهم لتنزيه الله، وأولوها **بمعنى آخر** يقتضي التنزيه في

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٧/٢٧٢

ظنهم فهم كما قال الشافعي رحمه الله: رام نفعا فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقا ونحن نرجو أن يغفر الله لهم خطأهم، وأن يكونوا داخلين في قوله تعالى:." (١)

"وإذا كان يراد بها التعظيم، لا التعدد؛ علم بذلك أنها لا تصح بها معارضة قوله: لما خلقت بيدي، لأنها دلت على صفة اليدين. والجمع في قوله: أيدينا لمجرد التعظيم.

وما كان كذلك لا يدل على التعدد فيطلب الدليل من غيره، فإن دل على أن المراد بالتعظيم واحد حكم بذلك، كالآيات المتقدمة.

وإن دل على معنى آخر حكم به.

فقوله مثلا: وإنا له لحافظون [١٥ \ ٩] ، قام فيه البرهان القطعي أنه حافظ واحد، وكذلك قوله: أم نحن الخالقون [٥٦ \ ٥٩] ، أم نحن المنزلون [٥٦ \ ٦٩] ، أم نحن المنشئون [٥٦ \ ٧٢] ، فإنه قد قام في كل ذلك البرهان القطعي على أنه خالق واحد، ومنزل واحد، ومنشئ واحد.

وأما قوله: مما عملت أيدينا [٣٦ \ ٧١] ، فقد دل البرهان القطعي على أن الله موصوف بصفة اليدين كما صرح به في قوله: لما خلقت بيدي [٣٨ \ ٧٥] ، كما تقدم إيضاحه قريبا.

وقد علمت أن صيغة الجمع في قوله: لحافظون [١٥ \ ٩] ، وقوله: أم نحن الخالقون [٥٦ \ ٥٩] ، وقوله: أم نحن المنزلون [٥٦ \ ٦٩] ، وقوله: أم نحن المنشئون [٥٦ \ ٧٢] ، وقوله: خلقنا لهم مما عملت أيدينا [٣٦ \ ٧١] ، لا يراد بشيء منه معنى الجمع، وإنما يراد به التعظيم فقط.

وقد أجاب أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتاب الإبانة بما يقرب من هذا في المعنى.

واعلم أن لفظ اليدين قد يستعمل في اللغة العربية استعمالا خاصا، بلفظ خاص لا تقصد به في ذلك النعمة ولا الجارحة ولا القدرة، وإنما يراد به معنى أمام.

واللفظ المختص بهذا المعنى هو لفظة اليدين التي أضيفت إليها لفظة «بين» خاصة، أعني لفظة «بين يديه» ، فإن المراد بهذه اللفظة أمامه. وهو استعمال عربي معروف مشهور في لغة العرب لا يقصد فيه معنى الجارحة ولا النعمة ولا القدرة، ولا أي صفة كائنة ما كانت.." (٢)

"التي مثلوا بها، بل ستكون أقل من ذلك، كما قال تعالى: وسيرت الجبال فكانت سرابا [٧٨ \ ٢٠] ، فظهر بطلان هذا القول الذي استبعدها لعدم إدراك العقل لها.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٧٤/٧

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٨٨/٧

أما من يؤول هذا المعنى إلى **معنى آخر**، فهو قريب من الأول من حيث المبدأ، إلا أنه أثبت الأصل وفسره بما يتناسب والعقل.

وهو محكي عن الإمام محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا، إذ فسر الحجارة من سجيل، بأنه وباء الجدري.

وبالتالي: فالطير الأبابيل: هي البعوض وما أشبهه.

وقد اعتذر له السيد قطب: بأن الدافع لذلك هو ما كان شائعا في عصره من موجات متضاربة، موجة انحراف في التفكير نحو الإسلام واستغلال الإسرائيليات، كمثال على ما يشبه الأباطيل في تشويه حقائق الإسلام عند غير المسلمين.

ومن ناحية أخرى طوفان علمي حديث، من إنتاج العقل البشري فبدلا من أن تثبت حادثة كهذه صرفت إلى ما يألفه العقل من إيقاع ميكروب الجدري بجيش أبرهة حتى أهلكه، لكي لا يتصادم في إثبات الحادثة على ما نص عليه القرآن بواقع العقلية العلمانية الحديثة.

هذا ملخص ما اعتذر به السيد قطب عن هذا القول.

ولكن من الناحية العلمية والنصوص القرآنية، فقد تقدم: أن الحجارة التي من سجيل، جاء النص على أنها ليست خاصة بهؤلاء القوم، بل ألقيت على قوم لوط، بعد أن جعل عاليها سافلها، فما موقع الجدري منهم بعد إهلاكهم بإفكها المذكورة؟

ثم جاء أيضا: أنها من طين، فأين الطين من الجراثيم الجدرية؟

ومن الناحية العلمية: من أين جيء بمكروب الجدري؟ وأين كان قبل أن تأتي به الطير الأبابيل؟

ومتى كان ميكروب الجدري أو غيره يميز بين قرشي وحبشي؟

ومتى كان أي ميكروب يفتك بقوم وبسرعة، فجعلهم كعصف مأكول، مع أن: فجعلهم، تشعر بالسرعة في إهلاكهم، والعصف اليابس الذي تعصف به الريح لخفته.." (١)

"أما القياس على لفظتي رجل ونفر، فقد رده شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا بأنهما وردا مقيدين «رجال من الجن» ، «نفرا من الجن» .

أما على الإطلاق فلم يردا، وهكذا لفظ الناس فلا مانع من استعماله مقيدا ناس من الجن. أما على الإطلاق فلا.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٩/١٠٥

وعليه فحيث ورد لفظ الناس هنا مطلقا فلا يصح حمله على الجن والإنس معا، بل يكون خاصا بالإنس فقط، ويكون في صدور الناس أي: في صدور الإنس.

وقد ذكر أبو السعود معنى آخر في لفظ الناس: وهو أن الناسي عن النسيان، حذفت الياء تخفيفا لأن الوسواس لا يوسوس إلا في حين النسيان والغفلة.

وعليه يكون حذف الياء كحذفها من «الداع» في قوله: يوم يدعو الداعي [٥٤ \ ٦] ونحوه.

ولكن يبقى على هذا القول بيان من المراد بالناسي، أهو من الإنس أم من الجن، فلم يخرج عن الاحتمالين السابقين، مع أن هذا القول من لوازم معنى الوسواس الخناس.

ويرد على هذا القول جمع الصدور وإفراد الناس، والجمع لا يضاف إلا إلى جمع، أي جمع الصدور، لأن الفرد ليس له جمع من الصدور، فيقابل الجمع بجمع، أو يكتفي بالمفرد بمفرد.

وقد جاء في إضافة الجمع إلى المثنى في قوله: فقد صغت قلوبكما [٦٦ \ ٤] .

قال أبو حيان: وحسنه أن المثنى جمع في المعنى، والجمع في مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى، والتثنية دون الجمع.

كما قال الشاعر:

فتخالسا نفسيهما بنوافذ ... كنوافذ العبط التي لا ترفع." (١)

"العرضة: المانع. اللغو: ما يقع من غير قصد.

ولا تجعلوا الحلف بالله مانعا لكم من عمل الخير والتقوى الاصلاح بين الناس، فاذا حلفتم الا تفعلوا، فكفروا عن أيمانكم وأتوا الخير، لأن عمل البر أولى من المحافظة على اليمين. فالله لا يرضى ان يكون اسمه حجابا دون الخير.

وكثيرا ما يتسرع الانسان الى الحلف بالله بأن لايفعل كذا ويكون خيرا، أو ان يفعل كذا ويكون شرا، فنهانا الله عن ذلك. وقدج ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري انه قال: «اني والله ان شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا أتيت الذي هو خير وتحللتها» ، وروى مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله: «من حلف يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير» .

ورأى بعض المفسرين في الآية معنى آخر، وهو النهي عن الجرأة على الله تعالى بكثرة الحلف به، وذلك أن من أكثر من ذكر شيء في معنى خاص فقد جعله عرضة.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٩/ ١٨١

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ : اي لا يؤاخذكم بما يقع منكم من الأيمان اثناء الكلام دون ان تقصدوا به عقد اليمين. . فلا كفارة عليكم فيه، شأن كثير من المزاح. ومثله ان يحلف على الشيء يظنه ثم يظهر خلافه، أو يحلف وهو غضبان. ولكن يؤاخذكم الله بما نويتم من اليمين على ايقاع فعل أو عدم ايقاعه، وعلى الكذب في القول مع التوثيق باليمين، لهذا عليه الكفارة. . حتى لا تجعلوا اسمه الكريم عرضة للابتذال. والله عفور لمن يتوب، حليم يعفو عما لا تكتسبه القلوب.." (١)

"ربيون: مفرده ربي. الجماعات الكثيرة، وله معنى آخر هو الربانيون، اي العلماء الأتقياء. هنوا: وضعفوا. استكانوا: خضعوا للعدو. الاسراف: مجاوزة الحد في كل شيء.

ما أكثر الأنبياء الذين قاتل معهم جماعات ممن آمنوا بهم فما خافوا ولا ضعفوا ولا خضعوا، ولا ولوا الأدبار منهزمين، بل ثبتوا وصبروا على ما أصابهم في سبيل الله، والله يحب الصابرين.

فعليكم يا أصحاب محمد ان تعتبروا بحال أولئك الربيين وتصبروا كما صبروا. ولذلك طلب الكيم ان تعرفوا عاقبة من سبقكم من الامم، وتقتدوا بعمل الصادقين منهم، وتقولوا مثل قولهم عند اشتداد الحرب ونزول الكوارث. ذلك انهم مع ثباتهم وصبرهم ضرعوا الى الله بالدعاء قائلين: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وتجاوز عما يكون منا من إسراف في أعمالنا، وثبتنا في مواطن الحرب، ربنا وانصرنا على أعداء دينك الذين جحدوا ألوهيتك.

وفي هذا اشارة الى ان الذنوب والإسراف في الأمور من عوامل الخذلان، فيما الطاعة والثبات والاستقامة من أسباب النصر والفلاح.

اذ ذاك لبى الله طلبهم بقوله: فآتاهم الله ثواب الدنيا، بالنصر على الأعداء، والسيادة في الأرض، والكرامة في الحياة، والذكر الحسن بين الناس؛ وثواب الآخرة اذ فازوا برضوان الله ورحمته.

والله تعالى يتلو على نبيه هذه الآيات ليعلمنا الاقتداء بالصالحين من الأمم السابقة، ويؤدبنا بأدب المؤمنين مع ربهم، ويفهمنا أننا اذا أخلصنا حقا وثبتنا على مبادئنا ثم طلبنا منه النصر فإنه يجيبنا وينصرنا بكرمه وفضله.

قارءات:

قرأ ابن كثير: «كأين» بدون تشديد، والباقون «كأين» بتشديد الياء. والمعنى واحد.." (٢)

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ١٢٧/١

(٢) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٢٢٧/١

"مددناها: بسطناها. رواسي: هي الجبال الثابتة. موزون: مقدر. فانزلنا: فأعطينا. لواقح: جمع لاقح. معناها حوامل للماء، **ومعنى آخر** لانها تلقح النباتات والشجر. المستقدمين: الذين ماتوا. المستأخرين: الاحياء الذين لم يموتوا بعد.

﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ .

وخلقنا لكم الأرض ومهدناها حتى صارت كالبساط الممدود، ووضعنا فيها جبالا راسيات ثابتة، وأنبتنا لكم فيها من كل أنواع النبات ما يحفظ حياتكم، وجعلناه مقدرا بأزمانس معينة في نموه وغذائه، ومقدرا بمقدار حاجتكم، في أشكاله في الخلق والطبيعة.

وتقرر هذه الآية حقيقة كونية لم تعرف الا في العصور الأخيرة، وهي ان كل صنف من المبات أفراده متماثلة من الوجهة الظاهرية، وكذلك في التناسق الداخلي، التوازن دقيق فيكل أجهزة النبات المختلفة، وكذلك بين الخلايا لتحقيق الغرض الذي وجدت من أجله.

﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ .

وجلعنا لكم في الأرض أسباب المعيشة الطيبة من غذاء وماء، ولباس ودواء، ومعادن تنفعون بها، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى. وكما أن فيها أسباب المعيشة الطيبة ففيها المعيشة لمن يكونون في ولايتكم من عيال وأبتاع، فالله وحده يرزقهم وإياكم، فكل أولئك رزقهم على خالقهم لا عليكم.

﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ .

وما من شيء ينتفع به العباد من المصادر والموارد إلا هو موجود عندنا مخزون، وما نعطيه الا بقدر معلوم وحسب مشيئتنا وحاجة الخلق اليه.

ثم فصل بعض ما في خزائنه من النعم فقال:

﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السمآء ماء فأسقيناكموه ومآ أنتم له بخازنين﴾ .

وقد أرسل الله تعالى الرياح بالماء تحمله، فتحيي الأمطار الخلق والأرض وتعطيها حياة جديدة، فتزهر بكل لون بهيج، ويشرب منها الإنسان ويسقي زرعه وحيوانه.

والخلاصة: نحن القادرون على ايجاد الماء وخزنه في السحاب وإنزاله مطرا، وما أنتم على ذلك بقادرين، لأنه في دورة مستمرة، يبتخر من البحر والأرض، ثم تحمله السحب فينزل على الارض ويعود الى البحر.

وقد زاد بعض المفسرين **معنى آخر** لكملة لواقح فقالوا: إن الرياح تحمل اللقاح من شجرة الى شجرة، ومن نبته الى أختها، وهذا ايضا لم يكن معروفا في الازمان السابقة، فيكون هذا ايضا من معجزات القرآن الكريم.

قراءات:

قرأ حمز وحده: «وارسلنا الريح» بالإفراد، والباقون بالجمع كما هو في المصحف.

بعد ان ذكر الله تعالى نظم المعيشة في هذه الحياة بين ان الحياة والموت بيده وانه هو الحي الباقي يرث الارض ومن عليها.

﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ .

ان كل شيء في هذه الحياة مرجعه الى الله، الحياة والموت بيده، وسيموت الخلق جميعا ولا يبقى حي سواه.

﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٧ - ٢٨] .

﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ .

ولقد علمنا من مضى منكم وأحصيناهم وما كانوا يعملون، وعلمنا من هو حي ومن سيأتي بعدكم، فلا تخفى علينا أحوالكم ولا أعمالكم.

﴿وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم﴾ .

وسيجمع الله المتقدمين والمتأخرين جميعا عنده يوم القيامة وإليه المصير، حيث يجازي كلا بما عمل، وهو حكيم يقدر لكل أمة أجلها بحكمته، ويعلم متى تموت ومتى تحشر.." (١)

"من صلصال: من طين يابس غير مطبوخ. من حمأ: طين اسود. مسنون: يمكمن تصويره على هيئة الانسان، وله **معنى آخر** وهو المتغير. الجان: الجن وهم نوع من الخلق لا نراهم. نار السموم: النار الشديدة الحرارة. سويته: اتممت خلقه. نفخت فيه من روحي: جعلت فيه الحياة.

بعد جولة طويلة في بيان تنزيل الذكر، وتنزيل الملائكة، ورجم الشياطين، وتنزيل الماء من السماء؛ ثم ذكر ما في هذا الكون من مشاهد وعجائب كالسماء والكواكب والبروج والشهب والأرض والجبال والنبات والرياح؛ وبعد ضرب الأمثلة على المكابرة من الكفار المعاندين- بعد هذا كله يأتي الحديث عن قصة البشرية وخلق الإنسان والجان بطبيعتين مختلفتين، وقصة الهدى والضلال. وقد عرضت هذه القصة في سورة البقرة، وفي سورة الأعراف، وفي كل مرة لها عرض مخلتف وجو خاص، يلائم السياق ويتمشى مع الغرض المطلوب. وهنا يركز سبحانه على سر التكوين في آدم، وسر الهدى والضلال وعواملهما الأصلية في كيان الانسان:

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٢/٢٩٨

﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ .

نحن في خلقنا للعالمين في هذه الأرض خلقنا طبيعتين: خلقنا الانسان من طين يابس يصلصل ويصوت عند نقره. ﴿والجآن خلقناه من قبل من نار السموم﴾ أما عالم الجن فقد خلقناه من قبل آدم من نار السموم الشديدة الحرارة.

﴿وإذ قال ربك للملآئكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون﴾ .

أذكر ايها النبي إذ قال ربك للملائكة إني سأخلق بشرا من طين هذه الارض.

﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ .

فإذا اكملت خلقه، وشرفته على سائر المخلوقات ونفخت فيه من روحي، (وبهذه النفخة العلوية فرقت بينه وبين سائر الأحياء، ومنحته خصائصه الإنسانية، حيث تصله بالملأ الاعلى، وتجعله أهلا للاتصال بالله) فاسجدوا له سجود تحية واكرام، لا سجود عبادة. . . . فإن العبادة لله وحده.

﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ .

فسدوا جميعا خاضعين لامر الله، الا إبليس رفض اني يسجد واستكبر أن يكون مع الملائكة الآخرين.." (١)

"بإمامهم: بكتابهم الذي فيه اعمال. وله **معنى آخر**: بامامهم: صاحب رسالتهم كأن يقول ادعوا اصحاب ابراهيم، اعوا ابتاع موسى الخ. . . . الفتيل: اصل الفتيل: الخيط الضئيل الذي على نواة التمر، والمقصود به هنا الشيء الذي لا قيمة له. أعمى: اعمى البصيرة.

﴿ولقد كرمنا بني آدم الآية. . . .﴾ .

ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة، واعتدال القوام، وبالمواهب العقلية والنطق والتفكير، وحملناهم برا وبحرا وجوا ولا نجدري ما يستجد من مواصلات في المستقبل لان الله تعالى يقول: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل: ٩] وزرقناهم من الطيبات المستلذة، وفضلناهم على كثير من المخلوقات.

﴿يوم ندعوا كل أناس بإمامهم﴾ اذكر ايها النبي لقومك يوم ندعو كل قوم باسم زعيمهم فيقال يا اصحاب موسى. يا أهل القرآن، ليتسلموا كتب اعمالهم، فمن أعطي كتابه بيمينه وهم السعداء فأولئك يقرأون كتابهم مسرورين، ولا ينقص من اجرهم شيء.

﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ .

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٢/٢٩٩

ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب والبصيرة فسيبقى على حالته ويكون في الآخرة اكثر عمى وابعد مدى في الضلال، وابعد عن سبيل الخير.

قراءات:

قرأ حمزة والكسائي وابو بكر: اعمي بالامالة." (١)

"الكفار: هنا الزراع، يقال: كفر الزارع البذر بالتراب، غطاه. يهيج: ييبس ويصفر، وفعل هاج له **معنى آخر**، يقال: هاج القوم هيجا وهيجانا: ثاروا لمشقة او ضرر. وللفعل هاج معان اخرى. حطاما: هشيما متكسرا. متاع الغرور: الخديعة. في كتاب: في اللوح المحفوظ. نبرأها: نخلقها. لا تأسوا: لا تحزنوا. كل مختال: متكبر. فخور: المتباهي بنفسه.

يبين الله تعالى هنا حقارة الدنيا وسرعة زوالها. اعلموا أيها الناس أنما الحياة الدنيا لعب لا ثمرة له، ولهو يشغل الانسان عما ينفعه، وزينة لا بقاء لها، وتفاخر بينكم بأنساب زائلة وعظام بالية، وتكاثر بالعدد في الأموال والأولاد. مثلها في ذلك مثل مطر نزل في أرض قوم وأنبت زرعا طيبا اعجب الزراع، ثم يكمل ويهيج ويبلغ تمامه، فتراه بعد ذلك مصفرا ثم يصير حطاما منكسرا لا يبقى منه ما ينفع. فمن آمن وعمل في الدنيا عملا صالحا واتخذ الدنيا مزرعة للآخرة نجا، ودخل الجنة. وفي الآخرة عذاب شديد لمن آثر الدنيا وأخذها بغير حقها، وفيها مغفرة لمن عمل صالحا وآثر آخرته على دنياه. ﴿وما الحياة الدنيآ إلا متاع الغرور﴾ متاع زائل وخديعة باطلة لا تدوم.

ثم بعد ان بين الله أن الآخرة قريبة، فيها العذاب والنعيم – حث إلى المبادرة الى فعل الخيرات فقال: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم. . . .﴾

تسابقوا أيها المؤمنون في عمل الخير، حتى تنالوا مغفرة من ربكم، وتدخلوا جنة سعتها كسعة السماء والارض، هيئت للذين آمنوا واتقوا ربهم، ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله ذو الفضل العظيم﴾ فهو واسع العطاء عظيم الفضل، يعطي من يشاء بغير حساب.

ما أصابكم أيها الناس من مصائب في الأرض من قحط او جدب وفساد زرع او كوارث عامة كالزلازل وغيرها، او في أنفسكم من مرض او موت او فقر او غير ذلك – إنما هو مكتوب عندنا في اللوح المحفوظ، مثبت في علم الله من قبل ان يبرأ هذه الخليقة. وما اثبات هذه الأمور والعلم بها الا أمر يسير على الله.

﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بمآ آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٣٥٦/٢

وحيث علمتم ان كل ما يجري هو بعلم اله وقضائه وقدره - عليكم ألا تحزنوا على ما لم تحصلوا عليه حزنا مفرطا يجركم الى السخط، ولا تفرحوا فرحا مبطرا بما أعطاكم، فالله لا يحب كل متكبر فخور على الناس بما عنده.

قال عكرمة: ليس أحد الا وهو يحزن او يفرح، ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا. وما من إنسان الا يحزن ويفرح، ولكن الحزن المذموم هو ما يخرج بصاحبه الى ما يذهب عنه الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء الثواب، والفرح المنهي عنه هو الذي يطغى على صاحبه ويلهيه عن الشكر.." [(١)]

"جهة بيانه، فإنه لا يكون له إلا معنى واحد فقط، ومن أمثلة ذلك: تفسيرهم لقوله تعالى: لا ريب فيه [البقرة: ٣]، فقد ورد عن أبي الدرداء (ت: ٣٢ هـ)، وابن مسعود ت: ٣٢ هـ)، وابن عباس (ت: ٦٨ هـ)، تفسير الريب بالشك (١)

ولا يوجد للريب معنى آخر (٢)، فيقع احتماله (٣) لذا حكى بعض المفسرين الإجماع في ذلك (٤).

أما بقية أنواع تفسير السلف، وهي ما يرويه التابعون عن الصحابة، وما يرويه أتباع التابعين عن التابعين، وتفسير السلف بالرأي؛ فسأجعل الكلام في حجيتها في نقاط يترتب بعضها على بعض:

١ - لا يوجد في القرآن لفظ لا معنى له، ولا لفظة مجهولة المعني، بل كل ألفاظ القرآن معلومة المعني.

٢ - نزل القرآن بلغتهم (العربية)، وليس فيه شيء من المعاني بغيرها.

وإذا كان لا يوجد فيه ما لا معنى له أو ما هو مجهول المعنى، فإن هذا يعني أن القرآن كله معلوم المعنى لكونه نزل بلغتهم.

ولهذا لا يوجد لفظة توقفوا جميعا - في تفسيرها، بل إن الحروف المقطعة. وهي لا تدخل في الألفاظ. قد تكلموا فيها، مما يدل على أنها ليس مما استأثر الله بعلمه، بل هي مما يدخل تحت علمهم، وإلا لما تكلموا فيها.

٣ - يصح: أن يقال: إن آية من الآيات لم يفهم معناها هؤلاء الكرام؟

---

(١) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: شاكر ٢٢٨/ ١، وفي تفسير ابن أبي حاتم خبر أبي الدرداء ٣٤/ ١.

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٣٠٧/٣

(٢) قال ابن فارس في مقاييس اللغة: «الراء والياء والباء أصيل يدل على شك، أو شك خوف، فالريب: الشك. قال الله جل ثناؤه: الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه [البقرة: ١ - ٢]؛ أي: لا شك. ثم قال الشاعر:

فقالوا: تركنا القوم قد حصروا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم»

(٣). قد يظن بعضهم أن تحريرات بعض المتأخرين في مدلول اللفظ فيها مخالفة لما فسر به السلف، وليس الأمر كذلك، فقول الراغب الأصفهاني: «فالريب: أن تتوهم بالشيء أمرا ما، فينكشف عما تتوهمه»، وهذا تعبير عن الريب لا يخالف تفسيره بالشك، بل هو نوع من التحرير في التعبير عن اللفظ، وهو مما اعتني به المتأخرون.

(٤) قال ابن أبي حاتم: «ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين؛ منهم: ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبو مالك، ونافع مولى ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، و مقاتل بن حيان، والسدي، وإسماعيل بن خالد». تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٤. ٦." [١]

"ومن أمثلته أيضا: ما ورد في معنى العتيق في قوله تعالى: (وليطوفوا بالبيت العتيق) الحج: ٢٩]؛ فقد ورد عن السلف في معنى العتيق عدة أقوال:

القول الأول: أن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه؛ فلذلك

عتيقا عن ابن الزبير وقتادة

القول الثاني: أن البيت أعتق من أن يملكه أحد فليس فيه لأحد شيء. عن مجاهد.

القول الثالث: أنه سمي عتيقا بقدمه؛ فهو أول بيت وضع للناس. عن ابن زيد).

قال الطبري بعد ذكره لهذه الأقوال: «ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله: (بالبيت العتيق) وجه صحيح، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر، غير أن الذي روي عن ابن الزبير أولى بالصحة، إن كان ما حدثني به محمد بن سهل البخاري قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: أخبرني الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهري عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط = صحيحا (٢).

فها هو يترك المعنى الغالب على الكلمة **لمعنى آخر** تحتمله لدلالة الحديث على هذا **المعنى الآخر**؛ لكنه جعل رجحان هذا المعنى مشروطا بصحة الحديث، فإن ثبتت عدم صحته فقول ابن زيد أرجح.

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١/ ١٧١

أمثلته أيضا: ما ورد عن السلف في قوله تعالى: (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) (البقرة: ١٨٤]؛ حيث اختلفوا: هل الإفطار في السفر رخصة أو عزيمة؟ وقد حكى الطبري الخلاف عنهم في ذلك، ثم رجح القول بأنه رخصة، ثم رد على من استدل بحديث: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر» (٣)

---

(١) تنظر الأقوال الثلاثة في: تفسير الطبري ١٥١/ ١٧.

(٢) تفسير الطبري ١٥١/ ١٧، ١٥٢.

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الصيام، باب ذكر قوله: الصائم في السفر كالمفطر في الحضر، ح (٢٢٨٧)، ص ٣٣٨، موقوفا على عبد الرحمن بن عوف، وابن ماجه في سننه بنحوه مرفوعا، كتاب الصيام، باب ما جاء في الإفطار في السفر، ح (١٦٦٦) ١/ ٥٣٢، والبيهقي في سننه، كتاب الصيام، باب الرخصة في الصوم في السفر، ح (٧٩٥٥) ٢٤٤/ ٤، وهو حديث ضعيف، ذكر الاختلاف في روايته أبو حاتم في علل الحديث ٢/ ٢٨، برقم (٦٩٤)، والدارقطني في العلل ٤/ ٢٨١، برقم (٥٦٤)، ورجحا أن الصحيح كونه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه موقوفا، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه، ينظر: المراسيل ٢٥٥، برقم (٤٧٥)، تهذيب التهذيب ٦/ ٣٧٠.." [١]

"(٢٤٩٤٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي - (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) الآية، قال: هم أناس كانوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - من الفقراء، فقال أناس من أشراف الناس: نؤمن لك، وإذا صلينا معك فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا أخرجه ابن جرير (٩) / (٢٦٧)، من طريق محمد بن سعد، عن أبيه، قال: حدثني عمي الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن جده عطية العوفي، عن ابن عباس به - الإسناد ضعيف، لكنها صحيفة صالحة ما لم تأت بمنكر أو مخالفة - وينظر: مقدمة الموسوعة - .

(٢٤٩٥٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي بن أبي طلحة - في قوله: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) يعني: أنه جعل بعضهم أغنياء، وبعضهم فقراء، فقال الأغنياء للفقراء: (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) يعني: هؤلاء هداهم الله! وإنما قالوا ذلك استهزاء وسخريا أخرجه ابن جرير (٩) / (٢٧١)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٢٩٩) - (١٣٠٠) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - ذكر ابن عطية ((٣) / (٣٧٠))

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٥٤٢/١

أن اللام على هذا القول هي لام الصيرورة، ثم ذكر احتمال الآية لمعنى آخر، وهو أن تكون اللام في (ليقولوا) على بابها في لام كي، وتكون المقالة منهم استفهاما لأنفسهم ومباحثة لها، وتكون سبب إيمان من سبق إيمانه منهم، ويكون معنى الآية على هذا: وكذلك ابتلينا أشراف الكفار بضعفاء المؤمنين ليتعجبوا في نفوسهم من ذلك، ويكون سبب نظر لمن هدي - ثم رجح المعنى الأول مستندا إلى أنه الأظهر، فقال: «والتأويل الأول أسبق، والثاني يتخرج» - ثم قال: «و (من) على كلا التأويلين إنما هي على معتقد المؤمنين، أي: هؤلاء من الله عليهم بزعمهم أن دينهم منة» - .

(٢٤٩٥١) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض)، يقول: ابتلينا بعضهم ببعض أخرجه عبد الرزاق (١) / (٢٠٨)، وابن جرير (٩) / (٢٧٠) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ - .

(٢٤٩٥٢) - قال محمد بن السائب الكلبي: كان الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد آمن (١) ".

"(٢٨٢٥٦) - قال مقاتل بن سليمان: (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) يعني: الذين تكبروا عن الإيمان، وهم الكبراء: (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) يعنون: الشرك؛ أو لتدخلن في ملتنا، (قال أولو كنا كارهين) تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٩) - .

(قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها)

(٢٨٢٥٧) - قال مقاتل بن سليمان: ثم قال لهم شعيب: (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم) الشرك، يعني: إن دخلنا في دينكم (بعد إذ نجانا الله منها) يقول: بعد إذ لم يجعلنا الله من أهل ملتكم الشرك تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٩) - بين ابن عطية ((٣) / (٦١٣) - (٦١٤)) أن لـ (عدنا) معنيين في كلام العرب، الأول: أن تكون بمعنى عود الشيء إلى حال كان عليها قبل ذلك - الثاني: أن تكون بمعنى: صار، ولا تتضمن أن الحال كانت متقدمة - ثم قال معلقا: «وشعيب لم يكن قط كافرا، يقتضي أنها بمعنى: صار، وأما في جهة المؤمنين بعد كفرهم فيترتب المعنى الآخر، ويخرج عنه شعيب، إلا أن يريدوا عودته إلى حال سكوته قبل أن يبعث» - والظاهر من كلام ابن تيمية ((٣) / (١٧٤) - (١٧٨)) أنه فسر (إن عدنا في ملتكم) بأن العود هنا هو الرجوع إلى حال قومه من الكفر - .

(وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٥٧/١٣

(٢٨٢٥٨) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - في قوله: (وما يكون لنا أن نعود فيها) قال: ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله، (إلا أن يشاء الله
". (١)

"(٢٨٣٦٠) - عن مقاتل بن حيان، في قوله: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) قال: أخرجهم مثل الذر، فركب فيهم العقول، ثم استنطقهم، فقال لهم: (ألست بربكم)؟ قالوا جميعا: (بلى) - فأقروا بألسنتهم، وأسر بعضهم الكفر في قلوبهم يوم الميثاق، فهو قوله: (ولقد جاءتهم رسلهم) بعد البلاغ (بالبينات فما كانوا ليؤمنوا) بعد البلوغ (بما كذبوا) يعني: يوم الميثاق، (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين)

(٢٨٣٦١) - عن أبي بن كعب - من طريق أبي العالية - (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)، قال: الميثاق الذي أخذه في ظهر آدم أخرجه ابن جرير (١٠) / (٣٤٠) - .

(٢٨٣٦٢) - عن أبي بن كعب، في قوله: (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) قال: علم الله يومئذ من يفي ممن لا يفي، فقال: (وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٢٨٣٦٣) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي - في قوله: (وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين)، قال: وذلك أن الله إنما أهلك القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به أخرجه ابن جرير (١٠) / (٣٤١)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٥٣١)، (٦) / (١٩٧٣) - .

(٢٨٣٦٤) - عن أبي العالية الرياحي - من طريق الربيع بن أنس - في قوله: (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)، قال: هو ذاك العهد يوم أخذ الميثاق أخرجه ابن أبي حاتم (٥) / (١٥٣٠) - ذكر ابن عطية ((٤) / (١١)) قول أبي العالية، ثم بين احتمال الآية **معنى آخر**، فقال: «ويحتمل أن يكون الكلام عبارة عن أنهم لم يصرفوا عقولهم في الآيات المنصوبة، ولا شكروا نعم الله، ولا قادتهم معجزات الأنبياء؛ لأن هذه الأمور عهد في رقاب العقلاء كالعهود ينبغي أن يوفى بها، وأيضا فمن لدن آدم تقرر العهد الذي هو بمعنى الوصية، وبه فسر الحسن هذه الآية، فيجيء المعنى: وما وجدنا لأكثرهم التزام عهد وقبول وصاة - ذكره المهدوي» - .

(٢٨٣٦٥) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن جريج - في قوله: (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) قال:

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٣١/١٥

الذي أخذ من بني آدم في ظهر آدم لم يفوا به، (وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) قال: القرون الماضية تفسير مجاهد ص (٣٤٠)، وأخرجه ابن جرير (١٠) / (٣٤٠)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٥٣١) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ - .

(٢٨٣٦٦) - عن الحسن البصري - من طريق المبارك - في قوله: (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)، قال: الوفاء أخرجه ابن أبي حاتم (٥) / (١٥٣١) - .

(٢٨٣٦٧) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)، يقول: فيما ابتلاهم به ثم عافاهم عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٢٨٣٦٨) - عن قتادة بن دعامة: (وما وجدنا لأكثرهم من عهد)، قال: لما ابتلاهم بالشدة والجهد والبلاء، ثم أتاهم بالرخاء والعافية، ذم الله أكثرهم عند ذلك، فقال: (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(٢٨٣٦٩) - قال مقاتل بن سليمان: (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) وذلك أن الله أخذ ميثاق ذرية آدم على المعرفة، فأقروا بذلك، فلما بلغوا العمل نقضوا العهد، (وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٢) - .

(ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا)

(٢٨٣٧٠) - عن عبد الله بن عباس، قال: إنما سمي: موسى؛ لأنه ألقي بين ماء وشجر، فالماء بالقبطية: مو، والشجر: سى عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(٢٨٣٧١) - قال مقاتل بن سليمان: (ثم بعثنا من بعدهم) يعني: من بعد الرسل (موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه) يعني: اليد، والعصا تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٢) - .

(إلى فرعون وملإيه)

(٢٨٣٧٢) - ." [1]

"(فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين (٧٣))

(٣٤٧٣٧) - قال مقاتل بن سليمان: (فكذبوه فنجيناه ومن معه) من المؤمنين (في الفلك) يعني: السفينة، (وجعلناهم خلائف) في الأرض من بعد نوح، (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) يعني: بنوح وما جاء به، (فانظر)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤٧/١٥

يا محمد (كيف كان عاقبة المنذرين) يعني: المحذرين تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٤٤) - .

(ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين (٧٤)) تفسير

(٣٤٧٣٨) - عن أبي بن كعب - من طريق أبي العالية - في قوله: (ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل): كان في علمه يوم أقروا به من يصدق به ومن يكذب به، فكان عيسى من تلك الأزواج التي أخذ عليها العهد والميثاق في زمان آدم أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٩٧٢) - .

(٣٤٧٣٩) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - قوله: (بما كذبوا به من قبل) قول الله: (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) [الأنعام: (٢٨)] أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٩٧٢) - .

(٣٤٧٤٠) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - قوله: (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل)، قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق آمنوا كرها أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٩٧٢) - وقد ذكر أيضا هذه الآثار عند تفسير قوله تعالى: (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) [الأعراف: (١٠١)] - ذكر ابن عطية ((٤) / (٥٠٨)) في معنى الآية قولا آخر، فقال: «يحتمل اللفظ عندي **معنى آخر**، وهو أن تكون» ما «مصدرية، والمعنى: فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله أن لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل، أي: من سببه ومن جراه - ويؤيد هذا التأويل قوله: (كذلك نطبع)» - .

". (١)

"(٣٥٧٧٦) - قال مقاتل بن سليمان: (ويستخلف ربي) بعد هلاككم (قوما غيركم) أمثل وأطوع لله منكم تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٨٧) - .

(ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ (٥٧))

قراءات

(٣٥٧٧٧) - عن الأعمش، في قراءة عبد الله [بن مسعود]: (ولا تنقصوه شيئا) مكان (ولا تضرونه شيئا) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١) / (٣١٩) - وهي قراءة شاذة - انظر: البحر المحيط (٥) / (٢٣٤) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١٦/١٩

تفسير الآية

(٣٥٧٧٨) - قال مقاتل بن سليمان: (ولا تضرونه شيئا) يقول: ولا تنقصونه من ملكه شيئا، إنما تنقصون أنفسكم، (إن ربي على كل شيء) من أعمالكم (حفيظ) تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٨٧) - ذكر ابن عطية ((٤) / (٥٩٧)) في الآية قولين، فقال: «وقوله: (ولا تضرونه شيئا) يحتمل من المعنى وجهين: أحدهما: ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيئا، أي: لا ينتقص ملكه، ولا يختل أمره، وعلى هذا المعنى قرأ ابن مسعود: (ولا تنقصونه شيئا» - **والمعنى الآخر**: (ولا تضرونه) أي ولا تقدرون إذا أهلككم على إضراره بشيء، ولا على الانتصار منه، ولا تقابلون فعله بكم بشيء يضره" - .

(ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا)

(٣٥٧٧٩) - قال مقاتل بن سليمان: (ولما جاء أمرنا) يعني: قولنا في نزول العذاب (نجينا هودا والذين آمنوا معه) من العذاب (برحمة منا) يعني: بنعمة منا عليهم تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٨٧) - .

(ونجيناهم من عذاب غليظ (٥٨))

". (١)

"التوراة؛ عبد الله بن سلام، فهو يشهد أني نبي رسول مكتوب في التوراة تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٣٨٤) - اختلف في معنى قوله تعالى: (ومن عنده علم الكتاب) بحسب اختلاف القراء في كيفية قراءتها، فقد قرأها بعض القراء بفتح ميم: (من) وفتح دال (عنده)، وقرأها آخرون بكسر ميم (من) وكسر دال (عنده) - وقد وجه ابن جرير ((١٣) / (٥٨٢)) القراءة الأولى، وبين المعنى عليها بقوله: «ف (من) إذا قرئ كذلك في موضع خفض عطفا به على اسم الله، وكذلك قرأته قرأة الأمصار، بمعنى: والذين عندهم علم الكتاب، أي: الكتب التي نزلت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل» - ثم علق بقوله: «على هذه القراءة فسر ذلك المفسرون» - ثم ذكر أقوال المفسرين بأن من عنده علم الكتاب اليهود والنصارى، سواء في ذلك من فسرها بمعين منهم كعبد الله بن سلام، أو فسرها بذلك دون تعيين - وبنحوه قال ابن عطية ((٥) / (٢١٦) - (٢١٧)) واستدرك مستندا إلى أحوال النزول على هذا المعنى بأنه لا يستقيم «إلا بأن تكون الآية مدنية، والجمهور على أنها مكية» - وانتقد ابن كثير ((٨) / (١٧١)) تفسير الآية بعبد الله بن سلام مستندا إلى أحوال النزول، فقال: «وهذا القول غريب؛ لأن هذه الآية مكية، وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة» - واستظهر رواية العوفي عن ابن عباس، فقال:

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣١٢/١٩

«والأظهر في هذا ما قاله العوفي عن ابن عباس، قال: هم من اليهود والنصارى» - وزاد ابن عطية ((٥) / (٢١٦)) **معنى آخر** تحتمله هذه القراءة، فقال: «وقيل: يريد الله تعالى، كأنه استشهد بالله تعالى، ثم ذكره بهذه الألفاظ التي تتضمن صفة تعظيم» - ثم انتقده مستندا إلى اللغة، فقال: «ويعترض هذا القول بأن فيه عطف الصفة على الموصوف، وذلك لا يجوز وإنما تعطف الصفات بعضها على بعض» - ثم قال: «ويحتمل أن تكون (من) في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف، تقديره: أعدل وأمضى قولا، ونحو هذا مما يدل عليه لفظ: (شهيدا)، ويراد بذلك الله تعالى» - وبين ابن جرير ((١٣) / (٥٨٤)) أن المعنى على القراءة الثانية: «من عند الله علم الكتاب» - وبنحوه ابن عطية ((٥) / (٢١٧)) - وانتقد ابن جرير ((١٣) / (٥٨٧)) الحديث المروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتصحيح هذه القراءة بأن في إسناده نظرا لعدم اتصاله، فقال: «وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري» - وكذا ابن كثير ((٨) / (١٧١) - (١٧٢)) فقد أورد كلام ابن جرير، ثم قال: «قلت: وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده، من طريق هارون بن موسى هذا، عن سليمان بن أرقم - وهو ضعيف - عن الزهري، عن سالم، عن أبيه مرفوعا كذلك - ولا يثبت» - ورجح ابن جرير ((١٣) / (٥٨٧)) مستندا إلى القراءات المعنى الأول بقوله: «فإذ كان ذلك كذلك، وكانت قرأة الأمصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الأخرى، وهي: (ومن عنده علم الكتاب)، كان التأويل الذي على المعنى الذي عليه قرأة الأمصار أولى بالصواب مما خالفه، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب» - وكذا رجحه ابن كثير ((٨) / (١٧٢))، فقال: «والصحيح في هذا: أن (ومن عنده) اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به، كما قال تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) الآية [الأعراف: (١٥٦) - (١٥٧)] - وقال تعالى: (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) الآية [الشعراء: (١٩٧)] - وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل: أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة» - .

آثار متعلقة بالآية

". (١)

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٦٨/٢١

"قراءتين: الأولى: (لتزول) بكسر اللام الأولى وفتح الثانية، بمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال – الثانية: " لتزول " بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، بمعنى: اشتد مكرهم حتى زالت منه الجبال، أو كادت تزول منه، على تأويل قراءة من قرأ ذلك: (وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال) – ورجح ابن جرير ((١٣) / (٧٢٣) – (٧٢٤)) القراءة الأولى، وانتقد القراءة الثانية مستندا إلى الدلالة العقلية، وإجماع الحجة من القرأة على القراءة الأولى، وعلل ذلك بقوله: «لأن اللام الأولى إذا فتحت فمعنى الكلام: وقد كان مكرهم تزول منه الجبال، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزل، وأخرى: إجماع الحجة من القرأة على ذلك، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها وفساد غيرها بغيره – فإن ظن ظان أن ذلك ليس بإجماع من الحجة، إذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك، فإن الأمر بخلاف ما ظن في ذلك، وذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام الأولى ورفع الثانية قرءوا: (وإن كاد مكرهم بالدال، وهي إذا قرئت كذلك، فالصحيح من القراءة مع: (وإن كاد) فتح اللام الأولى ورفع الثانية على ما قرءوا، وغير جائز عندنا القراءة كذلك؛ لأن مصاحفنا بخلاف ذلك، وإنما خط مصاحفنا: (وإن كان) بالنون لا بالدال، وإذ كانت كذلك فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين، وإذا لم يجز ذلك لم يكن الصحاح من القراءة إلا ما عليه قرأة الأمصار، دون من شذ بقراءته عنهم» – ورجح ابن جرير ((١٣) / (٧٢٦)) بناء على القراءة الأولى أن المعنى: «وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم، وافتروا عليه فريتهم عليه، وعند الله علم شركهم به وافترائهم عليه، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلها، وما كان شركهم وفريتهم على الله لتزول منه الجبال، بل ما ضروا بذلك إلا أنفسهم، ولا عادت مغبة مكروهه إلا عليهم» – واستشهد على ذلك بقول علي – وعلق ابن كثير ((٨) / (٢٣٢)) على هذا المعنى بقوله: «ويشبه هذا إذا قوله تعالى: (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) [الإسراء: (٣٧)]» – ووجه ابن عطية ((٥) / (٢٦٢)) القراءة الأولى بقوله: «وهذا على أن تكون (إن) نافية بمعنى: ما، ومعنى الآية: تحقير مكرهم، وأنه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوات وأقدار الله بها التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها، وهذا تأويل الحسن وجماعة من المفسرين» – ثم ذكر لها **معنى آخر**، فقال: «وتحتمل عندي هذه القراءة أن تكون بمعنى: تعظيم مكرهم، أي: وإن كان شديدا إنما يفعل لتذهب به عظام الأمور» – ووجه القراءة الثانية بقوله: «وهذا على أن تكون (إن) مخففة من الثقيلة، ومعنى الآية: تعظيم مكرهم وشدته، أي: أنه مما يشقى به، ويزيل الجبال من مستقراتها بقوته، ولكن الله تعالى أبطله ونصر أولياءه، وهذا أشد في العبرة» – .

تفسير الآية

(٣٩٩٩٨) - ." [1]

"(٤٠٤٦٦) - قال مقاتل بن سليمان: (واتبع أدبارهم)، يعني: سر من وراء أهلك، تسوقهم تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٣٣) - .

(٤٠٤٦٧) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (واتبع أدبارهم): أدبار أهله أخرجه ابن جرير (١٤) / (٨٨) - .

(ولا يلتفت منكم أحد)

قراءات

(٤٠٤٦٨) - عن الأعمش: في قراءة عبد الله [بن مسعود]: (ولا يلتفتن منكم أحد) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١) / (٣٢٠) - وهي قراءة شاذة - .

تفسير الآية

(٤٠٤٦٩) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (ولا يلتفت منكم أحد): لا يلتفت وراءه أحد، ولا يعرج أخرجه ابن جرير (١٤) / (٨٨) - ذكر ابن عطية ((٥) / (٣٠٦)) قول مجاهد، ثم نقل معنى آخر في معنى الالتفات، فقال: «وقيل: (يلتفت) معناه: يلوي، من قولك: لفت الأمر: إذا لويته، ومنه قولهم للقصيدة: لفيتة؛ لأنها ملوي بعضها على بعض» - وذكر في سبب النهي عن الا‌ل‍تفات أنهم «نهوا عن النظر مخافة الغفلة، وتعلق النفس بمن خلف، وقيل: بل لئلا تتفطر قلوبهم من معاينة ما جرى على القرية في رفعها وطرحها» - .

(٤٠٤٧٠) - قال مقاتل بن سليمان: (ولا يلتفت منكم أحد) البتة، يقول: ولا ينظر أحد منكم وراءه تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٣٣) - .

(وامضوا حيث تؤمرون (٦٥))

(٤٠٤٧١) - قال عبد الله بن عباس، في قوله: (وامضوا حيث تؤمرون)، يعني:

." [2]

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١/٢٨٦

(٢) موسوعة التفسير المأثور ٢١/٣٧٦

"(٤١٤٨٩) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (وأنهم مفرطون)، قال: منسيون أخرجه ابن جرير (١٤) / (٢٦٤) - (٢٦٥) - وهو في تفسير مجاهد ص (٤٢٢) بلفظ: منسيون في النار - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر - .
(٤١٤٩٠) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق جويير - (وأنهم مفرطون)، قال: منسيون في النار أخرجه ابن أبي شيبة (ت: محمد عوامة) (١٨) / (٥١٣) ((٣٥٣١٦))، وابن جرير (١٤) / (٢٦٥) بلفظ: متروكون في النار - .
(٤١٤٩١) - عن الحسن البصري، في قوله: (وأنهم مفرطون)، قال: معجل بهم إلى النار علقه يحيى بن سلام (١) / (٧١) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .
(٤١٤٩٢) - عن قتادة بن دعامة - من طريق الحسين - (وأنهم مفرطون)، يقول: مضاعون أخرجه ابن جرير (١٤) / (٢٦٥) - .
(٤١٤٩٣) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله: (وأنهم مفرطون)، قال: قد فرطوا في النار، أي: معجلون أخرجه عبد الرزاق (١) / (٣٥٧)، وابن جرير (١٤) / (٢٦٦) من طريق معمر وسعيد - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - ذكر ابن كثير ((٨) / (٣٢٢)) قول قتادة، وعلق عليه، فقال: «وعن قتادة أيضا: (مفرطون) أي: معجلون إلى النار، من الفرط، وهو السابق إلى الورد» - .
(٤١٤٩٤) - قال إسماعيل السدي: (وأنهم مفرطون)، يعني: وأنهم مسلمون علقه يحيى بن سلام (١) / (٧١) - .
(٤١٤٩٥) - عن داود بن أبي هند - من طريق عباد بن راشد - في قول الله: (وأنهم مفرطون)، قال: منسيون في النار أخرجه ابن جرير (١٤) / (٢٦٥) - .
(٤١٤٩٦) - قال مقاتل بن سليمان: (وأنهم مفرطون)، يعني: متروكون في النار؛ لقولهم: لله البنات تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٤٧٥) - وفي تفسير الثعلبي (٦) / (٢٤)، وتفسير البغوي (٥) / (٢٧) بنحوه مختصرا منسوبا إلى مقاتل دون تعيينه - اختلف السلف في تفسير قوله: (وأنهم مفرطون) على أقوال: الأول: أنهم متروكون في النار - الثاني: أنهم معجلون إلى النار مقدمون إليها - الثالث: أنهم مبعدون في النار - وعلق ابن جرير ((١٤) / (٢٦٥)) على القول الثاني، فقال: "وقال آخرون: معنى ذلك: معجلون إلى النار، مقدمون إليها - وذهبوا في ذلك إلى قول العرب: أفرطنا فلانا في طلب الماء - إذا قدموه لإصلاح الدلاء والأرشية، وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه، فهو مفرط، فأما المتقدم نفسه فهو

فارط، يقال: قد فرط فلان أصحابه يفرطهم فرطا وفروطا: إذا تقدمهم، وجمع فارط فراط، ومنه قول القطامي: واستعجلونا وكانوا من صحابتنا - كما تعجل فراط لوراد ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أنا فرطكم على الحوض» - أي: متقدمكم إليه، وسابقكم حتى ترده" - وقد رجح ابن جرير ((١٤) / (٢٦٦)) القول الأول، وانتقد القول الثاني مستندا إلى دلالة العقل، واللغة، وعلل ذلك بقوله: «وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم إنما يقال فيمن قدم مقدما لإصلاح ما يقدم إليه إلى وقت ورود من قدمه عليه، وليس بمقدم من قدم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحا، وإنما تقدم من قدم إليها لعذاب يعجل له، فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة؛ صح **المعنى الآخر**، وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك، وذلك أن يحكى عن العرب: ما أفرطت ورائي أحدا، أي: ما خلفته، وما فرطته، أي: لم أخلفه» - وذكر ابن كثير ((٨) / (٣٢٢)) الأول والثاني، وعلق عليهما بقوله: «ولا منافاة؛ لأنهم يعجل بهم يوم القيامة إلى النار، وينسون فيها، أي: يخلدون» - .

- (تالله)

". [1]

"نكرا) يعني: فظيعا تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٦٠٠) - .

(٤٥٧٠٧) - قال يحيى بن سلام: (ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا): عظيما في الآخرة تفسير يحيى بن سلام (١) / (٢٠٢) - .

(وأما من آمن وعمل صالحا)

(٤٥٧٠٨) - قال مقاتل بن سليمان: (وأما من آمن) يعني: صدق بتوحيد الله ، (وعمل صالحا) تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٦٠٠) - .

- (فله جزاء الحسنى)

(٤٥٧٠٩) - عن مسروق بن الأجدع، في قوله: (فله جزاء الحسنى)، قال: الحسنى له جزاء عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٤٥٧١٠) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى)، قال: (فله جزاء الحسنى)، قال: هي لا إله إلا الله، أي: الحسنى: هي لا إله إلا الله أخرجه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٥٦/٢٢

يحيى بن سلام (١) / (٢٠٢) - .
(٤٥٧١١) - عن مجاهد بن جبر - من طريق سفيان، عن أبي هاشم صاحب الرمان - قال: الجنة أخرجه يحيى بن سلام (١) / (٢٠٢) - .
(٤٥٧١٢) - قال إسماعيل السدي: (فله جزاء الحسنى)، يعني: العفو علقه يحيى بن سلام (١) / (٢٠٢) - .
(٤٥٧١٣) - قال مقاتل بن سليمان: (فله جزاء الحسنى)، يعني: الجنة تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٦٠٠) - ذكر ابن عطية ((٥) / (٦٥٦) - (٦٥٧)) القول بأن الحسنى: الجنة، ثم بين احتمال الآية **معنى آخر**، وهو «أن يريد بالحسنى: أعمالهم الصالحة في إيمانهم، فوعدهم بجزاء أعمالهم الصالحة» - .
". (١)

"كفروا أخرجه إسحاق البستي في تفسيره ص (١٦٥) - .
(٤٥٨٧٢) - عن عبد الملك ابن جريج - من طريق حجاج - في قوله: (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء)، قال: يعني: من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة، وهم عباد الله، ولم يكونوا للكفار أولياء أخرجه ابن جرير (١٥) / (٤٢٢) - لم يذكر ابن جرير ((١٥) / (٤٢٢)) غير قول ابن جريج - وعلق ابن عطية ((٥) / (٦٦٥)) على هذا القول، فقال: «وقال جمهور المفسرين: يريد: كل من عبد من دون الله؛ كالملائكة، وعزير، وعيسى، فيدخل في الذين كفروا بعض العرب واليهود والنصارى، والمعنى: أن ذلك ليس كظنهم، بل ليس من ولاية هؤلاء المذكورين شيء، ولا يجدون عندهم منتفعا» - .
(٤٥٨٧٣) - قال مقاتل: الأصنام تفسير الثعلبي (٦) / (٢٠٠)، وتفسير البغوي (٥) / (٢٠٩) - وجاء عقبه: سموا عبادا، كما قال: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) [الأعراف: (١٩٤)] - .
(٤٥٨٧٤) - قال مقاتل بن سليمان: (أفحسب الذين كفروا) من أهل مكة (أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) يعني: [الآلهة]، بأن ذلك نافعهم، وأنها تشفع لهم تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٦٠٤) - .
(٤٥٨٧٥) - قال يحيى بن سلام، في قوله: (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء): يعني: من عبد الملائكة، أفحسبوا أن تتولاهم الملائكة على ذلك - أي: لا يتولونهم، وليس بهذا أمرتهم، إنما أمرتهم أن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا - (أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أي: فحسبهم ذلك

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٤٤/٢٤

تفسير يحيى بن سلام (١) / (٢١٠) - .

(إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا (١٠٢))

(٤٥٨٧٦) - قال عبد الله بن عباس: هي مثواهم تفسير البغوي (٥) / (٢١٠) - .

(٤٥٨٧٧) - قال مقاتل بن سليمان: ثم أخبر بمنزلتهم في الآخرة، فقال سبحانه: (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا)، يعني: منزلا تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٦٠٤) - ذكر ابن عطية ((٥) / (٦٦٥)) في معنى قوله: (نزلا) ما جاء في قول مقاتل، وذكر أنه يحتمل **معنى آخر**، فقال: "والنزل أيضا: ما يقدم للضيف أو القادم من الطعام عند نزوله - ويحتمل أن يراد بالآية هذا المعنى: أن المعد لهم بدل النزول جهنم، كما قال الشاعر: تحية بينهم ضرب وجيع" - .

(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا (١٠٣))

". (١)

"(٤٦٩٣٧) - قال مقاتل بن سليمان: (وما كان ربك نسيا) لقول كفار مكة: نسيه ربه، وقلاه - يقول: لم ينسك ربك، يا محمد تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٦٣٣) - ذكر ابن عطية ((٦) / (٥١)) قولا بأن (نسيا) هنا معناه: تاركا، وانتقده مستندا لظاهر الآية، فقال: «وفي هذا ضعف؛ لأنه إنما نفي النسيان مطلقا، فيتمكن ذلك في النسيان الذي هو نقص، وأما الترك فلا ينتفي مطلقا، ألا ترى قوله تعالى: (وتركهم في ظلمات) [البقرة: (١٧)]، وقوله: (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) [الكهف: (٩٩)]، فلو قال: نسيك أو نحوه من التقييد لصح حمله على الترك، ولا حاجة بنا أن نقول: إن التقييد في النية؛ لأن **المعنى الآخر** أظهر» - .

آثار متعلقة بالآية

(٤٦٩٣٨) - عن سلمان: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن السمن والجبن والفراء، فقال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه» أخرجه الترمذي (٣) / (٥١٩) - (٥٢٠) ((١٨٢٣))، وابن ماجه (٤) / (٤٥٩) ((٣٣٦٧))، والحاكم (٤) / (١٢٩) ((٧١١٥)) - قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه - وروى سفيان وغيره، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان قوله، وكأن الحديث الموقوف أصح» - وقال في العلل الكبير ص (٢٨١) - (٢٨٢) ((٥١٣)): «سألت محمدا عن هذا الحديث، فقال: ما أراه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٧٥/٢٤

محفوظا - وروى سفيان بن عيينة، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان هذا الحديث موقوفا - وروى سيف بن هارون، عن سليمان مرفوعا - قال محمد: وسيف بن هارون مقارب الحديث، وسيف بن محمد ذاهب الحديث» - وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح مفسر في الباب، وسيف بن هارون لم يخرجاه» - وتعقبه الذهبي بقوله في التلخيص: «ضعفه جماعة» - وقال ابن أبي حاتم في علل الحديث (٤) / (٣٨٥) - (٣٨٦) ((١٥٠٣)): «قال أبي: هذا خطأ، رواه الثقات عن التيمي، عن أبي عثمان، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، مرسل ليس فيه سلمان، وهو الصحيح» - وقال المناوي في التيسير (١) / (٥١٠): «إسناد ضعيف» - .

(٤٦٩٣٩) - عن عامر الشعبي - من طريق أبي حصين - قال: أحل الله ذبائحهم يعني: نصارى العرب.، (وما كان ربك نسيا) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦) / (٧٣) ((١٠٠٣٩))، و (٧) / (١٨٧) ((١٢٧٢٠)) - .

(رب السماوات والأرض وما بينهما)

". (١)

"الوادي تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٢٢) - اختلف السلف في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه على قولين: الأول: لنجاستهما؛ إذ كانتا من جلد حمار ميت - وقيل: من جلد خنزير - الثاني: أن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه لينال من بركتها - وقد رجح ابن جرير ((١٦) / (٢٥)) مستندا إلى السياق القول الثاني، وعلل ذلك بقوله: «وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن تلزم بقوله الحجة، وإن في قوله: (إنك بالواد المقدس) بعقبه دليلا واضحا على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا» - ثم أورد حديث ابن مسعود المرفوع - الآتي في الآثار المتعلقة بالآية - وقال: «لو كان صحيحا لم نعده إلى غيره» - ثم انتقده، فقال: «لكن في إسناده نظرا يجب التثبت فيه» - وقد ذكر ابن عطية ((٦) / (٨٢)) القولين، ثم بين أن الآية تحتمل وجها ثالثا، ورجحه مستندا إلى الدلالة العقلية، فقال: «وتحتمل الآية **معنى آخر**، هو الأليق بها عندي، وذلك أن الله تعالى أمره أن يتواضع لعظم الحال التي حصل فيها، والعرف عند الملوك أن تخلع النعلان، ويبلغ الإنسان إلى غاية تواضعه، فكأن موسى أمر بذلك على هذا الوجه، ولا نبالي كانت نعلاه من ميتة أو غيرها» - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٥٥/٢٥

آثار متعلقة بالآية

(٤٧٤٨٣) - عن عبد الله بن مسعود، عن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال: «يوم كلم الله موسى كانت عليه جبة صوف، وكساء صوف، وسراويل صوف، ونعلان من جلد حمار غير ذكي» أخرجه الترمذي (٣) / (٥٢٦) - (٥٢٧) ((١٨٣١))، والحاكم (١) / (٨١) ((٧٦))، (٢) / (٤١١) ((٣٤٣١))، وابن جرير (١٦) / (٢٥)، وسعيد بن منصور في التفسير (٥) / (١٥٣) ((٩٦٠)) - قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحميد هو ابن علي الكوفي، منكر الحديث، وحميد بن قيس الأعرج المكي صاحب مجاهد ثقة» - وقال ابن جرير: «في إسناده نظر» - وقال الحاكم في الموضع الأول: «قد اتفقا جميعا على الاحتجاج بحديث سعيد بن منصور، وحميد هذا ليس بابن قيس الأعرج، قال البخاري في التاريخ: حميد بن علي الأعرج الكوفي منكر الحديث - وعبد الله بن الحارث النجراني محتج به، واحتج مسلم وحده بخلف بن خليفة - وهذا حديث كبير في التصوف والتكلم، ولم يخرجاه، وله شاهد من حديث إسماعيل بن عياش» - وتعقبه الذهبي بقوله: «حميد هذا ليس بابن قيس» - وقال الحاكم في الموضع الثاني: «هذا حديث صحيح، على شرط البخاري، ولم يخرجاه» - وتعقبه الذهبي بقوله: «بل ليس على شرط البخاري» - وقال ابن الجوزي في الموضوعات (١) / (١٩٢) - (١٩٣): «هذا حديث لا يصح» - وقال الألباني في الضعيفة (٣) / (٣٨٩) ((١٢٤٠)): «ضعيف جدا» - .

". (١)

"(٤٩٤٧٣) - قال مقاتل بن سليمان: {إلى الأرض التي باركنا فيها}، يعني: الأرض المقدسة، يعني بالبركة: الماء والشجر تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٨٩) - .

(٤٩٤٧٤) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: {إلى الأرض التي باركنا فيها}، قال: الشام أخرجه ابن جرير (١٦) / (٣٣٢) - .

(٤٩٤٧٥) - قال يحيى بن سلام: {إلى الأرض التي باركنا فيها}، وهي أرض الشام، وأفضلها فلسطين تفسير يحيى بن سلام (١) / (٣٣١) - ذكر ابن عطية ((٦) / (١٩٠)) قول من قال: إن الشام هي الأرض المعنية في الآية - ثم بين احتمال الآية معنى آخر، فقال: «ويحتمل أن يريد: الأرض التي يسير إليها سليمان كائنة ما كانت، وذلك أنه لم يكن يسير إلى أرض إلا أصلحها، وقتل كفارها، وأثبت فيها

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٥٢/٢٥.

الإيمان، وبث فيها العدل، ولا بركة أعظم من هذا، فكأنه قال: إلى أي أرض باركنا فيها فبعثنا سليمان إليها» - .

(وكنا بكل شيء ءالمين (٨١))

(٤٩٤٧٦) - قال مقاتل بن سليمان: (وكنا بكل شيء) مما أعطيناهما (عالمين) تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٨٩) - .

(ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك)

قراءات

(٤٩٤٧٧) - عن الأعمش: في قراءة عبد الله بن مسعود: (ومن الشياطين من يغوص له ويعمل وكنا لهم حافظين) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١) / (٤٢٤) - والقراءة شاذة - .

تفسير الآية

(٤٩٤٧٨) - قال الحسن البصري: لم يسخر له في هذه الأعمال وفيما يصفد بجعلهم ." (١)

"(٥٠١٧٥) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) فقرأ حتى بلغ: (هل يذهبن كيده ما يغيظ)، قال: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم -، ويكايد هذا الأمر ليقطعه عنه ومنه، فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه، فإن أصله في السماء، فليمدد بسبب إلى السماء، ثم ليقطع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الوحي الذي يأتيه من الله، فإنه لا يكايده حتى يقطع أصله عنه، فكايد ذلك حتى قطع أصله عنه، (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) ما دخلهم من ذلك، وغاظهم الله به من نصرة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وما ينزل عليه أخرجه ابن جرير (١٦) / (٤٧٩) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم مختصرا - علق ابن عطية ((٦) / (٢٢٣)) على قول ابن زيد بقوله: «والقطع - على هذا التأويل - ليس بالاختناق، بل هو جزم السبب» - .

(٥٠١٧٦) - ق ال يحيى بن سلام: قوله: (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) يعني: المنافق؛ أي: أنه يائس من أن ينصر الله محمدا، لا يصدق بما وعد الله رسوله من نصره في الدنيا والآخرة - ونصره في الآخرة الحجة في تفسير

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٩٢/٢٦

هود بن محكم (٣) / (١٠٤): الجنة.؛ (فليمدد بسبب) بحبل (إلى السماء) سماء البيت، يعني: سقف البيت، أي: فليعلق حبلا من سقف البيت فليختنق حتى يموت - يعني: بقوله: ف (ليقطع): فليختنق - وذلك كيده - قال: (فلينظر هل يذهبن) ذلك غيظه، أي: إن ذلك لا يذهب غيظه تفسير يحيى بن سلام (١) / (٣٥٧) - ساق ابن عطية ((٦) / (٢٢٣)) الأقوال، ثم ذكر أن الآية تحتمل **معنى آخر**، وهو أن يراد به: الكفار، وكل من يغتاظ بأن ينصره الله ويطمع أن لا ينصر، قيل له: من ظن أن هذا لا ينصر فليمت كمدا، هو منصور لا محالة، فليختنق هذا الظان غيظا وكمدا - ثم قال: «ويؤيد هذا أن الطبري والنقاش قالا: ويقال: نزلت في نفر من بني أسد وغطفان قالوا: نخاف أن ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع» - وبين أن الضمير في قوله: (ينصره) عائد - على هذا الاحتمال - على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقط - وتقدم في نزول الآية أن ما أورده ابن جرير الطبري دون عزو وسند، وفيه (١٦) / (٤٨٤) قولهم: «نخاف أن لا ينصر محمد»، على النفي - .

(وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد (١٦))

(٥٠١٧٧) - ". [1]

"(٥٢٢٢٥) - قال يحيى بن سلام: مدنية تفسير يحيى بن سلام (١) / (٤٢٢) - نص ابن عطية ((٦) / (٣٢٩))، وابن كثير ((١٠) / (١٥٩)) على مدنية السورة، فقال ابن عطية: «هذه السورة كلها مدنية» - وبنحوه قال ابن كثير - .

تفسير السورة

(سورة أنزلناها وفرضناها)

قراءات

(٥٢٢٢٦) - عن الأعمش: في قراءة عبد الله [بن مسعود]: (سورة أنزلناها وفرضنا لكم) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١) / (٤٢٤) - وهي قراءة شاذة، تروى أيضا عن الأعمش - انظر: المحرر الوجيز (٤) / (١٦٠) - .

(٥٢٢٢٧) - عن مجاهد بن جبر - من طريق حميد - أنه كان يقرؤها: " وفرضناها "، يعني: بالتشديد أخرجه ابن جرير (١٧) / (١٣٧)، وإسحاق البستي في تفسيره ص (٤١٣) من طريق ابن جريج - وهي قراءة متواترة، قرأ بها أبو عمرو، وابن كثير، وقرأ بقية العشرة: (وفرضناها) بتخفيف الراء - انظر: النشر (٢)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٤/٢٧

/ (٣٣٠)، والإتحاف ص (٤٠٨) - .

(٥٢٢٢٨) - عن الحسن البصري - من طريق قتادة، وهارون - أنه قرأ: (وفرضناها) خفيفة أخرجه ابن أبي حاتم (٨) / (٢٥١٦) - .

(٥٢٢٢٩) - عن عبد الله بن عامر - من طريق يحيى بن الحارث - قال في قراءة أهل الشام: (سورة أنزلناها وفرضناها) خفيفة أخرجه إسحاق البستي في تفسيره ص (٤١٣) - .

(٥٢٢٣٠) - قال يحيى بن سلام: وهي تقرأ على وجهين: (وفرضناها)، " وفرضناها "، على التخفيف والتثقيل تفسير يحيى بن سلام (١) / (٤٢٢) - اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: (وفرضناها)؛ فقرأها بعضهم بتشديد الراء، على معنى: وفصلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة - وذكر ابن جرير ((١٧) / (١٣٧)) أن لهذه القراءة معنى آخر تحتمله، وهو: «وفرضناها عليكم، وعلى من بعدكم من الناس إلى قيام الساعة» - وقرأها بعضهم بتخفيف الراء، على معنى: أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم، وألزمناكموه، وبينا ذلك لكم - وبين ابن جرير ((١٧) / (١٣٨)) أن كلتا القراءتين صواب؛ لشهرتهما، وقراءة القراء بهما، فقال: «الصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرأة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الله قد فصلها، وأنزل فيها ضروبا من الأحكام، وأمر فيها ونهى، وفرض على عباده فيها فرائض، ففيها المعنيان كلاهما: التفريض، والفرض، فلذلك قلنا: بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب» - .

تفسير الآية

". (١)

"(٥٣٤٥١) - قال مقاتل بن سليمان: ثم انقطع الكلام، وأخذ في نعت نبيه - صلى الله عليه وسلم - وما ضرب له من المثل، فقال سبحانه: (مثل نوره) مثل نور محمد - صلى الله عليه وسلم - إذ في المصدر المطبوع: إذا - كان مستودعا في صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (١٩٩) - .

(٥٣٤٥٢) - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (مثل نوره): نور القرآن الذي أنزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وعباده، هذا مثل القرآن، (كمشكاة فيها مصباح) أخرجه ابن جرير (١٧) / (٣٠٠)، (٣٠٥) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٨٧/٢٧

(٥٣٤٥٣) - قال يحيى بن سلام: يقول: مثل نوره الذي أعطى المؤمن في قلبه كمشكاة تفسير يحيى بن سلام (١) / (٤٤٩) - في عود الضمير من قوله: (مثل نوره) أقوال: الأول: أنه عائد على المؤمن، والمعنى: مثل نور المؤمن - الثاني: أنه عائد على القرآن، والمعنى: مثل نور القرآن - الثالث: أنه عائد على النبي، والمعنى: مثل نور محمد - صلى الله عليه وسلم - - الرابع: أنه عائد على اسم الله تعالى، والمعنى: مثل نور الله - ورجح ابن جرير ((١٧) / (٣٠٧)) القول الثاني، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم، فآمنوا به، وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين، مثل مشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها - وإنما جعل ذلك العمود مشكاة لأنه غير نافذ، وهو أجوف، مفتوح الأعلى، فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ - ثم قال: (فيها مصباح) وهو السراج، وجعل السراج، وهو المصباح مثلا لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات - ثم قال: (المصباح في زجاجة)، يعني: أن السراج الذي في المشكاة في القنديل، وهو الزجاجة، وذلك مثل للقرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره - ثم مثل الصدر - في خلوصه من الكفر بالله، والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها - بالكوكب الدري، فقال: (الزجاجة) وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه (كأنها كوكب دري)» - وعلق ابن عطية ((٦) / (٣٨٦) - (٣٨٧)) على الأقوال الثلاثة الأولى بقوله: «وهذه أقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر، وفيها تقطع المعنى المراد بالآية» - وعلق على القول الرابع، فقال: «وقالت فرقة: الضمير في (نوره) عائد على الله، ثم اختلفت هذه الفرقة في المراد ب» النور «الذي أضيف إلى الله تعالى إضافة خلق إلى خالق، كما تقول: سماء الله، وناقة الله - فقال بعضها: هو محمد - وقال بعضها: هو المؤمن - وقال بعضها: هو الإيمان والقرآن - وهذه الأقوال متجهة مطرد معها المعنى، فكأن اليهود لما تأولوا: (الله نور السماوات والأرض) بمعنى: الضوء، قيل لهم: ليس كذلك، وإنما هو نور فإنه قوام كل شيء، وهاديه، مثل نوره في محمد أو في القرآن والإيمان كمشكاة، وهي الكوة غير النافذة، فيها القنديل ونحوه - وهذه الأقوال الثلاثة تطرد فيها مقابلة جزء من المثال لجزء من الممثل، فعلى قول من قال الممثل به: محمد - وهو قول كعب الحبر، فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هو المشكاة، أو صدره - والمصباح: هو النبوءة وما يتصل بها من عمله وهداه - والزجاجة: قلبه - والشجرة المباركة: هي الوحي، والملائكة رسل إليه، وسببه المتصل به - والزيت: هو الحجج والبراهين، والآيات التي تضمنها الوحي -

وعلى قول من قال: الممثل به المؤمن، وهذا قول أبي بن كعب، فالمشكاة: صدره - والمصباح: الإيمان والعلم - والزجاجة: قلبه - والشجرة: القرآن - وزيتها: هو الحجج والحكمة التي تضمنها - قال أبي: فهو على أحسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات - ومن قال: إن الممثل به القرآن والإيمان؛ فتقدير الكلام: مثل نوره الذي هو الإيمان في صدر المؤمن في قلبه كمشكاة، أي: كهذه الجملة، وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالأولين؛ لأن المشكاة ليست تقابل الإيمان» - ثم قال: «وتحتمل الآية **معنى آخر** ليس فيه مقابلة جزء من المثال لجزء من الممثل، بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة، كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس، أي: فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر» - .
(كمشكاة)
". (١)

"(٣٦٩٨) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس)، قال: أما المثابة: فهو الذي يثوبون إليه كل سنة، لا يدعه الإنسان إذا أتاه مرة أن يعود إليه أخرجه ابن جرير (٢) / (٥١٨)، وابن أبي حاتم (١) / (٢٢٥) - .
(٣٦٩٩) - عن عبدة بن أبي لبابة - من طريق أبي عمرو - في قوله: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس)، قال: لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا أخرجه ابن جرير (٢) / (٥١٩) - .
(٣٧٠٠) - عن الربيع بن أنس - من طريق أبي جعفر - (مثابة للناس)، قال: يثوبون إليه أخرجه ابن جرير (٢) / (٥٢٠)، وابن أبي حاتم (١) / (٢٢٥) - .
(٣٧٠١) - عن محمد بن السائب الكلبي - من طريق عثمان بن ساج - قال: أما (مثابة للناس): لا يقضون منه وطرا، يثوبون إليه كل عام أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (١) / (٣٩٦) ((٣٦٩)) - .
(٣٧٠٢) - قال مقاتل بن سليمان: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس)، يقولون: يثوبون إليه في كل عام؛ ليقضوا منه وطرا تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (١٣٧) - .
(٣٧٠٣) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس)، قال: يثوبون إليه من البلدان كلها، ويأتونه أخرجه ابن جرير (٢) / (٥٢٠) - علق ابن كثير ((٢) / (٥٩)) على الأقوال السابقة بقوله: «ومضمون ما فسر به هؤلاء الأئمة هذه الآية: أن الله تعالى يذكر

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١٧/٢٨

شرف البيت، وما جعله موصوفا به شرعا وقدرا من كونه مثابة للناس، أي: جعله محلا تشتاق إليه الأرواح، وتحن إليه، ولا تقضي منه وطرا، ولو ترددت إليه كل عام، استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم في قوله: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) إلى أن قال: (ربنا وتقبل دعاء) [إبراهيم: (٣٧) - (٤٠)]» - وزاد ابن عطية ((١) / (٣٤٢)) إضافة إلى ما ورد في أقوال السلف **معنى آخر**، فقال: «و (مثابة) - ويحتمل أن تكون من الثواب، أي: يثابون هناك» - .

آثار متعلقة بالآية

(٣٧٠٤) - عن جابر، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن للكعبة لسانا وشفتين، وقد ". (١)

"للنبي - صلى الله عليه وسلم - : أرنا آية - فنزلت هذه الآية: (إن في خلق السموات والأرض) أخرجه ابن جرير (٣) / (٧) - .

(٤٧٢١) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار)، فقال المشركون للنبي - صلى الله عليه وسلم - : غير لنا الصفا ذهبا إن كنت صادقا آية منك - فقال الله: (إن في هذا لآيات لقوم يعقلون) - وقال: قد سأل الآيات قوم قبلكم، ثم أصبحوا بها كافرين أخرجه ابن جرير (٣) / (٧) - .

(٤٧٢٢) - قال مقاتل بن سليمان: (إن في خلق السماوات والأرض)، وذلك أن كفار مكة قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ائتنا بآية، اجعل لنا الصفا ذهبا - فقال الله سبحانه: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري) يعني: السفن التي (في البحر بما ينفع الناس) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (١٥٣) - اختلف في سبب نزول هذه الآية؛ فقال قوم: أنزلها الله احتجاجا له على أهل الشرك به، لما سألوا البرهان بعد إنزال الله لقوله: (وإلهكم إله واحد) - وقال آخرون: بل أنزلها الله على النبي لما سأله المشركون آية - ورجح ابن جرير ((٣) / (٨)) العموم في الآية مستندا لعدم وجود خبر يقطع بأحد القولين، فقال: «والصواب من القول في ذلك: أن الله - تعالى ذكره - نبه عباده على الدلالة على وحدانيته، وتفرده بالألوهية، دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية - وجائز أن تكون نزلت فيما قاله عطاء، وجائز أن تكون فيما قاله سعيد بن جبير وأبو الضحى، ولا خبر عندنا بتصحيح قول أحد الفريقين يقطع العذر فيجوز أن يقضي أحد لأحد الفريقين بصحة قول على الآخر - وأي القولين

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٦/٣

كان صحيحا فالمراد من الآية ما قلنا» - .

تفسير الآية

واختلاف اليل والنهار

(٤٧٢٣) - عن عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة، والطول والقصر، والزيادة والنقصان تفسير الثعلبي (٢) / (٣٢)، وتفسير البغوي (١) / (١٧٧) - ذكر ابن عطية ((١) / (٣٩٧)) ما جاء في قول عطاء أن اختلاف الليل والنهار معناه: اختلاف أوصافهما - وزاد معنى آخر، فقال: "واختلاف الليل والنهار معناه: أن هذا يخلف هذا، وهذا يخلف هذا؛ فهما خلفة، كما قال تعالى: (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) [الفرقان: (٦٢)]، وكما قال زهير: بها العين والآرام يمسين خلفة - وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم" - .

والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس

". (١)

"(٦٨٢٥١) - عن علي بن أبي طالب - من طريق عبد الله بن بحير - في قوله: (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)، قال: ما بعث الله نبيا قط إلا صبيح الوجه، كريم الحسب، حسن الصوت، وإن نبيكم صلى الله عليه كان صبيح الوجه، كريم الحسب، حسن الصوت أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (٣) / (١٠٤٤) ((٢٢٤٧)) - .

(٦٨٢٥٢) - قال مقاتل بن سليمان: (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) يا محمد (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ذكرهم، (وما كان لرسول أن يأتي بآية) وذلك أن كفار مكة سألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يأتيهم بآية، يقول الله تعالى: (وما كان لرسول) يعني: وما ينبغي لرسول (أن يأتي بآية) إلى قومه (إلا بإذن الله) يعني: إلا بأمر الله، (فإذا جاء أمر الله) بالعذاب، يعني: القتل ببدر، فيها تقديم (قضي) العذاب (بالحق) يعني: لم يظلموا حين عفوا، (وخسر هنالك) يعني: عند ذلك (المبطلون) يعني: المكذبين بالعذاب في الدنيا بأنه غير كائن تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٢١) - ذكر ابن عطية أن قوله: (فإذا جاء أمر الله) معناه: إذا أراد الله إرسال رسول وبعثة نبي قضى ذلك وأنفذه بالحق، وخسر كل مبطل، وحصل على فساد آخرته - ثم أورد احتمالا آخر، فقال: «وتحتمل الآية معنى آخر، وهو أن يريد بـ (أمر الله): القيامة؛ فتكون الآية توعدا لهم بالآخرة» - .

آثار متعلقة بالآية

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣/٢٠٩

(٦٨٢٥٣) - عن سلمى، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال: «بعث الله أربعة آلاف نبي» أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٣٦٨) ((٣٠٦٥٥)) - وعلقه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦) / (٣٣٥٥)، من طريق عتبة بن عتيبة العيذي [أو العبدي]، عن وهب بن عبد الله بن كعب بن سور الأزدي، عن سلمى به - وأخرجه الخطيب في تلخيص المتشابه (١) / (٤٤٤)، والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٣) / (١٦١١)، من نفس الطريق عن سلمان الفارسي بنحوه مطولا - في إسناده عتبة بن عتيبة العيذي [أو العبدي]، ولم أجد من ذكره بجرح أوتعديل - وقد ذكر السيوطي الحديث في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١) / (٣٢٩) - .

(٦٨٢٥٤) - عن عبد الله بن عباس - من طريق جويبر، ومقاتل عن الضحاك - قال: كانت فترتان؛ فترة بين إدريس ونوح، وفترة بين عيسى ومحمد، - وكانت الأنبياء

." (١)

" - قال مقاتل بن سليمان: (وأنه تعالى جد ربنا) ارتفع ذكره وعظمته، (ما اتخذ صاحبة) يعني: امرأة تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٤٦١) - (٤٦٢) - .

(٧٩١٢٤) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا)، قال: تعالى أمره أن يتخذ ولا يكون الذي قالوا؛ (صاحبة ولا ولدا) - وقرأ: (قل هو الله أحد الله الصمد) حتى ختمها، قال: لا يكون ذلك منه أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٣١٥) - اختلف في معنى: (وأنه تعالى جد ربنا) في هذه الآية على أقوال: الأول: تعالى أمر ربنا وسلطانه وقدرته - الثاني: عظمة ربنا - الثالث: جلال ربنا - الرابع: ذكره - الخامس: الجد الذي هو أبو الأب، وقالوا: كان ذلك جهلة من كلام الجن - السادس: غنى ربنا - ووجه ابن عطية ((٨) / (٤٢٦)) القول السادس بقوله: «فهذا هو من الجد الذي قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ولا ينفع ذا الجد منك الجد»» - وعلق على القول الثاني والثالث والرابع بقوله: «وهذا كله متجه؛ لأن الجد هو حظ المجدود من الخيرات والأوصاف الجميلة، وجد الله تعالى هو الحظ الأكمل من السلطان القاهر

والصفات العلية والعظمة، ومن هذا قول اليهودي حين قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة: يا بني قيلة، هذا جدكم الذي تنتظرون - أي: حظكم من الخيرات وبختكم» - ورجح ابن جرير ((٢٣) / (٣١٥)) مستندا إلى لغة العرب، ودلالة العقل - القول الأول والثاني، وانتقد القول الخامس، فقال: «وأولى

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٩٤/٣٥

الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: عني بذلك: تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه - وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن للجد في كلام العرب معنيين: أحدهما: الجد الذي هو أبو الأب، أو أبو الأم - وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: (فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا)، ومن وصف الله بأن له والدا أو جدا - وهو أبو الأب أو أبو الأم - فلا شك أنه من المشركين - **والمعنى الآخر**: الجد الذي هو بمعنى الحظ؛ يقال: فلان ذو جد في هذا الأمر: إذا كان له حظ فيه، وهو الذي يقال له بالفارسية: البخت، وهذا المعنى الذي قصده هؤلاء النفر من الجن بقيلهم: (وأنه تعالى جد ربنا) إن شاء الله - وإنما عنوا أن حظوته من الملك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا تكون له صاحبة ولا ولد؛ لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطره الشهوة الباعثة إلى اتخاذها له، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى البضاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجن: علا ملك ربنا وسلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفا ضعف خلقه الذين تضطرهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد - وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم قالوا: (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا)، فأخبر - جل ثناؤه - أنهم إنما نزهوا الله عن اتخاذ الصاحبة والولد بقوله: (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا)» - .

آثار متعلقة بالآية

(٧٩١٢٥) ." [1]

"(٨٢٣٣٥) - عن عطاء الخراساني - من طريق يونس بن يزيد - في قول الله : (لتركبن طبقا عن طبق): حالا عبر حال، ومنازلا عبر منازل أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص (١٠٠) - .

(٨٢٣٣٦) - قال محمد بن السائب الكلبي - من طريق محمد بن مروان - (طبقا عن طبق): حالا بعد حال، وأمرا بعد أمر في مواقف يوم القيامة تفسير الثعلبي (١٠) / (١٦١)، وفي تفسير البغوي (٨) / (٣٧٥) بلفظ: يعني: تصعد فيها - .

(٨٢٣٣٧) - عن محمد بن السائب الكلبي - من طريق حيان - (لتركبن طبقا عن طبق): مرة يعرفون، ومرة يجهلون تفسير الثعلبي (١٠) / (١٦١) - .

(٨٢٣٣٨) - قال مقاتل بن سليمان: (لتركبن) هذا العبد (طبقا عن طبق) حالا بعد حال؛ خلقا من نطفة،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٨٠/٤١

ثم صارت النطفة علقة، ثم صارت العلقة مضغة، ثم صارت إنسانا ميتا في بطن أمه، حتى نفخ فيه الروح، ثم صار إنسانا حيا، ثم أخرجه الله تعالى من بطن أمه، فكان طفلا، ثم يبلغ أشده، ثم شاخ وكبر، ثم مات ولبث في قبره حتى صار ترابا، ثم أنشأه الله بعد ذلك يوم القيامة تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٦٤٠) - .

(٨٢٣٣٩) - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: " لتركبن طبقا عن طبق " ، قال: الآخرة بعد الأولى أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٢٥٤) - اختلف في قراءة قوله: (لتركبن طبقا عن طبق) وفي المراد به على أقوال: - فعلى قراءة من قرأ ذلك: " لتركبن " بفتح الباء وفي معناها أربعة أقوال: الأول: لتركبن - يا محمد - حالا بعد حال، وأمرا بعد أمر من الشدائد - الثاني: لتركبن - يا محمد - سماء بعد سماء - الثالث: لتركبن الآخرة بعد الأولى - الرابع: أن الإشارة إلى السماء، والمراد: أنها تتغير ضروبا من التغيير، فتارة كالمهل وتارة كالدهان - وذكر ابن القيم ((٣) / (٢٧٤)) أنه على الثلاثة الأولى فالتاء للمخاطب، وعلى القول الرابع فالتاء للغيبة - وزاد ابن عطية ((٨) / (٥٧٣)) **معنى آخر** على هذه القراءة، ووجهه، فقال: «وقيل: هي عدة بالنصر، أي: لتركبن أمر العرب قبيلا بعد قبيل، وفتحا بعد فتح، كما كان ووجد بعد ذلك» - وبين ابن كثير ((١٤) / (٢٩٨) - (٢٩٩)) أن قول من قال: معناه: سماء بعد سماء - فإنما عنى به ليلة الإسراء - وعلق ابن القيم على القول الرابع بقوله: «ودل على السماء ذكر الشفق والقمر» - ثم وجهه بقوله: «وعلى هذا فيكون قسما على المعاد وتغيير العالم» - - وعلى قراءة من قرأ ذلك: (لتركبن) بضم الباء على وجه الخطاب للناس كافة، يكون المعنى: لتركبن - أيها الناس - حالا بعد حال، وأمرا بعد أمر؛ من الفقر والغنى، أو من الشدائد والموت والبعث والحساب، أو من النطفة إلى الهرم، أو منزلة بعد منزلة من الرفعة والضعة - وزاد ابن عطية معنيين آخرين على هذه القراءة، الأول: أن المعنى: لتركبن هذه الأحوال أمة بعد أمة - وعلق عليه قائلا: "ومنه قول العباس بن عبد المطلب عن النبي : وأنت لما بعثت أشرقت الأ - رض وضاءت بنورك الطرق تنقل من صالب إلى رحم - إذا مضى علم بدا طبق" - والثاني: «لتركبن سنن من قبلكم» - وعلق عليه بقوله: «كما جاء في الحديث: «شبرا بشبر، وذراعا بذراع، فهذا هو طبق عن طبق»» - وبنحوه قال ابن كثير، وعزاه للسدي - وذكر ابن عطية أن هذا المعنى يلتئم مع قراءة عمر بن الخطاب (ليركبن) - وقد رجح ابن جرير ((٢٤) / (٢٥٦)) مستندا إلى أقوال السلف - قراءة: " لتركبن " وأن المعنى: لتركبن أنت - يا محمد - حالا بعد حال، وأمرا بعد أمر من الشدائد - فقال: «وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء؛ لأن تأويل

أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد، وإن كان للقراءات الأخر وجوه مفهومة - وإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا فالصواب من التأويل قول من قال: " لتركبن " أنت - يا محمد - حالا بعد حال، وأمرا بعد أمر من الشدائد» - ثم بين أنه وإن كان الخطاب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فليس خاصا به، بل خوطب به جميع الناس أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالا؛ وذلك لدلالة السياق، فقال: «وإنما قلنا: عني بذلك ما ذكرنا، أن الكلام قبل قوله: (لتركبن طبقا عن طبق) جرى بخطاب الجميع، وكذلك بعده، فكان أشبه أن يكون ذلك نظير ما قبله وما بعده» - .

(فما لهم لا يؤمنون (٢٠))

(٨٢٣٤٠) - ". [1]

"(٨٣٦٤٧) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (إن علينا للهدى)، يقول: على الله البيان؛ بيان حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٤٧٥) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - زاد ابن جرير ((٢٤) / (٤٧٥)) قولا في معنى الآية نقله عن بعض أهل العربية، فقال: «وكان بعض أهل العربية يتأوله بمعنى: أنه من سلك الهدى فعلى الله سبيله - ويقول: وهو مثل قوله: (وعلى الله قصد السبيل) [النحل: (٩)] - ويقول: معنى ذلك: من أراد الله فهو على السبيل القاصد - وقال: يقال معناه: إن علينا للهدى والإضلال، كما قال: (سرابيل تقيكم الحر) [النحل: (٨١)] وهي تقي الحر والبرد» - وذكر ابن القيم ((٣) / (٣٢٤)) قول قتادة، ثم انتقده قائلا: «وهذا المعنى حق، ولكن مراد الآية شيء آخر» - ثم نسب قول أهل العربية للفراء، ثم انتقده قائلا: «وهذا أضعف من القول الأول - أي: قول قتادة - وإن كان معناه صحيحا، فليس هو معنى الآية» - ثم ذكر معنى آخر، وهو: «من سلك الهدى فعلى الله سبيله، كقوله: (وعلى الله قصد السبيل) [النحل: (٩)]» - ثم رجحه قائلا: «وهذا قول مجاهد، وهو أصح الأقوال في الآية» - .

(٨٣٦٤٨) - قال مقاتل بن سليمان: (إن علينا للهدى)، يعني: بيان الهدى تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٧٢٢) - .

(وإن لنا للآخرة والأولى (١٣))

(٨٣٦٤٩) - قال مقاتل بن سليمان: (وإن لنا للآخرة والأولى)، يعني: الدنيا والآخرة تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٧٢٢) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧١/٤٣

(فأنذرتكم نارا تلظى (١٤))

قراءات

(٨٣٦٥٠) - عن عبيد بن عمير أنه قرأ: (فأنذرتكم نارا تتلظى) بالتاءين أخرجه سعيد بن منصور - كما في التغليق (٤) / (٣٧٠) -، والفراء في معاني القرآن (٣) / (٢٧١) - (٢٧٢)، والبيهقي في سننه (٢) / (٢٩٩) - وعزاه السيوطي إلى الفريابي - قال السيوطي: «بسند صحيح» - وهي قراءة شاذة، تروى أيضا عن ابن الزبير، ورزيق بن حكيم - انظر: مختصر ابن خالويه ص (١٧٥) - .
". (١)

"لأجل إسرافكم نترك إنزال الذكر ونعرض عن إرسال الرسل؟! واستدل لترجيحه بعدة مرجحات، منها دلالة لفظ الانفكاك، فإنه مستعمل فيما يلزم به الإنسان ويقهر عليه إذا تخلص منه، يقال: انفك منه كالأسير والرقيق المقهور بالرق والأسر - ويقال: فلان ما يفك فلانا حتى يوقعه في كذا وكذا، والمتولي لا يفك هذا حتى يفعل كذا، يقال لمن لزم غيره واستولى عليه إما بقدرة وقهر، وإما بتحسين وتزيين وأسباب حتى يصير بها مطيعا له - يقال للمستولى عليه: هو ما ينفك من هذا كما لا ينفك الأسير والرقيق من المستولى عليه - فقوله: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين) أي: لم يكونوا متروكين باختيار أنفسهم يفعلون ما يهوونه، لا حجر عليهم، كما أن المنفك لا حجر عليه - وهو لم يقل «مفكوكين» بل قال: (منفكين)، وهذا أحسن؛ فإنه نفي لفعلهم، ولو قال: «مفكوكين» كان التقدير: لم يكونوا مسيبين مخلين فهو نفي لفعل غيرهم - والمقصود: أنهم لم يكونوا متروكين لا يؤمرون ولا ينهون، ولا ترسل إليهم رسل، بل يفعلون ما شاؤوا مما تهواه الأنفس - ومن المرجحات أيضا: أن «حتى» حرف غاية، وما بعد الغاية يخالف ما قبلها، كما في قوله تعالى: (حتى تنكح زوجا غيره) [البقرة: (٢٣٠)] ونظائر ذلك، فلو أريد أنهم لم يكونوا منتهين ويؤمنون حتى يتبين لهم الحق لزم أن يكونوا كلهم بعد مجيء البينة قد انتهوا وآمنوا؛ فإن اللفظ عام فيهم - وكذلك لو كان المراد أنهم كانوا متفقين على تصديق الرسول حتى بعث لزم أن يكونوا كلهم كانوا يعرفونه قبل إرساله إليهم، وأنهم كلهم بعد إرساله تفرقوا واختلفوا - وكلاهما باطل؛ فكثير منهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني، ولم يكونوا يعرفون ما في الكتب من بعثه ومن أمور أخر، ولما بعث فقد آمن به خلق كثير منهم، ولم يتفرقوا كلهم عن الإيمان به، وحينئذ فالآية لم تتضمن مدحهم مطلقا كما ظن من ظن أن معناها: أنهم لم ينتهوا ولم يؤمنوا حتى يتبين لهم الحق - ولا تتضمن ذمهم مطلقا

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٩٨/٤٣

كما ظن من ظن أنهم لما جاءهم الرسول تفرقوا واختلفوا بعد ما كانوا متفقين على التصديق؛ بل تضمنت مدح من آمن منهم بالرسول، وذم من لم يؤمن، والإخبار أنه لابد من إرسال الرسول إليهم فيؤمن به بعضهم، ويكفر بعض، قال تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) [البقرة: (٢٥٣)] - ثم بين أن الآية يمكن أن تتضمن بعد ذلك القول الأول، فقال: «إذا قيل: إن الآية تتضمن بعد ذلك **المعنى الآخر**، وهو أنهم لم يكونوا ليهتدوا ويعرفوا الحق ويؤمنوا حتى تأتيهم البينة، إذ لا طريق لهم إلى معرفة الحق إلا برسول يأتي من الله أيضا؛ أولم يكونوا منتهين متعظين وإن عرفوا الحق حتى يأتيهم من الله من يذكرهم؛ فهذا المعنى لا يناقض ذاك» - .

". (١)

"افترقتما عن بيع ولا تخاير أخرجه ابن جرير (٦) / (٦٣٣) - .

(١٧٥٨٠) - عن عامر الشعبي - من طريق إسماعيل بن سالم - أنه كان يقول في البيعين: إنهما بالخيار ما لم يتفرقا، فإذا تصادرا فقد وجب البيع أخرجه ابن جرير (٦) / (٦٣٢) - .

(١٧٥٨١) - عن عامر الشعبي - من طريق مغيرة - أنه أتي في رجل اشترى من رجل برذونا، ووجب له، ثم إن المبتاع رده قبل أن يتفرقا - فقضى أنه قد وجب عليه.=

(١٧٥٨٢) - فشهد عنده أبو الضحى أن شريحا قضى في مثله أن يرده على صاحبه، فرجع الشعبي إلى قضاء شريح أخرجه ابن جرير (٦) / (٦٣٣) - .

(١٧٥٨٣) - عن ميمون بن مهران، قال: اشتريت من ابن سيرين سابريا، فسام علي سومه، فقلت: أحسن - فقال: إما أن تأخذ، وإما أن تدع - فأخذت منه، فلما زنت الثمن وضع الدراهم، فقال: اختر؛ إما الدراهم، وإما المتاع - فاخترت المتاع، فأخذته أخرجه ابن جرير (٦) / (٦٣٢) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٢٤/٤٣

(١٧٥٨٤) - عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء [بن أبي رباح]: المماسحة بيع هي؟ قال: لا، حتى يخيره التخيير بعدما يجب البيع؛ إن شاء أخذ، وإن شاء ترك أخرجه ابن جرير (٦) / (٦٣٠) - اختلف في معنى التراضي في التجارة على قولين: أحدهما: هو أن يخير أحدهما صاحبه بعد العقد وقبل الافتراق في إمضاء البيع أو نقضه، أو يتفرقا عن مجلسهما بأبدانهما عن تراض منهما بالعقد الذي تعاقداه بينهما - وهو قول شريح، وابن سيرين، والشعبي - والآخر: أن التراضي هو أن يكون العقد ناجزا، وإن لم يتخايرا بعده، أو يفترقا عن مجلسهما بالأبدان - وهو قول مالك، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد - ورجح ابن جرير ((٦) / (٦٣٦) - (٦٣٧) بتصرف) القول الأول استنادا إلى السنة، والدلالة العقلية، فقال معللا اختياره: «لصحة الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، أو يكون بيع خيار»، وربما قال: «أو يقول أحدهما للآخر: اختر» - فإذ كان ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صحيحا فليس يخلو قول أحد المتبايعين لصاحبه: اختر - من أن يكون قبل عقد البيع، أو معه، أو بعده - فإن يكن قبله فذلك الخلف من الكلام الذي لا معنى له؛ لأنه لم يملك قبل عقد البيع أحد المتبايعين على صاحبه ما لم يكن له مالكا فيكون لتخييره صاحبه فيما ملك عليه وجه مفهوم، ولا فيهما من يجهل أنه بالخيار في تمليك صاحبه ما هو له غير مالك بعوض يعتاضه منه، فيقال له: أنت بالخيار فيما تريد أن تحدثه من بيع أو شراء - أو يكون - إذ بطل هذا المعنى - تخيير كل واحد منهما صاحبه مع عقد البيع - ومعنى التخيير في تلك الحال نظير معنى التخيير قبلها؛ لأنها حالة لم يزل فيها عن أحدهما ما كان مالكه قبل ذلك إلى صاحبه فيكون للتخيير وجه مفهوم، أو يكون ذلك بعد عقد البيع إذ فسد هذان المعنيان - وإذ كان ذلك كذلك صح أن **المعنى الآخر** من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعني قوله: «ما لم يتفرقا» - إنما هو التفرق بعد عقد البيع كما كان التخيير بعده - وإذ صح ذلك فسد قول من زعم أن معنى ذلك إنما هو التفرق بالقول الذي به يكون البيع - وإذ فسد ذلك صح ما قلنا من أن التخيير والافتراق إنما هما معنيان بهما يكون تمام البيع بعد عقده» - .

آثار متعلقة بالآية

(١) ".

"قال: لم يعن بها الخمر، إنما عني بها سكر النوم أخرجه ابن جرير (٧) / (٤٨)، وابن المنذر (٢) / (٧٢١)، وابن أبي حاتم (٣) / (٩٥٩) - وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد - أفادت الآثار

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٦٧/٩

اختلاف السلف في تفسير قوله: (وأنتم سكارى) على قولين: الأول: سكر الخمر - والثاني: سكر النوم - ورجح ابن جرير ((٧) / (٤٩) بتصرف) الأول مستندا إلى أقوال الصحابة، وسبب النزول، وقال: «وذلك للأخبار المتظاهرة عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن ذلك كذلك نهي من الله، وأن هذه الآية نزلت فيمن ذكرت أنها نزلت فيه» - وانتقد ابن عطية ((٢) / (٥٦٠)) قول الضحاك بأنه سكر النوم بقوله: «وهذا ضعيف» - وعلق عليه ابن تيمية ((٢) / (٢٥٣)) بقوله: «وهذا إذا قيل: إن الآية دلت عليه بطريق الاعتبار، أو شمول معنى اللفظ العام، وإلا فلا ريب أن سبب نزول الآية كان السكر من الخمر، واللفظ صريح في ذلك، والمعنى الآخر صحيح أيضا» - .

(١٨٢٣٧) - قال مقاتل بن سليمان: (حتى تعلموا ما تقولون) في صلاتكم تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٣٧٤) - .

النسخ في الآية

(١٨٢٣٨) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - في قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى)، قال: نسخها: (إنما الخمر والميسر) الآية [المائدة: (٩٠)] أخرجه أبو داود ((٣٦٧٢))، والنسائي ((١١١٠٦))، والنحاس ص (٣٣٦) - وفيه أن الآية الناسخة قوله تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم -) - والبيهقي في سننه (٨) / (٢٨٥) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(١٨٢٣٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق العوفي - في الآية، قال: كان قبل أن تحرم الخمر أخرجه ابن جرير (٧) / (٤٦) - .

(١٨٢٤٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - في قوله: (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى)، قال: نسختها: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) [المائدة: (٦)] أخرجه النسائي في الكبرى (ت: شعيب الأرناؤوط) (١٠) / (٦٥) ((١١٠٤٠))، وابن أبي حاتم (٣) / (٩٥٨)، والنحاس ص (٣٣٦) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .
(١) ".

"واختلف العلماء في تأويل هذه الآية فقيل: المعنى أي به وبقدرته أنارت أضواؤها، واستقامت أمورها وقامت مصنوعاتها، فالكلام على التقريب للذهن، كما يقال: الملك نور أهل البلد، أي به قوام أمرها، وصلاح جملتها، لجريان أموره على سنن السداد، فهو في الملك مجاز، وهو في صفة الله حقيقة محضة،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٨٦/٩

إذ هو الذي أبدع الموجودات، وخلق العقل نورا هاديا؛ لأن ظهور الموجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات تبارك الله تعالى لا رب غيره، قال معناه مجاهد والزهري وغيرهما، قال ابن عرفة: أي منور السموات والأرض، كذا قال الضحاك والقرظي، كما يقولون: فلان غياثنا، أي مغيثنا، وفلان زادي، أي مزودي، قال جرير:

وأنت لنا نور وغيث وعصمة ... ونبت لمن يرجو نداك وريق

أي ذو ورق، وقال مجاهد: مدبر الأمور في السموات والأرض، أبي بن كعب والحسن وأبو العالية: مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين، وقال ابن عباس وأنس: المعنى الله هادي أهل السموات والأرض، والأول أعم للمعاني، وأصح مع التأويل.

قوله تعالى: ﴿مثل نوره﴾ [(٣٥) سورة النور] أي صفة دلائله التي يقذفها في قلب المؤمن، والدلائل تسمى نورا، وقد سمى الله تعالى كتابه نورا، فقال: ﴿وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ [(١٧٤) سورة النساء] وسمى نبيه نورا، فقال: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [(١٥) سورة المائدة] وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين، وكذلك الرسول، ووجه الإضافة إلى الله تعالى أنه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها، وتحتمل الآية **معنى آخر** ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل به، بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة، وذلك أن يريد مثل نور الله الذي هو هداه وإتقانه صنعة كل مخلوق، وبراهينه الساطعة على الجملة، كهذه الجملة من النور الذي تتخذونه أنتم على هذه الصفة التي هي أبلغ صفات النور الذي بين أيدي الناس، فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم أيها البشر.." (١)

"فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا))، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [(٢٢٤) سورة الشعراء] منسوخ بقوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [(٢٢٧) سورة الشعراء]، قال المهدوي: وفي الصحيح عن ابن عباس أنه استثناء، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [(٢٢٧) سورة الشعراء] في هذا تهديد لمن انتصر بظلم.

قال شريح: سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدي الله -عز وجل-، فالظالم ينتظر العقاب، والمظلوم

(١) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٦/١٠

ينتظر النصرة، وقرأ بان عباس: (أي منفلت ينفلتون) بالفاء والتاء ومعناهما واحد ذكره الثعلبي، ومعنى: ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي: مصير يصيرون وأي مرجع يرجعون؛ لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العقاب وهو شر مرجع، والفرق بين المنقلب والمرجع أن المنقلب: الانتقال إلى ضد ما هو فيه، والمرجع: العود من حا ل هو فيها إلى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا.

لأن المنقلب مأخوذ من الانقلاب، وهو –نسأل الله العافية- التحول إلى شر مما كان عليه، وأما المرجع فهو رجوع إلى ما كان عليه سابقا.

فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا، والله أعلم، ذكره الماوردي، و (أي) منصوب بـ ﴿ينقلبون﴾ وهو بمعنى المصدر، ولا يجوز أن يكون منصوبا بـ ﴿سيعلم﴾ لأن أيا وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها فيما ذكر النحويون، قال النحاس: وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى وما قبله **معنى آخر** فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض.

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

طالب: مدح النبي –صلى الله عليه وسلم- لكعب. . . . . هل يؤجر عليه؟

إيش المانع؟ إيه، يمدح الحق، الذي يمدح الحق يرغب الناس فيه يؤجر.." (١)

"اللفظ غير الصريح

هناك نوع ثان من الألفاظ: وهي الألفاظ المحتملة التي يقذف بها تعريضا، ولا يقذف بها تصريحا، مثال ذلك: أن يقول الرجل للرجل –في حال الخصومة وفي حال المنازعة- إني لست بابن زان، أو لست أنا بزان، أو لست من أهل الزنا، كأنه يقول له: أنت من أهل الزنا، فهذا يسميه العلماء: القذف بالتعريض، أي: أنه لم يباشره بلفظ يدل صراحة، وإنما أعطاه لفظا يحتمل المعنى الذي هو ظاهره، ويحتمل **المعنى الآخر**.." (٢)

"المطلب الثالث: الحكمة من التكرار

إن اعتقادنا أنه لا يوجد تكرار في القصص القرآني بمعنى مشابه للتكرار في القصة التاريخية أو الأدبية، لأن القرآن الكريم كتاب دعوة، والقصة إحدى وسائله لإبلا غ هذه الدعوة وتثبيتها، والقصة تتكون من الحدث والشخصية، ففي القصص التاريخية نلاحظ التركيز على الشخصية، فحينما تقرأ أي قصة تجد أنها تركز على

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي – عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٣٨/١٩

(٢) تفسير سورة النور محمد المختار الشنقيطي ٩/٣

شخصية أو مجموعة أشخاص من أول القصة إلى خاتمتها، أما في القصص القرآني فنرى إعجازا آخر يضاف إلى إعجازات القران الكثيرة، وهو الملائمة بين الحدث والشخصية. لذلك كان التكرار غير مقصود لذاته، بل جاء لإيراد **معنى آخر** في سياق القصة نفسها.

وإضافة إلى ما تقدم يمكن أن نبين الحكم الجلية الجليلة لتكرار القصة في القرآن الكريم:

قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا له عند حدوث سببه خوف نسيانه ((١)) ، فالعرب حينما تكرر أمرا أو تؤكده، يدل ذلك على الاهتمام بذلك الأمر، فتكرير صفات الله دال على الاعتناء بمعرفتها والعمل بموجبها ((٢)) .

رسوخها في الأذهان بتكريرها مرة بعد مرة.

ظهور البلاغة، فإن تكرار الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ، فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق تفنن في المعاني، وتفنن في الألفاظ وتراكيبها، وتفنن في المحسنات البديعية المعنوية واللفظية كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة ((٣)) .

أن يقتضي سياق السورة الواردة فيها القصة أن تذكر مختصرة وتذكر في موضع آخر بشكل أوسع لاقتضاء ذلك التطويل في هذا الموضع الثاني.

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن: ١/٢٩.

(٢) محاسن التأويل: ١ / ٢٥٧.

(٣) أساس البلاغة: مادة (ق. ص. ص) ص ٤٦٨.." [1]

"وهكذا يستبين لنا أن آفاق النص المفتوح توجه المعاني في تأويله، ومثل ذلك قوله تعالى فيها: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ ((١)) ، وهي آية صيغت صياغة جميلة ذات دلالة على ما يرضي الله عزوجل، غير أن كلمة ﴿الفرحين﴾ تفتح أبوابا لتفسيرها وتأويلها بين كونها على الحقيقة، أو على المجاز. فقال مجاهد: " يعني المبذخين الأشرين البطرين الذين لايشكرون الله فيما أعطاهم " ((٢)) ، فأول الفرحين بمن هذه صفتهم، ولا ريب في أن توجيه هذا التأويل يتطلب أن يكون قد تم نقله من المعنى الحقيقي الذي هو كل فرح ضمن سياق الفرح الانساني. الى المعنى المجازي، الذي هو: الفرح، كل من أوتي نعمة فكفرها وجحدها وفرح بكفره وجحوده في الدنيا، أو **بمعنى آخر** هو أن مجازية معنى (الفرح) انتقلت إلى حال من

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية محمد مطني ٤٧/١

نهي عن الفرح بما أوتي في الدنيا، ولم يحبه الله سبحانه وتعالى.

فيتوجه المعنى في ذلك إلى سياق جديد مجازي، وهو ما تنبه عليه بعض الدارسين للنص القرآني، فقال: " الفرح مفهوم مجازي حقيقته السرور، ومجازه الحب الدنيوي، والأطمئنان لها، وفي سورة القصص جاء قوله تعالى: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ ((٣)) .

وفسرت كلمة ﴿الفرحين﴾ بمعنالكفار، فنقلت إلى المجاز، ولا ريب أن نقل الكلمة من الحقيقة إلى المجاز لا يتم الا بقرينة صارفة " ((٤)) .

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٦.

(٢) تفسير مجاهد. مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج. (٢١ ـ ١٠٤) . تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي. المنشورات العلمية. بيروت. (د. ت) : ص٤٩٠.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٦.

(٤) الألفاظ القرآنية بين الحقيقة والمجاز. دراسة نقدية. عبد الله إمام عبد الله. الطبعة الأولى. مطبعة الرحمة. القاهرة. ١٩٩١ م: ص ٣٢٢ –٣٢٣.." [١]

"هو (إنصراف المتكلم عن المخاطبة الى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، أو الإنصراف من معنى يكون فيه إلى **معنى آخر**) ((١)) ، مثل قوله تعالى فيها: ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين﴾ ((٢)) ، فإن قوله تعالى: ﴿يستصرخه﴾ إلتفاف في الخطاب، وتغير في سياقه من الإسرائيلي والمصري لموسى (– عليه السلام –) .

٦– المجاز:

هو (نقل الشيء عن حقيقته التي وضع لها إلى **معنى آخر**) ((٣)) ، وذكروا أن من أمثلته في سورة القصص قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ ((٤)) ، والنص لا يستقيم بزعمهم إلا بنقله للمجاز والله أعلم بالصواب في ذلك.

٧– المقابلة:

هي (أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو اكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب) ((٥)) ، مثل قوله تعالى فيها: ﴿ويدرأون بالحسنة السيئة﴾ ((٦)) ، فإن الحسنة مقابلة للسيئة، وقد ازدات بها الجملة جمالا.

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية محمد مطني ٥٩/١

٨- الإشارة:

---

(١) بديع القرآن. ابن أبي الإصبع المصري. (٥٨٥ . ٦٥٤ هـ) . تحقيق: حفني محمد شرف. الطبعة الأولى. مكتبة نهضة مصر. الفجالة. ١٩٥٧ م: ص ٥٨. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. أبو الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي. ت ٤٥٦ هـ. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت. لبنان. (د. ت.) .: ٢ /٤٦.

(٢) سورة القصص: الآية ١٨.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، أبو عبد الله جلال الدين بن سعد الدين أبي محمد بن عبد الرحمن الخطيب، ت ٧٣٩ هـ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، ١٩٨٣ م: ص ١٥٥.

(٤) سورة القصص: الآية ٨٨.

(٥) شرح التلخيص: ص ١٦٣.

(٦) سورة القصص: الآية ٥٤.." [١]

"إن المال في حد ذاته أمر دنيوي، وذلك واضح في جعل الله عز وجل للمال في سورة القصص شيئا دنيويا لا يؤبه له في قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ ((١)) ، **بمعنى آخر** أن كل مال هو متاع دنيوي معرض إلى زوال، أي: انه غير باق، وهذا من دلالات السياق القرآني.

إن المال متاع دنيوي لا أخروية له إلا بمقدار ما يوصل المرء إلى إقامة الدين، وذلك واضح في قوله عز وجل: ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ ((٢)) ، فمن كانت هذه صفته في استمتاعه المالي كان محضرا للحساب يوم القيامة، كما تقرر هذه الآية الشريفة.

المال فضل من الافضال. وذلك في سياق من الله عز وجل للناس أن جعل لهم أوقات اليوم في قوله عز وجل: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ ((٣)) ، ثم بين الله عز وجل كون ذلك الفضل محتاجا للشكر (اليوم) في قوله عز وجل بعد ذلك (لعلكم تشكرون) ، لان الشكر دال على الفضل في ابتغاء هذا الرزق، وهذا من معاني القرآن الكريم التي تجيء بلفظ مختصر يغني عن

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية محمد مطني ١٠٦/١

المقولات.

---

(١) سورة القصص: الآية ٦٠.

(٢) سورة القصص: الآية ٦١.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٣.." (١)

"﴿كلام ا﴾

(٧٥) – كان النبي A والمسلمون شديدي الحرص على دخول اليهود في الإسلام، لأن شريعة موسى – كما نزلت من عند الله – تدعو مثل الإسلام إلى التوحيد الخالص، وإلى الإيمان بالبعث والنشور والجزاء على الأعمال، وكتابهم التوراة يبشر بمحمد A وبعثته ورسالته، ويصدق القرآن فيما جاء به، فكشف الله لنبيه الكريم وللمسلمين حال اليهود وعنادهم وكفرهم، فقال تعالى مخاطبا النبي والمسلمين: أتطمعون أن ينقاد اليهود إليكم بالطاعة، وقد شاهد آباؤهم من آيات الله ومعجزاته الكثير، ثم قست قلوبهم بعد ذلك، وكان فريق من أحبارهم وعلمائهم يسمعون كلام الله ثم يتأولونه، ويعطونه **معنى آخر** غير معناه الصحيح (يحرفونه) من بعد ما عرفوه، وفهموا معناه على حقيقته. ومع ذلك فإنهم يخالفون عن علم وبصيرة، وهم يعلمون أنهم على غير الحق فيما ذهبوا إليه من تأول وتحريف.

الطمع – تعلق النفس بإدراك ما تحب تعلقا قويا.

يحرفونه – يعطونه معنى غير معناه الصحيح.." (٢)

"﴿يلوون﴾ ﴿بالكتاب﴾

(٧٨) – يخبر الله تعالى نبيه A أن فريقا من اليهود (مثل كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما) يحرفون الكلم عن مواضعه، ويتأولون كتاب الله، وهم ينسبونه إلى الله، وهذا كذب على الله، وهم يعلمون إنهم لكاذبون.

لي اللسان بالكتاب – فتله للكلام، أو تحريفه بصرفه عن معناه إلى **معنى آخر**.." (٣)

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية محمد مطني ١٧٠/١

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد أسعد حومد ص/٨٢

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد أسعد حومد ص/٣٧٢

"تفسير قوله تعالى: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام)

قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به﴾ كرر الأمر بتقوى الله تعالى لبيان أهمية التقوى، وقد قال تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء:١٣١] ، فأوصى الله الذين أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوصانا بتقوى الله.

وقوله تعالى: ﴿الذي تساءلون به﴾ أي: الذي يسأل بعضكم بعضا به، فيقول أحدكم للآخر: أسألك بالله، فهذا قول، وثم معان أخر.

وقوله تعالى: ﴿والأرحام﴾ أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، أو على **المعنى الآخر**: واتقوا الأرحام التي تساءلون بها، فيسأل بعضهم بعضا بالرحم، فيقول: أناشدك الرحم، قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ [الشورى:٢٣] وقد حذر الله تعالى من قطع الأرحام أشد تحذير، قال سبحانه: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد:٢٣] ، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ [الرعد:٢٥] ، فقطع الأرحام كبيرة بالاتفاق.

والأحاديث في قطع الرحم والتحذير منه كثيرة جدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (لما خلق الله الخلق، قامت الرحم فتعلقت بالعرش وقالت: يا رب! هذا مقام العائذ بك من القطيعة -أي: شخص يعوذ بك من القطيعة هذا مقامه- فقال الله لها: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب! قال: فهو لك) ، فيقطع الله تعالى من قطع الرحم، ويصل الله عز وجل من وصل الرحم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي، إنما أوليائي المتقون، إلا أن لهم رحما سأبلها ببلالها) أي: سأصلها بصلتها، ومعناه: أن الرحم شبيهة بالجلد جلد الشاة أو جلد الماعز اليابس، فإذا وضعت على الجلد اليابس ماء أصبح لينا في يديك، أما إذا لم تضع عليه الماء ولم تبله فسيصير يابسا يعسر عليك ثنيه، فأرحامك وأقاربك إن كنت تصلهم وتهدي إليهم وتودهم سيصيرون لينين في يديك، فإذا أمرتهم بأمر أطاعوك، وإذا نهيتم عن نهي اتبعوك، وأما إذا لم تكن تصلهم وتبلهم بالبلال فسيصيرون يابسين في يديك، كلما أردت منهم شيئا عصوك؛ لأنه ليس لهم فيك منفعة.

﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [النساء:١] .." (١)

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٥/١

"حقيقة المضارة في قوله تعالى: (أو دين غير مضار)

﴿فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾ [النساء:١٢] .

قوله تعالى: ((غير مضار)) : يشمل كل أنواع الضرر، فكل أنواع الضرر ينبغي أن تجتنب، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ [البقرة:٢٨٢] ، أي: لا ضرر على الكاتب ولا على الشهيد.

وهناك معنى آخر قال به بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ [البقرة:٢٨٢] وهو: أن ترغم الشاهد أو الكاتب على الحضور في وقت لا يستطيع الواحد منهما أن يحضر، فيعتبر هذا من المضارة، وذلك في الكتابة والشهادة في الوصية وفي الديون، ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ [البقرة:٢٨٢] .

فتبين أن فيها وجهين: الأول: بمعنى: لا يؤذى الكاتب ولا يؤذى الشاهد، لا يؤذى الكاتب كأن تهدده وتقول له: إذا شهدت أن هذا خطك سأفعل بك كذا، ولا يؤذى الشاهد، كأن تهدده أيضا وتقول له: لو شهدت على كذا لفعلت بك كذا.

ثانيهما: لا تأت إليهما في وقت الراحة مثلا وتقول: هيا تعال اشهد معي.

فيقول لك: أنا لا أستطيع الآن، فتقول: لازم، فهذا نوع من أنواع المضارة بالكاتب والشهيد.

وعلى الكاتب والشهيد أيضا أن لا يضارا الدائن والمدين، بمعنى: أن الشاهد قد يشهد زورا فيضر أحد الطرفين، أو الكاتب يكتب ما لا يملى عليه فيضر أحد الطرفين.

فكلمة: (يضار) جمعت المعنيين، لا يضار هذا ولا يضار هذا، فلا يضار الكاتب والشهيد الدائن والمدين، ولا يضار الدائن والمدين الكاتب ولا الشهيد.

هنا قول تعالى: ((غير مضار)) : تشمل إبعاد كل أنواع الضرر التي تلحق بالمحتضر، أو بالورثة أو بأي صنف من الأصناف التي تشترك في التركة.." (١)

"من أعمال اليهود الخبيثة

إذا: قال الله:: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [النساء:٤٦] قوله: (من) للتبعيض، فليس كل الذين هادوا يحرفون الكلم، بل كبراؤهم وأصحاب الرأي فيهم هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

﴿ويقولون سمعنا وعصينا﴾ [النساء:٤٦] هذا قولهم.

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ١١/٣

أي: سامعون وعاصون لك، قال الله لهم: ﴿وقولوا حطة﴾ [البقرة:٥٨] فقالوا: حبة في شعرة! وقال الله لهم: ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾ [الأعراف:١٦١] فدخلوا يزحفون على أسفلهم، فيزحف الواحد منهم على استه عنادا لله ولرسل الله عليهم الصلاة والسلام!! : ﴿وقولوا حطة﴾ [البقرة:٥٨] أي: يا رب! حط عنا خطايانا، فقالوا كلمة: (حبة في شعرة) ! وآخر يقول: (حنطة!) يعني: حبة السوداء، قصدهم التحريف عن عمد، ثم يقولون مع التحريف: سمعنا وعصينا، سمعنا قولك وخالفنا أمرك وعصيناك، فهذا شأن اليهود!!

وقوله: ﴿واسمع غير مسمع﴾ [النساء:٤٦] لأهل العلم فيها أقوال: أشهرها: واسمع لا سمعك الله، يعني: يدعون على الرسول ألا يسمعه الله! والقول الآخر: ﴿واسمع غير مسمع﴾ أي: اسمع فنحن لن نستمع إلى قولك.

﴿وراعنا﴾ [النساء:٤٦] يقصدون بقولهم: وراعنا.

الرعونة وهي: الطيش وخفة العقل، وفي الظاهر يخرجونها بلفظ مهذب، لكن يقصدون بها الرعونة، ويظهرون أنهم يريدون براعنا: أن ينظر إليهم.

﴿وراعنا ليا بألسنتهم﴾ [النساء:٤٦] يلوون الكلام بألسنتهم، فيظهرون للمستمع إليهم معنى ويريدون **معنى آخر**، كما جاء اليهود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وعائشة رضي الله عنها بجواره وكانت ذكية نبيهة فطنة، فسمعتهم يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: السام عليك يا محمد! يعني: الموت والهلاك عليك يا محمد! فغضبت وقالت: وعليكم السام واللعنة! وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (وعليكم.

فقالت: يا رسول الله! إنهم يقولون: السام عليك يا محمد! فقال: يا عائشة إنه يجاب لنا فيهم، ولا يجاب لهم فينا وقد قلت: وعليكم، وإن الله لا يحب الفاحش البذيء) أو كما قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

﴿ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا﴾ [النساء:٤٦] كأهل الإيمان الذين قالوا: ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة:٢٨٥] .

قال الله: ﴿لكان خيرا لهم وأقوم﴾ [النساء:٤٦] أي: أعدل وأنفع.

﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم﴾ [النساء:٤٦] أي: كفرهم كان سببا في إحلال لعنة الله عليهم فلم يوفقوا إلى خير.

﴿فلا يؤمنون إلا قليلا﴾ [النساء:٤٦] أي: لا يصدقون إلا بالشيء القليل، أو لا يؤمن منهم إلا النفر القليل.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة.)

ثم قال تعالى: ﴿ولا يأتل﴾ [النور:٢٢] أي: ولا يحلف، فالإيلاء هو الحلف، قال الشاعر: قليل الألايا حافظ ليمينه -أي: قليل الأيمان حافظ ليمينه- وإن صدرت منه الألية ضرت أي: إن صدرت منه يمين ضر بيمينه، وقال سبحانه: ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر﴾ [البقرة:٢٢٦] أي: للذين يحلفون ألا يقربوا نسائهم مدة طويلة، ليس لهم إلا أن يتربصوا أربعة أشهر ﴿فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم * وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾ [البقرة:٢٢٦-٢٢٧] .

ومعنى هذه الآية: أن الشخص إذا قال: أقسم بالله ألا أقرب زوجتي سنة، نقول له: قف، ليس لك ذلك، إنما لك أربعة أشهر كحد أقصى، فإن رجعت في خلال أربعة أشهر وجامعت أهلك فحيهلا، وإن لم تفعل توقف عند نهاية الأربعة أشهر وتجبر إما على الرجعة إلى زوجتك والجماع، وإما على الطلاق رغما عنك، ومن أهل العلم من قال: يوقف المؤلي -يعني: الذي حلف- عند الأربعة الأشهر وإذا مرت الأربعة أشهر ولم يرجع عدت طلقة عليه شاء أم أبى، هذان قولان لأهل العلم، ومحل بسطهما في كتب الفقه، فمادة (آلى) يعني: حلف، مثل حديث: (آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا) ، أي: حلف ألا يدخل على نسائه شهرا.

فقال تعالى: (ولا يأتل) أي: ولا يحلف ﴿أولوا الفضل﴾ [النور:٢٢] أي: أصحاب الفضل منكم يا مؤمنون! ﴿والسعة﴾ [النور:٢٢] أي: أصحاب السعة، الذين وسع الله عليهم بالمال، والمعنى: لا يقسم الفضلاء ولا يقسم الأغنياء، لا يقسم أهل الغنى والفضل ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين﴾ [النور:٢٢] .

وهذه الآية الكريمة نزلت في الصديق أبي بكر، فقد كان أبو بكر ينفق على مسطح بن أثاثة، وكان مسطح قريبا لـ أبي بكر الصديق، وكان ممن شهد بدرا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومع هذا طعن مسطح بلا علم في أم المؤمنين عائشة، ووصفها بالزنا ظلما وعدوانا.

فلما برأ الله أم المؤمنين عائشة، قال أبو بكر: والله! لا أنفق على مسطح بعد اليوم، وكان معه حق، فرجل محسن يحسن إلى شخص فاللائق بالشخص على أقل تقدير أن يجازيه بجزاك الله خيرا، ولا يذهب يطعن في ابنته بالزنا بلا علم، فقال أبو بكر لما نزلت براءة عائشة وتبين كذب مسطح رضي الله عنه: والله! لا

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ١٢/١٠

أنفق على مسطح بعد اليوم، فنزل قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ [النور:٢٢] أي: لا تقسموا يا أهل الفضل ويا أهل الصلاح ويا أهل الغنى أن تحرموا الفقراء والمساكين.

والمذنب إذا لم يعترف بذنبه، فلا وجه للعفو عنه؛ لأنك والحالة هذه تكون قد نصرته ظالما، ونصرة الظالم لا تجوز، ولكن إذا اعترف بذنبه وأقر بخطئه، فباب التوبة مفتوح، وينبغي العفو عنه، فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (الكبر بطر الحق، وغمط الناس) ، والله أعلم.

﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ [النور:٢٢] ، في الآية الكريمة رد على الخوارج، فإن قيل ما وجهه؟ فوجهه أن الخوارج يكفرون بالكبيرة، ووجه الرد عليهم أن مسطحا ارتكب كبيرة، وهي قذف أم المؤمنين عائشة، ولم يخرجه ذلك عن دائرة أهل الإيمان، فقد وصفه الله بقوله: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ [النور:٢٢] ، وهذه كلها صفات لـ مسطح بن أثاثة، فلم يخرجه الله عن عباده المؤمنين بالقذف الذي قذفه لـ عائشة.

وهذا من إنصاف ديننا، فالشخص يحكم عليه بمجمل ما صدر منه، ولا يحكم عليه بزلة زلتها قدمه، إنما يحكم عليه بمجمل سيرته، فلا نأتي إلى مسطح ونطيح بكل حسناته وفضائله ومناقبه لكونه قذف، فليوضع القذف في كفة من الميزان، ولتوضع سائر الخيرات في الكفة الأخرى، ففي الكفة الأخرى هجرة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، وجهاد مع رسول الله يوم بدر، وليرجح إما جانب الخير أو جانب الشر، وبهذا يحكم على الناس، فالله سبحانه جعل أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمة وسطا.

وهذا القول ينسحب على عموم الصحابة، وعلى عموم الناس، فمثلا: إذا جئنا نزن معاوية، نجد أن من إنصاف أهل السنة أنهم قالوا: معاوية قاتل عليا، فأخطأ في قتاله لـ علي رضي الله عنهما، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (تقتل عمارا الفئة الباغية) ، ولكن ينظر إلى مناقب معاوية الأخرى، فهو كاتب للوحي على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وفتح الله على يديه جملة من بلاد الكفار، ودخل في خلافته ألوف مؤلفة من الكفار إلى الإسلام، فليوزن بمجمل أفعاله، لا بفعلة واحدة، فأهل الظلم والجور يزنون الشخص بعيب واحد فيه، وبزلة واحدة زلتها قدمه، فيظلمون الناس: ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب؟ قال تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا﴾ [النور:٢٢] أي: يعطوا ﴿أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ [النور:٢٢] ، (والمساكين) هل المسكين أشد فقرا أم الفقير؟ يقول العلماء: إن الفقير والمسكين إذا

اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، والمعنى: إذا جاء ذكر المسكين والفقير في سياق واحد -كما في قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ [التوبة:٦٠] ، فللفقر معنى وللمسكنة معنى آخر، والمسكين أعلى حالا من الفقير، فالفقير لا يكاد يجد شيئا، أما المسكين فيجد الشيء الذي لا يكفيه، قال تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ [الكهف:٧٩] فوصفوا بالمسكنة.

وإذا افترقا اجتمعا، أي: إذا جاء لفظ الفقير في سياق ليس فيه ذكر المسكين، دخل في هذا اللفظ المسكين، وكذلك إذا جاء لفظ المسكين في سياق ليس فيه ذكر الفقير، دخل فيه الفقير، كهذه الآية: ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين﴾ [النور:٢٢] ، فدخل في المساكين هنا الفقراء، وهذا معنى قولهم: إذا افترقا -أي: في السياق- اجتمعا أي: في المعنى.

والمسكين: من أسكنته الحاجة، ومن أسكنه الفقر.

قال تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ [النور:٢٢] أي: وليعفوا الأغنياء وأهل الفضل، وليصفحوا.

فجدير بمن آتاه الله جاها أو مالا أن يتغاضى عن هفوات الفقراء والضعفاء، ولا يعدد عليه أخطاءهم حتى لا تعد عليه نعم الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم لـ أسماء: (تصدقي ولا توعي فيوعي الله عليك، ولا تحصي فيحصي الله عليك) .

(وليعفوا) أي: ليطمسوا على أخطاء هؤلاء، (وليصفحوا) أي: يعرضوا عنها، ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور:٢٢] أي: إذا أحببتم أن يغفر الله لكم فاغفروا للناس، فالجزاء من جنس العمل، إذا أحببت أن يغفر لك الله فاغفر لعباد الله، إن أحببت أن يستر الله عليك فاستر على الناس، وهكذا، فالجزاء من جنس العمل.

وفي هذه الآية منقبة كبرى للصديق رضي الله عنه، لأنه أقسم أن لا ينفق على مسطح، فلما نزلت هذه الآية: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور:٢٢] ، قال: والله يا ربي! إني أحب أن تغفر لي، ولن أمنع عن مسطح الصدقة بعد اليوم، وهو الذي طعن في ابنته، وهو الذي اتهم ابنته بالزنا، ومع ذلك يقسم بالله ألا يمنع عنه النفقة بعد نزول قوله تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور:٢٢] .

وهذا امتثال شديد من أبي بكر لكتاب الله ولأوامر الله، وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا مولعين بشرب الخمر، فلما نزلت الآية بتحريم شربها قاموا إلى الدنان فكسروها، وهي ممتلئة خمرا، مع حبهم الشديد لها، وكانوا يلبسون خواتيم الذهب، فلما رءوا أن النبي صلى الله عليه وسلم نزع خاتم الذهب، نزعوا خواتيمهم، وكانوا يصلون بالنعال مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، فنزع النبي

نعله فنزعوا نعالهم، ثم بين لهم أنه إنما نزعها لعلة، وهي أن فيها أذى كما أخبره جبريل عليه السلام، فكان الصحابة شديدي الامتثال لرسول الله عليه الصلاة والسلام، أحدهم كان مع زوجته يجامعها فسمع داعي الجهاد: حي على الجهاد! فقام عن الزوجة مسرعا لا يتمهل، حتى أنه لم يغتسل، بل أسرع وقاتل حتى قتل رضي الله عنه، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، رضي الله تعالى عنهم، وأسكنهم فسيح الجنان، وقاتل الله أهل التشيع البغيض الذين ينالون منهم.

قال تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ [النور:٢٢] أي: امتثلوا واعملوا بهذه الصفة، صفة الغفران والرحمة للناس.." (١)

"الفرق بين الإسلام والإيمان

هذه الآية دليل لمن يقول: إن الإسلام يأتي بمعنى الإيمان؛ لأن الله قال: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦] ، وفي الحقيقة أن هذه المسألة سبق الكلام عليها: وهي أن مسمى الإيمان والإسلام قد يتحدان في المعنى وقد يفترقان، فإذا جاءا في سياق واحد افترقا في المعنى، وإذا لم يأتيا في سياق واحد اتحدا في المعنى، ففي حديث جبريل اجتمعا في سياق واحد فأخذ الإيمان معنى أن تؤمن بالله وملائكته إلى آخر الحديث، وأخذ الإسلام **معنى آخر**: أن تشهد.

إلخ أركان الإسلام الخمسة، فانصرف معنى الإيمان إلى أعمال القلب والإسلام إلى الأعمال الظاهرة، ويدل على ذلك أيضا: قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات:١٤] ، ولكن إذا جاء الإيمان في سياق مستقل، فيشمل أيضا الإسلام ويكون داخلا فيه كما جاء في حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: (آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) .." (٢)

"معاني خوف مقام الله سبحانه وتعالى

وللعلماء في هذه الآية أقوال: أحدها: أن من اعتقد أن الله يراه ويراقبه سبحانه وتعالى في السر والعلن، فله جنتان، فهذا للمسلمين الذين عبدوا الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، فهؤلاء خافوا مقام ربهم في السر والعلن، وقويت مراقبتهم لله سبحانه، ففي كل وقت وفي كل حين يشعرون بقوله تعالى:

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٦/٣٤

(٢) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ١٥/٣٩

﴿الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩] ، ويشعرون بقوله تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ [يونس:٦١] ويوقنون كذلك بقوله تعالى: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾ [هود:٥] .

فهذا فريق من العباد قويت عنده مراقبة ربه سبحانه وتعالى، فأيقن أن الله معه في كل وقت وحين، فانزجر عن المعاصي وانكف عن الآثام، ويدخل فيهم الصديق يوسف صلى الله عليه وسلم لما رأى برهان ربه وخشيه بالغيب، ويدخل فيهم ذلك الرجل الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ويدخل فيهم ذلك الرجل الذي قعد بين رجلي ابنة عمه، فلما قالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، قام وتركها، ويدخل فيهم الكفل من بني إسرائيل، وإن كان الحديث فيه ضعيفا، لكن معناه ثابت من نصوص أخر، والله لا يعجزه شيء، وفحوى حديثه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع عن ذنب عمله -أي: لا يبالي بأي ذنب- فجاءته امرأة يوما تستسلفه مالا، فراودها عن نفسها مقابل المال، فوافقت تحت ضغط الحاجة، فلما قعد بين رجليها أرعدت وبكت، فقال لها: ما لك؟! أأكرهتك؟ قالت: لا، ولكنه شيء ما حملني عليه إلا الحاجة، فقام من فوقها وقال: لا جرم لا أعصين الله بعد هذه الليلة أبدا، ومات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه: إن الله قد غفر للكفل) .

الشاهد: أن خوف مقام الرب سبحانه تندرج تحته كل هذه المفردات وغيرها.

وأيضا من خوف مقام الرب **معنى آخر** وهو: تذكر لقائه يوم القيامة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه البخاري من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدم، وينظر من أمامه فلا يرى إلا النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بكلمة طيبة فليفعل) ، فهذا أيضا داخل في الخوف من مقام الرب سبحانه، ومن لقاء الرب سبحانه وتعالى.." [١]

"تفسير قوله تعالى: (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون)

قال تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ .

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ١٣/٤٦

في هذه الآية يقال: هل الوقف على قوله تعالى: (الصديقون) أم على قوله: ((والشهداء عند ربهم)) ، فهل يقال: إن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ ، ثم جاء أجر آخر للجميع: فقال تعالى: ((لهم أجرهم ونورهم)) ، أم يقال: إن الوقف عند قوله: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ ، وتم المعنى، ثم قال تعالى: ﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾ ، ثم ذكر صنفا ثالثا فقال تعالى: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ .

فالوقف كثيرا ما يكون للعلماء فيه وجهان، ولذلك نقول: إن علامات الوقف الموضوعة في المصاحف لا تؤخذ -فقط- من أهل التجويد ومن أهل القراءات، بل أيضا من علماء التفسير، فعلماء التفسير يستطيعون ضبط المعاني، ومن ثم ضبط علامات الوقف، فأحيانا يكون عالم من علماء القراءات -مثلا- يفهم الآية على معنى من المعاني، ويكون في التفسير متسع، فيقول بوضع علامة الوقف على كلمة، ويخالفه آخرون في موضع الوقف لفهمهم الآية على **معنى آخر**.

مثال ذلك: علامة الوقف اللازم عند قوله تعالى: ﴿فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي﴾ [العنكبوت:٢٦] ، فمن العلماء من يضع فوق قوله: ﴿فآمن له لوط﴾ ، علامة الميم التي تعني: الوقف اللازم، وهذا ينبني على أن الذي قال: (إني مهاجر إلى ربي) ، هو إبراهيم صلى الله عليه وسلم؛ لأنك إذا وصلت فقرأت: ﴿فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي﴾ ، فالضمير يرجع إلى أقرب مذكور وهو لوط صلى الله عليه وسلم، فيكون القائل: إني مهاجر إلى ربي، وهو لوط صلى الله عليه وسلم، وأكثر العلماء على أن الذي قال: ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ ، هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ لقوله تعالى: ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ [الصافات:٩٩] ، لكن هذا أيضا ليس بناف أن يقول لوط عليه الصلاة والسلام: (إني مهاجر إلى ربي) ، خاصة أن لوطا صلى الله عليه وسلم كان في بلدة ليست له فيها قبيلة، وهذا أحد الأقوال في تفسير قول لوط: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود:٨٠] ، قال فريق من المفسرين: لم تكن له قبيلة في هذه البلدة؛ فقال هذه المقالة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ ، يقال: هل كل مؤمن بالله ورسله يعد صديقا من الصديقين، أم أن في هذا الأمر تفصيلا؟ والجواب لاشك أنه لا يقال: إن كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله يعد صديقا من الصديقين.

وذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام وصف بعض أصحابه فقط بالصديقية، فقال عليه الصلاة والسلام لما صعد جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان: (اثبت أحد؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) ، وقال

عليه الصلاة والسلام: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في السماء.
قالوا: تلك منازل الأنبياء -يا رسول الله- لا يبلغها أحد غيرهم! قال: كلا.
والذي نفسي بيده.
رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) .
والمؤمنون في الجنة، لكنهم في درجات دون هذه الدرجات العلى.
والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا) ، ففيه إشعار بأنه لا يكتب كل شخص صديقا، إنما الذي يصدق ويتحرى الصدق، يؤول به التحري للصدق إلى أن يكتب عند الله صديقا، وكذلك قال الله سبحانه: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾ [المائدة:٧٥] ، فوصفت مريم عليها السلام بالصديقية، فلا يقال يقين: إن كل من قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) صديق من الصديقين.
فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ((والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون)) ؟ قلنا: المعنى: والذين كمل إيمانهم بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم.
ويؤيد هذا المعنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع، وذكر منهن مريم عليها السلام) ، فقد كمل إيمانها فكانت صديقة، وأبو بكر رضي الله عنه لما كمل إيمانه، وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام في خبر الإسراء والمعراج بلا تردد وصف بالصديقية.
فيقال في قوله تعال: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ أي: الذين كمل إيمانهم بالله ورسله أولئك هم الصديقون.." (١)

"تفسير أوائل سورة المنافقين

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ [المنافقون:١] .
(نشهد) هنا بمعنى: نحلف، أحيانا يكون معنى الشهادة هو معنى الحلف، وأحيانا تختلف الشهادة عن الحلف، وما هو وجه اختلاف الشهادة عن الحلف أحيانا؟ من المعلوم عند المحاكمات أن أيمان اليهود وأيمان النصارى تجزئ ويطلب منهم الأيمان، لكن شهادتهم لا تعتمد في كثير من المسائل، فمثلا: في مسائل الطلاق يقول الله سبحانه: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ [الطلاق:٢] ، فأحيانا يتحد معنى الشهادة

---
(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٨/٥٢

ومعنى الحلف، وأحيانا تأخذ الشهادة معنى والحلف **معنى آخر**.

فمثلا: في آيات الملاعنة يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين﴾ [النور:٦] ، (فشهادة أحدهم) أي: يمين أحدهم، وكذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان﴾ [المائدة:١٠٦] ، والآية مصدرة بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ [المائدة:١٠٦] ، وفي ختام الآية: ﴿فيقسمان بالله﴾ [المائدة:١٠٦] ، فالشهادة هنا هي اليمين.." [(١)]

"تفسير قوله تعالى: (مناع للخير معتد أثيم)

﴿مناع للخير﴾ [القلم:١٢] كما أسلفنا أن كثيرا من العلماء قال -وأطلق بعضهم ذلك-: إذا ذكر الخير في كتاب الله، فالمراد به دوما المال، ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات:٨] أي: لحب المال لشديد، فمن العلماء من أطلق وقال: كل خير في كتاب الله يراد به المال، لكن وإن سلم لهم هذا القول كما في قوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين﴾ [البقرة:١٨٠] أي: إن ترك مالا، إن سلمنا بذلك في مواطن، فلا نسلم به في مواطن أخرى، كقوله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ [النساء:١١٤] (خير) هنا لها **معنى أخر** تماما.

فالحاصل أن الأولى أن يقال: إن أكثر ورود الخير في كتاب الله بمعنى المال، لكن لا يتمنع أن يأتي الخير **بمعنى آخر**.

قال الله سبحانه وتعالى ﴿مناع للخير﴾ [القلم:١٢] هل المراد بها مناع للمال، أو المراد بها نوع مخصوص من المال؟ فمن العلماء من قال: إن المراد بالخير هنا: الزكوات المفروضة.

ومنهم من قال: إن المناع للخير هنا مناع لأوجه الخير بعمومها.

وقيل: نزلت هذه الآيات -وليس لدينا شيء عن رسول الله ثابت الإسناد- في الوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد رضي الله عن خالد، فكان أبوه ينفق المال الكثير، وينحر مئات من الإبل في الحج، ويرسل مناديه ينادي: من كان يريد اللحم فليأت إلى الوليد بن المغيرة فيأمر الناس بإطفاء النيران أيام منى، وإذا طلب منه شيء لله منع؛ لأنه كان لا يفعل ذلك إلا على سبيل الرياء والمباهاة، وإذا طلب منه شيء للفقراء وذوي الحاجة والمسكنة لله منع، ﴿مناع للخير معتد﴾ [القلم:١٢] أي: على غيره ﴿أثيم﴾ [القلم:١٢]

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٣/٦٤

أي: أثيم في نفسه، يعني: بينه وبين الله آثم ومرتكب للذنوب في حق نفسه وفي حق ربه، وعلى الخلق معتد أيضا، فمعتد أثيم جمعت المعنيين؛ فهو في نفسه آثم، ولخلق الله ظالم، كما في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة:٢] فجمع بين الإثم في النفس، والظلم للغير.." (١)

"الخلاف في زيادة العمر بأعمال البر

قوله تعالى: (ويؤخركم إلى أجل مسمى) يرد عند هذه الآية مسألة وهي: هل عبادة الله تعالى وتقواه سبب في طول العمر؟ وهل يزيد العمر عن الحد الذي حده الله سبحانه وتعالى بشيء من الأسباب؟ إن مسألة الزيادة في العمر قد ورد فيها نصوص مختلفة، فقد وردت نصوص تفيد أن العمر قد يطول ببعض الأعمال، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يبسط له في رزقه -أي: يوسع له في رزقه- وينسأ له في أثره -أي: يؤخر له في عمره- فليصل رحمه) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمران الديار ويزيدان في الأعمار) .

ووردت أدلة أخرى في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرها يفيد **معنى آخر**، فقد قال الله سبحانه: ﴿لكل أجل كتاب﴾ [الرعد:٣٨] ، وقال الله سبحانه: ﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [يونس:٩4] ، وفي الصحيح أن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله تعالى عنها قالت: (اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: لقد سألت الله آجالا مضروبة، وأرزاقا مقسومة، لن يقدم شيء منها ولن يؤخر) ، أو بنحوه.

وفي حديث التخلق قال صلى الله عليه وسلم: (ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد) .

فاختلف العلماء في الجمع بين هذه النصوص على أقوال: القول الأول: أن لكل أجل كتابا، ولكل شخص عمرا قدر له، ولكن إذا عمل الشخص الأعمال الواردة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم زيد له في عمره، فالجمع بين النصوص أن معنى قوله تعالى: ﴿إذا جاء أجلهم﴾ [يونس:٤٩] أي: إذا جاء أجلهم الذي قدر لهم لو لم يصلوا الرحم، فإذا وصلوها زيد في أعمارهم؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وأشار إلى هذا المعنى الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى، ولم يطل في هذا المقام.

فهذا قول مبني على ظاهر الأدلة، وهو أن الشخص له عمر مكتوب، لكن إذا وصل الرحم زيد له في عمره.

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٤/٧١

القول الثاني: أن المراد بطول العمر هو البركة في العمر، فيذكر بخير بعد مماته.
القول الثالث: أن الأجل أجلان: أجل أعلمه الله تعالى لملائكته أن إذا عمل عبدي كذا وكذا فاكتبوا له من العمر كذا وكذا، وإذا عمل كذا وكذا فاكتبوا له من العمر كذا وكذا، والله تعالى يعلم بالذي سيختاره العبد، وأثبت في اللوح المحفوظ ما سيختاره العبد، وهذا المثبت في اللوح المحفوظ هو الأجل الذي عند الله تعالى في أم الكتاب، والمحو والإثبات يكون في الكتاب الذي بين أيدي الملائكة.
ومن هذا ما ورد في شأن موسى عليه السلام حين جاءه ملك الموت فلطمه ففقأعينه -كما في صحيح البخاري رحمه الله- فرجع إلى الله تعالى، ثم بعد ذلك قبض روح موسى صلى الله عليه وسلم.
فالله يعلم بالذي دار كله ، وأثبت عنده منتهى الأمر الذي سيصدر من موسى، والوقت الذي ستقبض فيه روح موسى، فأثبت هذا في أم الكتاب، وأما الذي تغير فهو الذي بيد الملك.
وإلى هذا أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بعض اختياراته، وثم أقوال أخر.
وهذه المسألة وصفها العلماء بأنها من المسائل الشائكة التي ينبغي أن تجرى على ظاهرها كسائر الأمور مثلها؛ فهي كمسألة الرزق، إذ الأجل والرزق مكتوبان، فمكتوب لك وأنت في بطن أمك كم سترزق، فإذا سعيت والتمست الأسباب الصحيحة لطلب الرزق في الظاهر فإنك سترزق، وإذا نمت وتركت العمل، فلن يأتيك رزق ذلك اليوم، فإن آمنت بأن الرزق مقدر ومع ذلك تسعى في الأخذ بالأسباب، فكذلك تؤمن بأن الأجل مكتوب، وعليك أن تسعى بما يزيد في أجلك كما تسعى بما يزيد في رزقك.
فالإيمان قائم أن الأجل مقدر، وعلمه عند الله تعالى، مع التدين بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه) ، فعليك أن تصل الرحم، كما أن عليك أن تخرج لطلب الرزق، ومع ذلك تترك الباقي إلى المولى سبحانه وتعالى، كسائر المسائل المتعلقة بالقدر. والله أعلم.
ومن العلماء من قال: إن قوله تعالى: ((يؤخركم إلى أجل مسمى)) المراد بها: يدفع عنكم العذاب فلا تعذبون في الحياة الدنيا، وهذا كالأول، فإن العذاب مقدر، فإن أطعت الله رفع عنك العذاب، كما إذا وصلت الرحم طالت الأعمار.." (١)

"أعطاك منزلة رفيعة، يقصر دونها ملوك الدنيا، وقد همز بعضهم السورة وتأويلها في لغتهم القطعة التي أفضلت من القرآن عما سواها، وأبقيت، وذلك أن سؤر الشيء البقية منه تبقى بعد الذي يؤخذ منه، ولذلك

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٧/٧٥

سميت الفضلة من شراب الرجل يشربه ثم يفضلها فيبقيها في الإناء سؤرا، وأما الآية من آي القرآن، فقد قال ابن جرير: "تحتمل وجهين في كلام العرب، أحدهما: أن تكون سميت آية لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها، كالآية التي تكون دلالة على الشيء يستدل بها عليه، قال الله تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه﴾ [(٢٤٨) سورة البقرة] يعني علامة ملكه، وقال تعالى في المائدة: ﴿ربنا أنزل علينا مآئدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك﴾ [(١١٤) سورة المائدة] يعني علامة لإجابتك دعاءنا، وإعطاءك إيانا سؤلنا، لكن هل نزلت المائدة أو لم تنزل؟ أو فيه خلاف؟ المسألة فيها خلاف، هل نزلت أو لم تنزل؟ لأن الخبر، قال الله: ﴿قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر﴾ [(١١٥) سورة المائدة] خبر مقرون بهذا الشرط، وتمامه يتوقف على التزامهم بهذا الشرط، ما في احتمال أنهم قالوا: لا، إذا كانت مقيدة بهذا الشرط لا نريدها قال الله: ﴿إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا﴾ [(١١٥) سورة المائدة] كأنه قال: إن أردتم إنزالها فإني أنزلها بهذا الشرط، وإن كان الأكثر على أنها نزلت، وذكروا من أوصافها ما ذكروا على ما سيأتي -إن الله تعالى- في سورة المائدة.

والمعنى الآخر للآية: القصة، يقول كعب بن زهير:

ألا أبلغا هذا المعرض آية ... أيقضان قال القول إذ قال أم حلم

يعني هل قال قوله هذا في الحلم أو في العلم؟ في الرؤيا أو في اليقظة؟ أبلغوه آية، يعني بقوله آية، رسالة مني وقصة وخبرا عني، فيكون معنى الآيات القصص، قصة تتلو قصة بفصول ووصول، والبيت في ديوان كعب روي:

ألا أبلغا هذ، المعرض إنه ... أيقضان قال القول إذ قال أم حلم." (١)

"(ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) (٧٥)

المفردات:

- ضرب: جعل.
- مثلا: وأصل المثل: الصفة، ومعناه هنا: وصف يقاس عليه.

---

(١) التعليق على تفسير الجلالين - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٦/٢

المعنى الإجمالي:

زجرت الآية السابقة الكفار بسبب ما وقعوا به من الشرك، وجاءت هذه الآية لتقول للكفار: إنكم لا تسوون بين العبد المملوك الذي لا يقدر على التصرف بالمال، وبين الحر الذي يفعل بماله ما يشاء، فكيف تسوون بين الله الخالق الرازق وبين الأصنام التي لا تملك من أمرها شيئا، فضلا عن أن تملك لكم شيئا.

المعنى التفصيلي:

- (ضرب الله مثلا) وصف سبحانه وتعالى وصفا ليقيس عليه الكفار ما يفعلونه، فيعلموا أنهم مخطئون.

- أبهم المثل في قوله تعالى (ضرب الله مثلا)، ثم فسر بقوله تعالى (عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا)، وهذا الإبهام للمثل ثم تفسيره فيه ما فيه من تفخيم المثل وتعظيمه.

- (ضرب) جاء التعبير بـ "الضرب" لا "الجعل"؛ لما في الضرب من وقع يلفت النظر، وهذا يلفت النظر، وهذا يتناسب والمثل؛ لأن المثل يلتفت الأنظار، ويدق الأذهان فيوقظ النائم وينبه الغافل.

وقيل: إن ضرب المثل من ضرب الدراهم؛ لأن المثل هو ذكر شيء يظهر أثره في غيره.

ولكن لا بد من العلم أن فقه معنى الكلمة يكون بالرد إلى أصل المادة، وأصل المادة "ضرب" وهو إيقاع شيء على شيء، وهذه المادة تستعمل عدة استعمالات، وفي كل استعمال يشترك معنى الضرب مع معنى آخر لينتج له دلالته، فليس من الصواب ربط الكلمة بالاستعمالات، لأننا قد نربط الكلمة بأحد الاستعمالات، ولكن يكون الربط في القدر غير المشترك بين الكلمة وأصل المادة، فيخرج الباحث عن معنى الأصل إلى معنى آخر جديد، ظانا أنه قد رد الكلمة إلى أصلها، هذا فتأمله بارك الله فيك.

- (عبدا) بدل من (مثلا)، والعبد هو الإنسان الذي يملكه إنسان آخر، وهذا التملك يكون عن طريق أسره في الحرب، أو عن طريق شرائه من سيده، أو عن طريق الميراث.

- (مملوكا) وصف للعبد، ولكن لماذا هذا الوصف مع أن كلمة "عبد" تدل على أنه مملوك؟

جاء وصف العبد أنه مملوك؛ لئلا يظنن ظان أن المقصود فيه هو العبد بالمفهوم العام، فكل إنسان إنما هو عبد لله، لأنك لو قرأت الآية دون كلمة (مملوكا) لاحتمل أن تفسر بإنسان عاجز لا يملك شيئا، وبإنسان قادر ينفق ماله كيف يشاء.

- (عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) إن العبد المملوك لا يملك مالا، ولا يستطيع التصرف بإرادته، فلا يذهب ولا يرجع إلا بأمر سيده، ولكن هذا العبد المملوك الذي ضرب مثلا ليس مملوكا عاديا، بل هذا

العبد عاجز أيما عجز؛ لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئا، أي شيء كان، ولذا قال تعالى (لا يقدر على شيء)، فهو أسوأ مثل للعبد المملوك، وأبلغ مثال على عجز البشر.

- (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) هو الحر القادر الذي رزقه الله الرزق الحسن، فهو ينفقه سرا وجهرا، وهو المقابل للمملوك الذي لا يقدر على فعل شيء.

- في قوله تعالى (رزقناه) التفات من الغيبة (ضرب الله مثلا) إلى المتكلم (رزقناه)، وال"نا" في قوله تعالى (رزقناه) للتعظيم؛ وذلك تعظيما لأمر النعمة التي أنعمها الله على هذا المرزوق.

- الرزق من الله سبحانه وتعالى (رزقناه)، فلماذا ذكرت (منا) في قوله تعالى (رزقناه منا)؟

ذكرت (منا) في قوله تعالى (رزقناه منا)؛ توبيخا للكفار بأن الله هو الرازق وحده، وأن الأصنام لا ترزق أحدا، فكيف تعبدونها؟

وكذلك ذكرت (منا)؛ زيادة في البيان للمؤمنين أن أمر الرزق إنما هو لله وحده، وليس لأحد أن يشك للحظة أن في الكون من يتحكم في أرزاق العباد.

- (رزقا حسنا) فهو ليس أي رزق، بل هو رزق حسن، أتى عن طريق حسنة، فليس في اكتسابه ذل ولا ضنك، وليس مما يسرع إليه الفساد أو الكساد، وليس مما يصعب الاستفادة منه.

والرزق الحسن اكتسابا وامتلاكا إنما هو أطيب الرزق وأعلاه منزلة؛ لأنه صالح، طيب، حلال.

- (فهو ينفق منه سرا وجهرا) فاء (فهو) للتفريع، أي: بناء على أن هذا الحر قد رزق الرزق الحسن فهو ينفق ماله كيف يشاء، سرا أو جهرا، فالفاء رتبت الإنفاق على الرزق.

- (فهو ينفق منه) جملة اسمية؛ للدلالة على ثبات أمر الإنفاق، وأما الخبر فهو فعل مضارع (ينفق) للدلالة على تجدد الإنفاق.

وعبر عن الرزق بالفعل الماضي (رزقناه)، وأما الإنفاق فعبر عنه بالفعل المضارع (ينفق) دلالة على فعله الخير بما رزق من مال ولو لم يزدد هذا المال.

- جاء التعبير بـ (ينفق) للدلالة على أن أعلى تصرف يقوم به العبد بماله، هو الإنفاق في الخير.

ولقائل أن يقول: ما أدراك أن هذا الحر ينفق ماله بالخير؟

الدليل على أن هذا الحر ينفق ماله بالخير، أن مثل هذا الحر ضرب لأفضل مثل للأحرار، كما أن مثل العبد ضرب لأسوأ شيء في العبيد، وهذا لبيان الفرق الشاسع بين المثلين.

إذن؛ فالعبد المملوك لا يملك شيئا، وفي مقابله الحر الذي رزقه الله الرزق الحسن، والعبد المملوك لا يقدر

على التصرف، بينما الحر ينفق ماله كما يشاء، فهما عجزان عند المملوك، الأول: عدم الملك، والثاني: عدم القدرة.

وبالمقابل، فهما قدرتان عند الحر، الأولى: الرزق الحسن، والثانية: القدرة على التصرف.

وأيضا فإن التعبير عن النفقة بالسر والعلن جاء في القرآن في سياق نفقة الخير، قال تعالى:

(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (البقرة: ٢٧٤)

(والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) (الرعد: ٢٢)

(قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال) (إبراهيم: ٣١)

(إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) (فاطر: ٢٩)

– ولكن لماذا جاءت الآيات التي تتحدث عن الصدقة بصيغة (سرا وعلانية)، بينما جاءت هذه الآية بصيغة (سرا وجهرا)؟

اختلاف الصيغة لاختلاف السياق والمقصود، فالعلن ضد السر، بينما الجهر ليس ضد السر فقط، بل هو الظهور بإفراط ومبالغة.

وسياق آيات الصدقة سيق لبيان أن المتصدقين ينفقون المال سرا لا يعرف عنه أحد، وعلنا فيما يراهم فيه الناس، ولكن المقصود في سياق هذه الآية بيان كمال قدرة هذا الحر على التصرف بماله، فهو قادر على أن ينفقه سرا، وقادر على أن ينفقه جهرا، ويتضمن هذا أنه قادر على أن ينفقه علنا؛ لأن الجهر يتضمن العلن، ولكن العلن لا يتضمن الجهر، ولذا بينت الآية أبعد التصرفين عن بعضهما (سرا وجهرا) للدلالة على كمال القدرة في التصرف لا على مجرد القدرة فقط.

– (ينفق منه) وليس "ينفقه"؛ لأنه لو أنفق ماله كله لأصبح عاجزا عن التصرف؛ لأنه لا مال عنده حينئذ، وهذا لا يناسب هذا السياق؛ لأن الحر المالك المتصرف يصبح عندما ينفق ماله قريبا من العبد الذي لا يملك؛ لأنه حر فقد ماله، مما يترتب على ذلك تحديد دائرة تصرفاته.

– (فهو ينفق منه سرا وجهرا) ذكر السر والجهر هنا لبيان كمال تصرف الحر، أي ينفق كما يشاء، وقدم

ذكر السر على الجهر؛ لأن المقام مقام بيان أفضل الأحرار في التصرف، فنفقة الحر في السر خير من الجهر (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) (البقرة: ٢٧١).

فعمل الخير بالسر خير من الجهر، حيث جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ... (البخاري: ١٣٣٤).

– قال سبحانه وتعالى في حق الحر (رزقناه منا رزقا حسنا) بينما قال في شأن العبد (لا يقدر على شيء)، فلماذا لم يقل في حق العبد "لم نرزقه" بدلا من (لا يقدر على شيء)؟

لم يقل سبحانه وتعالى في حق العبد "لم نرزقه" بدلا من (لا يقدر على شيء)؛ لأن العبد المملوك مرزوق أيضا، فله الطعام والشراب وغير ذلك من الأشياء، ولكنه لا يقدر على التصرف.

وأيضا فإن قوله تعالى (لا يقدر على شيء) لا يدل فقط على أن العبد المملوك لا يقدر على التصرف بالمال، بل لا يقدر على فعل شيء البتة.

– قدم مثل العبد المملوك على الحر؛ لأن سياق الآية منصب على إنكار رفع الأصنام عن الحضيض الذي هي فيه، ومنصب على بيان عجز الأصنام، وليس منصبا على بيان عظمة الله – سبحانه وتعالى – على وجه التفصيل، مع أن الآية تبين الأمرين، وللتوضيح أقول: المعنى الرئيسي في الآية هو إنكار تعظيم الأصنام ومساواتها بالله سبحانه وهي لا شيء، وليس المعنى الرئيسي تفصيل جوانب عظمة الله سبحانه وتعالى، ولذا قدم ذكر مثل العبد إمعانا في انتقاص الأصنام.

– (هل يستوون) هذا استفهام إنكاري، أي لا تستوي الأصنام والخالق سبحانه وتعالى، بناء على أنه لا يستوي العبد المملوك والحر.

– وجاء التعبير بصيغة الجمع (يستوون) وليس المثنى "يستويان"؛ لأن هذه نتيجة مثل العبد المملوك والحر، أي أن المقصود هو أن الأصنام لا تستوي والخالق سبحانه، والأصنام متعددة؛ ولذا جاء التعبير بصيغة الجمع (يستوون).

وقيل: أريد جنس العبد والحر، وقيل غير ذلك، والذي أراه أن المقصود هو أن الأصنام لا تستوي والخالق سبحانه؛ لأن هذه نتيجة مثل العبد المملوك والحر، ولذا أتبع الاستفهام بتقرير حقيقة أن الله هو المستحق للحمد وحده (هل يستوون الحمد لله).

- (الحمد لله) فيها رد على المشركين أن الله سبحانه وتعالى هو المستحق للحمد وحده، حيث إن الكفار كفروا بنعمة الله رغم أن الله هو من رزقهم من الطيبات (ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون) (النحل: ٧٢) وأنهم عبدوا وحمدوا من لم يرزقهم ولن يرزقهم (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون) (النحل: ٧٣) فجاء الرد على الكفار الذين أشركوا بحمد الله بأن حمدوا الأصنام معه، بأن الحمد إنما هو لله وحده.
- (بل أكثرهم لا يعلمون) و (بل) للإضراب، وهذا إضراب انتقالي، والإضراب الانتقالي هو: الانتقال من أمر إلى أمر أفظع منه مع بقاء الحكم الأول، والحكم الأول هو إشراكهم بالله سبحانه وتعالى، حيث سوى الكفار بين الأصنام وبينه سبحانه وتعالى.
- ولكن لماذا (أكثرهم لا يعلمون) لا كلهم؟
وذلك؛ لأن فيهم السادة والزعماء وأصحاب المصالح الذين يعلمون الحق ولكنهم ردوه عن علم لأجل مصالحم.
- ولكن قد يسأل سائل: إن كان الكفار لا يعلمون فلماذا يحاسبهم الله سبحانه وتعالى، مع أن الجهل عذر من الأعذار التي ترفع العذاب، قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (الإسراء: ١٥)؟
ولكن جهلهم هنا لا يعذرون به؛ لأنه ليس جهلا ناتجا عن عدم وصول الخبر إليهم، بل هو جهل ناتج عن جحودهم وإغلاقهم قلوبهم عن الإيمان، وعقولهم عن التفكير، ولذا فهذا الجهل من كسب أيديهم.." (١)
"(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (١١٢)
المفردات:
- ضرب: جعل.
- مثلا: وأصل المثل: الصفة، ومعناه هنا: وصف يقاس عليه.
- رغدا: واسعا طيبا.
المعنى الإجمالي:
بعد توعد الآية السابقة المشركين بعذاب الله يوم القيامة، تتوعد هذه الآية المشركين بعذاب الله في الدنيا؛ ليعلم المشركون أن عذاب الله محيط بهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني سامي القدومي ص/١٥١

يضرب الله – سبحانه وتعالى – مثلا حقيقيا لقرية كانت تعيش حياة آمنة هادئة منعمة، ورزقها هانئ كثير، ولكنها كفرت بأنعم الله فأبدلها الله بدل أمنها وطمأنينتها خوفا وبدل الرزق الوافر جوعا جزاء كفرها.

المعنى التفصيلي:

– (وضرب الله مثلا) وصف سبحانه وتعالى وصفا ليقيس عليه الكفار ما يفعلونه، فيعلموا أنهم مخطئون.

– (وضرب) جاء التعبير بـ "الضرب" لا "الجعل"؛ لما للضرب من وقع يلفت النظر، وهذا يتناسب والمثل، لأن المثل يلفت الأنظار، ويدق الأذهان فيوقظ النائم، وينبه الغافل.

وقيل: إن ضرب المثل من ضرب الدراهم، لأن المثل هو ذكر شيء يظهر أثره في غيره.

ولكن لا بد من العلم أن فقه معنى الكلمة يكون بالرد إلى أصل المادة، وأصل المادة "ضرب" وهو إيقاع شيء على شيء، وهذه المادة تستعمل عدة استعمالات، وفي كل استعمال يشترك معنى الضرب مع معنى آخر لينتج معنى له دلالته، فليس من الصواب ربط الكلمة بالاستعمالات؛ لأننا قد نربط الكلمة بأحد الاستعمالات ولكن يكون الربط في القدر غير المشترك بين الكلمة وأصل المادة، فيخرج الباحث عن معنى الأصل إلى معنى آخر جديد، ظانأ أنه رد الكلمة إلى أصلها، فتأمل بارك الله فيك.

– ذكر الاسم الظاهر (الله) رغم دلالة السياق عليه، ولو جاء الآية بالضمير المقدر لعلم المقصود، أي: "وضرب مثلا قرية"، ولكن إقامة الاسم الظاهر مقام المضمر إنما جاء تفخيما للمثل المضروب بذكر ضارب المثل سبحانه وتعالى.

– أبهم المثل في قوله تعالى (وضرب الله مثلا)، ثم فسر بقوله تعالى (قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها ...)، وهذا الإبهام للمثل ثم تفسيره فيه ما فيه من تفخيم المثل وتعظيمه.

– (قرية) بدل من (مثلا)، وهي مكان اجتماع الناس، ولا يلتفت إلى التقسيم المحدث في عصرنا حول المدينة والعاصمة والقرية، فهو مصطلح حادث ولا يفسر القرآن بناء عليه.

وتطلق القرية على الناس المجتمعين، (واسأل القرية التي ...) (يوسف:٨٢)، بغض النظر أقدرنا المحذوف: أهل القرية، أو قلنا: إن هذا مجاز مرسل، بل قد ذكر بعض أهل اللغة كالمبرد في كتابه (ما اتفق لفظه، ص:٧٧) أن القرية تطلق على القوم أنفسهم. وقصده: تطلق دون تقدير لمحذوف أو القول بالمجاز.

وعلى كل فالسياق يبين المقصود من "القرية" أهو المكان أم الناس، ففي هذه الآية (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ...) المقصود بالقرية الناس، أما في قوله تعالى (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها

حيث شئتم رغدا ...) (البقرة: ٥٨) فالمقصود المكان.
وأصل "القرية" مادة "قري" التي تدل على الجمع والاجتماع، يقال: قريت الماء في الحوض: جمعته. ومن هنا سميت القرية لاجتماع الناس فيها.
- قيل: إن هذه القرية هي مكة، وقد روى الطبري في (تفسيره١٤/ص١٨٦) عند تفسير هذه الآية أن ابن عباس قال عن القرية "يعني مكة" ولكنه سند لا يصح؛ لأنه من طريق عطية العوفي، وأما ما روي عن التابعين ومن بعدهم فهي آراء بحاجة إلى دليل، وإنما درست السند عن ابن عباس دون التابعين؛ لأن لقوله اعتبارا وإن لم يكن في هذا المقام بدرجة الحجية، ولكنه ترجمان القرآن واسمع لقوله رضي الله عنه قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "اللهم علمه الكتاب" (البخاري: ٧٣)
والصحيح أن هذه القرية المضروبة مثلا هي قرية غير مكة، وضربت مثلا لتخويف كفار مكة ابتداء، وذلك لأن هذه القرية وصفت بأنها كافرة إذ كفرت بأنعم الله، ومكة أحب أرض الله إلى الله لم يصفها سبحانه وتعالى بصفة مشينة، ألا ترى - بارك الله فيك - كيف نزه مكة عن وصفها بالظلم في قوله تعالى (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ...) (النساء: ٧٥) فلم يأت النص "ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالمة" علما أن ذلك جائز لغة، ولو قيل "القرية الظالمة" لقصد أهلها، ولكن لتكريم مكة صرحت الآية بأن الظالم هو أهل مكة لا مكة.
ولو كانت مكة المقصودة بالقرية لقيل بناء على ما سبق "فكفر أهلها بأنعم الله". وسيأتي من الأدلة ما يثبت أن القرية هي غير مكة.
- (قرية كانت آمنة) لم يأت النص " قرية آمنة" أي: دون الفعل (كانت)، فما دلالة الفعل (كانت)؟
مما يدل عليه الفعل (كانت) أن هذه القرية قرية حقيقية (كانت) أي كان لها وجود وأصابها العذاب، وسبق الكلام على مثل هذا - على سبيل المثال لا الحصر - عند تفسير الآية (٨٧) من هذه السورة، عند قوله تعالى (ما كانوا يفترون)، حيث إن التعبير بالفعل "كان" (ما كانوا يفترون) أقوى في الدلالة من " ما يفترون " دون الفعل "كان"؛ لما يعنيه الفعل "كان" من الوجود، للتنبيه على أنه قد وقع حقا.
وهذا مما يدل - أيضا - على أن القرية ليست مكة، بل مثل ضرب لكفار مكة تهديدا لهم، والقول بأن هذه الآية إخبار عن مكة لما سيحصل لها من العذاب يتعارض والفعل (كانت).
وبهذا تعلم بعد قول القائلين " فهذه القرية يحتمل أن تكون موجودة ويحتمل أن تكون غير موجودة "

- (آمنة مطمئنة) والأمن نقيض الخوف، والطمأنينة هي: السكون والهدوء، وقد يكون الإنسان آمنا ولا يكون مطمئنا، ولكن لماذا قدم ذكر الأمن على الطمأنينة؟

قدم ذكر الأمن على الطمأنينة؛ لأنه لا طمأنينة دون الأمن، فالأمن أولا ثم الطمأنينة

ولكن لو ذكرت الطمأنينة وحدها لتضمنت معنى الأمن، فلماذا ذكر الأمن أيضا؟

ذكر الأمن أيضا؛ لأن المقام مقام تفصيل لنعم الله على هذه القرية وليس مقام اختصار، فناسب التفصيل في ذكر النعم ما يقتضيه المقام من التفصيل في ذكر النعم.

- (يأتيها رزقها رغدا) ولو تأملنا قليلا لوجدنا فرقا بين "بسط الله لهم في رزقهم " أو "كان رزقهم رغدا" وبين (يأتيها رزقها رغدا)، فلقد بسط الله سبحانه لهم في الرزق وكان رزقهم رغدا، ولكن للفعل المضارع (يأتيها) دلالة على سهولة الحصول على هذا الرزق، وأن الرزق يأتيها دون أن تمشي إليه، وحال هذه القرية مثل حال مكة، قال تعالى (... أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ...) (القصص: ٥٧) وتأمل كلمة (يجبى).

- جاء التعبير في وصف حالة الأمن والطمأنينة بالاسم (آمنة مطمئنة) ولم يأت النص بالفعل "أمنت واطمأنت"؛ لأن الاسم يدل على ثبوت الأمن والطمأنينة ودوامهما لهذه القرية، فهو ليس أمن يوم أو يومين بل على الدوام.

ولكن جاء التعبير عن الرزق بالفعل المضارع (يأتيها) لدلالة الفعل المضارع على التجدد؛ لأن إتيان الحصول على الرزق متجدد في كل يوم وكل ساعة.

- (رزقها) أي القرية، ولكن لماذا لم يأت النص "يأتيها رزق الله"؟

وللجواب عن هذا لا بد أن نعرف أن الإضافة قد تقع للفاعل والمفعول، فالإضافة للفاعل كما نقول: هذا رزق الله. من جهة أن الله – سبحانه وتعالى – هو الرزاق، والإضافة للمفعول كما في (رزقها) من جهة أن الرزق أعطي لها.

ولكن يبقى السؤال: لماذا لم يضف الرزق إلى الله سبحانه وتعالى؟

لم يضف الرزق إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن المقام مقام وصف للامتيازات التي وقعت لهذه القرية، ولذا أضيف الرزق إليها من باب النص على امتلاك القرية لهذه الامتيازات، بينما أضيف الرزق إلى الله سبحانه وتعالى في سياق آخر (... كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) (البقرة: ٦٠) (... كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) (سبأ: ١٥) وهذا سياق امتنان ناسبه إضافة الرزق إلى الله

سبحانه وتعالى، بينما هذه الآية وصفت ما أعطيت هذه القرية من الخير فناسبت الإضافة سياق التنعم والتملك.

- (رغدا) يقال: رغد - بفتح الغين وضمها - رغدا. والرغد الرزق: واسعه وطيبه. فهو ليس رزقا كثيرا وحسب، بل رزق طيب ليس خبيثا وليس فيه ذل في تحصيله.

- (كل مكان) عموم مخصوص؛ لأنه لا يتصور أن يأتيهم الرزق من كل مكان في هذا الكون أو حتى الأرض، وإنما معناه: (من كل مكان) يمكن أن يأتيهم منه. وهذا العموم كالعموم الذي في قوله تعالى (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) (النمل: ٢٣) فلا يتصور أنها أوتيت من كل شيء في هذا الوجود، وإنما المعنى: وأوتيت من كل شيء يعطاه الملوك.

- (فكفرت بأنعم الله) وكفرها بأن جعلت مع الله - سبحانه وتعالى - شريكا، وهذا مستفاد من أن المثل إنما ضرب للمشركين في مكة تهديدا لهم.

- (بأنعم الله) و (أنعم) جمع نعمة، وقيل: جمع نعمى، وقيل: جمع نعم، وقيل غير ذلك.

- (أنعم) جمع قلة، ولكن لماذا جاء التعبير بجمع القلة، أليس التعبير بجنس النعم أعظم في بيان جرم هذه القرية؟

قيل: جاء التعبير عن النعم التي كفرت بها هذه القرية بجمع القلة؛ للتنبيه بالأدنى على الأعلى، فإذا كان كفران النعم القليلة موجبا للعذاب، فكفران النعم الكثيرة أولى بإيجاب العذاب.

ويضاف على هذا بأن هذه القرية على ما أوتيت من نعم فإنها لم تؤت إلا جزءا يسيرا من نعم الله سبحانه وتعالى، لأن الأمن والطمأنينة ورغد العيش ليست كل نعم الله، فتأمل.

- (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) جازى الله - سبحانه وتعالى - هذه القرية على كفرها بأنعمه بأن عذبها في هذه الدنيا بالجوع بعد رغد العيش، وبالخوف بعد الأمن والطمأنينة.

- (فأذاقها) الذوق وجود الطعم بالفم، واستعمل في العذاب بكثرة، وعلى سبيل المثال قوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) (الدخان: ٤٩)، واستعمل في الرحمة أيضا (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ...) (هود: ١٠).

وجاء التعبير بالذوق عن الإحساس بالعذاب من باب التعبير عن شدة ما يجدون من الألم؛ لأن التذوق هو بحث عن الطعم حتى يجده المرء، ولذا فمن يبلع الطعام بلعا لا يجد طعمه كمن يتذوقه تذوقا، فإن كان التذوق للنعمة زيادة في التنعم، والتذوق للعذاب زيادة في الألم؛ فأهل هذه القرية لم يتعذبوا فحسب، بل

ذاقوا طعم العذاب ووجدوا ألمه.
– (لباس الجوع والخوف) ما أصاب القرية من جوع وخوف كان ملازما لها في كل أوقاتها، فليس الجوع والخوف في أوقات معينة ثم يذهبان ثم يعودان، بل هو جوع وخوف ملازمان لزوم اللباس للابسه.
وهذا من جهة، ومن جهة أخرى بدأ الجوع والخوف من شدتهما يظهران على الوجوه والأجسام، وكلنا يعرف علامات الجوع من الشحوب والنحول، وعلامات الخوف من الذهول وضعف البدن وغير ذلك من العلامات التي تظهر على الخائف والجائع، وجاء التعبير عن ظهور هذه العلامات باللباس لأن هذه العلامات أصبحت ظاهرة عليهم ظهور اللباس.
وأيضا فإن هذا الخوف والجوع محيط بهم متمكن من أجسادهم إحاطة اللباس باللابس.
– قد يسأل سائل هل يذاق اللباس، ولماذا لم يأت النص "فأذاقها الله طعم الجوع والخوف" أو "فكساها الله لباس الجوع والخوف "؟
كلمة اللباس في الآية لا تعني لباس القماش . وإنما تعني الجوع والخوف الشديدين كما سبق بيانه آنفا، ولذا يكون معنى الآية: فأذاقها الله الجوع والخوف الشديدين.
أما لماذا لم يأت النص "فأذاقها الله طعم الجوع والخوف" أو "فكساها الله لباس الجوع والخوف "؟
فالجواب عن هذا أن قولنا: أذاقه طعم كذا. لا يعطي إلا معنى الإذاقة، ومثله: كساه لباس كذا. لا يعطي إلا معنى الكسوة، بينما قوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) يعطي معنيين، الأول: الإذاقة. والثاني: الكسوة. وسبق بيان دلالة كل معنى من المعنيين.
– روي أن ابن الراوندي الملحد أراد الطعن بالقرآن فقال لابن الأعرابي الأديب: هل يذاق اللباس؟ فقال ابن الأعرابي: هب أنك تشك أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – كان نبيا أوما كان عربيا؟
– (الجوع والخوف) قدم ذكر الجوع على الخوف؛ لأن الجوع أعظم عذابا، ألا ترى أن الإنسان يعيش في خوف الحروب سنين ولكنه لا يستطيع أن يعيش دون طعام أكثر من بضعة أيام، ولذا من الله – سبحانه وتعالى – على أهل مكة بالإطعام أولا ثم بالأمان ثانيا، قال تعالى (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (قريش: ٤)
– (بما كانوا يصنعون) الباء في (بما) باء السببية، أي: عذبهم الله – سبحانه وتعالى – بسبب ما صنعوا.
– جاء التعبير بـ (بما كانوا يصنعون) وليس "بما صنعوا"؛ لأن للتعبير بـ "كان" دلالته على الوجود والتحقق بما لا يدل عليه الفعل الماضي وحده.

- جاء التعبير بـ (يصنعون) وليس "يعملون"؛ لأن الصنع هو عمل وزيادة، والزيادة هي الإجادة في العمل، فهم من شدة كفرهم لم يعملوا الشرك عملا، بل صنعوا الشرك صناعة، فهم أصحاب حذاقة وخبرة في الشرك، يتفننون في ألوان الشرك تفننا، ويخترعون صورا للشرك لا تخطر على بال، وفي هذا وصف لسوء حالهم. ألا ساء ما كانوا يصنعون.." (١)

"(إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) (١٢٠)

المفردات:

- أمة: إمام هدى يعلم الناس الخير.

- قانتا: دائم الطاعة والخضوع لله تعالى.

- حنيفا: مستقيما على الحق.

المعنى الإجمالي:

بعد بيان الأحكام الشرعية في الآيات السابقة، وبيان ما حرم على يهود وحدهم، جاءت هذه الآية وما بعدها من ممهدات لقوله تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) (النحل: ١٢٣)؛ لبيان أن ما شرع لأمة محمد من هذه الأحكام إنما كان شريعة لإبراهيم عليه السلام، ولبيان أن يهود ليسوا على شريعة إبراهيم - عليه السلام - رغم زعمهم أنهم على شريعته (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (٦٧) إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين (٦٨)) (آل عمران).

المعنى التفصيلي:

- (إن) للتأكيد؛ ردا على المشركين الذين يزعمون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام.

- (إبراهيم) وهو من رسل الله سبحانه وتعالى، ولا يجهل مكانته مسلم، وليس له أصل في العربية حتى يعرف ما معناه، وقيل: معناه بالسريانية "أب رحيم"، ولا أعرف صحة هذا المعنى، وإنما نقلت ما وقفت عليه.

- (أمة) أي: إماما في الخير، يعلم الناس ويقودهم إلى طريق الخير؛ قال تعالى (... قال إني جاعلك للناس إماما ...) (البقرة: ١٢٤)، و "أمة" على وزن فعلة بمعنى مفعول، مثل: نسخة بمعنى منسوخ، وعرضة بمعنى معروض.

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني سامي القدومي ص/٢٢٥

وللأمة في القرآن عدة معان:

الأول: بمعنى القدوة؛ كما في هذه الآية (إن إبراهيم كان أمة ...)

الثاني: مقدار من الزمن؛ كما في قوله تعالى (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) (يوسف: ٤٥)

الثالث: الجماعة من الناس؛ كما في قوله تعالى (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ...) (البقرة: ١٢٨)

الرابع: الدين والملة؛ كما في قوله تعالى (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) (الزخرف: ٢٢)

والجامع في هذه المعاني: الجمع؛ فالقدوة يجمع الناس على طريقه، ومقدار الزمن يجمع في ذاته الدقائق والأيام، والجماعة من الناس يجتمون مع بعضهم، والدين يجمع الناس على مبادئه.

وقيل: إن معنى (إن إبراهيم كان أمة) أي: قائما بالعبادة مقام أمة، وهذا **معنى آخر**، ولا تناقض بينه وبين ما سبقه.

- (قانتا) طائعا لله منقادا لأمره، وهذا هو أصل المعنى، ويرد بمعان أخرى تعرف من السياق.

- (حنيفا) حنف: مال إلى الحق وابتعد عن الباطل، وإبراهيم عليه السلام كان على الحق بعيدا عن الباطل.

- يدل ما سبق أنه كان عليه السلام (حنيفا) يدل على أنه ما كان من المشركين، فلماذا ذكر (ولم يك من المشركين) رغم دلالة ما قبله عليه؟

ذكر (ولم يك من المشركين) رغم دلالة ما قبله عليه؛ ردا على المشركين الذين كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام. ويدل أيضا على أنه – عليه السلام – ما كان مشركا في أي أمر كبيرا كان أو صغيرا، ولم يكن مشركا في أي مرحلة من حياته لا في صغره ولا كبره.

- جاء بيان صفات إبراهيم عليه السلام من الأعلى إلى الأدنى؛ وانظر معي – بارك الله فيك – إلى هذا التدرج: فالإمام والقدوة ومعلم الناس الخير والقائم مكان أمة لا بد أن يكون قانتا لله، والقانت لله لا بد أن يكون حنيفا، ومن كانت هذه صفاته فلا بد أن يكون موحدا وأن لا يكون من المشركين.

ولا يشترط في كل موحد أن يكون قانتا أو يكون إماما للناس يعلمهم الخير.

ولكن لماذا التدرج في ذكر صفات إبراهيم – عليه السلام – من الأعلى إلى الأدنى؟

جاء التدرج هكذا لأنه الأصل في المدح؛ نقول: فلان الرئيس السابق، وقد شغل قبلها عدة مناصب. ولا

نقول على سبيل المدح: فلان مدير مؤسسة رعاية المسنين سابقا، وكان بعدها رئيسا للبلاد. إنما نقول هذا على سبيل الحكاية والإخبار لا المدح والتزكية.." [1]

"(ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) (١٢٣)

المفردات:

- ملة: دين.

- حنيفا: مستقيما على الحق.

المعنى الإجمالي:

جاء بيان فضل إبراهيم – عليه السلام – في الآيات السابقة توطئة لأمر الله – سبحانه وتعالى– نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم – باتباع دين إبراهيم عليه السلام.

فقد أوحى الله – سبحانه وتعالى – إلى نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يتبع دين إبراهيم – عليه السلام – المستقيم على دين الحق، والذي لم يكن مشركا في وقت من الأوقات أو أمر من الأمور.

المعنى التفصيلي:

- (ثم) تصلح أن تكون للتراخي الزمني؛ لأن ما بين إبراهيم – عليه السلام – ومحمد – صلى الله عليه وسلم – زمن طويل.

ولكن تصلح (ثم) أن تكون للتراخي الرتبي بين فضائل إبراهيم – عليه السلام – السابقة "أمة، قانتا، شاكرا .... " وبين هذا الفضل العظيم له أن أمر محمد – صلى الله عليه وسلم – باتباع ملته، أي **بمعنى آخر**: أعلى فضائل إبراهيم عليه السلام هو أمر خير البشر محمد – صلى الله عليه وسلم – باتباعه.

- (أوحينا) "نا" للتعظيم، وفي هذا تعظيم لأمر الوحي، فبه يعرف النبي الدين، وبه يعرف الخلق دين الله – سبحانه وتعالى – على ألسنة أنبيائهم.

- (إليك) يا محمد، وفي الآية تكريم لمحمد – صلى الله عليه وسلم – لكون اتباعه لإبراهيم – عليه السلام – فضيلة من فضائله، وفيها تكريم لإبراهيم – عليه السلام – لأمر خير الأنبياء باتباعه.

ومن فضل النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه خير البشر؛ فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع" (صحيح مسلم ج٤/ص١٧٨٢)

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني سامي القدومي ص/٢٤١

- (أن اتبع) تفسير لما أوحى الله - سبحانه وتعالى - لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.
- (ملة) الملة الدين، وأصلها من أمللت الكتاب، أي: ما أوحى الله لأنبيائه من الشرائع. والفرق بين الدين والملة أن الدين يطلق باعتبار الطاعة والجزاء، ولكن الملة باعتبار الشرائع الهادية إلى الطاعة، وهذا نابع من أصل كل كلمة، وهناك فروق من جهة الاستعمال اللغوي، وما ذكر كاف في بيان المعنى.
- (إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) تقدم بيان هذا قريبا في تفسير الآية (١٢٠) من هذه السورة.." (١)

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني سامي القدومي ص/٢٤٧